سورة يونس

مكية وآياتها تسع ومائة

بين يدي السورة

سورة يونس من السور المكية التي تعنى بأصول العقيدة الاسلامية (الايمان بالله تعالى ، والايمان بالكتب ، والرسل ، والبعث والجزاء) وهي تتميز بطابع التوجيه الى الايمان بالرسالات السماوية ، وبوجه أخص الى " القرآن العظيم " خاتمة الكتب المنزلة ، والمعجزة الخالدة على مدى العصور والدهور لسيد الانبياء (ص)

تحدثت السورة الكريمة في البدء عن الرسالة والرسول ، وبينت ان هذه سنة الله في الاولين والاخرين ، فما من امة الا بعث الله اليها رسولا ، فلا داعي للمشركين للعجب من بعثة خاتم المرسلين [أكان للناس عجبا أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس . .] ؟ ثم تلتها الآيات عن بيان حقيقة " الألوهية " و " العبودية " واساس الصلة بين الخالق والمخلوق ، وعرفت الناس

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بربهم الحق الذي ينبغي ان يعبدوه ، وان يسلموا وجوههم اليه ، فهو وحده الخالق الرازق ، المحي المميت ، المدبر الحكيم ، وكل ما سواه فباطل وهباء [إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام . .] الآيات . وتناولت السورة الكريمة موقف المشركين من الرسالة والقرآن ، وذكرت ان هذا القرآن هو (المعجزة الخالدة) الدالة على صدق النبي الأمي ، وأنه يحمل برهانه في تفرده المعجز ، حيث تحداهم ان يأتوا بسورة من مثله فعجزوا ، مع أنهم اساطين الفصاحة ، وامراء البيان [أم يقولون افتراه ، قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين] . وانتقلت السورة لتعريف الناس بصفات الإله الحق ، بذكر آثار قدرته ورحمته ، الدالة على التدبير الحكيم ، وما في هذا الكون المنظور من آثار القدرة الباهرة ، التي هي اوضح البراهين على عظمة الله وجلاله وسلطانه [قل من يرزقكم من السموات والأرض ؟ أمن يملك السمع والأبصار . .]

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الآيات وهذه هي القضية الكبرى التي يدور محور السورة عليها ، وهي موضوع الايمان " بوحدانية الله " جل وعلا ، وقد عرضت السورة لها بشتى الادلة السمعية والعقلية . " وتحدثت السورة عن قصص بعض الانبياء ، فذكرت قصة نوح مع قومه ، وقصة موسى مع فرعون الجبار ، وذكرت قصة نبي الله " يونس ، " الذي سميت السورة باسمه - وكل هذه القصص لبيان سنة الله الكونية في اهلاك الظالمين ، ونصرة المؤمنين .وختمت السورة الكريمة بأمر الرسول ، بالاستمساك بشريعة الله ، والصبر على ما يلقى من الأذى في سبيل الله [واتبع ما يوحى إليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين] .

التسمية :

سميت السورة " سورة بونس " لذكر قصته فيها ، وما تضمنته من العظة والعبرة برفع العذاب عن قومه حين آمنوا ، بعد ان كاد يحل بهم البلاء والعذاب ، وهذا من الخصائص التي خص الله بها (قوم يونس) لصدق

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

توبتهم وايمانهم [فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين] ! !

اللغة :

[قدم صدق] قال الليث : القدم السابقة ، قال ذو الرمة : وأنت امرؤ من اهل بيت ذؤابة لهم قدم معروفة ومفاخر وقال ابو عبيدة : كل سابق في خير او شر فهو قدم ، وقال الاخفش : سابقة إخلاص

[يدبر] التدبير : القضاء والتقدير على حسب الحكمة

[القسط] العدل

[حميم] الحميم : الماء الحار الذي سخن بالنار حتى انتهى حره

[يفصل] التفصيل : التبيين والتوضيح

[مأواهم] مثواهم ومقامهم

[طغيانهم] الطغيان : العلو والارتفاع

[يعمهون] يتحيرون

[خلائف] جمع خليفة وهو الذي يخلف غيره في

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

شئونه .

سبب النزول :

قال ابن عباس : لما بعث الله تعالى محمدا(ص) أنكرت الكفار وقالوا : الله اعظم من ان يكون رسوله بشرا ، اما وجد الله من يرسله إلا يتيم أبى طالب ؟ فأنزل الله [أكان للناس عجبا أن أوحينا الى رجل منهم أن أنذر الناس . .] الآية .

التفسير :

[الر] اشارة الى ان هذا الكلام البليغ المعجز ، مكون من جنس الاحرف التي يتكون منها كلامكم ، فمن هذه الحروف وامثالها تتألف آيات الكتاب الحكيم ، وهي في متناول أيديهم ، ثم يعجزون عن الاتيان بمثل آية واحدة منه

[تلك آيات الكتاب الحكيم] أى هذه آيات القران المحكم المبين الذي لا يدخله شك ، ولا يعتريه كذب ولا تناقض

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[أكان للناس عجبا أن أوحينا الى رجل منهم] اي أكان عجبا لأهل مكة ايحاؤنا الى رجل منهم هو " محمد " عليه الصلاة والسلام ؟ والهمزة للانكار اي لا عجب في ذلك فهي عادة الله في الامم السالفة ، أوحى الى رسلهم ليبلغوهم رسالة الله

[أن أنذر الناس] أى أوحينا اليه بأن خوف الكفار عذاب النار

[وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم] اي وان بشر المؤمنين بأن لهم سابقة ومنزلة رفيعة عند ربهم بما قدموا من صالح الاعمال

[قال الكافرون ان هذا لساحر مبين] أى ومع وضوح صدق الرسول (ص) واعجاز القرآن ، قال المشركون : ان محمدا لساحر ظاهر السحر ، مبطل فيما يدعيه ، قال البيضاوى : وفيه اعتراف بأنهم صادفوا من الرسول (ص) امورا خارقة للعادة ، معجزة إياهم عن المعارضة ، وهو اعتراف من حيث لا يشعرون ، بأن ما جاء به خارج عن طوق البشر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام] أى ان ربكم ومالك امركم الذي ينبغى ان تفردوه بالعبادة ، هو الذي خلق الكائنات في مقدار ستة ايام من ايام الدنيا ، ولو شاء لخلقهن قي لمحة بصر ، ولكنه اراد تعليم العباد التأني والتثبت في الأمور

[ثم استوى على العرش] استواء يليق بجلاله من غير تكييف ، ولا تشبيه ، ولا تعطيل ، قال ابن كثير : نسلك في هذا المقام مذهب السلف الصالح ، وهو امرارها كما جاءت من غير تشبيه ولا تعطيل ، والمتبادر الى اذهان المشبهين منفى عن الله ، فإن الله لا يشبهه شيء من خلقه ، فمن أثبت لله تعالى ما وردت به الآيات الصريحة ، والاخبار الصحيحة ، على الوجه الذي يليق بجلال الله ، فقد سلك سبيل الهدى وقال ابو السعود : العرش هو الجسم المحيط بسائر الاجسام ، سمي به لارتفاعه ، او للتشبيه بسرير الملك ، والاستواء على العرش صفة له سبحانه بلا كيف

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[يدبر الأمر] أى يدبر امر الخلائق على ما تقتضيه الحكمة والمصلحة ، قال ابن عباس : لا يشغله في تدبير خلقه شيء

[ما من شفيع إلا من بعد إذنه] أى لا يشفع عنده شافع يوم القيامة ، الا بعد ان يأذن له في الشفاعة ، وفي هذا رد على المشركين في زعمهم ان الاصنام تشفع لهم

[ذلكم الله ربكم فاعبدوه] أى ذلكم العظيم الشأن هو ربكم وخالقكم لا رب سواه ، فوحدوه بالعبادة

[أفلا تذكرون] أى أفلا تتعظون وتعتبرون . ؟ تعلمون انه المتفرد بالخلق ثم تعبدون معه غيره

[إليه مرجعكم جميعا] أى الى ربكم مرجعكم أيها الناس يوم القيامة جميعا

[وعد الله حقا] أى وعدا من الله لا يتبدل ، وفيه رد على منكري البعث حيث قالوا [ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر]

[إنه يبدؤا الخلق ثم يعيده] أى كما ابتدأ الخلق كذلك يعيده

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط] أى ليجزي المؤمنين بالعدل ، ويوفيهم اجورهم بالجزاء الاوفى

[والذين كفروا] اي والذين جحدوا بالله وكذبوا رسله

[لهم شراب من حميم] أى لهم في جهنم شراب من حميم ، بالغ النهاية في الحرارة

[وعذاب أليم بما كانوا يكفرون] اي ولهم عذاب موجع بسبب كفرهم واشراكهم ، قال البيضاوي : والآية كالتعليل لما سبق ، فإنه لما كان المقصود من البدء والاعادة ، مجازاة المكلفين على اعمالهم ، كان مرجع الجميع اليه لا محالة

[هو الذي جعل الشمس ضياء] الآية للتنبيه على دلائل القدرة والوحدانية أى هو تعالى بقدرته جعل الشمس مضيئة ساطعة بالنهار ، كالسراج الوهاج

[والقمر نورا] أى وجعل القمر منيرا بالليل وهذا من كمال رحمته بالعباد ، ولما كانت الشمس اعظم جرما

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

خصت بالضياء ، لانه هو الذي له سطوع ولمعان ، قال الطبري : المعنى اضاء الشمس وانار القمر

[وقدره منازل] أى قدر سيره في منازل وهي البروج

[لتعلموا عدد السنين والحساب] أى لتعلموا ايها الناس حساب الاوقات ، فبالشمس تعرف الايام ، وبسير القمر تعرف الشهور والاعوام

[ما خلق الله ذلك الا بالحق] أى ما خلق تعالى ذلك عبثا ، بل لحكمة عظيمة ، وفائدة جليلة

[يفصل الآيات لقوم يعلمون] اي يبين الآيات الكونية ، ويوضحها لقوم يعلمون قدرة الله ، ويتدبرون حكمته ، قال ابو السعود : أى يعلمون الحكمة في ابداع الكائنات ، فيستدلون بذلك على شئون مبدعها جل وعلا

[إن في اختلاف الليل والنهار] أى في تعاقبهما يأتي الليل فيذهب النهار ، ويأتي النهار فيذهب الليل

[وما خلق الله في السموات والأرض] أى وما اوجد فيهما من اصناف المصنوعات

[لآيات لقوم يتقون] أى لآيات عظيمة ، وبراهين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

جليلة ، على وجود الصانع ووحدته ، وكمال علمه وقدرته ، لقوم يتقون الله ويخافون عذابه

[إن الذين لا يرجون لقاءنا] أى لا يتوقعون لقاء الله اصلا ، ولا يخطر ببالهم ، فقد اعمتهم الشهوات ، عن التصديق بما بعد الممات

[ورضوا بالحياة الدنيا] أى رضوا بالدنيا عوضا من الآخرة ، وآثروا الخسيس على النفيس

[واطمأنوا بها] أى فرحوا بها وسكنوا اليها

[والذين هم عن آياتنا غافلون] أى وهم عن الادلة المنبثة في صحائف الأكوان غافلون ، لا يعتبرون فيها ولا يتفكرون

[أولئك مأواهم النار] أى مسكنهم ومقامهم النار

[بما كانوا يكسبون] أى بسبب كفرهم واجرامهم ، وبعد ان ذكر الله حال الاشقياء اردفه بذكر حال السعداء فقال سبحانه

[إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم] أى يهديهم الى طريق الجنة بسبب إيمانهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[تجري من تحتهم الأنهار في جنات النعيم] أى تجري من تحت قصورهم الانهار ، او من تحت اسرتهم ، وهم مقيمون في جنات النعيم

[دعواهم فيها سبحانك اللهم] أى دعاؤهم في الجنة (سبحانك اللهم) وفي الحديث (يلهمون التسبيح والتحميد كما تلهمون النفس) أى كما يتنفس الانسان بدون تعب ، فكلامهم وذكرهم في الجنة تسبيح الله

[وتحيتهم فيها سلام] أى وتحية بعضهم بعضا سلام عليكم كما تحييهم بذلك الملائكة [والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم]

[وآخر دعواهم أن الحمد لله ربى العالمين] أى وآخر دعائهم ان يقولوا : الحمد لله ربى العالمين

[ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير] قال مجاهد : هو دعاء الرجل على نفسه او ولده اذا غضب (اللهم اهلكه ، اللهم لا تبارك فيه) قال الطبري : المعنى لو يعجل الله اجابة دعاء الناس في الشر ، وفيما عليهم فيه مضرة ، كاستعجاله لهم في الخير

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بالاجابة اذا دعوه به

[لقضي إليهم أجلهم] أى لهلكوا وعجل لهم الموت ((وقال بعض المفسرين : نزلت في كفار مكة حيث قالوا {اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء} قال الزمخشري : يعني : لو عجلنا لهم الشر الذي دعوا به كما نعجل لهم الخير ونجيبهم إليه لأميتوا وأهلكوا))

[فنذر الذين لا يرجون لقاءنا] أى فنترك المكذبين بلقائنا الذين لا يؤمنون بالبعث

[في طغيانهم يعمهون] أى في تمردهم وعتوهم يترددون تحيرا ، والمعنى : نترك المجرمين ونمهلهم ونفيض عليهم النعم مع طغيانهم لتلزمهم الحجة

[وإذا مس الإنسان الضر] أى وإذا اصاب الانسان الضر من مرض او فقر او نحو ذلك

[دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما] أى دعانا في جميع الحالات : مضطجعا او قاعدا او قائما ، لكشف ذلك

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الضر عنه

[فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا الى ضر مسه] أى فلما أزلنا ما به من ضر استمر على عصيانه ، ونسي ما كان فيه من الجهد والبلاء او تناساه ، وهو عتاب لمن يدعو الله عند الشدة ، ويغفل عنه عند العافية

[كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون] أى كما زين لذلك الانسان الدعاء عند الضر والاعراض عند الرخاء كذلك زين للمسرفين المتجاوزين الحد في الاجرام ، ما كانوا يعملونه من الاعراض عن الهدى ، ومتابعة الشهوات

[ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا] اي ولقد أهلكنا الامم من قبلكم ايها المشركون لما كفروا واشركوا وتمادوا في الغى والضلال

[وجاءتهم رسلهم بالبينات] أى جاءوهم بالمعجزات الباهرة ، التي تدل على صدقهم

[وما كانوا ليؤمنوا] أى وما آمنوا بما جاءتهم به

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الرسل ، أى أنهم ظلموا وما آمنوا فكان سبب اهلاكهم شيئان : ظلمهم ، وعدم ايمانهم

[كذلك نجزي القوم المجرمين] أى مثل ذلك الجزاء - يعني الاهلاك - نجزي كل مجرم ، وهو وعيد لاهل مكة على تكذيبهم رسول الله (ص)

[ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم] أى ثم استخلفناكم في الارض يا اهل مكة ، من بعد اهلاك اولئك القرون ، التي تسمعون اخبارها وتشاهدون آثارها

[لننظر كيف تعملون] أى لننظر أتعملون خيرا ام شرا فنجازيكم على حسب عملكم ، قال القرطبي : والمعنى : يعاملكم معاملة المختبر اظهارا للعدل وقال في التسهيل : معناه ليظهر في الوجود عملكم فتقوم عليكم به الحجة والغرض ان الله تعالى عالم بأعمالهم من قبل ذلك ، ولكن يختبرهم ليتبين في الوجود ، ما علمه تعالى أزلا

[وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات] أى واذا قرئت على

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المشركين آيات القرآن المبين ، حال كونها واضحات لا لبس فيها ولا اشكال

[قال الذين لا يرجون لقاءنا] أى قال الذين لا يؤمنون بالبعث والحساب ، ولا يرجون الاجر والثواب

[ائت بقرآن غير هذا] أى ائت يا محمد بكتاب آخر غير هذا القرآن ، ليس فيه ما نكرهه من عيب آلهتنا ، وتسفيه احلامنا ،

[أو بدله] بأن تجعل مكان آية عذاب ، آية رحمة ، ومكان سب آلهتنا مدحهم ، ومكان الحرام حلالا ، وانما قالوه على سبيل الاستهزاء والسخرية ، قال ابن عباس : نزلت في المستهزئين بالقرآن من اهل مكة قالوا يا محمد : ائتنا بقرآن غير هذا فيه ما نسألك

[قل ما يكون لي ان أبدله من تلقاء نفسي] أى قل لهم يا محمد : ما ينبغي ولا يصح لي ان اغير او ابدل شيئا من قبل نفسي

[إن أتبع إلا ما يوحى الى] أى لا اتبع الا ما يوحيه الى ربي ، فأنا عبد مأمور ، ورسول مبلغ ، أبلغكم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم] أى انى اخشى ان خالفت امره ، وبدلت وحيه ، عذاب يوم شديد الهول هو " يوم القيامة " وهذا كالتعليل لما سبق

[قل لو شاء الله ما تلوته عليكم] أى قل لهم يا محمد لو شاء الله ما تلوت هذا القرآن عليكم ، وما تلوته الا بمشيئته تعالى ، لانه من عنده وما هو من عندي

[ولا أدراكم به] أى ولا اعلمكم به على لساني

[فقد لبثت فيكم عمرا من قبله] أى فقد مكثت بين اظهركم زمنا طويلا ، مدة (اربعين سنة) من قبل نزول القرآن لم احدثكم به ، ولا اتلوه عليكم

[أفلا تعقلون] أى افلا تستعملون عقولكم بالتدبر والتفكر ، لتعلموا ان مثل هذا الكتاب المعجز ، ليس الا من عند الله ؟ قال الامام الفخر : ان الكفار شاهدوا رسول الله ، من اول عمره الى ذلك الوقت ، وكانوا عالمين بأحواله ، وانه ما طالع كتابا ، ولا تتلمذ لاستاذ

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

، ولا تعلم من احد ، ثم بعد انقراض اربعين سنة ، جاءهم بهذا الكتاب العظيم ، المشتمل على نفائس علم الاصول ، ودقائق علم الاحكام ، ولطائف علم الاخلاق ، واسرار قصص الاولين ، وعجز عن معارضته العلماء ، والفصحاء ، والبلغاء ، وكل من له عقل سليم ، يعلم ان مثل هذا لا يكون الا على سبيل الوحي والتنزيل

[فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا] استفهام انكاري بمعنى النفي ، أى لا احد اظلم ممن اختلق على الله الكذب ! ! والمقصود منه نفي الكذب عن مقامه الشريف (ص) حيث زعم المشركون ان هذا القرآن من صنع محمد

[أو كذب بآياته] أى كتب بالحق الذي جاءت به الرسل

[إنه لا يفلح المجرمون] اي لا يفوز بالسعادة من ارتكب الاجرام ، وكذب الرسل الكرام

[ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم] بيان

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لقبائح المشركين أى ويعبدون الاوثان التي هي جمادات
، لا تقدر على جلب نفع ، او دفع ضر
[ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله] أى يزعمون ان
الاصنام تشفع لهم ، مع انها حجارة لا تبصر ولا تسمع
[قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في
الأرض] ؟ أى قل يا محمد لهؤلاء المشركين :
أتخبرون الله تعالى بشريك او شفيع ، كائن في
السموات او الارض ، لا يعلمه جل وعلا ؟ وهو علام
الغيوب الذي احاط علمه بجميع الكائنات ؟ والاستفهام
للتهكم والهزء بهم
[سبحانه وتعالى عما يشركون] أى تنزه الله وتقدس
عما يقول الظالمون ، وينسبه اليه المشركون
[وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا] أى وما كان
الناس الا على دين واحد ، هو (الاسلام) من لدن آدم
الى نوح ، فاختلفوا في دينهم وتفرقوا شيعا واحزابا ،
قال ابن عباس : كان بين ادم ونوح عشرة قرون كلهم
على الاسلام ، ثم وقع الاختلاف بين الناس وعبدت

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الاوثان والاصنام ، فبعث الله الرسل مبشرين ومنذرين

[ولولا كلمة سبقت من ربك] أى ولولا قضاء الله بتأخير الجزاء الى يوم القيامة

[لقضي بينهم فيما كانوا فيه يختلفون] اي لعجل عقابهم في الدنيا باختلافهم في الدين

[ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه] أى ويقول هؤلاء الكفرة المعاندون : هلا انزل على محمد معجزة من ربه كما كان للانبياء ؟ من الناقة ، والعصا ، واليد ؟

[فقل إنما الغيب لله] أى قل لهم امر الغيب لله وحده ، ولا يأتي بالآيات الا هو ، وانما انا مبلغ

[فانتظروا إني معكم من المنتظرين] أى فانتظروا قضاء الله بيننا فانا ممن ينتظر ذلك ، وهو وعيد وتهديد .

البلاغة :

1 - [الكتاب الحكيم] فعيل بمعنى مفعول أى المحكم الذي لا يتطرق اليه الفساد ولا يعتريه الكذب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والتناقض .

2 - [أنذر . . وبشر] بينهما طباق .

3 - [قدم صدق] كناية عن المنزلة الرفيعة ، والعبارة غاية في البلاغة ، لان بالقدم يكون السبق والتقدم ، كما سميت النعمة يدا لانها تعطى بها.

4 - [يبدؤا الخلق ثم يعيده] بين كلمتي (البدء) و(الاعادة) طباق .

5 - [لا يرجون لقاءنا] فيه التفات مع الاضافة الى ضمير الجلالة لتعظيم الامر وتهويله .

6 - [الشر استعجالهم بالخير] أى كاستعجالهم او مثل استعجالهم بالخير ففيه تشبيه مؤكد مجمل ، وبين الشر والخير طباق .

7 - [لننظر كيف تعملون] في الكلام (استعارة تمثيلية) حيث شبه حال العباد مع ربهم ، بحال رعية مع سلطانها في امهالهم للنظر في اعمالهم ، واستعير الاسم الدال على المشبه به للمشبه على سبيل التمثيل والتقريب ، ولله المثل الاعلى .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

8 - [أفلا تعقلون] الاستفهام للانكار والتوبيخ .

فائدة :

قال السيوطي في قوله تعالى : [جعل الشمس ضياة والقمر نورا] ان هذه الآية اصل في علم المواقيت ، والحساب ، والتاريخ ، ومنازل القمر .

لطيفة :

قال الحافظ ابن كثير : من قال مقالة صادقا او كاذبا فلا بد ان ينصب عليه من الادلة على بره او فجوره ما هو أظهر من الشمس ، فإن الفرق بين (محمد) (ص) وبين (مسيلمة الكذاب) لمن شاهدهما اظهر من الفرق بين الضحى وحندس الظلماء ، قال عبد الله بن سلام : لما قدم رسول الله (ص) المدينة انجفل الناس " اي تفرق اليهود عنه " فكنت فيمن انجفل ، فلما رأيته عرفت ان وجهه ليس بوجه كذاب ، فكان اول ما سمعته يقول : (يا ايها الناس افشوا السلام ، واطعموا الطعام ، وصلوا الارحام ، وصلوا بالليل والناس نيام ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تدخلوا الجنة بسلام) فقد ايقن بصدقه صلوات الله وسلامه عليه بما رأى من الدلائل الساطعة ، وما احسن ما قاله حسان : لولم تكن فيه آيات مبينة لكان منظره ينبيك بالخبر

قال الله تعالى : [وإذا أذقنا الناس رحمة من بعد ضراء . . الى . . فانظر كيف كان عاقبة الظالمين] من آية (21) الى نهاية آية (39).

المناسبة :

لما ذكر تعالى الادلة على فساد عبادة الاوثان ، وشبهات المشركين حول الرسالة والقرآن ، ذكر هنا ان عادة هؤلاء الاشقياء المكر ، والجحود ، والعناد ، فان اصابتهم الشدة تضرعوا ، وان جاءتهم الرحمة بطروا وكفروا ، ثم ضرب تعالى المثل بالحياة الدنيا في الزوال والفناء ، لئلا يغتر بها البشر ، ثم عاد الى ذكر الادلة والبراهين ، على وحدانية الله رب العالمين .

اللغة :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[عاصف] العاصف : الريح الشديدة التي تعصف بالاوراق والاشجار ، قال الفراء : يقال عصفت الريح واعصفت أى اشتدت ، قال الشاعر : ان الرياح اذا ما اعصفت قصفت عيدان نجد ولا يعبأن بالرتم

[الموج] ما ارتفع من الماء فوق البحر ، سمي موجا لاضطرابه

[زخرفها] الزخرف : كمال حسن الشيء ونضارته ، سمي زخرفا لبهجته ونضارته

[تغن] غني بالمكان اذا اقام به وعمره

[يزهق] يغشى ويعلو يقال : رهقه الذل أى غشيه

[قتر] القتر والقترة : الغبار الذي معه سواد قال تعالى

[يرهقها قترة] اي تعلوها غبرة جهنم ، وقيل : القتر الغبار وإن لم يكن معه سواد ، قال الفرزدق : متوج برداء الملك يتبعه موج ترى فوقه الرايات والقترا

[زيلنا] فرقنا وميزنا

[تؤفكون] تصرفون عن الحق الى الباطل .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

التفسير :

[وإذا أذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم] المراد بالناس كفار مكة ، روي ان الله سلط عليهم القحط سبع سنين ، حتى كادوا يهلكون فطلبوا منه (ص) ان يدعو لهم بالخصب ووعدوه بالايمان فلما رحمهم الله بانزال المطر ، رجعوا الى الكفر والعناد والمعنى : واذا اذقنا هؤلاء المشركين رخاء بعد شدة ، وخصبا بعد جدب أصابهم

[إذا لهم مكر في آياتنا] قال مجاهد : استهزاء وتكذيب

[قل الله أسرع مكرا] أى اعجل عقوبة على جزاء مكرهم ((" مكر الله " الموصوف بالسرعة هو عقابه لهم ، سماه مكرا مشاكلة لفعلهم ، وتسمية للعقوبة بأسم الذنب ، أي الله أعجل عقوبة))

[إن رسلنا يكتبون ما تمكرون] أى ان الملائكة الحفظة يكتبون مكركم ويسجلون اجرامكم ، وفيه تنبيه على ان ما دبروه غير خاف على الحفظة ، فضلا عن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

العليم الخبير

[هو الذي يسيركم في البر والبحر] أى هو تعالى بقدرته الذي يحملكم في البر على الدواب ، وفي البحر على السفن التى تسير على وجه الماء

[حتى إذا كنتم في الفلك] أى حتى اذا كنتم في البحر على ظهور هذه السفن

[وجرين بهم بريح طيبة] فيه التفات أى وجرين بكم بالريح اللينة الطرية التي تسير السفن

[وفرحوا بها] أى فرح الركاب بتلك الريح الطيبة

[جاءتها ريح عاصف] اي وفجأة جاءتها الريح الشديدة العاصفة المدمرة

[وجاءهم الموج من كل مكان] أى واحاطت بهم امواج البحار من كل جهة

[وظنوا أنهم أحيط بهم] أى أيقنوا بالهلاك

[دعوا الله مخلصين له الدين] اي أخلصوا الدعاء لله وتركوا ما كانوا يعبدون ، قال القرطبي : وفي هذا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

دليل على أن الخلق جبلوا على الرجوع الى الله في الشدائد ، وان المضطر يجاب دعاؤه وان كان كافرا ، لانقطاع الاسباب ، ورجوعه الى رب الارباب

[لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين] أى لئن انقذتنا من هذه الشدائد والاهوال ، لنكونن من الشاكرين لك على نعمائك ، والعاملين بطاعتك ومرضاتك ، قال في البحر : ومعنى الاخلاص افراده بالدعاء من غير اشراك اصنام وغيرها ، وقال الحسن : [مخلصين] ليس اخلاص ايمان ، ولكن لأجل العلم بأنهم لا ينجيهم من ذلك الا الله ، فيكون ذلك جاريا مجرى الايمان الاضطراري

[فلما أنجاهم إذا هم يبغون في الأرض بغير الحق] أى فلما خلصهم وأنقذهم ، إذا هم يعملون في الأرض بالفساد والمعاصي ، قال ابن عباس : يبغون بالدعاء فيدعون غير الله ويعملون بالمعاصي . . قال تعالى ردا عليهم

[يأيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم] أى وبال البغى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عليكم ، ولا يجني ثمرته الا انتم

[متاع الحياة الدنيا] أى تتمتعون في هذه الحياة بالشهوات الفانية ، التى تعقبها الحسرات الباقية

[ثم إلينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون] أى مرجعكم بعد الموت الينا فنجازيكم عليها ، وفي هذا وعيد وتهديد . والآية الكريمة تمثيل لطبيعة الانسان الجحود ، لا يذكر الله الا في ساعة العسرة ، ولا يرجع اليه الا وقت الكرب والشدة ، فإذا نجاه الله من الضيق ، وكشف عنه الكرب ، رجع الى الكفر والعصيان ، وتمادى في الشر والطغيان . . ثم ضرب تعالى مثلا للحياة الدنيا الزائلة الفانية ، وقصر مدة التمتع بها فقال

[إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض] أى صفة الحياة الدنيا ، وحالها العجيبة في فنائها وزوالها ، وذهاب نعيمها واغترار الناس بها ، كمثل مطر نزل من السماء فنبت به انواع من النبات ، مختلط بعضها ببعض ، قال ابن عباس : اختلط فنبت بالماء كل لون

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[مما يأكل الناس والأنعام] أى مما يأكله الناس من الحبوب والثمار والبقول ، والانعام من الكلأ والتبن والشعير

[حتى إذا أخذت الأرض زخرفها] أى اخذت حسنها وبهجتها

[وازينت] أى تزينت بالحبوب والثمار والازهار ، وهو تمثيل لها بالعروس اذا تزينت بالحلي والثياب

[وظن أهلها أنهم قادرون عليها] أى وظن اصحابها انهم متمكنون من الانتفاع بها ، محصلون لثمرتها وغلتها

[أتاها أمرنا ليلا أو نهارا] أى جاءها قضاؤنا بهلاك ما عليها من النبات ، اما ليلا واما نهارا

[فجعلناها حصيدا] أى محصودة مقطوعة لا شيء فيها ، كالذي حصد بالمناجل

[كأن لم تغن بالأمس] أى كأنها لم تكن عامرة قائمة على ظهر الارض قبل ذلك

[كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون] أى مثل ما بينا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

هذا المثل الرائع للحياة الدنيا ، نبين الآيات ونضرب الامثال لقوم يتفكرون فيعتبرون بهذه الامثال ، قال الالوسي : وتخصيصهم بالذكر لانهم المنتفعون بالمواعظ

[والله يدعو إلى دار السلام] أى يدعو الى الجنة دار السرور والاقامة

[ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم] أى يوصل من شاء هدايته الى الطريق المستقيم وهو دين الاسلام

[للذين أحسنوا الحسنى] أى للذين احسنوا بالايمان والعمل الصالح لهم الحسنى أى الجنة

[وزيادة] وهي النظر الى وجه الله الكريم ((ورد هذا في حديث صحيح أخرجه مسلم في الإيمان أن الزيادة هي النظر إلى وجه الله الكريم))

[ولا يرهق وجوههم قتر] أى ولا يغشى وجوههم غبار ولا سواد ، كما يعتري وجوه اهل النار

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ولا ذلة] أى هوان وصغار

[أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون] أى دائمون لا زوال فيها ولا انقراض لنعيمها ، بخلاف الدنيا وزخارفها

[والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها] أى والذين عملوا السيئات في الدنيا فعصوا الله وكفروا ، فسيجزون على السيئة بمثلها لا يزادون على ذلك ، فالحسنات مضاعفة بفضل الله ، والسيئات جزاؤها بالمثل ، عدلا منه تعالى ((قال في جوهرة التوحيد : فالسيئات عنده بالمثل : والحسنات ضوعفت بالفضل))

[وترهقهم ذلة] اي تغشاهم ذلة وهوان

[ما لهم من الله من عاصم] أى ليس لهم أحد يعصمهم ، او يمنعهم من سخط الله تعالى وعقابه

[كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما] أى كأنما ألبست وجوههم من فرط السواد والظلمة قطعا من ظلام الليل

[اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون] أى لا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يخرجون منها ابدا

[ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا] أى نجمع الفريقين للحساب : المؤمنين والكافرين ، ثم نقول للذين أشركوا بالله

[مكانكم أنتم وشركاؤكم] أى الزموا مكانكم انتم والذين عبدتموهم من دون الله ، لا تبرحوا حتى تنظروا ما يفعل الله بكم

[فزيلنا بينهم] أى ففرقنا وميزنا بينهم وبين المؤمنين ، كقوله تعالى [وامتازوا اليوم أيها المجرمون]

[وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون] أى تبرأ منهم الشركاء وهم الاصنام الذين عبدوهم من دون الله ، قال مجاهد : ينطق الله الاوثان فتقول ؟ ما كنا نشعر بأنكم ايانا تعبدون وما امرناكم بعبادتنا " ! ! كقوله سبحانه [إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب]

[فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم] أى تقول الشركاء للمشركين يوم القيامة : حسبنا الله شاهدا بيننا وبينكم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[إن كنا عن عبادتكم لغافلين] أى ما كنا عن عبادتكم لنا الا غافلين ، لا نسمع ولا نبصر ولا نعقل ، لأنا كنا جمادا لا روح فينا

[هنالك تبلوا كل نفس ما أسلفت] أى في ذلك الوقت تختبر كل نفس بما قدمت من خير او شر ، وتنال جزاء ما عملت

[وردوا الى الله مولاهم الحق] اي ردوا الى الله تعالى المتولي جزاءهم بالعدل والقسط

[وضل عنهم ما كانوا يفترون] أى ضاع وذهب عنهم ما كانوا يزعمونه ، من ان الاوثان تشفع لهم ، وفي الآية تبكيت شديد للمشركين ، الذين عبدوا ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنهم شيئا

[قل من يرزقكم من السماء والأرض] في هذه الآيات الادلة على وحدانية الله وربوبيته أى قل يا محمد لهؤلاء المشركين من ينزل لكم الغيث والقطر ؟ ويخرج لكم الزروع والثمار ؟

[أمن يملك السمع والأبصار] أى من ذا الذي يملك

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

اسماعكم وابصاركم ، التي تسمعون وتبصرون بها ؟
ومن يستطيع ان يردها لكم اذا اراد الله ان يسلبكموها ؟
كقوله تعالى [قل أرأيتم إن أخذ الله سمعكم
وأبصاركم] الآية
[ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من
الحى] أى من يخرج الانسان من النطفة ، والطير من
البيضة ، والسنبلة من الحبة ، والنبات من الارض ،
والمؤمن من الكافر ؟
[ومن يدبر الأمر] أى ومن يدبر امر الخلائق ،
ويصرف شئون الكائنات ؟
[فسيقولون الله] اي فسيقرون بأن فاعل ذلك كله هو
الله رب العالمين ، اذ لا مجال للمكابرة والعناد لغاية
وضوحه
[فقل أفلا تتقون] أى قل لهم يا محمد : أفلا تخافون
عقابه ونقمته ؟ بإشراككم وعبادتكم غير الله ؟
[فذلكم الله ربكم الحق] أى هذا الذي يفعل هذه الاشياء
الجليلة هو ربكم الحق ، الثابت ربوبيته ووحدانيته

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بالبراهين القاطعة

[فماذا بعد الحق إلا الضلال] استفهام انكاري أى ليس بعد الحق الا الضلال ، فمن تخطى الحق الذي هو عبادة الله تعالى ، وقع في الضلال

[فأنى تصرفون] أى فكيف تصرفون عن عبادة الله ، الى عبادة ما لا يخلق ولا يرزق ، ولا يحيي ولا يميت ؟

[كذلك حقت كلمة ربك] أى كذلك وجب قضاء الله وحكمه السابق

[على الذين فسقوا] أى على الذين خرجوا عن الطاعة وكفروا وكذبوا

[أنهم لا يؤمنون] أى لأنهم لا يصدقون بوحدانية الله ورسالة نبيه ، فلذلك حقت عليهم كلمة العذاب لشقاوتهم وضلالتهم

[قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده] أى قل لهم يا محمد على جهة التوبيخ والتقريع : هل من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الاوثان والاصنام من ينشىء الخلق من العدم ثم يفنيه ، ثم يعيده ويحييه ؟ قال الطبري : ولما كانوا لا يقدرون علي دعوى ذلك ، وفيه الحجة القاطعة ، والدلالة الواضحة على انهم في دعوى الارباب كاذبون مفترون ، أمر (ص) بالجواب ((هذا ما ذهب إليه الطبري وقال بعض المفسرين : المراد الرؤساء والمضلون الذين لا يرشدون أنفسهم إلى هدى إلا أن يرشدوا))

[قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده] أى قل لهم يا محمد : الله وحده هو الذي يحيي ويميت ، ويبدأ ويعيد ، وليس أحد من هذه الآلهة المزعومة يفعل ذلك

[فأنى تؤفكون] أى فكيف تتقلبون وتتصرفون عن الحق الى الباطل ؟

[قل هل من شركائكم من يهدي إلى الحق] توبيخ آخر في صورة استفهام أى قل لهؤلاء المشركين : هل من هذه الآلهة التى تعبدونها من يرشد ضالا ؟ او يهدي حائرا ؟ او يدل على طريق الحق وسبيل الاستقامة ؟

[قل الله يهدي للحق] أى فقل لهم : ان عجزت آلهتكم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عن ذلك فالله هو القادر على هداية الضال ، وانارة السبيل ، وبيان الحق

[أفمن يهدى إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي إلا أن يهدى] أى أفمن يرشد الى الحق وهو الله سبحانه وتعالى أحق بالإتباع ، ام هذه الاصنام التي لا تهدي احدا ؟ ولا تستطيع هداية نفسها فضلا عن هداية غيرها ؟

[فما لكم كيف تحكمون] أى ما لكم أيها المشركون تسوون بين الاصنام ، وبين رب الارباب ؟ وتحكمون بهذا الباطل الصراح ؟ وهو استفهام معناه التعجب والانكار ، ثم بين تعالى فساد نحلتهم ، بعد ان أفحمهم بالبراهين النيرة التي توجب التوحيد وتبطل التقليد ، فقال سبحانه

[وما يتبع أكثرهم إلا ظنا] أى وما يتبعون في اعتقادهم ألوهية الاصنام ، الا اعتقادا غير مستند لدليل او برهان ، بل مجرد اوهام باطلة ، وخرافات فاسدة

[إن الظن لا يغني من الحق شيئا] أى ومثل هذا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الاعتقاد المبني على الاوهام والخيالات ، ظن كاذب ، لا يغني من اليقين شيئا ، فليس الظن كاليقين

[إن الله عليم بما يفعلون] أى عالم بما هم عليه من الكفر والتكذيب ، وهو وعيد على اتباعهم للظن ، واعراضهم عن البرهان ، ثم بين تعالى صدق النبوة والوحي فقال سبحانه

[وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله] اي لا يصح ولا يعقل ، ولا يستقيم لذي عقل سليم ، ان يزعم ان هذا القرآن مفترى مكذوب على الله ، لأنه فوق طاقة البشر

[ولكن تصديق الذي بين يديه] أى ولكنه جاء مصدقا لما قبله من الكتب السماوية كالتوراة والإنجيل

[وتفصيل الكتاب] أى وفيه تفصيل وتبيين الشرائع والعقائد والاحكام

[لا ريب فيه من رب العالمين] أى لا شك في انه تنزيل رب العالمين

[أم يقولون افتراه] أى بل أيقولون اختلق محمد هذا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

القرآن من قبل نفسه ؟ وهو استفهام معناه التقريع
[قل فأتوا بسورة مثله] أى ان كان كما زعمتم فجيئوا بسورة مثل هذا القرآن ، وهو تعجيز لهم واقامة حجة عليهم

[وادعوا من استطعتم من دون الله] اي ادعوا من دونه تعالى من استطعتم من خلقه ، من الانس والجن للاستعانة بهم

[إن كنتم صادقين] اي ان كنتم صادقين في ان محمدا افتراه ، قال الطبري : والمراد انكم ان لم تفعلوا فلا شك انكم كذبة ، لان محمدا لن يعدو ان يكون بشرا مثلكم ، فإذا عجز الجميع من الخلق ان يأتوا بسورة مثله ، فالواحد منهم ان يأتي بجميعه أعجز ، قال تعالى

[بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه] أى بل كذب هؤلاء المشركون بالقرآن العظيم ، وسارعوا الى الطعن به ، قبل ان يفقهوه ويتدبروا ما فيه ، والناس دائما اعداء لما جهلوا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ولما يأتهم تأويله] أى والحال لم يأتهم بعد عاقبة ما فيه من الوعيد

[كذلك كذب الذين من قبلهم] اي مثل تكذيب هؤلاء كذبت الامم الخالية قبلهم

[فانظر كيف كان عاقبة الظالمين] أى فانظر يا محمد كيف اخذهم الله بالعذاب والهلاك بسبب ظلمهم وبغيهم ، فكما فعل بأولئك يفعل بهؤلاء الظالمين الطاغين .

البلاغة :

1 - [أسرع مكرا] تسمية عقوبة الله (مكرا) من باب ا المشاكلة ، وهي الاتفاق في اللفظ مع الاختلاف في المعنى ، فالمكر من الله هو ابطال ما دبروه .

2 - [وجرين بهم] فيه التفات من الخطاب الى الغيبة وحكمته زيادة التقبيح والتشنيع على الكفار لعدم شكرهم النعمة .

3 - [أخذت الارض زخرفها] هذا من (بديع الاستعارة) شبه الارض حينما تتزين بالنبات والازهار ، بالعروس التي تتزين بالحلي والثياب ، واستعير لتلك

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

البهجة والنضارة لفظ الزخرف .

4 - [أتاها أمرنا] الامر ههنا كناية عن العذاب والدمار .

5 - [أحسنوا الحسنى] بينهما جناس الاشتقاق .

6 - [كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل] فيه تشبيه مرسل مجمل .

7 - [يبدأ. . ثم يعيده] بينهما طباق وهو من المحسنات البديعية .

8 - [فأنى تؤفكون] الاستفهام للتوبيخ ، ومثله [فما لكم كيف تحكمون] ؟ .

9 - [بين يديه] استعارة لطيفة والمراد لما سبقه من التوراة والانجيل فإنها قد بشرت به .

لطيفة :

يقول شهيد الاسلام " سيد قطب " في تفسيره الظلال :

" ما يزال البشر يكشفون كلما اهتدوا الى نواميس الكون عن رزق بعد رزق ، في السماء والارض ، يستخدمونه احيانا في الخير ، ويستخدمونه احيانا في

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الشر ، حسبما تسلم عقائدهم او تعتل ، وكله من رزق الله المسخر للانسان ، فمن سطح الارض ارزاق ، ومن جوفها ارزاق ، ومن سطح الماء ارزاق ، ومن اعماقه ارزاق ، ومن اشعة الشمس ارزاق ، ومن ضوء القمر ارزاق ، حتى عفن الارض كشف فيه العلم عن دواء وترياق) وصدق الله [قل من يرزقكم من السماء والأرض] ؟ .

قال الله تعالى : [ومنهم من يؤمن ومنهم من لا يؤمن به . . الى . . العذاب الشديد بما كانوا يكفرون] من آية (40) الى نهاية آية (70) .

المناسبة :

لما حكى تعالى عن الكافرين طعنهم في امر النبوة والوحي ، ذكر هنا ان منهم من يصدق بأن القرآن كلام الرحمن ، ولكنه يكابر ويعاند ، ومنهم من لا يصدق به اصلا لفرط غباوته ، وسخافة عقله ، واختلال تمييزه . . ثم ذكر تعالى ان القرآن شفاء لما في الصدور ، واعقبه بذكر مآل المشركين في

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الآخرة .

اللغة :

[الصم] جمع أصم وهو الذي لا يسمع

[بياتا] ليلا

[تفيضون] يقال أفاض فلان في الحديث اذا اندفع فيه

[يعزب] يخفى ويغيب

[مثقال] وزن

[سلطان] حجة وبرهان

[سبحانه] تنزيه لله جل وعلا عن النقائص .

التفسير :

[ومنهم من يؤمن به] أى ومن هؤلاء الذين بعثت اليهم يا ايها الرسول من يؤمن بهذا القرآن ، ويتبعك وينتفع بما ارسلت به

[ومنهم من لا يؤمن به] بل يموت على ذلك ويبعث عليه

[وربك أعلم بالمفسدين] أى وهو اعلم بمن يستحق الهداية فيهديه ، ومن يستحق الضلالة فيضله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وإن كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم] أى وإن كذبك هؤلاء المشركون فقل لي جزاء عملي ، ولكم جزاء عملكم ، حقا كان او باطلا

[أنتم بريئون مما أعمل وانا بريء مما تعملون] أى لا يؤاخذ احد بذنب الآخر

[ومنهم من يستمعون إليك] أى يستمعون اليك اذا قرأت القرآن ، وقلوبهم لا تعى شيئا مما تقرؤه وتتلوه

[أفانت تسمع الصم] ؟ أى أنت يا محمد لا تقدر ان تسمع من سلبه الله السمع

[ولو كانوا لا يعقلون] أى ولو كانوا مع صممهم لا يعقلون ولا يتدبرون ؟ قال ابن كثير : المعنى ومن هؤلاء من يسمعون كلامك الحسن ، والقرآن النافع ، ولكن ليس أمر هدايتهم اليك ، فكما لا تقدر على اسماع الأصم ، فكذلك لا تقدر على هداية هؤلاء الا ان يشاء الله

[ومنهم من ينظر إليك أفأنت تهدي العمي ولو كانوا لا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يبصرون] أى ومن هؤلاء من ينظر اليك ويعاين دلائل نبوتك الواضحة ، ولكنهم عمى لا ينتفعون بما رأوا ، أفأنت يا محمد تقدر على هدايتهم ولو كانوا عمي القلوب ؟ شبههم بالعمي لتعاميهم عن الحق ، قال القرطبي : والمراد تسلية النبي ، أى كما لا تقدر ان تخلق للأعمى بصرا يهتدي به ، فكذلك لا تقدر ان توفق هؤلاء للايمان

[إن الله لا يظلم الناس شيئا] أى لا يعاقب أحدا بدون ذنب ، ولا يفعل بخلقه ما لا يستحقون

[ولكن الناس أنفسهم يظلمون] أى ولكنهم يظلمون انفسهم بالكفر والمعاصي ومخالفة امر الله ، قال الطبري : وهذا اعلام من الله تعالى بأنه لم يسلب هؤلاء الايمان ابتداء منه ، بغير جرم سلف منهم ، وانما سلبهم ذلك لذنوب اكتسبوها ، فحق عليهم ان يطبع الله على قلوبهم

[ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار] أى اذكر يوم نجمع هؤلاء المشركين للحساب ، كأنهم ما

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

اقاموا في الدنيا الا ساعة من النهار ، لهول ما يرون من الاهوال

[يتعارفون بينهم] أى يعرف بعضهم بعضا كما كانوا في الدنيا ، وهو تعارف توبيخ وافتضاح ، يقول الواحد للآخر : أنت أغويتني وأضللتني ! ! وليس تعارف محبة ومودة

[قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله وما كانوا مهتدين] أى لقد خسر حقا هؤلاء الظالمون الذين كذبوا بالبعث والنشور ، وما كانوا موفقين للخير في الحياة

[وإما نرينك بعض الذى نعدهم أو نتوفينك فإلينا مرجعهم] أى ان اريناك يا محمد بعض عذابهم في الدنيا ، لتقر عينك منهم فذاك ، وان توفيناك قبل ذلك فمرجعهم الينا في الآخرة ، ولا بد من الجزاء ان عاجلا او اجلا

[ثم الله شهيد على ما يفعلون] أى هو سبحانه شاهد على افعالهم واجرامهم ومجازيهم على ما اقترفوا

[ولكل امة رسول] أى ولكل امة من الامم رسول

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ارسل لهدايتهم

[فإذا جاء رسولهم قضي بينهم بالقسط] قال مجاهد : يعني يوم القيامة قضي بينهم بالعدل ، قال ابن كثير : فكل امة تعرض على الله بحضرة رسولها ، وكتاب اعمالها من خير وشر ، شاهد عليها ، وحفظتهم من الملائكة شهود ايضا

[وهم لا يظلمون] أى لا يعذبون بغير ذنب

[ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين] أى ويقول كفار مكة متى هذا العذاب الذى تعدنا به ان كنت صادقاً ؟ وهذا القول منهم على سبيل السخرية والاستهزاء

[قل لا أملك لنفسي ضرا ولا نفعآ] أي لا أستطيع أن أدفع عن نفسي ضرا ، ولا اجلب اليها نفعا ، وليس ذلك لي ولا لغيري

[إلا ما شاء الله] أي إلا ما شاء الله أن أملكه وأقدر عليه ، فكيف أقدر أن املك ما استعجلتم به من العذاب !

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[لكل أمة أجل] أي لكل أمة وقتْ معلوم لهلاكهم وعذابهم

[إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعةً ولا يستقدمون]

اي فإذا جاء أجل هلاكهم فلا يمكنهم ان يستأخروا عنه ساعة فيمهلون ويؤخرون ، ولا يستقدمون قبل ذلك لأن قضاء الله واقع في حينه

[قل أرأيتم إن أتاكم عذابه بياتا أو نهارا] أي قل لأولئك المكذبين أخبروني إن جاءكم عذاب الله ليلا او نهارا ، فما ينفعكم استعجالكم به ؟

[ماذا يستعجل منه المجرمون] استفهام معناه التهويل والتعظيم أي ما أعظم ما تستعجلون به ؟ كما يقال لمن يطلب امرا وخيما : ماذا تجني على نفسك ؟

[أَثم إذا ما وقع آمنتم به] في الكلام حذفَ تقديره : أتؤخرون إلى ان تؤمنوا به ، وإذا وقع العذاب وعاينتموه فما فائدة الإيمان وما نفعكم فيه ؟ إذا كان الايمان لا ينفع حينذاك ؟ قال الطبري : المعنى إهنالك

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إذا وقع عذاب الله بكم ايها المشركون صدقتم به في حال لا ينفعكم فيه التصديق

[الآن وقد كنتم به تستعجلون] أي يقال لكم أيها المجرمون : الآن تؤمنون وقد كنتم قبله تهزءون وتسخرون ؟ وتستعجلون نزول العذاب ؟

[ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد] اي ذوقوا العذاب الدائم ، الذي لا زوال له ولا فناء

[هل تجزون إلا بما كنتم تكسبون] أي هل تُجزون إلا جزاء كفركم وتكذيبكم ؟

[ويستنبئونك أحق هو] أي ويستخبرونك يا محمد فيقولون : أحق ما وعدتنا به من العذاب والبعث ؟

[قل إي وربي إنه لحق] أي قل نعم والله إنه كائن لا شك فيه

[وما أنتم بمعجزين] اي لستم بمعجزين الله بهرب أو امتناع من العذاب ، بل أنتم في قبضته وسلطانه

[ولو أن لكل نفس ظلمت ما في الأرض] أي لو ان لكل نفس كافرة ما في الدنيا جميعا من خزائنها

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وأموالها ، ومنافعها قاطبة

[لافتدت به] اي لدفعته فدية لها من عذاب الله ، ولكن هيهات أن تقبل ، كما قال تعالى [فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبا ولو افتدى به] ثم قال تعالى مخبرا عن أسفهم وندمهم

[وأسروا الندامة لما رأوا العذاب] أي اخفى هؤلاء الظلمة الندم ، لما عاينوا العذاب ، قال الإمام الجلال : أي أخفاها رؤساؤهم عن الضعفاء الذين أضلوهم مخافة التعيير ((وقال في البحر : واخفاء الندامة هو من كونهم بهتوا لرؤيتهم ما لم يحسبوه ولا خطر ببالهم ، ومعاينتهم ما أوهى قواهم ، فلم يطيقوا عند ذلك بكاء ولا صراخا ، كما يعرض لمن يقدم للصلب لا يكاد ينبس بكلمة ، ويبقى مبهوتا جامدا))

[وقضي بينهم بالقسط] أي قضي بين الخلائق بالعدل

[وهم لا يظلمون] اي لا يظلمون من أعمالهم شيئاً ، ولا يُعاقبون إلا بجريرتهم

[ألا ان لله ما في السموات والأرض] " ألا " كلمة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تنبيه للسامع تزاد في اول الكلام أي انتبهوا أيها الناس لما أقول لكم : فكل ما في السموات والارض ملك لله ، لا شيء فيها لأحد سواه ، هو الخالق وهو المالك

[ألا إن وعد الله حق] أى إن وعده بالبعث والجزاء حق كائن لا محالة

[ولكن أكثرهم لا يعلمون] ولكن أكثر الناس لقصور عقولهم ، واستيلاء الغفلة عليهم ، لا يعلمون ذلك فيقولون ما يقولون

[هو يحيي ويميت وإليه ترجعون] أي هو سبحانه المحيى والمميت ، واليه مرجعكم في الآخرة ، فيجازيكم بأعمالكم

[يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم] خطاب لجميع البشر اي قد جاءكم هذا القرآن العظيم ، الذي هو موعظة لكم من خالقكم

[وشفاء لما في الصدور] أي يشفي ما فيها من الشك والجهل

[وهدى ورحمة للمؤمنين] أي وهداية من الضلال

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ورحمة لأهل الإِيمان ، قال صاحب الكشاف : المعنى قد جاءكم كتاب جامع لهذه الفوائد العظيمة من الموعظة ، والتنبيه على التوحيد ، ودواء الصدور من العقائد الفاسدة ، ودعاء إلى الحق ، ورحمة لمن آمن به منكم

[قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوآ] قال ابن عباس : فضل الله القرآن ، ورحمته الاِسلام والمعنى : ليفرحوا بهذا الذي جاءهم من الله ، من القرآن والاِسلام ، فإنه أولى ما يفرحون به

[هو خير مما يجمعون] اي هو خير مما يجمعون من حطام الدنيا وما فيها من الزهرة الفانية ، والنعيم الزائل ، فان الدنيا بما فيها لا تساوي جناح بعوضة ، كما ورد به الحديث الشريف

[قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق] خطاب لكفار العرب ، والمعنى : أخبروني ايها المشركون ، عما خلقه الله لكم من الرزق الحلال

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فجعلتم منه حراما وحلالا] أي فحرمتم بعضه وحللتم بعضه كالبحيرة ، والسائبة ، والميتة ، قال ابن عباس : نزلت إنكارا على المشركين فيما كانوا يحلْون ويحرمون من البحائر والسوائب ، والحرث والأنعام

[قل ءآلله أذنَ لكم أم على الله تفترون] أي قل لهم يا محمد أخبروني : هل حَصَلَ لكم إذن من الله بالتحليل والتحريم ، فأنتم فيه ممتثلون لأمره ، أم هو مجرد افتراء وبهتان على ذي العزة والجلال ؟

[وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة] اي وما ظن هؤلاء الذين يتخرصون على آلله الكذب ، فيحلون ويحرمون من تلقاء أنفسهم ، أيحسبون أن الله يصفح عنهم ويغفر يوم القيامة ؟ كلا بل سيصليهم سعيرا ، وهو وعيد شديد للمفترين

[إن الله لذو فضل على الناس] أي لذو إنعام عظيم على العباد حيث رحمهم بترك معاجلة العذاب ، وبالإنعام عليهم ببعثة الرسل وإنزال الكتب

[ولكن أكثرهم لا يشكرون] اي لا يشكرون النعم بل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يجحدون ويكفرون

[وما تكون في شأن] الخطاب للرسول (ص) أي ما تكون يا محمد في أمر من الأمور ولا عمل من الأعمال

[وما تتلوا منه من قرآن] اي وما تقرأ من كتاب اللّه شيئا من القرآن

[ولا تعملون من عمل] أي ولا تعملون ايها الناس من خير أو شر

[إلا كنا عليكم شهودا إذ تُفيضون فيه] اي إلا كنا شاهدين رقباء ، نحصي عليكم أعمالكم ، حين تتدفعون وتخوضون فيها

[وما يعزب عن ربك] أي ما يغيب ولا يخفى على الله

[من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء] اي من وزن هباءة ، او ذرة تراب ، في سائر الكائنات او الموجودات

[ولا أصغرَ من ذلك ولا أكبرَ إلا في كتاب مبين] اي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولا اصغر من الذرة ولا اكبر منها ، إِلا وهو معلوم لدينا ومسجل في اللوح المحفوظ ، قال الطبري : والآية خبر منه تعالى انه لا يخفى عليه أصغر الأشياء وإن خف في الوزن ، ولا اكبرها وان عظم في الوزن ، فليكن عملكم ايها الناس فيما يرضي ربكم ، فإنا محصوها عليكم ومجازوكم بها

[ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون] أي انتبهوا أيها الناس واعلموا أن احباب الله واولياءه ، لا خوف عليهم في الآخرة من عذاب الله ، ولا هم يحزنون على ما فاتهم في الدنيا ، ثم بين تعالى هؤلاء الأولياء فقال

[الذين آمنوا وكانوا يتقون] أي الذين صدقوا الله ورسوله ، وكانوا يتقون ربهم بامتثال اوامره واجتناب نواهيه ، فالولى هو المؤمن التقى ، وفي الحديث (إن لله عبادا ما هم بأنبياءَ ولا شهداءَ ، يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة لمكانهم من الله ، قالوا : أخبرنا من هم ؟ وما أعمالهم ؟ فلعلنا نحبهم ، قال : هم قوم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تحابوا في الله ، على غير ارحام بينهم ، ولا اموال يتعاطونها ، فوالله إن وجوههم لنور ، وانهم لعلى منابرَ من نور ، لا يخافون إذا خافً الناس ، ولا يحزنون إذا حزن الناس ثم قرأ [ألا إن أولياء الله . .] الآية

[لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة] أي لهم ما يسرهم في الدارين ، حيث تبشرهم الملائكة ((ذهب بعض المفسرين إلى ان البشارة في الدنيا هي " الرؤية الصالحة " التي يراها المؤمن أو ترى له ، وقد ورد ذلك فى حديث أخرجه الحاكم ، واختار الطبري أن البشارة تكون بالرؤية الصالحة وببشارة الملائكة عند الموت)) عند الاحتضار برضوان الله ورحمته ، وفي الآخرة بجنان النعيم والفوز العظيم ، كقوله سبحانه [إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون]

[لا تبديل لكلمات الله] اي لا إخلاف لوعده

[ذلك هو الفوز العظيم] أي هو الفوز الذي لا فوز

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وراءه ، والظفر بالمقصود الذي لا يضاهى
[ولا يحزنك قولهم] آي لا يحزنك ولا يؤلمك يا محمد تكذيبهم لك وقولهم : لستَ نبيا مرسلا ، ثم ابتدأ تعالى فقال

[إن العزة لله جميعا] اي القوة الكاملة ، والغلبة الشاملة ، لله وحده ، فهو ناصرك ومانعك ومعينك ، وهو المنفرد بالعزة يمنحها اولياءه ، ويمنعها اعداءه
[هو السميع العليم] اي السميع لأقوالهم ، العليم بأعمالهم
[ألا إن لله من في السموات ومن في الأرض] اي الجميع له سبحانه عبيدا وملكا وخلقا
[وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء] اي وما يتبع هؤلاء المشركون آلهة على الحقيقة ، بل يظنون انها تشفع وتنفع ، وهي لا تملك لهم ضرا ولا نفعا
[إن يتبعون إلا الظن] اي ما يتبعون إلا ظنا باطلا
[وإن هم إلا يَخرصون] اي يكذبون ، يظنون الأوهام

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

حقائق

[هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه] تنبيه على القدرة الكاملة ، والمعنى : ومن دلائل قدرته الدالة على وحدانيته ، أن جعل لكم ايها الناس الليل راحة لأبدانكم ، تستريحون فيه من التعب والنصب في طلب المعاش

[والنهار مبصراً] اي وجعل النهار مضيئا ، تبصرون فيه الأشياء لتهتدوا الى حوانجكم ومكاسبكم

[إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون] اي لعلامات ودلالات على وحدانية الله ، لقوم يسمعون سمع اعتبار . . ثم نبه تعالى على ضلال اليهود والنصارى والمشركين فقال

[قالوا اتخد الله ولدا] أى نسب اليهود والنصارى لله ولدا ((يا له من جهل وحمق ينسبون إلى العلي الأعلى ما ينزهون عنه رهبانهم ويزعمون أنهم مقدسون لا يتزوجون ! !)) فقال اليهود : عزير ابن الله ، وقال النصارى : المسيح ابن الله ، كما قال كفار مكة :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الملائكة بنات الله

[سبحانه هو الغني] اي تنزه الله وتقدس عما نسبوا إليه ، فإنه المستغني عن جميع الخلق ، فان اتخاذ الولد إنما يكون للحاجة إليه ، والله تعالى غير محتاج الى شيء ، فالولد منتف عنه

[له ما في السموات وما في الأرض] أي الجميع خلقه وملكه

[إن عندكم من سلطان بهذآ] اي ليس عندكم من حجة بهذا القول

[أتقولون على الله ما لا تعلمون] اي أتفترون على الله وتكذبون بنسبه الشريك له والولد ؟ وهو توبيخ وتقريع على جهلهم .

[قل إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون] اي كل من كذب على الله لا يفوز ولا ينجح

[متاع في الدنيا] أي متاع قليل في الدنيا يتمتعون به مدة حياتهم

[ثم إلينا مرجعهم] أي ثم معادهم ورجوعهم إلينا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

للجزاء والحساب
[ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون] أي ثم في الآخرة نذيقهم العذاب الموجع الأليم ، بسبب كفرهم وكذبهم على الله .

البلاغة :

1 - [من يؤمن به . . ومن لا يؤمن] بينهما طباق السلب .

2 - [تسمع الصم . . تهدي العمي] الصم والعمي استعارة على الكافرين شبههم بالصم والعمي لتعاميهم عن الحق ، وصممهم عن السماع للهدى والخير .

3 - [ضرا ولا نفعا] بينهما طباق وكذلك بين [بياتا ونهارا] وبين [يحيي ويميت] وبين [يستقدمو ن . . ويستأخرون] .

4 - [شفاء لما في الصدور] مجاز مرسل اطلق المحل واراد الحال أي شفاء للقلوب لأن الصدور محل القلوب .

5 - [حراما وحلالا] بينهما طباق .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

6 - [والنهارَ مبصرا] قال في تلخيص البيان : هذه استعارة عجيبة ، سمي النهار مبصرا لأن الناس يبصرون فيه ، فكأن ذلك صفة الشيء بما هو سبب له على طريق المبالغة كما قالوا : ليل أعمى وليلة عمياء ، إذا لم يبصر الناس فيها شيئا لشدة إظلامها.

7 - [أتقولون على الله ما لا تعلمون] استفهام توبيخ وتقريع .

فائدة :

أمر تعالى رسوله (ص) بالحلف في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم هنا في هذه السورة [قل إى وربي إنه لحق] وفي سورة سبأ [وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربى لتأتينكم] وفي سورة التغابن [زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربى لتبعثن] ذكره ابن كثير .

تنبيه :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كلمة " أرأيتَ " تستعمل بمعنى الاستفهام عن الرؤية البصرية ، او العلمية ، وهذا اصل وضعها ثم استعملت بمعنى " أخبرني " فيقولون : أرأيت ذلك الأمر أي أخبرني عنه ، والرؤية إما بصرية أو علمية والتقدير : أأبصرت حالته العجيبة ، أو أعرفت أمره العجيب ؟ فأخبرني عنها ، ولذا لم تستعمل في غير الأمر العجيب ، [أرأيت الذي يكذب بالدين] ؟
[أرأيت الذي ينهى عبدا إذا صلى] ؟ وهكذا .
قال الله تعالى : [واتل عليهم نبأ نوح . . الى. . ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون] من آَية (72) إلى نهاية آية (89) .

المناسبة :

لما ذكر تعالى الدلائل الدالة على وحدانيته ، وذكر ما جرى بين الرسول (ص) وكفار مكة ، ذكر هنا بعض قصص الأنبياء ، تسلية للرسول (ص) ليتأسى بهم ، فيهون عليه ما يلقاه من الشدائد والمكاره ، وقد ذكر تعالى هنا ثلاث قصص :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

1 - قصة نوح عليه السلام مع قومه .

2 - قصة موسى وهارون مع الطاغية فرعون .

3 - قصة يونس مع قومه ، وفي كل قصة عبرة لمن اعتبر ، وذكرى لمن تدبر .

اللغة :

[كبر] قال الواحدي : كبِر يكبر كبرا في السن ، وكبر الأمر والشيء يكبر كبرا وكبارة إذا عظم

[فأجمعوا] الإجماع : الاعداد والعزيمة على الأمر ، وأنشد الفراء : يا ليت شعري والمنى لا ينفع هل اغدون يوما وأمري مجمع

[غمة] مبهما من قولهم غم علينا الهلال فهو مغموم ، اِذا التبس واستتر قال طَرفة : لعمرك ما أمري على بغمة نهاري ولاليلي على بسرمد

[نطبع] نختم

[تلفتنا] تصرفنا وتلوينا واللفت : الصرف عن أمر وأصله اللى يقال لفت عنقه إِذا لواها

[الكبرياء] العظمة والملك والسلطان

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[عال] عات متكبر

[المسرفين] المجاوزين الحد في الضلال والطغيان

[اطمس] الطمس : المسخ ، قال الزجاج : طمس الشيء إِذهابه عن صورته ومنه عين مطموسة .

التفسير :

[واتل عليهم نبأَ نوح] أي اقرأ يا محمد على المشركين من اهل مكة خبر اخيك نوح مع قومه المكذبين

[إِذ قال لقومه يا قوم إِن كان كبر عليكم] أي حين قال لقومه الجاحدين المعاندين : يا قوم إِن كان عظم وشق عليكم

[مقامي وتذكيري بآيات الله] أي طول مقامي ولبثي فيكم ، وتخويفي إياكم بآيات ربكم ، وعزمتم على قتلي وطردي

[فعلَى الله توكلت] اي على الله وحده اعتمدت ، وبه وثقت فلا أبالي بكم

[فأجمعوا أمركم وشركاءكم] أي فاعزموا أمركم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وادعوا شركاءكم ، ودبروا ما تريدون لمكيدتي

[ثم لا يكن أمركم عليكم غمة] أي لا يكن أمركم في شأني مستورا بل مكشوفاً مشهورا ،

[ثم اقضوا إِلى ولا تُنظرون] اي أنفذوا ما تريدونه في أمرى ولا تؤخروني ساعة واحدة ، قال أبو السعود : وإنما خاطبهم بذلك إظهارا لعدم المبالاة ، وثقة بالله وبوعده من عصمته وكلاءته

[فإن توليتم فما سألتكم من أجر] أي فإِن أعرضتم عن نصيحتي وتذكيري فليس لأني طلبت منكم أجرا حتى تمتنعوا ، بل لشقاوتكم وضلالكم

[إِن أجري إِلا على الله] اي ما اطلب ثوابا أو جزاء على تبليغ الرسالة إِلا من الله ، وما نصحتكم إِلا لوجه الله ، لا لغرض من أغراض الدنيا

[وأمرت أن أكون من المسلمين] أي من الموحدين لله تعالى

[فكذبوه فنجيناه ومن معه في الفلك] أي فأصروا واستمروا على تكذيب نوح ، فنجيناه ومن معه من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المؤمنين في السفينة

[وجعلناهم خلائف] أي جعلنا من معه من المؤمنين سكان الأرض وخلفا لمن غرق

[وأغرقنا الذين كذبوا بآَياتنا] اي أغرقنا المكذبين بالطوفان

[فانظر كيف كان عاقبة المنذرين] أي انظر يا محمد كيف كان نهاية المكذبين لرسلهم ؟ والغرض : تسلية الرسول (ص) والتحذير لكفار مكة ان يحل بهم ما حل بالسابقين

[ثم بعثنا من بعده رسلا إِلى قومهم] أي أرسلنا من بعد نوح رسلا إلى قومهم يعني هودا وصالحا ولوطا وابراهيم وشعيبا

[فجاءوهم بالبينات] اي بالمعجزات الواضحات

[فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل] أي ما كانوا ليصدقوا بما جاءتهم به الرسل ، ولم يزجرهم عقاب الله للسابقين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[كذلك نطبع على قلوب المعتدين] أي كذلك نختم على قلوب المجاوزين الحد في الكفر والتكذيب والعناد

[ثم بعثنا من بعدهم موسى وهارون إِلى فرعون وملإِه] أي بعثنا من بعد اولئك الرسل والأمم موسى وهارون إِلى فرعون وأشراف قومه

[بآياتنا] أي بالبراهين والمعجزات الباهرة ، وهي الآيات التسع المذكورة في سورة الأعراف

[فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين] اي تكبروا عن الإِيمان بها وكانوا مفسدين ، تعودوا الإِجرام وارتكاب الذنوب العظام

[فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا إِن هذا لسحر مبين] اي فلما وضح لهم الحق الذي جاءهم به موسى من (اليد) و(العصا) قالوا لفرط عتوهم وعنادهم : هذا سحر ظاهر بين ، أراد به موسى أن يسحرنا

[قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم] الاستفهام للإِنكار والتوبيخ أي أتقولون عن هذا الحق إِنه سحر ؟ ثم أنكر عليهم ايضا باستفهام آخر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[أسحر هذا] اي أسحر هذا الذي جئتكم به ؟
[ولا يفلح الساحرون] اي والحال انه لا يفوز ولا ينجح الساحرون
[قالوا أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا] اي أجئتنا لتصرفنا وتلوينا عن دين الآباء والأجداد ؟
[وتكون لكما الكبرياء في الأرض] أْي يكون لك ولأخيك هارون العظمة والملك والسلطان في أرض مصر
[وما نحن لكما بمؤمنين] أي ولسنا بمصدقين لكما فيما جئتما به
[وقال فرعون ائتوني بكل ساحر عليم] أي ائتوني بكل ساحر ماهر ، عليمٍ بفنون السحر
[فلما جاء السحرة قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون] في الكلام محذوف تقديره : فأتوه بالسحرة ، فلما جاءوا قال لهم موسى : ألقوا ما أنتم ملقون من حبالكم وعصيكم
[فلما ألقوا قال موسى ما جئتم به السحر] اي ما جئتم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

به الآن هو السحر لا ما اتهمتموني به
[إن الله سيبطله] أي سيمحقه وسيذهب به ويظهر بطلانه للناس
[إن الله لا يصلح عمل المفسدين] أي لا يصلح عمل من سعى بالفساد
[ويحق الله الحق بكلماته] أي يثبت الله الحق ويقويه بحججه وبراهينه
[ولو كره المجرمون] اي ولو كره ذلك الفجرة الكافرون
[فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه] أي فما آمن مع موسى ولا دخل فى دينه ، مع مشاهدة تلك الآيات الباهرة ، إِلا نفر قليل من اولاد بني إِسرائيل ، قال مجاهد : هم اولاد الذين أرسل إِليهم موسى بعد طول الزمان ومات آباؤهم ((اختار الامام الجلال أن الطائفة التي آمنت بموسى هم من آل فرعون وما ذكرناه هو اختيار الطبري والجمهور وهو الأرجح ، لأنه قال {من قومه} أي قوم موسى))

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[على خوف من فرعون وملإهم أن يفتنهم] أي على تخوف وحذر من فرعون وملأه أن يعذبهم ويصرفهم عن دينهم

[وإن فرعون لعال في الأرض] أي عات متكبر مفسد في الأرض

[وإنه لمن المسرفين] أي المتجاوزين الحد بادعاء الربوبية

[وقال موسى يا قوم إِن كنتم آمنتم بالله] أي قال لقومه لما رأى تخوف المؤمنين من فرعون : يا قوم إِن كنتم صدقتم بالله وبآياته

[فعليه توكلوا] اي على الله وحده اعتمدوا ، فإنه يكفيكم كل شر وضر

[إن كنتم مسلمين] أي إن كنتم مستسلمين لحكم الله منقادين لشرعه

[فقالوا على الله توكلنا] أي اجابوا قائلين : على ربنا اعتمدنا وبه وثقنا

[ربنا لا تجعلنا فتنةً للقوم الظالمين] اي لا تسلطهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

علينا حتى يعذبونا ، ويفتتوا بنا فيقولوا : لو كان هؤلاء على الحق لما أصيبوا

[ونجنا برحمتك من القوم الكافرين] أي خلصنا وانقذنا بفضلك وإنعامك ، من كيد فرعون وانصاره الجاحدين

[وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتا] اي اتخذا لهم بيوتا للصلاة والعبادة

[واجعلوا بيوتكم قبلة] اي اجعلوها مصلى ((وقيل : المراد اجعلوا بيوتكم موجهة إلى جهة القبلة)) تصلون فيها عند الخوف ، قال ابن عباس : كانوا خائفين فأمروا أن يصلوا في بيوتهم

[وأقيموا الصلاة] اي أدوا الصلاة المفروضة في اوقاتها ، بشروطها واركانها على الوجه الأكمل

[وبشرِ المؤمنين] أي بشر يا موسى اتباعك المؤمنين بالنصر والغلبة على عدوهم

[وقال موسى ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينةً

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وأموالا في الحياة الدنيا] أي قال موسى يا ربنا إنك اعطيت فرعون وكبراء قومه وأشرافهم ، زينة من متاع الدنيا واثاثها ، وأنواعا كثيرة من المال

[ربنا ليضلوا عن سبيلك] اللام لام العاقبة ((هذه اللام كقوله تعالى {فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا} وفي الخبر (لدوا للموت وابنوا للخراب) أي لتكون العاقبة الموت والخراب)) اي آتيتهم تلك الأموال الكثيرة لتكون عاقبة أمرهم إِضلال الناس عن دينك ، ومنعهم من طاعتك وتوحيدك

[ربنا اطمس على أموالهم] أي أهلك أموالهم يا الله وبددها

[واشدد على قلوبهم] أي قس قلوبهم واطبع عليها حتى لا تنشرح للإِيمان ، قال ابن عباس : أي امنعهم الإيمان

[فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم] دعا : عليهم بلفظ النفى اي اللهم فلا يؤمنوا حتى يذوقوا العذاب المؤلم ، ويوقنوا به حيث لا ينفعهم ذلك ، وانما دعا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عليهم موسى ، لطغيانهم وشدة ضلالهم ، وقد علم بطريق الوحي انهم لن يؤمنوا فدعا عليهم ، قال ابن عباس : كان موسى يدعو وهارون يؤمن فنسبت الدعوة إِليهما

[قال قد أجيبت دعوتكما] أي قال تعالى قد استجبت دعوتكما على فرعون واشراف قومه

[فاستقيما] أي اثبتا على ما أنتما عليه من الدعوة إلى الله وإلزام الحجة

[ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون] أي لا تسلكا سبيل الجهلة في الإستعجال ، او عدم الاطمئنان بوعد الله تعالى ، قال الطبرى : روي أنه مكث بعد هذه الدعوة أربعين سنة ثم اغرق الله فرعون في البحر .

البلاغة :

1 - [فعلى الله توكلت] تقديم ما حقه التأخير لإفادة الحصر أي على الله لا على غيره .

2 - [ويحق الحق] بينهما جناس الاشتقاق .

3 - [لا يكن أمركم عليكم غمة] شبه الأمر الخفي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الملتبس بالغمة بطريق الاستعارة أي لا يكن امركم مغطى تغطية حيرة ، ومبهما فيكون كالغمة العمياء .

4 - [واشدد على قلوبهم] الشد استعارة عن تغليظ العقاب ، ومضاعفة العذاب .

تنبيه :

قال ابن كثير : دعوه موسى على فرعون كانت غضبا لله ولدينه كما دعا نوح على قومه فقال [ربى لا تذر على الأرض من الكافرين دياراَ ، إنك إِن تذرهم يضلوا عبادك] ولهذا استجاب الله لموسى دعوته التي شاركه فيها اخوه هارون ، كما استجاب دعوة نوح عليه السلام .

قال الله تعالى : [وجاوزنا ببني إسرائيل البحر . . الى . . وهو خير الحاكمين] من آية (90) الى نهاية السورة الكريمة .

المناسبة :

لما ذكر تعالى دعاء موسى على فرعون لطغيانه ، ذكر هنا ما حدث لفرعون وجنوده من الإغراق في

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

البحر ، نتيجة البغي والعدوان ، وان إِيمانه لم ينفعه لأنه إِيمان المضطر ، ثم ذكر قصة يونس وتوبة الله تعالى على قومه ، وختم السورة الكريمة ببيان حقيقة التوحيد ، وان الإنسان لا ينجيه عند الله الا الإيمان والعمل الصالح .

اللغة :

[بوأنا] أنزلنا وأسكنا

[الممترين] الشاكين ، امترى : شك وارتاب

[فلولا] لولا للتحضيض بمعنى هلا

[الرجس] العذاب أو السخط

[حنيفا] مائلا عن الأديان الباطلة كلها

[يمسسك] يصبك

[كاشف] داقع ومزيل يقال : كشف السوء أي أزاله

[بوكيل] حفيظ موكول إِليَّ أمركم .

التفسير :

[وجاوزنا ببني إِسرائيل البحر] أي قطعنا وعدينا ببني إِسرائيل البحر " بحر السويس " حتى جاوزوه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا] اي لحقهم فرعون مع جنوده ظلما وعدوانا ، وطلبا للاستعلاء بغير حق

[حتى إذا أدركه الغرق] أي حتى إذا أحاط به الغرق وايقن بالهلاك

[قال امنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل] أي قال عندئذ اقررت وصدقت بأنه (لا إله إلا الله) رب العالمين ، الذي آمنت وأقرت به بنو إِسرائيل

[وأنا من المسلمين] تأكيد لدعوى الإيمان أي وأنا ممن أسلم نفسه لله ، وأخلص في إيمانه ، قال ابن عباس : جعل جبريل عليه السلام في فم فرعون الطين مخافة ان تدركه الرحمة

[ءآلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين] أي آلآن تؤمن حين يئست من الحياة ، وقد عصيت الله قبل نزول نقمته بك ، وكنت من الغالين في الضلال والإضلال ، والصد عن دين الله ؟

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فاليوم ننجيك ببدنك] أي فاليوم نخرجك من البحر بجسدك الذي لا روح فيه

[لتكون لمن خلفك آَية] أي لتكون عبرة لمن بعدك من الناس ، ومن الجبابرة والفراعنة ، حتى لا يطغوا مثل طغيانك ، قال ابن عباس : إِن بعض بني إِسرائيل شكوا في موت فرعون ، فأمر الله البحر أن يلقيه بجسده سويا بلا روح ، ليتحققوا موته وهلاكه

[وإن كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون] أي معرضون عن تأمل آياتنا لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها

[ولقد بوأنا بني إِسرائيل مبوأ صدق] أي أنزلنا واسكنا بني إسرائيل بعد إِهلاك أعدائهم منزلا صالحأ مرضيا

[ورزقناهم من الطيبات] اي اللذائذ الطيبة النافعة

[فما اختلفوا حتى جاءهم العلم إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون] أي فما اختلفوا في امر الدين إلا من بعد ما جاءهم العلم ، وهو (التوراة)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

التي فيها حكم الله ، وهذا ذم لهم ، لأن اختلافهم كان بسبب الدين ، والدين يجمع ولا يفرق ، ويوحد ولا يشتت ، وقال الطبري : كانوا قبل ان يبعث محمد (ص) مجمعين على نبوته ، والإقرار بمبعثه ، فلما جاءهم ما عرفوا كفر به بعضهم ، وآمن البعض ، فذلك اختلافهم

[فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك] هذا على سبيل الفرض والتقدير : أي إن فرض انك شككت فاسأل ، قال ابن عباس : لم يشك النبي (ص) ولم يسأل ، وقال الزمخشري : هذا على الفرض والتمثيل كأنه قيل : فان وقع شك مثلا ، وخيل لك الشيطان خيالا تقديرا ، فسل علماء أهل الكتاب ، وفرق عظيم بين قوله [وإنهم لفي شك منه مريب] باثبات الشك على سبيل التأكيد والتحقيق ، وبين قوله [فإن كنت في شك] بمعنى الفرض والتمثيل وقال بعضهم : الخطاب للنبي (ص) والمراد أتباعه

[فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك] اي اسأل أهل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الكتاب الذين يعرفون التوراة والإنجيل ، فان ذلك محقق عندهم كما قصصنا عليك ، والغرض دفع الشك عن قصص القرآن

[لقد جاءك الحق من ربك] أي جاءك يا محمد البيان الحق ، والخبر الصادق ، الذي لا يعتريه شك

[فلا تكونن من الممترين] أي فلا تكن من الشاكين المرتابين

[ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله] أي لا تكذب بشيء من آَيات الله

[فتكون من الخاسرين] أي فتصبح ممن خسر دنياه وآخرته ، قال البيضاوي : وهذا من باب التهييج والتثبيت وقطع أطماع المشركين عنه وقال القرطبي : الخطاب في هاتين الآيتين للنبي (ص) والمراد غيره

[إن الذين حقت عليهم كلمة ربك] أي وجبت عليهم كلمة العذاب بإرادة الله الأزلية

[لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية] أي لا يصدقون ولا يؤمنون ابدأ ولو جاءتهم البراهين والمعجزات

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[حتى يروا العذاب الأليم] أي فحينئذ يؤمنون كما آمن فرعون ، ولكن لا ينفعهم الايمان

[فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها] أي فهلا كانت قرية واحدة من القرى التي اهلكناها ، تابت عن الكفر ، وأخلصت الايمان عند معاينة العذاب ، فنفعها إيمانها في ذلك الوقت

[إلا قوم يونس] أي غير قوم يونس

[لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا] أي لما تابوا عن الكفر وآمنوا بالله ، رفعنا عنهم العذاب المخزي المهين في الحياة الدنيا

[ومتعناهم إِلى حين] اي اخرناهم إِلى انتهاء آَجالهم ، قال قتادة : روي ان يونس أنذرهم بالعذاب ثم خرج من بين أظهرهم ، فلما فقدوا نبيهم وظنوا ان العذاب قد دنا منهم ، قذف الله في قلوبهم التوبة ولبسوا المسوح ، فلما عرف الله الصدق من قلوبهم ، والتوبة والندم على ما مضى منهم ، كشف الله عنهم العذاب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا] أي لو أراد الله لآمن الناس جميعا ، ولكن لم يشأ ذلك ، لكونه مخالفا للحكمة ، فإِنه تعالى يريد من عباده إيمان الاختيار ، لا إِيمان الإكراه والاضطرار

[أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين] ؟ أي أفأنت يا محمد تكره الناس على الإيمان ، وتضطرهم إِلى الدخول في دينك ؟ ليس ذلك إليك ، والآية تسلية له (ص) وترويح لقلبه مما كان يحرص عليه من إيمانهم ، قال ابن عباس : كان النبى (ص) حريصا على إيمان جميع الناس ، فأخبره تعالى أنه لا يؤمن إِلا من سبقت له السعادة في الذكر الأول ، ولا يضل إِلا من سبقت له الشقاوة في الذكر الأول

[وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله] اي ما كان لأحد ان يؤمن إلا بإرادته تعالى وتوفيقه

[ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون] أي ويجعل العذاب على الذين لا يتدبرون آيات الله ، ولا يستعملون عقولهم فيما ينفع

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[قل انظروا ماذا في السموات والأرض] أي قل يا محمد لهؤلاء الكفار : انظروا نظر تفكر واعتبار ، ما الذي في السموات والأرض ، من الآَيات الدالة على وحدانيته ، وكمال قدرته سبحانه ؟

[وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون] اي وما تنفع الآيات والإنذارات قوما سبق لهم من الله الشقاء

[فهل ينتظرون إلا مثلَ أيام الذين خلوا من قبلهم] أي فهل ينتظر مشركو مكة إلا أن نهلكهم مثل ما أهلكنا اسلافهم ، وما حل بهم من العذاب والنكال ؟

[قل فانتظروا إني معكم من المنتظرين] أي قل لهم يا محمد : انتظروا عاقبة البغي والتكذيب ، إني من المنتظرين هلاككم ودماركم

[ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا كذلك] أي ثم إذا نزل العذاب بالمكذبين ، ننجى الرسل والمؤمنين إِنجاء مثل ذلك الإنجاء

[حقاً علينا ننج المؤمنين] أي حقا ثابتا علينا من غير شك ، قال الربيع بن أنس : خوفهم عذابه ونقمته ، ثم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

اخبرهم أنه إذا وقع من ذلك أمر ، انجى الله رسله والذين آمنوا معه

[قل يا أيها الناس إن كنتم في شك من دينى] اي قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك إن كنتم في شك من حقيقة ديني وصحته

[فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله] أي فلا أعبد ما تعبدون من الاوثان والأصنام ، التي لا تنفع ولا تضر

[ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم] اي ولكني اعبد الله الذي يتوفاكم ، وبيده محياكم ومماتكم ، قال الطبري : وهذا تعريض ولحن من الكلام لطيف ، وكأنه يقول : لا ينبغي لكم ان تشكوا في ديني ، وانما ينبغي أن تشكوا في عبادة الأصنام التي لا تعقل ، ولا تضر ولا تنفع ، فأما إلهى الذي أعبده ، فهو الذي يقبض الخلق وينفع ويضر

[وأمرت أن أكون من المؤمنين] أي وانا مأمور بأن اكون مؤمنا موحدا لله لا أشرك معه غيره

[وأن أقم وجهك للدين حنيفا] اي وامرت بالاستقامة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

في الدين ، على الحنيفية السمحة ملة إِبراهيم
[ولا تكونن من المشركين] اي ولا تكونن ممن يشرك في عبادة ربه
[ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك] تأكيد للنهي المذكور ، أي ولا تعبد غير الله مما لا ينفع ولا يضر كالآلهة والأصنام
[فإن فعلت فإنك إذا من الظالمين] أي فإن عبدت تلك الآلهة المزعومة كنت ممن ظلم نفسه ، لأنك عرضتها لعذاب الله ، والخطاب هنا للرسول (ص) والمراد غيره كما تقدم

[وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو] اي وإن اراد الله إصابتك بضر ، فلا دافع له إلا هو وحده
[وإن يردك بخير فلا راد لفضله] اي وإن أراد إصابتك بنعمة ورخاء ، فلا يمنعه عنك مانع
[يصيب به من يشاء من عباده] أي يصيب بهذا الفضل والإحسان من شاء من العباد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وهو الغفور الرحيم] اي هو سبحانه الغفور لذنوب العباد ، الرحيم بأهل الرشاد

[قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم] اي جاءكم القرآن العظيم المشتمل على محاسن الأحكام

[فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه] اي من اهتدى بالإيمان فمنفعة اهتدائه لها خاصة

[ومن ضل فإنما يضل عليها] اي ومن ضل بالكفر والإعراض ، فوبال الضلال مقصور عليها

[وما أنا عليكم بوكيل] اي ولست بحفيظ ، أحفظ عليكم أعمالكم ، إنما أنا بشير ونذير

[واتبع ما يوحى إليك] أي اتبع يا محمد في جميع شئونك ما يوحيه إليك ربك

[واصبر حتى يحكم الله] أي اصبر على ما يعتريك من مشاق التبليغ حتى يقضي الله بينك وبينهم

[وهو خير الحاكمين] أي هو سبحانه خير من يفصل بين العباد بالعدل ، والآية تسلية للنبى (ص) ووعيد للمشركين .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

البلاغة :

1 - [الآن وقد عصيت قبل] الاستفهام للتوبيخ والإِنكار .

2 - [بوأنا . . مبوأ] بينهما جناس الاشتقاق .

3 - [كلمة ربك] كناية عن القضاء والحكم الأزلي بالشقاوة .

4 - [ثم ننجي رسلنا] صيغة المضارع حكاية عن الماضي لتهويل امرها باستحضار صورتها .

5 - [ما لا ينفعك ولا يضرك] بينهما طباق .

6 - [وإن يمسسك الله بضر . . وإن يردك بخير] بين الجملتين (مقابلة لطيفة) وهي من المحسنات البديعية .

7 - [فمن اهتدى . . ومن ضل] بينهما طباق .

8 - [يحكم الله . . الحاكمين] بينهما جناس الاشتقاق .

فائدة :

قال الإِمام الفخر : آمن فرعون ثلاث مرات : أولها قوله " آمنت " وثانيها قوله [لا إله إلا الذى آمنت به

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بنو اسرائيل] وثالثها قوله [وأنا من المسلمين] فما السبب في عدم قبول إيمانه ؟ والجواب : أنه إنما آمن عند نزول العذاب ، والإيمان فى هذا الوقت غير مقبول ، لأنه يصير الحال حال الإلجاء فلا ينفع التوبة ولا الايمان قال تعالى [فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا . .] .

تنبيه :

قال المفسرون : إنما نجى الله جَسَد فرعون بعد الغرق ، لأن قوما اعتقدوا فيه الآلهية ، وزعموا أن مثله لا يموت ، فأراد الله أن يشاهده الخلق على ذلك الذل والمهانة ، ليتحققوا موته ، ويعرفوا أن الذي كان بالأمس في نهاية الجلالة والعظمة ، قد آل امره إِلى الذل والهوان ، فيكون عبرة للخلق ، وزجرا لأهل الطغيان .

سورة هود

مكية وآياتها ثلاث وعشرون ومائة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بين يدي السورة

* سورة هود مكية وهي تعنى بأصول العقيدة الإسلامية (التوحيد ، الرسالة ، البعث والجزاء) وقد عرضت لقصص الأنبياء بالتفصيل تسلية للنبي (ص) على ما يلقاه من أذى المشركين ، لاسيما بعد تلك الفترة العصيبة التي مرت عليه بعد وفاة عمه (أبي طالب وزوجه " خديجة " فكانت الآيات تتنزل عليه ، وهي تقص عليه ما حدث لإِخوانه الرسل أنواع الابتلاء ، ليتأسى بهم في الصبر والثبات .

* ابتدأت السورة الكريمة بتمجيد القرآن العظيم ، الذي أحكمت آياته ، فلا يتطرق إليه خلل ولا تناقض ، لأنه تنزيل الحكيم العليم ، الذي لا تخفى عليه خافية من مصالح العباد

* ثم عرضت لعناصر الدعوة الإسلامية ، عن طريق الحجج العقّليه ، مع الموازنة بين المؤمنين : ، فريق الهدى) و(فريق الضلال) وضربت مثلا للفريقين ، وضحت به الفارق الهائل بين المؤمنين والكافرين ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وفرقت بينهما كما تفرق الشمس بين الظلمات والنور مثل الفريقين كالأعمى والأصم ، والبصير والسميع ، هل يستون مثلا ؟ أفلا تذكرون ؟.

* ثم تحدثت عن الرسل الكرام مبتدئة بقصة " نوح " عليه السلام أب البشر الثاني ، لأنه لم ينج من الطوفان إلا نوح والمؤمنون الذين ركبوا معه في السفينة ، وغرق كل من على وجه الأرض ، وهو أطول الأنبياء عمرا ، وأكثرهم بلاء وصبرا .

* ثم ذكرت قصة (هود) عليه السلام الذي سميت السورة الكريمة باسمه ، تخليدا لجهوده الكريمة في الدعوة إلى الله ، فقد أرسل الله تعالى إلى قوم (عاد) العتاة المتجبرين ، الذين اغتروا بقوة أجسامهم وقالوا : من أشد منا قوة ؟ فأهلكهم اللّٰه بالريح الصرصر العاتية ، وقد أسهبت الآيات في الحديث عنهم ، بقصد العظة والعبرة للمتكبرين المتجبرين " وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله ، واتبعوا أمر كل جبار عنيد " إلى قوله . . ألآ إن عادا كفروا ربهم ، ألا بعدا لعاد قوم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

هود " . " ثم تلتها قصة نبي الله " صالح " ثم قصة " شعيب " ثم قصة " موسى وهارون " ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، ثم جاء التعقيب المباشر بما في هذه القصص من العبر والعظات ، في إهلاك الله تعالى للظالمين " ذلك من أنباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد . " إلى قوله تعالى : " وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهى ظالمة إن أخذه أليم شديد "

* وختمت السورة الكريمة ببيان الحكمة من ذكر قصص المرسلين ، وذلك للاعتبار بما حدث للمكذبين في العصور السالفة ، ولتثبيت قلب النبي (ص) أمام تلك الشدائد والأهوال " وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك ، وجاءك في هذه الحق وموعظةِ وذكرى للمؤمنين . . " إلى قوله : فأعبده وتوكل عليه ، وما ربك بغافل عما تعملون ، وهكذا تختم السورة بالتوحيد كما بدأت به ، ليتناسق البدء مع الختام ! ! . تفسيرسورة هود

قال الله تعالى : [آلر كتاب أحكمت آَياته ثم فصلت . .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

آلى . . هل يستويان مثلا أفلا تذكرون] من آية(1)
الى نهاية آية (24) .

اللغه :

[أُحكمت] الإحكام : المنعُ من الفساد ، يقال : أحكم الأمر إِذا أتى به على وجه لا يتطرأ إليه خلل أو فساد

[مستقرها] المكان الذي تأوي إليه في الدنيا

[مستودعها] المكان الذى تصير إِليه بعد الموت

[أمة معدودة] الأمة هنا بمعنى المدة من الزمن أي مدة محدودة من السنين ، والأمة اسم مشترك يطلق على ثمانية أوجه : الجماعة ، الملة ، الرجل الجامع للخير ، الحين والزمن ، أتباع الأنبياء ((كقوله تعالى : {وجد عليه أمة من الناس } اي جماعة ، وقوله : {وادكر بعد أمة} أي حين من الزمن ، وقوله : {إنا وجدنا أباءنا على أمة} اي ملة ودين إلخ)) إلخ

[مرية] شك وارتياب

[ضل] ضاع وتلاشى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[لا جرم] كلمة واحدة بمعنى حقا وهو قول الخليل وسيبويه

[أخبتوا] خشعوا وخضعوا والإخباتُ : الذل والخضوع

[الأصم] الذي لا يسمع وبه صمم .

سبب النزول :

ذكر القرطبي عن ابن عباس أن " الأَخنس بن شَرِيق " كان رجلا حلو الكلام وحلو المنطق ، يلقى رسول آلله ، بما يحب ، وينطوي له بقلبه على كلُ بغض وسوء ، فأنزل الله [ألا اِنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه . . .] الآية.

التفسير :

[آلر] إشارة اِلى إِعجاز القرآن ، وأنه مركب من أمثال هذه الحروف الهجائية ، وعن ابن عباس ان معناه : أنا الله أرى

[كتاب أُحكمت أياته] أي هو كتاب جليل القدر ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

نُظِمت آياته نظما محكما ، لا يلحقه تناقض ولا خلل

[ثم فصلت] أى بُينت فيه أمور الحلال والحرام ، وما يحتاج إِليه العباد في أمور المعاشر والمعاد

[من لدن حكيم خبير] أي من عند الله فصلها وبينها الخبير العالم بكيفيات آلأمور ، ولذا كانت محكمة أحسن الإحكام ومفصلة أحسن التفصيل

[ألا تعبدوآ إِلا الله] أي لئلا تعبدوا إِلا الله

[اِنني لكم منه نذير وبشير] أي إِنني مرسل إِليكم من جهته تعالى ، أنذركم بعذابه إِن كفرتم ، وأبشركم بثوابه إِن آمنتم

[وأن استغفروا ربكم ثم توبوا اليه] أي استغفروه من الذنوب ، وأخلصوا له التوبة ، واستقيموا عليها بالطاعة والإنابة

[يمتعكم متاعا حسناً] أي يمتعكم في هذه الدنيا بالمنافع الجليلة من سعة الرزق ، ورغَد العيش

[إِلى أجل مسمى] أي اِلى وقت محدد هو انتهاء أعماركم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ويؤتِ كل ذى فضل فضله] أي ويعطي كل محسن في عمله جزاء إِحسانه

[وإن تولوا] أى وإِن تتولوآ عن الإيمان ، وتُعرضوا عن طاعة الرحمن

[فاِني أخاف عليكم عذاب يوم كبير] أي أخاف عليكم عذاب يوم آلقيامة ، ووصف العذاب بأنه كبير ، لما فيه من الأهوال الشديدة

[إِلى الله مرجعكم] أي إِليه جل وعلا رجوعكم بعد الموت

[وهو على كل شىء قدير] أي قادر على إِماتتكم ثم إِحيائكم وعلى معاقبة من كذب لا يعجزه شىء ، وفي الآية تهديد عظيم

[ألاَ إِنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه] قال ابن عباس : نزلت في الأخنس بن شريق كان يجالس رسول الله (ص) ويحلف أنه يُحبُه ويضمر خلاف ما يظهر وقال القرطبي : أخبر عن معاداة المشركين للنبي (ص) والمؤمنين ، يظنون أنه تخفى على آلله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أحوالهم والمعنى إنهم يطوون صدورهم على عداوة النبي والمؤمنين ، يريدون بذلك أن يستخفوا من الله حتى لا يفتضح أمرهم

[أَلا حين يستغشون ثيابهم] أي حين يتغطون بعيابهم [يعلم ما يسرون وما يعلنون] أييعلم تعالى ما يُبطنون وما يُظهرون ، وكأن الآية تقول : لا تظنوا ان تغطيتكم وتستركم تحجبكم عن الله ، بل الله يعلم سرائركم وظواهركم ، لا تخفى عليه خافية من أحوالكم

[اِنه عليم بذات الصدور] أي عالم بما في القلوب

[وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها] أي ما من شيء يدبُ على وجه الأرض ، من إنسان أو حيوان ، إلا تكفل الله برزقه تفضلا منه تعالى وكرما ، فكما أن الله هو الخالق كذلك هو الرازق

[ويعلم مستقرها ومستودعها] قال ابن عباس : مستقرها حيث تأوي إِليه من الأرض ، ومستودعها الموضع الذي تموت فيه فتدفن

[كل في كتاب مبين] أي كل من الأرزاق ، والأقدار

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

، والأعمار ، مسطر في اللوح المحفوظ

[وهو الذي خلق السمواتِ والأرضَ في ستة أيام] أي خلقها قي مقدار ستة أيام من أيام الدنيا ، وفيه الحث للعباد على التأني في الأمور ، فاِن الله القادر على خلق الكائنات بلمح البصر ، خلقها في ستة أيام

[وكان عرشه على الماء] أى كان العرش قبل خلقهما على الماء ، أي ما كان تحته خلق ، وفيه دليل على أن العرش والماء كانا مخلوقين قبل السموات والارض "

[ليبلوكم أيكم أحسن عملاً] أيخلقهن لحكمة بالغة ليختبركم ، فيظهر المحسنُ من المسيء ، ويجازيكم حسب أعمالكم

[ولئن قلتَ اِنكم مبعوثون من بعد الموت] أي ولئن قلت يا محمد لأولئك المنكرين من كفار مكة : إِنكم ستبعثون بعد موتكم للحساب

[ليقولن الذين كفروا إِن هذا إِلا سحر مبين] أي ليقولن الكفار المنكرون للبعث والنور : ما هذا القرآن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الا سحر واضح مكشوف

[ولئن أخرنا عنهم العذاب إِلى أمة معدودة] أي إِلى مدة من الزمن قليلة

[ليقولُن ما يحبسه] أي ليقولُن استهزاء ما يمنعه من النزول ؟

[ألا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم] أي ألا فلينتبهوا فإِنه يوم يأتيهم العذاب ليس مدفوعا عنهم

[وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون] أي نزل وأحاط بهم جزاء ما كانوا به يستهزءون

[ولئن اذقنا الإنسان منا رحمة] أي أنعمنا على الإنسان بأنواع النعم ، من الصحة ، والأمن ، والرزق ، وغيرها من النعم

[ثم نزعناها منه] أي ثم سلبنا تلك النعم منه

[انه ليئوس قنوط] أي قنوط من رحمة الله ، شديد الكفر به

[ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته] أي ولئن منحنا الإِنسان نعمة من بعد ما نزل به من الضر ، وما

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أصابه من البلاء ، كالفقر والمرض والشدة

[ليقولن ذهب السيئات عني] أي انقطع الفقر والضيق والمصائب ، ولن تصيبني بعد اليوم

[إِنه لفرح فخور] أي بطر بالنعمة مغتز بها ، متعاظم على الناس بما أُولي ، والآيةُ ذم لمن يقنط عند الشدائد ، ويبطر عند النعم

[اِلا الذين صبروا وعملوا الصالحات] أي هذه عادة الإنسان ، إِلا المؤمنين الذين يصبرون على الضراء ، ويفعلون الخير في النعماء ، فهم في حالتي المحنة والنعمة محسنون

[أولئك لهم مغفرة وأجر كبير] أي أولئك الموصوفون بالصفات الحميدة ، لهم مغفرة لذنوبهم ، وأْجر كبير في الآخرة هو الجنة ، قال في آلبحر : ووصف الثواب بأنه كبير ، وذلك لما احتوى عليه من النعيم السرمدي ، والأمن من العذاب ، ورضا الله عنهم ، والنظر إِلى وجهه الكريم

[فلعلك تارك بعض ما يُوحى اِليك] كان المشركون

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يقترحون على رسول آلله (ص) آنْ يأتيهم بكنز ، آو يأتي ومعه ملك ، وكانوا يستهزئون بالقرآَن ، فقال الله تعالى له : فلعلك يا محمد تارك بعض ما اُنزل اِليك من ربك ، فلا تبلغهم إِياه لاستهزائهم

[وضائق به صدرك] أي ويضيق صدرك من تبليغهم ما نزل عليك من ربك خشية التكذيب ، والغرضُ تحريضُه ، على تبليغ الرسالة ، وعدم المبالاة بمن عاداه

[أن يقولوا لولا أُنزل عليه كنزَ] أي لأجل آن يقولوا هلا آُنزل عليه مال كثير

[أو جاء معه مَلَك] أي جاء معه ملك يصدقه كما اقترحنا ، قال تعالى محدداً مهمته عليه السلام

[اِنما أنت نذير] أي لست محمد إِلا منذر ، تخؤف المجرمين من عذاب الله

[والله على كل شيء وكيل] أي والله جَل وعلا قائم على شئون العباد يحفظ عليهم أعمالهم

[أم يقولون افتراه] أي أيقولون اختلق محمد هذا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

القرآن ، وافتراه من عند نفسه ؟
[قل فأتوا بعشر سُوَرٍ مثله مفتريات] أي إِن كان الأمر كذلك ، فأتوا بعشر سور مثله في الفصاحة والبلاغة مفتريات ، فأنتم عرب فصحاء
[وادعوا من استطعتم من دون الله] أي استعينوا بمن شئتم غير الله سبحانه
[إِن كنتم صادقين] في أن هذا القرآن مفترى
[فاِن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أُنزل بعلم الله] أي فإِن لم يستجب لكم من دعوتموهم للمعاونة ، وعجزوا عن ذلك ، فاعلموا أيها المشركون إنما أُنزل هذا القرآن بوحي من الله
[وأن لا إِله اِلا هو] أي لا رب ولا معبود بحق إِلا آلله الذي أنزل هذا القرآن المعجز
[فهل أنتم مسلمون] لفظه استفهام ومعناه أمرَ أي فأسلموا بعد ظهور هذه الحجة القاطعة ، إذ لم يبق لكم عذر مانع من ذلك ، قال في التسهيل : الاستفهام معناه استدعاء إِلى الإِسلام ، وإلزام للكفاَر أن يسلموا ، حين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قام الدليل على صحة الإسلام ، لعجزهم عن الإتيان بمثل القرآن

[من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها] أي من كان يقصد بأعماله الصالحة نعيم الدنيا فقط ، لأنه لا يعتقد بالآخرة

[نوف إِليهم أعمالهم فيها] آي نوف إِليهم أجور أعمالهم بما يحبون فيها ، من ألصحة ، والأمن ، والرزق

[وهم فيها لا يبخسون] أي وهم في الدنيا لا يُنقصون شيئأ من اجورهم ، قال قتادة : من كانت الدنيا همه ونيته ، جازاه الله بحسناته فى الدنيا ، ثم يُفضي إِلى الآخرة ، وليس له حسنة يُعطى بها ، وأما المؤمن فيُجازى بحسناته في الدنيا ويثاب عليها في الآخرة

[أولنك الذين ليس لهم في الآخرة إِلا النار] أي هؤلاء الذين هدفهم الدنيا ، ليس لهم في الآخرة إِلا نار جهنم وعذابها المخلد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وحبط ما صنعوآ فيها] أي بطل ما صنعوه من الأعمال الصالحة لأنهم قد استوفوا في الدنيا جزاءها

[وباطل ما كانوا يعملون] تأكيد لما سبق أي باطل ما كانوآ يعملون في الدنيا من الخيرات

[أفمن كان على بينة من ربه] أي افمن كان على نور واضح ، وبرهان ساطع من آلله تعالى ، وهو النبى (ص) والمؤمنون ، وجوابه محذوف ، أي كمن كان يريد آلحياة الدنيا ؟ يريد أن بينهما تفاوتا كبيرا ، وتباينا بعيداً ، فلا يستوي من أراد الله ، ومن آراد الدنيا وزينتها

[ويتلوه شاهد منه] أي ويتبعه شاهد من الله بصدقه ، قال ابن عباس : هو جبريل عليه السلام

[ومن قبله كتابُ موسى إِماما ورحمة] أي ومن قبل القرآن الكريم ، كتابُ التوراة الذي أنزله الله على موسى ، قدوة في الخير ، ورحمة لمن نزل عليهم

[أولئك يؤمنون به] أي أولئك الموصوفون بأنهم على نور من ربهم يصدقون بالقرآن حق التصديق

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ومن يكفر به من الأحزاب فالنارُ موعده] أي ومن يكفر بالقرآن ، من أهل الملل والأديان ، فله نار جهنم يدخلها لا محالة

[فلا تكُ في مريةٍ منه] أي فلا تكن في شك من هذا القرآن

[إِنه الحق من ربك] أي إِنه الحق الثابت المنزل من عند الله

[ولكن أكثرهم الناس لا يؤمنون] أي لا يصدقون أنه تنزيل رب العالمين

[ومن أظلم ممن أفترى على الله كذبا] أي لا احد أطغى ولا اظلم ممن اختلق الكذب على الله ، بنسبة الشريك والولد إليه

[أولئك يعرضون على ربهم] أي يُعرضون يوم القيامة في جملة الخلق على خالقهم ومالكهم

[وبقول آلأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم] أي ويقول الخلائق والملائكة الذين يشهدون على آعمالهم : هؤلاء الذين كذبوا على الله ، والغرضُ فضيحتهم في

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الدار الآخرة على رءوس الأشهاد ، والتشهيرُ بهم خزياً ونكالا

[ألا لعنةُ آلله على الظالمين] لظلمهم وافترائهم على الله ، واللعنةُ : الطرد من رحمة الله

[الذين يصدون عن سبيل الله] أي يمنعون الناس عن اتِّباع الحق ، وسلوك سبيل الهدى الموصل إلى الله

[ويبغونها عوجا] أي ويريدون ان تكون السبيل معوجة أي يبغون أن يكون دين الله معوجاً على حسب أهوائهم

[وهم بالآخرة هم كافرون] أي جاحدون بالآخرة ، منكرون للبعث والنشور

[أولئك لم يكونوآ معجزين في الأرض] أي ليسوا مفلتين من عذاب آلله وِان أمهلهم

[وما كان لهم من دون الله من أولياء] أي ليس لهم من يتولاهم أو يمنعهم من عذاب الله

[يضاعف لهم العذاب] جملة مستأنفة أي يضاعف عليهم العذابُ ، بسبب إِجرامهم وطغيانهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون] أي سبب تشديد آلعذاب ومضاعفته عليهم ، آن الله جعل لهم سمعا وبصرا ، ولكنهم كانوا صُما عن سماع الحق ، عميا عن اتباعه ، فلم ينتفعوا بما منحهم الله من حواس

[أولئك الذين خسروا أنفسهم] أي خسروا سعادة الدنيا . والآخرة ، وخسروا راحة أنفسهم ، لدخولهم نار جهنم

[وضل عنهم ما كانوا يفترون] أي وغاب عنهم ما كانوا يزعمونه من شفاعة الآَلهة

[لا جرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون] أي حقا إِنهم يوم القيامة من أخسر الناس ، ولا ترى أحدا أَبينَ خسرانا منهم ، لأنهم آثروا الفانية على الباقية ، واستعاضوا عن الجنان بلظى النيران ا ! ثم لما ذكر تعالى حال الكفار الأشقياء ، ذكر حال المؤمنين السعداء فقال

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[اِن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا اِلى ربهم] أي جمعوا مع الإيمان والعمل الصالح الإخباتَ : وهو الاطمئنان إِليه سبحانه والخشوع له ، والانقطاع لعبادته

[أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون] أي منعمون في الجنة ، لا يخرجرن منها أبدا

[مثل الفريقين] أي فريق المؤمنين وفريق الكافرين [كالأعمى والأصم ، والبصير والسميع] شبَّه تعالى فريق الكافرين (بالأعمى والأصم) وفريق المؤمنين (بالبصير والسميع) وهو من باب اللف والطباق . . والمعنى : حال الفريقين العجيب ، كحال من جمع بين العمى والصمَم ، ومن جمع ببن السمع والبصر

[هل يستويان مثلا] الاستفهام إِنكاري أيلا يستون مثلا ، فليس حال من يبصر نور الحق ويستضيء بضيائه كحال من يخبط في ظلمات الضلالة ، ولا يهتدي إِلى سبيل السعادة

[أفلا تذكرون] أي أفلا تعتبرون وتتعظون ؟

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والغرض التفريق بين أهل الطاعة والإيمان ، وأهل الجحود والعصيان .

البلاغة :

1 - [عذاب يوم كبير] إضاقة العذاب إِلى اليوم الكبير للتهويل والتفظيع .

2 - [ما يسرون وما يعلنون] بينهما طباق وكذلك بين [نعماء وضراء] وبين [نذير وبشير] .

3 - [يئوس كفور] من صيغ المبالغة أي شديد اليأس كثير الكفران .

4 - [كالأعمى والأصم] فيه تشبيه " مرسل مجمل " لوجود أداة التشبيه وحذف وجه الشبه أيمثل الفريق الكافر كالأعمى والأصم في عدم إبصار الحق وسماعه ، ومثل الفريق المؤمن كالسميع والبصير في الرؤية والسماع .

لطيفة :

قال بعض الصالحين : الاستغفار بلا إِقلاع عن الذنب توبة الكذابين .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تنبيه :

التحدي بعشر سور ، جاء بعد التحدي بالقرآن الكريم ، فلما عجزوا عن الإتيان بمثل القرآن ، تحداهم بعشر سور ، ثم لما عجزوا تحداهم بالإتيان بسورة مثله ، في البلاغة والفصاحة ، والاشتمال على الاحكام التشريعية وأمثالها ، وهي الأنواع التسعة وقد نظمها بعضهم بقوله :

ألا إِنما القرآن تسعةُ أحرف سأنبيكها في بيت شعر بلا مَلَل : حلال ، حرام ، محكم ، متشابة ، بشير ، نذير ، قصة ، عظة ، مَثَل .

قال الله تعالى : [ولقد أرسلنا نوحا الى قومه . .] إلى قوله [فاصبر ان العاقبة للمتقين] من آية (25) إلى نهاية آية (49) .

المناسبة :

لما ذكر تعالى عناد الكافرين من أهل مكة ، وتكذيبهم لرسول الله (ص) واتهامهم له بافتراء القرآن ، ذكر هنا (قصة نوح) مع قومه الكافرين لتكون كالعظة والعبرة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

، لمن كذب وعاند ، ولتسلية الرسول ، بسرد قصص المرسلين ، وما جرى لهم مع أقوامهم ، ليتأسى بهم في الصبر وتحمل الأذى .

اللغه :

[الملأ] أشراف القوم وسادتهم

[أراذلنا] الأراذل هنا : المراد بهم الفقراء والضعفاء والسفَلَة ، وهو جمع أرذَل بمعنى السافل الذي لا خَلاق له ولا يبالي بما يفعل

[فعُميت] عمي عن كذا ، وعُمي عليه كذا ، بمعنى التبس عليه ولم يفهمه ، وخفي عليه أمره

[جادلتنا] الجدل في كلام العرب : المبالغة في الخصومة

[تزدرى] تحتقر

[الفلك] السفينة ويطلق على المفرد والجمع

[التنور] مستوقد النار

[مرساها] رسا الشيء يرسو : ثبت واستقر

[عاصم] مانع يقال : عصمه إذا منعه ، ومنه الحديث

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

" فقد عصموا مني دماءهم "

[غيض] غاض الماء نقص بنفسه وغضُته أنقصته

[الجودى] جبل بقرب المَوصل في بلاد العراق .

التفسير :

[ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه] أي أرسلناه رسولا إلى قومه بعد أن امتلأت الأرض بشركهم وشرورهم

[إني لكم نذير مبين] أي بأني منذر لكم ، ومخوف لكم من عذاب الله إن لم تؤمنوا

[أن لا تعبدوا الا الله] أي أرسلناه بدعوة التوحيد وهي عبادة آلله وحده

[إِني أخاف عليكم عذاب يوم أليم] أي إني أخاف عليكم إن عبدتم غيره ، عذاب يوم شديد مؤلم

[فقال الملأ الذين كفروا من قومه] أي قال السادة والكبراء من قوم نوح

[ما نراك إلا بشرا مثلنا] أي ما نراك إلا واحداً مثلنا ، ولا فضل لك علينا ، قال الزمخشري : وفيه تعريضْ

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بأنهم أحق منه بالنبوة : وأن الله لو أراد أن يجعلها في أحدٍ من البشر لجعلها فيهم

[وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا] أي وما اتبعك إلا سفلةُ الناس ، وإنما وصفوهم بذلك لفقرهم " جهلا منهم واعتقادا بأن الشرف هو بالمال والجاه ، وليس الأمر كذلك ، بل المؤمنون أشرف منهم على فقرهم وخمولهم

[باديَ الرأي] أي في ظاهر الرآي ، من غير تفكر أو رؤية

[وما نرى لكم علينا من فضل] أي وما نرى لك ولأتباعك من مزية وشرف علينا ، يؤهلكم للنبوة ، واستحقاق المتابعة

[بل نظنكم كاذبين] أي بل نظنكم كاذبين فيما تدعونه ، أرادوا أن يحجوا نوحا من وجهين : أحدهما : أن المتّبعين له أراذل القوم ، ليسوا قدوة ولا أسوة ، والثاني : أنهم مع ذلك لم يتَرووا في اتباعه ، ولا أمعنوا الفكر في صحة ما جاء به ، وإنما بادروا إلى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ذلك من غير فكر ولا روية ، وغرضُهم ألا تقوم الحجة عليهم ، بأن منهم من آمن بنوح وصدقه

[قال يا قوم أرأيتم ان كنتُ على بينةِ من ربي] تلطفَ معهم في الخطاب لاستمالتهم إلى الإيمان ، أي قال لهم نوح : اخبروني يا قوم إن كنتُ على برهان ، وأمر جلي من ربي بصحة دعوايَ

[وآتانى رحمةَ من عنده] أي ورزقني هداية خاصة من عنده وهي النبوة

[فعُميث عليكم] أي فخفي الأمر عليكم ، لاحتجابكم بالمادة عن نور الإيمان

[أنلزِمكموها وأنتم لها كارهون] أي أنكرهكم على قبولها ونجبركم على الاهتداء بها ، والحال انكم كارهون منكرون لها ؟ والاستفهام للإنكار أي لا نفعل ذلك ، لأنه لا إكراه في الدين

[ويا قوم لا أسألكم عليه مالا] أي لا اسألكم على تبليغ الدعوة أجرا ، ولا أطلب على النصيحة مالا حتى تتهموني

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[إن أجريَ إلا على الله] أي ما أطلب ثوابي إلا من الله ، فإنه هو الذي يثيبني ويجازينى

[وما أنا بطارد الذين آمنوا] أي ولست بمبعد هؤلاء المؤمنين الضعفاء عن مجلسي ، ولا بطاردهم عني كما طلبتم

[انهم ملاقوا ربهم] أي إنهم صائرون الى ربهم ، وفائزون بقربه ، فكيف أطردهم ؟

[ولكني أراكم قوماً تجهلون] أي ولكنكم قوم تجهلون قدرهم فتطلبون طردهم ، وتظنون أنكم خير منهم

[ويا قوم من ينصرني من آلله إن طردتهم] أي من يدفع عني عقاب الله ، إن ظلمتهم وطردتهم ؟

[أفلا تذكرون] أي أفلا تتفكرون فتعلمون خطأ رآيكم وتنزجرون عنه ؟

[ولا أقول لكم عندي خزائن الله] أي لا أقول لكم عندي المال الوافر الكثير ، حتى تَتبِعوني لغناي وثرائي ! !

[ولا أعلم الغيب] أي ولا أقول لكم إني أعلم الغيب ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

حتى تظنوا بي الربوبية

[ولا أقول إني مَلَك] أي ولا أقول لكم إني من الملائكة اُرسلت إليكم ، فأكون كاذبآ في دعواي

[ولا أقول للذين تزدري أعينكمم لن يؤتيَهم اللهُ خيرا] أي ولا أقول لهؤلاء الضعفاء الذين آَمنوا بي واحتقرتموهم لفقرهم ، لن يمنحهم الله الهداية والتوفيق

[اللهُ أعلم بما في أنفسهم] أي أعلم بسرائرهم وضمائرهم

[إني إذا لمن الظالمين] أي إني إن قلت ذلك أكون ظالما مستحقا للعقاب

[قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرتَ جدالنا] أي قال قوم نوح لنوح عليه السلام : قد خاصمتنا فأكثرتَ خصومتنا

[فَأتِنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين] أي فائتنا بالعذابَ آلذي كنت تعدنا به ، إن كنت صادقا في ما تقول ! !

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[قال إنما يأتيكم به الله إن شاء] أي أمر تعجيل العذاب إليه تعالى لا إلى ، فهو الذي يأتيكم به إن شاء

[وما أنتم بمعجزين] أي ولستم بفالتين الله هرباً ، لأنكم في ملكه وسلطانه

[ولا ينفعكم نصحي إن أردتُ أن أنصح لكم] أي ولا ينفعكم تذكيري إياكم ونصحي لكم

[إن كان الله يريدُ ان يغويكم] أي إن أرآد الله اضلالكم ، وهو جواب لما تقدَّم ، والمعنى : ماذا ينفع نصحي لكم ؟ إن إراد آلله شقاوتكم وإضلالكم ؟

[هو ربكم وإليه تُرجعون] أي هو خالقكم والمتصرف في شئونكم ، وإليه مرجعكم ومصيركم ، فيجازيكم على أعمالكم

[أم يقولون افتراه] أي أيقول كفار قريش : اختلق محمد هذا القرآن من عند نفسه ؟

[قل ان افتريتُه فعلئ اجرامي] أي قل لهم يا محمد : إن كنت قد افتريت هذا القرآن ، فعلى وزري وذنبي ، ولا تؤاخذون أنتم بجريرتي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وأنا برىء مما تجرمون] أي وأنا برئ من إجرامكم ، بكفركم وتكذيبكم ، والآية اعتراض بين قصة نوح ، للأِشارة إلى ان موقف مشركي مكة ، كموقف المشركين من قوم نوح ، في العناد والتكذيب

[وأُوحي إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن] أي أوحى آلله إلى نوح أنه لن يتبعك ويصدق برسالتك ، إلا من قد آمن من قبل

[فلا تبتئس بما كانوا يفعلون] أي فلا تحزن بسبب كفرهم وتكذيبهم لك فإني مهلكهم

[واصنع الفُلك بأعيننا] أي اصنع السفينة تحت نظرنا ، وبحفظنا ورعايتنا

[ووحينا] أي وتعليمنا لك ، أي كما نأمرك

[ولا تخاطبني في الذين ظلموا] أي لا تشفع فيهم فإني مهلكهم لا محالة

[إنهم مُغرقون] أي هالكون غرقا بالطوفان

[ويصنعُ الفلك] حكايةُ حالي ماضية لاستحضارها قي الذهن ، أيصنع نوح السفينة كما علمه ربه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه] أي كلما مر عليه جماعة من كبراء قومه ، هزءوا منه وضحكوا وقالوا : يا نوحُ كنتَ بالأمس نبيا ، وأصبحت اليوم نجارا! !

[قال إن تسخروا منا] أي إن تهزءوا منا اليوم

[فإنا نسخر منكم كما تسخرون] أي فإنا سنسخر منكم في المستقبل عندما تغرقون ، مثل سخريتكم منا الان ، فأنتم أولى بالسخرية والاستهزاء

[فسوف تعلمون] وعيد وتهديد أي سوف تعلمون عاقبة التكذيب والاستهزاء

[من يأتيه عذاب يخزيه] أي عذاب يُذله ويهينه وهو الغرق

[ويحل عليه عذابَ مقيم] آي وينزل عليه عذاب دائم لا ينقطع ، وهو عذاب جهنم

[حتى إذا جاء أمرنا] أي جاء أمرنا الموعود بالطوفان

[وفار التنور] أي فار الماء من التنور الذي يوقد به

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

النار ، قال المفسًرون : جعل الله ذلك علامة لنوح وموعدا لهلاك قومه ، وقال ابن عباس : التنور وجهُ الأرض ، قال الطبري : والعرب تسمى وجه الأرض تنور الأرض ، قيل له : إذا رأيتَ الماء على وجه الأرض ، فاركب أنت ومن معك في السفينة ((بعد أن ذكر الامام الطبري أقوال السلف في المراد بالتنور قال : وأولى هذه الأقوال عندنا قول من قال : هو التنور الذي يخبز فيه ، لأن ذلك هو المعروف من كلام العرب ، وكلام الله يحمل على الأغلب الأشهر)) وقال ابن كثير : التنور وجه الأرض أي صارت الأرض عيونا تفور ، حتى فار الماء من التنانير التي هي مكان النار ، فصارت تفور ماء ، وهذا قول جمهور السلف والخلف

[قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين] أي احمل في السفينة ، من كل صنف من المخلوقات اثنين : ذكرا ، وأنثى

[واهلَكَ إلا من سَبَق عليه القولُ] أي واحمل قرابتك

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أيضا (أولادك ونساءك) إلا من حكم الله بهلاكه ، والمراد به ابنهُ الكافر " كنعان " وامرأته إواعلة " [ومن آمن] أي واحمل معك من آَمن من أتباعك

[وما آمن معه إلا قليل] أي وما آمن بنوح إلا نزر يسير ، مع طول إقامته بينهم ، وهي مدة تسعمائة وخمسين سنة ، قال ابن عباس : كانوا ثمانين نفسا منهم نساؤهم ، وعن كعب : كانوا اثنين وسبعين نفسا [وقال اركبوا فيها باسم الله مَجريها ومرساها] أي وقال نوح لمن آمن به : اركبوا في السفينة ، باسم الله يكون جريُها على وجه الماء ، وباسم الله يكون رسوها واستقرارها ، قال الطبري : المعنى بسم الله حين تجري وحين تُرسي ، أي حين تسير ، وحين تقف [إن ربي لغفور رحيم] أي ساتر لذنوب التائبين ، رحيم بالمؤمنين حيث نجاهم من الغرق [وهي تجري بهم في موج كالجبال] أي والسفينة تسير بهم وسط الأمواج ، التى هي كالجبل في العِظَم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والارتفاع ، تسير بإذن الله وعنايته ولطفه ، قال الصاوي : رُوي أن الله أرسل المطر أربعين يوما وليلة ، وخرج الماء من الأرض ينابيع كما قال تعالى [ففتحنا أبواب السماء بماء مُنهمر . وفجرنا الأرض عُيونا فالتقى الماءُ على أمر قد قُدر] وارتفع الماء على أعلى جبل ، أربعين ذراعا حتى أغرق كل شيء

[ونادى نوحٌ ابنه وكانَ في مَعزل] أي ونادى نوح ولده (كنعان) قبيل سير السفينة ، وكان في ناحية منها لم يركب مع المؤمنين

[يا بُنيًّ اركب معنا] أي اركب معنا ولا تهلك نفسك بالغرق

[ولا تكن مع الكافرين] أي فتغرق كما يغرقون

[قال سآوي إلى جبل يعصمني من الماء] أي سأصعد إلى رأس جبل ، اتحصَّن به من الغرق ، ظناً منه ان الماء لا يصل إلى رءوس الجبال

[قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم] أي قال له أبوه نوح : لا معصوم اليوم من عذاب الله ، ولا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ناجي من عقابه إلا من رَحِمَه الله تعالى

[وحال بينهما الموج فكان من المغرقين] أي حال بين نوح وولده موجُ آلبحر فغرق

[وقيل يا أرضُ ابلعي ماءك] أي انشقي وابلعي ما على وجهك من الماء

[ويا سماءُ أقلعي] أي امسكى عن المطر

[وغيض الماء] اى ذهب في أغوار الأرض ، قال مجاهد : نقص الماء

[وقُضي الأمرُ] أي تم اْمر الله بإغراق من غَرِقَ ، ونجاة من نجا

[واستوت على الجودي] أي استقرت السفينة على (جبل الجودي) بقرب الموصل

[وقيل بعدا للقوم الظالمين] أي هلاكاً وخساراً لمن كفر بالله ، وهي جملة دعائية ، قال الألوسي ؟ ولا يخفى ما في الآية من الدلالة على عموم هلاك الكفرة ، بل على عموم هلاك أهل الأرض ، ما عدا أهل السفينة ، ويدل عليه ما رُوي أن الغرقَ أصاب امرأة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

معها صبي لها فوضعته على صدرها ، فلما بلغها الماء وضعته على منكبها ، فلما بلغها الماء رفعته بيديها ، فلو رحم الله أحداً من أهل الأرض لرحمها

[ونادى نوح ربَّه فقال ربً إنً ابني من أهلي] أي نادى نوح ربه متضرعا إليه ، فقال : ربّي إن ابنى (كنعان) من أهلي وقد وعدتني بنجاتهم

[وإن وعدكَ الحقُ] أي وعدك حق لا خُلف فيه

[وأنت أحكم الحاكمين] أي وأنت يا الله أعدل من حَكَم بالحق

[قال يا نوحُ انه ليسَ هن أهلِك] أي قال له ربه : يا نوحُ إن ولدك هذا ليس من أهلك ، الذين وعدتك بنجاتهم لأنه كافر ، ولا ولاية بين المؤمن والكافر

[انه عمل غيرُ صالح] أي إن عمله سيئ غير صالح

[فلا تسألنِ ما ليس لك به علم] أي لا تطلب في أمرا ، لا تعلم نتيجتَه أخطأ هو أم صواب ؟

[اني اعظك ان تكون من الجاهلين] أي إني أنبهك وأنصحك خشية ان تكون من الجاهلين ، وليس في ذلك

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وصف له بالجهل ، بل فيه ملاطفةَ له واكرام كأنه يقول له : إنك لا تدري الحقائق

[قال ربى إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم] أي ؟قال نوح معتذرا إلى ربه عما صدر عنه : ربي إني أستجير بك ، من أن أسألك أمرا لا يليق بي سؤاله

[وإلا تغفز لي وترحمني أكن من الخاسرين] أي وإلا تغفر لي زلتي ، وتتداركني برحمتك ، أكن ممن خسر آخرته وسعادته

[قيل يا نوح اهبط بسلام منا] أي اهبط من السفينة بسلامة وأمن

[وبركاتِ عليك وعلى أمم ممن معك] أي وخيرات عظيمة عليك وعلى ذرية من معك من أهل السفينة ، ودخل في هذا كل مؤمن إلى يوم القيامة

[وأمم سنمتعهم] أي أمم أخرى من ذرية من معك ، نمتعهم متاع الحياة الدنيا ، وهم الكفرة المجرمون

[ثم يمسهم منا عذاب أليم] أي ثم نذيقهم في الآخرة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

العذاب الأليم ، وهو (عذاب جهنم)

[تلك من أنباء الغيب] أي هذه القصة وأشباهها من أخبار الغيوب السالفة التى لم تشهدها

[نوحيها اليك] أي نعلمك بها يا أيها الرسول ، بواسطة الوحي

[ما كنت تَعلمُها أنتَ ولا قومُك من قبلِ هذا] أي لم يكن عندك ، ولا عند أحد من قومك ، علم بها ، من قبل هذا القرآن

[فاصبر ان العاقبة للمتقين] أي فاصبر على أمر الله ، بتبليغ الدعوة كما صبر نوح ، فإن العاقبة المحمودة لمن اتقى الله ، وفيه تسلية له ، على أذى المشركين .

البلاغة :

1 - [فعُميَت عليكم] شبه الذي لا يهتدي بالحجة لخفائها عليه ، بمن سلك مفازة لا يعرف طرقها ومسالكها ، واتبع دليلا أعمى فيها ، على سبيل (الاستعارة التمثيلية) .

2 - [أفلا تذكرون] ا لاستفهام للإِنكار والتقريع

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والتوبيخ .
3 - [فائتنا بما تعدنا] الأمر يراد به التهكم والاستهزاء .
4 - [فعلى اجرامي] مجاز بالحذف أي عقوبة إجرامي وجاء ب [إن] الدالة على الشك لبيان أنه على سبيل الفرض لقوله : [إن افتريته] بخلاف إجرامهم فإنه محقق
[وأنا برئ مما تُجرمون] .
5 - [واصنع الفُلك بأعيننا] كناية عن الرعاية والحفظ ، يقال للمسافر (صحبتك عين الله) أي رعاية الله وحفظه .
6 - [يا أرضُ ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي] بين الأرض والسماء طباق ، وبين أقلعى وابلعي جناس ناقص ، وكلاهما من المحسنات البديعية .
فائدة :
قال ابن عباس في قوله تعالى [إنه ليس من أهلك] كان ابنه من صلبه ، ولكنه لم يكن مؤمنآ ، وما بغت

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

امرأة نبى قط ومعنى الآية : إنه ليس من أهلك الذين وعدتك ان أنجيهم معك . أقول : نبهت الآية على ان آهله هم (الصلحاء) أهل دينه وشريعته ، فمن لا صلاح له لا نجاة له ، ومدار الأهلية القرابة الدينية ، لا القرابة البدنية . أبى الإسلام لا أبَ لي سواه إذا افتخروا بقيس أو تميم

لطيفة :

روي أن إعرابيا سمع هذه الآية [وقيل يا أرضُ ابلعي ماءك ، ويا سماء أقلعي . .] الآية فقال : هذا كلام القادرين لا يشبه كلام المخلوقين ، ويروى أن " ابن المقفع " - وكان أفصح أهل زمانه - رام أن يعارض القرآن فنظم كلاما ، وجعله مفصلا ، وسناه سورا ، فمر يوماً بصبي فسمعه يقرأ الآية فرجع إلى بيته ، ومحا ما كان قد بدأ به ، وقال : أشهد أن هذا لا يُعارض أبدا ، وما هو من كلام البشر .

تنبيه :

هذا الآية بلغت من أسرار الإعجاز غايتها ، وحوت

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من بدائع الفوائد نهايتها ، وجمعت من المحاسن اللفظية والمعنوية ما يضيق عنه نطاق البيان ، وقد اهتم بإظهار لطائفها وأسرارها العلامة أبو حيان حيث قال رحمه آلله وطيب ثراه : في هذه الآية أحد وعشرون نوعا من البديع :

المناسبة قي قوله [أقلعي وابلعي] ، والمطابقة بذكر الأرض والسماء ، والمجاز في المراد مطر السماء ، والاستعارة في [أقلعي] والإِشارة في [وغيضَ الماءُ] فإنها إشارة إلى معانى كثيرة ، والتمثيلُ في [وقضى الأمر] عبر بالأمر عن إهلاك الهالكين ونجاة الناجين ، والإرداف في [وأستوت على الجودي] فلفظ واستوت كلام تام أردفه بلفظ [على الجودي] قصدا للمبالغة في التمكن بهذا المكان ، والتعليلُ في [وغيض آلماءً] فإنه علة للاستواء ، والاحتراسُ في [بعداً للقوم الظالمين] وهو أيضاً ذم لهم ، والإيجاز وهو ذكر القصة باللفظ القصير

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مستوعباَ للمعاني الجمة ، وعدد بقية الوجوه وهي : آلإيضاحُ ، والمساواة ، وحسنُ النسق ، وصحة التقسيم ، وحسن البيان ، والتمكس ، والتجنيس ، والتسهيم ، والمقابلة ، والتهذيب ، والوصف . " مقتطفات من تفسير سيد قطب في ظلال القرآن " وننقل هنا فقرات من تفسير شهيد الإِسلام " سيد قطب ، عليه الرحمة والرضوان حيث قال ما نصه : " وعند هذا المقطع من قصة نوح يلتفت السياقُ لفتة عجيبة ، إلى استقبال مشركي قريش ، لمثل هذه القصة التي تشبه أن تكون قصتهم مع الرسول (ص) ودعواهم أن محمدا يفتري هذا القصص [أم يقولون افتراه ؟ قل إن افتريتُه فعلى اجرامي وأنا برئ مما تجرمون] فالافتراء إجرام وعلى تبعته ، وأنا أعرف أنه إجرام فمستبعدْ أن أرتكبه ، وهذا الاعتراضُ لا يخالف سياق القصة في القرآن ، لأنها إنما جاءت لتأدية غرضِ معين ، لم يمضي السياقُ في قصة نوح يعرض مشهدا ثانيا ، مشهد نوح يتلقى وحي ربه وأمره [وأُوحي إلى نوح أنه لن يؤمن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من قومك إِلا من قد آمن فلا تَبئَسِ بما كانوا يفعلون . واصنع الفُلك بأعيننا ووحينا] أي برعايتنا وتعليمنا [ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون] فقد تقرر مصيرهم ، وانتهى الإِنذار ، وانتهى الجدل .

والمشهد الثالث من مشاهد القصة : مشهدُ نوح يصنع الفلك [ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه] والتعبير بالمضارع هو الذي يعطي المشهد حيويته وجدته ، فنحن نراه ماثلا لخيالنا من وراء هذا التعبير ، وقومه المتكبرون يمرون به فيسخرون ، يسخرون من الرجل الذي كان يقول لهم إنه رسول ، ثم إذا هو ينقلب نجاراً يصنع مركباً ، والمشهد آلرابع : مشهد التعبئة عندما حلت اللحظة المرتقبة [حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين . .] ثم يأتي المشهد الهائل المرهوب : مشهد الطوفان [وهي تجري بهم في موج كالجبال . . . وحال بينهما الموج فكان من المغرقين] إن الهول هنا هولان : هول في الطبيعة الصامتة ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وهول في النفس البشرية يلتقيان . وإننا بعد آلاف السنين لنمسك أنفاسنا - ونحن نتابع السياق - والهولُ يأخذنا كأننا نشهد المشهد ، [وهي تجري بهم في موج كالجبال] ونوح الوالد الملهوف يبعث بالنداء تلو النداء ، وابنه الفتى المغرور يأبى إجابة الدعاء ، والموجة الغامرة تحسم الموقف في سرعة خاطفة راجفة [وحال بينهما الموج فكان من المغرقين] وينتهي كل شيء ، وكأن لم يكن دعاء ولا جواب ، وتلك سمة بارزة في تصوير القرآن ! ! وتهدأ العاصفة ، ويخيم السكون ، ويقضى الأمر ، وبوجه الخطاب إلى الأرض والسماء (بصيغة العاقل) فتستجيب كلتاهما للأمر الفاصل ، فتبلع الأرض وتكف السماء [وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي ، وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي ، وقيل بعدا للقوم الظالمين .

قال الله تعالى : [وإلى عاد أخاهم هودا. .] إلى قوله سبحانه : [رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت انه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

حميد مجيد] من آية (50) إلى نهاية آية (73).

المناسبة :

هذه هي القصة الثانية من القصص التي ذكرها الله في هذه السورة الكريمة ، وهي قصة (هود) مع قومه عاد ، وقد ذكرها تعالى بالإسهاب ، ولهذا سميت السورة " سورة هود " ثم أعقبها بالحديث عن قصة (صالح) مع قومه ثمود وهي القصة الثالثة في هذه السورة ، ثم قصة إبراهيم) وبشارة الملائكة له بإسحاق وهي القصة الرابعة من قصص القرآن في هذه السورة الكريمة .

اللغة :

[مدراراً] كثيراً متتابعا من درت السماء تدر إذا سكبت المطر بسخاء ، والمدرارُ : الكثير الذر وهو من أبنية المبالغة

[اعتراك] أصابك

[ناصيتها] الناصيةُ : منبت الشعر في مقدم الرأس

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[جبار] الجبار : المتكبر

[عنيد] العنيد : الطاغي الذي لا يقبل الحق ولا يذعن له ، قال أبو عبيدة : العنيد والمعاند : المعارضُ بالخلاف

[استعمركم فيها] جعلكم عمارها وسكانها

[تخسير] تضليل وإبعاد عن الخير

[حنيذ] مشوي يقال : حنذتُ الشاة أحنِذُها حنذاً أي شويتها

[نكِرهم] أنكرهم يقال : نكره وانكره واستنكره بمعنى واحد وهو أن يجده على غير ما عهده ، قال الشاعر : وأنكرتني وما كان الذي نكِرت من الحوادث إلا الشيبَ والصلَعا) فجمع الشاعر بين اللغتين

[أوجس] استشعر وأحس

[بعلي] زوجي .

التفسير :

[وإلى عاد أخاهم هودا] أي ولقد أرسلنا إلى قبيلة عاد نبياَ منهم اسمه هود عليه السلام

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[قال يا قوم أعبدوا الله] أي اعبدوا الله وحده دون الآلهة والأوثان

[ما لكم من إله غيره] أي ليس لكم معبود غير الله تعالى يستحق العبادة

[إن أنتم إلا مفترون] أي ما أنتم في عبادتكم غير الله ، إلا كاذبون عليه جل وعلا ، لأنه لا إله سواه

[يا قوم لا أسألكم عليه أجرا] أي لا أطلب منكم على النصح والبلاغ جزاء ولا ثوابا

[إن أجريَ إلا على الذي فطرني] أي ما ثوابي وجزائي إلا على الله الذي خلقني

[أفلا تعقلون] أي أتغفلون عن ذلك فلا تعقلون ؟ أن من يدعوكم الى الخير ، دون إرادة جزاءَ منكم ، هو لكم ناصح أمين ؟ والاستفهام للإِنكار والتقريع

[ويا قوم استغفروا ربكم] أي استغفروه من الكفر والإشراك

[ثم توبوا إليه] أي ارجعوا إليه بالطاعة والاستقامة على دينه والتمسك بالإيمان والتوحيد ؟

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[يرسل السماء عليكم مِدرارآ] أي يرسل عليكم المطر غزيرا متتابعا ، رُوي أن عادا كان حُبس عنهم المطر (ثلاث سنين) حتى كادوا يهلكون ، فأمرهم هود بالتوبة والاستغفار ، ووعدهم على ذلك بنزول الغيث والمطر ، وفي الآية دليل على أن التوبة والاستغفار ، سبب للرحمة ونزول الأمطار

[ويزدكُم قوةً إلى قوتكم] أي ويزدكم عزا وفخارا فوق عزكم ، وفخاركم ، قال مجاهد : شدة الى شدتكم ، فإنهم كانوا في غاية القوة والبطش حتى قالوا [من أشد منا قوة] ؟

[ولا تتولوا مجرمين] أي لا تعرضوا عما أدعوكم إليه ، مصرين على الإجرام ، وارتكاب الآثام

[قالوا يا هودُ ما جئتنا ببينة] أي ما جئتنا بحجة واضحة تدل على صدقك ، وإنما قالوه لفرط عنادهم ، او لشدة عَمَاهم عن الحق

[وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك] أى لسنا بتاركين عبادة الأصنام من أجل قولك

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وما نحن لك بمؤمنين] أي لسنا بمصدقين لنبؤتك ورسالتك ، والجملة تقنيط من دخولهم في دينه ، ثم نسبوه إلى آلخَبَل والجنون فقالوا

[إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء] أي ما نقول إلا أصابك بعض آلهتنا بجنون ، لمّا سببتَها ونهيتنا عن عبادتها ، قال الزمخشري : دلت أجوبتهم المتقدمة على أن القوم كانوا جفاة ، غلاظ الأكباد ، لا يلتفتون إلى النصح ، ولا تلين شكيمتهم للرشد ، وقد دل قولهم الأخير على جهل مفرط ، وبله متناه ، حيث اعتقدوا في حجارة أنها تنتصر وتنتقم

[قال إني أُشهدُ الله] أي قال لهم نبيُهم هود : إني أُشهدُ الله على نفسي

[واشهدوا أنى برئ مما تشركون من دونه] أي وأشهدكم أيضا أيها القوم بأنني برئ مما تشركون من دون الله من عبادة الأوثان والأصنام

[فكيدوني جميعا ثم لا تُنظرون] أي فاحتالوا في

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

هلاكي انتم وآلهتكم ، ثم لا تمهلوني طرفة عين ، قال أبو السعود : وهذا من أعظم المعجزات ، فإنه عليه السلام كان رجلا مفردا بين الجم الغفير من عتاة عاد ، الغلاظ الشداد ، وقد حقرهم وهيجهم بانتقاص آلهتهم ، وحثهم على التصدي له ، فلم يقدروا على مباشرة شيء ، وظهر عجزهم عن ذلك ظهورا بينا وقال الزمخشري : من أعظم الآيات ان يُواجه بهذا الكلام رجل واحد ، أمة عطاشا إلى إراقة دمه ، يرمونه عن قوس واحدة ، وذلك لثقته بربه وأنه يعصمه منهم ، فلا تنشب فيه مخالبهم ، ومثله قول نوح عليه السلام

[فأجمعوا أمركم وشركاءكم] ثم قال لهم

[اني توكلتُ على الله ربي وربكم] أي إني لجأت إلى الله وفوضت أمري إليه تعالى ، مالكي ومالككم

[ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها] أي ما من نسمة تدب على وجه الأرض ، إلا هي في قبضته وتحت قهره ، والأخذُ بالناصية تمثيل للملك والقهر ، والجملة تعليل لقوة توكْله على الله ، وعدم مبالاته بالخلق

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[إن ربى على صراط مستقيم] أي إن ربي عادل ، يجازي المحسن بإحسانه ، والمسيء بإساءته ، لا يظلم أحداً شيئا

[فان تولوا فقد أبلغتكم ما أُرسلت به إليكم] أي فإن تُعرضوا عن قبول دعوتي فقد ابلغتكم آيها القوم رسالة ربي ، وما على الرسول إلا البلاغ

[ويستخلفُ ربي قوما غيركم] أي فسوف يهلككم الله ، ويستخلف قوما آخرين غيركم ، وهذا وعيد شديد

[ولا تضرونه شيئا] أي لا تضرون الله شيئا باشراككم

[إن ربي على كل شيء حفيظ] أي إنه سبحانه رقيب على كل شيء ، وهو يحفظني من شركم ومكركم

[ولما جاء أمرنا] أي ولما جاء أمرنا بالعذاب ، وهو ما نزل بهم من الريح العقيم

[نجينا هودا والذين أمنوا معه برحمة منا] أي نجينا من العذاب هوداَ والمؤمنين ، بفضل عظيم ونعمة منا عليهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ونجيناهم من عذاب غليظ] أي وخلصناهم من ذلك العذاب الشديد ، وهي الريح المدمرة التي كانت تهدم المساكن ، وتدخل في انوف أعداء الله وتخرج من أْدبارهم ، وتصرعهم على وجوههم ، حتى صاروا كأعجاز نخل خاوية

[وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم] الإشارة لآثارهم أي تلك آثار المكذبين من قوم عاد ، انظروا ماذا حل بهم ، حين كفروا بالله ، وأنكروا آياته في الأنفس والأفاق الدالة على وحدانيته ؟

[وعصوا رسله] أي عصوا رسوله هودا ، وجمعه تفظيعا لحالهم ، واظهارا لكمال كفرهم وعنادهم ، ببيان أن عصيانهم له عصيان لجميع الرسل السابقين واللاحقين ، لاتفاق كلمتهم على التوحيد

[واتبعوا أمر كل جبار عنيد] أي أطاعوا أمر كل مستكبر على الله ، حائد عن الحق ، لا يُذعن له ولا يقبله ، وهم الرؤساء والكبراء

[وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة] أي وأُلحقوا باللعنة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والطرد من رحمة الله في الدنيا

[ويوم القيامة] أي ويوم القيامة أيضا تلحقهم اللعنة ، قال الرازي : جعل اللعن رديفاً لهمِ ومتابعا ومصاحبا في الدنيا والآخرة ، ومعنى اللعنة الإبعادُ من رحمة الله تعالى ومن كل خير

[ألا إن عادا كفروا ربهم] هذا تشنيع لكفرهم ، وتهويل بحرف التنبيه وبتِكرار اسم (عاد) أي ألا فانتبهوا أيها القومُ ، إن عادا كفروا بربهم إذ عبدوا غيره ، وجحدوا بنعمته إذ كذبوا رسوله ، فاستحقوا اللعنة في الدنيا ، واللعنة في الآخرة

[ألا بعدا لعاد قوم هود] أي أبعدهم الله من الخير ، وأهلكهم عن بكرة أبيهم ، وهي جملة دعائية بالهلاك واللعنة

[وإلى ثمود أخاهم صالحآ] أي ولقد أرسلنا إلى قوم ثمود نبيا منهم وهو (صالح) عليه السلام

[قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره] أي اعبدوا الله وحده ، ليس لكم رب معبود سواه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[هو أنشأكم من الأرض] أي هو تعالى ابتدأ خلقكم من الأرض ، فخلق آدم من تراب ، ثم ذريته من نطفة

[واستعمركم فيها] أيجعلكم عمارها وسكأنها تسكنون بها

[فاستغفروه ثم توبوا إليه] أي استغفروه من الشرك ثم ارجعوا إليه بالطاعة

[إن ربي قريب مجيب] أي إنه سبحانه قريب الرحمة مجيب الدعاء

[قالوا يا صالحُ قد كنت فينا مرجوا قبل هذا] أي كنا نرجو ان تكون فينا سيدا قبل تلك المقالة ، فلما قلتها انقطع رجاؤنا فيك

[أتنهانا أن نعبد ما يعبد أباؤنا] أي أتنهانا يا صالح عن عبادة الأوثان التي عبدها آباؤنا ؟

[وأننا لفي شك مما تدعونا إليه مريب] إي وإننا لشاكون في دعواك ، وأمرُك عندنا مريب يوجب التهمة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[قال يا قوم أرأيتم ان كنتُ على بينة من ربي] أي اخبروني إن كنتُ على برهان وحجة واضحة من ربي

[وآتانى منه رحمة] أي وأعطاني النبوة والرسالة

[فمن ينصرني من الله ان عصيته] أي فمن يمنعنى من عذاب الله ، إن عصيت أمره ؟

[فما تزيدونني غير تخسير] أي فما تزيدونني بمسايرتكم وعصيان أمر الله ، غير تضليل وإبعاد عن الخير ، قال الزمخشري : (غير تخسير) يعني تخسرون أعمالي وتبطلونها

[ويا قوم هذه ناقة آلله لكم آية] أضاف الناقة إلى الله تشريفا لها ، لأنها خرجت من صخرة صماء ، بقدرة آلله حسب طلبهم ، أي هذه الناقة معجزتي لكم وعلامة على صدقي

[فذروها تأكل في أرض الله] أي دعوها تأكل وتشرب في أرض الله ، فليس عليكم رزقها

[ولا تمسوها بسوءٍ فيأخذكم عذاب قريب] أي لا تنالوها بشئ من السوء ، فيصيبكم عذاب عاجل لا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يتأخر عنكم
[فعقروها فقال تمتعوا في داركم ثلاثة أيام] أي ذبحوا الناقة فقال لهم صالح : استمتعوا بالعيش في بلدكم (ثلأثة أيام) ثم تهلكون ، قال القرطبي : إنما عقرها بعضهم وأضيف إلى الكل ، لأنه كان برضى الباقين ، فعقرت يوم الأربعاء ، فأقاموا يوم الخميس والجمعة والسبت ، وأتاهم العذاب يوم الآحد
[ذلك وعد غير مكذوب] أي وعد حق غير مكذوب فيه
[فلما جاء أمرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه] أي فلما جاء أمرنا بإهلاكهم نجينا صالحا ومن آَمن به
[برحمة منا] أي بنعمة وفضل عظيم من الله
[ومن خزي يومئذ] أي ونجيناهم من هوان ذلك اليوم وذله
[إن ربك هو القوى العزيز] أى القوي في بطشه ، العزيز في ملكه ، لا يغلبه غالب ، ولا يقهره قاهر
[وأخذَ الذين ظلموا الصيحةُ فأصبحوآ في ديارهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

جاثمين] أي أخذتهم صيحةَ من السماء لقطعت لها قلوبهم ، فأصبحوا هامدين موتى لا حِرَاك بهم ، كالطير إذا جثمت على الأرض

[كأن لم يَغنوآ فيها] أي كأن لم يقيموآ في ديارهم ولم يَغمُروها

[أَلا أن ثموداً كفروا ربهم أَلا بعدا لثمود] أي ألا فانتبهوا أيها القوم إن ثمود كفروا بآيات ربهم ، فسُحقآ لهم وبُعْدأ ، وهلاكا ولعنة

[ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى] هذه هي القصة الرابعة وهي قصة (لوط) وهلاك قومه المكذبين أي جاءت الملائكةُ - الذين أرسلناهم لإِهلاك قوم لوط - إبراهيمَ بالبشارة بإسحاق ((البشرى هي البشارة بالولد ، وقيل : بهلاك قوم لوط ، قال الزمخشري : والظاهر الولد)) ، قال القرطبي : لما أنزل الله الملائكة لعذاب قوم لوط ، مروا بإبراهيم فظنهم أضيافا ، وهم (جبريل وميكائيل واسرافيل) قاله ابن عباس ، وقال السدي : كانوا أحد عشر مَلَكاَ على صورة الغلمان الحسان

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الوجوه

[قالوا سلاماً] أي سلموا عليه بقولهم (السلام عليكم)

[قال سلام] أي قال لهم إبراهيم : سلام عليكم ، قال المفسرون : رد عليهم التحية بأحسن من تحيتهم ، لأنه جاء بها جملة اسمية وهي تدل على الثبات والاستمرار

[فما لبثَ أن جاء بعجل حنيذ] أي فما أبطأ ولا تأخر مجيئه ، حتى جاءهم بعجل مشوى فقدمه لهم ، والعجل ، ولد البقرة ويسمى " الحسيل " وكان مال إبراهيم عليه السلام البقر ، و(الحنيذ) المشوى بالحجارة المحماة في أخدود ، وقيل : الذي يقطر دسمه ويدل عليه (بعجل سمين)

[فلما رءآ أيديهم لا تصل إليه نكَرِهم] أي فلما رآهم لا يمدون أيديهم إلى الطعام ، ولا يأكلون منه أنكرهم

[وأوجس منهم خيفة] أي أحس منهم الخوف والفزع ، قال قتادة : كان العرب إذا نزل بهم ضيف فلم يطعم من طعامهم ، ظنوا أنه لم يجيء بخير ، وأنه جاء

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يحدث نفسه بشرٌ

[قالوا لا تخف إنا أُرسلنا إلى قوم لوط] أي قالت الملائكة : لا تخف فإنا ملائكة ربك لا نأكل ، وقد اُرسلنا لإهلاك قوم لوط

[وامرأته قائمة فضحكت] أي وامرأة (إبراهيم) واسمها (سارة) قائمة وراء الستر تسمع كلامهم ، فضحكت استبشارا بهلاك قوم لوط

[فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب] أي بشرتها الملائكة بإسحاق ولدا لها ، ويأتيه مولود هو يعقوب ابنا لولدها

[قالت يا يويلتا أألد وأنا عجوزٌ وهذا بعلي شيخاً] أي قالت سارة متعجبة : يا لهفي وياعجبي ! ! أألد وأنا امرأة مسنة وهذا زوجي إبراهيم شيخ هرم أيضا ، فكيف يأْتينا الولد ؟

[إن هذا لشئ عجيب] أي إن هذا الأمر لشيء غريب لم تجر به العادة ، قال مجاهد : كانت يومئذ ابنة تسع وتسعين سنة ، وإبراهيم ابن مائة وعشرين سنة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[قالوا أتعجبين من أمر آلله] أي أتعجبين من قدرة الله وحكمته ، في خلق الولد من زوجين هرمين ؟ ليس هذا بمكان عجب على قدرة الله

[رحمت الله وبركاته عليكم أهل البيت] أي رحمكم الله وبارك فيكم يا أهل بيت إبراهيم

[إنه حميد مجيد] أي إنه تعالى محمود ممجد في صفاته وذاته ، مستحق للحمد والتمجيد من عباده ، وهو تعليل بديع لما سبق من العبارة.

البلاغه :

1 - [يرسل السماء عليكم مدراراً] المراد بالسماء (المطر) فهو (مجاز مرسل لأن المطر ينزل من السماء ، ولفظ " مدراراً " للمبالغة أي كثير الدر .

2 - [فكيدوني جميعا] أمر بمعنى التعجيز والتحقير لهم .

3- [ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها] فيها استعارة تمثيلية ، شبه الخلق وهم في قبضة الله وملكه ، وتحت قهره وسلطانه ، بالمالك الذي يقود المقدور عليه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بناصيته ، كما يقاد الأسير والفرس بناصيته .

4 - [إن ربي على صراط مستقيم] استعارة لطيفة عن كمال العدل في ملكه تعالى ، فهو مطلع على أمور العباد لا يفوته ظالم ، ولا يضيع عنده معتصم به .

5 - [ولما جاء أمرنا] الأمر كناية عن العذاب الذي وُعدوا به .

6 - [نجينا هودا . . ونجيناهم من عذاب غليظ] التكرار في لفظ الإنجاء لبيان أن الأمر شديد عظيم ، لا سهل يسير ، ويسمى هذا الإِطناب .

7 - [وعصوا رسله] أي عصوا رسولهم هودا ، وفيه تفظيع لحالهم وبيان ان عصيانهم له عصيان لجميع الرسل السابقين واللاحقين ، وهو " مجاز مرسل " من باب إطلاق الكل وإرادة البعض .

8 - [ألا إن عاداً . . ألا بعداً لعاد] تكرير حرف التنبيه وإعادة لفظ " عاد " للمبالغة في تهويل حالهم ، وتفظيع عذابهم .

تنبيه :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لم يقل هود عليه آلسلام : إِني أُشهد الله وأشهدكم وِانما قال : [إِني أُشهد آللهَ واشهدوا أني بريء مما تشركون] وذلك لئلا يفيد التشريك بين الشهادتين والتسوية بينهما ، فأين شهادة الله العلي الكبير من شهادة العبد الحقير

قال الله تعالى : [فلما ذهب عن إبراهبم الروع . .] إلى قوله [ويوم القيامة بئس الرفد المرفود] هن آية (74) إلى آية (99) .

المناسبة :

لا تزال الآيات تتحدث عن قصة ضيوف اِبراهيم ، وهم الملائكة الذين مروا عليه ، وهم بطريقهم لإِهلاك قوم لوط ، وبشروه بالبشارة السارة بولادة غلام له ، وقد ذكرت الآيات مرورهم على (لوط) وما حل بقومه من النكال والدمار ، وهي القصة الخامسة ، لم ذكرت قصة (شعيب) مع أهل مدين ، وقصة (موسى) مع فرعون ، وفي جميع هذه القصص عبر وعظات .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

اللغة :

[الروع] الخوف والفزع

[منيب] الإنابة : الرجوع وا لتوبة

[عصيب] شديد في الشر ، قال الشاعر : وِانك إِلأ تُرض بكرَ بن وائل! يكن لك يوم بالعراق عصيب

[يهرعون] يسرعون قال الفراء : الإهراع الإسراع مع رِعدة يقال أُهرع الرجل إهراعأ أي أسرع فى رعدة من برد أو غضب)

[تُخزون] أخزاه : أهانه وأذله ، قال حسان : فأخزاكَ ربي يا عُتَيبَ بن مالكٍ ولقاك قبل الموتِ إِحدى الصواعق

[سجيل] السجينوالسجيل : الشديد من الحجر قال أبو عبيدة ، وقال الفراء : طينْ طبخ حتى صار كالآجر

[منضود] متتابع بعضه فوق بعض في النزول

[مسومة] معلمة من السيما وهي العلامة

[شقاقي] الشقاق : العداوة قال الشاعر : ألا من مبلغ عنى رسولآ فكيف وجدتم طعم الشقاق

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[رهطك] رهط الرجل : عشيرته التي يتقوى بهم

[الورد] المدخل

[الرفد] العطاء والإعانة .

التفسير :

[فلما ذهبَ عن إبراهيم الروع] أي فلما ذهب عن إبراهيم الخوفُ الذي أوجسه في نفسه ، واطمأن قلبه لضيوفه ، حين علم أنهم ملائكة

[وجاءته البشرى] أي جاءته البشارة بالولد

[يجادلنا في قوم لوط] أي أخذ يجادل ملائكتنا في شأن إهلاك قوم لوط ، وغرضُه تأخير العذاب عنهم لعلهم يؤمنون ، قال المفسرون : لما قالت الملائكة :

[إنا مهلكو أهل هذه القرية] قال لهم : أرأيتم إن كان فيها خمسون من المسلمين أتهلكونهم ؟ قالوا : لا ، قال : فأربعون ؟ قالوا : لا ، فما زال يتنزل معهم حتى قال لهم : أرأيتم إن كان فيها رجل واحد مسلم أتهلكونهم ؟ قالوا : لا ، فقال لهم [ان فيها لوطا ، قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينْه وأهله اِلا امرأته كانت من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الغابرين]

[ان إبراهيم لحليم] أي غير عجول في الانتقام من المسيء إِليه

[أواه] أي كثير التأوه والتأسف على الناس ، لرقة قلبه ،

[منيب] رجاع إِلى طاعة الله

[يا إبراهبم أعرض عن هذآ] أي قالت الملائكة : يا إبراهيم دع عنك الجدال في قومِ لوط ، فقد نفذ القضاء بعذابهم

[اِنه قد جاء أمر ربك] أي جاء أمر الله بإهلاكهم

[واِنهم آتيهم عذاب غير مردود] اي نازل بهم عذاب غير مصروف عنهم ولا مدفوع

[ولما جاءت رسلُنا لوطآ سيء بهم] أي ولما جاءت الملائكة (لوطا) أصابه سوء وضجر ، لأنه ظن أنهم من البشر ، فخاف عليهم من قومه

[وضاقَ بهم ذرعا] أي ضاق صدره بمجيئهم ، خشيةْ عليهم من قومه الأشرار

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وقال هذا يوم عصيب] أي شديد في الشر
[وجاءه قومُه يُهرعون إِليه] أي جاء قومه يسرعون إِليه ، لطلب الفاحشة بالضيوف ، كأنهم يدفعون إِلى ذلك دفعا
[ومن قبلُ كانوا يعملون السيئات] أي ومن قبل ذلك الحين ، كانت عادتهم إِتيان الرجال وعمل الفاحشة ، فلذلك لم يستحيوا حين جاءوا يهرعون لها مجاهرين ، قال القرطبي : وكان سبب اِسراعهم ان امرأة (لوط) الكافرة لما رأت الأضياف وجمالهم ، خرجت حتى أتت مجلس قومها فقالت لهم : إِن لوطاً قد أضاف الليلة فتيةَ ما رآيت مثلهم جمالا! ! فحينئذ جاءوا يُهرعون إليه
[قال يا قوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم] أي قال لهم لوط : هؤلاء نساء البلدة أُزوجكم بهن ، فذلك أطهر لكم وأفضل ، وِانما قال [بناتي] لأن كل نبى أب لأمته في الشفقة والتربية
[فاتقوا الله ولا تخزون في ضيفي] أي اخشوا عذاب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الله ، ولا تفضحوني وتهينوني في ضيوفي
[أليس منكم رجل رشيد] أي استفهام توبيخ أي أليس فيكم رجل عاقل يمنع عن القبيح ؟

[قالوا لقد علمت ما لنا فى بناتك من حق] أي قال له قومه : لقد علمت يا لوط ما لنا في النساء من أرب ، وليس لنا رغبة فيهن
[وآِنك لتعلم ما نريد] أي وأنت تعلم غرضنا وهو إتيان الذكور ، صرحوا له بغرضهم الخبيث قبحهم الله
[قال لو أن لي بكم قوة] أي لو كان لي قوة استطيع ان ادفع آذاكم بها
[أو آوي إلى ركنٍ شديد] أي ألجأ إِلى عشيرة وأنصار تتصرني عليكم ، وجواب " لو " محذوف تقديره لبطشتُ بكم ، وفي الحديث (رحم الله أخي لوطا لقد كان يأوي إِلى ركن شديد) يريد (ص) أن الله كان ناصره ومؤيده ، فهو ركنه الشديد وسنده القوي ، قال قتادة : وذكر لنا ان الله تعالى لم يبعث نبيا بعد لوط إلا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

في مَنَعَةِ من عشيرته ، وحين سمع رسل الله تعالى ، تحسر لوط على ضعفه وانقطاعه من الأنصار

[قالوا يا لوطُ إنا رسل ربك لن يصلوا اليك] أي قالت الملائكة للوط : إِنا رسلُ ربك أرسلنا لاهلاكهم ، لاِنهم لن يصلوا إليك بضرر ولا مكروه

[فأَسر بأهلك بِقطع من الليل] أي اخرج بهم بطائفة من الليل ، قال الطبري : أي اخرج من بين اظهرهم أنت وأهلك ببقية من الليل

[ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك] أي لا ينظر أحد منكم ورآءه ، إِلا امرأتك فاِنها ستهلك كما هلكوا ، نهوا عن الالتفات لئلا تتفطر أكبادهم على قريتهم ، قال القرطبى : إإن امرأة لوط لما سمعت هدة العذاب التفتت وقالت : واقوماه ! فأدركها حجر فقتلها

[اِنه مصيبُها ما أصابهم] أي إِنه يصيب امرأتك من العذاب ما اصاب قومك

[إِن موعدهم الصبحُ] أي موعد عذابهم وهلاكهم الصبحُ

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[أليس الصبحُ بقريب] استعجلهم بالعذاب لغيظه على قومه ، فقالوا له : أليس وقت الصبح قريباً ؟ قال المفسرون : إِن قوم لوط لما سمعوا بالضيوف هرعوا نحوه ، فأغلق بابه واخذ يجادل قومه عنهم من وراء الباب ، فتسوروا الجدار ، فلما رأت الملائكة ما بلوط من الكرب ، قالوا يا لوط : افتح الباب ودعنا وإِياهم ، ففتح الباب فضربهم جبريل بجناحه ، فطمس أعينهم وعموا ، وانصرفوا على أعقابهم يقولون : النجاءَ ، النجاء كما قال تعالى [ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم] ثم إِن لوطا سرى بمن معه قبل الفجر ، ولما حان وقت عذابهم أمر الله جبريل فأقتلع مَدائن قوم لوط - وهي خمس - من تخوم الأرض حتى أدنأها من السماء بما فيها ، حتى سمع أهل السماء صراخ الديكة ، ونباح الكلاب ، ثم أرسلها مقلوبة ، واتبعهم الله بالحجارة ، ولهذا قال تعالى

[فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافِلَها] أي فلما جاء وقت العذاب قلبنا بهم القرى فجعلنا العالى سافلا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وأمطرنا عليها حجارة من سجيل] أي أرسلنا على أهل تلك المدن ، حجارة صلبة شديدة من نارٍ وطين ، شبهها بالمطر لكثرتها وشدتها

[منضود] أي متتابعة ، بعضُها في إِثر بعض

[مسومة عند ربك] أي معلمة بعلامة ، قال الربيع : قد كُتِب على كل حجر اسم من يرمَى به ، قال القرطبي : وقوله [عند ربك] دليل على أنها ليست من حجارة الأرض

[وما هي من الظالمين ببعيد] أي ما هذه القرى المهلكة ببعيدة عن قومك (كفار قريش) فإِنهم يمرون عليها في أْسفارهم أفلا يعتبرون ؟ قال المفسرون : وقد صار موضع تلك المدن بحراً أجاجا يعرف ب " البحر الميت لأن مياهه لا تغذي شيئا من الحيوان ، وقد اشتهرت باسم " بحيرة لوط ، والأرض التي تليها قاحلة لا تنبتُ شيئا .

[وإِلى مدين أخاهم شعيبا] هذه هي القصة السادسة من القصص المذكورة في هذه السورة أي وأرسلنا إِلى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قبيلة مدين أخاهم (شعيبا) وقد كان شعيب من نفس القبيلة ولهذا قال " أخاهم "
[قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إِله غيره] أي اعبدوا الله وحده ، فليس لكم رب سواه
[ولا تنقصوا المكيال والميزان] أي لا تنقصوا الناس حقوقهم في المكيال والميزان ، وقد اشتهروا بتطفيف الكيل والوزن

[إني أراكم بخير] أي إني أراكم في سعة ، تغنيكم عن نقص الكيل والميزان ، قال القرطبي : أي في سعة من الرزق ، وكثرفي من النعم
[وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط] أي إِني أخاف عليكم إن لم تؤمنوا عذاب يوم مهلك ، لا يفلت منه أحد ، والمراد به عذاب يوم القيامة
[ويا قوم أوفوا المكيالَ والميزان بالقسط] أى أتموا الكيل والوزن للناس بالعدل
[ولا تبخسوا الناسَ أشياءهم] أي لا تُنقصوهم من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

حقوقهم شيئاً

[ولا تعثوا في الأرض مفسدين] أي ولا تسعوا بالفساد في الأرض ، والعثى أشد الفساد

[بقية الله خير لكم إِن كنتم مؤمنين] أي ما أبقاه آلله لكم من الحلال خير مما تجمعونه من الحرام ، إن كنتم مصدقين بوعد الله ووعيده ، وقال مجاهد : أي طاعة الله خير لكم

[وما أنا عليكم بحفيظ] أي ولستُ برقيب أحفظ عليكم أعمالكم وأجازيكم بها ، وِانما أنا ناصح مبلغ ، وقد أعذر من أنذر

[قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد أباؤنا] لما أمرهم شعيب عليه السلام بعبادة الله تعالى وترك عبادة الأوثان ، وبإِيفاء الكيل والميزان ، ردوا عليه على سبيل السخرية والاستهزاء فقالوا : أصلاتك تدعوك لأن تأمرنا بترك عبادة الأصنام التي عبدها أباونا ؟ إِن هذا لا يصدر عن عاقل

[أو أن نفعلَ في أموالنا ما نشاء] أي وتأمرك بأن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

نترك تطفيف الكيل والميزان ؟ ! قال الإمام الفخر : إن شعيبا أمرهم بشيئين : بالتوحيد ، وترك البخس ، فأنكروا عليه أمره بهذين النوعين فقوله [ما يعبد أباونا] إِشارة إِلى (التوحيد) وقوله [نفعل في أموالنا] إشارة إلى (ترك البخس) وقد يراد بالصلاة : الدينُ ، والمعنى : دينُك يأمرك بذلك ؟ وأطلق عليه الصلاة لأنها أظهر شعار الدين ، وروي أن شعيبا كان كثير الصلاة ، وكان قومه إِذا رأوه يصلى تغامزوا وتضاحكوا ، فقصدوا بقولهم [أصلاتك تأمرك] السخرية والهزء ، كما إِذا رأيت معتوهاً يطالع كتبا ثم يذكر كلاما فاسداَ ، فتقول : هذا من مطالعة تلك الكتب ؟

[إِنك لأنتَ الحليمُ الرشيد] أي إنك لأنت العاقل ، المتصف بالحلم والرشد ؟ قال الطبري : يستهزئون به ، فاِنهم أعداء الله قالوا له ذلك استهزاء ، وإنما سفهوه وجهلوه بهذا الكلام

[قال يا قوم أرأيتم اِن كنتُ على بينة من ربي] أي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قال لهم شعيب : أخبروني إِن كنت على برهان من ربي وهو الهداية والنبوة

[ورزقني منه رزقا حسنأ] أي أعطاني المال الحلال ، فقد كان عليه السلام كثير المال ، قال الزمخشري : والجواب محذوف دل عليه آلمعنى أي أخبروني اِن كنت على حجة واضحة ، ويقين من ربي ، وكنتُ نبيا على الحقيقة ، أيصح لي أن لا أمركم بترك عبادة الأوثان ، والكف عن المعاصي ؟ والأنبياء لا يُبعثون إِلا لذلك

[وما أريد أن أخالفكم إِلى ما أنهاكم عنه] أي لست أنهاكم عن شيء وأرتكبه وإنما آمركم بما أمر به نفسي

[إِن أريد اِلا الإصلاح ما استطعت] أي لا أريد فيما آمركم به وأنهاكم عنه ، إِلا إِصلاحكم وِاصلاح أمركم بقدر استطاعتي

[وما توفيقي اِلا بالله] أي ليس التوفيق إِلى الخير إِلا بتأييده سبحانه ومعونته

[عليه توكلت وإليه أنيب] أي على الله سبحانه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

اعتمدت في جميع أموري ، وِإليه تعالى أرجع بالتوبة والإِنابة
[ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي] أي لا يكسبنكم عداوتي
[أن يصيبكم مثلُ ما أصابَ قومَ نوح أو قومَ هود أو قومَ صالح] أي يصيبكم العذابُ كما أصاب قوم نوح بالغرق ، وقوم هود بالريح ، وقوم صالح بالرجفة ، وقال الحسن : المعنى : لا يحملنكم معاداتي على ترك الإيمان ، فيصيبكم ما أصاب الكفار
[وما قومُ لوطِ منكم ببعيد] أي وما ديار الظالمين من قوم لوط بمكان بعيد عنكم ، أفلا تتعظون وتعتبرون ! ؟

[واستغفروا ربكم ثم توبوا ِإليه] أي استغفروا ربكم من جميع الذنوب ، ثم توبوا ِإليه توبة نصوحا
[ِإن ربي رحيم ودود] أي إنه جل وعلا عظيم الرحمة ، كثير الود والمحبة لمن تاب وأناب
[قالوا يا شعيبُ ما نَفقه كثيرا مما تقول] أي قالوا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لنبيهم شعيب على وجه الاستهانة : ما نفهم كثيراً مما تحدثنا به ، جعلوا كلامه المشتمل على فنون الحِكَم والمواعظ ، وأنواع العلوم والمعارف ، من قبيل التخليط والهذيان الذي لا يُفهم معناه ، ولا يدرك فحواه مع انه كما ورد في الحديث الشريف (خطيب الأنبياء)

[وإنا لنراك فينا ضعيفاً] أي لا قوة لك ولا عزة لك فيما بيننا

[ولولا رهطُك لرجمناك] أي ولولا جماعتك لقتلناك رميا بالأحجار

[وما أنتَ علينا بعزيز] أي لستَ عندنا بمكرم ولا محترم حتى نمتنع من رجمك

[قال يا قوم أرهطي أعزُّ عليكم من الله] ؟ هذا توبيخ لهم ، أي أتتركوني لأجل قومي ، ولا تتركوني إعظاما لجناب الرب تبارك وتعالى ؟ فهل عشيرتى أعز عندكم من الله وأكرم ؟ قال ابن عباس : إِن قوم شعيب ورهطه كانوا أعز عليهم من الله ، وصغُر شأنُ الله عندهم ، عز ربنا وجل ثناؤه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[واتخذتموه وراءكم ظهريا] أي جعلتم الله خلف ظهوركم لا تطيعونه ولا تعظمونه ، كالشيء المنبوذ وراء الظهر ، لا يُعبأ به ، وهذا مثل ، قال الطبري : يقال للرجل إذا لم يقضِ حاجة الرجل : نبذ حاجته وراء ظهره أي تركها ولم يلتفت إليها

[إن ربى بما تعملون محيط] أي إنه جل وعلا قد أحاط علما بأعمالكم السيئة وسيجازيكم عليها

[ويا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل] تهديد شديد أي اعملوا على طريقتكم ، إني عامل على طريقتي ، كأنه يقول : اثبتوا على ما أنتم عليه من الكفر والعداوة ، فأنا ثابت على الإسلام والمصابرة

[سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه] أى سوف تعلمون الذي يأتيه عذاب يذله ويهينه

[ومن هو كاذب] أي وتعلمون من هو الكاذب

[وارتقبوا إني معكم رقيب] أي انتظروا عاقبة أمركم ، أنني منتظر معكم

[ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

منا] أي ولما جاء أمرنا باهلاكهم ، نجينا شعيبا والمؤمنين معه بسبب رحمة عظيمة منا لهم

[وأخذت الذين ظلموا الصيحة] أي وأخذ أولئك الظالمين صيحة العذاب ، قال القرطبي : صاح بهم جبريل صيحة فخرجت أرواحهم من أجسادهم

[فأصبحوا في ديارهم جاثمين] أى موتى هامدين لا حراك بهم ، قال ابن كثير : وذكر ههنا أنه أتتهم (صيحة) ، وفى الأعراف (رجفة) ، وفي الشعراء (عذاب يوم الظلة) ، وهم أمةً واحدة اجتمع عليهم يوم عذابهم ، هذه النقم كلها ، وإنما ذكر في كل سياق ما يناسبه

[كأن لم يغنوا فيها] أي كأن لم يعيشوا ويقيموا فى ديارهم قبل ذلك

[ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود] قال الطبري : أي ألا أبعد الله مدين من رحمته بِاحلال نقمته ، كما بعدت من قبلهم ثمود من رحمته ، بإِنزال سخطه بهم

[ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين] هذه هي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

القصة السابعة وهي آخر القصص في هذه السورة الكريمة ، والمعنى : لقد أرسلنا موسى بشرائع وأحكام وتكاليف إِلهية ، وأيدناه بمعجزات قاهرة ، وبينات باهرة ، كالعصا واليد

[إِلى فرعون وملأه] أي إِلى فرعون ، وأشراف قومه

[فاتبعوا أمر فرعون] أي فأطاعوا أمر فرعون ، وعصوا أمر الله

[وما أمرُ فرعون برشيد] أي وما أمر فرعون بسديد ، لأنه ليس فيه رشد ولا هدى ، وإِنما أمرهُ جهل وضلال

[يقدُم قومَه يوم القيامة] أي يتقدم أمامهم إِلى النار يوم القيامة ، كما كان يتقدمهم في الدنيا

[فأوردهم النار] أى أدخلهم نار جهنم

[وبئس الوردُ المورود] أي بئس المدخل المدخول نار الجحيم ! !

[وأتبعوا في هذه لعنة] أى ألحقوا فوق العذاب الذى عجله الله لهم ، لعنة في الدنيا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ويوم القيامة] أي واردفوا بلعنة أخرى يوم القيامة [بئس الرفد المرفود] أي ساء العونُ المعان ، والعطاء المُغطى لهم ، وهو اللعنة في الدارين .

البلاغه :

1 - [ذهب الروعُ . . وجاءته] بينهما طباق وهو من المحسنات البديعية .

2 - [جاء أمر ربك] كناية عن العذاب الذي قضاه آلله لهم .

3 - [أليس منكم رجل رشيد] الاستفهام للتعجب والتوبيخ .

4 - [أو آوي إلى ركن شديد] قال الشريف الرضي : وهذه استعارة والمراد بها قومه وعشيرته ، جعلهم ركنا له ، لأن الإنسان يلجأ اِلى قبيلته ، ويستند إلى أعوانه ، كما يستند إِلى ركن البناء الرصين ، وجاء جواب " لو " محذوفا تقديره : لحُلت بينكم وبين ما هممتم به من الفساد ، والحذف ههنا أبلغ ، لأنه يوهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بعظيم الجزاء وغليظ النكال .

5 - [عاليها سافلها] بينهما طباق .

6 - [عذاب يوم محيط] فيه (مجاز عقلي) أسند الإحاطة لليوم ، مع أن اليوم ليس بجسم وإنما جاء باعتبار ان العذاب يكون فيه ، فهو إسناد للزمان .

7 - [واتخذتموه وراءكم ظهريا] فيه (استعارة تمثيلية) كالشيء الذي يلقى وراء الظهر ولا يكترث به .

8 - [فأوردهم النار] فيه (استعارة مكنية) لأن الورود في الأصل يقال للمرور على الماء للاستسقاء منه ، فشبه النار بماء يورد ، وحذف ذكر المشبه به ورمز له بشئ من لوازمه وهو (الورود) وشبه فرعون في تقدمه على قومه بمنزلة من يتقدم على الواردين إِلى الماء ليكسر العطش وقوله [وبئس الورد المورود] تأكيد له ، لأن الورد إنما يورد لتسكين العطش وتبريد للأكباد ، وفي النار إلهاب للعطش وتقطيع للأكباد ، نعوذ بالله من نار جهنم .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قال الله تعالى : [ذلك من أنباء القرى نقصه عليك . . إلى . . وما ربك بغافل عما تعملون] من أية (100) إلى أية (123).

المناسبة :

لما ذكر تعالى بعض قصص المرسلين ، وما حل بأممهم من النكال والدمار ، ذكر هنا العبرة من سرد هذه القصص ، وهي أن تكون شاهدا على تعجيل العقوبة للمكذبين ، والانتقام العاجل منهم ، وبرهانا على تأييد الله ونصرته لأوليائه وأنبيائه ، وقد ذكرت الآيات يوم القيامة ، وانقسام الناس فيه إِلى فريقين : (سعداء) ، و(أشقياء) ، وختمت السورة الكريمة بأمر الرسول ، بالصبر على الأذى ، والتوكل على الحي القيوم .

اللغة :

[حصيد] مستأصل كالزرع المحصود

[تتبيب] التباب : الهلاك والخسران ، قال لبيد : فلقد بَليتُ وكل صاحب جدة لبلي يعودُ وذاكم التتبيب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[زفير] الزفير : إِخراج النفَس من شدة الجرى

[وشهق] الشهيقُ : رد النفَس وقال الليث : الزفير أن يملأ الرجل صدره من النًّفَس في حال الغم الشديد ويخرجه ، والشهيقُ ان يخرج ذلك النًّفَس بشدة وقال بعض أهل اللغة : الزفير مثل أول نهيق الحمار ، والشهيق مثل آخره

[مجذوذ] مقطوع ، من جَذه يخذه إِذا قطعه

[تركنوا] الركون : الميلُ إِلى الشيء والرضا به

[زلفآ] الزلف : جمع زُلفة وهي الطائفة من أول الليل ، قال ثعلب : هي أول ساعات الليل ، وأصلها من الزلفى وهى القربة

[وأزلفت الجنة] قربت

[أُترفوآ] الترف : البطر يقال فلان مترف أي أبطرته النعمة وسعة العيش

[مرية] شك وريب .

سبب النزول :

عن ابن مسعود ان رجلا جاء إلى النبى (ص) فقال :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إنى عالجتُ امرأة في أقصى المدينة ، وإنى أصبتُ منها من دون ان أمسها ، وأنا هذا فاقض فيء ما شئتَ ! فقال له عمر : لقد سترك الله لو سترت على نفسك ! ! فلم يرد عليه رسول الله ، شيئا ، فانطلق الرجل ، ونزلت هذه الآية [وأقم الصلاة طرفى النهار وزُلفآ من الليل إِن الحسناتِ يذهبن السيئات] فأتبعه رسول الله ، رجلا فدعاه فتلاها عليه .

التفسير :

[ذلك من أنباء القرى نقصه عليك] أى ذلك القصص من أخبار القرى التي أهلكنا أهلها ، بكفرهم وتكذيبهم الرسل ، نقصه عليك يا أيها الرسول ، ونخبرك عنه بطريق الوحي

[منها قائم وحصيد] أي من هذه القرى ما هو عامر ، قد هلك أهلُه وبقي بنيانُه ، ومنها ما هو خراب قد اندثر بأهله ، فلم يبق له أثر كالزرع المحصود

[وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم] أي وما ظلمناهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بإهلاكهم بغير ذنب ، ولكن ظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصي ، فاستحقوا عذاب الله ونقمته

[فما أغنت عنهم آلهتهم التى يدعون من دون الله من شيء] أي ما نفعتهم آلهتهم التي عبدوها من دون الله ، ولا دفعت عنهم شيئا من عقاب الله وعذابه

[لما جاء أمر ربك] أي حين جاء قضاء الله بعذابهم

[وما زادوهم غيرتتبيب] أي وما زادتهم تلك الآلهة غير تخسير وتدمير

[وكذلك أخذ ربك إذا أَخَذَ القرى وهي ظالمة] أي مثل ذلك الأخذ والإهلاك ، الذي أخذ الله به أهل القرى الظالمين المكذبين ، يأخذ تعالى بعذابه الفجرة الظلمة ، قال الألوسي : وفي الآية من إنذار الظالم ما لا يخفى ، كما قال عليه السلام : (إِن الله ليُملي للظالم حتى إذآ أخذه لم يفلته) ثم قرأ الآية

[اِن أخذه أليم شديد] أي إِن عذابه موجع شديد ، وهذا مبالغة في التهديد والَوعيد

[إِن في ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة] أي إِن في

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

هذه القصص والأخبار ، لعظة وعبرة لمن خاف عذاب الله ، وعقابه في الآخرة

[ذلك يوم مجموع له الناس] أي يجتمع فيه الخلائق للحساب والثواب والعقاب

[وذلك يوم مشهود] أي يشهده أهل السماء والأرض ، والأولون والأخرون ، قال ابن عباس : يشهده البر والفاجر

[وما نؤخره إلا لآجل إلا معدود] أي ما نؤخر ذلك اليوم يوم القيامة إِلا لزمن معيَّن ، سَبَق به قضاء الله ، لا يتقدم عليه ولا يتأخر

[يوم يأت لاتَكَلمُ نفس إِلا باِذنه] أي يوم يأتي ذلك اليوم الرهيب لا يتكلم أحد إِلا بإِذن الله تعالى

[فمنهم شقي وسعيد] أي فمن أهل آلموقف شقى ، ومنهم سعيد كقوله [فريق في الجنة وفريق في السعير]

[فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق] أي فأما الأشقياء الذين سبقت لهم الشقاوة ، فاِنهم مستقرون

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

في نار جهنم ، لهم فيها من شدة كربهم [زفير] وهو إِخراج النفَس بشدة [وشهيق] وهو رد النفس بشدة ، قال الطبري : صوتُ الكافر في النار صوت الحمار ، أوله زفير وآخره شهيق

[خالدين فيها ما دامت السموات والأرض] أي ماكثين في جهنم أبدا على الدوام ، ما دامت السموات والأرض ، قال الطبري : إِن العرب إِذا ارادت أن تصف الشيء بالدوام أبدا قالت : هذا دائمَ دوام السموات والأرض ، بمعنى أنه دائم أبدا ، فخاطبهم جل ثناؤه بما يتعارفون به بينهم ، وقال ابن زيد : ما دامت السماء سماء والأرض أرضا ، والمعنى خالدين فيها أبدا وقال الزمخشري : فيها وجهان : أحدهما : ان تراد سموات الآخرة وأرضها وهي دائمة مخلوقة للأبد ، والثاني : ان يكون عبارة عن التأييد ونفي الانقطاع

[إِلا ما شاء ربك] الاستثناء في أهل التوحيد ، لأن لفظة [شقوا] تعم الكفار والمذنبين ، فاستثنى الله من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

خلود أهل الشقاوة ، العصاةَ من المؤمنين ، فإِنهم يُطَهرون في نار جهنم ، ثم يخرجون منها بشفاعة سيد المرسلين ، ويدخلهم الله الجنة ويقال لهم : [طبتم فادخلوها خالدين]

[إِن ربك فعال لما يريد] أي يفعل ما يريد يرحم ويعذب كما يشاء ويختار ، لا معقب لحكمه ، ولا راد لقضائه

[وأما الذين سُعِدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السمواتُ والأرضُ إِلا ما شاء ربك] هذا بيانْ لحال الفريق الثاني (أهل السعادة) اللهم اجعلنا منهم ، أي وأْما السعداء الأبرار فإِنهم مستقرون في الجنة ، لا يُخْرجون منها أبدا ، دائمون فيها دوام السموات والأرض ، ما دامت سموات الجنة ، وأرض الجنة ، حسب مشيئته تعالى ، وقد شاء تعالى لهم الخلود والدوام

[عطاءَ غير مجذوذ] أي عطاءَ غير مقطوع عنهم ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بل هو ممتد إِلى غير نهاية
[فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء] أي لا تكن في شكٍ من عبادة هؤلاء المشركين ، في أنها ضلال ، بمعنى لا تشك في فساد دينهم
[ما يعبدونَ اِلا كما يعبدُ آباؤهم من قبلُ] أي هم مقلدون لآبائهم تقليداً أعمى ، من غير حجة ولا برهان ، وهذه تسلية للرسول ، ووعد له بالانتقام منهم ، إِذ حالُهم حالُ من سبقهم من الضالين المكذبين ، وقد بلغك ما نزل بأسلافهم ، فسينزل اللهُ بهم مثله
[وإنا لموفوهم نصيبهم غير منقوص] أي وسنعطيهم جزاءهم من العذاب كاملا غير منقوص ، وقال ابن عباس : ما قُدر لهم من الخير والشر
[ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلفَ فيه] يقول تعالى مسليا نبيه عن تكذيب مشركي قومه له : لا يحزنك يا محمد تكذيب هؤلاء لك ، فلقد اَتينا موسى التوراة ، كما آتيناك الفرقان ، فاختلف في ذلك الكتاب ، فكذب به بعضُهم ، وصدق به بعضُهم ، كما فعل قومك

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم] أي ولولا حكم الله السابق ، بتأخير الحساب والجزاء إلى يوم القيامة ، لقضي بينهم في الدنيا ، فجوزي المحسن بإحسانه ، والمسيء بإساءته ، ولكن سبق القدر بتأخير الجزاء إِلى يوم الحساب

[وانهم لفي شكٍ منه مريب] أي وإن كفار قومك لفي شك من هذا القرآن مُريب لهم ، إِذ لا يدرون أحق هو أم باطل ؟

[وإِن كلا لما ليوفينهم ربك أعمالَهم] أي وإِن كلاا من المؤمنين والكافرين ، فمهما نعغم المؤمن في الدنيا ، ومهما عُذْب الكافر فيها ، فإنهم لما ينالوا جزاء أعمالهم كاملة وسيوفيهم ربك جزاءها في الآخرة

[إِنه بما يعملون خبير] أي عليمَ بأعمالهم جميعا ، صغيرها وكبيرها ، وسيجازيهم عليها

[فاستقم كما أُمرت] أي استقم يا محمد على أمر الله ، واثُبت وداوم على الاستقامة ، كما أمركَ ربك

[ومن تابَ معك] أي ومن تاب عن الشرك وآمن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

معك

[ولا تطغَوا] أي لا تجاوزوا حدود الله ، بارتكاب المحارم

[إِنه بما تعملون بصير] أي إِنه تعالى مطلع على أعمالكم ، وسيجازيكم عليها

[ولا تركنوا اِلى الذين ظلموا فتمسكم النار] أي لا تميلوا الى الظلمة من الولاة ، وغيرهم من الفسقة الفجرة ، فتمسكم نار جهنم ، قال البيضاوي : الركون هو الميل اليسير أي لا تميلوا إِليهم أدنى ميل ، فتمسكم النار بركونكم إِليهم ! ! وإذا كان الركونُ اليسير يسمى (ظلماَ) ، فما ظنك بالركون إِلى الظالمين الغارقين في الظلم ؟ والميل إِليهم كل الميل

[وما لكم من دون الله من أولياء ثم لاتُنصرون] أي ليس لكم من يمنعكم من عذابه ، لم لا تجدون من ينصركم من ذلك البلاء ، قال القرطبي : والآية دالة على هجران أهل الكفر والمعاصي ، فإِن صحبتهم كفر أو معصية ، إِذ الصحبةُ لا تكون إِلا عن مودة ، وأما

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

صحبة الظالم على التقية ، فمستثناة من النهي بحال الاضطرار

[وأقم الصلاةَ طرفى النهار] أي أقم الصلاة المكتوبة على تمامها وكمالها ، أول النهار وآخره ، والمراد صلاة الصبح والعصر ، لأنهما طرفا النهار

[وزُلَفا من الليل] أي ساعاتي منه قريبة من النهار ، والمراد بهما المغرب والعشاء

[اِن الحسناتِ يُذهبن السيئات] أي إِن الأعمال الصالحة ، ومنها (الصلوات الخمس) تكفر الذنوب الصغائر ، لحديث (الصلواتُ الخمسُ كفارة لما بينها ما أجتُنبت الكبائر قال المفسرون : المراد بالحسنات الصلواتُ الخمسُ ، واستدلوا على ذلك بسبب النزول ، وهذا قول الجمهور ، والأظهر أن المراد بها العموم وهو اختيار ابن كثير حيث قال : المعنى إِن فعل الخيرات يكفر الذنوب السالفة كما جاء في الحديث (ما من مسلم يُذنب ذنباً فيتوضأ ويصلي ركعتين إِلا غُفر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

له)

[ذلك ذكرى للذاكرين] أي ذلك المذكور من الاستقامة والمحافظة على الصلاة ، عظة للمتعظين وإرشاد للمسترشدين

[واصبر فاِن الله لا يضيع أجر المحسنين] أي اصبر يا أيها الرسولُ على ما تلقى من المكاره ومن أذى المشركين ، فإِن الله معك وهو لا يضيع ثواب المحسنين

[فلولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقية ينهون عن الفساد في الأرض] أي فهلأ كان من الأمم الماضية قبلكم أولو عقل وفضل ، وجماعة أخيار ، ينهون الأشرار عن الافساد في الأرض

[إِلا قليلا ممن أنجينا منهم] استثناء منقطع أي لكن قليلا منهم ، نهَوا عن الفساد فَنَجَوا ، قال في البحر : " لولا " في الآية للتحضيض ، صَحِبها معنى التأسف والتفجع مثل قوله [يا حسرة على العباد] والغرضُ التأسف على تلك الأمم التي لم تهتد ، كقوم (نوح وعاد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وثمود) ومن تقدم ذكره

[واتبع الذين ظلموا ما أُترفوا فيه] أي واتبع أولئك الظلمة شهواتهم ، وما نُعموا به من الاشتغال بالمال واللذات وأثروها على الآخرة

[وكانوا مجرمين] أي وكانوا قوما مصرين على الإجرام

[وما كان ربك ليُهلِكَ القرى بظلم وأهلُها مصلحون] أي ما جرت عادة الله تعالى أن يهلك القرى ظلما واهلُها مصلحون فى أعمالهم ، لأنه تعالى منزه عن الظلم ، وإِنما يهلكهم بكفرهم ومعاصيهم

[ولو شاء ربُّك لجعل الناس أمة واحدة] أي لو شاء الله لجعل الناس كلهم مؤمنين مهتدين ، على ملة الإسلام ، ولكنه لم يفعل ذلك للحكمة

[ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك] أي ولا يزالون مختلفين على أديان شتى ، وملل متعددة ، ما بين (يهودي ، ونصراني ، ومجوسي) إلا ناسا هداهم الله من فضله وهم أهل الحق

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ولذلك خلقهم] اللام لامُ العاقبة أي خلقهم لتكون العاقبة اختلاقهم ما بين شقي وسعيد ، قال الطبري : المعنى وللاختلاف بالشقاء والسعادة خلقهم ، فريق في الجنة ، وفريق في آلسعير

[وتمت كلمةُ ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين] أي تم أمر الله ونفذ قضاؤه ، بأن يملأ جهنم من الجن والإنس ، من الكفرة الفجرة جميعا ، قال الألوسي : والجملة متضمنة معنى القسم ولذا جيء باللام في [لأملأن] وكأنه قال : وآللهِ لأملأن جهنم من أتباع إِبليس ، من الإنس والجن أجمعين

[وكلا نقص عليك من أَنباء الرسل ما نثبت به فؤادك] أي وكل هذه الأخبار التي قصصناها عليك يا محمد من أخبار الرسل السابقين ، إِنما هي بقصد تثبيتك على أداء الرسالة ، وتطمين قلبك ، ليكون لك بمن مضى من إخوانك المرسلين أسوة ، فتصبر كما صبروا

[وجاءكَ في هذه الحق] أي جاءك في هذه الأنباء

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

التي قصها الله عليك ، النبأ اليقين الصادق

[وموعظة وذكرى للمؤمنين] أي وجاءك في هذه الأخبار أيضا ما فيه عظة وعبرة للمعتبرين ، وخص المؤمنين بالذكر ، لإنتفاعهم بمواعظ القرآن

[وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم إنا عاملون] أي اعملوا على طريقتكم ومنهجكم إنا عاملون على طريقتنا ومنهجنا ، وهو أمر ومعناه التهديد والوعيد

[وانتظروا إنا منتظرون] تهديدَ آخرَ أي انتظروا ما يحل بنا ، إِنا منتظرون ما يحل بكم من عذاب الله

[ولله غيبُ السموآتِ والأرض] أي علمُ ما غاب وخفي فيهما ، كل ذلك بيده وبعلمه

[وإِليه يُرجع الأمر كله] اي إِليه يردْ أمر كل شيء ، فينتقم ممن عصى ، ويثيب من أطاع ، وفيه تسلية للنبي (ص) وتهديد للكفار بالانتقام منهم

[فاعبده وتوكل عليه] أي أعبد ربك وحده ، وفوض

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إِليه أمرك ، ولا تعتمد على أحدٍ سواه ، فاِنه كافي من توكل عليه

[وما ربك بغافل عما تعملون] أي لا يخفى عليه شيء من أعمال العباد ، ويجازي كلا بعمله .

البلاغة :

1 - [منها قائم وحصيد] شبه ما بقي من آثار القرى وجدرانها بالزرع القائم على ساقه ، وشبه ما هلك من أهله ولم يبق له أثر بالزرع المحصود بالمناجل ، على طريق (الاستعارة المكنية) .

2 - [وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم] فيه طباق السلب .

3 - [إِذا أخذ القرى] أي أخذ أهل القرى ، ففيه مجاز مرسل .

4 - [شقي وسعيد] بينهما طباق وهو من المحسنات البديعية .

5 - [فأما الذين شقوا . . وأما الذين سُعدوا] فيه لف ونشر مرتب .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

6 - [لولا كلمة سبقت من ربك] الكلمة هنا كناية عن القضاء والقدر.

7 - [إن الحسنات يذهبن السيئات] بينهما طباق .

8 - [ذكرى للذاكرين] بينهما جناس الاشتقاق .

تنبيه :

خلود أهل الجنة في الجنة ، وأهل النار في النار ، ثابت مقطوع به بالنصوص العديدة ، وأما الاستثناء بالمشيئة في هذه السورة ، فقد استعمل في أسلوب القرآن للدلالة على الثبوت والاستمرار ، والنكتة في ذكره بيان آن هذه الأمور إِنما كانت بمشيئته تعالى ولو شاء لغيرها ، وليس شيء خارج عن مشيئته ، فالإيمان والكفر ، والسعادة والشقاوة ، والخلود والخروج كلها بمشيئته تعالى . .

فائدة :

أشار الشهاب إِلى لطيفة من البلاغة القرآنية ، وهي أن الأوامر بأفعال الخير أفردت للنبي (ص) وِان كانت عامة في المعنى [فاستقم كما أمرت ، وأقم الصلاة ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

واصبر] وفي المنهيات جمعت للأمة [ولا تطغوا ، ولا تركنوا إِلى الذين ظلموا] كذا في العناية .

سورة يوسف

مكية وأياتها إحدى عشرة ومائة

بين يدي السورة

* سورة يوسف إحدى السور المكية التي تناولت قصص الأنبياء ، وقد أفردت الحديث عن قصة نبي الله (يوسف بن يعقوب) وما لاقاه عليه السلام من أنواع البلاء ، ومن ضروب المحن والشدائد ، من إخوته ومن الآخرين ، في بيت عزيز مصر ، وفي السجن ، وفي تآمر النسوة ، حتى نجَاه الله من ذلك الضيق ، والمقصودُ بها تسلية النبي ، بما مر عليه من الكرب والشدة ، وما لاقاه من أذى القريب والبعيد .

* والسورة الكريمة أسلوبَ فذ فريد ، في ألفاظها ، وتعبيرها ، وأدائها ، وفي قَصَصها الممتع اللطيف ، تسري مع النفس سريان الدم في العروق ، وتجري -

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

برقتها وسلاستها - في القلب جريان الروح في الجسد ، فهي وإن كانت من السور المكية ، التي تحمل - في الغالب - طابع الإنذار والتهديد ، إلا أنها اختلفت عنها في هذا الميدان ، فجاءت طرية نَدِية ، في أسلوب ممتع لطيف ، سَلِس رقيق ، يحمل جو الأنس والرحمة ، والرأفة والحنان ، ولهذا قال خالدُ بن مَعْدان : (سورة يوسف ومريم مما يتفكه بهما أهل الجنة في الجنة) وقال عطاء : (لا يسمع سورة يوسف محزونٌ إلا استراح إليها).

* نزلت السورة الكريمة على رسول الله (ص) بعد سورة " هود " ، في تلك الفترة الحرجة العصيبة من حياة الرسول الأعظم(ص) ، حيث توالت الشدائد والنكبات عليه وعلى المؤمنين ، وبالأخص بعد أن فقد عليه السلام نصيريه : زوجه الطاهر الحنون " خديجة " وعمه " أبا طالب " الذي كان له خير نصير ، وخير معين ، وبوفاتهما إشتد الأذى والبلاء على رسول الله(ص) ، وعلى المؤمنين ، حتى عُرف ذلك العام ب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(عام الحُزْن) .

* في تلك الفترة العصيبة من حياة الرسول الكريم ، وفي ذلك الوقت الذي كان يعاني فيه الرسول والمومنون ، الوحشة ، والغربة ، والانقطاع في جاهلية قريش ، كان الله سبحانه ينزل على نبيه الكريم هذه السورة تسلية له ، وتخفيفا لآلامه ، بذكر قصص المرسلين ، وكأن الله تعالى يقول لنبيه عليه السلام : لا تحزن يا محمد ولا تتفجع لتكذيب قومك ، وإيذائهم لك ، فإن بعد الشدة فَرَجاً ، وإن بعد الضيق مخرجا ، أنظر إلى أخيك (يوسف) وتمعن بما حدث له من صنوف البلايا والمِحَن ، وألوان الشدائد والنكبات ، وما ناله من ضروب المِحَن : محنة حَسد إخوته وكيدهم له ، ومحنة رميه في الجب ، ومحنة تعلق إمرأة العزيز به ، وعشقها له ، ثم مراودته عن نفسه ، بشتى طرق الفتنة والإِغراء ، ثم محنة السجن ، بعد ذلك العز ورغد العيش ! ! أنظر إليه كيف أنه لما صبر على الأذى في سبيل العقيدة ، وصبر على الضر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والبلاء ، نقله الله من السجن إلى القصر ، وجعله عزيزاً في أرض مصر ، وملكه الله خزائنها ، فكان السيد المطاع ، والعزيز المكرم . . وهكذا أفعل بأوليائي ، ومن صبر على بلائي ، فلا بد أن توطد النفس على تحمل البلاء ، إقتداءً بمن سبقك من المرسلين [فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل] [واصبر وما صبرك إلا بالله ، ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون] .

* وهكذا جاءت قصة يوسف الصديق تسلية لرسول الله (ص) عما يلقاه ، وجاءت تحمل البِشرَ والأنس ، والراحة ، والطمأنينة ، لمن سار على درب الأنبياء ، فلا بد من الفرج بعد الضيق ، ومن اليسر بعد العُسر ، وفي السورة دروس وعبر ، وعظات بالغات ، حافلات بروائع الأخبار العجيبة ، والأنباء الغريبة [لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد] .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

* هذا هو جو السورة ، وهذه إيحاءاتُها ورموزُها . . تُبشر بقرب النصر ، لمن تمسك بالصبر ، وسار على طريق الأنبياء والمرسلين ، والدعاة المخلصين ، فهي سلوى للقلب ، وبلسم للجروح ، وقد جرت عادة القرآن الكريم ، بتكرير القصة في مواطن عديدة ، بقصد (العظة والإعتبار) ولكن بإيجاز دون توسع ، لإستكمال جميع حلقات القصة ، وللتشويق إلى سماع الأخبار ، دون سآمة أو ملل ، وأما سورة يوسف فقد ذُكرت حلقاتها هنا متتابعة بإسهاب وإطناب ، ولم تكرر في مكان اخر ، كسائر قصص الرسل ، لتشير إلى " إعجاز القرآن " في المجمل والمفصل ، وفي حالتى الإيجاز والإطناب ، فسبحان المَلِك العلي الوهاب .

* قال العلامة القرطبي : (ذكر الله أقاصيص الأنبياء في القرآن ، وكررها بمعنى واحد ، في وجوه مختلفة ، وبألفاظ متباينة ، على درجات البلاغة والبيان ، وذكر قصة يوسف عليه السلام ولم يكررها ، فلم يقدر مخالف على معارضة المكرَّر ، ولا على معارضة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

غير المكرر ، والإعجاز واضح لمن تأمل) . وصدق الله [لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب . .] ! .

تفسيرسورة يوسف

قال الله تعالى : [آلر تلك أيات الكتاب المبين . . إلى قوله تعالي آتيناه حكما وعلماً وكذلك نجزي المحسنين] . من آية (1) إلى نهاية آية (22) .

اللغة :

[المبين] الظاهر الجلي

[القصص] إتباعُ الخبر بعضُه بعضا وأصله قي اللغة المتابعة

[وقالت لأخته قصيه] أي إتبعي أثَره ، والمراد بالقَصَص الأخبار التي قصها علينا الله في كتابه العزيز

[الرؤيا] خاصة بالمنام وأما باليقظة فهي بالتاء ة الرؤية ، قال الألوسى : مصدر رأى الحلمية الرؤيا ومصدر البصرية الرؤية ، ولهذا خُطىء المتنبي في قوله : " ورؤياكَ أحلى في العيون من الغَمض "

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[يجتبيك] الإجتباء : الإصطفاء والإختيار ، وأصله من جبيتُ الشيء أي حصلته

[عصبة] جماعة ، قال الفراء : ما زاد على العشرة ، والعصبة والعصابة العشرة فصاعدا

[اطرحوه] الطرح : رمي الشيء وإلقاؤه

[غيابة الجب] قعره وغوره سمي به لغيبته عن عين الناظر

[يرتع] يتسع في أكل ما لذ وطاب ، قال الراغب : الرتع حقيقته في أكل البهائم ، ويستعار للإنسان إذا أريد به الأكل الكثير ، قالت الخنساء : ترتَعُ ما رتَعَت حتى إذا ادكرت فإنما هيَ إقبال وإدبار

[السيارة] المسافرين

[سولت] زينت

[واردهم] الوارد الذي يَرِدُ الماء ليستقي للقوم .

سبب النزول :

روي أن اليهود سألوا رسول الله (ص) عن قصة يوسف وما حصل له مع إخوته من أولاد يعقوب ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فنزلت السورة .

التفسير :

[الر] إشارة إلى الإعجاز ، فمن هذه الحروف وأمثالها تتألف آيات الكتاب المعجز(3)

[تلك آيات الكتاب المبين] أي تلك الآيات التي أنزلت إليك أيها الرسول هي آيات الكتاب المعجز في بيانه ، الساطع في حججه وبراهينه ، الواضح في معانيه ، الذي لا تشتبه حقائقه ، ولا تلتبس دقائقه

[إنا أنزلناه قرآنا عربياً] أي أنزلناه بلغة العرب كتابا عربيا مؤلفا من هذه الأحرف العربية

[لعلكم تعقلون] أي لكى تعقلوا وتدركوا أن الذي يصنع من الكلمات العادية في هذا الكتاب المعجز ، ليس بشرا ، وإنما هو إله قدير ، وهذا الكلام وحي منزل من رب العالمين

[نحن نقص عليك أحسن القصص] أي نحن نحدثك يا محمد ، ونروي لك أخبار الأمم السابقة ، بأصدق كلام ، وأحسن بيان

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[بما أوحينا إليك هذا القرآن] أي بإيحائنا إليك هذا القرآن ، المعجز

[وإن كنتَ من قبلهِ لمن الغافلين] أي وإن الحال والشأن أنك كنت من قبل أن نوحي إليك هذا القرآن لمن الغافلين عن هذه القصة ، لم تخطر ببالك ، ولم تقرع سمعك ، لأنك أمي لا تقرأ ولا تكتب

[إذ قال يوسفُ لأبيه يا أبتِ إني رأيتُ أحدَ عشر كوكبا] من هنا بداية القصة ، أي أذكر حين قال يوسف لأبيه يعقوب : يا أبي إني رأيت في المنام هذه (الرؤيا العجيبة ، رأيت أحد عشر كوكبا من كواكب السماء خرت ساجدة لي

[والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين] أي ورأيت في المنام الشمس والقمر ساجدة لي مع الكواكب ، قال إبن عباس : كانت الرؤيا فيهم وحياً ، قال المفسرون : والكواكب الأحد عشر كانت إخوته ، والشمس والقمر أبواه ، وكان سنه إذ ذاك إثنتي عشرة سنة ، وبين هذه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الرؤيا وإجتماعه بأبيه وإخوته في مصر أربعون سنة(1)
[قال يا بُني لا تقصص رؤياك على إخوتك] أي قال له يعقوب : لا تخبر بهذه الرؤيا إِخوتك
[فيكيدوا لك كيدا] أي فيحتالوا لإهلاكك حيلة عظيمة ، لا تقدر على ردها
[إن الشيطان للإنسان عدو مبين] أي ظاهر العداوة ، قال أبو حيان : فهم يعقوب من رؤيا يوسف أن الله تعالى يبلغه مبلغا من الحكمة ، ويصطفيه للنبوة ، وينعم عليه بشرف الدارين ، فخاف عليه من حسد إخوته ، فنهاه أن يقص رؤياه عليهم
[وكذلك يجتبيك ربك] أي وكما أراك مثل هذه الرؤيا العظيمة ، كذلك يختارك ربك للنبوة
[و يعلمك من تأويل الأحاديث] أي يعلمك تفسير الرؤيا المنامية
[ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب] أي يتمم فضله وإنعامه عليك وعلى ذرية أبيك يعقوب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحق] أي كما أكمل النعمة من قبل ذلك على جدك (إبراهيم) وجدك (إسحق) بالرسالة والإصطفاء

[إن ربك عليم حكيم] أي عليم بمن هو أهل للفضل ، حكيم في تدبيره لخلقه

[لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين] أي لقد كان في خبر يوسف وإخوته الأحد عشر عبر وعظات للسائلين عن أخبارهم

[إذ قالوا لَيوسُفَ وأخوه أحب إلى أبينا منا] هذه هي (المحنة الأولى) ليوسف عليه السلام أي حين قالوا : والله ليوسفُ وأخوه " بنيامين " أحب منا عند أبينا ، أرادوا أن زيادة محبته لهما ، أمر ثابث لا شبهة فيه ، وإنما قالوا [وأخوه] وهم جميعا إخوة لأن أم يوسف وبنيامين واحدة وهم أخوة من أبيه

[ونحن عصبة] أي والحال نحن جماعة ذوو عدد ، نقدر على النفع والضر ، بخلاف الصغيرين

[إن أبانا لفي ضلال مبين] أي إنه في خطأ ظاهر ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وخروج عن الصواب بيّن واضح ، لإيثاره يوسف وأخاه علينا بالمحبة ، قال القرطبي : لم يريدوا ضلالَ الدين إذ لو أرادوه لكفروا ، وإنما أرادوا أنه في خطأ بين في إيثار إثنين على عشرة(3)

[اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا] أي أقتلوا يوسف أو ألقوه في أرض بعيدة مجهولة

[يخل لكم وجهُ أبيكم] أي فعند ذلك يخلص ويصفو لكم حب أبيكم ، فيُقبل عليكم ، قال الرازي : المعنى إن يوسف شغله عنا وصَرَفَ وجهه إليه ، فإذا فقده أقبل علينا بالمحبة والميل (4)

[وتكونوا من بعده قوما صالحين] أي وتتوبوا من بعد هذا الذنب ، وتصبحوا قوما صالحين

[قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف وألقوه في غيابة الجب] أي قال لهم أخوهم " يهوذا " وهو أكبر ولد يعقوب : لا تقتلوا يوسف بل ألقوه في قعر الجب وغوره

[يلتقطه بعضُ السيارة] أي يأخذه بعض المارة من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المسافرين

[إن كنتم فاعلين] أي إن كان لا بد من الخلاص منه ، فاكتفوا بذلك ، وكان رأيه في أخيه أهون شرا من رأي غيره

[قالوا يا أبانا مَالَكَ لا تَأمَنا على يوسفَ] المعنى : أي شيء حدث لك حتى لا تأمنا على أخينا يوسف ؟ ونحن جميعا أبناؤك ؟

[وإنا له لناصحون] أي ونحن نشفق عليه ، ونريد له الخير ، قال المفسرون : لما أحكموا العزم ذكروا هذا الكلام ، وأظهروا عند أبيهم أنهم في غاية المحبة ليوسف ، وفي غاية الشفقة عليه ، ليستنزلوه عن رأيه ، في تخوفه منهم ، وكأنهم قالوا : لِمَ تخافنا عليه ؟ ونحن نحبه ونريد الخير به ! !

[أرسله معنا غدا يرتَع ويلعب] أي أرسله معنا غداً إلى البادية ، يتسع في أكل ما لذ وطاب ، ويلهو ويلعب بالاستباق وغيره

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وإنا له لحافظون] أي ونحن نحفظه من كل سوء ومكروه ، أكدوا كلامهم ب (إن) و(اللام) وهم كاذبون

[قال إني ليحزنني أن تذهبوا به] أي قال لهم يعقوب : إنه ليؤلمني فراقه لقلة صبري عنه

[وأخاف أن يأكله الذئبُ وأنتم عنه غافلون] أي وأخاف أن يفترسه الذئب ، في حال غفلتكم عنه ، وكأنه لقنهم الحجة ، قال الزمخشري : إعتذر اليهم بشيئين : أحدهما : أن ذهابهم به ومفارقته إياه مما يحزنه ، لأنه كان لا يصبر عنه ساعة ، والثاني : خوفه عليه من الذئب إذا غفلوا عنه برعيهم ولعبهم

[قالوا لئن أكله الذئب ونحن عُصبة إنا إذا لخاسرون] اللام للقسم أي والله لئن أكله الذئب ونحن جماعة أقوياء أشداء ، إنا لمستحقون أن يُدعى علينا بالخسارة والدمار

[فلما ذهبوا به] في الكلام محذوف أي فأرسله معهم فلما أخذوه وإبتعدوا به عن أبيه

[وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب] أي عزموا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

واتفقوا على إلقائه في غور الجب

[وأوحينا إليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون] أي أوحينا إلى يوسف لتخبرن إخوتك ، بفعلهم هذا الذي فعلوه بك ، وهم لا يشعرون في ذلك الوقت أنك يوسف ، قال الرازي : وفائدة هذا الوحي تأنيسُه ، وتسكينُ نفسه ، وإزالة الغم والوحشةِ عن قلبه ، بأنه سيحصل له الخلاص من هذه المحنة

[وجاءو أباهم عشاءَ يبكون] أي رجعوا إلى أبيهم وقت العشاء ليلا وهم يبكون ، روي أنه لما سمع (يعقوب) بكاءهم فزع ، وقال : ما لكم يا بَني ، وأين يوسف ؟

[قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق] أي نتسابق في العَدو ، أو في الرمي

[وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب] أي تركنا يوسف عند ثيابنا وحوائجنا ليحفظها ، فجاء الذئب فإفترسه

[وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين] أي لست

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بمصدق لنا في هذه المقالة ، ولو كنا في الواقع صادقين ، فكيف وأنت تتهمنا وغير واثق بقولنا ؟ وهذا القول منهم يدلُ على الإرتياب ، وكما قيل في المَثَلِ :
(يكاد المريبُ يقول : خذوني)
[وجاءو على قميصه بدم كذب] أي جاءوا على ثوبه بدم كاذب ، وُصِف بالمصدر مبالغة كأنه نفسُ الكذب وعينُه ، قال إبن عباس : ذبحوا شاة ولطخوا بدمها القميص ، فلما جاءوا يعقوب قال : كذبتم لو أكله الذئب لخرقَ القميص وروي أنه قال : " ما أحلم هذا الذئب ، أكل إبني ولم يشق قميصه " ؟ !
[قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا] أي زينت لكم أنفسكم أمرا في يوسف ، وليس كما زعمتم أن الذئب أكله
[فصبر جميل] أي أمري صبر جميل لا شكوى فيه
[والله المستعانُ على ما تصفون] أي وهو سبحانه عوني ، على تحمل ما جئتم به من الكذب
[وجاءت سيارة] أي قوم مسافرون مروا بذلك الطريق ، قال إبن عباس : جاء قوم يسيرون من مدين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إلى مصر فأخطئوا الطريق ، فانطلقوا يهيمون حتى هبطوا على الأرض التي فيها جب يوسف ، وكان الجب في قفرة بعيدة عن العمران

[فأرسلوا واردهم] أي بعثوا من يستقي لهم الماء

[فأدلى دلوه] أي أرسل دلوه في البئر ، قال المفسرون : لما أدلى الواردُ دلوه ، وكان يوسف في ناحية من قعر البئر ، تعلق بالحبل فخرج ، فلما رأى حسنه وجماله نادى

[قال يا بشرى هذا غلام] قاله على سبيل السرور والفرح ، لتبشير نفسه وجماعته ، قال أبو السعود : كأنه نادى البشرى وقال تعالي فهذا أوانك حيث فاز بنعمة جليلة

[وأسروه بضاعة] أي أخفوا أمره عن الناس ، ليبيعوه في أرض مصر متاعا كالبضاعة ، والضمير يعود على الوارد وجماعته

[والله عليم بما يعملون] أي لا يخفى عليه سبحانه أسرارهم ، وما عزموا عليه في أمر يوسف

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وشروه بثمن بخس دراهمَ معدودة] هذه هي (المحنة الثانية) في حياة يوسف الصديق وهي (محنة الاسترقاق) أي باعه أولئك المارة الذين استخرجوه من البئر ، بثمن قليل منقوص ، هو عشرون درهما كما قال ابن عباس

[وكانوا فيه من الزاهدين] أي وكانوا في يوسف من الزاهدين ، الذين لا يرغبون فيه ، لأنهم التقطوه وخافوا أن يكون عبدا آبقا فينتزعه سيده من أيديهم ، ولذلك باعوه بأبخس الأثمان

[وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته أكرمي مثواه] أي وقال الذي اشتراه من مدينة مصر لزوجته أكرمي إقامته عندنا ، قال ابن عباس : كان اسم الذي اشتراه " قطفير " وهو العزيز الذي كان على خزائن مصر

[عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا] أي عسى أن يكفينا بعض المهمات إذا بلغ ، أو نَتَبناه ، حيث لم يكن يولد لهما ولد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وكذلك مكَّنا ليوسف في الأرض] أي وكما نجيناه من الجب ، جعلناه متمكنا في أرض مصر يعيش فيها بعز وأمان

[ولنعلمه من تأويل الأحاديث] أي نوفقه لتعبير بعض ا لأحلام ، أعني المنامات

[والله غالب على أمره] أي لا يعجزه تعالى شيء

[ولكن أكثرَ الناس لا يعلمون] أي لا يعلمون لطائف صنعه وخفايا فضله

[ولما بلغ أشده] أي بلغ منتهى شدته وقوته وهو ثلاثون سنة

[آتيناه حُكما وعلما] أي أعطيناه حكمة وفقهاَ في الدين

[وكذلك نجزي المحسنين] أي المحسنين في أعمالهم ، فنجازيهم عليها أفضل الجزاء .

البلاغة :

1 - [تلك آيات] الاشارة بالبعيد لبعد مرتبته في الكمال وعلو شأنه .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

2 - [كما أتمها على أبويك] فيه تشبيه مرسل مجمل لوجود أداة التشبيه .

3 - [أحد عشر كوكبا والشمسَ والقمر] هذه (إستعارة) لأن الكواكب والشمس والقمر مما لا يعقل ولكنها لما أطلق عليها فعل من يعقل ، جاز أن توصف بصفة من يعقل لأن السجود من فعل العقلاء.

4 - [بدم كذب] الدم لا يوصف بالكذب ، والمراد بدم مكذوب فيه ، أو دم ذي كذب ، وجيء بالمصدر على طريق المبالغة . .

لطيفة :

روى أن إمرأةً تحاكمت الى شريح فبكت فقال الشعبي : يا أبا أمية أما تراها تبكي ؟ فقال شريح : لقد جاء إخوة يوسف يبكون ، وهم ظلمة كذبة ، لا ينبغي للإنسان أن يقضي إلا بالحق.

تنبيه :

ذهب بعض المفسرين إلى أن إخوة يوسف أنبياء ، واستدلوا على ذلك بأنهم الأسباط المذكورون في قوله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تعالى [قل أمنا باللهِ وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيلَ وإسحاقَ ويعقوب والأسباط] والصحيح أن الاسباط ليسوا أولاد " يعقوب " وإنما هم القبائل من ذرية يعقوب كما نبه عليه المحققون ، ولو كان إخوة يوسف أنبياء لما أقدموا على مثل هذه الأفعال الشنيعة ، فالحسد ، والسعي بالفساد ، والإقدام على القتل ، والكذب ، وإلقاء يوسف في الجب ، كل ذلك من الكبائر التي تنافي عصمة الأنبياء ، فالقول بأنهم أنبياء - مع هذه الجرائم - لا يقبله عقل حصيف ، وانظر ما قاله العلامة إبن كثير رحمه الله في هذا الشأن ، فإِنه لطيف ودقيق .

قال تعالى : [وراودته التي هو في بيتها . .] إلى قوله [فلبث في السجن بضع سنين] من آية (23) إلى نهاية آية (42) .

المناسبة :

لما ذكر تعالى ما أكرم به يوسف من الإقامة في القصر مع عزيز مصر ، ذكر هنا ما تعرض له عليه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

السلام من أنواع الفتنة والإغراء ، من زوجة العزيز ، وصموده أمام تلك الفتنة العارمة ، وما ظهر منه من العفة والنزاهة ، حتى آثر دخول السجن على عمل الفاحشة ، وكفى بذلك برهاناَ على عفته وطهارته .

اللغة :

[وراودته] المراودة : الطلب برفق ولين ، مأخوذة من راد يرود إذا جاء وذهب ومنه الرائد لطلب الكلأ ، يقال في الرجل : راودها عن نفسها ، وفي المرأة راودته عن نفسه أى طلبت منه مضاجعتها

[هيتَ] إسم فعل أمر بمعني تعالَ وهلم

[مثواي] مقامي ، والثواء الإقامة مع الاستقرار

[همت] الهم يأتي بمعنى العزم والقصد ، ومنه [وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه] ويأتي بمعنى الخاطر وحديث النفس دون عزم ، قال الشاعر :

هممتُ بهم من بثينةَ لوبدا شفيت غليلاتِ الهوى من فؤاديا. فالهم من إمرأة العزيز كان هم عزم وتصميم ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والهم من يوسف كان مجرد حديث نفس

[السوء] المنكر ، والفجور ، والمكروه

[الفحشاء] ما تناهى قبحه والمراد به الزنى

[قدت] القد : الشق والقطع ، وأكثر ما يستعمل في الطول ، والقط يستعمل في العرض

[ألفيا] وجدا

[كيدكن] الكيد : المكر والحيلة

[الخاطئين] المتعمدين للذنب ، قال الأصمعي : خطىء الرجل فهو خاطىء إذا تعمد الذنب ، وأخطأ يخطىء إذا غلط ولم يتعمد

[شغفها حبا] وصل حبه الى سويداء قلبها ، قال الزجاج : الشغاف سويداء القلب

[أصبُ] أمل ، يقال : صبا إلى اللهو إذا مال إليه .

التفسير :

[وراودته التي هو في بيتها عن نفسه] هذه هي (المحنة الثالثة) بعد محنة الجب والاسترقاق ، والمراودةُ الطلبُ برفق ولين ، كما يفعل المخادع

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بكلامه المعسول ، والمعنى : طلبت إمرأة العزيز التي كان يوسف فى بيتها منه أن يضاجعها ، ودعته برفق ولين أن يواقعها ، وتوسلت إليه بكل وسيلة

[وغلقت الأبواب] أي غلقت أبواب البيوت عليها وعلى يوسف وأحكمت إغلاقها ، قال القرطبي : كانت سبعة أبواب غلقتها ثم دعته إلى نفسها

[وقالت هيتَ لك] أي هلم وأسرع إلى الفراش ، فليس ثمة ما يُخشى ، قال في البحر : أمرته بأن يسرع إليها

[قال معاذ الله] أي عياذا بالله من فعل السوء ، قال أبو السعود : وهذا إشارة إلى أنه منكر هائل يجب أن يعاذ بالله تعالى للخلاص منه ، وذلك لما أراه الله من البرهان النير ، على ما فيه من غاية القبح ونهاية السوء

[إنه ربي أحسن مثواي] أي إن زوجك هو سيدي العزيز الذي أكرمني وأحسن تعهدي فكيف أسيء إليه بالخيانة قي حرَمه ؟

[إنه لا يفلح الظالمون] أي لا يظفر الظالمون

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بمطالبهم ، ومنهم الخائنون المُجازون الإحسانَ بالسوء ، ثم أخبر تعالى أن إمرأة العزيز ، حاولت إيقاعه في شراكها ، وتوسلت إليه بكل وسائل الإغراء ، ولولا أن الله جل وعلا حفظه من كيدها لهلك فقال سبحانه

[ولقد همت به] أي همت بمخالطته عن عزم وقصد وتصميم ، عزما جازما على الفاحشة ، لا يصرفها عنها صارف ، وقصدت إجباره على مطاوعتها بالقوة ، بعد أن إستحكمت من تغليق الأبواب ، ودعوته إلى الإسراع ، مما اضطره إلى الهرب إلى الباب

[وهم بها] أي حدثته نفسُه بالنزول عند رغبتها (حديث نفس) ، دون عزم وقصد ، فبين الهمين فرق كبير قال الإمام الفخر : الهم خطور الشئ بالبال أو ميل الطبع ، كالصائم في الصيف يرى الماء البارد فتحمله نفسه على الميل إليه وطلب شربه ، ولكن يمنعه دينه عنه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[لولا أن رأى برهان ربه] جوابه محذوف أي لولا حفظ الله ورعايتُه ليوسف ، وعصمتُه له ، لخالطها وأمضي ما حدثته نفسه به ، ولكن الله عصمه بالحفظ والتأييد فلم يحصل منه شئ البتة ، قال في البحر : نسب بعضُهم ليوسف ما لا يجوز نسبه لآحاد الفُساق ، والذي أختاره أن " يوسف " عليه السلام لم يقع منه هم البتة ، بل هو منفي لوجود رؤية البرهان كما تقول : (قارفتَ الذنبَ لولا أن عصمك الله) وكقول العرب : (أنتَ ظالم إن فعلتَ) وتقديره : إن فعلتَ فأنتَ ظالم ، وكذلك هنا التقدير : لولا أن رأى برهان ربه لهم بها ولكنه وجد رؤية البرهان فانتفى الهم ، وأما أقوال السلف فنعتقد أنه لا يصح عن أحد منهم شي : من ذلك ، لأنها أقوال متكاذبة يناقض بعضُها بعضا ، مع كونها قادحة في بعض فُساق الملل ، فضلا عن المقطوع لهم بالعصمة وقال أبو السعود : إن همه بها بمعنى ميله إليها بمقتضى الطبيعة البشرية ، ميلا جبليا ، لا أنه قصدها قصدا اختياريا ، ألا يرى إلى ما سبق من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

استعصامه المنبىء عن كمال كراهيته له ونفرته عنه ، وحكمه بعدم إفلاح الظالمين ، وهل هو إلا تسجيل باستحالة صدور الهم منه تسجيلا محكما ؟ وما قيل : إنه حل الهميان ، وجلس مجلس الختان ، فإنما هي خرافات وأباطيل ، تمجها ا لآذان ، وتردها العقول والأذهان

[كذلك لنصرف عنه السوء] أي ثبتناه على العفة أمام دوافع الفتنة والإغراءِ لنصرف عنه المنكر والفجور ، وهذه آية بينة ، وحجة قاطعة ، على أنه عليه السلام لم يقع منه هم بالمعصية ، ولو كان كما زعموا لقال (لنصرفه عن السوء والفحشاء) فلما قال [لنصرف عنه] دل على أن ذلك شىء خارج عن الإِرادة ، فصرفه الله عنه ، بما منحه من موجبات العفة والعصمة

[والفحشاءَ] أي لنصرف عنه الزنى الذي تناهى قبحهُ

[إنه من عبادنا المخلَصين] بفتح اللام أي الذين أخلصهم الله لطاعته ، واصطفاهم وإختارهم لوحيه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ورسالته ، فلا يستطيع أن يغويهم الشيطان . . ثم أخبر تعالى بما حصل من المفاجأة العجيبة ، بقدوم زوجها وهما يتسابقان نحو الباب ، ولا تزال هي في هياجها الحيواني

[واستبقا الباب] أي تسابقا نحو باب القصر ، هو للهرب ، وهي للطلب

[وقدت قميصه من دُبُر] أي شقت ثوبه من خلف ، لأنها كانت تلحقه فجذبته فشقت قميصه

[وألفيا سيدها لدا الباب] أي وجدا العزيز عند باب القصر فجأة ، وقد حضر في غير أوان حضوره ، وبمهارة فائقة تشبة مهارة إبليس انقلب الوضعُ فأصبح الظالم مظلوما ، والبريء متهما

[قالت ما جزاءُ من أراد بأهلك سوءا إلا أن يسجن أو عذابٌ أليم] أي ما جزاؤه إلا السجن أو الضرب ضربا مؤلما وجيعا

[قال هي راودتني عن نفسي] أي قال يوسف مكذبا لها : هي التي دعتني إلى مقارفة الفاحشة ، لا أني

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أردت بها السوء

[وشهد شاهد من أهلها] قال ابن عباس : كان طفلا في المهد أنطقه الله ، وكان ابن خالها وقال في البحر : وكونُه من أهلها أوجبُ للحجة عليها ، وأوثقُ لبرآءة يوسف ، وأنفى للتهمة

[إن كان قميصهُ قد من قُبُلُ فصدقت وهو من الكاذبين] أي وإن كان ثوبُه قد شُق من أمام فهي صادقة وهو كاذب

[وإن كان قميصُه قُد من دُبُر فكذبت وهو من الصادقين] أي وإن كان ثوبه قد شُق من الوراء ، فهي كاذبة وهو صادق ، لأن الأمر المنطقي أن يُشق الثوب من خلف ، إن كانت هي الطالبة له وهو الهارب

[فلما رأى قميصه قُد من دُبُر] أي فلما رأى زوجها أن الثوب قد شُق من الوراء

[قال إنه من كيدكن] أي إن هذا الأمر من جملة مكركن وإحتيالكن أيتها النسوة

[إن كيدكن عظيم] تأكيد لما سبق ذكره ، أي مكركن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

معشر النسوة ، وإحتيالكن للتخلص مما دبرتُن شيءَ عظيم

[يوسف أعرض عن هذا] أي يا يوسف أكتم هذا الأمر ، ولا تذكره لأحد ، يقول سيد قطب عليه الرحمة والرضوان : وهنا تبدو صورة من الطبقة الراقية في المجتمع الجاهلي ، رخاوة في مواجهة الفضائح الجنسية ، وميل إلى كتمانها عن المجتمع ، فيلتفت العزيز إلى يوسف البريء ، ويأمره بكتم الأمر وعدم إظهاره لأحد ، ثم يخاطب زوجهُ الخائن بأسلوب اللباقة ، في مواجهة الحادث الذي يثير الدم في العروق

[واستغفري لذنبك] أي توبي وأطلبي المغفرة من هذا الذنب القبيح ، وكأن هذا هو المهمٌّ ، محافظة على الظواهر

[إنكِ كنتِ من الخاطئين] أي من القوم المتعمدين للذنب ، وفي هذا إشارة الى أن العزيز كان قليل الغَيرة ، حيث لم ينتقم ممن أرادت خيانته ، وتدنيس فراشه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بالإثم والفجور ، قال ابن كثير : كان زوجها لين العريكة سهلا ، أو أنه عذرها لأنها رأت ما لا صبر لها عنه

[وقال نسوة في المدينة] أي قال جماعة من النساء في مدينة مصر ، روي أنهن خمس نسوة : إمرأة ساقي العزيز ، وإمرأة الحاجب ، وإمراة الخباز ، وإمرأة صاحب الدواب ، وإمرأة صاحب السجن قالة ابن عباس وغيره ، و الأظهر أن تلك الواقعة شاعت في البلد ، واشتهرت وتحدث بها النساء

[امرأة العزيز تراودُ فتاها عن نفسه] أي امرأة عزيز مصر تطلب من خادمها وعبدها أن يواقعها ، وتخادعه وتتوسل اليه لقضاء وطرها منه ، وتصريحهن بإضافتها إلى العزيز مبالغة في التشنيع ، لأن النفوس أميل لسماع أخبار ذوي الجاه ، وعبرن ب [تراود] للدلالة على أن ذلك صار سجية لها ، فهي دائما تخادعه عن نفسه لأن المضارع يفيد التجدد والاستمرار

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[قد شغفها حبا] أي بلغ حبه شَغَاف قلبها ، وشقه حتى وصل إلى فؤادها

[إنا لنراها في ضلال مبين] أي إنا لنعتقد أنها في ضلال عن طريق الرشد واضح بسبب حبها إياه

[فلما سمعت بمكرهن] أي فلما سمعت بحديثهن ، وسماه (مكرا) لأنه كان في خفية ، كما يخفي الماكر مكره

[أرسلث إليهن] أي أرسلت إليهن تدعوهن إلى منزلها لحضور وليمة ، قال المفسرون : دعت أربعين امرأة من الذوات

[وأعتدت لهن متكا] أي هيأت لهن ما يتكئن عليه من الفرش والوسائد ((يقول الشهيد سيد قطب عليه الرحمة والرضوان : لقد أقامت لهن مأدبة فى قصرها ، وندرك من هذا أنهن كن نساء (الطبقة الراقية) فهن اللواتي يدعين إلى المآدب في القصور ، وهن اللواتي يؤخذن بهذه الوسائل الناعمة المظهر ، ويبدو أنهن يأكلن وهن متكئات على الوسائد والحشايا ، وأعدت

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لهن هذا المتكأ واتت كل واحدة منهن سكينا تستعملها في الطعام ، ويؤخذ من هذا صورة الترف والحضارة المادية التي كان عليها اهل القصور ، وبينما هن منشغلات بتقطيع اللحم أو تقشير الفاكهة فاجأتهن بيوسف فلما رأينه بهتن لطلعته ودهشن ، وجرحن أيديهن بالسكاكين))

[وآتت كل واحدة منهن سكينا] في الكلام محذوف أي قدمت لهن الطعام وأنواع الفاكهة ، ثم أعطت كل واحدة منهن سكينا لتقطع به

[وقالت أخرج عليهن] أي وقالت ليوسف وهن مشغولات بتقشير الفاكهة والسكاكين في أيديهن : أخرج عليهن فلم يشعرن إلا ويوسف يمر من بينهن

[فلما رأينه أكبرنَه] أي فلما رأين يوسف أعظمنه وأجللنه ، وبهتن من جماله ودُهشن

[وقطعن أيديهن] أي جرحن أيديهن بالسكاكين لفرط الدهشة المفاجئة

[وقلن حاش لله] أي تنزه الله عن صفات العجز ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وتعالت عظمته في قدرته على خلق مثله

[ما هذا بشرا] أي ليس هذا من البشر

[إن هذآ الا ملك كر يم] أي ما هو إلا مَلَك مِن الملائكة ، فإن هذا الجمال الفائق ، والحسن الرائع ، مما لا يكاد يوجد في البشر

[قالت فذلكن الذي لمتتني فيه] صرحت عند ذلك بما في نفسها من الحُب ليوسف لأنها شعرت بأنها انتصرت عليهن ، فقالت قولة المنتصرة : هذا الذي رأيتموه هو ذلك العبد الكنعاني الذي لمتُنني في محبته ، فانظرن ماذا لقيتن منه ، من الافتتان والدْهَش والإعجاب ! !

[ولقد راودته عن نفسه فاستعصم] أي أردت أن أنال وطري منه ، وأن أقضي شهوتي معه ، فامتنع امتناعا شديدا ، وأبى إباء عنيفاً قال الزمخشري : والاستعصام بناء مبالغة يدل على الامتناع البليغ والتحفظ الشديد

[ولئن لم يفعل ما آمره ليسجننً وليكونا من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الصاغرين] أي ولئن لم يطاوعنى ليعاقبن بالسجن والحبس وليكونن من الأذلاء المهانين قال القرطبي : عاودته المراودة بمحضر منهن ، وهتكت جلباب الحياء ، وتوعدت بالسجن إن لم يفعل ، ولم تعد تخشى لوماَ ولا مقالا ، خلاف أول أمرها إذ كان ذلك سراَ بينها وبينه

[قال رب السجنُ أحب إلي مما يدعونني إليه] لجأ يوسف إلى ربه ، وجعل يناجيه في خشوع وتضرع ، فقال : رب السجن آثر عندي وأحب إلى نفسي من اقتراف الفاحشة ، وأسند الفعل إليهن لأنهن جميعا مشتركات في الدعوة بالتصريح أو التلويح ، وقيل إنها لما توعدته نصحنه وزين له مطاوعتها ، ونهينه عن إلقاء نفسه في السجن

[وإلا تصرف عني كيدهُن] أي وإن لم تدفع عني شرهن وتعصمني منهن

[أصبُ إليهن] أي أمل إلى إجابتهن بمقتضى البشرية

[وأكن من الجاهلين] أي بسبب ما يدعونني إليه من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

القبيح ، وهذا كله على سبيل التضرع والاستغاثة بجناب الله تعالى ، كعادة الأنبياء والصالحين

[فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن] أي أجاب الله دعاءه ، فنجاه من مكرهن ، وثبته على العصمة والعفة

[إنه هو السميع] أي لدعاء الملتجئين إليه

[العليم] بأحوالهم وما انطوت عليه نياتهم . . وهكذا اجتاز يوسف محنته الثالثة بلطف الله ورعايته

[ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين] هذه بداية المحنة الرابعة وهي الأخيرة من محن الشدة قي حياة يوسف الصديق ، وهي (محنة السجن) وكل ما بعدها فرخاء ، والمعنى : ثم ظهر للعزيز وأهله ، ومن استشارهم من الأعيان ، بعد الدلائل القاطعة على براءة يوسف ، سجنه إلى مدة من الزمن غير معلومة ، روي أن إمرأة العزيز لما استعصي عليها يوسف وأيست منه ، احتالت بطريق آخر ، فقالت لزوجها : إن هذا (العبد العبراني) قد فضحنى في الناس يقول لهم : إني راودته عن نفسه وأنا لا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أقدر على إظهار عذري ، فإما أن تأذن لي فأخرج وأعتذر ، وإما أن تحبسه ، فعند ذلك بدا له سجنه ، قال ابن عباس : فأمر به العزيزُ فحمل على حمار ، وضُرب بالطبل ، ونُودي عليه في أسواق مصر ، إن يوسف العبراني أراد سيدته بالسوء ، فجزاؤه أن يسجن ، قال أبو صالح : ما ذكر ابن عباس هذا الحديث إلا بكى

[ودخل معه السجن فتيان] أي أدخل يوسف السجن واتفق أنه أدخل حينئذ آخران من خدم الملك الخاص أحدهما خبازه ، والآخر ساقيه ، اتهما بأنهما أرادا أن يَسُماه فحبسهما

[قال أحدهما إني أراني أعصر خمرا] أي قال الساقى : إنى رأيت في المنام أني أعصر عنبا يئول إلى خمر وأسقي منه الملك

[وقال الآخر إني أراني أحمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه] أي وقال الخباز : إني رأيت في منامي أني أحمل على رأسى طبقا فيه خبز ، والطيرُ تأكل من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ذلك الخبز

[نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين] أي أخبرنا بتفسير ما رأينا ، إنا نراك من الذين يحسنون تفسير الرؤيا ، أخبراه عن رؤياهما لما علما أنه يجيد تفسير الرؤيا

[قال لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما] أي لا يأتيكما شيء من الطعام الا أخبرتكما ببيان حقيقته ، وماهيته وكيفيته قبل أن يصل إليكما ، أخبرهما بمعجزاته ومنها معرفة (المغيبات) توطئة لدعائهما إلى الإيمان قال البيضاوي : أراد أن يدعوهما إلى التوحيد ويرشدهما إلى الدين القويم قبل أن يسعفهما إلى ما سألاه عنه ، كما هو طريقة الأنبياء في الهداية والإرشاد ، فقدم ما يكون معجزة له من الإخبار بالغيب ليدلهما على صدقه في الدعوة والتعبير

[ذلكما مما علمني ربي] إن ذلك الإخبار بالمغيبات ليس بكهانة ولا تنجيم ، وإنما هو بإلهام ووحي من الله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[إني تركتُ ملة قوم لا يؤمنون بالله] أي خصني ربي بذلك العلم لأني من بيت النبوة ، وقد تركت دين قوم مشركين لا يؤمنون بالله

[وهم بالأخرة هم كافرون] أي يكذبون بيوم القيامة ، نبه على أصلين عظيمين : الإيمان بالله ، والإيمان بدار الجزاء ، إذ هما أعظم أركان الإيمان ، وكرر لفظة [هم] على سبيل التأكيد

[واتبعتُ ملة آبائي إبراهيمَ وإسحاقَ ويعقوبَ] أي اتبعت دين الأنبياء ، لا دين أهل الشرك والضلال ، والغرضُ إظهار أنه من (بيت النبوة) ، لتقوى رغبتهما في الإستماع اليه والوثوق بكلامه

[ما كان لنا أن نشرك بالله من شئ] أي ما ينبغي لنا معاشر الأنبياء أن نشرك بالله شيئا مع اصطفائه لنا وإنعامه علينا

[ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس] أي ذلك الإيمان والتوحيد من فضل الله علينا حيث أكرمنا بالرسالة ، وعلى الناس حيث بَعَث الرسلَ لهدايتهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وإرشادهم

[ولكن أكثر الناس لا يشكرون] أي لا يشكرون فضل الله عليهم ، فيشركون به غيره . . ولما ذكر عليه السلام ما هو عليه من الدين الحنيف الذي هو دين الرسل ، تلطفَ في حسن الاستدلال على فساد ما عليه القوم من عبادة الأصنام فقال سبحانه

[يا صاحبي السجنِ أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار] أي يا صاحبي في السجن أآلهة متعددة لا تنفع ولا تضر ، ولا تستجيب لمن دعاها كالأصنام ، خير أم عبادة الواحد الأحد ؟ المتفرد بالعظمة والجلال ؟ !

[ما تعبدونَ من دونه إلا أسماءً سميتموها أنتم وآباؤكم] أي ما تعبدون يا معشر القوم من دون الله إلا أسماء فارغة سميتموها آلهة وهي لا تملك القدرة والسلطان لأنها جمادات

[ما أنزل الله بها من سلطان] أي ما أنزل الله لكم في عبادتها من حجة أو برهان

[إنِ الحكمُ إلا لله] أي ما الحكم في أمر العبادة والدين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إلا لله رب العالمين

[أمر ألا تعبدوا إلا إياه] أي أمر سبحانه بإفراد العبادة له ، لأنه لا يستحقها إلا من له العظمة والسلطانُ

[ذلك الدين القيم] أي ذلك الذي أدعوكم إليه من إخلاص العبادة لله هو الدين القويم الذي لا إعوجاج فيه

[ولكن أكثر الناس لا يعلمون] أي يجهلون عظمة الله فيعبدون ما لا يضر ولا ينفع . . تدرج عليه السلام في دعوتهم وألزمهم الحجة بأن بين لهم أولاً رجحان التوحيد ، على إتخاذ الآلهة المتعددة ، ثم برهن على أن ما يسمونها آلهة ويعبدونها من دون الله ، لا تستحق الألوهية والعبادة ، ثم نص على ما هو الحق القويم والدين المستقيم ، وهو عبادة الواحد الأحد الفرد الصمد ، وذلك من الأسلوب الحكيم في الدعوة إلى الله ، حيث قدم الهداية والإرشاد ، والنصيحة والموعظة ، ثم شرع في تفسير رؤياهما فقال سبحانه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[يا صاحِبَي السجنِ أما أحدكما فيسقي ربه خمراً وأما الآخرفيصلب فتأكل الطير من رأسه] أي يا صاحبي في السجن أما الذي رأى أنه يعصر خمراً فيخرج من السجن ويعود إلى ما كان عليه من سقي سيده الخمر ، وأما الآخر الذي رأى على رأسه الخبز فيُقتل ويعلق على خشبة فتأكل الطير من لحم رأسه ، قال المفسرون : روي أنه لما أخبرهما بذلك جحدا وقالا : ما رأينا شيئاً فقال

[قُضي الأمر الذي فيه تستفتيان] أي إنتهى وتم قضاء الله صدقتما أو كذبتما فهو واقع لا محالة

[وقال للذي ظن أنه ناج منهما] أي قال يوسف للذي إعتقد نجاته وهو الساقي

[اذكرني عند ربك] أي اذكرني عند سيدك وأخبره عن أمري لعله يُخلصني مما ظُلمتُ به

[فأنساه الشيطان ذكر ربه] أي أنسى الشيطان الساقي أن يذكر أمر يوسف للملك

[فلبث في السجن بضع سنين] أي مكث يوسف في

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

السجن سبع سنين ، قال المفسرون : وإنما لبث في السجن بضع سنين ، لأنه إعتمد ووثق بالمخلوق ، وغفل أن يرفع حاجته إلى الخالق جل وعلا ، قال القرطبي : قال وهب ابن منبه : أقام أيوب في البلاء سبع سنين ، وأقام يوسف في السجن سبع سنين .

البلاغة :

1 - بين [صدقت] و[كذبت] و[الصادقين] و[الكاذبين] طباق وهو من المحسنات البديعية .

2 - [من الخاطئين] من باب تغليب الذكور على الإناث .

3- [سمعت بمكرهن] استعير المكر للغيبة لشبهها له في الإخفاء.

4 - [وقطعن أيديهن] كذلك فيه (استعارة) حيث استعار لفظ القطع عن الجرح أي جرحن أيديهن .

5 - [أعصر خمرا] مجاز مرسل باعتبار ما يكون أي عنباً يئول إلى خمر.

فائدة :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

روي أن جبريل جاء إلى (يوسف) وهو في السجن معاتباً له فقال له : يا يوسف من خلصك من القتل من أيدي إخوتك ؟ قال : الله تعالى ، قال : فمن أخرجك من الجب ؟ قال : الله تعالى ، قال : فمن عصمك من الفاحشة ؟ قال : الله تعالى ، قال : فمن صرف عنك كيد النساء ؟ قال : الله تعالى ، قال : فكيف تركت ربك فلم تسأله ووثقت بمخلوق ! ؟ قال : يا رب كلمة زلت مني أسألك يا إله إبراهيم وآله والشيخ يعقوب عليهم السلام أن ترحمنى فقال له جبريل : فإن عقوبتك أن تلبث في السجن بضع سنين .

تنبيه :

قال العلماء في قوله تعالى [واستبقا الباب] هذا من اختصار القرآن المعجز ، الذي يجمع المعاني الكثيرة في الألفاظ القليلة ، وذلك أنها لما راودته عن نفسه وأبى ، عزمت على أن تجبره بالقسر والإِكراه ، فهرب منها فتسابقا نحو الباب ، هي لترده إلى نفسها وهو يهرب منها فاختصر القرآن ذلك كله بتلك العبارة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

البليغة [واستبقا الباب] .

(شطحات البعض في تفسير الهم) لقد شط القلم ، وزَلَقَتِ القدم ببعض المفسرين حين زعموا أن يوسف عليه السلام قد هم بمقارفة الفاحشة ، وشُحنت بعضُ كتب التفسير بكثير من الروايات الإِسرائيلية الواهية ، بل المنكرة الباطلة في تفسير (الهم) و(البرهان) حتى زعم بعضهم أن يوسف حل رباط السروال ، وجلس منها مجلس الرجل من امرأته ، ثم رأى صورة أبيه " يعقوب " عاضاً على أصبعه ، فقام عنها وتركها خجلا من أبيه إلى غير ما هنالك من أقوال واهية ، لا زمام لها ولا خطام . ولستُ أدري كيف دخلت تلك الروايات المنكرة إلى بعض كتب التفسير ، وتقبلها بعضهم بقبول حسن ، وكله - كما يقول العلامة أبو السعود - خرافات وأباطيل ، تمجها الآذان ، وتردها العقول والأذهان ! ؟ ثم كيف غاب عن أولئك المفسرين أن " يوسف الصديق " نبي كريم ، ابن نبي كريم ، وأن العصمة من صفات الأنبياء ! ! يا قوم اعقلوا وفكروا ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ونزهوا هذه الكتب عن أمثال هذه الترهات والأباطيل ، فإن الزنى جريمة من أبشع الجرائم ، فكيف يرتكبها نبي من الأنبياء المكرمين ؟ وهاكم الأدلة أسوقها من كتاب الله فقط على عصمته عليه السلام من عشرة وجوه :

الأول : امتناعه الشديد ووقوفُه أمامها بكل صلابة وعزم [قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي . . .] أي أعوذ بالله من مقارفة جريمة الزنى .

الثاني : فراره منها بعد أن غلقت الأبواب وشددت عليه الحصار [واستبقا البابَ وقدت قميصَه من دُبُر..] .

الثالث : إيثاره السجن على الفاحشة [قال رب السجنُ أحب إليّ مما يدعونني إليه . .] وهذا أكبرُ برهان على عفته وعصمته .

الرابع : ثناء الله تعالى عليه في مواطن عديدة [إنه من عبادنا المخلصين] [آتيناهُ حُكما وعلما] فهل يكون

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مُخلَصَا لله من هم بفاحشة الزنى ؟.

الخامس : شهادة الطفل الرضيع الذي أنطقه الله وهو في (المهد) بالحجة الدامغة [وشهد شاهد من أهلها . .] الآية .

السادس : اعتراف إمرأة العزيز ببراءته وعفته [ولقد روادتّه عن نفسه فاستعصم . .] ولفظ الاستعصام يُنبىءُ عن العفة التامة.

السابع : استغاثته بربه لينجيه من كيد النساء [فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن . .

الثامن : ظهور الأمارات الواضحة والبراهين الساطعة على براءته ، وِإدخاله السجن لدفع مقالة الناس [ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليَسجننه حتى حين] .

التاسع : عدم قبوله الخروج من السجن حتى تبرأ ساحته من التهمة [ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن . .] ؟

العاشر : الاعتراف الصريح من امرأة العزيز والنسوة ببراءته [قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق أنا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

راودته عن نفسه وإِنه لمن الصادقين] . وكفى بذلك برهانا على عفته ونزاهته ! ! والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

قال الله تعالى : [وقال الملك إني أرى سبع بقرات سمان . .] إلى قوله [ولكن أكثر الناس لا يعلمون] من آية (43) الى نهاية آية (68) .

المناسبة :

لما أراد الله الفرج عن يوسف وإخراجه من السجن ، رأى ملك مصر (رؤيا عجيبة) أفزعته ، فجمع السحرةَ والكهنة والمنجمين ، وأخبرهم بما رأى في منامه ، وسألهم عن تأويلها فأعجزهم الله جميعا ، ليكون ذلك سببا في خلاص يوسف من السجن عن طريق تعبير الرؤيا .

اللغة :

[عجاف] هزيلة ضعيفة جمع أعجف والأنثى عجفاء

[تعبرون] التعبير : معرفة تفسير الرؤيا المنامية

[أضغاث] جمع ضِغث وهو الحزمة من الحشيش

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

اختلط فيها اليابس بالرطب

[أحلام] جمع حُلم وهو ما يراه النائم ومعناه أخلاط مناماتٍ اختلط فيها الحق بالباطل

[اذكر] تذكر بعد النسيان

[دأبا] الداب : الاستمرار على الشيء يقال : دأب على عمله فهو دائب أي استمر عليه

[تحصنون] تحرزون وتدخرون

[حصحص] ظهر وبان

[مكين] ذو مكانة رفيعة

[رحالهم] جمع رحل وهو ما على ظهر المركوب من متاع الراكب وغيره

[نمير] نأتي لهم بالميرةِ وهي الطعام

[يحاط بكم] تهلكوا جميعا .

التفسير :

[وقال الملكُ إني أرى سبعَ بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف] أي قال ملك مصر إني رأيت في منامي (سبع بقرات) سمانٍ خرجت من نهر يابس ، وفي أثرهن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(سبع بقرات) هزيلة في غاية الهُزال ، فابتلعت العجافُ السمانَ

[وسبعَ سنبلات خضر وأُخَرَ يابساتِ] هذا من تتمة الرؤيا أي ورأيتُ أيضا سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها وسبعا أُخر يابسات قد استحصدت ، فالتوت اليابسات على الخضر فأكلنهن

[يا أيها الملأ أفتوني في رؤياي] أي يا أيها الأشراف من رجالي وأصحابي أخبروني عن تفسير هذه الرؤيا

[إن كنتم للرؤيا تعبُرون] أي إن كنتم تجيدون تعبيرها وتعرفون مغزاها

[قالوا أضغاث أحلام] أي أخلاط رؤيا كاذبة لا حقيقة لها قال الضحاك : أحلام كاذبة

[وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين] أي ولسنا نعرف تأويل مثل هذه الأحلام الكاذبة

[وقال الذي نجا منهما وادكر بعد أمة] أي وقال الذي نجا من السجن وهو " الساقي " وتذكر ما سبق له مع يوسف بعد مدة طويلة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[أنا أنبئكم بتأويله] أي أنا أخبركم عن تفسير هذه الرؤيا ممن عنده علم بتأويل المنامات

[فأرسلون] أي فأرسلوني إليه لآتيكم بتأويلها ، خاطب الملك بلفظ التعظيم قال ابن عباس : لم يكن السجن في المدينة ، ولهذا قال فأرسلون

[يوسفُ أيها الصديق] في الكلام محذوف دل عليه السياق وتقديره : فأرسلوه فانطلق الساقي إلى السجن ودخل على يوسف وقال له : يا يوسف يا أيها الصديق وسماه (صديقاً) لأنه كان قد جرب صدقه في تعبير الرؤيا التي رآها في السجن ، والصديق مبالغة من الصدق

[أفتنا في سبع بقرات سمانٍ يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأُخر يابسات] أي أخبرنا عن تأويل هذه الرؤيا العجيبة

[لعلي أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون] أي لأرجع إلى الملك وأصحابه وأخبرهم بها ليعلموا فضلك وعلمك

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ويخلصوك من محنتك قال الإمام الفخر : وإنما قال [لعلي أرجع إلى الناس] لأنه رأى عجز سائر المعبرين عن جواب هذه المسألة ، فخاف أن يعجز هو أيضاً عنها فلهذا السبب قال لعلّى(3)

[قال تزرعون سبع سنين دَأَباً] أي تزرعون سبع سنين دائبين بجد وعزيمة

[فما حصدتم فذروه في سنبله] أي فما حصدتم من الزرع فاتركوه في سنبله لئلا يسوس

[الا قليلاً مما تأكلون] أي إلا ما أردتم أكله فادرسوه واتركوا الباقي في سنبله

[ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد] أي ثم يأتي بعد سني الرخاء سبع سنين مجدبات ، ذات شدة وقحط على الناس

[يأكلنَ ما قدمتم لهن] أي تأكلون فيها مما ادخرتم أيام الرخاء

[إلا قليلا مما تحصنون] أي إلا القليل الذي تدخرونه وتخبئونه للزراعة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يُغاث الناس وفيه يعصرون] أي ثم يأتي بعد سني القحط والجدب العصيبة عام رخاء ، فيه يُمطر الناس ويغاثون ، وفيه يعصرون الأعناب وغيرها لكثرة خصبه ، قال الزمخشري : تأول عليه السلام البقرات السمان والسنبلات الخضر (بسنين مخاصيب) والعجاف واليابسات (بسنين مجدبة) ، ثم بشرهم بأن العام الثامن يجىء مباركا خصيبا ، كثير الخير ، غزير النعم ، وذلك من جهة الوحي

[وقال الملك ائتوني به] أي ولما رجع الساقي إلى الملك ، وعَرَض عليه ما عبر به يوسف رؤياه استحسن ذلك فقال : أحضروه لي لأسمع منه تفسيرها بنفسي ولأبصره

[فلما جاءه الرسول] أي فلما جاء رسول الملك الى يوسف

[قال ارجع إلى ربك] أي قال يوسف للرسول : إرجع إلى سيدك الملك

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن] أي سله عن قصة النسوة اللائي قطعن أيديهن هل يعلم أمرهن ؟ وهل يدري لماذا حُبستُ ودخلت السجن ؟ وأني ظُلمت بسببهن ؟ أبى عليه السلام أن يخرج من السجن حتى تُبرأ ساحته من تلك التهمة الشنيعة ، وأن يعلم الناس جميعا أنه حبس بلا جرم

[إن ربي بكيدهن عليم] أي إنه تعالى هو العالم بخفيات الأمور وبما دبرن من كيد لي

[قال ما خطبكن إذ راوتن يوسف عن نفسه] جمع الملك النسوة ، ودعا امرأة العزيز معهن ، فسألهن عن أمر يوسف ، وقال لهن : ما شأنكن الخطير حين دعوتن يوسف إلى مقارفة الفاحشة ؟ ((يقول الشهيد سيد قطب عليه الرحمة : رجع الرسول فأخبر الملك ، وأحضر الملك النسوة يستجوبهن ، والخطب : الأمر الجلل ، فكأن الملك استقصى فعلم أمرهن ، فهو يواجههن مقررا الاتهام ، ومشيرا إلى أمر لهن جلل وشأن لهن خطير {ما خطبكن اذ راودتن يوسف عن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

نفسه } ؟ ومن هذا نعلم شيئا مما دار فى حفل الاستقبال في بيت العزيز ، وما قالته النسوة ليوسف وما أشرن إليه من الإغراء الذي يبلغ درجة المراودة ، ومن هذا نتخيل صورة لهذه الأوساط ونسائها حتى في ذلك العهد الموغل في التاريخ ، فالجاهلية دائما هي الجاهلية ، إنه حيثما كان الترف ، وكانت القصور والحاشية ، كان التحلل والتميع ، والفجور الناعم الذي يرتدي ثياب الأرستقراطي !!))

[قُلن حاشَ للهِ ما علمنا عليه من سوء] أي معاذ الله أن يكون يوسف أراد السوء ، وهو تنزية له وتعجب من نزاهته وعفته

[قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق] أي ظهر وإنكشف الحق وبان بعد خفائه

[أنا راودته عن نفسه وإِنه لمن الصادقين] أي أنا التي أغريتُه ودعوتُه إلى نفسي ، وهو برئ من الخيانة وصادق في قوله [هي راودتني عن نفسي] وهذا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إعتراف صريح ببراءة يوسف على رءوس الأشهاد

[ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب] الأظهر أن هذا من كلام يوسف قاله لما وصله براءة النسوة له ،

والمعنى : ذلك الأمر الذي فعلته من رد الرسول حتى تظهر براءتي ليعلم العزيز أني لم أخنه في زوجته في غيبته بل تعففت عنها

[وإن اللهَ لا يهدي كيدَ الخائنين] أي لا يوفق الخائن ولا يسدد خطاه

[وما أبرىء نفسي إن النفس لأمارة بالسوء] أي لا أزكي نفسي ولا أنزهها ، فإن النفس البشرية ميالة إلى الشهوات ، قاله يوسف على وجه التواضع ، قال الزمخشري : أراد أن يتواضع لله ويهضم نفسه ، لئلا يكون لها مزكيا ، وبحالها معجبا ومفتخراَ

[إلا ما رحم ربي] أي إلا من رحمه الله بالعصمة

[إن ربي غفور رحيم] أي عظيم المغفرة واسع الرحمة

[وقال الملك إئتوني به أستخلصهُ لنفسي] أي ائتوني

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بيوسف اجعله من خاصتي وخلصائي ، قال ذلك لما تحقق براءته ، وعرف عفته وشهامته وعلمه

[فلما كلمه قال إنك اليوم لدينا مكين أمين] أي فلما أتوا به وكلمه يوسف وشاهد الملك فضله ، ووفور عقله ، وحُسن كلامه قال : إنك اليوم قريب المنزلة رفيع الرتبة ، مؤتمن على كل شيء

[قال اجعلني على خزائن الأرض] أي قال يوسف للملك : اجعلني على خزائن أرضك

[إني حفيظ عليم] أي أمينْ على ما استودعتني ، عليم بوجوه التصرف ، وإنما طلب منه الولاية رغبة في العدل ، وإقامة الحق والإِحسان ، وليس هو من باب التزكية للنفس ، وإنما هو للإِشعار بحنكته ودرايته لاستلام وزارة المالية

[وكذلك مكنا ليوسف في الأرض] أي وهكذا مكنا ليوسف في أرض مصر ، وجعلنا له العز والسلطان ، بعد الحبس والضيق

[يتبوأ منها حيث يشاء] أي يتخذ منها منزلاً حيث

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يشاء ويتصرف في المملكة كما يريد

[نصيب برحمتنا من نشاء] أي نخص بإنعامنا وفضلنا من نشاء من عبادنا

[ولا نضيع أجر المحسنين] أي لا نضيع أجر من أحسن عمله وأطاع ربه ، بل نضاعفه له

[ولأجر الأخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون] أي أجر الاخرة وثوابها خير للمؤمنين المتقين من أجر الدنيا ، وفيه إشارة إلى أن المطلب الأعلى هو ثواب الآخرة ، وأن ما يُدخر لهؤلاء المحسنين ، أعظم وأجل من هذا النعيم العاجل في الدنيا

[وجاء إخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون] أي دخلوا على يوسف فعرف أنهم إخوته ، ولكنهم لم يعرفوه لهيبة الملك ، وبُعد العهد ، وتغير الملامح ، قال ابن عباس : كان بين إلقائه في الجب وبين دخولهم عليه (اثنتان وعشرون) سنة ، فلذا أنكروه ، وكان سبب مجيئهم ، أنهم أصابتهم مجاعة في بلادهم ، بسبب القحط الذي عم البلاد ، فخرجوا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إلى مصر ليشتروا من الطعام الذي إدخره يوسف ، فلما دخلوا على يوسف قال كالمنكر عليهم : ما أقدمكم بلادي ؟ قالوا : جئنا للميرة ، قال : لعلكم عيون " جواسيس " علينا ؟ قالوا : معاذ الله ، قال : فمن أين أنتم ؟ قالوا : من بلاد (كنعان) وأبونا يعقوب نبي الله ، قال : وله أولاد غيركم ؟ قالوا : نعم كنا اثني عشر فذهب أصغرنا وهلك في البرية - وكان أحبنا إليه - وبقي شقيقه فاحتبسه ليتسلى به عنه وجئنا نحن العشرة ، فأمر بإنزالهم وإكرامهم

[ولما جهزهم بجهازهم] أي هيأ لهم الطعام والميرة وأعطاهم ما يحتاجون اليه في سفرهم

[قال ائتوني بأخ لكم من أبيكم] أي ائتوني بأخيكم بنيامين لأصدقكم

[ألا ترون أني أوفي الكيل] أي ألا ترون أني أتم الكيل من غير بخس

[وأنا خير المنزلين] أي خير من يكرم الضيفان وخير

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المضيفين لهم ، وكان قد أحسن إنزالهم وضيافتهم

[فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون] أي إن لم تأتوني بأخيكم فليس لكم عندي بعد اليوم ميرة ، ولا تقربوا بلادي مرة ثانية ، رغبهم ثم توعدهم قال في البحر : والظاهر أن كل ما فعله يوسف عليه السلام كان بوحي من الله والا فمقتضي البر أن يبادر إلى أبيه ويستدعيه لكن الله أراد تكميل أجر يعقوب ومحنته ، ولتتفسر الرؤيا الأولى

[قالوا سنراود عنه أباه وإنا لفاعلون] أي سنخادعه ونحتال في إنتزاعه من يده ، ونجتهد في طلبه منه ، وإنا لفاعلون ذلك

[وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم في رحالهم] أي قال يوسف لغلمانه الكيالين اجعلوا المال الذي اشتروا به الطعام في أوعيتهم

[لعلهم يعرفونها إذا انقلبوا الى أهلهم] أي لكي يعرفوها إذا رجعوا إلى أهلهم وفتحوا أوعيتهم

[لعلهم يرجعون] أي لعلهم يرجعون إلينا إذا رأوها ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فإنه علم أن دينهم يحملهم على رد الثمن ، لأنهم مطهرون عن أكل الحرام فيكون ذلك أدعى لهم إلى العود إليه

[فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا يا أبانا مُنع منا الكيل] أي فلما عادوا إلى أبيهم قالوا له - قبل أن يفتحوا متاعهم - يا أبانا لقد أُنذرنا بمنع الكيل في المستقبل إن لم نأت بأخينا بنيامين ، فإن ملك مصر ، ظن أننا (جواسيس) وأخبرناه بقصتنا فطلب أخانا ليتحقق صدقنا

[فأرسل معنا أخانا نكتل] أي أرسل معنا أخانا (بنيامين) لنأخذ ما نستحقه من الحبوب التي تُكال لنا

[وإِنا له لحافظون] أي نحفظه من أن يناله مكروه

[قال هل أمنكُم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل] أي قال لهم يعقوب : كيف آمنكم على بنيامين وقد فعلتم بيوسف بعد أن ضمنتم لي حفظه ، ثم خنتم العهد ؟ فأخاف أن تكيدوا له ، كما كدتم لأخيه ؟ فأنا لا أثق بكم ولا بحفظكم ، وِإنما أثق بحفظ الله

[فالله خير حافظا] أي حفظ الله خير من حفظكم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وهو أرحم الراحمين] أي هو أرحم من والديه وإخوته ، فأرجو أن يمُن علي بحفظه ، ولا يجمع علي مصيبتين

[ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم رُدت إليهم] أي ولما فتحوا الأوعية التى وضعوا فيها الميرة وجدوا ثمن الطعام في متاعهم

[قالوا يا أبانا ما نبغي] أي ماذا نبغي ؟ وأي شئ نطلب من إكرام الملك أعظم من هذا ؟

[هذه بضاعتنا رُدت إلينا] أي هذا ثمن الطعام قد رُد إلينا من حيثُ لا ندري ، فهل هناك مزيدَ فوق هذا الإِحسان ، أوفى لنا الكيل ، ورد لنا الثمن ! ! أرادوا بذلك استنزال أبيهم عن رأيه

[ونَميرُ أهلنا] أي نأتي بالميرة والطعام لأهلنا

[ونحفظ أخانا] أي نحفظه من المكاره ، وكرروا (حفظ الأخ) مبالغة في الحض على إرساله

[ونزداد كيل بعير] أي ونزداد باستصحابنا له حمل بعير ، روي أنه ما كان يعطي الواحد إلا كيل بعير من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الطعام ، فأعطاهم حمل عشرة جمال ومنعهم الحادي عشر حتى يحضر أخوهم

[ذلك كيل يسيرَ] أي سهل على الملك إعطاوه لسخائه

[قال لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله لتأتنني به] أي قال لهم أبوهم : لن أرسل معكم (بنيامين) إلى مصر حتى تعطوني عهدا مؤكدا وتحلفوا بالله لتردُنه علي

[إلا أن يُحاط بكم] أي إلا أن تُغلبوا فلا تقدروا على تخليصه ، ولا يبقى لكم طريق أو حيلة إلى ذلك قال مجاهد : إلا أن تموتوا كلكم فيكون ذلك عذرا عندي

[فلما آتوه موثقهم] أي فلما حلفوا له وأعطوه العهد المؤكد

[قال الله على ما نقول وكيل] أي الله شهيد رقيب على ذلك

[وقال يا بني لا تَدخلوا من بابٍ واحدٍ وأدخلوا من أبواب متفرقة] أي لا تدخلوا مصر من باب واحد ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قال المفسرون : خاف عليهم من العين إن دخلوا
مجتمعين إذ كانوا أهل جمال وهيبة ، والعينُ حق تُدخل
الرجلَ القبرَ ، والجملَ القِدر كما جاء في الحديث
الشريف

[وما أُغني عنكم من الله من شيء] أي لا أدفع عنكم
بتدبيري شيئاً مما قضاه الله عليكم ، فإن الحذر لا يدفع
القدر

[إن الحكم إلا لله] أي ما الحكم إلا لله جل وعلا وحده
لا يشاركه أحد ، ولا يمانعه شيء

[عليه توكلت] أي عليه وحده اعتمدت وبه وثقت

[وعليه فليتوكل المتوكلون] أي وعليه فليعتمد أهل
التوكل والإيمان ، وليفوضوا أمورهم إليه

[ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم] أي دخلوا من
الأبواب المتفرقة كما أوصاهم أبوهم

[ما كان يغني عنهم من الله من شيء] أي ما كان
دخولهم متفرقين ، ليدفع عنهم من قضاء الله شيئاً

[الا حاجة في نفس يعقوب قضاها] أي إلا خشية

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

العين شفقة منه على بنيه

[وإنه لذو علم لما علمناه] أي وِإن يعقوب لذو علم واسع لتعليمنا إياه بطريق الوحي ، وهذا ثناء من الله تعالى عظيم على يعقوب ، لأنه علم بنور النبوة أن القدر لا يدفعه الحذر

[ولكن أكثر الناس لا يعلمون] أي لا يعلمون ما خص الله به أنبياءه وأصفياءه من العلوم التي تنفعهم في الدارين .

البلاغة :

1 - [إني أرى سبع بقرات] صيغة المضارع لحكاية الحال الماضية .

2 - [سمان . .. وعجاف] بينهما طباق وكذلك بين [خضر . . ويابسات] طباق أيضاً ، وهو من المحسنات البديعية .

3 - [أضغاث أحلام] هذا من أبلغ أنواع الاستعارة وألطفها فإن الأضغاث هو المختلط من الحشيش المضموم بعضه إلى بعض ، فشبه اختلاط الأحلام وما

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فيها من المحبوب والمكروه ، والخير والشر باختلاط الحشيش المجموع من أصناف كثيرة بطريق الاستعارة .

4 - [يوسف أيها الصديق] هذا من براعة الاستهلال فقد قدم الثناء قبل السؤال طمعاً في إجابة مطلبه .

5 - [يأكلن ما قدمتم لهن] فيه (مجاز عقلي) لأن السنين لا تأكل وإنما يأكل الناس ما ادخروه فيها ، فهو من باب الإسناد إلى الزمان كقول الفصحاء : نهارُ الزاهدِ صائم وليلُه قائم .

6 - [لأمارة بالسوء] لم يقل (آمرة) مبالغة في وصف النفس بكثرة الدفع في المهاوي ، والقود إلى المغاوي لأن " فعال " من أبنية المبالغة .

7 - [فعرفهم وهم له منكرون] بين (عرف) و(أنكر) طباق . .

8 - [لا تدخلوا من باب واحد وأدخلوا من أبواب متفرقة] فيه إطناب وهو زيادة اللفظ على المعنى ، وفائدتُه تمكين المعنى من النفس ، وفيه أيضا من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المحسنات البديعية ما يسمى " طباق السلب " .

فائدة :

أثنى رسول الله (ص) على يوسف الصديق في كرمه وصبره وحلمه فقال : (لو لبثتُ في السجن ما لبثَ يوسفُ لأجبتُ الداعي) وكفى بهذا برهانا على عفة يوسف ونزاهته عليه السلام .

لطيفة :

ذكر بعض العلماء أن يوسف عليه السلام ما زال النساء يملن إليه ميل شهوة حتى نبأه الله ، فألقى عليه هيبة النبوة فشغلت هيبتُه كل من رآه عن حسنه .

قال الله تعالى : [ولما دخلوا على يوسف . .] إلى قوله [وأتوني بأهلكم أجمعين] من آية (69) إلى نهاية آية (93) .

المناسبة :

تتحدث الآيات عن مجيء إخوة يوسف للمرة الثانية إلى مصر ومعهم " بنيامين " الأخ الشقيق ليوسف ، وما كان من شأنه حين ظهر الصواع في رحله ، فاحتجزه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يوسف عنده بحكم شريعة (يعقوب) ، ثم ما كان من تمام المحنة على يعقوب عليه السلام بفقد ولديه حتي ذهب الحزن ببصره .

اللغة :

[تبتئس] تحزن

[العير] الإبل التي عليها الأحمال ثم كثر الاستعمال حتى قيل لكل قافلة عير

[صُواع] الصُواع : الصاع الذي يكال به يُذكر ويؤنث وهو السقاية

[زعيم] كفيل

[سولت] زينت وسهلت

[كظيم] ممتلىء من الحزن يكتمه ولا يبديه

[تفتأ] لا تفتأ ولا تزال من أخوات كان الناقصة

[حَرَضا] الحَرَض : المَرَض الذي يُشفي على الهلاك

قال الشاعر : سَرَى همي فأمرضني وقِدما زَادني

مَرَضا كذاك الحُب قبلَ اليَو مِ مما يُورِثُ الحَرَضا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وأصل الحَرَض الفساد في الجسم أو العقل

[بثي] البث : أشد الغم والهم

[فتحسسوا] التحسس : طلب الشيء بالحواس ، والتعرفُ عليه مع الاستقصاء الدقيق ويستعمل فى الخير كما أن (التجسس) يستعمل فى الشر ، و قيل يستعمل في الخير والشر

[لا تثريب] الثريبُ : التأنيب والتوبيخ .

التفسير :

[ولما دخلوا على يوسف] أي وحين دخل أولاد يعقوب على يوسف

[آوى إليه أخاه] أي ضم إليه أخاه الشقيق بنيامين

[قال إني أنا أخوك] أي أنا أخوك يوسف ، أخبره بذلك واستكتمه

[فلا تبتئس بما كانوا يعملون] أي لا تحزن بما فعلوا بنا فيما مضى فإن الله قد أحسن الينا وجمعنا بخير قال المفسرون : لما دخل إخوة يوسف عليه أكرمهم وأحسن ضيافتهم ثم أنزل كل اثنين في بيت وبقى "

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بنيامين " وحيدا فقال : هذا لا ثاني له فيكون معى ، فبات يوسف يضمه إليه ويعانقه ، وقال له : أنا أخوك " يوسف " فلا تحزن بما صنعوا ، ثم أعلمه أنه سيحتال لإبقائه عنده وأمره أن يكتم الخبر

[فلما جهزهم بجهازهم] أي ولما قضى حاجتهم وحمل إبلهم بالطعام والميرة

[جعل السقايةَ في رحل أخيه] أي أمر يوسف بأن تُجعل السقاية - وهي صاع من ذهب مرصع بالجواهر - في متاع أخيه بنيامين

[ثم أذن مؤذن] أي نادى منادٍ

[أيتها العيرُ] أي يا أصحاب الإبل ويا أيها الركبُ المسافرون

[إنكم لسارقون] أي أنتم قوم سارقون ، وإنما استحل أن يرميهم بالسرقة لما في ذلك من المصلحة من إمساك أخيه

[قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون] ؟ قال المفسرون : لما وصل المنادون إليهم قالوا : ألم نكرمكم ونحسن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ضيافتكم ؟ ونوف إليكم الكيل ؟ ونفعل بكم ما لم نفعل بغيركم ؟ قالوا : بلى وما ذاك ؟ قالوا : فقدنا سقاية الملك ولا نتهم عليها غيركم فذلك قوله تعالى : [قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون] أي التفتوا إليهم وسألوهم ماذا ضاع منكم ؟ وماذا فُقد ؟ وفي قولهم [ماذا تفقدون] بدل (ماذا سرَقنا) إرشاد لهم إلى مراعاة حسن الأدب ، وعدم المجازفة بنسبة البريئين إلى تهمة السرقة ، ولهذا التزموا الأدب معهم فأجابوهم

[قالوا نفقِد صُواع الملك] أي ضاع منا مكيال المِلك المُرصع بالجواهر

[ولمن جاءَ به حمل بعير] أي ولمن جاءنا بالمكيال ورده إلينا حِملُ بعير من الطعام كجائزة له

[وأنا به زعيم] أي أنا كفيلٌ وضامن بذلك

[قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنُفسد في الأرض] قسمٌ فيه معنى التعجب ، أي قالوا متعجبين : والله لقد علمتم أيها القوم ما جئنا بقصد أن نفسد في أرضكم

[وما كنا سارقين] أي ولسنا ممن يُوصف بالسرقة قط

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لأننا أولاد أنبياء ولا نفعل مثل هذا الفعل القبيح ، قال البيضاوى : استَشهدوا بعلمهم على براءة أنفسهم لما عرفوا منهم من فرط أمانتهم ، كرد البضاعة التي جُعلت في رحالهم ، وككم أفواه الدواب لئلا تتناول زرعاً أو طعاماً لأحد

[قالوا فما جزاؤه إن كنتم كاذبين] أي ما عقوبة السارق في (شريعتكم) إن كنتم كاذبين في ادعاء البراءة ؟

[قالوا جزاؤه من وُجد في رَحله فهو جزاؤه] أي جزاء السارق الذي يوجد الصاع في متاعه أن يُسترق ويصبح مملوكا لمن سَرَق منه

[كذلك نجزي الظالمين] أي كذلك نجازي من تعدى حدود الله بالسرقة وأمثالها ، وهذا القول منهم هو الحكم في شريعة يعقوب وقد نُسِخ بقطع الأيدي في الشريعة الإسلامية

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه] أي بدأ بتفتيش أوعيتهم قبل وعاء أخيه بنيامين ، قال المفسرون : هذا من تمام الحيلة ودفع التهمة ، فإنهم لما ادعوا البراءة قالوا لهم : لا بد من تفتيش أوعيتكم واحداً واحداً ، فانطلقوا بهم إلى يوسف فبدأ بتفتيش أوعيتهم قبل وعاء (بنيامين) قال قتادة : ذُكر لنا أنه كان لا يفتح متاعاً ولا ينظر وعاءً إلا استغفر الله مما قذفهم به ، حتى بقي أخوه - وكان أصغرَ القوم -فقال : ما أظُنُّ هذا أخذ شيئا فقالوا : والله لا نتركُك حتى تنظر في رَحله ، فإنه أطيب لنفسك وأنفسنا ، فلما فتحوا متاعه وجدوا الصُواع فيه فذلك قوله تعالى

[ثم استخرجها من وعاء أخيه] أي استخرج الصُواع من متاع أخيه (بنيامين) ، فلما أخرجها منه نكس الإِخوة رءوسَهم من الحياء ، وأقبلوا عليه يلومونه ويقولون له : فضحتنا وسودت وجوهنا يا ابن راحيل

[كذلك كدنا ليوسف] أي كذلك صنعنا ودبرنا ليوسف وألهمناه الحيلة ليستبقي أخاه عنده

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ما كان ليأخذ أخاه في دين الملِك] أي ما كان ليوسف أن يأخذ أخاه في دين ملك مصر ، لأن جزاء السارق عنده أن يُضرب ويُغرم ضعفَ ما سرَق

[الا أن يشاء الله] أي الا بمشيئته تعالى وإذنه ، وقد دلت الآية على أن تلك الحيلة كانت بتعليم الله وإلهامه له

[نرفع درجات مَن نشاء] أي نرفع بالعلم منازل من نشاء من عبادنا كما رفعنا يوسف

[وفوق كل ذي علم عليم] أي فوق كل عالم من هو أعلم منه حتى ينتهي الى ذي العلم البالغ وهو (رب العالمين) ، قال الحسن : ليس عالم إلا فوقهَ عالم حتى ينتهي العلم إلى الله ، وقال ابن عباس : الله العليم الخبير فوق كل عالم

[قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل] أي إن سرق فقد سرق أخوه الشقيق من قبله يعنون يوسف ، تنصلوا من السرقة ورموا بها يوسف وأخاه

[فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم] أي أخفى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تلك القولة في نفسه وكتمها ولم يُظهرها لإخوته تلطفاً معهم

[قال أنتم شر مكاناً] أي أنتم شرٌ منزلة حيث سرقتم أخاكم من أبيكم ثم طفقتم تفترون على البريء ، ولم يواجههم بهذا الكلام وإنما قاله في نفسه

[والله أعلم بما تصفون] أي أعلم بما تتقولون وتفترون

[قالوا يا أيها العزيز إن له أباً شيخاً كبيراً] استرحام واستعطافٌ أي قالوا مستعطفين : يا أيها السيد المبجل إن أباه شيخ كبير في السن لا يكاد يستطيع فراقه

[فخذ أحدنا مكانه] أي خذ بدله واحدا منا فلسنا عنده بمنزلته من المحبة والشفقة

[إنا نراك من المحسنين] أي أتمم إحسانك علينا فقد عودتنا الجميل والإحسان

[قال معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده] أي نعوذ بالله من أن نأخذ أحداً بجرم غيره

[إنا إذاً لظالمون] أي نكون ظالمين إن فعلنا ذلك ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قال الألوسي : والتعبير بقوله : [من وجدنا متاعنا عنده] بدل " من سَرَقَ " لتحقيق الحق والاحتراز عن الكذب

[فلما استيأسوا منه خلصوا نجياً] أي ولما يئسوا من إجابة طلبهم يأساً تاماً ، وعرفوا أن لا جدوى من الرجاء ، اعتزلوا جانباً عن الناس يتناجون ويتشاورون

[قال كبيرهم ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله] أي قال أكبرهم سنا وهو " روبيل " أليس قد أعطيتم أباكم عهداً وثيقاً برد أخيكم ؟

[ومن قبل ما فرطتم في يوسف] أي ومن قبل هذا ألا تذكرون تفريطكم في يوسف ؟ فكيف ترجعون إليه الآن ؟

[فلن أبرح الأرض حتى يأذن لي أبي] أي فلن أفارق أرض مصر حتى يسمح لي أبي بالخروج منها

[أو يحكم الله لي] أي يحكم لي بخلاص أخي

[وهو خير الحاكمين] أي وهو سبحانه أعدل الحاكمين لأنه لا يحكم إلا بالعدل والحق

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[إرجعوا إلى أبيكم فقولوا يا أبانا إن ابنك سرق] أي ارجعوا إلى أبيكم فأخبروه بحقيقة ما جرى وقولوا له : إن ابنك (بنيامين) سَرَق

[وما شهدنا إلا بما علمنا] أي ولسنا نشهد إلا بما تيقنا وعلمنا فقد رأينا الصاع في رَحله

[وما كنا للغيب حافظين] أي ما علمنا أنه سيسرق حين أعطيناك الميثاق

[واسأل القرية التي كنا فيها] أي واسأل أهل مصر عن حقيقة ما حدث قال البيضاوي : أي أرسل إلى أهلها واسألهم عن القصة

[والعير التي أقبلنا فيها] أي واسأل أيضاً القافلة التي جئنا معهم وهم قوم من (كنعان) كانوا بصحبتهم في هذه السفرة

[وإنا لصادقون] أي صادقون فيما أخبرناك من أمره

[قال بل سولت لكم أنفسكم أمراً] أي زينت وسهلت لكم أنفسكم أمراً ومكيدة فنفذتموها ، اتهمهم بالتآمر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

على " بنيامين " لما سبق منهم في أمر يوسف

[فصبرجميل] أي لا أجد سوى الصبر محتسبا أجري عند الله

[عسى الله أن يأتيني بهم جميعاَ] أي عسى أن يجمع الله شملي بهم ، ويقر عيني برؤيتهم جميعا

[إنه هو العليم الحكيم] أي العالم بحالي الحكيم في تدبيره وتصريفه

[وتولى عنهم] أي أعرض عن أولاده كراهة لما سمع منهم

[وقال يا أسفى على يوسف] أي يا لهفى ويا حسرتي وحزني على يوسف

[وابيضت عيناه من الحزن] أي فَقَد بصرَه وعشي ((عشى البصر : ضعف حتى كاد لا يرى من شدة البكاء كأن غشاوة صارت عليه ، قال الشاعر : عشيت عيناي من طول البكاء . قال المفسرون : إن يعقوب فقد بصره من شدة حزنه على يوسف وبقي لا يبصر ست سنوات حتى كشف الله عنه الضر بقميص يوسف

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

واستدلوا بقوله تعالى : {ألقاه على وجهه فارتد بصيرا. . })) من شدة البكاء حزناً على ولديه

[فهو كظيم] أي مملوء القلب كمداً وغيظاً ولكنه يكتم ذلك في نفسه ، وهو مغموم ومكروب لتلك الداهية الدهياء قال أبو السعود : وإنما تأسف على يوسف مع أن الحادث مصيبة أخويه لأن ذِكرَ يوسف كان آخذاً بمجامع قلبه لا ينساه ولأنه كان واثقاً بحياتهما طامعا في إيابهما وأما يوسف فلم يكن في شأنه ما يحرك سلسلة رجائه سوى رحمة الله وفضله وقال الرازي : الحزن الجديد يقوي الحزن القديم الكامن في النفس ، والأسى يبعث الأسى ويثير الأحزان ، كما قال الشاعر : فقلت له إن الأسى يبعث الأسى فدعني فهذاكله قبرمالك

[قالوا تالله تَفتَؤا تذكر يوسف] أي لا تفتأ ولا تزال تذكر يوسف وتتفجع عليه

[حتى تكون حرضا أو تكون من الهالكين] أي حتى تكون مريضاً مشرفاً على الهلاك أو تهلك أسى وحسرة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وتموت

[قال إنما أشكوا بثي وحزني إلى الله] أي قال لهم يعقوب : لستُ أشكو غمي وحزني إليكم وإنما أشكو ذلك إلى الله فهو الذي تنفع الشكوى إليه

[وأعلم من الله ما لا تعلمون] أي أعلم من رحمته وإحسانه ما لا تعلمون أنتم فأرجو أن يرحمني ويلطف بى ويأتيني بالفرج من حيث لا أحتسب

[يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه] أي اذهبوا إلى الموضع الذي جئتم منه فالتمسوا يوسف وتعرفوا على خبره وخبر أخيه بحواسكم

[ولا تيأسوا من روح الله] أي لا تقنطوا من رحمة الله وفرجه وتنفيسه

[إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون] أي فإنه لا يقنط من رحمته تعالى إلا الجاحدون المنكرون لقدرته جل وعلا

[فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر] في الكلام محذوف أي فخرجوا راجعين إلى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مصر فدخلوا على يوسف فلما دخلوا قالوا يا أيها العزيز أصابنا وأهلنا الشدة من الجدب والقحط

[وجئنا ببضاعة مزجاة] أي وجئنا ببضاعة رديئة مدفوعة يدفعها كل تاجر رغبة عنها واحتقاراً قال ابن عباس : كانت دراهمهم رديئة لا تقبل في ثمن الطعام . لقد أظهروا له الذل والانكسار استرحاماً واستعطافاً

[فأوف لنا الكيل] أي أتمم لنا الكيل ولا تنقصه لرداءة بضاعتنا

[وتصدق علينا] أي برد أخينا إلينا أو بالمسامحة عن رداءة البضاعة

[إن الله يجزي المتصدقين] أي يثيب المحسنين أحسن الجزاء . . ولما بلغ بهم الأمر إلى هذا الحد من الاسترحام والضيق والانكسار أدركته الرأفة فباح لهم بما كان يكتمه من أمره

[قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون] ؟ أي هل تذكرون ما فعلتم بيوسف وأخيه ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

حال شبابكم وطيشكم ؟ والغرض تعظيم الواقعة كأنه يقول : ما أعظم ما ارتكبتم في يوسف ؟ وما أقبح ما أقدمتم عليه ! قال أبو السعود : وإنما قاله نصحاً لهم ، وتحريضاً على التوبة ، وشفقة عليهم

[قالوا أئنك لأنت يوسف] أي قال إخوته متعجبين مستغربين : أأنت يوسف حقاً ؟

[قال أنا يوسف وهذا أخي] أي قال : نعم أنا يوسف وهذا أخى الشقيق

[قد من الله علينا] أي من علينا بالخلاص من البلاء ، والاجتماع بعد الفرقة ، والعزة بعد الذلة

[إنه من يتق ويصبر] أي إنه من يتق الله فيراقبه ويصبر على البلايا والمحن

[فإن الله لا يضيع أجر المحسنين] أي لا يبطل أجرهم ولا يضيع إحسانهم بل يجزيهم عليه أوفى الجزاء قال البيضاوي : ووضع المحسنين موضع الضمير للتنبيه على أن المحسن من جمع بين التقوى والصبر

[قالوا تالله لقد آثرك الله علينا] اعتراف بالخطيئة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وإقرار بالذنب ، أي والله لقد فضلك الله علينا بالتقوى والصبر ، والعلم والحلم

[وإن كنا لخاطئين] أي وحالنا وشأننا أننا كنا مذنبين بصنيعنا الذي صنعنا بك ، ولذلك أعزك الله وأذلنا ، وأكرمك وأهاننا

[قال لا تثريب عليكم اليوم] أي قال لهم يوسف : لا عتب عليكم اليوم ولا عقوبة بل أصفح وأعفو

[يغفر الله لكم] دعاء لهم بالمغفرة وهذا زيادة تكريم منه لما فرط منهم

[وهو أرحم الراحمين] أي هو جل وعلا المتفضل على التائب بالمغفرة والرحمة ، أرحم بعباده من كل أحد

[اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي] قال الطبري : ذُكر أن يوسف لما عرف نفسه إخوته سألهم عن أبيهم فقالوا : ذهب بصره من الحزن فعند ذلك أعطاهم قميصه ، وأراد يوسف تبشير أبيه بحياته ، وإدخال السرور عليه بذلك

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[يأت بصيراً] أي يرجع اليه بصره

[وأتوني بأهلكم أجمعين] أي وجيئوني بجميع الأهل والذرية من أولاد يعقوب .

البلاغة :

1 - [ولما جهزهم بجهازهم] فيه جناس الاشتقاق وكذلك في [أذن مؤذن] .

2 - [فأسرها . . ولم يبدها] بينهما طباق .

3 - [شيخاً كبيراً] فيه إطناب للاستعطاف .

4 - [واسأل القرية] مجاز مرسل علاقته المحلية أي اسأل أهل القرية .

5 - [يا أسفى على يوسف] بين لفظتي الأسف ويوسف جناس الاشتفاق .

6 - [تالله تفتأ] إيجاز بالحذف أي والله ما تفتأ أي لا تزال تذكر يوسف .

7 - [ولا تيأسوا من روح الله] فيه استعارة استعير الروح وهو تنسيم الريح التي يلذ شميمها ويطيب نسيمها ، للفَرَج الذي يأتي بعد الكربة ، واليسر الذي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يأتي بعد الشدة ، فاستعار الروح للفرج بعد الكرب .

لطيفة :

ذكر القاضي عياض في كتابه " الشفا " أن أعرابياً سمع رجلاً يقرأ هذه الآية [فلما استيأسوا منه خَلصوا نجياَ] فقال : أشهد أن مخلوقاً لا يقدر على مثل هذا الكلام . . وذلك أن الآية ذكرت صفة اعتزالهم لجميع الناس ، وانفرادهم من غيرهم ، وتقليبهم الآراء ظهراً لبطن ، وأخذهم في تزوير ما يلقون به أباهم عند عودهم إليه ، وما يوردون عليه من ذكر الحادث ، فتضمنت تلك ا لآية القصيرة ، معاني القصة الطويلة .

قال الله تعالى : [ولما فصلت العير قال أبوهم . .] إلى قوله [وهدى ورحمة لقوم يؤمنون] . من آية (94) إلى نهاية السورة الكريمة .

المناسبة :

تتحدث الآيات عن مجيء أسرة يعقوب بأسرهم إلى مصر ، ودخولهم على يوسف وهو في عز السلطان

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وعظمة الملك ، وتحقيق الرؤيا بسجود إخوته الأحد عشر له مع أبيه وأمه ، وإجتماع الشمل بعد الفرقة ، وحلول الأنس بعد الكدر ، ثم تختم السورة الكريمة بتوجيه الأنظار الى عجائب الكون الدالة على القدرة والوحدانية ، وما في قصص القرآن من العبر والعظات [لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب] ! ! .

اللغه :

[تفندون] تنسبوني إلى الخَرَف ، قال الأصمعي : إذا كَثر كلام الرجل من خَرَف فهو المفنَد ، وقال الزمخشري : التفنيد : النسبة إلى الفَنَد وهو الخَرَف وإنكار العقل من هرم يقال : شيخ مُفنَد ولا يقال عجوز مُفندَة ، لأنها لم تكن في شبيبتها ذات رأي فتفند في كبرها

[ضلالك] ذهابك عن الصواب

[البدو] البادية

[نزغ] أفسد وأغوى وأصله من نزغ الراكب الدابة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إذا نخسها ليحملها على الجري

[فاطر] مبدع ومخترع وأصله من فطر إذا شنق ثم صار عبارة عن الخلق والإيجاد

[غاشية] عذاب يغشاهم

[بغتة] فجأة

[بأسنا] عذابنا

[عبرة] عظة وتذكرة .

التفسير :

[ولما فصلت العير] أي خرجت منطلقة من مصر إلى الشام

[قال أبوهم إني لأجد ريح يوسف] أي قال يعقوب لمن حضر من قرابته إني لأشم رائحة يوسف ، قال ابن عباس : هاجت ريح فحملت ريح قميص يوسف وبينهما مسيرة ثمان ليال

[لولا أن تفندون] أي تسفهوني وتنسبوني إلى الخَرَف وهو ذهاب العقل ، وجواب [لولا] محذوف تقديره لأخبرتكم أنه حي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[قالوا تالله إنك لفي ضلالك القديم] أي قال حفدته ومن عنده : والله إنك لفي خطأ وذهاب عن طريق الصواب قديم ، بإفراطك في محبة يوسف ، ولهجك بذكره ، ورجائك للقائه ، قال المفسرون : وإنما قالوا ذلك لاعتقادهم أن يوسف قد مات

[فلما أن جاء البشير] أي فلما جاء المبشر بالخبر السار قال مجاهد : كان البشير أخاه " يهوذا " الذي حمل قميص الدم ، فقال : أفرحه كما أحزنته

[ألقاه على وجهه] أي طرح البشير القميص على وجه يعقوب

[فارتد بصيراً] أي عاد بصيراً لما حدث له من السرور والانتعاش

[قال ألم أقل لكم إني أعلم من الله ما لا تعلمون] أي قال يعقوب لأبنائه : ألم أخبركم بأني أعلم ما لا تعلمونه من حياة يوسف ، وأن الله سيرده عليَّ لتتحقق الرؤيا ؟ قال المفسرون : ذكرهم بقوله : [إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون] روي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أنه سأل البشير كيف يوسف ؟ فقال : هو ملك مصر ، قال : ما أصنع بالملك ! على أي دين تركتَه ؟ قال : على دين الإسلام ، قال : الآن تمت النعمة

[قالوا يا أبانا إستغفر لنا ذنوبنا] طلب أبناوه أن يستغفر لهم لما فرط منهم ثم اعترفوا بخطأهم بقولهم : [إنا كنا خاطئين] أيَ مخطئين فيما ارتكبنا مع يوسف

[قال سوف أستغفر لكم ربي] وعدهم با لاستغفار ، قال المفسرون : أخرَّ ذلك إلى السحَر ليكون أقرب إلى ا لإجابة ، وقيل : أخرهم إلى يوم الجمعة ليتحرى ساعة الإجابة ((يقول سيد قطب عليه الرحمة : وحكاية عبارته بكلمة {سوف } لا تخلو من إشارة إلى قلب إنساني مكلوم ، فإنه يعدهم بالاستغفار بعد أن يصفو ويسكن ويستريح))

[إنه هو الغفور الرحيم] أي الساتر للذنوب الرحيم بالعباد

[فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه] أي فلما دخل يعقوب وأبناؤه وأهلوهم على يوسف ضم إليه أبويه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

واعتنقهما

[وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين] أي ادخلوا بلدة مصر آمنين من كل مكروه ، وإنما قال : [إن شاء الله] تبركاً وتيمناً

[ورفع أبويه على العرش] أي أجلسهما على سرير الملك بجانبه

[وخروا له سجدا] أي سجد له أبوه وأمه وإخوته حين دخولهم عليه ، قال المفسرون : كان السجود عندهم تحية وكرامة ، لا عبادة ، وهو جائز في شريعتهم ومحرم في شريعتنا

[وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل] أي هذا تفسير الرؤيا التي رأيتها في منامي وأنا صغير

[قد جعلها ربي حقاً] أي صدقاً حيث وقعت كما رأيتها في النوم

[وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن] أي أنعم علي بإخراجي من السجن ، قال المفسرون : ولم يذكر قصة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الجب تكرماً منه ، لئلا يخجل إخوته ويذكرهم صنيعهم بعد أن عفا عنهم

[وجاء بكم من البدو] أي جاء بكم من البادية لأنهم كانوا أهل إبل وغنم ببادية فلسطين ، ذكرهم بنعمة الله على " آل يعقوب " حيث نقلهم من البادية إلى الحضر ، وإجتمع شمل الأسرة بمصر ، قال الطبري : ذُكر أن يعقوب دخل مصر هو ومن معه من أولاده وأهاليهم وأبنائهم وهم أقل من مائة ، وخرجوا منها يوم خرجوا وهم زيادة على ستمائة ألف

[من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي] أي أفسد ما بيني وبين إخوتي بالإغواء ، قال أبو حيان : وذَكَر هذا القدر من أمر إخوته لأن النعمة إذا جاءت إِثر بلاءٍ وشدة ، كانت أحسن موقعا

[إن ربي لطيف لما يشاء] أي لطيف التدبير يحقق مشيئتَه بلطفِ ودقة خفية ، لا يحسها الناس ولا يشعرون بها

[إنه هو العليم الحكيم] أي العليم بخلقه الحكيم في

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

صنعه ، قال المفسرون : إن يعقوب عليه السلام أقام مع يوسف في مصر أربعاً وعشرين سنة ثم مات ، وكان قد أوصى أن يُدفن بالشام إلى جنب أبيه إسحق ، فمضى يوسف بنفسه ودفنه ثمة ، ثم لما عاد إلى مصر عاش بعد أبيه ثلاثاً وعشرين سنة ، فلما تم أمره وعلم أنه لا يدوم تاقت نفسه إلى النعيم الدائم الخالد ، واشتاق الى لقاء الله ، وإلى آبائه الصالحين (إبراهيم وإسحق) فقال

[رب قد آتيتني من الملك] أي أعطيتني العز والجاه والسلطان ، وذلك من نعمة الدنيا

[وعلمتني من تأويل الأحاديث] أي علمتني تفسير الرؤيا ، وذلك من نعمة العلم

[فاطر السموات والأرض] أي يا مبدع السموات والأرض وخالقهما على غير مثال سابق

[أنت وليي في الدنيا والآخرة] أي أنت يا رب متولي أموري وشئوني في الدارين

[توفني مسلما وألحقني بالصالحين] أي اقبضني إليك

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مسلما ، واجعل لحاقي بالصالحين ، ابتهل إلى ربه أن يحفظ عليه إسلامه حتى يموت عليه ، وإلى هنا تنتهي قصة يوسف الصديق ، ثم يأتي التعقيب بعد ذلك بإقامة البرهان على صحة نبوة محمد عليه الصلاة والسلام

[ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك] أي ذلك الذي أخبرناك عنه يا أيها الرسولُ من أمر يوسف وقصته ، من الأخبار المغيبة التي لم تكن تعلمها قبل الوحي ، وإنما نُعلمك نحن بها على أبلغ وجه وأدق تصوير ، ليظهر صدقك في دعوى الرسالة

[وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون] أي وما كنت حاضراً مع إخوة يوسف ، حين تآمروا على أخيهم ، وأجمعوا أمرهم على إلقائه في الجب وهم يحتالون ويمكرون به وبأبيه ليرسله معهم ، فإنك يا محمد لم تشاهدهم حتى تقف على حقيقة القصة وإنما جاءتك بوحي من العليم الخبير

[وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين] هذه تسلية للنبي (ص) أي ليس أكثر الخلق ولو حرصتَ على

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إيمانهم وبالغتَ في إرشادهم بمصدقين لك لتصميمهم على الكفر

[وما تسألهم عليه من أجر] أي وما تطلب منهم على هذا النصح ، والدعاء إلى الخير والرشد أجرة حتى يثقل ذلك عليهم

[إن هو إلا ذكر للعالمين] أي ما هذا القرآن الا عظة وتذكير للعالمين ، وأنت لا تطلب في تلاوته عليهم مالاً ، فلو كانوا عقلاء لقبلوا ولم يتمردوا

[وكأين من آية في السموات والأرض] أي كم من الآيات والعلامات الدالة على وجود الله جل وعلا ووحدانيته ، الكائنة في السنوات والأرض ، كالشمس والقمر والنجوم ، والجبال والبحار والأشجار ، وسائر ما فيهما من العجائب

[يمرون عليها] أي يشاهدونها ليلَ نهار ، ويمرون عليها بالعشي والإبكار

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وهم عنها معرضون] أي لا يفكرون فيها ولا يعتبرون ، فلا تتعجب من إعراضهم عنك فإن إعراضهم عن هذه الآيات الدالة على وحدانية الله وقدرته أغرب وأعجب

[وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون] أي لا يؤمن أكثر هؤلاء المكذبين من قومك إلا إذا أشركوا مع الله غيره ، فإنهم يقرون بأن الله هو الخالق الرازق ويعبدون معه الأصنام قال ابن عباس : ومن ذلك قولهم في تلبيتهم : " لبيك لا شريك لك ، إلا شريكا هو لك ، تملكه وما ملك "

[أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله] أفأمن هؤلاء المكذبون عقوبة من عذاب الله تغشاهم وتشملهم ؟

[أو تأتيهم الساعة بغتةً وهم لا يشعرون] أي أو تأتيهم القيامة بأهوالها فجأة من حيث لا يشعرون ولا يتوقعون ؟ والاستفهام إنكاري وفيه معنى التوبيخ

[قل هذه سبيلي] أي قل يا محمد هذه طريقي ومنهاجي واضحة مستقيمة لا عوج فيها ولا شك ولا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

شبهة

[أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني] أي أدعو إلى عبادة الله وطاعته ، على بيان وحجة واضحة أنا ومن آمن بي

[وسبحان الله وما أنا من المشركين] أي وأنزهه سبحانه عن الشركاء والأنداد ، فأنا مؤمن موحد ولست من المشركين

[وما أرسلنا من قبلك الا رجالاً نوحي إليهم] أي وما أرسلنا من قبلك يا محمد إلا رجالاً من البشر لا ملائكة من السماء ، قال الطبرى : أي رجالاً لا نساءً ولا ملائكة نوحي إليهم آياتنا للدعاء إلى طاعتنا ، والآية رد على من أنكر أن يكون النبي من البشر ، أو زعم أن في النساء نبيات

[من أهل القرى] أي من أهل المُدن والأمصار لا من أهل البوادي ، قال الحسن : لم يبعث الله نبياً من أهل البادية قط ولا من النساء ولا من الجن ، قال المفسرون : وإنما كانوا من أهل الأمصار لأنهم أعلم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وأحلم ، وأهل البوادي فيهم الجهل والجفاء والقسوة

[أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم] أي أفلم يسر هؤلاء المكذبون في الأرض فينظروا نظر تفكر وتدبر ما حل بالأمم السابقين ومصارع المكذبين فيعتبرون بذلك ؟ والاستفهام للتوبيخ

[ولدار الأخرة خير للذين اتقوا] أي الدار الآخرة خير للمؤمنين المتقين من هذه الدار التي ليس فيها قرار

[أفلا تعقلون] أي أفلا تعقلون فتؤمنون ! !

[حتى إذا استيأس الرسل] أي يئس الرسل من إيمان قومهم

[وظنوا أنهم قد كذبوا] أي أيقن الرسل أن قومهم كذبوهم

[جاءهم نصرنا] أي أتاهم النصر عند اشتداد الكرب ، ففي اللحظة التي تستحكم فيها الشدة ، ويأخذ فيها الكرب بالمخانق ، ولا يبقى أمل في غير الله ، في هذه اللحظة يجيء النصر كاملا حاسماَ فاصلا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فنجي من نشاء] أي فنجينا الرسل والمؤمنين بهم دون الكافرين

[ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين] أي ولا يُرد عذابنا وبطشنا عن المجرمين إذا نزل بهم

[لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب] أي لقد كان في قصة يوسف وإخوته عظة وتذكرة لأولي العقول النيرة

[ما كان حديثاً يفترى] أي ما كان هذا القرآن أخباراً تروى أو أحاديث تختلق

[ولكن تصديق الذى بين يديه] أي ولكن كان هذا القرآن مصدقاً لما سبقه من الكتب السماوية المنزلة من قبل

[وتفصيل كل شيء] أي تبيان كل ما يَحتاج إليه الناسُ من أحكام الحلال والحرام ، والشرائع والأحكام

[وهديً ورحمة لقوم يؤمنون] أي وهداية من الضلالة ورحمة من العذاب لقوم يصدقون به ويعملون بأوامره ونواهيه .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

البلاغة :

1 - [تالله إنك لفي ضلالك] أكدوا كلامهم (بالقسم وإن واللام) وهذا الضرب يسمى [إنكارياً] لتتابع أنواع المؤكدات .

2 - [ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين] جملة [إن شاء الله] دعائية جيء بها للتبرك وفي الآية تقديم وتأخير تقديره : ادخلوا مصر آمنين إن شاء الله .

---

3 - [ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا] أبواه المراد به الأب والأم فهو من (باب التغليب) ، والرفع مؤخر عن الخرور وإن تقدم لفظاً للاهتمام بتعظيمه لهما أي سجدوا له ثم أجلس أبويه على عرش الملك .

4 - [وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين] جملة [ولو حرصت] اعتراضية بين اسم [ما] الحجازية وخبرها ، وجيء بهذا الاعتراض لإفادة أن الهداية بيد الله جل وعلا وحده .

5 - [وما تسألهم عليه من أجر] هذا على حذف

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مضاف أي وما تسألهم على تبليغ القرآن من أجر.

6 - [وهم عنها معرضون] [إلا وهم مشركون] فيه من المحسنات البديعية " السجعُ " وهو توافق لفاصلتين في الحرف الأخير.

تنبيه :

دل قوله تعالى : [لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب] على أن الغرض من ذكر هذه القصص والأخبار ، العظةُ والاعتبار ، ووجه الاعتبار بهذه القصة أن الذي قدر على إخراج يوسف من الجب بعد إلقائه فيه ، وإخراجه من السجن ، وتمليكه مصر بعد العبودية ، وجمع شمله بأبيه وإخوته بعد المدة الطويلة واليأس من الاجتماع ، قادر على إعزاز محمد (ص) وإعلاء شأنه ، وإظهار دينه ، وأن الإخبار بهذه القصة العجيبة جار مجرى الإخبار عن الغيوب ، فكان ذلك معجزة لرسول الله (ص) . (انتهي بعون الله وتوفيقه تفسير سورة يوسف)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

سورة الرعد

مدنية وآَياتها ثلاث وأربعون آية

يدى السورة

سورة الرعد من السور المكية ، التي تتناول المقاصد الأساسية للسور المكية ، من تقرير " الوحدانية " و " الرسالة " و " البعث والجزاء " ودفع الشبه التي يثيرها المشركون ، وقيل : إنها مدنية وجوها جو المكي .

ابتدأت السورة الكريمة بالقضية الكبرى ، قضية الإيمان بوجود الله ووحدانيته ، فمع سطوع الحق ووضوحه ، كذب المشركون بالقرآن ، وجحدوا وحدانية الرحمن ، فجاءت الآيات تقرر كمال قدرته تعالى ، وعجيب خلقه ، في السموات والأرض ، والشمس والقمر ، والليل والنهار ، والزروع والثمار ، وسائر ما خلق الله في هذا الكون الفسيح البديع .

ثم تلتها الآيات في إثبات البعث والجزاء ، ثم بعد ذكر الأدلة الساطعة والبراهين القاطعة ، على انفراده جل وعلا بالخلق والإِيجاد ، والإِحياء والإِماتة ، والنفع

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والضر ، ضرب القرآن مثلين للحق والباطل أحدهما : في الماء ينزل من السماء ، فتسيل به الأودية والشعاب ، ثم هو يجرف في طريقه الغثاء ، فيطفو على وجهه الزبد الذي لا فائدة فيه ، والثاني : في المعادن التي تذاب لتصاغ منها الأواني وبعض الحلية كالذهب والفضة ، وما يعلو هذه المعادن من الزبد والخبث ، الذي لا يلبث ان يذهب جفاء ويضمحل ويتلاشى ، ويبقى المعدن النقي الصافي [أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا . .] الآيات فذلك مثل الحق والباطل . وذكرت السورة الكريمة اوصاف أهل السعادة وأهل الشقاوة ، وضربت مثَلا بشهادة الله لرسوله بالنبوة والرسالة ، وأنه مرسل من عند الله العزيز الحكيم .

التسمية :

سميت [سورة الرعد] لتلك الظاهرة الكونية العجيبة ، التي تتجلى فيها قدرة الله وسلطانه ، فالماء جعله الله سببا للحياة ، وأنزله بقدرته من السحاب ، والسحاب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

جمع الله فيه بين (الرحمة والعذاب) ، فهو يحمل المطر ويحمل الصواعق ، وفي الماء الإحياء ، وفي الصواعق الإفناء ، وجمع النقيضين من العجائب كما قال القائل : جمع النقيضين من أسرار قدرته هذا السحاب به ماء به نار فما أجمل واعظم قدرة الله !!

اللغة :

[عمد] العمد : الدعائم وهو اسم جمع وقيل : جمع عمود

[صنوان] جمع صنوو وهو الغصن الخارج عن اصل الشجرة واصله المثْل ومنه قيل للعم صنو لمماثلته للأب ، فإذا كان للشجرة عدة فروع فهي صنوان

[الأغلال] جمع غل وهو طوق تشد به اليد إلى العنق

[المثلات] جمع مثلَة وهي العقوبة وسميت بذلك لما بين العقاب والمعاقب من المماثلة

[تغيض] غاض الماء نقص أو غار

[سارب] السارب : الذاهب في سربه أي طريقه بوضح النهار لا يستخفي عن الأنظار

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[معقبات] ملائكة يعقب بعضهم بعضا اي يأتي بعضهم عقب بعض

[المحال] القوة والإهلاك والنقمة .

سبب النزول :

عن أنس أن رسول الله ، بعث رجلا إلى جبار من فراعنة العرب فقال : اذهب فادعه لي ! ! فقال يا رسول الله : إنه جبار عات قال : اذهب فادعه لي ، فذهب إليه فقال : يدعوك رسول الله (ص) فقال : أخبرني عن إله محمد أمن ذهب هو ؟ أو من فضة ؟ أو من نحاس ؟ فرجع إلى رسول الله (ص) فأخبره بما قال الرجل ، وقال له : ألم أخبرك أنه أعتى من ذلك ؟ فقال : ارجع إليه الثانية فادعه لي ، فرجع إليه فأعاد عليه ذلك الكلام ، فبينما هو يجادله إذ بعث الله عليه سحابة حيال رأسه ، فرعدت فوقعت منها صاعقة فذهبت بقحف رأسه فأنزل الله : [ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء. .] الآية.

التفسير :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[المر] إشارة إلى إعجاز القرآَن وقال ابن عباس معناه : انا الله أعلم وأرى

[تلك آيات الكتاب] اي هذه آيات القرآن المعجز ، الذي فاق كل كتاب

[والذى أنزل إليك من ربك الحق] اي والذي اوحي إليك يا محمد في هذا القرآن ، هو الحق الذي لا يلتبس بالباطل ، ولا يحتمل الشك والتردد

[ولكن أكثر الناس لا يؤمنون] اي ومع وضوحه وجلائه كذب به اكثر الناس

[الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها] اي خلقها مرتفعة البناء ، قائمة بقدرته لا تستند على شيء ، حال كونكم تشاهدونها وتنظرونها بغير دعائم ، وذلك دليل وجود الخالق المبدع الحكيم

[ثم استوى على العرش] اي علا فوق العرش علوا يليق بجلاله ، من غير تكييف ، ولا تشبيه ، ولا تعطيل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى] أي ذلل الشمس والقمر لمصالح العباد ، كل يسير بقدرته تعالى إلى زمن معين هو زمن فناء الدنيا

[يدبر الأمر] أي يصرف بحكمته وقدرته امور الخلق ، وشؤون الملك والملكوت ، من إيجاد واعدام ، واحياء واماتة ، وغير ذلك

[يفصل الآيات] أي يبينها ويوضحها

[لعلكم بلقاء ربكم توقنون] اي لتصدقوا بلقاء الله ، وتوقنوا بالمعاد إليه ، لأن من قدر على ذلك كله ، فهو قادر على إحياء الإنسان بعد موته

[وهو الذي مد الأرض] اي هو تعالى بقدرته بسط الأرض وجعلها ممدودة فسيحة ، وهذا لا ينافي كرويتها فان ذلك امر مقطوع به ، والغرض انه تعالى جعلها واسعة فسيحة ممتدة الآفاق ، ليستقر عليها ، الإنسان والحيوان ، ولو كانت كلها جبالا ووديانا لما امكن العيش عليها ، قال في التسهيل : ولا يتنافى لفظ البسط والمد مع التكوير ، لأن كل قطعة من الأرض

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ممدودة على حدتها ، وانما التكوير لجملة الأرض

[وجعل فيها رواسي] اي وخلق في الأرض جبالا ثوابت رواسخ لئلا تضطرب بأهلها كقوله : [أن تميد بكم]

[وأنهارا] أي وجعل فيها الأنهار الجاريات

[ومن كل الثمرات جعل فيه زوجين اثنين] اي جعل فيها من جميع انواع الثمرات ، زوجين اثنين (ذكرا وانثى) ليتم بينهما اسباب الإخصاب والتكاثر ، طبق سنته الحكيمة ((قال في الظلال : هذه حقيقة لم يعرفها البشر من طريق علمهم وبحثهم إلا قريبا وهي أن كل الأحياء تتألف من (ذكر وانثى) حتى النباتات التي كان مظنونا أن ليس لها من جنسها ذكور ، تبين أنها تحمل فى ذاتها الزوج الآخر ، فتضم أعضاء التذكير وأعضاء التأنيث مجتمعة في زهرة أو متفرقة في العود)) وقال أبو السعود : اي جعل من كل نوع من انواع الثمرات الموجودة في الدنيا ضربين وصنفين ، إما في اللون كالأبيض والأسود ، أو في الطعم كالحلو

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والحامض ، او في القَدر كالصغير والكبير ، او في الكيفية كالحار والبارد ، وما أشبه ذلك

[يغشي الليل النهار] أي يلبسه اياه فيصير الجو مظلماً بعد ما كان مضيئا

[إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون] أي إن في عجائب صنع الله لدلالات وعلامات باهرة على قدرته ووحدانيته لمن تأمل وتفكر ، وخص " المتفكرون " بالذَكر لأن ما احتوت عليه هذه الآيات من الصنيع العجيب ، لا يدرك إلا بالتفكر

[وفي الأرض قطع متجاورات] أي في الأرض بقاع مختلفة متلاصقات قريب بعضها من بعض ، قال ابن عباس : ارض طيبة ، وارض سبخة ، تنبت هذه ، وهذه إلى جنبها لا تنبت

[وجنات من أعناب] أي بساتين كثيرة من أشجار العنب

[وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان] أي وفي هذه القطع المتجاورة أنواع الزروع والحبوب والنخيل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والرطب ، منها ما ينبت منه من أصل واحد شجرتان فأكثر ، ومنها ما ينبت منه شجرة واحدة

[يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل] أي الكل يسقى بماء واحد ، والتربة واحدة ، ولكن الثمار مختلفات الطعوم ، قال الطبري : الأرض الواحدة يكون فيها (الخوخ ، والكمثرى ، والعنب الأبيض وا لأسود) ، بعضها حلو ، وبعضها حامض ، وبعضها أفضل من بعض ، مع اجتماع جميعها على شرب واحد

[إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون] أي علامات باهرة ظاهرة ، لمن عقل وتدبر ، وفي ذلك رد على القائلين بالطبيعة

[وإن تعجب فعجب قولهم أئذا كنا ترابا أئنا لفي خلق جديد] أي إن تعجب يا محمد من شيء ، فليس هناك ما هو أعجب من قول الكفار : أئذا متنا وأصبحنا رفاتا هل سنبعث من جديد ؟ فإن إنكارهم للبعث حقيق أن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يتعجب منه ، فإن الذي قَدر على انشاء ما ذكرنا من السموات والأرض ، والأشجار والثمار ، والبحار والأنهار ، قادر على إعادتهم بعد موتهم

[أولئك الذين كفروا بربهم] أي هؤلاء الذين أنكروا البعث ، هم الجاحدون لقدرة الله

[وأولئك الأغلال في أعناقهم] اي يغلون بالسلاسل في أعناقهم يوم القيامة

[وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون] أي وهم في جهنم مخلدون فيها أبدا ، لا يموتون فيها ولا يخرجون منها

[ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة] أي يستعجلك المشركون يا ايها الرسول بالبلاء والعقوبة ، قبل طلب الرخاء والعافية ، استعجلوا ما هددوا به من عذاب الدنيا استهزاء

[وقد خلت من قبلهم المثلات] أي وقد مضت عقوبات أمثالهم من المكذبين ، فما لهم لا يعتبرون ولا يتعظون ؟

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم] أي وان ربك لذو صفح عظيم للناس ، لا يعجل لهم العقوبة وإن كانوا ظالمين بل يمهلهم بتأخيرها

[وإن ربك لشديد العقاب] اي شديد العقاب لمن أصر على المعاصي ، ولم يتب من ذنوب ! ! قرن تعالى بين سعة حلمه ، وشدة عقابه ، ليبقى العبد بين الرغبة والرهبة ، والرجاء والخوف

[ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه] أي ويقول المشركون من كفار قريش : هلا أنزل على محمد ، معجزة تدل على صدقه ؟ مثل معجزات موسى وعيسى! ! قال في البحر : لم يعتدوا بالآيات الخارقة المنزلة كانشقاق القمر ، وانقياد الشجر ، ونبع الماء من بين الأصابع ، وامثال هذه المعجزات ، فاقترحوا عنادا آيات أخرى

[إنما أنت منذر ولكل قوم هاد] هذا جواب لما اقترحوا ، أي لستَ أنت يا أيها الرسول إلا منذر ، اي محذر ومبصر ، شأنك شأن كل رسول قبلك ، فلكل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قوم نبى يدعوهم إلى الله ، وأما الآيات الخارقة ، فأمرها إلى مدبر الكون والعباد

[آلله يعلم ما تحمل كل أنثى] أي الله وحده الذي يعلم ما تحمله كل أنثى في بطنها ، هل هو ذكر أم أنثى ؟ تام أم ناقص ؟ حسن لو قبيح

[وما تغيض الأرحام] أي وما تنقصه الأرحام بإلقاء الجنين قبل تمامه

[وما تزداد] اي وما تزداد على الأشهر التسعة ، قال ابن عباس : ما تغيض بالوضع لأقل من تسعة أشهر ، وما تزداد بالوضع لأكثر من تسعة أشهر ، وقيل : المراد بالغيض : السقط الناقص ، وبالازدياد : الولد التام

[وكل شيء عنده بمقدار] أي كل شيء من الأشياء عند الله تعالى بقدر محدود ، لا يتجاوزه حسب المصلحة والمنفعة

[عالم الغيب والشهادة] أي ما غاب عن الحس وما كان مشاهدا منظورا ، فعلمه تعالى شامل للخفى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والمرئي ، لا يخفى عليه شيء

[الكبير المتعال] أي العظيم الشأن الذي كل شيء دونه ، المستعلي على كل شيء بقدرته ، المنزه عن المشابهة والمماثلة

[سواء منكم من أسر القول ومن جهر به] أي يستوي في علمه تعالى ما أضمرته القلوب ، وما نطقت به الألسنة

[ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار] أي ويستوي عنده كذلك من هو مستتر بأعماله في ظلمات الليل ، وهو في غاية الاختفاء ، ومن هو ذاهب في طريقه بوضح النهار مستعلن ، لا يستخفي فيما يعمل وهو في غاية الظهور

[له معقبات] اي لهذا الإنسان ملائكة موكلة به ، تتعاقب في حفظه ، يأتي بعضهم بعَقب بعض كالحرس في الدوائر الحكومية

[من بين يديه ومن خلفه] أي من أمام الإنسان ومن ورائه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[يحفظونه من أمر الله] أي يحفظونه من الأخطار والمضار بأمره تعالى ، قال مجاهد : ما من عبد إلا وملك موكل به ، يحفظه في نومه ويقظته من الجن والإنس والهوام

[إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم] اي لا يزيل نعمته عن قوم ولا يسلبهم إياها ، إلا إذا بدلوا احوالهم الجميلة بأحوال قبيحة ، وهذه من سنن الله الاجتماعية ، أنه تعالى لا يبدل ما بقوم من عافية ونعمة ، وأمن وعزة ، الا إذا كفروا تلك النعم ، وارتكبوا المعاصي ، وفي الأثر " أوحى الله إلى نبي من أنبياء بني إسرائيل أن قل لقومك : إنه ليس من أهل قرية ، ولا أهل بيت يكونون على طاعة الله ، فيتحولون منها إلى معصية الله ، إلا حول الله عنهم ما يحبون الى ما يكرهون "

[وإذا أراد الله بقوم سوءا] أي واذا اراد تعالى هلاك قوم أو عذابهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فلا مرد له] أي لا يقدر على رد ذلك أحد

[وما لهم من دونه من وال] أي ليس لهم من دون الله ولى ، يدفع عنهم العذاب والبلاء

[هو الذي يريكم البرق] هذا بيان لآثار قدرته تعالى المنبثة في الكون ، اي يريكم أيها الناس البرق الخاطف من خلال السحاب

[خوفا وطمعا] قال ابن عباس : خوفا من الصواعق ، وطمعا في الغيث ، فإن البرق غالبا ما يعقبه صواعق مدمرة ، وقد يكون وراءه المطر المدرار ، الذي به حياة البلاد والعباد

[وينشىء السحاب الثقال] أي وبقدرته كذلك يخلق السحب الكثيفة المحملة بالماء الكثير

[ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته] أي يسبح الرعد له تسبيحا مقترنا بحمده والثناء عليه ، وتسبح له الملائكة خوفا من عذابه ، وتسبيح الرعد حقيقة دل عليها القرآن ، فنؤمن بها وان لم نفهم تلك الأصوات ، فهو تعالى لا يخبر إلا بما هو حق كما قال : [وإن من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

شيء إلا يسبح بحمده]

[ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء] أي يرسل الصواعق المدمرة نقمة ، يهلك بها من شاء

[وهم يجادلون في الله] أي وكفار مكة يجادلون في وجود الله ووحدانيته ، وفي قدرته على البعث

[وهو شديد المحال] أي وهو تعالى شديد القوة والبطش والنكال ، القادر على الانتقام ممن عصاه

[له دعوة الحق] أي لله تعالى تتجه الدعوة الحق ، فهو الحقيق بأن يعبد وحده بالدعاء والالتجاء

[والذين يدعون من دونه أي والآلهة الذين يدعوهم الكفار من دون الله

[لا يستجيبون لهم بشيء] أي لا يستجيبون لهم دعاء ولا يسمعون لهم نداء

[إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه] أي إلا كمن يبسط كفيه للماء من بعيد ، يدعوه ويناديه ليصل الماء إلى فمه ، والماء جماد لا يحس ولا يسمع ، قال أبو السعود : شبه حال المشركين في عدم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

حصولهم عند دعاء آلهتهم على شيء أصلا ، بحال عطشان هائم لا يدري ما يفعل ، قد بسط كفيه من بعيد إلى الماء ، يبغي وصوله إلى فمه ، وليس الماء ببالغ فمه ابدا ، لكونه جمادا لا يشعر بعطشه

[وما دعاء الكافرين الا في ضلال] أي ما دعاؤهم والتجاؤهم لآلهتهم ، إلا في ضياع وخسار لأنه لا يجدي ولا يفيد

[ولله يسجد من في السموات والأرض] أي ولله وحده يخضع وينقاد أهل السموات وأهل الأرض

[طوعا وكرها] اي طائعين وكارهين ، قال الحسن : المؤمن يسجد طوعا ، والكافر يسجد كرها اي في حالة الفزع والاضطرار

[وظلالهم بالغدو والآصال] أي وتسجد ظلالهم أيضا لله في أول النهار وأواخره ، والغرض الإخبار عن عظمة الله تعالى وسلطانه ، الذي قهر كل شيء ، ودان له كل شيء ، بأنه ينقاد لجلاله جميع الكائنات ، حتى ظلال الآدميين ، والكل في نهاية الخضوع والاستسلام

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لأمره تعالى :
[قل من رب السموات والأرض] أي قل يا محمد لهولاء المشركين : مَن خالق السموات والأرض ومدبر امرهما ؟ والسؤال للتهكم والسخرية لما عبدوا من دون الله
[قل الله] اي قل لهم تقريعا وتبكيتا : الله خالقهما

[قل أفاتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا] اي قل لهم - إلزاما لإقامة الحجة عليهم - أجعلتم لله شركاء ؟ وعبدتموهم من دونه ، وهم لا يقدرون على نفع أنفسهم ، ولا على دفع الضر عنها ؟ فكيف يستطيعونه لغيرهم ؟
[قل هل يستوي الأعمى والبصير أم هل تستوى الظلمات والنور] ؟ هذا تمثيل لضلالهم في عبادة غير الله ، والمراد بالأعمى : الكافر ، وبالبصير : المؤمن ، وبالظلمات : الضلال ، وبالنور : الهدى ، والمعنى : كما لا يستوي الأعمى والبصير ، وكما لا تستوي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الظلمات والنور ، كذلك لا يستوي المؤمن الذي يبصر ضياء الحق ، والمشرك الذي عمي عن رؤية ذلك الضياء ، فالفارق بين الحق والباطل واضح ، وضوح الفارق بين الأعمى والبصير ، والفارق بين الإيمان والضلال ظاهر ، ظهور الفارق بين النور والظلام

[أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم] هذا من تمام الاحتجاج عليهم ، والتهكم بهم ، اي هل اتخذ هؤلاء المشركون آلهةً ، خلقوا مخلوقات كالتي خلقها الله ، فالتبس الأمر عليهم ، فلا يدرون خلق الله من خلقِ آلهتهم ؟ وهو تهكم لاذع ، فانهم يرون كل شيء من خلق الله ، ويرون هذه الآلهة المزعومة لم تخلق شيئاً ، ثم بعد هذا كله يعبدونها من دون الله ، وذلك أسخف واحط ما تصل إليه عقول المشركين ! ! ولما اقام الحجة عليهم جاء بهذا البيان الواضح

[قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار] أي الله الخالق لجميع الأشياء ، لا خالق غيره ، وهو المنفرد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بالألوهية والربوبية ، الغالب لكل شيء ، وجميع الأشياء تحت قدرته وقهره .

البلاغة :

في الآيات الكريمة من وجوه الفصاحة والبيان والبديع ما يلي :

1 - الإشارة بالبعيد عن القريب في [تلك آيات الكتاب] تنزيلا لها منزلة البعيد ، للدلالة على علو شأنها ورفعة منزلتها و[أل] في الكتاب للتفخيم أي الكتاب العجيب الكامل في إعجازه وبيانه .

2 - الاستعارة التبعية في [يغشي الليل النهار] شبه إزالة نور النهار بواسطة ظلمة الليل ، بالغطاء الكثيف واستعار لفظ [يغشي] المشير إلى تغطية الأشياء الظاهرة بالأغطية الحسية ، للأمور المعنوية على طريق الاستعارة .

3 - الطباق في [تغيض . . وتزداد] وفي [الغيب والشهادة] وفي [أسر . . وجهر] وفي [مستخف . . وسارب] لأن السارب الظاهر وفي [خوفا وطمعا]

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وفى [طوعا وكرها] وكلها من المحسنات البديعية اللفظية .

4 - الإيجاز بالحذف في [قل الله] اي الله خالق السموات والأرض .

5 - التشبيه التمثيلي في [كباسط كفيه] شبه عدم استجابة الأصنام للداعين لها ، بعدم استجابة الماء لباسط كفيه إليه من بعد ، فوجه الشبه منتزع من متعدد ، ولهذا يسمى (التشبيه التمثيلى) .

6 - الاستعارة في [هل يستوي الأعمى والبصير أم هل تستوي الظلمات والنور] استعار لفظ (الظلمات والنور) للكفر والإيمان وكذلك لفظ (الأعمى) للمشرك الجاهل و(البصير) للمؤمن العاقل .

تنبيه :

سميت الملائكة " معقبات " لأنهم يتعاقبون على أعمال العباد بالليل والنهار ، كما في صحيح البخاري : " يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار فيجتمعون في صلاة الفجر والعصر . " الحديث .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فائدة :

روي عن أبى هريرة رضي الله عنه ان النبي (ص) كان إذا سمع صوت الرعد يقول : (سبحان من يسبح الرعد بحمده ، والملائكة من خيفته ، وهو على كل شيء قدير) وكان أبو هريرة يقول : من قالها فأصابته صاعقة فعلى ديته .

قال الله تعالى : [أنزل من السماء ماء . .] الى قوله [وما لهم من الله من واق] . من آية (17) إلى نهاية آية (34) .

المناسبة :

لما ذكر تعالى في الآيات السابقة أن في الأرض دعوتين : دعوة الحق ، ودعوة الباطل ، وذكر أن دعوة الله هي (دعوة الحق) ، ودعوة ما يعبدون من دونه هي (دعوة الباطل) . . ذكر تعالى هنا مثلين ضربهما للحق واهله ، والباطل وحزبه ، ليتضح الفرق بين الهدى والضلال ، والرشد والغي ، ثم اعقبه بذكر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مآل المومنين في دار النعيم ، والكافرين في دار الجحيم .

اللغة :

[زبداَ] الزبد : الغثاء الذي يحمله السيل

[رابيا] عاليا منتفخا

[جفاة] مضمحلا متلاشيا ، لا منفعة فيه ولا بقاء له

يقال : جفا الماء بالزبد إذا قذفه ورمى به

[المهاد] الفراش وأصله المكان الممهد الموطأ للنوم والراحة

[يدرءون] يدفعون والدرء : الدفع

[عقبى] العاقبة ويسمى الجزاء على الفعل عقبى لانه يكون عقب الفعل

[عدن] استقرار وثبات وخلود ، يقال : عدن بالمكان إذا اقام به

[يبسط] يوسع

[يقدر] يضيق

[متاع] كل شيء يتمتع به إلى أجل ثم ينتهي ويفنى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[طوبى] فرح وقرة عين ، مصدر من طاب كبشرى وزلفى ، ومعناه اصبت خيرا وطيبا

[ييأس] اليأس : القنوط من الشيء

[أمليت] أمهلت يقال : (املى الله له) إذا أمهله وطول له المدة

[واق] اسم فاعل من وقى إذا دفع الأذى والضر عنه .

سبب النزول :

قال ابن عباس : نزلت في كفار قريش حين قال لهم النبي (ص) اسجدوا للرحمن قالوا : وما الرحمن ؟ أنسجد لما تأمرنا ؟ فأنزل الله : [وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربى لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب]

التفسير :

[أنزل من السماء ماء] أي انزل تعالى من السماء مطرا

[فسالت أودية بقدرها] أي فجرت مياه الأودية بمقدار

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

سعتها ، كل بحَسَبه ، فالكبير بمقدار كبره ، والصغير بمقدار صغره

[فاحتمل السيل زبدا رابيا] اي حمل السيل الذي حدث من الأمطار ، زبدا عاليا فوقه ، وهو ما يحمله السيل من غثاء ، ورغوة تظهر على وجه الماء ، قال الطبري : هذا مثل ضربه الله للحق والباطل ، والإيمان والكفر ، فمثل الحق في ثباته ، والباطل في اضمحلاله ، مثل الماء الذي انزله الله من السماء إلى الأرض ، فاحتمل السيل زبدا عاليا ، فالحق هو الماء الباقي الذي يمكث في الأرض ، والزبد الذي لا ينتفع به هو الباطل ، وهذا أحد مثلي الحق والباطل ، والمثل الآخر قوله تعالى :

[ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله] اي ومن الذي يوقد عليه الناس من المعادن ، كالذهب والفضة والنحاس ، مما يسبك في النار طلب الزينة ، او الأشياء التي ينتفع بها كألاواني ، زبد مثل زبد السيل ، لا ينتفع به كما لا ينتفع بزَبَد السيل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[كذلك يضرب الله الحق والباطل] اي كذلك يضرب الله المَثَل للحق والمثَل للباطل ، فمثل الحق في ثباته واستقراره ، كمثل الماء الصافي الذي يستقر في الأرض فينتفع منه الناس ، ومثل الباطل في زواله واضمحلاله ، كمثل الزبد والغثاء الذي يقذف به الماء يتلاشى ويضمحل

[فأما الزبد فيذهب جفاء] اي فأما الزبد الذي لا خير فيه ، مما يطفو على وجه الماء والمعادن ، فانه يرمي به السيل ويقذفه ، ويتفرق ويتمزق ويذهب في جانبي الوادي

[وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض] أي وأما ما ينتفع الناس به من الماء الصافي ، والمعدن الخالص ، فيبقى ويثبت في الأرض

[كذلك يضرب الله الأمثال] أي مثل هذين المثَلين السابقين ، يبين الله الأمثال للحق والباطل ، والهدى والضلال ، ليعتبر الناس ويتعظوا ((يقول الشهيد "

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

سيد قطب " في تفسيره الظلال ما نصه : " ثم نمضى مع السياق يضرب مثلا للحق والباطل ، للدعوة الباقية والدعوة الذاهبة مع الريح ، إن الماء لينزل من السماء فتسيل به الأودية ، وهو يلم في طريقه غثاء يطفو على وجهه في صورة الزبد ، وهو نافش راب منتفخ ، ولكنه بعد غثاء ، والماء من تحته سارب ساكن هادىء ، ولكنه هو الماء الذي يحمل الخير والحياة ، كذلك يقع في المعادن التي تذاب لتصاغ منها حلية كالذهب والفضة او آنية كالحديد والرصاص ، فان الخبث يطفو ولكنه بعد خبث يذهب ، ويبقى المعدن في نقاء ، ذلك مثل الحق والباطل ، فالباطل يطفو ويعلو ويبدو رابيا منتفخا ولا يلبث أن يذهب جفاء مطروحا لا حقيقة له ولا تماسك ، والحق يظل هادئا ساكنا ولكنه الباقي في الأرض كالماء المحيى ، والمعدن الصريح "))

[للذين استجابوا لربهم الحسنى] أى للمؤمنين الذين استجابوا لله بالإيمان والطاعة ، المثوبة الحسنى ، وهي (الجنة) دار النعيم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[والذين لم يستجيبوا له] أي لم يجيبوا ربهم إلى الإيمان به ، وهم الكافرون

[لو أن لهم ما في الأرض جميعا] أي لو كان لهم جميع ما في الدنيا من الأموال

[ومثله معه] أي ومثل جميع ما في الدنيا من كنوز

[لافتدوا به] أي لبذلوا كل ذلك فداء لأنفسهم ، ليتخلصوا من عذاب الله

[أولئك لهم سوء الحساب] أي لهم الحساب السيىء ، قال الحسن : يحاسبون بذنوبهم كلها ، لا يغفر لهم منها شيء

[ومأواهم جهنم] أي المكان الذي يأوون اليه يوم القيامة نار جهنم

[وبئس المهاد] أي بئس هذا المستقر والفراش الممهد لهم في النار

[أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى] الهمزة للاستفهام الإنكاري أي هل يستوي من أمن وصدق بما نزل عليك يا أيها الرسول ، ومن بقي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يتخبط في ظلمات الجهل والضلال ؟ لا لب له كالأعمى ؟ والمراد به عمى البصيرة ، قال ابن عباس : نزلت في حمزة ، وابي جهل

[إنما يتذكر أولوا الألباب] أي إنما يتعظ بآيات آلله ويعتبر بها ذوو العقول السليمة ، ثم عدد تعالى صفاتهم فقال سبحانه :

[الذين يوفون بعهد الله] أي يحفظون عهد الله الذي وصاهم به ، وهي أوامره ونواهيه التي كلف بها عباده

[ولا ينقضون الميثاق] أي لا يخالفون ما وثقوه على انفسهم ، من العهود المؤكدة بينهم وبين الله ، وبين العباد

[والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل] أي يصلون الأرحام التي أمر الله بصلتها

[ويخشون ربهم] أي يهابون ربهم إجلالا وتعظيما

[ويخافون سوء الحساب] اي يخافون الحساب السيىء المؤدي لدخول النار ، فهم لرهبتهم جادون في طاعة الله ، محافظون على حدوده

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم] أي صبروا على المكاره طلبا لمرضاة الله

[وأقاموا الصلاة] أي أدوا الصلاة المفروضة بحدودها في اوقاتها

[وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية] اي أنفقوا بعض اموالهم التي أوجبها الله عليهم في الخفاء والعلانية

[ويدرءون بالحسنة السيئة] أي يدفعون الجهلَ بالحلم ، والأذى بالصبر ، وقال ابن عباس : يدفعون بالعمل الصالح السيىء من الأعمال بمعنى يفعلون الحسنات ليدرءوآ بها السيئات ، وفي الحديث : " وأتبع السيئةَ الحسنة تمحها "

[أولئك لهم عقبى الدار] اي العاقبة المحمودة في الدار الآخرة ، وهي (الجنة) وقد جاء تفسيرها في قوله تعالى :

[جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم] اي جنات إقامة خالدة ، يدخلها اولئك

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الأبرار ، ومن كان صالحا من آبائهم ونسائهم وأولادهم ، ليأنسوا بلقائهم ويتم بهم سرورهم ، وان لم يكونوا يستحقون هذه المنازل العالية بأعمالهم ، فترفع منازل هؤلاء إكراما لأولئك ، وذلك فضل الله ، ثم إن لهم إكراما آخر بينه تعالى بقوله :

[والملائكة يدخلون عليهم من كل باب] اي والملائكة تدخل عليهم للتهنئة من كل باب من ابواب الجنة ، يقولون لهم

[سلام عليكم بما صبرتم] اي سلمتم من الآفات والمحن ، بصبركم في الدنيا ، ولئن تعبتم فيما مضى فلقد استرحتم الساعة ، وهذه بشارة لهم بدوام السلامة

[فنعم عقبى الدار] أي نعمت هذه العاقبة الحميدة عاقبتكم ، وهي الجنة بدل النار ، ولما ذكر تعالى أوصاف المؤمنين التسع ، أعقبه بذكر اوصاف الكافرين الذميمة فقال :

[والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه] أي ينقضون عهودهم بعدما وثقوا على أنفسهم لله ، أن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يعملوا بما عهد إليهم من طاعته والإيمان به
[ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل] أي يقطعون الرحم التي امر الله بوصلها
[ويفسدون في الأرض] بأنواع البغي والإفساد
[أولئك لهم اللعنة] اي اولئك الموصوفون بما ذكر من القبائح ، لهم البعد من رحمته ، والطرد من جنته
[ولهم سوء الدار] اي لهم ما يسوءهم في الدار الآخرة ، وهو (عذاب جهنم) على عكس المتقين
[الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر] أْي يوسع على من يشاء من عباده ، ويضيق على من يشاء ، حسب الحكمة والمصلحة
[وفرحوا بالحياة الدنيا] أي وفرح هؤلاء المشركون بنعيم الدنيا فرح أشر وبطر ، وهو إخبار في ضمنه ذم وتسفيه لمن فرح بالدنيا ، ولذلك حقرها بقوله :
[وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع] اي عرض قليل وشيء حقير ، بالنظر إلى الآخرة
[ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه] أي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ويقول كفار مكة : هلا انزل على محمد معجزة من ربه ؟ مثل معجزة موسى في فلق البحر ، ومعجزة عيسى في احياء الموتى ؟ ونحو ذلك

[قل إن الله يضل من يشاء ويهدي إليه من أناب] أي قل لهم يا ايها الرسول : الأمر بيد الله وليس إلى ، يضل من يشاء إضلاله ، فلا تغنى عنه الآيات والنذر شيئا ، ويرشد إلى دينه من اراد هدايته ، لأنه رجع إلى ربه بالتوبة والإنابة ، قال في التسهيل : خرج بالكلام مخرج التعجب ، حين طلبوا آَية ، والمعنى : قد جاءكم محمد (ص) بالقرآن وآيات كثيرة فعميتم عنها ، وطلبتم غيرها ، وتماديتم على الكفر فانه تعالى يضل من يِشاء مع ظهور الآيات ، ويهدي من يشاء دون ذلك

[الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله] هذا بدل والمعنى : يهدي أهل الإنابة ، وهم الذين آمنوا وتسكن وتستأنس قلوبهم بذكر الله وتوحيده ، وجيء بصيغة المضارع ، لإفادة دوام الاطمئنان واستمراره

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ألا بذكر الله تطمئن القلوب] أي ألا فانتبهوا أيها القوم ، فإن بذكر الله تستأنس وتسكن قلوب المؤمنين ، فلا يشعرون بقلق واضطراب من سوء العقاب ، على عكس الذين إذا ذكر الله اشمأزت قلوبهم

[الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب] أي أما المؤمنون أهل الأعمال الصالحة ، فَقرة عين لهم ، ونعم ما يلقون من الهناءة والسعادة ، في المرجع والمنقلب ، قال ابن عباس : [طوبى لهم] فرح وقرة عين

[كذلك أرسلناك في أمة قد خلت من قبلها أمم] أي كما أرسلنا الأنبياء من قبلك ، كذلك أرسلناك يا محمد في امة قد مضت قبلها امم كثيرة ، فهى آخر الأمم ، وأنتَ خاتم الأنبياء

[لتتلوا عليهم الذى أوحينا إليك] أي لتبلغهم هذا الوحي العظيم ، والذكر الحكيم

[وهو يكفرون بالرحمن] أي والحال انهم يكفرون بالرحمن الذي وسعت رحمته كل شيء

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[قل هو ربى لا إله إلا هو] أي قل يا محمد لهؤلاء المشركين : إن الرحمن الذي كفرتم به وانكرتم معرفته ، هو ربي الذي امنت به ، لا معبود لي سواه

[عليه توكلت وإليه متاب] أي عليه وحده اعتمدت ، واليه توبتي ومرجعي ، فيثيبني على مجاهدتكم ، والغرض تسلية النبي ، مما يلقاه من كفار قريش ، من الجحود والعناد ، فقد كذبت قبلهم الأمم

[ولو أن قرآنا سيرت به الجبال] أي لو كان كتاب من الكتب المنزلة ، سيرت بتلاوته الجبال ، وزعزعت عن أماكنها

[أو قطعت به الأرض] اي شققت به الأرض حتى تتصدع وتصير قطعاً

[أو كلم به الموتى] أي خوطبت به الموتى حتى أجابت وتكلمت ، بعد أن أحياها الله بتلاوته عليها ، وجواب [لو] محذوف تقديره : لكان هذا القرآن ، لكونه غاية في الهداية والتذكير ، ونهاية في الانذار

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والتخويف وقال الزجاج : تقديره " لما آَمنوا " لغلوهم في المكابرة والعناد ، وتماديهم في الضلال والفساد

[بل لله الأمر جميعا] بل للإضراب ، والمعنى : لو أن قرآنا فعل به ما ذكر لكان ذلك هذا القرآَن ، ولكن الله لم يجبهم إلى ما اقترحوا من الآيات ، لأنه هو المالك لجميع الأمور ، والفاعل لما يشاء منها ، من غير أن يكون لأحد عليه تحكم او اقتراح

[أفلم ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا] أي أفلم يقنط وييأس المؤمنون ، من ايمان الكفار ، ويعلموا انه تعالى لو شاء هدايتهم لهداهم ، لأن الأمر له ، ولكن قضت الحكمة أن يكون بناء التكليف على الاختيار ((ذهب بعض المفسرين إلى ان معنى {أفلم ييأس الذين أمنوا} أفلم يعلم ويتبين وهي لغة هوازن وهذا منقول عن بعض السلف ، ولكن لا ضرورة لاخراج الكلمة عن معناها الاصلي ، طالما يمكن فهمها على الوجه المتبادر من اليأس ، كما بينا))

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة]
أى ولا يزال كفار مكة ، يصيبهم بسوء اعمالهم
وكفرهم ، داهية تقرع أسماعهم ، وتقلق بالهم ، من
صنوف البلايا والمصائب
[أو تَحل قريباَ من دارهم] اي أو تحل القارعة
والداهية قريبا من ديارهم ، فيفزعون منها ويتطاير
إليهم شررها
[حتى يأتي وعد الله] باظهار الإسلام وانتصارك
عليهم بفتح مكة
[إن الله لا يخلف الميعاد] أي لا يخلف وعده لرسله
وأوليائه ، بنصرتهم على اعدائهم
[ولقد استهزىء برسل من قبلك] تسلية وتأنيس للنبي
(ص) ، أي كما استهزأ بك المشركون ، فقد استهزأ
المجرمون برسلهم وانبيائهم
[فأمليت للذين كفروا ثم أخذتهم] أي أمهلتهم وتركتهم
في امن ودعة ، ثم اخذتهم بالعذاب
[فكيف كان عقاب] اي فكيف كان عقابي لهم على

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الكفر والتكذيب ؟

[أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت] اي أفمن هو رقيب ، حفيط على عمل كل إنسان ، لا يخفى عليه شيء من أعمال العباد ، وهو الله تعالى ، والخبر محذوف تقديره : كمن ليس بهذه الصفة من الأصنام ، التي لا تسمع ولا تنفع ، ولا تملك من الأمر شيئاً ؟ ! قال الفراء : وترك جوابه لأن المعنى معلوم وقد بينه بعد هذا بقوله : [وجعلوا لله شركاء] كأنه قيل : هل الله كشركائهم ؟ وقال الزمخشري : هذا احتجاج عليهم في إشراكهم بالله ، يعني هل الله الذي هو قائم رقيب على كل نفس ، صالحة او طالحة ، بما كسبت من خير او شر ، وقد اعد لكل جزاءه كمن ليس كذلك ؟

[وجعلوا لله شركاء قل سموهم] أي وجعل المشركون آلهة عبدوها معه ، من اصنام وانداد ، في منتهى العجز والحقارة والجهالة ، قل لهم يا محمد : سموهم لنا وصفوهم ؟ لننظر هل لهم ما يستحقون به العبادة والشركة مع الله ؟

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[أم تتبئونه بما لا يعلم في الأرض] اي أم تخبرون الله بشركاء لا يعلمهم سبحانه ؟ وهو استفهام للتوبيخ

[أم بظاهر من القول] أي أم تسمونهم شركاء ، بظن باطل فاسد لا حقيقة له ؟ لفرط الجهل وسخافة العقل

[بل زين للذين كفروا مكرهم] أي زين لهم الشيطان ذلك الكفر والضلال

[وصدوا عن السبيل] أي منعوا عن طريق الهدى

[ومن يضلل الله فما له من هاد] اي ومن يضلله الله فما له أحد يهديه

[لهم عذاب في الحياة الدنيا] اي لهؤلاء الكفرة عذاب عاجل في هذه الحياة الدنيا ، بالقتل والأسر ، وسائر المحن

[ولعذاب الآخرة أشق] أي ولعذابهم في الآخرة أثقل ، واشد إيلاما من عذاب الدنيا

[وما لهم من الله من واق] اي وليس لهم من يحميهم من عذاب الله او يدفع عنهم سخطه وانتقامه ! !

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

البلاغة :

1 - [أنزل من السماء ماء فسالت أودية . .] الآية شبه تعالى الحق والباطل بتشبيه رائع يسمى (التشبيه التمثيلي) لأن وجه الشبه فيه منتزع من متعدد ، فمثل الحق بالماء الصافي ، الذي يستقر في الأرض ، والجوهر الصافي من المعادن الذي به ينتفع العباد ، ومثل الباطل بالزبد والرغوة التي تظهر على وجه الماء ، والخبث من الجوهر الذي لا يلبث أن يتلاشى ويضمحل ، والصورة التي توحي بها الآية ، صورة (الحق) و(الباطل) وهما في صراع كالزبد الذي تتقاذفه الأمواج [فأما الزبد فيذهب جفاة وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض] وهو تمثيل في منتهى الروعة والجمال .

2 - [فسالت أودية بقدرها] مجاز عقلي من إسناد الشيء لمكانه ، وآلأصل فسالت مياه الأودية .

3 - [كذلك يضرب الله الحق والباطل] فيه إيجاز بالحذف اي امثال الحق ، وامثال الباطل .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

4 - [للذين استجابوا . . والذين لم يستجيبوا] بينهما طباق السلب .

5 - [كمن هو أعمى] شبه الجهل والكفر بالعمى على سبيل (الاستعارة التبعية) لأن المراد بالأعمى الجاهل الكافر .

6 - [سرا وعلانية] بينهما طباق ، وكذلك بين [الحسنة والسيئة] و[يبسط ويقدر] و[يضل ويهدي] للتضاد بين اللفظين .

7 - [إلا متاع] أي إلا مثل المتاع الذي يستمتع به الإنسان في الحاجات المؤقتة ، ففيه تشبيه بليغ لحذف الأداة ووجه الشبه .

فائدة :

بين تعالى في قوله : [ومن صلح من آَبائهم وأزواجهم وذرياتهم] ان النسب لا ينفع إذا لم يحصل معه العمل الصالح ، وفيه قطع للأطماع الفارغة ، لمن يتمسك بمجرد حبل الأنساب .

تنبيه :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قال الإمام الطيبي في قوله تعالى : [أفمن هو قائم على كل نفس . .] في هذه الآية احتجاج بليغ مبنى على فنون من علم البيان أولها : التوبيخ لهم على قياسهم الفاسد في عبادة غير الله ثانيها : وضع الظاهر [لله] موضع الضمير [وجعلوا لله شركاء] تنبيها على ضلالهم في جعل شركاء لمن هو فرد واحد لا يشاركه أحد في اسمه ثالثها : انكار لوجود الشركاء على وجه برهاني [قل سموهم] رابعها : نفي الشيء بنفي لازمه [أم تنبئونه بما لا يعلم] خامسها : الاحتجاج عليهم بطريق التدرج لبعثهم على التفكر [أم بظاهر من القول] أي أتقولون بأفواهكم من غير روية ولا تفكير ببطلان ما تقولون ؟ فكان هذا الاحتجاج مناديا على نفسه بالإعجاز ، وانه ليس من كلام البشر) .

قال الله تعالى : [مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الأنهار. . إلى . . ومن عنده علم الكتاب] . من آية (35) إلى نهاية السورة الكريمة .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المناسبة :

لما ذكر تعالى ما أعد للكفار في الآخرة ، ذكر ما اعده للمؤمنين في جنات النعيم ، ثم توعد المشركين بالعذاب الأليم ، وختم السورة الكريمة ببيان صدق رسالته ، بشهادة الله تعالى وشهادة المؤمنين من اهل الكتاب على أنه نبى مرسل .

اللغة :

[الأحزاب] الطوائف المتفرقة من احزاب اليهود والنصارى ، سموا بذلك لأنهم جماعات متفرقة لا تجمعهم عقيدة واحدة

[مآب] اي مآبي بمعنى مرجعي

[يمحو] المحو : إزالة الأثر من كتابة او غيرها ، وعكسه الإثبات

[أم الكتاب] أصل كل الكتب ، والمراد منه علم الله أو اللوح المحفوظ

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[البلاغ] اسم بمعنى التبليغ

[مكر] المكر : تدبير أمر في خفاء ، وقد يكون في الخير ، وقد يكون في الشر.

سبب النزول :

قال الكلبي : عيرت اليهود رسول الله (ص) وقالت : ما نرى لهذا الرجل مهمة إلا النساء والنكاح ، ولو كان نبيا كما زعم لشغله امر النبوة عن النساء ، فأنزل الله تعالى : [ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية] .

التفسير :

[مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الأنهار] اي صفة الجنة العجيبة الشأن ، التى وعد الله بها عباده المتقين ، انها تجري من تحت قصورها وغرفها الأنهار

[أكلها دائم وظلها] اي ثمرها دائم لا ينقطع ، وظلها دائم لا تنسخه الشمس

[تلك عقبى الذين اتقوا] اي تلك الجنة عاقبة المتقين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ومآلهم

[وعقبى الكافرين النار] اي وأما عاقبة الكفار الفجار فهي النار

[والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل إليك] أي والذين أنزلنا إليهم التوراة والإنجيل - ممن آمن بك واتبعك يا محمد - كعبد الله بن سلام والنجاشي واصحابه ، يفرحون بهذا القرآن ، لما في كتبهم من الشواهد على صدقه والبشارة به

[ومن الأحزاب من ينكر بعضه] أي ومن أهل الملل المتحزبين عليك ، وهم اهل أديان شتى ، من ينكر بعض القرآن مكابرة ، مع يقينهم بصدقه ، لأنه موافق لما معهم

[قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به] أي قل يا ايها الرسول إنما امرت بعبادة الله وحده لا أشرك معه غيره

[اليه أدعوا وإليه مآب] اي إلى عبادته أدعو الناس ، وإليه مرجعي ومصيري

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وكذلك أنزلناه حكما عربيا] اي ومثل إنزال الكتب السابقة ، أنزلنا هذا القرآن بلغة العرب ، لتحكم به بين الناس بالعدل

[ولئن اتبعت أهواءهم بعدما جاءك من العلم] أي ولئن اتبعت المشركين فيما يدعونك إليه من الأهواء والآراء ، بعدما آتاك الله من الحجج والبراهين

[ما لك من الله من ولي ولا واق] اي ليس لك ناصر ينصرك او يقيك من عذاب الله ، والمقصود تحذير الأمة من اتباع اهواء الناس ، لأن المعصوم إذا خوطب بمثل ذلك ، كان الغرض تحذير الناس ، قال القرطبي : الخطاب للنبي (ص) والمراد الأمة

[ولقد أرسلنا رسلا من قبلك] اي ارسلنا قبلك الرسل الكرام

[وجعلنا لهم أزواجا وذرية] اي وجعلنا لهم النساء والبنين ، وهو رد على من عاب على الرسول كثرة النساء ، حيث قالوا : لو كان مرسلا حقا ، لكان مشتغلا بالزهد وترك الدنيا والنساء ، فرد الله مقالتهم ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وبين أن محمدا (ص) ليس ببدع في ذلك ، بل هو كمن تقدم من الرسل

[وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله] أي لم يكن لرسول ان يأتي قومه بمعجزة ، إلا إذا أذن الله له فيها ، وهذا رد على الذين اقترحوا الآيات

[لكل أجل كتاب] أي لكل مدة مضروبة كتاب كتبه الله فى اللوح المحفوظ ، وكل شيء عنده بمقدار ، قال الطبري : لكل امر قضاه الله ، كتاب قد كتبه فهو عنده

[يمحوا الله ما يشاء ويثبت] اي ينسخ الله ما يشاء نسخه من الشرائع والأحكام ، وصحف الملائكة الكرام ، ويثبت ما يشاء منها دون تغيير ، قال ابن عباس : يبذل الله ما يشاء فينسخه ، إلا (الموت ، والحياة ، والشقاء ، والسعادة) فانه قد فرغ منها ((وهذا قول مجاهد ايضا حيث قال : إلا الحياة والموت والشقاوة والسعادة فانهما لا يتغيران)) وقيل : إن المحو والإثبات عام في جميع الأشياء ، لما روي ان عمر بن الخطاب كان يطوف بالبيت ويبكي ويقول : (اللهم إن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كنت كتبت على شقوة او ذنبا فامحه ، فانك تمحو ما تشاء وتثبت ، وعندك ام الكتاب ، واجعله سعادة ومغفرة) ، وقد رجحه ابو السعود وهو قول ابن مسعود ايضا

[وعنده أم الكتاب] اي اصل كل كتاب ، وهو (اللوح المحفوظ) الذي كتب الله فيه مقادير الأشياءِ كلها

[وإن ما نرينك بعض الذي نعدهم] اي وان اريناك يا ايها الرسول بعض الذي وعدناهم من العذاب

[أو نتوفينك] اي نقبضك قبل ان نقر عينك ، بعذاب هؤلاء المشركين

[فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب] اي ليس عليك إلا تبليغ الرسالة ، وعلينا حسابهم وجزاؤهم

[أولم يروا انا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها] اي اولم ير هؤلاء المشركون ، انا نمكن للمؤمنين من ديارهم ، ونفتح للرسول الأرض بعد الأرض ، حتى تنقص دار الكفر وتزيد دار الإسلام ؟ وذلك من اقوى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الأدلة على ان الله منجز وعده لرسوله عليه السلام

((قال سيد قطب : أن يد الله القوية تأتي (الأمم الغنية) حين تبطر وتكفر وتفسد فتنتقص من قوتها وقدرها وثرائها وتحصرها فى رقعة ضيقة من الأرض بعد أن كانت ذات امتداد وسلطان ! ! أقول : هذا التفسير جديد وفيه إشراقة من إشراقات النور ، ونفحة من نفحات الجمال))

[والله يحكم لا معقب لحكمه] اي ليس يتعقب حكمه أحد ، بنقض ولا تغيير

[وهو سريع الحساب] أي سريع الانتقام ممن عصاه

[وقد مكر الذين من قبلهم] أي مكر الكفار الذين خَلَوا بأنبيائهم كما مكر كفار قريش بك

[فلله المكر جميعا] أي له تعالى أسباب المكر جميعا ، لا يضر مكرهم إلا بإرادته ، فهو يوصل إليهم العذاب من حيث لا يعلمون

[يعلم ما تكسب كل نفس] أي من خير وشر فيجازي عليه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وسيعلم الكفار لمن عقبي الدار] اي لمن تكون العاقبة الحسنة في الآخرة

[ويقول الذين كفروا لست مرسلا] اي يقول كفار مكة : لست يا محمد مرسلا من عند الله

[قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم] اي حسبى شهادة الله بصدقي ، بما ايدني به من المعجزات

[ومن عنده علم الكتاب] اي وشهادة المؤمنين من علماء أهل الكتاب ، كعبد الله ابن سلام وامثاله من الاحبار والرهبان !

البلاغة :

في الآيات الكريمة من وجوه البيان والبديع ما يلي :

1 - التشبيه المجمل في قوله : [كذلك أرسلناك] وفي [وكذلك أنزلناه] وشمى مرسلا مجملا .

2 - الايجاز بالحذف في [أكلها دائم وظلها] أي وظلها دائم ، حذفَ منه الخبر بدليل الخبر السابق (أكلها دائم) .

3 - المقابلة بين عاقبة المتقين ، وعاقبة المجرمين ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

في قوله [تلك عقبي الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار] وهو من المحسنات البديعية .

4 - جناس الاشتقاق في [أرسلنا رسلا] .

5 - الطباق في [يمحو . . ويثبت] .

6 - القصر في [إنما أمرت أن أعبد الله] وفي [فإنما عليك البلاغ] وكلاهما (قصر اضافي) ، من باب قصر الموصوف على الصفة ، اي ليس لك من الصفات الا صفة التبليغ .

7 - التهييج والإلهاب [ولئن اتبعت أهواءهم] .

8 - المجاز المرسل في [نأتي الأرض] أي يأتيها أمرنا وعذابنا .

لطيفة :

فسر بعضهم قوله تعالى : [ننقصها من أطرافها] ان نقصانها بموت علمائها وفقهائها ، واهل الخير والصلاح فيها ، وهذا مروى عن مجاهد وابن عباس في رواية عنه ، وانشد بعضهم : الأرض تحيا اذا ما عاش عالمها متى يمت عالم منها يمت طَرف كالأرض

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تحيا إذا ما الغيث حل بها وإن أبى عاد في أكنافها التلَف .

سورة إبراهيم

مكية وآياتها اثنتان وخمسون أية

بين يدي السورة

* تناولت السورة الكريمة موضوع العقيدة في أصولها الكبيرة (الإيمان بالله ، الإيمان بالرسالة ، والإيمان بالبعث والجزاء) ويكاد يكون محور السورة الرئيسي الرسالة والرسول " فقد تناولت دعوة الرسل الكرام بشيء من التفصيل ، وبينت وظيفة الرسول ، ووضحت معنى وحدة الرسالات السماوية ، فالأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين ، جاءوا لتشييد صرح الإيمان ، وتعريف الناس بالإله الحق الذي تعنو له الوجوه ، وإخراج البشرية من الظلمات إلى النور ، فدعوتُهم واحدة ، وهدفهم واحد ، وإن كان بينهم اختلافْ في الفروع .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

* وقد تحدثت السورة عن رسالة موسى عليه السلام ، ودعوته لقومه إلى أن يعبدوا الله ويشكروه ، وضربت الأمثال بالمكذبين للرسل ، من الأمم السابقة كقوم نوح ، وعاد ، وثمود ، ثم تناولت الآيات موضوع الرسل مع أقوامهم على مر العصور والدهور ، وحكت ما جرى بينهم من محاورات ومناورات ، انتهت بأهلاك الله للظالمين

[وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا ، فأوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين ، ولنسكننكم الأرض من بعدهم ، ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيد] .

* وتحدثت السورة عن مشهد من مشاهد الآخرة ، حيث يلتقي الأشقياء المجرمون ، بأتباعهم الضعفاء ، وذكرت ما يدور بينهم من حوار طويل ، ينتهي بتكدس الجميع في (نار جهنم) ، يصطلون سعيرها ، فلم ينفع الأتباع تلك اللعنات والشتائم ، التي وجهوها إلى الرؤساء ، فالكل في السعير ، ثم ضربت الآيات ، مثلا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لكلمة الإيمان ، وكلمة الضلال ، بالشجرة الطيبة ، والشجرة الخبيثة ، وختمت السورة ببيان مصير الظالمين ، يوم الجزاء والدين .

التسمية :

سميت السورة الكريمة (سورة إبراهيم) تخليدا لمآثر أب الأنبياء ، وإمام الحنفاء " إبراهيم " عليه السلام ، الذي حطم الأصنام ، وحمل راية التوحيد ، وجاء بالحنيفية السمحة ودين الإسلام ، الذي بعث الله به خاتم المرسلين ، وقد قص علينا القرآن الكريم دعواته المباركات بعد انتهائه من بناء البيت العتيق ، وكلها دعوات إلى الإيمان والتوحيد

اللغه :

[ويل] هلاك ودمار

[يستحبون] يختا رون ويفضلون

[يسومونكم] يذيقونكم يقال : سامه الذل أي أذاقه الذل

[تأذن] أعلم إعلاما لا شبهة فيه

[نبأ] النبأ : الخبر وجمعه أنباء

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[سلطان] حجة وبرهان

[فاطر] مبدع ومخترع

[استفتحوا] استنصروا على أعدائهم

[جبار] الجبار : المتكبر الذي لا يرى لأحد عليه حقاً

[عنيد] العنيد : المعاند للحق والمجانب له ، الذي يذهب عن طريق الحق ، تقول العرب : شر الإبل العَنُود

[صديد] الصديد : القيح الذي يسيل من أجساد أهل النار

[يتجرعه] أي يتحساه ويتكلف بلعه بمرارة

[يسيغه] يبتلعه .

التفسير :

[الر] هذا الكتاب المعجز مؤلف من جنس هذه الحروف المقطعة فأتوا بمثله إن استطعتم

[كتاب أنزلناه إليك] أي هذا القرآن كتاب أنزلناه عليك يا محمد ، لم تنشئه أنتَ وإنما أوحيناه نحن إليك

[لتخرج الناس من الظلمات الى النور] أي لتخرج

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

البشرية من ظلمات الجهل والضلال إلى نور العلم والإيمان

[بإذن ربهم] أي بأمره وتوفيقه

[الى صراط العزيز الحميد] أي لتهديهم إلى طريق الله (العزيز) الذي لا يُغالب ، المحمود بكل لسان ، الممجد في كل مكان

[الله الذي له ما في السموات وما في الأرض] أي المالك لما في السموات والأرض ، الغني عن الناس ، المسيطر على الكون وما فيه

[وويل للكافرين من عذاب شديد] قال الزجاج :

[ويل] كلمة تُقال للعذاب والهلكة ، أي هلاك ودمار للكافرين ، يا ويلهم من عذاب الله الأليم .. ثم وضح تعالى صفات أولئك الكفار بقوله :

[الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة] أي يفضلون ويؤثرون (الحياة الفانية) على الحياة الآخرة الباقية

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ويصدون عن سبيل الله] أي يصرفون الناس ويمنعونهم عن دين الإسلام

[ويبغونها عوجا] أي يطلبون أن تكون دين الله معوجة ، لتوافق أهواءهم الفاسدة

[أولئك في ضلال بعيد] أي أولئك المتصفون بتلك الصفات الذميمة في ضلال بعيد عن الحق مبين ، لا يُرجى لهم صلاح ولا نجاح

[وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه] أي وما أرسلنا في الأمم الخالية رسولا من الرسل ، إلا بلغة قومه

[ليبين لها] أي ليبين لهم شريعة الله ، ويفهمهم مراده ، لتتم الغاية من الرسالة

[فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء] أي وليست وظيفة الرسل إلا (التبليغ) وأما أمر الهداية والإيمان ، فذلك بيد الله يضل من يشاء إضلاله ، ويهدي من يشاء هدايته ، على ما سبق به قضاوه المحكم

[وهو العزيز الحكيم] أي وهو العزيز في ملكه ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الحكيم في صنعه

[ولقد أرسلنا موسى بآياتنا] أي أرسلنا موسى بالمعجزات الباهرات الدالة على صدقه

[أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور] أن تفسيرية بمعنى (أي) والمعنى : أي أخرج بني إسرائيل من ظلمات الجهل والكفر ، إلى نور الإيمان والتوحيد ، قال أبو حيان : وفي قوله : [قومك] خصوص لرسالة موسى إلى قومه ، بخلاف قوله لمحمد : [لتخرج الناس] مما يدل على عموم الرسالة

[وذكرهم بأيام الله] أي ذكرهم بأياديه ونعمه عليهم

[إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور] أي في التذكير بأيام لله لعبرا ودلالات ، لكل عبد منيب ، صابر على البلاء ، شاكر للنعماء

[وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم] أي اذكروا نعم الله الجليلة عليكم

[إذ أنجاكم من آل فرعون] أي حين نجاكم من الذل والاستعباد من فرعون وزبانيته

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[يسومونكم سوء العذاب] أي يذيقونكم أسوأ أنواع العذاب

[ويذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم] أي يذبحون الذكور ويستبقون الإناث على قيد الحياة مع الذل والصغار

[وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم] أي وفي تلك المحنة ابتلاء واختبار لكم من ربكم عظيم ، قال المفسرون : وكان سبب قتل الذكور ، أن الكهنة قالوا لفرعون : إن مولودا يولد في بني إسرائيل ، يكون ذهاب ملكك على يديه ، فأمر بقتل كل مولود

[وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم] هذا من تتمة كلام موسى ، أي واذكروا أيضا حين أعلم ربكم إعلاما لا شبهة فيه ، لئن شكرتم إنعامي لأزيدنكم من فضلي

[ولئن كفرتم إن عذابى لشديد] أي ولئن جحدتم نعمتي بالكفر والعصيان ، فإن عذابي شديد ، وعدَ بالعذاب على الكفر ، كما وعَدَ بالزيادة على الشكر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وقال موسى ان تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعا] أي وقال موسى لبني إسرائيل بعد ان يئس من إيمانهم : لئن كفرتم أنتم وجميع الخلائق ، فلن تضروا الله شيئاَ

[فإن الله لغني حميد] أي هو غنى عن شكر عباده ، مستحق للحمد في ذاته ، وهو المحمود وإن كفر به من كفر

[ألم يأتكم نبؤا الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود] أي ألم يأتكم أخبار من قبلكم من الأمم المكذبة ؟ كقوم (نوح ، وعاد ، وثمود) ، ماذا حل بهم لما كذبوا بآيات الله ؟

[والذين من بعدهم] أي والأمم الذين جاءوا بعدهم

[لا يعلمهم إلا الله] أي لا يحصى عددهم إلا الله

[جاءتهم رسلهم بالبينات] أي بالحجج الواضحات ، والدلائل الباهرات

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فردوا أيديهم في أفواههم] أي وضعوا أيديهم على أفواههم تكذيبا لهم ، وقال ابن مسعود : عضوا أصابعهم غيظا ((مبنى القول الثاني على المجاز ومثله {عضوا عليكم الأنامل من الغيظ } والقول الأول محمول على الحقيقة ، وتوضيحه أنهم لما سمعوا كلام الأنبياء عجبوا منه وضحكوا على سبيل السخرية ، فعند ذلك ردوا أيديهم في أفواههم كما يفعل ذلك من غلبه الضحك فوضع يده على فيه ، وهذا من حماقتهم وسوء أدبهم))

[وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به] أي كفرنا بما زعمتم أن الله أرسلكم به

[وإنا لفي شك مما تدعوننا إليه مريب] أي في شك عظيم من دعوتكم ، وقلق واضطراب من دينكم

[قالت رسلهم أفي الله شك] أي أجابهم الرسل بقولهم : أفي وجود الله ووحدانيته شك ؟ والاستفهام للإنكار والتوبيخ ، لأنه لا يحتمل الشك لظهور الأدلة ، ولهذا لفتوا الانتباه إلى براهين وجوده بقولهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فاطر السموات والأرض] أي خالقهما ومبدعهما على غير مثال سابق

[يدعوكهم ليغفر لكم من ذنوبكم] أي يدعوكم إلى الإيمان ليغفر لكم ذنوبكم

[ويؤخركم الى أجل مسمى] أي إن آمنتم أمد في أعماركم إلى منتهى آجالكم ، ولم يعاقبكم في العاجل فيهلككم

[قالوا إن أنتم الا بشر مثلنا] أي ما انتم إلا بشر مثلنا لا فضل لكم علينا

[تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا] أي تريدون أن تصرفونا عن عبادة الأوثان التي كان عليها آباؤنا

[فأتونا بسلطان مبين] أي فأتونا بحجة ظاهرة على صدقكم

[قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم] أي قالت الرسل : نحن كما قلتم : بشر مثلكم

[ولكن الله يمن على من يشاء من عباده] أي يتفضل على من يشاء بالنبوة والرسالة ، قال الزمخشري : لم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يذكروا فضلهم تواضعا منهم ، وسلموا لقولهم وأنهم بشر مثلُهم في البشرية وحدها ، فأما ما وراء ذلك فما كانوا مثلهم

[وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان إلا بإذن الله] أي وما ينبغي لنا أن نأتيكم بحجة وآية مما اقترحتموه علينا إلا بمشيئة الله وإذنه

[وعلى الله فليتوكل المؤمنون] أي على الله وحده ، فليعتمد المؤمنون في جميع أمورهم

[وما لنا ألا نتوكل على الله] أي قالت الرسل : أي شيء يمنعنا من التوكل على الله ؟

[وقد هدانا سبلنا] أي والحال أنه قد بصرنا طريق النجاة من عذابه

[ولنصبرن على ماآذيتمونا] أي ولنصبرن على أذاكم ، قال ابن الجوزي : وإنما قص هذا وأمثاله على نبينا ، ليقتدي بمن قبله في الصبر ، وليعلم ما جرى لهم

[وعلى الله فليتوكل المتوكلون] ليس هذا تكرارا وإنما معناه الثبات على التوكل ، أي فليدوموا وليثبتوا على

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

التوكْل عليه وحده ، وهنا يسفر الطغيان عن وجهه ، متبجحا بالقوة المادية ، التي يملكها المتجبًرون

[وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا] أي قال الكفار للرسل الأطهار : والله لنطردنكم من ديارنا ، أو لترجعن إلى ديننا

[فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين] أي أوحى الله إلى الرسل ، لأهلكن أعداءكم الكافرين المتجبرين

[ولنسكننكم الأرض من بعدهم] أي ولأمنحنكم سكنى أرضهم بعد هلاكهم

[ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد] أي ذلك النصر للرسل وأهلاك الظالمين ، لمن خاف مقامه بين يدى وخاف عذابي ووعيدي ، قال في البحر : ولما أقسموا على إخراج الرسل ، أو العودة في ملتهم ، أقسم تعالى على أهلاكهم ، وأيْ إخراج أعظم من الأهلاك ، بحيث لا يكون لهم عودة إليها أبدا

[واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد] أي واستنصر الرسل بالله على قومهم ، وخسر وهلك كل متجبر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

معاند للحق

[من ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد] أي من وراء ذلك الكافر (جهنم) ويسقى فيها من ماء صديد هو من قيح ودمٍ

[يتجرعه ولا يكاد يسيغه] أي يبتلعه مرة بعد مرة لمرارته ، ولا يكاد يستسيغه لقبحه وكراهته

[ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت] أي يأتيه الموت بأسبابه المحيطة به من كل مكان ، ولكنه لا يموت ليستكمل عذابه

[ومن ورائه عذاب غليظ] أي ومن بين يديه عذاب أشد مما قبله وأغلظ .

البلاغة :

تضمنت الآيات الكريمة أنواعا من البلاغة والبيان والبديع نوجزها فيما يلي :

1 - الاستعارة في [لتخرج الناس من الظلمات إلى النور] حيث استعار الظلمات للكفر والضلال ، والنور

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

للهدى والإيمان ، وكذلك [ويأتيه الموت] استعارة عن غواشي الكروب وشدائد الأمور ، فقد يوصف المغموم بأنه في غمرات الموت ، مبالغة قي عظيم ما يغشاه ، وأليم ما يلقاه .

2 - الطباق بين [يضل ويهدي] وبين [شكرتم وكفرتم] وبين [نخرجنً وتعودن] .

3 - صيغة المبالغة [صبار شكور] وفي [جبار عنيد] .

4 - جناس الاشتقاق في [أرسلنا من رسول] وفي [فليتوكل المتوكلون] .

5 - السجع في [شديد ، بعيد ، عنيد] آلخ .

فائدة :

ذكرتعالى في البقرة [يذبحون] بغير واو ، وهنا قال [ويذبحون] بالواو ، والسر في ذلك أنه في سورة البقرة ، جاء اللفظ تفسيرا لما سبق من قوله [سوء العذاب] فكأنه قال يسومونكم سوء العذاب ثم فسره بقوله : [يذبحون أبناءكم] أما في هذه السورة فهو

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

شيء آخر غير تفسير ، لأن آلمعنى أنهم يعذبونهم بأنواع من العذاب وبالتذبيح أيضا ، فهو نوع آخر من العذاب غير الأول ، والله أعلم .

قال الله تعالى : [مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد] إلى قوله [إن الإنسان لظلوم كفار] . من آية (18) الى نهاية آية (34) .

المناسبة :

لما حكى تعالى استهزاء الكفار بالرسل ، وما أعد لهم من العذاب والنكال في الآخرة ، ضرب مثلا لأعمالهم ، ثم ذكر المناظرة بين الرؤساء والأتباع ، وعقبها بالتذكير بنعم الله على العباد ، ليعبدوه ويشكروه .

اللغة :

[عاصف] شديد الريح

[برزوا] البروز : الظهور بعد الخفاء ، والبَراز المكان الواسع لظهوره ، وامرأة برزة أي تظهر للناس

[محيص] منجى ومهرب يقال : حاصَ عن كذا أي فر وأراد الهرب منه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[جزعنا] الجزع : عدم احتمال الشدة ، وهو نقيض الصبر

[مصرخكم] مُغيثكم الصارخ المستغيث ، والمصرخ المغيث ، قال أمية : فلا تجزعوا إني لكم غيرُ مُصرخ وليس لكم عندي غناء ولا نصر

[اجتثت] اقتلعت من أصلها

[البوار] الهلاك

[خِلال] جمع خُلة وهي الصحبة والصداقة ، قال امرؤ القيس : صرفتُ الهَوى عنهن من خشيةِ الردى فلستُ بمقلى الخِلال ولا قالي

[دائبين] الؤوب في اللغة : مرورُ الشيء في العمل على عادة مطردة يقال دأب دؤوبا إذا استمر في عمله ، أو استمر على سيرته .

التفسير :

[مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح] أي مثلُ أعمالِ الكفار التي عملوها في الدنيا ، يبتغون بها الأجر ، من صدقتن وصلة رحم وغيرها ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مثلُ رمادِ عصفت به الريح ، فجعلته هباء منثورا
[في يوم عاصف] أي في يوم شديد هبوب الريح ، قال القرطبي : ضرب الله هذه الآية مثلا لأعمال الكفار في أنه يمحقها ، كما تمحق الريح الشديدة الرماد ، في يوم عاصف ، لأنهم أشركوا فيها غير الله
[لا يقدرون مما كسبوا على شيء] أي لا يقدر الكفار على تحصيل ثواب ما عملوا ، من البر في الدنيا لإحباطه بالكفر ، كما لا يستطيع ان يحصل الإنسان على شيء من الرماد ، الذي طيرته الريح
[ذلك هو الضلال البعيد] أي الخسران الكبير
[ألم تر أن الله خلق السموات والأرض بالحق] أي ألم تر أيها المخاطب بعين قلبك ، وتتأمل ببصيرتك ، أن الله العظيم الجليل ، انفرد بالخلق والإيجاد ، وأنه خلق السموات والأرض ، ليُستدل بهما على قدرته ؟ قال المفسرون : أي لم يخلقهن عبثا وإنما خلقهن لأمرعظيم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد] أي هو قادر على الإفناء ، كما قادر على الإيجاد والإحياء ، قال ابن عباس : أي يميتكم يا معشر الكفار ، ويخلق قوما غيركم ، يكونون خيراً منكم وأطوع لله

[وما ذلك على الله بعزيز] أي ليس ذلك بصعب ، أو متعذرِ على الله ، فإن القوى القادر لا يصعبُ عليه شيء

[وبرزوا لله جميعا] أي خرجوا من قبورهم يوم البعث ، وظهروا للحساب لا يسترهم عن الله ساتر ، قال الإمام الفخر : ورد بلفظ الماضي [وبرزوا] وإن كان معناه الاستقبال ، لأن كل ما أخبر الله تعالى عنه ، فهو صدق وحق ، فصار كأنه قد حصل ، ودخل في الوجود ، ونظيره [ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار]

[فقال الضعفاء للذين استكبروا] أي قال الأتباع والعوام : للسادة الكبراء والقادة الذين أضلوهم في الدنيا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[إنا كنا لكم تبعا] أي كنا أتباعا لكم نأتمر بأمركم

[فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء] أي هل أنتم دافعون عنا شيئا من عذاب الله ؟ والاستفهام للتوبيخ والتقريع

[قالوا لو هدانا الله لهديناكم] أي قال القادة معتذرين : لو هدانا الله للإيمان لهديناكم إليه ، ولكن حصل لنا الضلال فأضللناكم ، فلا ينفعنا العتاب ولا الجزع

[سواء علينا أجزعنا أم صبرنا] أي يستوي علينا الجزع والصبر ، قال الطبري : ان أهل النار يجتمعون فيقول بعضهم لبعض : إنما أدركَ أهل الجنة السعادة ، ببكائهم وتضرعهم إلى الله ، فتعالوا نبكي ونتضرع إلى الله ، فبكوا فلما رأوا أن ذلك لا ينفعهم ، قالوا : تعالوا نصبر فصبروا صبرا لم يُر مثلُه ، فلما رأوا أنه لا ينفعهم ، قالوا : [سواء علينا أجزعنا أم صبرنا] وقال مقاتل : جزعوا خمسمائة عام ، وصبروا خمسمائة عام

[ما لنا من محيص] أي ليس لنا من مهرب أو ملجأ

[وقال الشيطان لما قضي الأمر] هذه هي (الخطبة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

البتراء) التي يخطب بها إبليس ، في محفل الأشقياء في جهنم ، أي قال الشيطانُ لما فُرغ من الحساب ، ودخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النارِ النارَ

[إن الله وعدكم وعد الحق] أي وعدكم وعداً حقا ، بإِثابة المطيع وعقاب العاصي ، فوفى لكم وعده

[ووعدتكم فأخلفتكم] أي وعدتكم ألاّ بعث ، ولا ثواب ، ولا عقاب ، فكذبتكم وأخلفتكم الوعد

[وما كان لي عليكم من سلطان] أي لم يكن لي قدرة وتسلط وقهر عليكم فأقهركم على الكفر والمعاصي

[إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي] أي إلا دعائي إياكم إلى الضلالة بالوسوسة والتزيين فاستجبتم لي باختياركم

[فلا تلوموني ولوموا أنفسكم] أي لا ترجعوا باللوم على اليوم ، ولكن لوموا أنفسكم ، فإن الذنب ذنبكم

[ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي] أي ما أنا بمغيثكم ، ولا انتم بمغيثى من عذاب الله

[إني كفرت بما أشركتمون من قبل] أي كفرت بإشراككم لي مع الله في الطاعة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[إن الظالمين لهم عذاب أليم] أي إن المشركين لهم عذاب شديد موجع ، قال المفسرون : هذه الخطبة إنما تكون ، إذا استقر أهل الجنة في الجنة ، وأهل النار في النار ، فيأخذ أهل النار في لوم إِبليس وتقريعه ، فيقوم فيما بينهم خطيبا بما أخبر عنه القرآن وقال الحسن : يقف إِبليس يوم القيامة خطيبا في جهنم ، على منبر من نار ، يسمعه الخلائق جميعا

[وأُدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها بإذن ربهم] لما ذكر تعالى أحوال الأشقياء ، ذكر بعده أحوال السعداء ، ليبقى العبد بين الرغبة والرهبة ، وبين الخوف والرجاء ، أي أدخلهم الله تعالى حدائق وبساتين ، تجري من تحت قصورها أنهار الجنة ، ماكثين فيها أبدا بأمره تعالى وتوفيقه وهدايته

[تحيتهم فيها سلام] أي تُحييهم الملائكة بالسلام مع الإجلال والإكرام

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة] هذا هثل ضربه الله لكلمة (الإيمان) وكلمة (الإشراك) ، فمثل لكلمة الإيمان بالشجرة الطيبة ، ولكلمة الإشراك بالشجرة الخبيثة ، قال ابن عباس : الكلمة الطيبة " لا إله إلا الله " والشجرة الطيبة " المؤمن "

[أصلها ثابت وفرعها في السماء] أي أصلها راسخ في الأرض ، وأغصانها ممتدة نحو السماء

[تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها] أي تعطي ثمرها كل وقت ، بتيسير الخالق وإبداعه ، كذلك كلمة الإيمان ثابتة في قلب المؤمن ، وعمله يصعد إلى السماء ، وينالُه بركته وثوابه في كل وقت

[ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون] أي يبين لهم الأمثال لعلهم يتعظون فيؤمنون

[ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة] أي ومثل كلمة الكفر الخبيثة ، كشجرة الحَنظل الخبيثة

[اجتثت من فوق الأرض] أي استؤصلت من جذورها

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

واقتلعت من الأرض ، لعدم ثبات أصلها

[ما لها من قرار] أي ليس لها استقرار وثبات ، كذلك كلمة الكفر ، لا ثبات لها ولا فرع ولا بركة ، قال ابن الجوزي : شُبه ما يكسبه المؤمن من بركة الإيمان وثوابه ، في كل وقت ، بثمرتها المجتناة في كل حين ، فالمؤمن كلما قال (لا إله إلا الله) صعدت إلى السماء ثم جاء خيرُها ومنفعتها ، والكافر لا يُقبل عمله ، ولا يصعد إلى الله تعالى ، لأنه ليس له أصل في الأرض ثابت ، ولا فرع في السماء ممتد

[يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا] أي يثبتهم على كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) وعلى الإيمان في هذه الحياة ، فلا يزيغون ولا يُفْتنون

[وفي الآخرة] أي عند سؤال الملكين في القبر ، كما جاء في الحديث الشريف : (المسلم إذا سئل في القبر شهد ان لا إله إلا الله وان محمدا رسول الله) فذلك قوله تعالى : [يثبت الله آلذين آمنوا] . . " الآية

[ويضل الله الظالمين] أي لا يهديهم في الحياة ولا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عند سؤال الملكين وقت الممات

[ويفعل الله ما يشاء] أي من هداية المؤمن لإضلال الكافر ، لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون

[ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا] استفهام للتعجيب أي ألا تعجب أيها السامع من أولئك الذين غيروا نعمة الله ، بالكفر والتكذيب ؟ قال المفسرون : هم " كفار مكة " فقد أسكنهم الله حرمه الآمن ، وجعل عيشهم في السعة ، وبعث فيهم محمداً فًي فلم يعرفوا قدر هذه النعمة ، وكفروا به وكذبوه ، فابتلاهم الله بالقحط والجدب

[وأحلوا قومهم دار البوار] أي أنزلوا قومهم دار الهلاك ، بكفرهم وطغيانهم ، ثم فسرها تعالى بقوله :

[جهنم يصلونها وبئس القرار] أي احلْوهم في جهنم ، يذوقون سعيرها ، وبئست جهنم مستقرا للكافرين

[وجعلوا لله أندادا ليضلوا عن سبيله] أي جعلوا لله شركاء من الأوثان ، عبدوهم كعبادته ، ليُضلوا الناس عن دين الله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[قل تمتعوا فإن مصيركم إلى النار] أي استمتعوا بنعيم الدنيا فإن مردكم ومرجعكم إلى عذاب جهنم ، وهو وعيد وتهديد

[قل لعبادى الذين آمنوا يقيموا الصلاة] أي قل يا محمد لعبادي الذين آمنوا : فليقيموا الصلاة المفروضة عليهم ، ويؤدوها على الوجه الأكمل

[وينفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية] أي ولينفقوا مما أنعمنا عليهم به من الرزق ، خفية وجهرا

[من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال] أي من قبل أن يأتي يوم القيامة ، الذي لا انتفاع فيه ، بمبايعة ولا صداقة ، ولا فداء ولا شفاعة . . ولما أطال الكلام في وصف أحوال السعداء والأشقياء ، ختم ذلك بذكر الدلائل الدالة على وجود الخالق الحكيم ، فقال سبحانه :

[الله الذي خلق السموات والأرض] أي أبدعهما واخترعهما على غير مثال سبق

[وأنزل من السماء ماء] أي أنزل من السحاب المطر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فأخرج به من الثمرات رزقا لكم] أي أخرج بالمطر من أنواع الزروع والثمار ، رزقا للعباد يأكلونه

[وسخر لكم الفلك لتجرى قي البحر بأمره] أي ذلل السفن الكبيرة ، لتسير بمشيئته في البحر ، فوق سطح الماء ، تركبونها وتحملون فيها أمتعتكم من بلد إلى بلد

[وسخر لكم الأنهار] أي الأنهار العذبة ، لتشربوا منها وتسقوا وتزرعوا

[وسخر لكم الشمس والقمر دائبين] أي وذلل لكم الشمس والقمر يجريان بانتظام ، لا يفتران ، لصلاح أنفسكم ومعاشكم

[وسخر لكم الليل والنهار] أي لتسكنوا في الليل ، ولتبتغوا من فضله بالنهار ، هذا لمنامكم ، وذاك لمعاشكم

[وآتاكم من كل ما سألتموه] أي أعطاكم من كل ما تحتاجون إليه ، وما يصلح أحوالكم ومعاشكم ، مما سألتموه بلسان الحال أو المقال

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها] أي وان تعدوا نِعَم الله عليكم ، لا تطيقوا حصرها وعدها ، فهي أكبر وأكثر من أن يحصيها عدد

[إن الإنسان لظلوم كفار] الإنسان اسم جنس ، أي إن الإنسان لمبالغ في الظلم والجحود ، ظالم لنفسه بتعديه حدود الله ، جحود لنعم الله ، وقبل : المعنى : إنه ظلوم في الشدة يشكو ويجزع ، كفار في النعمة يجمع ويمنع !

البلاغه :

تضمنت آلايات الكريمة من وجوه البيان والبديع ما يلي :

1 - التشبيه التمثيلي [أعمالهم كرماد اشتدت به الريح] لأن وجه الشبه منتزع من متعدد

2 - التشبيه المرسل المجمل [ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة] ومثلها [ومثل كلمة طيبة] .

3 - الطبا ق في [أصلها . . وفرعها] وفي [طيبة . . وخبيثة] وفي [يذهب . . ويأتى] وفي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[سرا . . وعلانية] وفي [جزعنا . . وصبرنا] .
4 - طباق السلب في [فلا تلوموني ولوموا أنفسكم] .
5 - التعجيب [ألم تر كيف ضرب الله مثلا ،
الاستفهام للتعجيب من الأمر.
6 - التهديد والوعيد [قل تمتعوا] .
7 - صيغة المبالغة [ظلوم كفار] لأن (فعول)
و(فعال) من صيغ المبالغة .
8 - السجع المرضع دون تكلف مثل [البوار . .
القرار . . النار] إلخ .

قال الله تعالى : [وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد . .] الى قوله [وليذكر أولوا الألباب] . من آية (35) الى آية (52) نهاية السورة الكريمة .

المناسبة :

لما ذكر تعالى بالدلائل الحسية والسمعية ، انفراده بالألوهية وأن لا معبود يستحق العبادة إلا الله ، ذكر هنا أبا الأنبياء (إبراهيم) عليه السلام حصن التوحيد ، ومبالغته في هدم الشرك والأوثان ، ثم ذكر موقف

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الظالمين يوم الدين ، وما يعتريهم من الذل والهوان في يوم الحشر الأكبر .

اللغه :

[اجنبني] أبعدني ونحني يقال : جَنب وجنب وأصله جعل الشيء في جانب آخر

[تشخص] شخَص البصر : إذا بقيت العين مفتوحة لا تغمض من هول ما ترى

[مهطعين] مسرعين يقال أهطع إهطاعا إذا أسرع ، قال الشاعر : بدجلةَ دارهُم ولقد أَراهم بدجلةَ مهطعينَ إلى السماع

[مقنعي] المقنعُ : الرافع رأسه المقبل ببصره على ما بين يديه

[هواء] خالية

[مقرنين] مشدودين

[الأصفاد] الأغلال والقيود واحدها صفد

[سرابيلهم] جمع سربال وهو القميص والثوب

[تغشى] تجلل وتغطي .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

التفسير :

[وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا] أي اجعل يا رب مكة بلد أمنٍ ، يأمن أهله وساكنوه

[واجنبني وبنى أن نعبد الأصنام] أي احمني وجنبني وأولادي عبادةَ الأصنام ، والغرض تثبيته على ملة التوحيد والاسلام

[رب إنهن أضللن كثيرا من الناس] أي يا رب إن هذه الأصنام أضلت كثيرا من الخلق عن الهداية والإيمان

[فمن تبعني فانه مني] أي فمن أطاعني وتبعني على التوحيد ، فإنه من أهل ديني

[ومن عصاني فإنك غفور رحيم] أي ومن خالف أمري ، فإنك يا رب غفار الذنوب ، رحيم بالعباد

[ربنا إني أسكنت من ذريتى] كرر النداء رغبة في الإجابة ، وإظهارا للتذلل والإلتجاء الى الله تعالى ، أي يا ربنا إني أسكنت من أهلي - ولدي إسماعيل وأمه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

هاجر ((روي أن هاجر لما ولدت إسماعيل غارت منها " سارة " زوجة إبراهيم ، فأمره الله تعالى ان يحمل ولده (إسماعيل) مع أمه من الشام إلى مكة ، فجاء بهما فوضعهما عند دوحة مكان زمزم كما فى الحديث الطويل الذي رواه البخاري ومسلم))

[بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم] أي بوادٍ ليس فيه زرع فى جوار بيتك المحرم ، وهو وادي مكة شرفها الله تعالى

[ربنا ليقيموا الصلاة فأجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم] أي يا ربنا لكى يعبدوكَ ، ويقيموا الصلاة على الوجهِ الذي يرضيك ، أسكنتهم بهذا الوادي ، فأجعل قلوبَ الناسِ ، تحن وتسرع إليهم شوقا ، قال ابن عباس : لو قال : " أفئدة الناس " لازدحمت عليه فارس والروم والناسُ كلهم ، ولكن قال : [من الناس] فهم المسلمون

[وأرزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون] أي وأرزقهم في ذلك الوادي القفر من أنواع الثمار ، ليشكروك على

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

جزيل نِعمك ، وقد استجاب الله دعاءه ، فجعل مكة حرما آمنا ، يجبى إليها ثمرات كل شيء رزقا من عند الله

[ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن] أي يا ربنا إنك انتَ العالم بما في القلوب ، تعلم ما نسر وما نظهر

[وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء] أي لا يغيب عليه تعالى شيء قي الكائنات ، سواء منها ما كان في الأرض أو في السماء!! وكيف تخفى عليه وهو خالقها وموجدها ؟

[الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحق] أي الحمد لله الذي رزقني ، على كبر سني وشيخوختي (إسماعيل) و(إسحق) قال ابن عباس : ولد له إسماعيل وهو ابن تسع وتسعين ، وولد له إسحاق وهو ابن مائة واثنتي عشرة سنة

[إن ربي لسميع الدعاء] أي مجيب لدعاء من دعاه

[رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي] هذه هي الدعوة السادسة من دعوات الخليل عليه السلام أي يا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

رب اجعلني ممن حافظ على الصلاة ، واجعل من ذريتي من يقيمها أيضا ، وهذه خير دعوةٍ يدعو المؤمن بها لأولاده ، فلا أحب له من أن يكون مقيما للصلاة هو وذريته لأنها عماد الدين

[ربنا وتقبل دعاء] أي تقبل واستجب دعائي فيما دعوتك به

[ربنا اغفر لي ولوالديَّ وللمؤمنين يوم يقوم الحساب] هذه هي الدعوة السابعة ، وبها ختم إبراهيم دعاءه الضارع الخاشع ، بالاستغفار له ولوالديه ولجميع المؤمنين ، يوم يقوم الناس لرب العالمين ، قال المفسرون : استغفر لوالديه قبل ان يتبين له ان أباه عدو لله ، قال القشيري : ولا يبعد أن تكون أمه مسلمة لأن الله ذكر عذره في استغفاره لأبيه دون أمه . .

وينتقل السياق إلى مشاهد القيامة ، وما فيها من الأهوال ، حين تتزلزل القلوب والأقدام ، فيقول سبحانه [ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون] أي لا تظنن يا محمد أنَّ الله ساه عن أفعال الظلمة ، فإن سنة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الله إمهال العصاة ، ثم يأخذهم أخذ عزيز مقتدر ، قال ميمون بن مِفران : هذا وعيد للظالم . ، وتعزية للمظلوم

[إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار] أي إنما يؤخرهم ليوم رهيب عصيب ، تَشخص فيه الأبصار ، من الفزع والهَلَع ، فتظل مفتوحة مبهوتة ، لا تطرف ولا تتحرك ، قال أبو آلسعود : تبقى أبصارهم مفتوحة ، لا تتحرك أجفانهم ، من هول ما يرونه

[مهطعين مقنعي رءوسهم] أي مسرعين لا يلتفتون إلى شيء ، رافعين رءوسهم مع إدامة النظر ، قال الحسن : وجوه الناس يومئذٍ إلى السماء ، لا ينظر أحد إلى أحد

[لا يرتد إليهم طرفهم] أي لا يطرفون بعيونهم ، من الخوف والجزع

[وأفئدتهم هواء] أي قلوبهم خالية من العقل لشدة الفزع

[وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب] أي خوف يا محمد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الكفار ، من هول يوم القيامة ، حين يأتيهم العذاب الشديد

[فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا الى أجل قريب] أي فيتوجه الظالمون يومئذ إلى الله بالرجاء ، يقولون : يا ربنا آمهلنا إلى زمن قريب لنستدرك ما فات

[نجب دعوتك ونتبع الرسل] أي نجب دعوتك لنا إلى الإيمان ، ونتبع رسلك فيما جاءونا به من الحق

[أولم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال] أي يقال لهم توبيخا وتبكيتا : ألم تحلفوا أنكم باقون في الدنيا لا تنتقلون إلى دار أخرى ؟ والمراد إِنكارهم للبعث والنشور

[وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم] أي سكنتم في ديار الظالمين ، بعد أن أهلكناهم ، فهلا اعتبرتم بمساكنهم ؟

[وتبين لكم كيف فعلنا بهم] أي تبين لكم بالإخبار والمشاهدة ، كيف أهلكناهم وانتقمنا منهم ! ؟

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وضربنا لكم الأمثال] أي بينا لكم الأمثال في الدنيا فلم تعتبروا

[وقد مكروا مكرهم] أي مكر المشركون بالرسول وبالمؤمنين ، حين أرادوا قتله ، في دار الندوة

[وعند الله مكرهم] أي وعند الله جزاء هذا المكر ، فإنه محيط بهم وبمكرهم

[وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال] أي وإن كان مكرهم من القوة والتأثير ، حتى ليؤدي إلى زوال الجبال ، ولكن الله عصَم ووقى منه

[فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله] أي لا تظنن أيها المخاطب ، أن الله يخلف رسله ما وعدهم به من النصر ، وأخذ الظالمين المكذبين

[إن الله عزيز ذو انتقام] أي إنه تعالى غالب ، لا يعجزه شيء ، منتقم ممن عصاه

[يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات] أي ينتقم من أعدائه يوم الجزاء ، يوم تتبدل هذه الأرض أرضا أخرى ، وتتبدل السماوات سموات أخرى ، قال ابن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مسعود : تُبدل الأرضُ بأرض كالفضة نقية ، لم يسفك فيها دم ، ولم يعمل عليها خطيئة

[وبرزوا لله الواحد القهار] أي خرجت الخلائق جميعها من قبورهم ، ومثلوا أمام أحكم الحاكمين ، لا يسترهم ساتر ، ولا يقيهم واقي ، ليسوا في دورهم ، ولا في قبورهم ، وإنما هم في أرض المحشر ، أمام الواحد القهار

[وترى المجرمين يومئذ مقرنين في الأصفاد] أي وفي ذلك اليوم الرهيب ، تبصر المجرمين مشدودين مع شياطينهم ، بالقيود والأغلال ، قال الطبري : أي مقرنة أيديهم وأرجُلهم الى رقابهم بالأصفاد ، وهي الأغلال والسلاسل

[سرابيلهم من قطران] أي ثيابهم التي يلبسونها من قطران وهي مادة يسرع فيها اشتعال النار ، تُطلى بها الإبل الجربي ، فيحرق الجربَ بحره وحِدته ، وهو أسود اللون منتنُ الريح

[وتغشى وجوههم النار] أي تعلوها وتحيط بها النار ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

جزاء المكر والاستكبار

[ليجزى الله كل نفس ما كسبت] أي برزوا يوم القيامة لأحكم الحاكمين ، ليجازيهم الله على أعمالهم ، المحسنَ بِاحسانه ، والمسيءَ بِاساءته

[ان الله سريع الحساب] أي لا يشغله شأن عن شأن ، يحاسب جميع الخلق ، في أعجل ما يكون من الزمان ، في مقدار نصف نهار من أيام الدنيا ، كما ورد به الأثر

[هذا بلاغ للناس] أي هذا القرآن بلاغ لجميع الخلق ، من إنس وجان ، اُنزل لتبليغهم بما فيه من فنون العبر والعظات

[ولينذروا به] أي لكي ينصحوا به ويخوفوا من عقاب الله

[وليعلموا أنما هو إله واحد] أي ولكي يتحققوا بما فيه من الدلائل الواضحة ، والبراهين القاطعة ، على أنه تعالى واحد أحد ، فرد صمد

[وليذكرأولوا الألباب] أي وليتعظ بهذا القرآن ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أصحاب العقول السليمة ، وهم السعداء أهل النُهَى والصلاح !

البلاغة :

تضمنت الآيات الكريمة من وجوه البيان والبديع ما يلي :

1 - التشبيه البليغ [وأفئدتهم هواء] حذف منه اداة التشبيه ووجه الشبه أي قلوبهم كالهواء لفراغها من جميع الأشياء ، فأصبح التشبيه بليغاً.

2 - الإيجاز بالحذف [يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات] حذف منه والسموات تبدل غير السموات لدلالة ما سبق .

---

3 - ا لطبا ق في [تبعني . . وعصاني] وفي [نخفى . . ونعلن] وفي [الأرض . . والسماء] .

4 - جناس الاشتقاق في [مكروا مكرهم] .

5 - العدول عن المضارع إلى الماضي [وبرزوا] بدل [ويبرزون] للدلالة على تحقق الوقوع مثل [أتى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أمر الله] فكأنه حدث ووقع فأخبر عنه بصيغة الماضي .

6 - الاستعارة في [فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم] قال الشريف الرضي : وهذه من محاسن الاستعارة وحقيقة الهُوي النزول من علو إلى انخفاض كالهبوط ، والمراد تسرع اليهم شوقا وتطير إليهم حبا ، ولو قال : " تحن إليهم " لم يكن فيه من الفائدة ما في التعبير ب [تهوي إليهم] لأن الحنين قد يكون من المقيم بالمكان .

لطيفة :

حكمة تعريف البلد هنا [اجعل هذا البلد أمنا] وتنكيره في البقرة [اجعل هذا بلدا أمن] أنه تكرر الدعاء من الخليل ، ففى البقرة كان قبل بنائها فطلب من الله أن تجعل بلدا ، وأن تكون آمنا ، وهنا كان بعد بنائها ، فطلب من الله أن تكون آمنا أي بلد أمن واستقرار ، وهذا هو السر في التفريق بين الآيتين ، اللهم ارزقنا فهم أسرار كتابك العظيم .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تنبيه :

روى مسلم والترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت : " سألتُ رسولَ الله ، عن قوله تعالى : [يومَ تُبدَّل الأرضُ غيرَ الأرض والسموات . .] قلت : أين يكون الناس يومئذ يا رسول الله ؟ قال : على الصراط . وقانا الله وإياكم من هول يوم القيامة ، وجعلنا ممن يجوز على الصراط بيسر وسهولة ، إنه سميع مجيب الدعاء ، والحمد لله رب العالمين !

سورة الحجر

مكية وآياتها تسع وتسعون آية

بين يدي السورة

سورة الحجر من السور المكية ، التي تستهدت المقاصد الأساسية للعقيدة الإسلامية (الوحدانية ، النبوة ، البعث والجزاء) ومحور السورة يدور حول مصارع الطغاة ، والمكذبين لرسل الله ، في شتى الأزمان والعصور ، ولهذ ابتدأت السورة بالإنذار والتهديد ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ملفعا بظل من التهويل والوعيد [ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأهل فسوف يعلمون] .

* عرضت السورة لدعوة الأنبياء ، وبينت موقف أْهل الشقاوة والضلالة من الرسل الكرام ، فما من نبى إلا سخر منه قومه الضالون ، من لدن بعثة شيخ الأنبياء " نوح " عليه السلام ، إلى بعثة خاتم المرسلين ، وقد بينت السورة أن هذه سنة المكذبين ، في كل زمان وحين [ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الأولين وما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون . .] الآيات .

* وعرضت السورة إلى الآيات الباهرات ، المبدعة في صفحة هذا الكون العجيب ، الذي ينطق بأثار اليد المبدعة ، ويشهد بجلال عظمة الخالق الكبير ، بدءا بمشهد السماء ، فمشهد الأرض ، فمشهد الرياح اللواقح ، فمشهد الحياة والموت ، فمشهد الحشر والنشر ، وكلها ناطقة بعظمة الله وجلاله ، وشاهدة بوحدانيته وقدرته

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين وحفظناها من كل شيطان رجيم . .] الآيات . "
وعرضت السورة إلى قصة (البشرية الكبرى) قصة الهدى والضلال ممثلة في خلق آدم عليه السلام ، وعدوه اللدود (إبليس) اللعين ، وما جرى من سجود الملائكة لآدم ، واستكبار إبليس عن السجود ، واعتراضه على أمر الله وتوعده لذرية آدم [وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون . .] الآيات .

* ومن قصة آدم تنتقل السورة إلى قصص بعض الأنبياء ، تسلية لرسول الله عليه السلام ، وتثبيتاً لقلبه الشريف ، لئلا يتسرب إليه اليأس والقنوط ، فتذكر قصة (لوط ، وشعيب ، وصالح) عليهم السلام ، وما حل بأقوامهم المكذبين .

* وتختم السورة الكريمة بتذكير الرسول (ص) بالنعمة العظمى عليه ، بإنزال هذا الكتاب المجيد المعجز ، وتأمره بالصبر والسلوان ، على ما يلقاه من أذى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المشركين ، وتبشره بقرب النصر له وللمؤمنين [ولقد اَتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم . .] إلى آخر السورة الكريمة .

التسمية :

سميت السورة الكريمة (سورة الحِجر) لأن الله تعالى ذكر ما حدث لقوم صالح ، وهم (قبيلة ثمود) وديارهم في الحِجر بين المدينة والشام ، فقد كانوا أشداء ، ينحتون الجبال ليسكنوها ، وكأنهم مخلدون في هذه الحياة ، لا يعتريهم موت ولا فناء ، فبينا هم آمنون مطمئنون جاءتهم صيحة العذاب في وقت الصباح [فأخذتهم الصيحة مصبحين فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون] .

اللغة :

[ربما] رب للتقليل و[ما] نكره موصوفة أي رب شيئ

[لوما] للتحضيض كَ " لولا " وهلا

[شيع] جمع شيعة وهي الفرقة والطائفة من الناس

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[نسلكه] ندخله ، والسلك : إدخال الشيء في الشيء

[يعرجون] عَرَج : صعد ، والمعارج المصاعد

[سكرت] سُدت ومنعت

[بروجا] البروج : منازل الكواكب السيارة ، وأصله الظهور ، ومنه تبرج المرأة وهو إظهار زينتها

[لواقح] جمع لاقح وهي الريح التي تحمل المطر ، أو ملفحة للشجر أي تحمل اللَّقاحً له ، والتى لا تأتي بخير تسمى الريح العقيم

[صلصال] طين يابس يسمع له صلصلة إذا يبس

[حمأ] الحمأ : الطين الأسود

[مسنون] منتن متغير ، قال الفراء : هو المتغير ، وأصله من سننتُ آلحجر اذا حككته به

[السموم] الريح الحارة القاتلة .

سبب النزول :

عن ابن عباس قال : كانت امرأة تصلي خلف رسول الله (ص) حسناء من أحسن الناس ، فكان بعض القوم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يتقدم حتى يكون في الصف الأول لئلا يراها ، ولتأخر بعضهم حتى يكون في الصف المؤخر فإذا ركع نظر من تحت إبطه فأنزل الله [ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين] .

التفسير :

[الر] إشارة إلى إعجاز القرآن أي هذا الكتاب العجيب المعجز كلام الله تعالى ، وهو منظوم من أمثال هذه الحروف الهجائية : الألفُ ، واللام ، والراء

[تلك الآيات الكتاب] أي هذه الآيات الكتاب ، الكامل في الفصاحة والبيان ، المتعالي عن الطاقة البشرية ،

[وقرآن مبين] أي قرآن عظيم الشأن ، واضح بين ، لا خلل فيه ولا اضطراب

[ربما يود الذين كفروا] أي ربما تمنى الكفار

[لو كانوا مسلمين] أي لو كانوا في الدنيا مسلمين ، وذلك عند معاينة أهوال الآخرة

[ذرهم يأكلوا ويتمتعوا] أي دَعْهم يا محمد يأكلوا كما تأكل البهائم ، ويستمتعوا بدنياهم الفانية

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ويلههم الأمل] أي يشغلهم الأمل بطول الأجل ، عن التفكر فيما ينجيهم من عذاب الله

[فسوف يعلمون] أي عاقبة أمرهم ، إذا رآوا القيامة ، وذاقوا وبال ما صنعوا ، وهو وعيد وتهديد

[وما أهلكنا من قرية] أي وما أهلكنا أهل قرية من القرى الظالمة ، التي كذبت رسل الله

[إلا ولها كتاب معلوم] أي إلا لها أجل محدود لإهلاكها

[ما تسبق من أمة أجلها] أي لا يتقدم هلاك أمةٍ قبل مجيء أوانه

[وما يستأخرون] أي ولا يتأخر عنهم ، قال ابن كثير : وهذا تنبيه لأهل مكة ، وإرشاد لهم إلى الإقلاع عما هم عليه من العِناد والإلحاد ، الذي يستحقون به الهلاك ،

[وقالوا يا أيها الذي نزلَ عليه الذكر] قال كفار قريش لمحمد (ص) على جهة الاستهزاء والتهكم : يا من تزعم وتدعي أن القرآن نزل عليك

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[إنك لمجنون] أي إنك حقا لمجنون ، أكدوا الخبر بإن واللام ، مبالغة في الاستخفاف والاستهزاء بمقامه الشريف ،

[لو ما تأتينا بالملائكة إن كنت من الصادقين] أي هلا جئتنا بالملائكة لتشهد لك بالرسالة ، إن كنت صادقا في دعواك أنك رسول الله ! ! قال تعالى ردا عليهم :

[ما ننَزلُ الملائكة إلا بالحق] أي ما ننزل ملائكتنا إلا بالعذاب لمن أردنا إهلاكه

[وما كانوا إذا منظرين] أي وفي هذه الحالة لا إمهال لهم ولا تأجيل ، والغرض أن عادة الله تعالى قد جرت في خلقه ، أنه لا ينزل الملائكة إلا لمن يريد إهلاكهم بعذاب الاستئصال ، وهو لا يريد ذلك مع أمته ، لعلمه تعالى أنه سيخرج من أصلابهم من يعبد الله ، ففيه رد عليهم فيما اقترحوا

[إنا نحن نزلنا الذكر] أي نحن بعظمة شأننا ، نزلنا عليك القرآن يا أيها الرسول المكرم

[وإنا له لحافظون] أي ونحن الحافظون لهذا القرآن ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

نصونه عن الزيادة والنقصان ، والتبديل والتغيير ، قال
المفسرون : تكفل الله بحفظ هذا القرآن ، فلم يقدر أحد
على الزيادة فيه ولا النقصان ، ولا على التبديل
والتغيير ، كما جرى في غيره من الكتب ، فإن حفظها
موكود إلى أهلها ، لقوله تعالى : [بما استحفظوا من
كتاب الله] وانظر الفرق بين هذه الآية [وإنا له
لحافظون] حيث ضمن تعالى حفظه ، وبين الآية
السابقة ، حيث وَكَلَ تعالى حفظه ، اليهم فبدّلوا وغيروا
[ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الأولين] أي ولقد
أرسلنا من قبلك يا محمد (ص) رسلا في طوائف
وفرق الأمم الأولين
[وما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزءون] أي
وما جاءهم رسول إلا سخروا منه واستهزءوا به ،
وهذه تسلية للنبي (ص) ، والمعنى : كما فعل بك
هؤلاء المشركون ، فكذلك فعل بمن قبلك من الرسل ،
فلا تحزن على سخريتهم واستهزائهم بك

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[كذلك نسلكه في قلوب المجرمين] أي كذلك نسلك الباطل والضلال والاستهزاء بأنبياء الله في قلوب المجرمين ، كما سلكناه وأدخلناه في قلوب أولئك المستهزئين

[لا يؤمنون به وقد خلت سنة الأولين] أي لا يؤمنون بهذا القرآن ، وقد مضت سنة الله بإهلاك الكفار ، فما أقرب هؤلاء من الهلاك والدمار ؟ ثم بين تعالى أن كفار مكة لا ينقصهم توافر براهين الإيمان ، فهم معاندون مكابرون ، وفي ضلالهم وعنادهم سائرون ، فقال سبحانه :

[ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون] أي لو فرض أننا أصعدناهم إلى السماء ، وفتحنا لهم بابا من أبوابها ، فظلوا يصعدون فيه حتى شاهدوا الملائكة والملكوت

[لقالوا إنما سكرت أبصارنا] أي لقالوا - لفرطِ مكابرتهم وعنادهم - إنما سُدت أبصارنا وخُدعت بهذا الارتقاء والصعود

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[بل نحن قوم مسحورون] أي سحرنا محمد وخيل إلينا ذلك ، وما هو إلا سحر مبين ، قال الرازي : لو ظل المشركون يصعدون في تلك المعارج ، وينظرون إلى ملكوت الله تعالى وقدرته وسلطانه ، والى عبادة الملائكة الذين هم من خشيته مشفقون ، لشكهوا في تلك الروية ، وبقوا مصرين على الكفر والعناد كما جحدوا سائر المعجزات من انشقاق القمر ، والقرآن المعجز الذي لا يستطيع الجن والإنس أن يأتوا بمثله ، ثم ذكر تعالى البراهين الدالة على وحدانيته وقدرته فقال :

[ولقد جعلنا في السماء بروجا] أي جعلنا في السماء منازل تسير فيها الأفلاك والكواكب

[وزيناها للناظرين] أي زيناها بالنجوم ليُسرالناظر إليها

[وحفظناها من كل شيطان رجيم] أي حفظنا السماء الدنيا من كل شيطان لعين مطرود من رحمة الله

[إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين] أي إلا من اختلس شيئا من أخبار السماء ، فأدركه ولحقه شهاب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ثاقب فأحرقه

[والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي] أي بسطناها ووسعناها وجعلنا فيها جبالا ثوابت ((قال الفخر الرازي : ان الأرض كرة فى غاية العظمة ، والكرة العظيمة تكون كل قطعة صغيرة منها إذا نظر إليها كالسطح المستوي فلا إشكال فى بسطها مع أنها كرة والدليل قوله تعالى : {والجبال أوتادا} سماها أوتادا مع أنه قد يحصل عليها سطوح عظيمة مستوية فكذا هنا))

[وأنبتنا فيها من كل شيئ موزون] أي أنبتنا في الأرض من الزروع والثمار ، من كل شىء موزون بميزان الحكمة ، بدقة وإحكام وتقدير

[وجعلنا لكم فيها معايش] أي ما تعيشون به من المطاعم والمشارب

[ومن لستم له برازقين] أي وجعلنا لكم من العيال والمماليك والأنعام من لستم له برازقين ، لأننا نخلق طعامهم وشرابهم لا أنتم

[وإن من شيء إلا عندنا خزائنه] أي ما من شيء من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أرزاق الخلق والعباد ومنافعهم إلا عندنا خزائنه ومستودعاته

[وما ننزله إلا بقدر معلوم] أي ولكن لا ننزله إلا على حسب حاجة الخلق إليه ، وعلى حسب المصالح ، كما نشاء ونريد

[وأرسلنا الرياح لواقح] أي تلقّحً السحاب فيدر ماء ، وتلقح الشجر فيتفتح عن أوراقه وأكمامه ، فالريح كالفحل للسحاب والشجر

[فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه] أي فأنزلنا من السحاب ماءً عذبا ، جعلناه لسقياكم ولشرب أرضكم ومواشيكم

[وما أنتم له بخازنين] أي لستم بقادرين على خزنه ، بل نحن بقدرتنا نحفظه لكم قي العيون والآبار وآلأنهار ، ولو شئنا لجعلناه غائرا في الأرض فهلكتم عطشا كقوله : [قل أرأيتم أن أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين]

[وإنا لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثون] أي الحياة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والموت بيدنا ونحن الباقون بعد فناء الخلق ، نرث الأرض ومن عليها ، وإلينا يرجعون

[ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين] أي أحطنا علما بالخلق أجمعين ، الأموات منهم والأحياء ، قال ابن عباس : المستقدمون كل من هلك من لدن آدم عليه السلام ، والمستأخرون من هو حي ومن سيأتي إلى يوم القيامة ، وقال مجاهد :
المستقدمون : الأمم السابقة ، والمستأخرون أمة محمد (ص) ، والغرض أنه تعالى محيط علمه بمن تقدم وبمن تأخر ، لا يخفى عليه شيء من أحوال العباد ، وهو بيان لكمال علمه بعد الإحتجاج على كمال قدرته [وإن ربك هو يحشرهم] أي وإن ربك يا محمد هو يجمعهم للحساب والجزاء
[إنه حكيم عليم] أي حكيم في صنعه ، عليم بخلقه ، ولما ذكر تعالى الموت والفناء ، والبعث والجزاء ، نبههم إلى مبدأ أصلهم وتكوينهم من نفس واحدة ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ليشير إلى أن القادر على الإحياء قادر على الفناء والإعادة ، وذكرهم بعداوة إبليس لأبيهم آدم ليحذروه فقال تعالى :

[ولقد خلقنا الانسان من صلصال] أي خلقنا آدم من طين يابسٍ يسمع له صلَصلة أي صوت إذا نُقر

[من حمأ سنون] أي من طين أسود متغير

[والجان خلقناه من قبل من نار السموم] أي ومن قبل آَدم خلقنا الجان - أي الشياطين ورئيسهم إبليس - من نار السموم وهي النار الحارة الشديدة التي تنفذ في المسام فتقتل بِحرها ، قال المفسرون : عني بالجانً هنا " إبليس " أبا الجنً لأن منه تناسلت الجن فهو أصل لها ، كما أن آدم أصل للإنس

[وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون] أي اذكر يا محمد وقت قول ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين يابس أسود متغير ، قال ابن كثير : فيه تنويه بذكر آدم فى الملائكة قبل خلقه له ، وتشريفه إياه بأمر الملائكة بالسجود له ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وامتناع إبليس عدوه عن السجود له حسداً وكفرا

[فإذا سويته] أي سويت خلَقه وصورته ، وجعلته إنسانا كاملا معتدل الأعضاء

[ونفخت فيه من روحي] أي افضتُ عليه من الروح التي هي خلق من خلقي ، فصار بشرا حياَ

[فقعوا له ساجدين] أي خروا له ساجدين ، سجود (تحية وتكريم) لا سجود عبادة ، قال المفسرون : وإنما أضاف الروح إليه تعالى ، على سبيل التشريف والتكريم ، كقوله (بيت الله) و(ناقة الله) و(شهر الله) وهي من إضافة الملك إلى المالك ، والصنعة إلى الصانع

[فسجد الملائكة كلهم أجمعون] أي سجد لآدم جميع الملائكة ، لم يمتنع منهم أحد

[إلا إبليس أبى أن يكون من الساجدين] الاستثناء منقطع ، لأن إبليس خلق آخر من الجن ، وهو هو غير الملائكة ، فهو من نار وهم من نور ، وهم لا يعصون الله ما أمرهم وهو أبى وعص ، فليس هو من الملائكة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بيقين ، ولكنه كان بين صفوفهم ، فتوجه إليه الخطاب ، والمعنى : سجد جميع الملائكة ، لكنْ إبليس امتنع من السجود بعد أن صدر له الأمر الإلهي

[قال يا إبلبس ما لك ألا تكون مع الساجدين] أي ما المانع لك من السجود ؟ وأي داعٍ دعا بك إلى الاباء والامتناع ؟ وهو استفهام تبكيت ونوبيخ

[قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون] أي قال إبليس : لا ينبغي ولا يليق لمثلي أن يسجد لآدم ؟ وهو مخلوق من طين يابس متغير ، فهو من طين ، وأنا من نار ، فكيف يسجد العظيم للحقير ؟ والفاضل للمفضول ؟ رأى عدوَ الله نفسه ، أكبر من أن يسجد لآدم ومنعه كبره وحسده عن امتثال أمر الله

[قال فاخرج منها فإنك رجيم] أي اخرج من السموات ، فانك مطرود من رحمتي

[وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين] أي وإن عليك لعنتى ، إلى يوم الجزاء والعقوبة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[قال رب فأنظرني إلى يوم يبعثون] أي قال اللعين : أمهلني وأخرني إلى يوم البعث ! !

[قال فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم] أي قال له الله : إنك من المؤجلين ، إلى حين موتِ الخلائق ، قال القرطبي : أراد بسؤاله الإنظار - إلى يوم يبعثون - ألا يموت ، لأن البعث لا موتَ بعده ، فأجابه المولى بالإنظار ، إلى يوم الوقت المعلوم ، وهو يوم موت الخلائق ، فيموت إبليس ثم يُبعث

[قال رب بما أغويتني] أي بسبب إغوائك وإضلالك لي

[لأزينن لهم في الأرض] أي لأزينن لذرية آدم المعاصي والآثام

[ولأغوينهم أجمعين] أي ولأضلنهم عن طريق الهدى أجمعين

[إلا عبادك منهم المخلصين] أي إلا من استخلصته من عبادك لطاعتك ومرضاتك ، فلا قدرة لي على

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إغوائه

[قال هذا صراط علي مستقيم] أي قال تعالى : هذا طريق مستقيم واضح ، وسنة ازلية لا تتخلف ، وهي :

[إن عبادي ليس لك عليهم سلطان] أي إن عبادي المؤمنين ، لا قوة لك على إضلالهم

[إلا من اتبعك من الغاوين] استثناء منقطع لأن الغاوين ليسوا من عباد الله المخلَصِين ، والمعنى : لكن من غوى وضل من الكافرين ، فلك عليهم تسلط ، لأن الشيطان إنما يتسلط على الشاردين عن الله ، كما يتسلط الذئب على الشارد من القطيع

[وإن جهنم لموعدهم أجمعين] أي موعد إبليس وأتباعه جميعا نار الجحيم

[لها سبعة أبواب] أي لجهنم سبعة أبواب يدخلون منها لكثرتهم ، وروي عن علي أنها أطباق ، طبق فوق طبق ، وأنها دركات بعضها أشد من بعض

[لكل باب منهم جزء مقسوم] أي لكل جماعة من أتباع (إبليس) باب معينْ معلوم ، قال ابن كثير : كل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يدخل من بابٍ بحسب عمله ، ويستقر في دَرَك بقدر عملة .

البلاغة :

تضمنت الآيات الكريمة من وجوه البيان والبديع ما يلي :

1 - المجاز المرسل في [وما أهلكنا من قرية] المراد أهلها وهو من باب إطلاق المحل ، وإرادة الحال .

2 - الاستعارة التخيلية في قوله [عندنا خزائنه] فهو تمثيل لكمال قدرته ، شبه قدرته على كل شيء ، بالخزائن المودوعة فيها الأشياء ، لاخراج كل شيء بحسب ما اقتضته حكمته ، على طريق الاستعارة البديعة !

3 – الطباق بين [نحيي . . ونميت] وبين [المستقدمين . . والمستأخرين] .

4 - جناس الاشتقاق في [خزائنه . . وخازنين] .

5 - السجع الذي له وقع على السمع مثل [المجرمين ، الأولين ، المنظرين] إلخ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لطيفة :

ذُكر أن رجلا أراد أن يمتحن الأديان أيها أصح وأحسن ؟ فعمد إلى التوراة والإنجبل والقرآن - وكان خطاطا - فنسخ من كل كتاب نسخة ، بخط بديع جميل ، وزاد فيها ونقص ، ثم عرض التوراة على (علماء اليهود) فقبلوها وتصفحوها وأكرموه بالمال ، ثم عرض الإنجيل الذي نسخه بيده على القسس فاشتروه بثمن كبير وأكرموه ، ثم عرض نسخة القرآن على شيوخ المسلمين فنظروا فيه ، فلما رآوا فيه بعض الزيادة والنقص ، امسكوا به فضربوه ثم رفعوا أمره إلى السلطان فحكم بقتله ، فلما أراد قتله أشهر إسلامه ، وأخبرهم بقصته ، وأنه امتحن الأديان فعرف أن الإسلام دين حق .

قال الله تعالى : [إن المتقين في جنات وعيون . .] إلى قوله [واعبد ربك حتى يأتيك اليقين] . من آية (45) الى نهاية آية (99) .

المناسبة :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لما ذكر تعالى حال الأشقياء من أهل الجحيم ، أعقبهم بذكر حال السعداء من أهل النعيم ، ثم ذكر قصص بعض الرسل مع أقوامهم (لوط ، وشعيب ، وصالح) تسلية لرسول الله(ص) ليتأسى بهم في الصبر ، ثم ذكر الأدلة والبراهين على وحدانية رب العالمين ، وختم السورة الكريمة ، ببشارته عليه السلام بإهلاك أعدائه المستهزئين ، وقد حقق تعالى وعده له !

اللغة :

[نصب] تعب واعياء

[وجلون] خائفون فزعون

[الغابرين] الباقين في العذاب

[القانطين] القنوط : كمالُ اليأس

[تفضحون] الفضيحةُ : أن يُظهر من أمره ما يلزمه به العارُ ، يقال : فضحه الصبح إذا اظهره للناس ، قال الشاعر : ولاح ضوءُ هلال كاد يفضحنا مثلُ القلامةِ قد قضت من الظْفُر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[لعمرك] قسم بحياة محمد (ص) أي وحياتك

[سكرتهم] السكرة : الغواية والضلالة

[يعمهون] يترددون تحيرا أو يعمون عن الرشد ، والعَمه للقلب مثل العمى للبصر

[المتوسمين] التوسم من الوَسم وهي العلامة التي يستدل بها على المطلوب ، يقال : توسم فيه الخير إذا رأى فيه أثرا منه ، قال ابن رواحة في رسول الله (ص) : إني توسمتُ فيك الخيرَ اعرفه والله يعلم أني ثابتُ البصر وأصله التثبت والتفكر مثل التفرس ، وفي الحديث : " اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله "

[الأيكة] الشجرة الملتفة وجمعها أيك

[الحجر] اسم واد كانت تسكنه ثمود

[عضين] أجزاء متفرقة ، من التعضية وهي التجزئة والتفريق

[اليقين] الموت لأنه أمر متيقن .

سبب النزول :

روي أن النبي (ص) خرج على الصحابة وهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يضحكون فقال : أتضحكون وبين أيديكم الجنةُ والنار ؟ فشق ذلك عليهم فنزلت [نبىء عبادي أني أنا الغفور الرحيم . وأن عذابى هو العذاب الأليم] .

التفسير :

[إن المتقين في جنات وعيون] أي إن الذين اتقوا الفواحش والشرك ، لهم في الآخرة البساتين الناضرة ، والعيون المتفجرة بالماء السلسبيل ، والخمر ، والعسل

[ادخلوها بسلام آمنين] أي يقال لهم : ادخلوا الجنة سالمين من كل الآفات ، اَمنين من الموت ، ومن زوال هذا النعيم

[ونزعنا ما في صدورهم من غل] أي أزلنا ما في قلوب أهل الجنة ، من الحقد ، والبغضاء والشحناء

[اخوانا على سُرر متقابلين] أي حال كونهم إخوة متحابين لا يكدر صفوهم شيئ ، على سرر متقابلين وجها لوجه ، قال مجاهد : لا ينظر بعضُهم إلى قفا بعض ، زيادة في الإنس والإكرام ، وقال ابن عباس : على سرر من ذهب ، مكللة بالدر والياقوت والزبرجد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[لا يمسهم فيها نصب] أي لا يصيبهم في الجنة إعياء وتعب

[وما هم منها بمخرجين] أي لا يُخْرجون منها ولا يُطردون ، نعيمهم خالد ، وبقاؤهم دائم ، لأنها دار الصفاء والسرور

[نبىء عبادي أني أنا الغفور الرحيم] أى أخبر يا محمد عبادي المؤمنين ، بأني واسع المغفرة عظيمُ الرحمة لمن تاب وأناب

[وأن عذابى هو العذاب الأليم] أي وأخبرهم أن عذابي شديد ، لمن أصرعلى المعاصي والذنوب ، قال أبو حيان : وجاء قوله [وأن عذابى] في غاية اللطف ، إذ لم يقل على وجه المقابلة (وأني المعذب المؤلم) وكل ذلك ترجيح لجهة العفو والرحمة

[ونبئهم عن ضيف إبراهيم] أي وأخبرهم عن قصة (ضيوف إبراهيم) وهم الملائكة الذين أرسلهم آلله لإهلاك قوم لوط ، وكانوا عشرة على صورة غلمان حسان ، معهم جبريل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما] أي حين دخلوا على إبراهيم فسلموا عليه

[قال إنا منكم وجلون] أي قال ى إبراهيم : إنا خائفون منكم ، وذلك حين عرض عليهم الأكل فلم يأكلوا

[قالوا لا توجل إنا نبشرك بغلام عليم] أي قالت الملائكة : لا تخف فإنا نبشرك بغلام واسع العلم ، عظيم الذكاء ، هو إسحاق

[قال أبشرتموني على أن مسنى الكبر فبم تبشرون] أي قال إبراهيم للملائكة : أبشرتموني بالولد على حالة الكبر والهرم ، فبأي شيء تبشرونني ؟ قال ذلك على وجه التعجب والاستبعاد

[قالوا بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين] أي بشرناك باليقين الثابت ، فلا تستبعده ولا تيأس من رحمة الله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[قال ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون] استفهام إنكاري ، أي لا يقنط من رحمة الله ، إلا المخطئون طريق المعرفة والصواب ، الجاهلون برب العالمين ، أما القلب العامر بالأيمان ، المتصل بالرحمن ، فلا ييأس ولا يقنط ! ! قال البيضاوى : وكان تعجب إبراهيم عليه السلام ، باعتبار العادة دون القدرة ، فإن الله تعالى قادرَ على أن يخلق بشرا من غير أبوين ، فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر ؟ ولذلك أجابهم بذلك الجواب

[قال فما خطبكم أيها المرسلون] أي قال إبراهيم : ما شأنكم وما أمركم الذي جئتم من أجله ؟ أيها الملائكة الكرام ؟

[قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين] أي أرسلنا ربنا إلى قوم مشركين ضالين لإهلاكهم ، يعنون قوم لوط

[إلا آل لوط إنا لمنجوهم أجمعين] أي إلا أتباعَ لوط وأهلَه المؤمنين ، فسننجيهم من ذلك العذاب أجمعين

[إلا امرأته قدرنا إنها لمن الغابرين] أي إلا امرأة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لوط ، فقد قدر الله بقاءها في العذاب مع الكفرة الهالكين ، قال القرطبي : استثنى من آل لوط امرأته ، وكانت كافرة ، فالتحقت بالمجرمين في الهلاك

[فلما جاء آل لوط المرسلون] أي فلما أتى رسل الله لوطا عليه السلام

[قال إنكم قوم منكرون] أي قال لهم : إنكم قوم غرباء ، لا أعرفكم ، فماذا تريدون ؟

[قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون] أي قالوا له : بل نحن رسل الله ، جئناك بما كان فيه قومك يشكْون فيه ، وهو نزول العذاب الذي وعدتَهم به

[وأتيناك بالحق وإنا لصادقون] أي أتيناك بالحق اليقينى من عذابهم ، وإنا لصادقون فيما نقول

[فأسر بأهلك بقطع من الليل] أي سر بأهلك في طائفتن من الليل

[واتبع أدبارهم] أي كن من ورائهم ، وسر خلفهم لتطمئن عليهم

[ولا يلتفت منكم أحد] أي لا يلتفت أحد منكم وراءه ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لئلا يرى عظيم ما ينزل بهم فيرتاع
[وامضوا حيث تؤمرون] أي سيروا حيث يأمركم آلله عز وجل ، قال ابن عباس : يعني الشام
[وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع] أي أوحينا إلى (لوط) ذلك الأمر العظيم ، أن أولئك المجرمين سيًستأصلون عن آخرهم ، حتى لا يبقى منهم أحد
[مصبحين] أي إذا دخل الصباح تم هلاكهم واستئصالهم
[وجاء أهل المدينة يستبشرون] أي جاء أهل مدينة سدوم - وهم قوم لوط - مسرعين ، يستبشرون بأضيافه ، طمعا في ارتكاب الفاحشة بهم ، ظنا منهم أنهم بشر أمثالهم ، قال المفسرون : أُخبر أولنك السفهاء أن في بيت لوط شبانا مردا حسانا ، فأسرعوا فرحين ، يبشر بعضهم بعضا بأضياف لوط ((يقول سيد قطب عليه الرحمة والرضوان : " تسامع القوم بأن في بيت لوط شبانا صباح الوجوه ، ففرحوا بأن هناك

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

صيدا {وجاء أهل المدينة يستبشرون } والتعبير على هذا النحو يكشف عن مدى الشناعة والبشاعة ، التي وصل اليها القوم في الدنس والفجور ، يكشف عن هذا المدى في مشهد أهل المدينة يجيئون جماعة مستبشرين بالعثور على شبان يعتدون عليهم ، جهرة وعلانية ، هذه العلانية التي يترفع عنها الحيوان ، بينما أولئك القوم المجرمون يجاهرون بها ويتلمظون عليها ، وهي حالة من الارتكاس معدومة النظير ، فأما لوط فوقف مكروبا يحاول أن يدافع عن ضيوفه وعن شرفه ، وقف يستثير النخوة الآدمية فيهم ، ويستجيش وجدان التقوى لله ، وهو يعلم ان هذه النفوس المرتكسة المطموسة ، لم يعد فيها نخوة ولا شعور إنساني ، ولكنه في كربه وشدته يحاول ما يستطيع "))

[قال إن هؤلاء ضيفي فلا تفضحون] أي هؤلاء ضيوفي فلا تقصدوهم بسوء ، فتُلحقوا بي العار وتفضحوني أمامهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[واتقوا آلله ولا تخزون] أي خافوا آلله ان يحل بكم عقابه ، ولا تهينوني بالتعرض لهم بالمكروه

[قالوا أولم ننهك عن العالمين] أي قالوا : ألم نمنعك عن ضيافة أحد ؟ قال الرازي : المعنى ألسنا قد نهيناك أن تكلمنا في أحد من الناس ، إذا قصدناه بالفاحشة

[قال هؤلاء بناتي إن كنتم فاعلين] أي هؤلاء النساء فتزوجوهنً ، ولا تركنوا إلى الحرام إن كنتم تريدون قضاء الشهوة ، قال المفسرون : المراد بقوله :

[بناتى] بناتُ أمته ، لأن كل نبى يعتبر أبا لقومه

[لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون] أي وحياتك يا محمد (ص) إن قوم (لوط) لفي ضلالهم وجهلهم ، يتخبطون ويترددون ، وهذه جملة اعتراضية جاءت ضمن قصة لوط ، قَسَما بحياة الرسول (ص) تكريما له وتشريفا ، قال ابن عباس : (ما خلق الله وما ذرأ وما برأ نفسا أكرمَ على الله من محمد (ص) وما سمعتُ الله أقسم بحياة أحد من الخلق غيره

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فأخذتهم الصيحة مشرقين] أي أخذتهم صيحةُ العذاب المهلكة المدمرة ، وقت شروق الشمس

[فجعلنا عاليها سافلها] أي قلبناها بهم فجعلنا أعالي المنازل أسافلها ، قال المفسرون : حمل جبريل عليه السلام ثراهم واقتلعها من جذورها ، حتى رأوا الأفلاك وسمعوا تسبيح الأملاك ، لم قلبها بهم

[وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل] أي أنزلنا عليهم حجارة كالمطر ، من طين متحجر طبخ بنار جهنم

[إن في ذلك لآيات للمتوسمين] أي فيما حل بهم من الدمار والعذاب ، لدلالات وعلامات للمعتبرين ، المتأملين بعين البصر والبصيرة

[وإنها لبسبيل مقيم] أي وإن هذه القرى المهلكة ، وما ظهر فيها من آثار قهر الله وغضبه ، لبطريق ثابتٍ لم يندرس ، يراها المجتازون في أسفارهم أفلا يعتبرون

[إن في ذلك لآية للمؤمنين] أي لعبرة للمصدقين

[وإن كان أصحاب الأيكة لظالمين] أي وإن الحال والشأن كان قوم شعيب (وهم أصحاب الأيكة أي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الشجر الكثير الملتف) لظالمين بتكذيبهم شعيبا ، وقطعهم الطريق ، ونقصهم المكيال والميزان

[فانتقمنا منهم] أي أهلكناهم بالرجفة ، وعذاب يوم الظلة ، قال المفسرون : اشتد الحر عليهم سبعة أيام ، حتى قربوا من الهلاك ، فبعث آلله عليهم سحابة كالظلة ، فالتجئوا إليها ، واجتمعوا تحتها للتظلل بها ، فبعث الله عليهم منها نارا فأحرقتهم جميعا

[وإنهما لبإمام مبين] أي وإن قرى قوم (لوط) و(شعيب) بطريق واضح ، أفلا تعتبرون بهم يا أهل مكة ؟

[ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين] هذه هي القصة الرابعة ، وهي قصة (صالح) عليه السلام أي كذبت ثمود نبيهم صالحا - والحجر واد بين المدينة والشام وآثاره باقية يمر عليها المسافرون قال البيضاوي : ومن كذب واحدا من الرسل ، فكأنما كذب الجميع ، ولذا قال : [المرسلين]

[وأتيناهم آياتن فكانوا عنها معرضين] أى وأريناهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

معجزاتنا الدالة على قدرتنا ، مثل الناقة وما فيها من العجائب ، فكانوا لا يعتبرون بها ولا يتعظون ، قال ابن عباس : كان في الناقة الآيات : خروجُها من آلصخرة ، ودنو ولادتها عند خروجها ، وعظم خَلقها فلم تشبهها ناقة ، وكثرة لبنها حتى كان يكفيهم جميعا ، فلم يتفكروا فيها ولم يستدلوا بها

[وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين] أي كانوا ينقبون الجبال فيبنون فيها بيوتا اَمنين ، يحسبون أنها تحميهم من عذاب الله

[فأخذتهم الصيحة مصبحين] أي أخذتهم صيحة الهلاك حين أصبحوا

[فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون] أي ما دفع عنهم عذابَ آلله ، ما كانوا يشيدونه من القلاع والحصون

[وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق] أي وما خلقنا الخلائق كلها ، سماءها وأرضها ، وما بينهما ، إلا خلقا ملتبسا بالحق ، فلذلك اقتضت الحكمة إهلاك أمثال هؤلاء المكذبين ، لئلا يعم الفساد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وإن الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل] أي وإن القيامة لآتية لا محالة ، فيُجازى المحسنُ بإحسانه ، والمسيء باساءته ، فأعرض يا محمد عن هؤلاء السفهاء ، وعاملهم معاملة الحليم

[إن ربك هو الخلاق العليم] أي الخالق لكل شيء ، العليمُ بأحوال العباد

[ولقد آتيناك سبعا من المثاني] أي ولقد أعطيناك يا أيها الرسول سبع آيات ، هي الفاتحة لأنها تثنى أي تكرر قراءتها في الصلاة ، وفي الحديث : (الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيمُ الذي أوتيته) وقيل : هي السور السبع الطوال ، والأول أرجح

[والقرآن العظيم] أي وآتيناك القرآن العظيم الجامع لكمالات الكتب السماوية

[لاتمدن عينيك إلى ما متعنا به ازواجا منهم] أي لا تنظر إلى ما متعنا به بعض هؤلاء الكفار ، فإن الذي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أعطيناك أعظم منها وأشرف وأكرم ، وكفى بإنزآل القرآن عليك نعمة

[ولا تحزن عليهم] أي لا تحزن لعدم إيمانهم

[واخفض جناحك للمؤمنين] أي تواضع لمن آمن بك من المؤمنين وضعفائهم

[وقل إني أنا النذير المبين] أي قل لهم يا محمد : أنا المنذر لكم من عذاب الله ، الواضح البين في الإنذار ، لمن عصى أمر الجبار

[كما أنزلنا على المقتسمين] الكاف للتشبيه ، والمعنى : أنزلنا عليه القرآن ، كما أنزلنا على أهل الكتاب وهم (اليهود والنصارى) الذين آمنوا ببعض كتابهم وكفروا ببعضه ، فإنقسموا إلى قسمين

[الذين جعلوا القرآن عضين] أي جعلوا القرآن أجزاء متفرقة وقالوا فيه أقوالا مختلفة ، قال ابن عباس : آمنوا ببعض وكفروا ببعض ، وهذه تسلية لرسول الله (ص) عن صنيع قومه بالقرآن ، وتكذيبهم له ، بقولهم : سحر ، وشعر ، وأساطير ، بأن غيرهم من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الكفرة ، فعلوا بغيره من الكتب ، مثل فعل كفار مكة

[فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون] أي فأقسم بربك يا محمد لنسألن الخلائن أجمعين ، عما كانوا يعملونه فى الدنيا

[فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين] أي فاجهر بتبليغ أمر ربك ولا تلتفت إلى ما يقول المشركون

[إنا كفيناك المستهزئين] أي كفيناك شر أعدائك المستهزئين بإهلاكنا إياهم ، وكانوا خمسة من صناديد قريش

[الذين يجعلون مع الله إلها آخر] أى الذين أشركوا مع الله غيره ، من الأوثان والأصنام

[فسوف يعلمون] وعيد وتهديد ، أي سوف يعلمون عاقبة أمرهم في الدارين

[ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون] أى يضيق صدرك بالاستهزاء والتكذيب

[فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين] أي فافزع فيما

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

نالك من مكروه إلى التسبيح والصلاة والإكثار من ذكر الله

[واعبد ربك حتى يأتيك اليقين] أي أعبد ربك يا محمد حتى يأتيك الموت سمى يقينا لأنه متيقن الوقوع والنزول .

البلاغة :

تضمنت الآيات الكريمة من وجوه البيان والبديع ما يلى :

1 - الإيجاز بالحذف في [ادخلوها بسلام] أي يقال لهم ادخلوها.

2 - المقابلة اللطيفة في [نبيء عبادى أنى أنا الغفور الرحيم] مع الآية بعدها [وأن عذابى] فقد قابل ببن العذاب والمغفرة ، وبين الرحمة الواسعة ، والعذاب الأليم ، وهذا من المحسنات البديعية.

3 – الكناية فى (أن دابر هؤلاء مقطوع) كني به عن عذاب الاستئصال.

4 - المجاز في [قدرنا إنها لمن الغابرين] أسند

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الملائكة فعل التقير إلى أنفسهم (مجازا) ، والتقدير لله وحده ، وذلك لما هم من القرب والإختصاص لأنهم رسل الله أرسلوه بأمره تعالى.

5 - الجناس الناقص فى [الصيحة مصبحين] وجناس الاشتقاق (فاصفح الصفح الجميل)

6 - صيغة المبالغة فى (الغفور الرحيم) وف (الخلاق العليم) .

7 – الطباق فى (عليها سافلها) 8 – السجع بلا تكلف فى مواطن عديدة مثل (آمنين ، مصبحين ، معرضين) .

9 - عطف العام على الخاص في [سبعا من المثانى والقرآن العظيم] .

---

10 - الاستعاره التبعية فى [واخفض جناحك للمؤمنين] حيث شبه إلانة الجانب بخفض الجناح ، بجامع العطف والرقة فى كل ، واستعير اسم المشبه يه للمشبه ، هذا من بليغ الاستعارات لأن الطائر إذا كف

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عن الطيران خفض جناحيه .

تنبيه :

الجمع بين هذه الآية [فوربك لنسألهم أجمعين] وبين قوله (ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون) وقوله : [فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان] أن القيامة مواطن ، فموطن يكون فيه سؤال وكلام ، وموطن لا يكون ذلك فيه ، هذا قول عكرمة ، وقال أبن عباس : لا يسألهم سؤال استخبار واستعلام ، هل عملتم كذا وكذا ؟ لأن الله عالم بكل شيء ، ولكن يسألهم سؤال تقريع وتوبيخ ، فيقول لهم : لم عصيتم الرسول ، وكفرتم بالقرآن ؟ وما حجتكم فيه ؟

سورة النحل

مكية وأياتها ثمان وعشرون ومائة آية

بين يدي السورة

سورة النحل من السور المكية التي تعالج موضوعات العقيدة الكبرى (الألوهية ، والوحي ، والبعث والنشور)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وإلى جانب ذلك تتحدث عن دلائل القدرة والوحدانية ، في ذلك العالم الفسيح ، في السموات والأرض ، والبحار والجبال ، والسهولِ والوديان ، والماء الهاطل ، والنبات النامي ، والفلك التي تجري في البحر ، والنجوم التي يهتدي بها السالكون في ظلمات الليل ، إلى آخر تلك المشاهد التي يراها الإنسان في حياته ، ويدركها بسمعه وبصره ، وهي صور حية مشاهدة ، دالة على وحدانية الله جل وعلا ، وناطقة بأثار قدرته التي أبدع بها جل جلاله الكائنات .

* تناولت السورة الكريمة في البدء أمر الوحي " الذي كان مجال إنكار المشركين واستهزائهم ، فقد كذبوا بالوحي واستبعدوا قيام الساعة ، واستعجلوا الرسول (ص) أن يأتيهم بالعذاب الذي خوفهم به ، وكلما تأخر العذاب زادوا استعجالا وسخرية ، وزادوا استهزاء واستهتاراً .

* ولقد هدفت السورة الكريمة إلى تقرير مبدأ (وحدانية الله) جل وعلا بلفت الأنظار إلى قدرة الله الواحد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

القهار ، فخاطبت كل حاسةٍ في الإنسان ، وكل جارحةٍ في كيانه البشري ، ليتجه بعقله إلى ربه ، ويستتير بما يرى من آثار صنع الله على عظمة الله سبحانه وتعالى.

* ثم تتابعت السورة الكريمةُ تذكر الناس بنتيجة الكفر بنعم الله ، وعدم القيام بشكرها ، وتحذرهم تلك العاقبة الوخيمة التي يئول إليها مصيرُ كل معاند وجاحد .

* وختمت السورة الكريمة بأمر الرسول (ص) بالدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، والصبر والعفو عما يلقاه من الأذى في سبيل تبليغ دعوة الله ، فله عند الله الجزاء الأوفى. التسميه : سميت هذه السورة الكريمة بسورة النحل " لاشتمالها على تلك العبرة التي تشير إلى عجيب صنع الخالق ، وتدل على الألوهية بهذا الصنع العجيب

اللغه :

[نطفة] النطفة الماء المهين الذي يتكون منه الإنسان ، مِن نطَف إذا قطر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[دفء] الدفء : ما يستدفىء به الإنسان من البرد

[تريحون] الرواح : رجوع المواشى بالعشي من المرعى

[تسرحون] السراح : الخروج بها صباحا إلى المرعى

[أثقالكم] الأثقال : الأمتعة جمع ثقل سميت أثقالا لأنها ثقيلة الحمل

[جائر] مائل عن الحق

[تسيمون] أسام الماشية تركها ترعى ، وسامت هي إذا رعت حيث شاءت فهي سائمة

[ذرأ] خلق وأبدع

[مواخر] أصل المخر شق الماء عن يمين وشمال ، يقال : مخرت السفينةُ إذا جرت تشق الماء مع صوت

[تميد] تضطرب .

سبب النزول :

قال ابن عباس : لما نزل قوله تعالى [اقتربت الساعة] قال الكفار بعضهم لبعض : إن محمدا يزعم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أن القيامة قد اقتربت ، فأَمسِكوا عن بعض ما كنتم تعملون حتى ننظر ، فلما امتدت الأيام قالوا يا محمد : ما نرى شيئا مما تُخَوفنا به ؟! فأنزل الله تعالى [أتى أمرُ الله فلا تستعجلوه . .] الآية . تفسيرسورة النحل

التفسير :

[أتى أمرالله فلا تستعجلوه] أى قرب قيام الساعة ، فلا تستعجلوا العذاب الذي أوعدكم به محمد ، وإنما أتى بصيغة الماض لتحقق وقوع الأمر وقربه ، قال الرازي : لما كان واجب الوقوع لا محالة ، عبر عنه بالماضى كما يقال للمستغيث : جاءك الغوث فلا تجزع

[سبحانه وتعالى عما يشركون] أى تنزه الله عن يصفه به الظالمون ، وتقدس عن إشراكهم به غيره من الأنداد والأوثان

[ينزل الملائكة بالروح من أمره] أى ينزل الملائكة بالوحي والنبوة بإرادته وأمره

[على من يشاء من عباده] أى على الأنبياء

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والمرسلين ، وسمى الوحى (روحاَ) لأنه تحيا به القلوب كما تحيا بالأرواح الأبدان

[أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون] أى بأن انذروا أهل الكفر أنه لا معبود بحق إلا الله ، فخافوا عذابي وانتقامى !! ثم ذكر تعالى البراهين الدالة على وحدانيته وقدرته فقال سبحانه :

[خلق السموات والأرض بالحق] أى خلقهما بالحق الثابت ، والحكمة الفائقة ، لا عبثاَ ولا جزافا

[تعالى عما يشركون] أى تمجد وتقدس عن الشريك والنظير

[خلق الإنسان من نطفة] أى خلق هذا الجنس البشرى من نطفة مهينة ضعيفة هى المنى

[فإذا هو خصيم مبين] أى فإذا به بعد تكامله بشرا مخاصم لخالقه ، واضح الخصومة ، يكابر ويعاند ، وقد خلق ليكون عبدا لا ضدا ، قال ابن الجوزى : لقدد خلق من نطفة وهو مع ذلك يخاصم وينكر البعث ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أفلا يستدل بأوله على آخره ، وبأن من قدر على إيجاده أولا قادر على إعادته ثانيا ؟

[والأنعام خلقها] أى وخلق الأنعام لمصالحكم وهي الإبل والمعز والغنم

[لكم فيها دفء] أى لكم فيها ما تستدفئون به من البرد ، مما تلبسون وتفترشون ، من الأصواف والأوبار

[ومنافع ومنها تأكلون] أى ولكم فيها منافع عديدة من النسل ، والدر ، وركوب الظهر ، ومن لحومها تأكلون ، وهو من أعظم المنافع لكم

[ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون] أى ولكم في هذه الأنعام والمواشى زينة وجمال ، حين رجوعها عشيا من المرعى ، وحين غدوها صباحا لترعى ، جمال الاستمتاع بمنظرها صحيحة سمينة فارهة

[وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس] أى وتحمل أحمالكم الثقيلة وأمتعتكم التى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تعجزون عن حملها إلى بلد بعيد لم تكونوا لتصلوا إليه إلا بجهد ومشقة

[إن ربكم لرءوف رحيم] أى إن ربكم أيها الناس الذي سخر لكم هذه الأنعام ، لعظيمُ الرأفة والرحمة بكم

[والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة] أى وخلق الخيل والبغال والحمير للحمل والركوب ، وهي كذلك زينة وجمال

[ويخلق ما لا تعلمون] أى وبخلق في المستقبل ما لا تعلمونه الآن كوسائل النقل الحديث : القاطرات ، والسيارات ، والطائرات النفاثة وغيرها مما يجد به الزمان وهو من تعليم الله للإنسان ((قال في الظلال : " لقد جدت وسائل للحمل والركوب لم يكن يعلمها أهل الزمان ، والقرآن يهيء لها القلوب والأذهان ، بلا جحود ولا تحجر {ويخلق ما لا تعلمون } حتى لا يقول الناس : انما استخدم آباؤنا الخيل والبغال والحمير فلا نستخدم سواها ، ولهذا هيأ القرآن الأذهان والقلوب ، لاستقبال ما يتمخض عنه العلم ويتمخض عنه المستقبل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

"))

[وعلى الله قصد السبيل] أى وعلى الله جل وعلا بيانُ الطريق المستقيم ، الموصلِ لمن يسلكه إلى جنات النعيم

[ومنها جائر] أى ومن هذه السبيل طريق مائل عن الحق منحرف عنه ، لا يوصل سالكه إلى الله وهو طريق الضلال ، كاليهودية ، والنصرانية ، والمجوسية

[ولو شاء لهداكم أجمعين] أى لو شاء أن يهديكم إلى الإيمان لهداكم جميعا ، ولكنً حكمته تعالى اقتضت ، ان يدع للإنسان حرية الاختيار [فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر] عليه الثواب والعقاب . . ولما ذكر تعالى ما أنعم به عليهم من الأنعام ، شرع في ذكر سائر النعم العظام ، وآياته المنبثة في الكائنات ، فقال سبحانه :

[هو الذى أنزل من السماء ماء] أى أنزل المطر بقدرته الباهرة من السحاب

[لكم منه شراب] أى أنزله عذبا فراتا لتشربوه فتسكن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

حرارة العطش
[ومنه شجر فيه تسيمون] أى وأخرج لكم منه شجرا ، ترعَون فيه أنعامكم
[ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب] أى يخرجها من الأرض بهذا الماء الواحد ، على اختلاف صنوفها وطعومها وألوانها
[ومن كل الثمرات] أى ومن كل الفواكه والثمار ، يخرج لكم أطأىب الطعام

[ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون] أى إن في إنزال الماء لإخراج الثمار ، لدلالة واضحة على قدرة الله ووحدانيته ، لقوم يتدبرون في صنعه فيؤمنون ، قال أبو حيان : ختم ا لآية بقوله : [يتفكرون] لأن النظر في ذلك يحتاج إلى فضل تأمل ، واستعمال فكر ، ألا ترى أن الحبة الواحدة إذا وُضعت في الأرض ، ومر عليها زمن معين ، لَحِقها من نداوة الأرض ما تنتفخ به ، فيُشق أعلاها فتصعد منه شجرة إلى الهواء ، وأسفلها

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يغوص منه في عمق الأرض شجرة أخرى وهي العروق ، ثم ينمو الأعلى ويقوى ، وتخرج الأوراق والأزهار ، وأكمام والثمار ، المشتملة على أجسامٍ مختلفة الطبائع ، والألوان والأشكال والمنافع ، وذلك بتقدير قادرٍ مختار وهو الله تعالى

[وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر] أى ذلل الليل والنهار يتعاقبان ، لمنامكم ومعاشكم ، والشمس والقمر يدوران لمصالحكم ومنافعكم

[والنجوم مسخرات بأمره] أى والنجوم تجرى في فلكها بأمره تعالى ، لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر

[إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون] أى إن في ذلك الخلق والتسخير لدلائل باهرة عظيمة ، لأصحاب العقول السليمة

[وما ذرأ لكم في الأرض مختلفا ألوانه] أى وما خلق لكم في الأرض من الأمور العجيبة ، من الحيوانات والنباتات ، والمعادن والجمادات ، على اختلاف ألوانها وأشكالها ، وخواصها ومنافعها

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ان في ذلك لآية لقوم يذكرون] أى لعبرة لقوم يتعظون

[وهو الذى سخر البحر] أى وهو تعالى بقدرته ورحمته ، ذلل لكم البحر المتلاطم الأمواج ، ً للركوب فيه والغوص في أعماقه

[لتأكلوا منه لحما طريا] أى لتأكلوا من البحر السمك الطري الذي تصطادونه

[وتستخرجوا منه حلية تلبسونها] أى ؟ تستخرجوا منه الجواهر النفيسة ، كاللؤلؤ والمرجان

[وترى الفلك مواخر فيه] أى وترى السفن العظيمة تشق عُباب البحر ، جارية فيه ، وهي تحمل الأمتعة والأقوات

[ولتبتغوا من فضله] أى سخر لكم البحر لتنتفعوا بما ذُكر ، ولتطلبوا من فضل الله ورزقه سبل معاشكم بالتجارة

[ولعلكم تشكرون] أى ولتشكروا ربكم على عظيم إنعامه وجليل إفضاله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم] أى نصب فيها جبالا ثوابت راسيات ، لئلا تضطرب بكم وتميل ، قال أبو السعود : إن الأرض كانت كرةً خفيفة قبل أن تُخلق فيها الجبال ، وكان من حقها ان تتحرك كالأفلاك بأدنى سبب ، فلما خُلقت الجبال توجهت بثقلها نحو المركز فصارت كالأوتاد لها

[وأنهاراَ وسبلا لعلكم تهتدون] أى وجعل فيها انهارا وطرقا ومسالك ، لكي تهتدوا إلى مقامدكم

[وعلامات بالنجم هم يهتدون] أى وعلامات يستدلون بها على الطرق ، كالجبا ل والأنهار ، وبالنجوم يهتدون ليلا في البراري والبحار ، قال ابن عباس : (العلاماتُ) معالمُ الطرق بالنهار ، وبالنجم هم يهتدون بالليل

[أفمن يخلق كمن لا يخلق] الاستفهام انكاري أى أتسوون بين الخالق لتلك الأشياء العظيمة ، والنعم الجليلة ، وبين من لا يملك لنفسه نفعا ولا ضراً فضلا عن غيره ؟ أتشركون الصنم الحقير ، مع الخالق

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الجليل ؟ وهو تبكيت للكفرة وإبطال لعبادتهم الأصنام

[أفلا تذكرون] أى أفلا تتذكرون فتعرفون خطأ ما أنتم عليه ، من عبادة غير الله ؟ وهو توبيخ آخر

[وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها] أى إن تعدوا نعم الله الفائضة عليكم ، لا تضبطوا عددها فضلا عن أن تطيقوا شكرها

[إن الله لغفور رحيم] أى غفور لما صدر منكم من تقصير ، رحيم بالعباد ، حيث ينعم عليهم مع تقصيرهم وعصيانهم

[والله يعلم ما تسرون وما تعلنون] أى يعلم ما تخفونه وما تظهرونه من النوأىا والأعمال وسيجازيكم عليها

[والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون] أى والذين يعبدونهم من دون الله ، كالأوثان والأصنام ، لا يقدرون على خلق شيء أصْلا ، والحال أنهم مخلوقون ، صنعهم البشر بأىديهم ، فكيف يكونون آَلهة تعبد من دون الله ؟

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[أموات غير أحياء] أى وتلك الأصنام أمواتَ لا أرواح فيها ، لا تسمع ولا تبصر ، لأنها جمادات لا حياة فيها ، فكيف تعبدونها وأنتم افضل منها لما فيكم من الحياة ؟

[وما يشعرون أيان يبعثون] أى ما تشعر هذه الأصنام متى يبعث عابدوها ، وفيه تهكم بالمشركين لأنهم عبدوا جمادا لا يحس ولا يشعر

[إلهكم إله واحد] أى إلهكم المستحق للعبادة إله واحد لا شريك له

[فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة] أى فالذين لا يصدقون بالبعث والجزاء ، قلوبهم تنكر وحدانية الله عز وجل

[وهم مستكبرون] أى متكبرون متعظمون عن قبول الحق ، بعدما سطعت دلائله

[لا جرم أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون] أى حقا إن الله تعالى لا تخفى عليه خافية من أحوالهم يعلم ما يخفون وما يظهرون

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[إنه لا يحب المستكبرين] أى المتكبرين عن التوحيد والإيمان

[وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم] أى إذا سئل هؤلاء الجاحدون : أى شيء أنزل ربكم على رسوله (ص)

[قالوا أساطير الأولين] أى قالوا على سبيل الاستهزاء : ما أنزله هو خرافات وأباطيل الأمم السابقين ، ليس بكلام رب العالمين ، كان المشركون يجلسون على مداخل مكة ، يُنفرون عن رسول الله (ص) إذا سألهم وفود الحاج : ماذا أنزل الله على محمد ؟ قالوا : أباطيل وأحاديث الأولين

[ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة] أى قالوا : ذلك البهتان ، ليحملوا ذنوبهم كاملة يوم القيامة ، من غير أن يُكفر منها شيء

[ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم] أى وليحملوا ذنوب الأتباع الذين أضلوهم بغير دليلٍ أو برهان ، فقد كانوا رؤساء أشقياء ، يُقتدى بهم في الضلالة ولذلك حملوا أوزارهم وأوزار من أضلوهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ألا ساء ما يزرون] ألا للتنبيه أى فانتبهوا أيها القوم ، بئس الحمل الذي حملوه على ظهورهم ! والمقصودُ المبالغة في الزجر

[قد مكر الذين من قبلهم] أى مكر المجرمون بأنبيائهم وأرادوا إطفاء نور الله ، من قبل كفار مكة عَبَدة الأوثان ، وهذا تسلية له (ص)

[فأتى الله بنيانهم من القواعد] أى قلع بنيانهم من قواعده وأسسه ، ورد كيدهم في نحوهم ، وهو تمثيل لإفساد ما أبرمره من المكر بالرسل

[فخر عليهم السقف من فوقهم] أى فسقط عليهم سقف بنيانهم ، فتهدم البناء وماتوا

[وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون] أى جاءهم الهلاك والدمار ، من حيث لا يخطر على بالهم ، والآية مشهد كامل للدمار والهلاك ، وللسخرية من مكر الماكرين ، وتدبير المدبرين ، الذين يقفون لدعوة الله بالمرصاد ، ويحسبون مكرهم لا يُرد ، وتدبيرهم لا يخيب ، والله من ورائهم محيط

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ثم يوم القيامة يخزيهم] أى يفضحهم بالعذاب ، ويذلهم ويهينهم

[ويقول أين شركائي الذين كنتم تشاقون فيهم] أى يقول تعالى لهم على سبيل التقريع والتوبيخ : أى أن هؤلاء الشركاء ؟ الذين كنتم تخاصمون وتعادون من أجلهم الأنبياء ؟ احضروهم ليشفعوا لكم ، والأسلوب أسلوبُ استهزاء وتهكم

[قال الذين أوتوا العلم إن الخزي اليوم والسوء على الكافرين] أى يقول الدعاة والعلماء ، شماتة بأولئك الأشقياء : إن الذل والهوان والعذاب محيط اليوم بمن كفر بالله

[الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم] أى الذين تقبض الملائكة أرواحهم الخبيثة ، ظالمي أنفسهم بالكفر والإشراك بالله

[فألقوا السلم ما كنا نعمل من سوء] أى استسلموا وانقادوا عند الموت ، على خلاف عادتهم في الدنيا ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من العناد والمكابرة ، وقالوا : ما أشركنا ولا عصينا ، كما يقولون يوم الحساب [والله ربنا ما كنا مشركين]

[بلى إن الله عليم بما كنتم تعملون] أى يكذبهم الله ويقول : بلى قد كذبتم وعصيتم ، وكنتم مجرمين

[فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها] أى أدخلوا جهنم ماكثين فيها أبدا

[فلبئس مثوى المتكبرين] أى بئست جهنم مفرا ومسكنا ، للمتكبرين عن طاعة الله !

البلاغة :

تضمنت الآيات الكريمة من وجوه البيان والبديع ما يلي :

1 - الالتفات في [فاتقون] فهو خطاب للمستعجلين بطريق الإلتفات .

2 - أسلوب الاطناب في [أموات غير أحياء] تأكيدا لسفاهة من عبد الأصنام ومثله [لا يخلقون شيئا وهم يخلقون] .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

3- الطباق ببن [يسرون ويعلنون] وبين [تريحون وتسرحون] .
4 - صيغة المبالغة في [خصيم مبين] وفي [غفور رحيم] .
5 -طباق السلب في [أفمن يخلق كمن لا يخلق] .
6 - الجناس الناقص في [لا يخلقون وهم يخلقون] .
7 - الاستعارة التمثيلية في قوله [فخرعليهم السقف من فوقهم] شبهت حال أولئك الماكرين ، بحال قوم بنوا بنيانا شديد الدعائم ، فانهدم ذلك البنيان وسقط عليهم فأهلكهم ، بطريق (الاستعارة التمثيلية). ووجه التشبيه أن ما عدوه سببا لبقائهم ، عاد سببا لفنائهم ، كقولهم (من حفر حفرة لأخيه سقط فيها).

قال الله تعالى : [وقيل للذين أتقوا ماذا أنزل ربكم . .] إلى قوله [يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون] . من آية(30) إلى نهاية آية (50) .

المناسبة :

لما أخبر تعالى عن حال الأشقياء ، الذين كفروا نعمة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الله ، وطعنوا في القرآن فزعموا أنه أساطير الأولين ، وبين ما يكونون عليه في الآخرة من الفضيحة والذل والهوان ، ذكر هنا ما أعده للمتقين ، من وجوه التكريم في دار النعيم ، ليظهر الفارق بين أهل السعادة ، وأهل الشقاوة ، وبين الأبرار والفجار ، على طريقة القرآن في المقارنة بين الفريقين .

اللغة :

[الزبر] الكتب السماوية ، جمع زبُور

[يخسف] خسَف آلمكانُ إذا ذهب وغاب في الأرض

[يتفيأ] يميل من جانب إلى جانب ومنه قيل للظل : فيء ، لأنه يفيء أى يرجع من جهة إلى أخرى

[داخرون] صاغرون ذليلون ، والدخور الصغار والذل ، قال ذو الرمة : فلم يبقَ إلا داخر فى مخيس ومنجَحِر في غيرأرضكَ في حجر

التفسير :

[وقيل للذين اتقوا] أى وقيل للفريق الثاني أهل التقوى والإيمان

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا] أى ماذا أنزل ربكم على رسوله ؟ قالوا أنزل خيرا ، قال المفسرون : هذا كان في أيام الموسم ، يأتي الرجل مكة فيسأل المشركين عن (محمد) وأمره ، فيقتولون : إنه ساحر وكاهن وكذاب ! ! فيأتي المؤمنين ويسألهم عن محمد ، وعن ما أنزل الله عليه ، فيقولون : أنزل الله عليه الخير والهدى والقرآن ! ! قال تعالى بياناً لجزائهم الكريم

[للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة] أى لهؤلاء المحسنين ، مكافأة في الدنيا بإحسانهم

[ولدار الآخرة خير] أى وما ينالونه في الآخرة من ثواب الجنة ، خير وأعظم من دار الدنيا ، لفنائها وبقاء الآخرة

[ولنعم دار المتقين] أى ولنعم دار المتقين دار الآخرة وهي

[جنات عدن] أى جنات إقامة

[يدخلونها تجري من تحتها الأنهار] أى يدخلون تلك الجنان ، التي تجري من تحت قصورها الأنهار

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[لهم فيها ما يشاءون] أى لهم في تلك الجنات ما يشتهون ، بدون كد ولا تعب ، ولا انقطاع ولا نَصب

[كذلك يجزي الله المتقين] أى مثل هذا الجزاء الكريم ، يجزي الله عباده المتقين الأبرار ، المتمسكين بأوامره

[الذين تتوفاهم الملائكة طيبين] أى هم الذين تقبض الملائكة أرواحهم حال كونهم أبرارا ، قد تطهروا من دنس الشرك والمعاصي ، طيبة نفوسهم بلقاء الله

[يقولون سلام عليكم] أى تسلم عليهم الملائكة وتبشرهم بالجنة ، قال ابن عباس : الملائكة يأتونهم بالسلام من قِبل الله ، ويخبرونهم أنهم من أصحاب اليمين

[ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون] أى هنيئا لكم الجنة بما قدمتم في الدنيا من صالح الأعمال

[هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي أمر ربك] عاد الكلام إلى تقريع المشركين ، والمعنى : ما ينتظر هؤلاء إلا أحد أمرين : إما نزول الموت بهم ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أو حلول العذاب العاجل

[كذلك فعل الذين من قبلهم] أى كذلك صنع من قبلهم من المجرمين ، حتى حلً بهم العذاب

[وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون] أى ما ظلمهم الله بتعذيبهم وإهلاكهم ، ولكنْ ظلموا أنفسهم بالشرك والمعاصى

[فأصابهم سيئات ما عملوا] أى أصابهم عقوبات كفرهم ، وجزاء أعمالهم الخبيثة

[وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون] أى أحاط ونزل بهم جزاء استهزائهم ، وهو العذاب الأليم في دركات الجحيم

[وقال الذين أشركوا] أى قال أهل الكفر والإشراك وهم كفار قريش

[لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء] أى لو شاء الله ما عبدنا الأصنام ، لا نحن ولا آباؤنا ، ولا حرمنا ما حرمنا من البحائر والسوائب وغيرها ، قالوا هذا على

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

سبيل الاستهزاء ، لا على سبيل الاعتقاد ، وغرضمهم أن إشراكهم ، وتحريمهم لبعض الذبائح والأطعمة ، واقع بمشيئة الله ، فالله إذا راض به وهو حق وصواب

((قال في الظلال : " وهذه مقولة جديدة من مقولات المشركين فى علة إشراكهم بالله ، فقد أحالوا إشراكهم وتحريمهم لبعض الذبائح والأطعمة ، علي إرادة الله ومشيئته ، فلو شاء الله - في زعمهم - ألا يفعلوا شيئأ من هذا لمنعهم من فعله . . وهذا وهم وخطأ في فهم معنى المشيئة الإلهية ، فالله سبحانه لا يريد لعباده الشرك ، ولا يرضى لهم أن يحرموا ما أحله لهم من الطيبات ، وإرادته هذه ظاهرة منصوص عليها في شرائعه على ألسنة الرسل الذين كلفوا بالتبليغ ، ولهذا قال تعالى بعده : {ولقد بعثنا في كل أمة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت } فهذا أمره ، وهذه إرادته لعباده ، وقد شاءت إرادة الخالق الحكيم ان يخلق البشر باستعداد للهدى والضلال ، وأن يدع لهم مشيئة الاختيار "))

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[كذلك فعل الذين من قبلهم] أى مثل هذا التكذيب والاستهزاء ، فعل من قبلهم من المجرمين ، واحتجوا مثل احتجاجهم الباطل ، وتناسوا كسبهم لكفرهم ومعاصيهم ، بمحض اختيارهم ، بعد ان أنذرتهم رسلهم عذاب النار ، وغضب الجبار

[فهل على الرسل إلا البلاغ المبين] أى ليس على الرسل إلا التبليغ ، وأما أمر الهداية والإيمان ، فهوإلى الله جل وعلا

[ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت] أى أرسلنا الرسل إلى جميع الخلق ، بأن اعبدوا الله ووحدوه ، واتركوا كل معبود دون الله ، كالشيطان والكاهن والصنم ، وكل من دعا إلى الضلال

[فمنهم من هدى الله] أى فمنهم من أرشده الله إلى عبادته ودينه فآمن

[ومنهم من حقًت عليه الضلالة] أى ومنهم من وجبت له الشقاوة والضلالة فكفر ، أخبرَ تعالى أنه أرسل الرسل ، لتبليغ الناس دعوة الله ، فمنهم من استجاب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فهداه الله ، ومنهم من كفر فأضله الله
[فسيروا في الأرض فأنظروا كيف كان عاقبة المكذبين] أى سيروا يا معشر قريش في أكناف الأرض ، ثم أنظروا ماذا حل بالأمم المكذبين لعلكم تعتبرون !
[إن تحرص على هداهم فإن الله لا يهدي من يضل] الخطاب للرسول ، أى إن تحرص يا محمد على هدآية هؤلاء الكفار ، فاعلم أنه تعالى لا يخلق الهداية جبرا وقسراً ، فيمن يرغب الضلالة بسوء اختياره
[وما لهم من ناصرين] أى ليس لهم من ينقذهم من عذابه تعالى

[وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت] أى حلف المشركون جاهدين في أيمانهم ، مبالغين في تغليظ اليمين ، بأن الله لا يبعث من يموت ، استبعدوا البعث ورأوه أمرا عسيرا بعد البِلى وتفرق الأشلاء والذرات ، قال تعالى ردا عليهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[بلى وعدا عليه حقا] أى بلى ليبعثهم ، وعد بذلك وعدا قاطعاً لابد منه

[ولكن أكثر الناس لا يعلمون] أى ولكن أكثرهم لا يعلمون قدرة الله ، فينكرون البعث والنشور

[ليبين لهم الذي يختلفون فيه] أى سيبعثهم ليكشف ضلالهم في إنكارهم البعث ، وليظهر لهم الحق فيما اختلفوا فيه ، وليحقق العدل ، وهو التمييز بين (المطيع) و(العاصي) ، وبين المحق والمبطل ، وبين الظالم والمظلوم

[وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين] أى وليعلم الجاحدون للبعث ، والمكذبون لوعد الله الحق أنهم كانوا كاذبين فيما يقولون :

[إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون] أى لا يحتاج الأمر إلى كبير جهد وعناء ، فإنا نقول للشيء كن فيكون

[والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا] أى تركوا الأوطان والأهل والقرابة ، في شأن الله وابتغاء

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

رضوانه ، من بعد ما عذبوا في الله ، قال القرطبي : هم صهيب ، وبلال ، وخباب ، وعمار ، عذبهم أهل مكة حتى قالوا لهم ما أرادوا ، فلما خلوهم هاجروا إلى المدينة

[لنبوئنهم في الدنيا حسنة] أى لنسكننهم دارا حسنة ، خيرا مما فقدوا ، قال ابن عباس : بوأهم الله المدينة المنورة فجعلها لهم دار هجرة

[ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون] أى ثواب الآخرة أعظم وأكبر ، لو كان الناس يعلمون حقيقة الأمر

[الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون] أى هم الذين صبروا على الشدائد والمكاره ، فهجروا الأوطان ، وفارقوا الإخوان ، واعتمدوا على الله وحده ، يبتغون آجره ومثوبته

[وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم] أى وما أرسلنا من قبلك يا محمد إلى الأمم الماضية ، إلا بشرا نوحي إليهم كما أوحينا إليك ، قال المفسرون : أنكر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مشركو قريش نبوة محمد (ص) وقالوا : الله أعظم من أن يكون رسوله بشرا ، فهلا بعث إلينا ملَكا! ! فنزلت [فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون] أى اسألوا يا معشر قريش ، العلماءَ بالتوراة والإنجيل ، يخبرونكم أن جميع الأنبياء كانوا بشرا إن كنتم لا تعلمون ذلك

[بالبينات والزبر] أى أرسلناهم بالحجج والبراهين الساطعة الدالة على صدقهم ، وبالزبُر أى الكتب المقدسة

[وأنزلنا إليك الذكر] أى القرآن المذكر ، الموقظ للقلوب الغافلة

[لتبين للناس ما نزل إليهم] أى لتعرف الناس الأحكام ، والحلال والحرام

[ولعلهم يتفكرون] أى ولعلهم يتفكرون في هذا القرآن فيتعظون

[أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض] أى هل أمن هؤلاء الكفار ، الذين مكروا برسول الله (ص) واحتالوا لقتله في (دار الندوة) هل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

آمنوا ان يخسف الله بهم الأرض كما فعل بقارون ؟
[أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون] أى يأتيهم العذاب بغتة في حال أمنهم واستقرارهم ، من حيث لا يخطر ببالهم ، ومن جهة لا يعلمون بها
[أو يأخذهم في تقلبهم فما هم بمعجزين] أى يهلكهم في أثناء أسفارهم للتجارة واشتغالهم بالبيع والشراء ، فإنهم على أى حال لا يعجزون الله
[أو يأخذهم على تخوف] أى يهلكهم الله حال كونهم خائفين ، مترقبين لنزول العذاب ، قال ابن كثير : فإنه يكون أبلغ وأشد ، فإن حصول ما يتوقع مع الخوف شديد
[فإن ربكم لرءوف رحيم] أى حيث لم يعاجلكم بالعقوبة
[أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء] أى أولم يعتبر هؤلاء الكافرون ، ويروا آثار قدرة الله ، وأنه ما من شيء من الجبال والأشجار والأحجار ، ومن سائر ما خلق الله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[يتفيؤا ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله] أى تميل ظلالها من جانب إلى جانب ، ساجدة لله سجود خضوع لمشيئته تعالى وانقياد ، لا تخرج عن إرادته ومشيئته [وهم داخرون] أى خاضعون صاغرون ، فكل هذه الأشياء منقادة لقدرة الله وتدبيره ، فكيف يتعالى ويتكبر على طاعته أولئك الكافرون ؟

[ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون] أى له تعالى وحده يخضع وينقاد ، جميع المخلوقات بما فيهم الملائكة ، فهم لا يستكبرون عن عبادته

[يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون] أى يخافون جلال الله وعظمته ، ويمتثلون أوامره على الدوام .

البلاغة :

تضمنت الآيات الكريمة من وجوه البيان والبديع ما يلي :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

1 - الإيجاز بالحذف [قالوا خيرا] أى قالوا أنزل خيرا .

2 - الإطناب في قوله : [ما عبدنا من دونه من شيء . . ولا حرمنا من دونه شيء] .

3- الطباق في [هدى الله . . وحقت عليه الضلالة] وفي [لا يهدى من يضل] وفي [اليمين والشمائل] .

4 - صيغة المبالغة في [لرءوف رحيم] لأن فعول وفعيل من صيغ المبالغة .

5 - ذكر الخاص بعد العام في [يسجد ما في السموات وما في الأرض . . والملائكة] زيادة في التعظيم والتكريم للملائكة الأطهار .

6 - السجع البديع في [يتنكرون ، داخرون ، يشعرون] .

فائدة :

استنبط بعض العلماء من قوله تعالى : [وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا] أن النبوة لا تكون إلا في الرجال ، وأما النساء فليس فيهن نبئة ، وهو استنباط دقيق .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تنبيه :

قال ابن تيمية في منهاج السنة : " والاحتجاج بالقدر حجة باطلة داحضة ، باتفاق كل ذي عقل! ودين من جميع العالمين ، ولهذا لما قال المشركون [لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا] رد الله عليهم بقوله : [قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون] والمشركون يعلمون بفطرتهم وعقولهم أن هذه الحجة باطلة ، فإن أحدهم لو ظلمه الآَخر ، أو أراد قتل ولده ، أو الزنى بزوجته ، أو كان مصرا على الظلم فنهاه الناس عن ذلك ، فقال : لو شاء الله لم أفعل هذا ، لم يقبلوا منه هذه الحجة ، ولا يقبلها هو من غيره ، وإنما يحتج بها المحتج دفعاً للوم عن نفسه بلا وجه .

قال الله تعالى : [وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين . .] إلى قوله [إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون] . من آية (51) إلى نهاية آية (74)

المناسبة :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لما ذكر تعالى أن كل ما في الكون منقاذ لأمر الله ، خاضغ لسلطانه ، أمر هنا بإفراده بالعبادة ، لأنه الخالق الرازق ، ثم ضرب الأمثال لضلالات أهل الجاهلية ، وذكر الناس بنعمه الجليلة ليعبدوه ويشكروه .

اللغة :

[واصبا] دائما ولازما ، قال الجوهري : وصبَ الشيء وصوباً أى دام ومنه [ولهم عذاب واصب] أى دائم وقال الشاعر : " وهزيم رعده واصب "

[تجأرون] الجوار : رفع الصوت بالدعاء والتضرع ، يقال : جأر أى صاح ، قال الأعشى يصف بقرة :

فطافت ثلاثا بينَ يوم وليلة وكانَ النكيرُ أن تطيف وتجأَرا ،

[كظيم] ممتلىء غما وغيظا ، والكظم أن يطبق الفم فلا يتكلم من الغيظ

[يتوارى] يختفي

[هون] هَوانٍ وذُل

[فرث] الفرث : الزبل الذي ينزل إلى الكَرش او

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المعى

[سائغا] لذيذا هيناً لا يغص به من شربه

[ذللا] جمع ذلول وهو المنقاد المسخَّر بلا عناء

[حفدة] الحفدة : قال الأزهري أولاد الأولاد ، والحفدة : الخدم والأعوا ن .

التفسير :

[وقال الله لا تتخدوا إلـهين اثنين] أى لا تعبدوا إلـهين إثنين ، فإن الإله الحق لا يتعدد

[إنما هو إله واحد] أى إلـهكم إله واحد ، لا شريك له ولا نظير

[فإياى فارهبون] أى خافون دون سوأى

[وله ما في السموات والأرض] أى له جل وعلا جميع ما في الكون ، ملكى وخلقا وعبيدا

[وله الدين واصبا] أى له الطاعة والانقياد ، واجبا ثابتا دائما فهو الإله الحق ، وله الطاعة خالصة

[أفغيرالله تتقون] الهمزة للإنكار والتوبيخ أى كيف

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تتقون وتخافون غيره ، ولا نفع ولا ضر إلا بيده ؟
[وما بكم من نعمة فمن الله] أى ما تفضل عليكم أيها الناس ، من رزق ونعمة وعافية ، فمن فضلِ الله وإِحسانه وحده
[ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون] أى ثم إذا أصابكم الضرُ من فقر ومرض وبأساء ، فإليه وحده ترفعون أصواتكم بالدعاء ، والغرض أنكم تلجأون إليه وحده ساعة العسرة والضيق ، ولا تتوجهون إلى الشركاء ! !
[ثم إذا كشف الضر عنكم إذا فريق منكم بربهم يشركون] أى إذا رفع عنكم البلاء ، رجع فريق منكم إلى الإشراك بالله ، قال القرطبي : ومعنى الكلام التعجيبُ من الإشراك بعد النجاة من الهلاك
[ليكفروا بما آتيناهم] أى ليجحدوا نعمته تعالى ، من كشف الضر والبلاء
[فتمتعوا فسوف تعلمون] أى تمتعوا بدار الفناء فسوف تعلمون عاقبة أمركم ، وما ينزل بكم من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

العذاب ! ! وهو أمر للتهديد والوعيد

[ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم] أى يجعلون للأصنام التي لا يعلمون ربوبيتها ، ببرهان ولا بحجة ((وقيل معنى الآية : يجعلون لآلهتهم التي لا تعقل شيئا لأنها جماد نصيبا مما أعطاهم الله ، فيكون الضمير في قوله {لما لا يعلمون} راجعا للأصنام لا للمشركين)) نصيبا من الزرع والأنعام ، تقربا إليها

[تالله لتسألن عما كنتم تفترون] أى والله أيها المشركون لتُسألن عما كنتم تختلقونه من الكذب على الله ، وهو سؤال توبيخ وتقريع

[ويجعلون لله البنات] أى ومن جهل هؤلاء المشركين وسفاهتهم ، أن جعلوا الملائكة بنات الله ، فنسبوا إلى الله البنات " وجعلوا لهم البنين

[سبحانه] أى تنزه الله وتعظم عن هذا الإفك والبهتان

[ولهم ما يشتهون] أى ويجعلون لأنفسهم ما يشتهونه من البنين ، مع كراهتهم للإناث ، حيث كانوا يأنفون

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من البنات

[وإذا بشر أحدهم بالأنثى] أى إذا أُخبر أحدهم بولادة بنت

[ظل وجهه مسوداً] أى صار وجهه متغيرا من الندم والحزن ، قال القرطبي : وهو كنآية عن الندم والحزن وليس يريد السواد ، والعربُ تقول لكل من لقي مكروها قد اسود وجهه

[وهو كظيم] أى مملوء غيظا وغما

[يتوارى من القوم من سوء ما بشر به] أى يختفي من قومه خوفا من العار ، الذي يلحقه بسبب البنت ، كأنها بلية وليست هبة إلهية ، ثم يفكر فيما يصنع

[أيمسكه على هون أم يدسه في التراب] أى أيمسك هذه الأنثى على ذل وهوان ؟ أم يدفنها في التراب حية ؟

[ألا ساء ما يحكمون] أى ساء صنيعهم وساء حكمهم ، حيث نسبوا لخالقهم البنات -وهي عندهم بتلك الدرجة من الذل والحقارة - وأضافوا البنين إليهم ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تعالى الله عما يقولون علواً كبيرا

[للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء] أى لهؤلاء الذين لم يصدقوا بالآخرة ، ونسبوا لله البنات سفهاً وجهلا ، صفةُ السوء القبيحة التي هي كالمثل في القبح ، فالنقصُ إنما ينسب إليهم لا إلى الله

[ولله المثل الأعلى] أى له جل وعلا الوصف العالي الشأن ، والكمال المطلق ، والتنزه عن صفات المخلوقين

[وهو العزيز الحكيم] أى العزيزُ في ملكه ، الحكيمُ في تدبيره . . ثم أخبر تعالى عن حلمه بالعباد مع ظلمهم فقال سبحانه :

[ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم] أى لو يؤاخذهم بكفرهم ومعاصيهم ويعاجلهم بالعقوبة

[ما ترك عليها من دابة] أى ما ترك على الأرض أحداً يدب على ظهرها ، من إنسان وحيوان

[ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى] أى ولكن يؤخرهم إلى وقت معيَّن تقتضيه الحكمة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون] أى فإذا جاء الوقت المحدد لهلاكهم ، لا يتأخرون برهة يسيرةً من الزمن ولا يتقدمون عليها كقوله : [وجعلنا لمهلكهم موعدا]

[ويجعلون لله ما يكرهون] أى يجعلون له تعالى البنات مع كراهتهم لهن ، وهو تأكيد لما سبق ، للتقريع والتوبيخ

[وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى] أى يجعلون لله ما يجعلون ، ومع ذلك يزعمون أنْ لهم العاقبة الحسنى عند الله ، وأنهم أهل الجنة

[لا جرم أن لهم النار] أى حقا أن لهم مكان ما أملوا نار جهنم ، التي ليس وراء عذابها عذاب

[وأنهم مفرطون] أى معجلون إليها ومُقدمون ((هذا قول قتادة والحسن من (الفرط) وهو السابق إلى طلب الماء ، وقال مجاهد : " مفرطون " متروكون منسيون في النار)) . ثم ذكر تعالى نعمته في إرسال الرسل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

، ليتأسى صلوات الله عليه بهم في الصبر على تحمل الأذى فقال سبحانه :

[تالله لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فزين لهم الشيطان أعمالهم] أى والله لقد بعثنا قبلك يا محمد رسلا إلى أقوامهم ، فحسن لهم الشيطان أعمالهم القبيحة ، حتى كذبوا الرسل ، وردوا عليهم ما جاءوهم به من البينات

[فهو وليهم اليوم] أى فالشيطان ناصرهم اليوم فى الدنيا وبئس الناسر

[ولهم عذاب أليم] أى ولهم فى الآخرة عذاب مؤلم

[وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه] أى ما أنزلنا عليك القرآن إلا لتبين للناس ، الذى اختلفوا فيه من الدين والأحكام ، لتقوم الحجة عليهم

[وهدى ورحمة لقوم يؤمنون] أى وأنزلنا القرآن هداية للقلوب ، ورحمة وشفاء لمن آمن به . . ثم ذكر تعالى عظيم قدرته الدالة على وحدانيته ، فقال سبحانه :

[والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

موتها] أى أنزل بقدرته الماء من السحاب ، فأحيا بذلك الماء النبات والزرع بعد جدب الأرض ويُبسها

[إن في ذلك لآية لقوم يسمعون] أى إن في هذا الإحياء لدلالة باهرة على عظيم قدرته ، لقوم يسمعون التذكير ، فيتدبرونه ويعقلونه

[وأن لكم في الأنعام لعبرة] أى وإن لكم أيها الناس فى هذه الأنعام (الإبل والبقر والضأن والمعز) لعظة وعبرة يعتبر بها العقلاء ، ففي خلقها وتسخيرها دلالة على قدرة الله ، وعظمته ووحدانيته

[نسقيكم مما قي بطونه] أى نسقيكم من بعض الذي في بطون هذه الأنعام

[من بين فرث ودم لبنا خالصا] أى من بين الروث والدم ذلك الحليب الخالص واللبن النافع ((قال الزمخشري : والآية بيان للعبرة فإن الله سبحانه يخلق اللبن ، وسطا بين الفرث والدم يكتنفانه ، وبينه وبينهما برزخ من قدرة الله ، لا يبغي أحدهما عليه بلون ، ولا طعم ، ولا رائحة ، فسبحان الله ما أعظم قدرته ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وألطف حكمته لمن تفكر وتأمل))

[سائغا للشاربين] أى سهل المرور في حلقهم ، لذيذا هينا لا يغض به من شربه

[ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا] أى ولكم مما أنعم الله به عليكم ، من ثمرات النخيل والأعناب ما تجعلون منه خمرا يسكر ، قال الطبري : وإنما نزلت هذه الآية قبل تحريم الخمر ، ثم حُرِّمت بعد

[ورزقا حسن] كالتمر والزبيب ، قال ابن عباس : الرزق الحسن : ما أُحل من ثمرتها ، والسكر : ما حرم من ثمرتها .

[إن فى ذلك لآية لقوم يعقلون] أى لآية باهرة ، ودلالة قاهرة على وحدانيته سبحانه ، لقوم يتدبرون بعقولهم ، قال ابن كثير : وناسب ذكرُ العقل هنا ، لأنه أشرف ما في الإنسان ، ولهذا حرم الله على هذه الأمة الأشربة المسكرة صيانة لعقولها . . ولما ذكر تعالى ما يدلى على باهر قدرته ، وعظيم حكمته ، من إخراج

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

اللبن من بين فرث ودم ، وإخراج الرزق الحسن من ثمرات النخيل والأعناب ، ذكر إخراج (العسل) الذي جعله شفاء للناس من النحل ، وهي حشرة ضعيفة وفيها عجائب بديعة وأمور غريبة ، وكل هذا يدل على وحدانية الصانع وقدرته وعظمته ، فقال تعالى :

[وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون] المراد من الوحي : الإلهامُ والهداية ، أى ألهمها مصالحها وأرشدها إلى بناء بيوتها المسدسة العجيبة تأوي إليها في ثلاثة أمكنة : (الجبال ، والشجر ، والأكوار) التي يبنيها الناس

[ثم كلي من كل الثمرات] أى كلي من كل الأزهار والثمار ، التي تشتهينها من الحلو ، والمر ، والحامض ، فإن الله بقدرته يحيلها إلى عسل!

[فاسلكي سبل ربك ذللا] أى ادخلي الطرق في طلب المرعى ، حال كونها مسخرة لك ، لا تَضِلين قي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الذهاب ولا الإياب

[يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس] أى يخرج من بطون النحل عسل متنوع ، منه أحمر ، وأبيض ، وأصفر ، فيه شفاء للناس من كثيرِ من الأمراض ، قال الرازي : فإن قالوا : كيف يكون شفاء للناس وهو يضر بالصفراء ؟ فالجواب أنه تعالى لم يقل : إنه شفاء لكل الناس ، ولكل داء ، وفي كل حال ، بل لنا كان شفاء للبعض ومن بعض الأدواء ، صلح بأن يوصف بأن فيه شفاء ،

[إن فى ذلك لآية لقوم يتفكرون] أى لعبرة لقوم يتفكرون في عظيم قدرة الله ، وبديع صنعه

[والله خلقكم ثم يتوفاكم] أى خلقكم بقدرته بعد أن لم تكونوا شيئا ، ثم يتوفاكم عند انقضاء آجالكم

[ومنكم من يرد إلى أرذل العمر] أى يُرد إلى أردء وأضعف العمر ، وهو الهَرم والخرف

[لكي لا يعلم بعد علم شيئاَ] أى لينسى ما تعلمه ، فيشبه الطفل فى نقصان القوة والعقل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[أن الله عليم قدير] أى عليم بتدبير خلقه ، قدير على ما يريده ، فكما قدر على نقل الإنسان من العلم إلى الجهل ، فإنه قادر على إحيائه بعد إماتته ، قال عكرمة : من قرأ القرآن لم يُرد إلى أرذل العمر

[والله فضل بعضكم على بعض في الرزق] أى فاوت بينكم في الأرزاق ، فهذا غنى وذاك فقير ، وهذا مالك وذاك مملوك

[فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت أيمانهم فهم فيه سواء] أى ليس هؤلاء الأغنياء بمشركين لعبيدهم المماليك ، فيما رزقهم الله من الأموال ، حتى يستووا في ذلك مع عبيدهم ، وهذا مثل ضربه الله تعالى للمشركين ، إنهم لم يكونوا ليشركوا عبيدهم في أموالهم ونسائهم ، فكيف يشركون عبيدي معي في سلطاني ؟

[أفبنعمة الله يجحدون] الاستفهام للإنكار أى أيشركون معه غيره وهو المنعم المتفضل عليهم ؟

[والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا] أى هو تعالى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بقدرته خلق لكم النساء من جنسكم وشكلكم ، ليحصل الائتلاف والمودة والرحمة بينكم

[وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة] أى جعل لكم من هؤلاء الزوجات : الأولاد وأولادَ الأولاد ، سموا حفدة لأنهم يخدمون أجدادهم ويسارعون في طاعتهم

[ورزقكم من الطيبات] أى رزقكم من أنواع اللذائذ ، من الثمار والحبوب والحيوان

[أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون] أى أبعد تحقق ما ذُكر من نعم الله ، يؤمنون بالأوثان ويكفرون بالرحمن ؟ وهو استفهام للتوبيخ والتقريع

[ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والأرض شيئا] أى ويعبد هؤلاء المشركون أوثانا لا تقدر على إنزال مطر ، ولا على إخراج زرع أو شجر ، ولا تقدر أن ترزقهم قليلا أو كثيرا

[ولا يستطيعون] أى ليس لها ذلك ، ولا تقدر عليه لو أرادت

[فلا تضربوا لله الأمثال] أى لا تمثلوا لله الأمثال ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولا تشبهوا له الأشباه ، فإنه تعالى لا مثيل له ولا نظير ، ولا شبيه

[إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون] أى يعلم كل الحقائق ، وأنتم لا تعلمون قدر عظمة الخالق جل وعلا! !

البلاغة :

تضمت الآيات الكريمة من صنوف البيان والبديع ما يلي :

1 - الإلتفات من التكلم إلى الغيبة وبالعكس [فإياى فارهبون] لتربية المهابة والرهبة في القلوب مع إفادة القصر أى لا تخافوا غيرى .

---

2 - الطبا ق بين [يستقدمون . . ويستأخرون] وبين [يؤمنون . . ويكفرون] .

3 - الجناس الناقص بين [كلى من كل] .

4 - الاعتراض [ويجعلون لله البنات - سبحانه - ولهم ما يشتهون] فلفظة (سبحانه) معترضة ، لتعجيب الخلق من هذا الجهل القبيح .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

5 - صيغة المبالغة في [العزيز الحكيم] و[عليم قدير] .

6 - السجع مراعاة لرءوس الآيات [يعقلون ، يعرشون ، يجحدون ، يكفرون] .

7 - التهديد والوعيد [فتمتعوا فسوف تعلمون] خرج من الأمر إلى الوعيد الشديد .

8 - قوله تعالى : [وتصف ألسنتهم الكذب] قال الشهاب : هذا من بليغ الكلام وبديعه أى ألسنتهم كاذبة ، كقولهم : عينها تصف السِّحر أى ساحر " وقدها يصف الهيف أى هيفاء

قال الله تعالى : [ضرب الله مثلا عبدا مملوكا . .] إلى قوله [يعظكم لعلكم تذكرون] . من آية(75) إلى نهاية آية (90) .

المناسبة :

لما ذكر تعالى سفاهة المشركين في عبادتهم لغيرالله ، أعقبه بذكر مثلين ، توضيحا لبطلان عبادة الأوثان ، التي لا تضر ولا تنفع ، ولا تستجيب ولا تسمع ، ثم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ذكر الناس ببعض النعم التي أفاضها عليهم ليعبدوه ويشكروه ، ويُخلصوا له العمل طائعين منيبين

اللغة :

[أبكم] الأبكم : الأخرس الذى لا ينطق

[كل] الكَل : الثقيل الذى هو عالة على الغير ، وقد يسمى اليتيم (كلا) لثقله على من يكفله ، قال الشاعر :

أكول لمال الكل قبلَ شبابه إذا كان عظمُ الكل غيرَ شديد

[لمح] اللمح : النظر بسرعة مثل الخطفة يقال : لمحه لمحا ولمحانا

[ظعنكم] الظعنُ : السفر والرحيل لطلب الكلا ، والظعينة المرأة المسافرة

[أوبارها] الوبر للإبل كالصوف للغنم

[ظلالا] آلظلالُ : كل ما يستظل به من البيوت والشجر

[أكنانا] جمع كن مثل حِمل وأحمال ، وهو كل ها يحفظ ويقي عن الريح والمطر وغيرهما

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[سرابيل] جمع سربال ، قال الزجاج : كل ما لبسته من قميص أو درع فهو سربال .

التفسير :

[ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقا حسنا] هذآ مثل ضربه الله تعالى لنفسه ، وللأصنام التى أشركوها مع الله جل وعلا ، أى مثل هؤلاء في إشراكهم ، مثل من سوى بين عبد مملوك عاجز عن التصرف ، وبين حر مالك يتصرف في أمره كيف يشاء ، مع أنهما سيان في البشرية والمخلوقية لله سبحانه وتعالى ، فما الظن برب العالمين حيث يشركون به أعجز المخلوقات ؟

[فهو ينفق منه سرا وجهرا] أى ينفق ماله في الخفاء والعلانية ابتغاء وجه الله

[هل يستوون] ؟ أي هل يستوي العبيد والأحرار الذين ضُرب لهم المثل ، فالأصنام كالعبد المملوك الذى لا يقدر على شيء ، والله تعالى له المُلك ، وبيده الرزق ، وهو المتصرف في الكون كيف يشاء ، فكيف

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يُسوِّى بينه وبين الأصنام ؟

[الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون] أى شكراً لله على بيان هذا المثال ، ووضوح الحق ، فقد ظهرت الحجة مثل الشمس الساطعة ، ولكن المشركين بسفههم وجهلهم ، يسوون بين الخالق والمخلوق ، والمالكِ والمملوك

[وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء] هذا هو المثل الثاني للتفريق بين الإله الحق والأصنام الباطلة ، قال مجاهد : هذا مثل مضروبُ للوثن والحق تعالى ، فالوثنُ أبكم لا يتكلم ولا ينطق بخير ، ولا يقدر على شيء بالكلية ، لأنه إما حجر أو شجر ،

[وهو كل على مولاه] أى ثقيل عَالَة على وليه أو سيده

[أينما يوجهه لا يأت بخير] أى حيثما أرسله سيده ، لا ينجح في مسعاه ، لأنه أخرس ، بليد ، ضعيف الفهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم] أى هل يتساوى هذا الأخرص ، وذلك الرجل البليغ المتكلم بأفصح بيان ، وهو على طريق الحق والاستقامة ، مستتير بنور القرآن ؟ وإذا كان العاقل لا يسوى بين هذين الرجلين ، فكيف تمكن التسوية بين صنم أو حجر ؟ وبين الله سبحانه وهو القادر العليم ، الهادي إلى الصراط المستقيم ؟ ((قال الأمام ابن القيم : ذكر الله تعالى مثلين : فالمثل الأول : ضربه لنفسه سبحانه والأوثان ، فالله هو المالك لكل شىء ، ينفق كيف يشاء على عبيده سرا وجهرا ، وليلا ونهارا ، والاوثان مملوكة عاجزة لا تقدر على شيء ، فكيف يجعلونها شركاء إلى ويعبدونها من دوني ؟ مع التفاوت العظيم والفرق المبين ؟ وأما المثل الثاني : فالصنم الذى يعبد من دونه بمنزلة رجل أبكم ، لا يعقل ولا ينطق ، بل هو أبكم القلب واللسان ، ومع هذا لا يقدر على شيء البتة ، أينما أرسلته لا يأتيك بخير ، ولا يقضي لك حاجة ، والله سبحانه حى قادر ، متكلم ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم ، وهذا وصف له بغاية الكمال والحمد))

[ولله غيب السموات والأرض] أى هو سبحانه المختص بعلم الغيب ، يعلم ما غاب عن الأبصار ، في السموات والأرض ، لا يخفى عليه منها شيء

[وما أمر الساعة الا كلمح البصر أو هو أقرب] أى ما شأن القيامة قي سرعة المجيء ، إلا كنظرة سريعة بطرف العين ، بل هو أقرب ، لأنه تعالى يقول للشيء : كن فيكون ، وهذا تمثيل لسرعة مجيئها ، ولذلك قال :

[ان الله على كل شيء قدير] أى قادر على كل الأشياء ، ومن جملتها (القيامة) التي يكتب بها الكافرون

[والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا] أى أخرجكم من أرحام الأمهات ، لا تعرفون شيئا أصلا

[وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون] أى خلق لكم الحواس ، التي بها تسمعون ، وتبصرون

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وتعقلون ، لتشكروه على نعمه ، وتحمدوه على آلائه

[ألم يروا إلى الطير مسخرات في جو السماء] أى ألم يشاهدوا الطيور مذللات للطيران ، فى ذلك الفضاء الواسع بين السماء والأرض ؟

[ما يمسكهن إلا الله] أى ما يمسكهن عن السقوط عند قبض أجنحتهن وبسطها ، إلا هو سبحانه

[إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون] أى إن فيما ذُكر لآيات ظاهرة ، وعلامات باهرة على وحدانيته تعالى ، لقوم يصدقون بوجوده وبما جاءت به رسل الله

[والله جعل لكم من بيوتكم سكنا] هذا تعداد لنعم الله على العباد ، أى جعل لكم هذه البيوت من الحجر والمدر ، لتسكنوا فيها أيام مُقامكم في أوطانكم

[وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتاً] أى وجعل لكم بيوتا اُخرى وهى الخيام والقُباب ، المتخذة من الشعر والصوف والوبَر

[تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم] أى تستخفُون حملها ونقلها في أسفاركم ، وهي خفيفة عليكم في

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أوقات السفر والحضَر
[ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا] أى وجعل لكم من صوف الغنم ، ووبر الإبل ، وشعر المعز ، ما تلبسون وتفرشون به بيوتكم
[ومتاعا إلى حين] أى تنتفعون وتتمتعون بها إلى حين الموت
[والله جعل لكم مما خلق ظلالا] أى جعل لكم من الشجر والجبل والأبنية وغيرها ، ظلالا تتقون بها حز الشمس
[وجعل لكم من الجبال أكنانا] أى وجعل لكم في الجبال مواضع تسكنون فيها كالكهوف والحصون ، قال الرازي : لما كانت بلادُ العرب شديدة الحر ، وحاجتهم إلى الظل ودفع الحر شديدة ، فلهذا ذكر تعالى هذه المعاني في معرض النعمة العظيمة
[وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر] أى جعل لكم الثياب من القطن والصوف والكتان ، لتحفظكم من الحر والبرد ، واكتفى بذكر الحرً عن البرد ، لدلالة اللفظ

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عليه

[وسرابيل تقيكم بأسكم] أى ودروعا تشبه الثياب ، تتقون بها شر أعدائكم في الحرب

[كذلك يتم نعمته عليكم] أى مثل ما خلق هذه الأشياء لكم وأنعم بها عليكم ، فإنه يُتم نعمة الدنيا والدين عليكم

[لعلكم تسلمون] أى لتخلصوا لله الربوبية ، وتعلموا أنه لا يقدر على هذه الإنعامات أحد سواه

[فإن تولوا فإنما عليك البلاغ المبين] أى فإن أعرضوا عن الإيمان ، ولم يؤمنوا بما جئتهم به يا محمد ، فلا ضرر عليك لأن وظيفتك التبليغ ، وقد بلغت الرسالة ، وأديت الأمانة

[يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها] أى يعرف هؤلاء المشركون نِعَم الله العديدة ، التي أنعم بها عليهم ، ويعترفون بأنها من عند الله ، ثم ينكرونها بعبادتهم غير المنعم ، وقال السدي : نعمةُ الله هي محمد (ص) ، عرفوا نبوته ، ثم جحدوها وكذبوه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وأكثرهم الكافرون] أى أكثرهم يموتون كفاراً ، وفيه إشارة إلى ان بعضهم يهتدي للإسلام ، وأما أكثرهم فمصرون على الكفر والضلال

[ويوم نبعث من كل أمة شهيدا] أى ويوم القيامة نحشر الخلائق للحساب ، ونبعث في كل أمة نبيها يشهد عليها بالإيمان أو الكفر

[ثم لا يؤذن للذين كفروا] أى لا يُؤذن للذين كفروا في الإعتذار ، لأنهم يعلمون بطلانه وكذبه

[ولا هم يستعتبون] أى لا يُطلب منهم أن يسترضوا ربهم ، بقول أو عمل ، فقد فات أوان العتاب والاسترضاء ، وجاء وقعت الحساب والعقاب ، قال القرطبي : العُتبى هي رجوع المعتوب عليه إلى ما يرضي العاتب ، وأصل الكلمة من العتب وهي الموجدة فإذا وجد عليه يقال : عَتَب ، وإذا رجع إلى مسرتك فقد أعتبئ

[وإذا رأى الذين ظلموا العذاب فلا يخفف عنهم] أى وإذا رأى المشركون عذاب جهنم ، فلا يُفتر عنهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ساعة واحدة

[ولا هم ينظرون] أى لا يُؤخرون ولا يُمهلون

[وإذا رأى الذين أشركوا شركاءهم] أى وإذا أبصر المشركون شركاءهم ، الذين كانوا يعبدونهم فى الدنيا ، ويزعمون أنهم شركاء مع الله في الألوهية

[قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك] أى هؤلاء الذين عبدناهم من دونك ، قال البيضاوي : وهذا إعتراف منهم بأنهم كانوا مخطئين في ذلك ، والتماس لتخفيف العذاب

[فألقوآ إليهم القول إنكم لكاذبون] أى أجابوهم بالتكذيب فيما قالوا ، في تقرير وتوكيد ، وذلك مما يوجب زيادة الندمً والحسرة في قلوبهم

[وألقوا إلى الله يومئذ السلم] أى استسلم أولئك الظالمون لحكم الله تعالى بعد الإباء والإستكبار في الدنيا

[وضل عنهم ما كانوا يفترون] أى بطل ما كانوا يؤمّلون ، من أن آلهتهم تشفع لهم عند الله ! ! ثم أخبر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تعالى عن مآلهم بعد أن أخبر عن حالهم فقال سبحانه :

[الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله] أى كفروا بالله وبوحدانيته ، ومنعوا الناس عن الدخول في دين الإسلام

[زدناهم عذابا فوق العذاب] أى زدناهم عذاباً في جهنم فوق عذاب الكفر ، لأنهم ارتكبوا جريمة (صد الناس) عن الهدى ، فوق جريمة الكفر ، فضوعف لهم العذاب ، جزاء وفاقاً

[بما كانوا يفسدون] أى بسبب إفسادهم في الدنيا بالكفر والمعصية

[ويوم نبعث في كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم] أى أذكر للناس ذلك اليوم وهوله ، حين نبعث في كل أمة نبيها ليشهد عليها

[وجئنا بك شهيدا على هؤلاء] أى وجئنا بك يا محمد شهيدا على أمتك

[ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء] أى ونزلنا عليك القرآن المنير ، بيانا شافيا بليغا ، لكل ما يحتاج

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الناس إليه من أمور الدين ، فلا حجة لهم ولا معذرة ، قال ابن سععود : قد بُين لنا في هذا القرآن كل علم ، وكل شيء

[وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين] أى هداية للقلوب ، ورحمة للعباد ، وبشارة للمسلمين المهتدين

[ان الله يأمر بالعدل والإحسان] أى يأمر بمكارم الأخلاق ، بالعدل بين الناس ، والإحسان إلى جميع الخلق

[وإيتاء ذي القربى] أى مواساة الأقرباء ، وخصه بالذكر اهتماما به

[وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى] أى ينهى عن كل قبيح من قول أو فعل أو عمل ، قال ابن مسعود : هذه أجمعُ آية فى القرآن لخير يمتثل ، ولشر يُجتنب والفحشاءُ : كل ما تناهى قبحُه ، كالزنى ، والشرك ، والمنكرُ : كل ما تنكره الفطرة ، والبغيُ : هو الظلم وتجاوز الحق والعدل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[يعظكم لعلكم تذكرون] أى يؤدبكم بما شرع من الأمر والنهي ، لتتعظوا بكلام خالقكم ، ربٍ العزة والجلال ! !

البلاغة :

تضمنت الآيات الكريمة وجوها من وجوه البيان والبديع نوجزها فيما يلي :

1 - الاستعارة التمثيلية [وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم . .] الآية تمثيل للوثن بالرجل الأبكم الذى لا ينتفع منه بشيء أصلا ، مع الإله القادر السميع البصير " وشتان بين الرب والصنم ، ففيها (استعارة تمثيلية) بديعة .

2 - التشبيه المرسل المجمل في [كلمح البصر] أى في المجيء والسرعة .

3 - الطبا ق بين [سرا وجهرا] وبين [يهرفون . . وينكرون] وبين [ظعنكم . . وإقامتكم] .

4 - الإيجاز بالحذف في [سرابيل تقيكم الحر] أى والبرد ، حُذِف الثاني استثناء بذكر الأول .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

5 - المقابلة اللطيفة [ان الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي] أمر بثلاثة ونهى عن ثلاثة ، وهو من المحسنات البديعية .

6 - ذكر الخاص بعد العام للإهتمام بشأنه [وإيتاء ذي القربى] بعد لفظ الإحسان الذي هو عام ، للتنبيه على أهمية الأمر.

لطيفة :

ذكر ان " أكثم بن صيفي " لما بلغه خبر الرسول (ص) انتدب رجلين فأتياه فقالا : من أنت ؟ وما أنت ؟ فقال : أنا محمد بن عبد الله ، وأنا رسول الله ، ثم تلا عليهما هذه الآية [ان الله يأمر بالعدل والإحسان . .] الآية فرجعا إلى أكثم فلما قرءا عليه الآية قال : إني أراه يأمر بمكارم الأخلاق ، وينهى عن مساوئها ، فكونوا في هذا الأمر رءوسا ، ولا تكونوا فيه أذنابا .

قال تعالى : [وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم . .] إلى قوله [إن ربك من بعدها لغفور رحيم] . من آية

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(91) إلى نهاية آية (110)

المناسبة :

لما بالغ تعالى فى الوعد والوعيد ، والترغيب والترهيب ، وذكر جملة من المكارم والفضائل ، حذّرً تعالى بعدها من نقض العهود والمواثيق ، وعصيان أوامر الله تعالى ، لأن العصيان سبب البلاء والحرمان ، ثم ذكر تعالى ما أعده لأهل الإيمان من الحياة الطيبة الكريمة في جنات الخلد والنعيم .

اللغه :

[تنقضوا] النقض ضد الإبرام ، وهو فك أجزاء الشيء بعضها من بعض

[توكيدها] التوكيد التثبيتُ يقال : توكيد وتأكيد

[أنكاثا] أنقاضا والنكث : النقض بعد القتل

[دخلا] الدخل : الدغل والخديعة والغش ، قال ابن عبيدة : كل أمر لم يكن صحيحا فهو دخَل

[ينفد] نفد الشيء ينفد فني

[أعجمى] الأعجمي الذي لا يتكلم العربية وقال

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الفراء : الأعجمي الذي في لسانه عجمة وإن كان من العرب ، والعجمي الذي أصله من العجم

[يلحدون] الإلحاد : الميل يقال لحد وألحد ، إذا مال عن القصد والاستقامة .

سبب النزول :

1 - روى أن النبي (ص) كان يجلس عند المروة إلى غلام نصراني يقال له (جبر) وكان يقرأ الكتب ، فقال المشركون : والله ما يعلمه ما يأتي به إلا (جبر الرومي) فأنزل الله عز وجل [ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر. .] الآية .

---

2 - عن ابن عباس أن المشركين أخذوا (عمار بن ياسر) وأباه (ياسرا) وأمه (سُمية) وصهيبا وبلالا فعذبوهم ، وربطت " سُميَّة " بين بعيرين ووُجىء قُبُلها بحربة فقتلت ، وقتل زوجها ياسر - وهما أول قتيلين في الإسلام - وأما عمار فأعطاهم ما أرادوا بلسانه مُكرها ، فشكا ذلك إلى رسول الله (ص) فقال له

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الرسول الكريم : كيف نجد قلبك ؟ قال : مطمئن بالإيمان ، فقال رسول الله (ص) : فإن عادوا فعد وأنزل الله [من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان] الآية .

التفسير :

[وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم] أى حافظوا على العهود التي عاهدتم عليها الرسول أو الناس ، وأدوها على الوفاء والتمام

[ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها] أى ولا تنقضوا أيمان البيعة ، بعد توثيقها بذكر الله تعالى

[وقد جعلتم الله عليكم كفيلا] أى جعلتم الله شاهدا ورقيبا على تلك البيعة

[إن الله يعلم ما تفعلون] أى عليم بأفعالكم ، وسيجازيكم عليها

[ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاَ] هذا مثل ضربه الله لمن نكث عهده ، شبهت الآية الذى يحلف ويعاهد ، ويُبرم عهده ثم ينقضه ، بالمرأة التى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تغزل غزلها وتفتله محكما ، ثم تحلُه أنكاثاَ أى أنقاضاَ ، قال المفسرون : كان بمكة امرأة حمقاء تغزل غزلها ثم تنقضه ، وكان الناس بقولون : ما أحمق هذه !!

[تتخذون أيمانكم دخلا بينكم] أى تأخزن أيمانكم خديعة ومكرا ، تخدعون بها الناس

[أن تكون أمة هى أربى من أمة] أي لأجل أن تكون أمة أكثر عددا وأوفر مالا من غيرها !! قال مجاهد : كانوا بحالفون الحلفاء فيجدون أكثر منهم وأعز ، فينقضون حلف هؤلاء ويحالفون أولئك

[إنما يبلوكم الله به] أى إنما يختبركم الله بما أمركم به من الوفاء بالعهد ، لينظر المطيع من العاصى

[وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون] أى ليجازي كل عامل! بعمله من خير وشر

[ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة] أى لو شاء الله لخلق الناس باستعداد واحد ، وجعلهم أهل ملةِ واحدة ، لا يختلفون ولا يفترون

[ولكن يضل من يشاء ويهدى من يشاء] أى ولكن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

اقتضت حكمته أن يتركهم لاختيارهم ، ناس للسعادة ، وناس للشقاوة ، فيضل من يشاء بخذلانه لهم عدلا ، ويهدي من يشاء بتوفيقه إياهم فضلا

[ولتسألن عما كنتم تعملون] أى ثم يسألكم يوم القيامة عن جميع أعمالكم ، فيجازيكم على الفتيل والقطمير

[ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم] كرره تاكيدأ ومبالغة في تعظيم شأن العهود أى لا تعقدوا الأيمان وتجعلوها خديعة ومكرا تغرون بها الناس ، لتحصلوا على بعض منافع الدنيا الفانية ((قال فى الظلال : " واتخاذ الأيمان غشا وخداعا يزعزع العقيدة في الضمير ، ويشوه صورتها في ضمائر الاخرين ، فالذي يقسم وهو يعلم أنه خادع في قسمه ، لا يمكن أن تثبت له عقيدة ولا أن تثبت له قدم على صراطها ، وهو في الوقت نفسه يشوه صورة العقيدة عند من يقسم لهم ثم ينكث ، ويعلمون أن أقسامه كانت للغش والدخل ، ومن ثم يصدهم عن سبيل الله ، بهذا المثل السيىء الذي يضربه للمؤمنين بالله "))

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فتزل قدم بعد ثبوتها] أى فتزل أقدامكم عن طريق الاستقامة وعن محجة الحق بعد رسوخها فيه ، قال ابن كثير : هذا مثل لمن كان على الاستقامة فحاد عنها ، وزل عن طريق الهدى بسبب الأيمان الحانثة ، المشتملة على الصد عن سبيل الله ، لأن الكافر إذا رأى المؤمن قد عاهده ثم غدر به ، لم يبق له وثوق بالدين ، فَيُصَدّ بسببه عن الدخول فى الإسلام ولهذا قال :

[وتذوقوا السوء بما صدتم عن سبيل الله] أى يصيبكم العقاب الدنيوي العاجل ، الذي يسوءكم لصدكم غيركم عن اعتناق الإسلام بسبب نقض العهود

[ولكم عذاب عظيم] أى ولكم في الآخرة عذاب شديد هائل في نار جهنم

[ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا] أى لا تستبدلوا عهد الله وعهد رسوله ، بحطام الدنيا الفاني

[إنما عند الله هو خير لكم إن كنتم تعلمون] أى ما

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عند الله من الأجر والثواب ، خير لكم من متاع الدنيا العاجل ، إذا كنتم تعلمون الحقيقة ، ثم علل ذلك بقوله : [ما عندكم ينفد وما عند الله باق] أى ما عندكم أيها الناس فإنه فان زائل ، وما عند الله فإنه باق دائم ، لا انقطاع له ولا نَفاد ، فآثروا ما يبقى على ما يفنى [ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون] أى ولنثيبن الصابرين بأفضل الجزاء ، ونعطيهم الأجر الوافي على أحسن الأعمال ، مع التجاوز عن السيئات ، وهذا وعد كريم من رب العزة والجلال ليكون الجزاء على أحسن العمل دون سواه [من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن] أى من فعل الخيرَ ، ذكرا كان أو أنثى ، بشرط الإيمان [فلنحيينه حياة طيبة] أى فلنحيينه في الدنيا حياة طيبة بالقناعة والرزق الحلال ، والتوفيق لصالح الأعمال ، وقال الحسن : لا تطيب الحياة لأحد إلا في الجنة ، لأنها حياة بلا موت ، وغنى بلا فقر ، وصحة بلا سقم ، وسعادة بلا شقاوة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون] أى ولنجزينهم في الآخرة بجزاء أحسن أعمالهم ، وما أكرمه من جزاء !

[فإذا قرأت القرآن] أى إذا أردت تلاوة القرآن

[فإستعذ بالله من الشيطان الرجيم] أى فاسأل الله ان يحفظك من وساوس الشيطان وخطراته ، كيلا يوسوس لك عند القراءة ، فيصدك عن تدبر القرآن والعمل بما فيه

[إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا] أى ليس له تسلط وقدرة على المؤمنين بالإغواء والكفر ، لأنهم في كنف الرحمن

[وعلى ربهم يتوكلون] أى وهم يعتمدون على الله فيما نابهم من شدائد

[إنما سلطانه على الذين يتولونه] أى إنما تسلطه وسيطرته ، على الذين يطيعونه ويتخذونه لهم وليا

[والذين هم به مشركون] أى بسبب إغوائه أصبحوا مشركين ، في عبادتهم وذبائحهم ، ومطاعمهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ومشاربهم
[وإذا بدلنا آية مكان آية] أى وإذا أنزلنا آية مكان آية وجعلناها بدلاا منها ، بأن ننسخ تلاولها أو حكمها
[والله أعلم بما ينزل] أى والله أعلم بما هو أصلح للعباد ، وبما فيه خيرهم ، فإن مثل آيات هذا الكتاب ، كمَثَل الدواء يُعطى منه للمريض جرعات ، حتى يماثل الشفاء ، ثم يستبدل بما يصلح له من أنواع أخرى من الأطعمة
[قالوا إنما أنت مفتر] أى قال الكفرة الجاهلون : انما أنت يا محمد متقول كاذب على الله
[بل أكثرهم لا يعلمون] أى أكثرهم جهلة لا يعلمون حكمة الله ، فيقولون ذلك سفها وجهلا ، قال ابن عباس : كان إذا نزلت آية فيها شدة ثم نسخت ، قال كفار قريش : والله ما محمد إلا يسخر من أصحابه ، يأمرهم اليوم بأمر ، وينهاهم غدا عنه ، وإنه لا يقول ذلك إلا من عند نفسه ، فنزلت
[قل نزله روح القدس من ربك بالحق] أى قل لهم يا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

محمد : إنما نزله جبريل الأمين من عند أحكم الحاكمين ، بالصدق والعدل

[ليثبت الذين آمنوا] أى ليثبت المؤمنين ، بما فيه من الحجج والبراهين ، فيزدادوا إيماناً ويقيناً

[وهدى وبشرى للمسلمين] أى وهداية وبشارة لأهل الإسلام ، الذين انقادوا لحكمه تعالى ، وفيه تعريض بالكفار الذين لم يستسلموا لله تعالى

[ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر] أى قد علمنا مقالة المشركين الشنيعة ، ودعواهم أن هذا القرآن من تعليم (جنر الرومي) وقد ردً تعالى عليهم بقوله :

[لسان الذى يلحدون إليه أعجمي] أى لسان الذي يزعمون أنه علمه القرآن ، وينسبون إليه التعليم أعجمى

[وهذا لسان عربي مبين] أى وهذا القرآن عربى فى غاية الفصاحة ، فكيف يمكن لمن لسانه أعجمى ، أن يُعلم محمداً هذا الكتاب العربن المبين ؟ ومن أين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

للأعجمي أن يذوق بلاغة هذا الكتاب المعجز ، في فصاحته وبيانه ؟!!

[إن الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله] أى إن الذين لا يصدقون بهذا القرآن لا يوفقهم الله لاصابة الحق ، ولا يهديهم إلى طريق النجاة والسعادة

[ولهم عذاب أليم] أى لهم في الآخرة عذاب موجع مؤلم ، وهذا تهديد لهم ووعيد على كفرهم وإفترائهم

[إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله] أى لا يكذب على الله إلا من لم يؤمن بالله ولا بآياته ، لأنه لا يخاف عقاباً يردعه ، فالكذب جريمة فاحشة لا يقدم عليها مؤمن ، وهذا رد لقولهم : [إنما أنت مفتر] أى كاذب

[وأولئك هم الكاذبون] أى وأولئك هم الكاذبون على الحقيقة ، لا محمد (ص) الرسول الأمين

[من كفر بالله من بعد إيمانه] أى : من تلفظ بكلمة الكفر ، وارتد عن الدين بعد ما دخل فيه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان] أى لكن من تلفظ بكلمة الكفر مكرها ، والحال أن قلبه مملوء إيمانا ويقينا ، والآية تغليظ لجريمة المرتد ، قال المفسرون : نزلت في (عمار بن ياسر) أخذه المشركون فعذبوه. حتى أعطاهم ما أرادوا مُنهرما ، فقال الناس : إن عمارا كفر! ا فأتى عمار رسول الله (ص) وهو يبكي ، فقال له رسول الله (ص) : كيف تجد قلبك ؟ قال : مطمئناً بالإمان قال : إن عادوا فعد . وعمار رضي الله عنه اختلط الإيمان بلحمه ودمه

[ولكن من شرح بالكفر صدرا] أى طابت نفسه بالكفر وانشرح صدره له

[فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم] أى ولهم غضب شديد مع عذاب جهنم ، إذ لا جرم أعظم من جرمهم

[ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة] أى ذلك العذاب الشديد ، بسبب أنهم آثروا الدنيا ، واختاروها على الآخرة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وأن الله لا يهدي القوم الكافرين] أى لا يوفقهم إلى الإيمانولا يعصمهم من الزيغ والضلال

[أولئك الذين طبع على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم] أى ختم على قلوبهم وأسماعهم وأبصارهم ، فجعل عليها غلافا بحيث لا تذعن للحق ، ولا تسمعه ولا تبصره

[وأولئك هم الغافلون] أى الكاملون فى الغفلة ، إذ شغلتهم الدنيا عن تدبر العواقب

[لا جرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون] أى لا شك ولا ريب فى أنهم الخاسرون في الآخرة ، لأنهم ضيعوا أعمارهم في غير منفعة تعود عليهم ، قال المفسرون : وصفهم تعالى بست صفات ، هي : (الغضب من الله ، والعذاب العظيم ، واختيارهم الدنيا على الآخرة وحرمانهم من الهدى ، والطبع على قلوبهم ، وجعلهم من الغافلين

[ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا] أى ثم إن ربك يا محمد ، للذين هاجروا في سبيل الله ، بعد ما

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فتنهم المشركون الطغاة عن دينهم بالعذاب

[ثم جاهدوا وصبروا] أى ثم جاهدوا في سبيل الله وصبروا على مشاق الجهاد

[إن ربك من بعدها لغفور رحيم] أى إن ربك بعد تلك الهجرة والجهاد ، والصبر على العذاب والمشاق ، سيغفر لهم ويرحمهم ، لأنهم مؤمنون ، مجاهدون ، صابرون " يستحقون الرحمة والمغفرة !

البلاغة :

تضمنت الآيات الكريمة من وجوه البيان والبديع ما يلى :

1 - التشبيه التمثيلي [ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها] الآية شبه تعالى من يحلف ثم لا يفى بعهده ، بالمرأة التي تغزل غزلا ثم تنقضه وهي حماقة واضحة .

2 - الاستعارة في [فتزل قدم بعد ثبوتها] استعار القدم للرسوخ فى الدين والتمكن فيه ، لأن أصل الثبات يكون بالقدم ، ولما كان الزلل عن محجة الحق يشبه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

زلل القدم وانزلاقها ، عبربه عن الانزلاق الحسى بطريق الاستعارة .

3-الطباق بين [يضل من يشاء ويهدى من يشاء] وبين [أعجمى وعربى] وبين [ينفد وباق] .

4 - جناس الاشتقاق [قرأت القرآن] وفيه مجاز مرسل من إطلاق اسم المسبب على السبب أى إذا أردت قراءة القرآن .

---

5 - الاعترأض [والله أعلم بما ينزل] الجملة اعتراضية لبيان الحكمة الإلهية في النسخ ، وفيه التفات من المتكلم إلى الغائب ، وذكر الاسم الجليل لتربية المهابة في النفس .

6 - الاستعارة اللطيفة [لسان الذي يلحدون إليه أعجمي] استعار اللسان للغة والكلام ، كقول الشاعر :

لسانُ السوء تهديها إلينا وخُنت وما حسبتُك أن تخونا ،

والعرب تستعمل اللسان بمعنى اللغة ، كقوله تعالى :

[وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه] .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لطيفة :

السر في الاستعاذة قبل قراءة القرآن ، أن القرآن هو الذكر الحكيم ، والحق المبين ، ولما كان الشيطان يثير الشبهات بوساوسه ، ويفسد القلوب بدسائسه ، أُمر(ص) بأن يستعيذ بالله ، ويلتجىء إليه عند تلاوة القرآن ، لأن قوة الإنسان تضعف عن دفعه بسهولة ، فيحتاج إلى الاستعانة بالله العلي الكبير .

قال الله تعالى : [يوم تأتي كل نفس . .] إلى قوله [ان اللله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون] . من آية (111) إلى نهاية السورة الكريمة

المناسبة :

لما ذكر تعالى حال من كفر بلسانه ، وحال من كفر بلسانه وجَنَانه ، ذكر هنا الجزاء العادل الذي يلقاه كل إنسان في الآخرة وما أعده. الله من العقاب العاجل في الدنيا لبعض المكذبين ، ثم ذكر قصة إبراهيم الأواه المنيب ، وأمر الرسول (ص) باقتفاء آثاره المجيدة ، فهو أب الأنبياء ، وإمام الحنفاء.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

اللغه :

[تجادل] تخاصم وتُحَاج

[رغدا] واسعا هنيئا بلا كلفة ولا تعب

[أنعم] جمع نعمة كالأشد جمع الشدة

[أمة] إماما جامعا لخصال الخير

[قانتاأ] مطيعا خاضعا ، من القنوت وهو الطاعة والخضوع

[اجتباه] اصطفاه واختاره

[حنيفا] الحنيف : المائل عن الأديان الباطلة إلى دين الإسلام ، من الحنف وهو الميل .

سبب النزول :

لما قُتل حمزة ومثل به المشركون في غزوة أحد قال (ص) ، حين رآه : " والله لأمثلن بسبعين منهم مكانك " فنزلت الآية الكريمة [وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به .] الآية .

التفسير :

[يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها] أى ذكرهم يوم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

القيامة ، حين تخاصم كل نفس عن ذاتها ، سعيا في خلاصها ، لا يهمها شأن غيرها

[وتوفى كل نفس ما عملت] ان تُعطى جزاء ما عملت من غير بخس ولا نقصان

[وهم لا يظلمون] أى لا ينقصون أجورهم بل يعطونها كاملة وافية

[وضرب الله مثلا قرية] هذا مثل ضربه الله لأهل مكة وغيرهم ، بقوم أنعم الله عليهم ، فأبطرتهم النعمة فعصوا وتمردوا ، فبدل الله نعمتهم بنقمة

[كانت آمنة مطمئنة] أى كان أهلها أمن واستقرار ، وسعادة ونعيم

[يأتيها رزقها رغدا من كل مكان] أى تأتيها الخيرات والأرزاق ، بسعة وكثرة من كل الجهات

[فكفرت بأنعم الله] أى لم يشكروا الله على ما أتاهم من خير ، وما وهبهم من رزق

[فأذاقها الله لباس الجوع والخوف] أى سلبهم الله نعمة الأمن والاطمئنان ، وأذاقهم الآم الخوف والجوع

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والحرمان

[بما كانوا يصنعون] أى بسبب كفرهم ومعاصيهم ، قال الرازي : وهذا مثل أهل مكة ، لأنهم كانوا في الأمن والطمأنينة والخِصب ، ثم أنعم الله عليهم بالنعمة العظيمة ، وهو محمد (ص) ، فكفروا به ، وبالغوا في إيذائه ، فعذبهم الله بالقحط والجوع سبع سنين ، حتى أكلوا الجيف والعظام

[ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه] أى ولقد جاءهم محمد بالآيات الباهرة ، والمعجزات الظاهرة ، وهو رسول منهم يعرفون أصله ونسبه ، فلم يصدّقوه ، ولم يؤمنوا برسالته ، والآية دالة على أن المراد بهم أهل مكة ، وهو قول ابن عباس :

[فأخذهم العذاب وهم ظالمون] أى فأصابتهم الشدائد والنكبات ، وهم ظالمون بإرتكاب المعاصي والآثام

[فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا] أى كلوا من نِعَم الله التي أباحها لكم ، حال كونها حلالا طيبا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[واشكروا نعمة الله ان كنتم إياه تعبدون] أى واشكروا الله على نعمه الجليلة ، ان كنتم مخلصين في إيمانكم ، لا تعبدون أحدا سواه . . ثم ذكر تعالى ما حرمه عليهم مما فيه مضرة لهم فقال :

[إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير] أى لم يحرم ربكم عليكم أيها الناس ، إلا ما فيه أذى لكم كالميتة ، والدم ، ولحم الخنزير

[وما أهل لغير الله به] أى وما ذبح على اسم غير الله تعالى ، فإن فيه أذى للنفس والعقيدة

[فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن الله غفور رحيم] أى فمن اضطر لأكل ما حرم الله من المذكورات ، من غير بغي ولا عدوان ، فإن الله واسع المغفرة عظيم الرحمة ، لا يؤاخذ من كان مضطرا! ! ثم وبخ تعالى المشركين ، الذين حللوا وحرموا من تلقاء أنفسهم فقال سبحانه :

[ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام] أى لا تقولوا أيها المشركون في شأن ما تصفه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ألسنتكم من الكذب : هذا حلال وهذا حرام ، من غير دليل! ولا برهان

[لتفتروا على الله الكذب] أى لتكذبوا على الله بنسبة ذلك إليه

[إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون] أى إن الذين يختلقون الكذبَ على الله ، لا يفوزون ولا يظفرون بمطلوبهم ، لا في الدنيا ولا في الآخرة

[متاع قليل ولهم عذاب أليم] أى انتفاعهم واستمتاعهم في الدنيا قليل لأنه زائل ، ولهم في الآخرة عذاب مؤلم ، ثم ذكر تعالى ما حرم على اليهود فقال :

[وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل] أى وعلى اليهود خاصة ، حرمنا عليهم ما قصصنا عليك يا محمد ، مما سبق ذكره في سورة الأنعام عقوبةً لهم ، وهي شحوم (البقر ، والغنم ، وكل ذي ظفر)

[وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون] أى وما ظلمناهم بذلك التحريم ، ولكن ظلموا أنفسهم فاستحقوا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ذلك ، كقوله تعالى : [فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم]

[ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة] أى ثم إن ربك يا محمد للذين ارتكبوا تلك القبائح ، بجهل وسفه

[ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا] أى لم رجعوا إلى ربهم وأنابوا ، وأصلحوا العمل ، بعد ذلك الزلل

[إن ربك من بعدها لغفور رحيم] أى إنه تعالى واسع المغفرة عظيم الرحمة ، والآية تأنيس لجميع الناس ، وفتح لباب التوبة أمام العصاة

[إن إبراهيم كان أمة] أى إنَّ إبراهيم كان إماما قدوةَ ، جامعاَ لخصال الخير ، ولذلك اختاره الله لخلته

[قانتاً لله] أى مطيعاً لربه قائما بأمره

[حنيفا] أى مائلا عن كل دين باطل ، إلى الدين الحق ، دين الإسلام

[ولم يك من المشركين] تأكيد لما سبق ورد على اليهود والنصارى في زعمهم أن إبراهيم كان يهوديا أو نصرانياَ

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[شاكرا لأنعمه] أى قائما بشكر نعم الله

[اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم] أى اختاره واصطفاه للنبوة ، وهداه إلى الإسلام ، وإلى عبادة الواحد الديان

[وآتيناه في الدنيا حسنة] أى جعلنا له الذكر الجميل في الدنيا

[وأنه في الآخرة لمن الصالحين] أى وهو في الآخرة من أصحاب الدرجات الرفيعة ، وفي أعلى مقامات الصالحين

[ثم أوحينا إليك أن آتبع ملة إبراهيم حنيفا] أى ثم أمرناك يا محمد باتباع دين إبراهيم ، وملته الحنيفية السمحة ،

[وما كان من المشركين] أى وما كان يهودياً أو نصرانياً ، وإنما كان حنيفا مسلما ، وهو تأكيد آخر لرد مزاعم اليهود والنصارى أنهم على دينه

[إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه] أى لم يكن تعظيم يوم السبت ، وتركُ العمل فيه من شريعة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إبراهيم ، ولا من شعائر دينه ، وانما جُعِل تغليظاً على اليهود ، لإختلافهم في الدين وعصيانهم أمر الله ، حيث نهاهم عن الاصطياد فيه ، فاصطادوا فمسخهم الله قردة وخنازير

[وإن ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون] أي وسيفصل الله تعالى بينهم يوم القيامة ، فيجازي كلا بما يستحق من الثواب أو العقاب

[ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة] أي ادع ياأيها الرسولُ الناس إلى دين الله ، وشريعته القدسية ، بالأسلوب الحكيم ، واللطف واللين ، بما يؤثر فيهم وينجع ، لا بألزجر والتأنيب ، والقسوة والشدة

[وجادلهم بالتي هي أحسن] أي وجادل المخالفين بالطريقة التي هي أحسن ، من طرق المناظرة والمجادلة ، بالحجج والبراهين ، والرفق واللين

[إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بالمهتدين] أى إن ربك يا محمد هو العألم بحال الضالين ، وحال المهتدين ، فعليك أن تسلك الطريق الحكيم ، في دعوتهم ومناظرلهم ، وليس عليك هداهم ، إنما عليك البلاغ وعلينا الحساب

[وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به] أى وإن عاقبتم أيها المؤمنون مَن ظَلَمكم ، واعتدى عليكم ، فعاملوه بالمثل ولا تزيدوا ، قال المفسرون : نزلت في شأن (حمزة بن عبد المطلب) لما بقر المشركون بطنه يوم أُحد ، فقال النبي (ص) : لئن أظفرني الله بهم لأمثلن بسبعين منهم

[ولئن صبرتم لهو خير للصابرين] أى ولئن عفوتم وتركتم القصاص ، فهو خير لكم وأفضل ، وهذا ندبَ إلى الصبر ، وترك عقوبة من أساء ، فإن العقوبة مباحة ، وتركها أفضل

[واصبر وما صبرك إلا بالله] أى واصبر يا محمد على ما ينالك من الأذى في سبيل الله ، فما تنال هذه المرتبة الرفيعة ، إلا بمعونة الله وتوفيقه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ولا تحزن عليهم] أى لا تحزن على الكفار إن لم يؤمنوا

[ولا تك فى ضيق مما يمكرون] أى ولا يضق صدرك بما يقولون ، من السفه والجهل ، ولا بما يدبرون من المكر والكيد

[إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون] أى إنه سبحانه مع المتقين ، بمعونته ونصره ، ومع المحسنين بالحفظ والرعاية ، ومن كان الله معه فلن يضره كيد الكائدين !

البلاغة :

تضمنت الآيات من صنوف البيان والبديع ما يلي :

1 - الاستعارة المكنية [فأذاقها الله لباس الجوع والخوف] شبه ذلك اللباس من حيث الكراهية بالطعم المر البشع ، وحذف المشبه به ورمز اليه بشيء من لوازمه وهو الاذاقة على طريق الاستعارة المكنية.

2 - الطباق بين [حلال . . وحرام] .

3 - الإلتفات [وآتيناه فى الدنيا حسنة] التفت عن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الغيبة إلى التكلم اشارة إلى زيادة الاعتناء بشأنه وتفخيم أمره .

4 - التشبيه البليغ [كان أمة] أى كان بمفرده كالأمة والجماعة الكثيرة لجمعه أوصاف الكمالات التي تفرقت في الخلق كما قال الشاعر :

" وليسى على الله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد "

تنبيه :

دل قوله تعالى [وجادلهم بالتى هي أحسن] على الحث على الإنصات في المناظر ، واتباع الحق ، والرفق والمدارة ، على وجه يظهر منه أن القصد إثبات الحق وإزهاقُ آلباطل ، لا نصرة الرأى وهزيمة الرأى الأخر .

سورة الإسراء

مكية وآياتها إحدى عشرة ومائة آية

بين يدي السورة

سورة الإسراء من السور المكية التي تهتم بشئون

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

العقيدة ، شأنها كشأن سائر السورة المكية من العناية بأصول الدين (الوحدانية ، والرسالة ، والبعث) ولكن العنصر البارز في هذه السورة الكريمة هو (شخصية الرسول) ، ، وما أى ده الله به من المعجزات الباهرة ، والحجج القاطعة ، الدالة على صدقه عليه الصلاة والسلام .

* تعرضت السورة الكريمة لمعجزة (الإسراء) التى كانت مظهرا من مظاهر التكريم الإلهى ، لخاتم الأنبياء والمرسلين ، وآية باهرة تدل على قدرة الله جل وعلا في صنع العجائب والغرائب.

* وتحدثت عن بني إسرائيل ، وما كتب الله عليهم من التشرد في الأرض مرتين ، بسبب طغيانهم وفسادهم ، وعصيانهم لأوامر الله [وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن فى الأرض مرتين . .] الآيات .

* وتحدثت عن بعض الآيات الكونية ، التي تدل على العظمة والوحدانية ، وعن النظام الدقيق الذي يحكم الليل والنهار ، ويسير وفق ناموسٍ ثابت لا يتبدل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وجعلنا الليل والنهار آيتين ، فمحونا آية الليل . .] الآيات .

* وتعرضت السورة إلى بعض الآداب الاجتماعية ، والأخلاق الفاضلة الكريمة ، فحثت عليها ، ودعت إلى التحلى بها ، ليكون هناك المجتمع المثالي الفاضل الذي ينشده الإسلام ، بدءا من قوله تعالى : [وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه .] الآيات .

* وتحدثت عن ضلالات المشركين ، حيث نسبوا إلى الله تعالى الصاحبة والولد ، والعجيب في أمرهم أنهم يكرهون البنات ، ثم ينسبونها إلى العلي الكبير ، المنزه عن الشبيه والنظير [أفأصفاكم ربكم بالبنين وإتخذ من الملائكة إناثا ؟ إنكم لقولون قولا عظيماً . .] الآيات .

* وتحدثت عن البعث والنشور ، والمعاد والجزاء ، الذي كثر حوله الجدل ، وأقامت الأدلة والبراهين على إمكانه ، ثم تحدثت عن القرآن العظيم (معجزة محمد (ص) الخالدة) ، وذكرت تعنت المشركين في اقتراحاته حيث طلبوا معجزة أخرى غير القرآن ، أن يفجر لهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الأنهار ، ويجعل لهم مكة حدائق وبساتين [وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا .]

الآيات .

* ثم ختمت السورة بتنزيه الله عن الشريك والولد ، وعن صفات النقص والعجز ، واتصافه بالعزة والكبرياء [وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولى من الذل وكبره تكبيرا] .

التسمية :

سميت السورة الكريمة (سورة الإسراء) لتلك المعجزة الباهرة معجزة الإسراء التى خص الله تعالى بها نبيه الكريم خاتم النبيين (ص) ، احتفاء به ، وتكريما له ، على صبره ، وتحمله ضروب البلاء والأذى ، في سبيل تبليغ دعوة الله ، وانها لحفاوة عظيمة ان يُسرى به إلى بيت المقدس ، ثم أن يُصعد به إلى السماء ، لم ينلها قبله أحد من الأنبياء .

اللغة :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[سبحان] اسم للتسبيح ومعناه تنزيه الله تعالى من كل سوء ونقص وهو خاص به سبحانه

[أسرى] الإسراء : السيرُ ليلا يقال : أسرى وسرى لغتان ، قال الشاعر : سريتَ من حَرَم ليلاً إلى حَرَمٍ كما سَرَى البدرُ في دَاج من الظلَم

[فجاسوا] قال الزجاج : طافوا ، والجَوسُ : الطواف بالليل والتردد والطلب مع الإستقصاء وقال الواحدي : الجوسُ هو ا لتردد والطلب

[الكرة] الدولة والغَلَبة

[تتبيرا] هلاكا ودمارا

[محونا] طمسنا قال علماءُ اللغة : المحوُ إذهاب الأثر يقال محوتهً فانمحى أى ذهب أثره

[طائره] عمله المقدر عليه ، سمي الخير والشر بالطائر ، لأن العرب كانوا يتفاءلون ويتشاءمون بالطير إذا طار جهة اليمين أو الشمال

[مترفيها] المُترفُ : المتنعمُ الذي أبطرته النعمةُ وسَعَة العيش

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[يصلاها] يدخلها ويذوق حرَّها
[مدحورا] مطروداً مبعداً من رحمة الله . تفسير
سورة الإسراء
التفسير :

[سبحان الذى أسرى بعبده ليلا] أى تنزه وتقدس عما لا يليق بجلاله ، الله العلى الشأن ، الذي انتقل بعبده ونبيه محمد (ص) فى جزء من الليل
[من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى] أى من مكة المكرمة إلى بيت المقدس ، وسمي بالأقصى لبعد المسافة بينه وبين المسجد الحرام ، قال المفسرون : وإنما قال : [ليلا] بلفظ التنكير لتقليل مدة الإسراء ، وأنه قطع به المسافات الشاسعة البعيدة في جزء من الليل وكانت مسيرة أربعين ليلة ، وذلك أبلغ في القدرة والإعجاز ، ولهذا كان بدء السورة بلفظ [سبحان] الدال على كمال القدرة ، وبالغ الحكمة ، ونهاية تنزهه تعالى عن صفات المخلوقين ، وكان الإسراء بالروح

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والجسد ، يقظة لا مناما ، لأن لفظ العبد يُطلق على الإنسان كاملا - روحا وجسدا - ولو كان بالمنام ، لما كان هناك من يشك أو يكذِّب من المشركين ، حيث ارتد بعض ضعفاء الإيمان ، حينما سمعوا بحادثة الإسراء

[الذي باركنا حوله] أى الذي باركنا حوله بأنواع البركات الحسية والمعنوية ، بالثمار والأنهار التي خص الله بها بلاد فلسطين ، وبكونه مقر الأنبياء ومهبط الملائكة الأطهار

[لنريه من آياتنا] أى لنريَ محمدا (ص) آياتنا العجيبة العظيمة ، ونطلعه على ملكوت السموات الأرض ، فقد رآى صلوات الله عليه (ص) السموات العُلى ، والجنة والنار ، وسدرة المنتهى ، والملائكة والأنبياء) وغير ذلك من العجائب والآيات التي تدل على قدرة الله تعالى

[إنه هو السميع البصير] أى إنه تعالى هو السميع لأقوال محمد (ص) البصير بأفعاله ، فلهذا خصه بهذه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الكرامات والمعجزات ، إحتفاءً وتكريما له

[وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني إسرائيل] أى أعطينا موسى التوراة هداية لبني إسرائيل ، يخرجهم بواسطة ذلك الكتاب ، من ظلمات الجهل والكفر ، إلى نور العلم والإيمان

[ألا تتخذوا من دونى وكيلا] أى لا تتخذوا لكم رباَ تكلون إليه أموركم ، سوى الله الذي خلقكم ، قال المفسرون : لما ذُكر (المسجدُ الأقصى) وهو قلب الأرض المقدسة ، التي أسكنها الله بني إسرائيل ، جاء الحديث عنهم في مكانه المناسب من سياق السورة

[ذرية من حملنا مع نوح] أى يا ذرية ويا أبناء المؤمنين ، الذين كانوا مع نوح في السفينة ، لقد نجينا آباءكم من الغرق ، فاشكروا الله على إنعامه

[إنه كان عبدا شكورا] أى إن نوحا كان كثير الشكر ، يحمد الله على كل حال فاقتدوا به ، وفي النداء لهم ، تلطف بديع ، وتذكير بنعمة الله الجليلة عليهم

[وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب] أى أخبرناهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وأعلمناهم ، وأوحينا إليهم في التوراة

[لتفسدن في الأرض مرتين] أى ليحصلن منكم الإفساد في أرض فلسطين وما حولها مرتين ((قضاء الله على بنى إسرائيل بالإفساد مرتين ليس قضاء قهر وإلزام ، وإنما هو إخبار من الله تعالى بما سيكون منهم حسب ما وقع قي علمه الإلهي الأزلي)) قال ابن عباس : أول الفساد قتل زكريا والثاني قتل يحيى عليهما السلام

[ولتعلن علوا كبيرا] أى تطغون في الأرض المقدسة طغيانا كبيرا ، بالظلم والعدوان وانتهاك محارم الله

[فإذا جاء وعد أولاهما] أى أُولى المرتين من الإفساد

[بعثنا عليكم عبادا لنا] أى سلك عليكم من عبيدنا أنسانا جبارين للانتقام منكم

[أولي بأس شديد] أى أصحاب قوة وبطش فى الحرب شديد ، قال المفسرون : إن بني إسرائيل لما استحلوا المحارم ، وسفكوا الدماء ، سلط الله عليهم (بختنصر) المجوسي ، ملك بابل فقتل منهم سبعين ألفا ، حتى كاد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يفنيهم ، وذلك أول الفسادين
[فجاسوا خلال الديار] أى طافوا وسط البيوت ، يروحون ويغدون للتفتيش عنكم ، واستئصالكم بالقتل والسلب والنهب ، لا يخافون من أحد
[وكان وعدا مفعولا] آى كان ذلك التسليط والانتقام قضاء جزما حتما ، لا يقبل النقض والتبديل

[ثم رددنا لكم الكرة عليهم] آى ثم لما تبتم وأنبتم أهلكنا أعداءكم ، ورددنا لكم الدَّولةَ والغلبة عليهم ، بعد ذلك البلاء الشديد
[وأمددناكم بأموال وبنين] أى أعطيناكم الأموال الكثيرة والذرية الوفيرة بعد أن نُهبت أموالكم ، وسُبيت أولادكم
[وجعلناكم أكثر نفيرا] أى جعلناكم أكثر عددا ورجالا من عدوكم ، لتستعيدوا قوتكم وتبنوا دولتكم
[إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم] أى إن أحسنتم يا بني إسرائيل فإحسانكم لأنفسكم ، ونفعه عائد عليكم ، لا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ينتفع الله منها بشيء

[وإن أسأتم فلها] أى وإن أسأتم فعليها ، لا يتضرر الله بشيء منها ، فهو الغني عن العباد ، لا تنفعه الطاعة ولا تضره المعصية

[فإذا جاء وعد الآخرة] أى فإذا جاء وعد المرة الأخيرة من إفسادكم ، بطغيانكم وفجوركم ، وانتهاك محارم الله ، بعثنا عليكم أعداءكم مرة ثانية

[ليسوءوا وجوهكم] أى بعثناهم ليهينوكم ويجعلوا آثار المساءة والكآبة ، بادية على وجوهكم ، بالإذلال والقهر

[وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة] أى وليدخلوا حرم (بيت المقدس) فيخربوه كما خربوه أول مرة

[وليتبروا ما علوا تتبيرا] أى وليدمروا ويهلكوا ما غلبوا عليه تدميرا! ! وقد سلط الله عليهم (مجوس الفرس) فشردوهم في الأرض وقتلوهم ودمروا مملكتهم تدميرا

[عسى ربكم أن يرحمكم] أى لعل الله أن يرحمكم ويغفرعنكم ، إن تبتم وأنبتم ، وهذا وعد منه تعالى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بكشف العذاب عنهم إن رجعوا إلى الله و[عسى] من الله واجبة

[وان عدتم عدنا] أى وإن عدتم إلى الإفساد والإجرام ، عدنا إلى العقوبة والانتقام

[وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا] أى وجعلنا جهنم محبسا وسجنا للكافرين ، لا يقدرون على الخروج منها أبد الآبدين . . ثم بين تعالى مزية التنزيل الكريم ، المنزل على خاتم الأنبياء والمرسلين ، الذي فاق بها سائر الكتب السماوية ، فقال سبحانه :

[إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم] أى إن هذا القرآن العظيم ، يهدي لأقوم الطرق وأوضح السبل ، ولما هو أعدل وأصوب

[ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا] أى ويبشر المؤمنين الذين يعملون بمقتضاه ، بالأجر العظيم في جنات النعيم

[وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذابا أليما] أى ويبشرهم بأن لأعدائهم الذين لا يصدّقون بالآخرة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

العقاب الأليم في دار الجحيم ، وقد جمعت الآية بين الترغيب والترهيب

[ويدع الإنسان بالشر دعاءه بالخير] أى يدعو بالشرعلى نفسه ، كدعائه لها بالخير ، ولو استجيب له في الشر ، كما يستجاب له في الخير لهلك ، قال ابن عباس : هو دعاء الرجل على نفسه وولده عند الضجر ، بما لا يحب أن يستجاب له ، يقول : اللهم أهلكه ، اللهم دمره ، ونحوه

[وكان الإنسان عجولا] أى ومن طبيعة الإنسان العجلة ، يتعجل بالدعاء على نفسه ، ويسارع لكل ما يخطر بباله ، دون النظر فى عاقبته ! ! ثم أشار تعالى إلى آيات الله الكريمة في هذا الوجود ، التي كل منها برهانْ نير على وحدانية الله ، فقال سبحانه :

[وجعلنا الليل والنهار آيتين] أى علامتين عظيمتين على وحدانيتنا وكمال قدرتنا

[فمحونا آية الليل] أى طمسنا الليل فجعلناه مظلماَ لتسكنوا فيه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وجعلنا آية النهار مبصرة] أى جعلنا النهار مضيئا مشرقا بالنور ليحصل به الإبصار
[لتبتغوا فضلا من ربكم] أى لتطلبوا في النهار أسباب معايشكم
[ولتعلموا عدد السنين والحساب] أى ولتعلموا عدد الأيام والشهور الأعوام ، بتعاقب الليل والنهار ، فالليل للراحة والسكون ، والنهار للكسب والسعي
[وكل شيء فصلناه تفصيلا] أى وكل أمر من أمور الدنيا والدين ، بيناه أحسن تبيين ، وليس شىء من أمر هذا الوجود ، متروكا للمصادفة والجُزاف ، وإنما هو بتقدير وتدبير حكيم

[وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه] أى كل إنسان مرهون بعمله ، مجزي به ، وعملُه ملازم له لزوم القلادة للعُنق ، لا ينفك عنه أبدا
[ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا] أى نظهر له في الآخرة كتاب أعماله مفتوحا ، فيه حسناته

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وسيأته ، فيرى عمله مكشوفا لا يملك إخفاءه أو تجاهله [اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا] أى يُقال له : اقرأ كتاب عملك ، كفى أن تكون نفسُك اليوم شهيدا عليك بما عملتَ ! ! لا تحتاج إلى شاهد أو حسيب

[من اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها] أى من اهتدى فثواب اهتدائه له ، ومن ضل فعقاب كفره وضلاله عليها

[ولا تزر وازرة وزر أخرى] أى لا يحمل أحد ذنب أحد ، ولا يجني جانٍ إلا على نفسه

[وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا] أى وما كنا معذبين أحدا من الخلق ، حتى نبعث لهم الرسل ، مذكرين ومنذرين ، فتقوم عليهم الحجة

[وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها] أى وإذا أردنا هلاك قوم من الأقوام ، أمرنا المتنعمين فيها والقادة والرؤساء بالطاعة ، على لسان رسلنا ، فعصوا أمرنا ، وخرجوا عن طاعتنا وفسقوا وفجروا ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ففي الآية محذوف ، دل عليه السياق ، لقديره : أمرناهم بالعبادة والطاعة ، وسلوك طريق الأنبياء والمرسلين ، فعصوا الأمر ، وفسقوا وفجروا ، لأن الله لا يأمر بالفحشاء ، وهذا كما يقول السيد وهو يضرب عبده : أمرتُه فعصاني ، أى أمرته بأمر فعص أمري وعصاني ، فتنبه لهذا والله يرعاك ! !
[فحق عليها القول فدمرناها تدميراً] أى فوجب عليهم العذاب بالفسق والطغيان ، فأهلكناهم إهلاكا مريعا ، قال ابن عباس : [أمرنا مترفيها ففسقوا فيها] أى سلك أشرارها فعصوا فيها فإذا فعلوا ذلك أهلكهم الله بالعذاب
[وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح] أى وكثير من الأمم الطاغية المكذبين للرسل ، أهلكناهم من بعد نوح كقوم (عاد وثمود وفرعون) قال ابن عباس : والآية إنذار لكفار قريش ، والمعنى : إنكم أيها المكذبون ، لستم أكرم على الله منهم ، وقد كذبتم أشرف الرسل وأكرم الخلائق ، فعقوبتكم أولى وأحرى
[وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا] أى كفى يا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

محمد أن يكون ربك رقيبا على أعمال العباد ، يدرك بواطنها وظواهرها ويجازي عليها

[من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد] أى من كان يريد بعمله الدنيا فقط ، ولها يعمل ويسعى ، ليس له هم إلا الدنيا ، عجلنا له فيها ما نشاء تعجيله من نعيمها ، لا كل ما يريد

[ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا] أى ثم جعلنا له في الآخرة ، جهنم يدخلها مهانا حقيرا ، مطرودا من رحمة الله

[ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن] أى ومن أراد الدار الآخرة ، وما فيها من النعيم المقيم ، وعمل لها عملها الذي يليق بها ، من الطاعات وهو مؤمن صادق الإيمان

[فأولئك كان سعيهم مشكوراَ] أى فأولئك الجامعون للخصال الحميدة ، من الإخلاص ، والعمل الصالح ، والإيمان ، كان عملهم مقبولا عند الله أحسن القبول ، مثابا عليه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك] أى كل واحد من الفريقين الذين أرادوا الدنيا ، والذين ارادوا الآخرة ، نعطيه من عطائنا الواسع تفضلا منا وإحسانا ، فنعطي المؤمن والكافر ، والمطيع والعاصي

[وما كان عطاء ربك محظورا] أى ما كان عطاؤه تعالى محبوسا ممنوعا عن أحد

[انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض] أى انظر يا محمد كيف فاوتنا بينهم ، في الأرزاق والأخلاق ، قي هذه الحياة الدنيا! ! فهذا غني وذاك فقير ، وهذا شريف وذاك حقير

[وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا] أى ولتفاوتُهم في الدار الآخرة أعظم من التفاوت في هذا الدار ، لأن الآخرة دار القرار (وفيها ما لا عين رأت ، ولا أُذُن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر) كما ورد في الحديث الشريف

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[لا تجعل مع الله الها آخر] أى لا تجعل مع الله شريكى ، ولا تتخذ غيره إلها تعبده

[فتقعد مذموما مخذولا] أى فتصير ملوما عند الله ، مخذولا مهانلا عنده ، لا ناصر لك ولا معين !

البلاغة :

تضمنت الآيات الكريمة وجوها من البيان والبديع نوجزها فيما يلي :

1 - براعة الاستهلال [سبحان الذي أسرى] لأنه لما كان أمرا خارقا للعادة ، بدأه بلفظ يشير إلى كمال القدرة ، وتنزه الله عن صفات النقص بقوله (سبحان) .

2 - إضاقة التكريم والتشريف [بعبده] أضافه تعالى إليه تكريما وتشريفا .

3 - جناس الاشتقاق [ولتعلن ، علوا] [تزر ، وازرة] .

4 - الطباق بين [أحسنتم . . وأسأتم] وبين [ضل . . واهتدى] .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

5 – الإيجاز بالحذف [اقرأ كتابك] أى يقال له يوم القيامة اقرأ كتابك [أمرنا مترفيها] أى أمرناهم بطاعة الله فعصوا وفسقوا فيها.

6 - المجاز العقلي [آية النهارمبصرة] لأن النهار لا يُبصِر ، بل يُبصَر فيه فهو من إسناد الشيء إلى زمانه ، ففيه (مجاز عقلي) ، يدرَك بالعقل .

7 - الاستعارة اللطيفة [طائره في عنقه] استعير الطائر لعمل الإنسان ، ولما كان العرب يتفاءلون ويتشاءمون بالطير ، سموا نفس الخير والشر بالطأئر بطريق الاستعارة .

لطيفه :

الحكمة فى إسرائه إلى بيت المقدس ، ثم عروجه من بيت المقدس إلى السموات العلى ، أنه مجمع أرواح الأنبياء ، وموطن تنزل الوحي الإلهي على الرسل الكرام ، ولما كانت هذه الرحلة (رحلة تكريم) لسيد الأنبياء ، أراد تعالى أن يشرفهم بزيارته ، ولهذا صلى الرسول بهم إماما صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تنبيه :

وصفه تعالى في هذه السورة بالعبودية [أسرى بعبده] لأنه أشرف المقامات وأسمى المراتب العلية ، كما وصفه في مقام الوحي كذلك [فأوحى إلى عبده ما أوحى] وفي مقام الدعوة [وأنه لما قام عبد الله يدعوه] ولهذا قال القاضي عياض : ومما زادني شرفاً وتيهاً وكدتُ بأخمصي أطأ الثريا دخولي تحت قولك يا عبادي وان صرت أحمد لي نبياً

قال الله تعالى : [وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالين إحسانا . .] إلى قوله [فضلوا فلا يستطيعون سبيلا] . من آية (23) إلى نهاية آية (48) .

المناسبة :

لما جعل تعالى الإيمان والعملَ الصالح أساسا للفوز بالسعادة الأبدية ، وبين حال المؤمن الذي أراد بعمله الدار الآخرة ، ذكر هنا طائفة من الأوامر والزواجر ، التي يقوم عليها بنيان المجتمع الفاضل ، ثم ذكر تعالى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

موقف المشركين المكذبين من هذا القرآن العظيم .

اللغة :

[أف] كلمة تضخر وتبرم ، قال ابن الأعرابي الأف : الضجر ، وأصلها أنه إذا سقط تراب أو رماد فنفخ الإنسان ليزيله ، فالصوت الحاصل هو " أُف " لم توسعوا في الكلمة ، حتى أصبحت تقال لكل مكروه

[تنهرهما] النفرُ : الزجرُ والغِلظة

[آلأوابين] جمع أواب وهو كثير التوبة وا لإنابة ، من الأوب بمعنى الرجوع

[محسورا] منقطعاً عن النفقة والتصرف ، قال الفراء : تقول العرب للبعير هو محسور إذا انقطع سيره ، وحَسَرت الدابة إذا انقطعت عن المسير لذهاب قوتها ، فشُبه حال من أنفق كل ماله ، بمن انقطع في سفره بسبب انقطاع مطيته

[إملاق] فقر وفاقة ، أملق الرجل إذا افتقر

[خِطأ] قال الأزهري : خَطِىءَ يَخطَأ خِطأ إذا تعمد الخطأ ، وأخطأ إذا لم يتعمد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[الفسطاس] الميزان مأخوذ من القسط وهو العدل

[تقف] تتبّغ مأخوذ من قفوتُ أثر فلان إذا اتبعت أثَره ، وأصله البهتُ والقذف بالباطل

[مرحا] آلمَرَح : شدة الفرح والمراد به هنا التكبر والخيلاء

[صرفنا] بينا

[أكنة] جمع كِنان وهو الغطاء الذي يستر الشيء

[وقرا] صمما وثقلا .

التفسير :

[وقضى ربك ألا تعبد إلا إياه] أى حكم تعالى وأمر بأن لا تعبدوا إلهاً غيره ، وقال مجاهد : [وقضى] يعني وصى بعبادته وتوحيده

[وبالوالدين إحساناَ] أى وأمر بأن تحسنوا إلى الوالدين إحساناً ، قال المفسرون : قرن تعالى بعبادته بر الوالدين ، لبيان حقهما العظيم على الولد لأنهما السبب الظاهر لوجوده وعيشه ، ولما كان إحسانهما

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إلى الولد ، قد بلغ الغاية العظيمة ، وجب أن يكون إحسان الولد إليهما كذلك

[إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما] أى قد أوصيناك بهما ، وبخاصة إذا كبرا أو كبر أحدهما ، وإنما خص حالة الكِبَر ، لأنهما حينئذ أحوج إلى البر ، والقيام بحقوقهما لضعفهما ، ومعنى [عندك] أى في كنفك وكفالتك

[فا تقل لهما أف] أى لا تقل للوالدين أقل كلمة تظهر الضجر ، ككلمة أف ولا تسمعهما قولا سيئا حتى ولو بكلمة التأفف

[ولا تنهرهما] أى لا تزجرهما بإغلاظِ فيما لا يعجبك منهما

[وقل لهما قولا كريما] أى قل لهما قولا حسنى ، لينا طيبا ، بأدب ووقار وتعظيم

[واخفض لهما جناح الذل من الرحمة] أى ألن جانبك وتواضع لهما بتذلل وخضوع ، من فرط رحمتك وعطفك عليهما

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا] أى ادع لهما بالرحمة وقل في دعائك : يا رب أرحم والدي برحمتك الواسعة ، كما أحسنا إلي في تربيتهما حالة الصغر

[ربكم أعلم بما فى نفوسكم] أى ربكم أيها الناس أعلم بما في ضمائركم ، من إرادة البر ، أو العقوق

[إن تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين غفورا] أى إن تكونوا قاصدين للبر والصلاح ، دون العقوق والفساد ، فإنه جل وعلا يتجاوز عن سيئاتكم ، ويغفر للأوابين ، أى التوابين الذين كلما أخطأوا عادوا إلى ربهم مستتفرين ، وبمناسبة الإحسان إلى الوالدين ، يأمر تعالى بالإحسان إلى الأقارب والضعفاء والمساكين

[وآت ذا القربى حقه] أى أعط كل من له قرابة بك ، حقَّه من البر والإحسان

[والمسكين وابن السبيل] أى وأعط المسكين المحتاج ، والغريبَ المنقطع فى سفره حقَّه أيضا

[ولا تبذر تبذيرا] أى لا تنفق مالكَ في غير طاعة الله فتكون مبذرا ، والتبذير الإنفاق في غير حق ، قال

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مجاهد : لو أنفق إنسان ماله كله في الحق ، لم يكن مبشرا ، وقال قتادة : التبذير النفقة في معصية الله تعالى ، وفي غير الحق ، وفي الفساد

[إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين] هذا تعليل للنهي وهو غاية في الذم والتقبيح ، أى إن المبذرين كانوا أمثال الشياطين ، وأشباههم في الإفساد ، لأنهم ينفقون في الباطل ، وينفقون في الشر والمعصية ، فهم أمثالهم

[وكان الشيطان لربه كفورا] أى مبالغاً في كفران نعمة الله ، لا يؤدي حق النعمة ، كذلك إخوانه المبذرون لا يؤدون حق النعمة ، وحقُها أن ينفقوها في الطاعات والحقوق ، غير بخلاء ولا مبذرين

[وإما تعرضن عنهم إبتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا] أى إن أعرضت عن ذوي القربى والمساكين وابن السبيل ، إذا لم تجد ما تعطيهم ، فقل لهم قولا سهلا لينا ، وعدهم وعداً جميلا

[ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك] الآية تمثيل للبخل ، أى لا تكن بخيلا منوعا لا تعطى أحدا شيئا ، كمن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

حُبِست يده عن الإنفاق وشدت إلى عنقه

[ولا تبسطها كل البسط] تمثيل للتبذير أى ولا تتوسع في الإنفاق توسعا مفرطا ، بحيث لا يبقى في يدك شيء ، والغرض من الآية لا تكن بخيلا ولا مسرفاً

[فتقعد ملوما محسورا] أى فتصير مذموما من الخلَق والخالق ، منقطعا من المال ، كمن انقطع في سفره بانقطاع مطيته

[إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر] أى يوسع الرزق على من يشاء ، ويضيِّق على من يشاء ، وهو القابض ، الباسط ، المتصرف في خلقه ، بما يشاء حسب الحكمة

[إنه كان بعباده خبيرا بصيرا] أى إنه عالم بمصالح العباد ، فالتفاوت في الأرزاق ليس لأجل البخل ، بل لأجل رعاية المصالح ، فهو تعالى يعلم من مصالحهم ما يخفى عليهم

[ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق] أى لا تُقدموا على قتل أولادكم مخافة الفقر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[نحن نرزقهم وإياكم] أى رزقُهم علينا لا عليكم ، فنحن نرزقهم ونرزقكم ، فلا تخافوا الفقر بسببهم

[إن قتلهم كان خطأ كبيرا] أى قتلُهم ذنب عظيم وجرم خطير ، قال المفسرون : كان أهل الجاهلية يئدون البنات مخافة الفقر أو العار ، فنهاهم الله عن ذلك وضمن أرزاقهم

[ولا تقربوا الزنى] أى لا تدنوا من الزنى ، واللفظ أبلغ من " لا تزنوا " لأنه يفيد النهي عن مقدمات الزنى ، كاللمس ، والقُبلة ، والنظرة ، والغمز ، وغير ذلك مما يجر إلى الزنى ، فالنهي عن القرب أبلغ من النهي عن الفعل

[إنه كان فاحشة] أى إن الزنى كان فعلة قبيحة متناهية في القبح

[وساء سبيلا] أى ساء طريقا موصلا إلى جهنم

[ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق] أى لا تقتلوا نفسا حرم الله قتلها ، بغير حق شرعي موجب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

للقتل كالمرتد ، والقاتل عمدا ، والزاني المحصن
[ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا] أى ومن قُتل ظلما بغير حقٍ يوجب قتله ، فقد جعلنا لوارثه سلطةً على القاتل ، بالقصاص منه ، أو أخذ الدية ، أو العفو
[فلا يسرف في القتل إنه كان منصورا] أى فلا يتجاوز الحدَّ المشروع بأن يقتل غير القاتل ، أو يُمثل به ، أو يقتل اثنين بواحد ، كما كان أهل الجاهلية يفعلون ، فحسبه أن الله قد نصره على خصمه ، فليكن عادلا في قصاصه
[ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن] أى لا تتصرفوا قي مال اليتيم ، إلا بالطريقة التي هي أحسن ، وهي حفظه واستثماره
[حتى يبلغ أشده] أى حتى يبلغ اليتيم سن الرشد ، ويحسن التصرف في ماله
[وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا] أى وفوا بالعهود سواء كانت مع الله ، أو مع الناس ، لأنكم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تُسألون عنها يوم القيامة

[وأوفوا الكيل إذا كلتم] أى أتموا الكيل إذا كلتم لغيركم ، من غير تطفيف ولا بَخس

[وزنوا بالقسطاس المستقيم] أى زنوا بالميزان العدل السوى ، بلا احتيال ولا خديعة

[ذلك خير وأحسن تأويلا] أى وفاء الكيل لإقامة الوزن ، خير في الدنيا وأحسن مآلا في الآخرة

[ولا تقف ما ليس لك به علم] أى لا تتبع ما لا تعلم ولا يعنيك بل تثبت من كل خبر ، ، قال قتادة : " لا تقل رأيت ولم تر ، وسمعت ولم تسمع ، وعلمتُ ولم تعلم ، فإن الله تعالى سائلك عن ذلك كله "

[إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا] أى إن الإنسان يسأل يوم القيامة عن جميع حواسه : عن (سمعه ، وبصره ، وقلبه) وعما اكتسبته جوارحه

[ولا تمش في الأرض مرحا] أى لا تمس في الأرض مختالا ، مشية المعجب المتكبر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا] هذا تعليل للنهي عن التكبر ، والمعنى : إنك أيها الإنسان ضئيل هزيل لا يليق بك التكبر ؟ كيف تتكبر على الأرض ، ولن تجعل فيها خرقا أوْ شقا ؟ وكيف تتطاول وتتعظم على الجبال ولن تبلغها طولا ؟ فأنت أحقر وأضعف من كل واحد من الجمادين ، فكيف تتكبر وتتعالى وتختال ، وأنت أضعف من الأرض والجبال ؟ وفي هذا تهكم وتقريع بليغ للمتكبرين

[كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها] أى كل ذلك المذكور الذي نُهى الله عنه ، كان عمله قبيحا ومحرماً عند الله تعالى

[ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة] أى ذلك الذي تقدم من الآداب والقصص والأحكام ، بعضُ الذي أوحاه إليك ربك يا محمد ، من المواعظ البليغة ، والحكم الفريدة

[ولا تجعل مع الله إلها اَخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا] أى لا تشرك مع الله غيره ، من وثن أو بشر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فتلقى في جهنم ملوما ، تلوم نفسك ويلومك الله ، والخلق ، مطرودا مبعدا من كل خير ، قال الصاوي : ختم به الأحكام كما ابتدأها اشارة إلى أنْ التوحيد مبدأ الأمور ومنتهاها ، وهو رأسُ آلأشياء وأساسُها ، والأعمالُ بدونه باطلة لا تفيد شيئا)

[أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثا] ؟ خطاب على وجه التوبيخ للعرب ، ، الذين قالوا : إن الملائكة بنات الله ، والمعنى : هل خصكم ربكم وأخلصكم بالذكور ، واختار لنفسه - على زعمكم - البنات ؟ كيف يجعل لكم الأعلى من النسل ؟ ويختار لنفسه الأدنى ؟

[إنكم لتقولون قولا عظيما] أى إنكم لتقولون قولا عظيما في شناعته وبشاعته ، حيث تنسبون إليه تعالى البنات ، وتجعلون لله ما تكرهون ! !

[ولقد صرفنا في هذا القرآن ليذكروا] أى ولقد بينا للناس في هذا القرآن العظيم ، الأمثالَ ، والمواعظ ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والوعد ، والوعيد ، ليتذكروا بما فيه من الحجج النيِّرة ، والبراهين الساطعة ، فينزجروا عما هم فيه من الشرك والضلال ! !

[وما يزيدهم إلا نفوراَ] أى وما يزيدهم هذا البيان والتذكير ، إلا تباعدا عن الحق ، وغفلةَ عن النظر والإعتبار

[قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذاً لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا] أى لو فرضنا أن مع الله آلهة أخرى- كما يزعم هؤلاء المشركون -إذا لطلبوا طريقاً إلى مغالبة ذي العزة والجلال ، ليسلبوا ملكه ، كما يفعل ملوك الدنيا بعضهم ببعض ((هذا أحد وجهين في تفسير الاية الكريمة ، والوجه الآخر أن المعنى : لو كان الأمر كما تقولون لكان أولئك المعبودون يبتغون سبيلا إلى التقرب إليه بعبادته وطاعته ويطلبون الزلفى لديه ، وهذا اختيار ابن جرير وابن كثير ، والوجه الأول أظهر كما يقول العلامة أبو السعود وهو المناسب للآية لقوله تعالى بعدها {سبحانه } فإنه صريح

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

في الإنكار ، وأن قولهم فيه محذور عظيم ، وبلاء جسيم))

[سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا] أى تنزه الله تعالى وتقدس ، عما يقول أولئك الظالمون ، وتعالى ربنا عما نسبوه إليه من الزور والبهتان ، تعاليا كبيرا ، فإن مثل هذه الفِرية مما يتنزه عنه مقامه الأسمى ، قال الشهاب : وذكر العلوً بعد عنوانه ب [ذي العرش] في أعلى مراتب البلاغة ، لأنه المناسب للعظمة والجلال

[تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن] أى تسبح له الكائنات ، وتنزهه وتقدسه الأرض والسموات ، ومن فيهن من المخلوقات

[وإن من شيء إلا يسبح بحمده] أى وما من شيء في هذا الوجود ، إلا ناطق بعظمة الله ، شاهد بوحدانيته جل وعلا ((قال فى الظلال : " وإنه لمشهد كوني فريد حين يتصور القلب كل حصاة وكل حجر ، كل حبة وكل ورقة ، كل زهرة وكل ثمرة ، كل نبتة وكل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

شجرة ، كل حشرة وكل زاحفة ، كل حيوان وكل إنسان ، كل دابة على الأرض ، وكل سابحة في الماء والهواء ومعها سكان السماء ، كلها تسبح الله وتتوجه إليه في علاه ، وحين تشف الروح وتصفو تدرك من أسرار هذا الوجود ما لا يدركه الغافلون)) ، السموات تسبح الله في زرقتها ، والحقولُ في خضرتها ، والبساتينُ في نضرتها ، والأشجار في حفيفها ، والمياهُ في خريرها ، والطيورُ في تغريدها ، والشمس في شروقها وغروبها ، والسحبُ في أمطارها ، والكل شاهد بالوحدانية لله الواحد الأحد ، كما قال القائل :

وفي كل شيءٍ له آية تدل على أنه واحدُ

[ولكن لا تفقهون تسبيحهم] أى ولكن لا تفهمون تسبيح هذه الأشياء لأنها ليست بلغاتكم

[إنه كان حليماً غفورا] أى إنه تعالى حليم بالعباد لا يعاجل من عصاه بالعقوبة ، غفورَ لمن تاب وأناب ، ولولا حلم الله وغفرانه لأخذ البشر أخذ عزيز مقتدر

[وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بالآخرة حجابا مستورا] أى وإذا قرأت يا محمد القرآن على هؤلاء المشركين ، الذين لا يصدقون بالآخرة ، جعلنا بينك وبينهم حجابا خفيا ، يحجب عنهم فهم القرآن ، وإدراك أسراره وحِكمه

[وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه] أى وجعلنا على قلوب هؤلاء الكفار أغطية لئلا يفهموا القرآن

[وفي آذانهم وقرا] أى صمماً يمنعهم من استماعه

[وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفورا] أى وإذا وحدت الله وأنت تتلو القرآن ، فر المشركون من ذلك هربا من استماع التوحيد

[نحن أعلم بما يستمعون به] أى نحن أعلم بالغاية التي يستمعون من أجلها للقرآن ، وهي الاستهزاء والسخرية ، قال المفسرون : كان المشركون يجلسون عند النبي ، مظهرين الاستماع ، وفي الواقع قاصدين الاستهزاء ، فنزلت الآية تسلية للرسول (ص) وتهديداً للمشركين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[إذ يستمعون إليك وإذ هم نجوى] أى حين يستمعون إلى قراءتك يا محمد ، ثم يتناجون ويتحدثون بينهم سرا [اذ يقول الظالمون ان تتبعون إلا رجلا مسحورا] آى حين يقول أولئك الفجرة : ما تتبعون إلا رجلا سُحر فجُن فاختلط كلامه

[انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا] أى انظر يا محمد وتعجب كيف يقولون تارة عنك إنك ساحر ، وتارة إنك شاعر ، وتارة إنك مجنون ! وقد ضلوا بهذا البهتان والزور

[فلا يستطيعون سبيلا] أى لا يجدون طريقاً إلى الهدى والحق المبين ، لما في قلوبهم من الظلمة والكبرياء .

البلاغة :

تضمت الآيات الكريمة من وجوه البيان والبديع ما يلي :

1 - الاستعارة المكنية [واخفض لهما جناح الذل] شبه الذل بطائر له جناح وحذف الطائر ورمز له

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بشيء من لوازمه وهو الجناح ، على سبيل (الاستعارة المكنية) .

2 - الاستعارة التمثيلية [ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط] مثل للبخيل بالذي حبست يده عن الاعطاء وشدت إلى عنقه بحيث لا يقدر على مدها ، وشبه السرف ببسط الكف بحيث لاتحفظ شيئا.

3 - اللف والنشر المرتب [فتقعد ملوما محسورا] عاد لفظ [ملوما] إلى البخل ولفظ [محسورا] إلى الإسراف أى يلومك الناس إن بخلت ، وتصبح متطوعا إن أسرفت وبذرتَ المالَ .

4 - الطباق بين [يبسط . . ويقدر]

5 - جناس الاشتقاق في لفظ [قرأت القرآن] .

6 - التوبيخ [أفأصفاكم ربهكم بالبنبن] ؟ .

7 - الفرض والتقدير [لو كان معه آلهة كما يقولون] أى لو فُرض وقُدر .

لطيفة :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

نقف هنا أمام مثل! من (دقائق التعبير) القرآنى العجيبة ، ففي هذه السورة قدم تعالى رزق الأبناء على رزق الآباء [نحن نرزقهم وإياكم] وفي سورة الأنعام قدم رزق الآباء [نحن نرزقكم وإياكم] والسر في ذلك ، أن قتل الأولاد هنا كان خشية وقوع الفقر بسببهم ، فقدم تعالى رزق الأولاد ، وفي الأنعام كان قتلهم بسبب فقر الآباء فعلا ، فقدم رزق آلاباء ، فلله در التنزيل ما أروع أسراره ! .

قال الله تعالى : [وقالوا أءذا كنا عظام ورفاتاً . .] إلى قوله [ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا] . من آية (49) إلى نهاية آية (69) .

المناسبة :

لما ذكر تعالى موقف المشركين من القرآن العظيم ، وذكر تعاميهم عن فهم آياته البينات ، أردفه بذكر شبهاتهم في إنكار البعث والنشور وكر عليها بالإبطال والتفنيد ، ثم ذكر قصة آدم لإبليس للعظة والاعتبار ، وأعقبها بذكر نعمه العظيمة على العباد ، ثم بالوعيد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والتهديد إن أصروا على الكفر والجحود .

اللغة :

[رفاتا] الرُفات : ما تكسر وبليَ من كل شيء ، كالفُتات وآلحُطام الرضاض

[ينغضون] قال الفراء : يقال أنغض فلان رأسه إذا حركه إلى فوق وأسفل كالمتعجب من الشيء قال الراجز : " أنغَض نحوي رأسه وأقنعا "

[ينزغ] يفسد ويهيج الشر ، والنزغُ : الإفسادُ والإغراء

[لأحتنكن] الإحتناك الأخذ بالكليةِ والاستئصال يقال : احتنك الجرادُ آلزرعَ إذا ذهب به كله

[واستفزز] اخدع واستخف يقال : أفزه الخوف واستفزه ، إذآ أزعجه واستخفه

[وأجلب] أصل الإجلاب آلسوقُ بجلَبةٍ من السائق وهو الصياح ، والجَلب والجَلَبَة الأصوات

[ورَجِلك] الرجلُ جمع راجل وهو الذي يمشي على قدميه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[يزجي] يسوق

[حاصبا] الحاصب والحصباء هي آلحَصَى الصغار

[قاصنا] آلقاصف ما يقصف الشيء أى يكسره ، والريح الشديدة التي تكسر بشدة ، من قَصَفَ الشيء يقصفه أى كسره بشدة ، ورعد قاصف شديد الصوت

[تبيعا] طالبا يقال : تابع وتبيع وهو النصير والمطالب لحقوق الإنسان .

سبب النزول :

1- عن ابن عباس أن أهل مكة سألوا رسول الله (ص) َ أن يجعل لهم الصفا ذهباَ ، وأن يُنحيَ عنهم الجبال فيزرعوا ، فقيل له : إن شئتَ أن تستأني بهم لعلنا نجتبي منهم ، وإن شئتَ نعطيهم الذي سألوا فإن كفروا أُهلكوا ، فقال : لا بل أستأني بهم فنزلت [وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون . .] ، الآية .

2- لما ذكر تعالى شجرة الزقوم فى القرآن ، قال أبو

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

جهل : يا معشر قريش إن محمدا يخوفكم بشجرة الزقوم ، ألستم تعلمون أن النار تُحرق الشجر ؟ ومحمد يزعم أن النار تُنبت الشجر ، فهل تدرون ما الزقوم ؟ هو التمر والزبد ، يا جارية أبغينا تمرا وزبداً ، فجاءته به فقال : تزقموا من هذا الذي يخوفكم به محمد (ص) فأنزل الله تعالى [والشجرة الملعونة في القرآن ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغيانا كبيرا] .

التفسير :

[وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا] استفهام تعجب لإنكار أى قال المشركون المكذبون بالبعث : أئذا أصبحنا عظاما نخرة ، وذرات متفتتة كالتراب

[أئنا لمبعوثون خلقا جديدا] أى هل سنُبعث ونخلق خلقا جديدا بعد ان نبلى ونفنى ؟

[قل كونوا حجارة أو حديدا] أى قل لهم يا محمد لو كنتم حجارة أو حديدا ، لقدر الله على بعثكم وإحيائكم ، فضلا عن أن تكونوا عظاما ورفاتا ، فإن الله لا يعجزه شيء ، فالحجارة والحديد أبعد عن الحياة وهي أصلب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الأشياء ، ولو كانت اجسامكم منها لأعادها الله ، فكيف لا يقدر على إعادتكم إذا كنتم عظاما ورفاتا ؟

[أو خلقا مما يكبر في صدوركم] أى أو كونوا خلقا آخر ، أوغل في البعد عن الحياة من الحجارة والحديد ، مما يصب في نفوسكم تصورُ الحياة فيه فسيبعثكم الله ، قال مجاهد : المعنى : كونوا ما شئتم فستعادون

[فسيقولون من يعيدنا] ؟ أى من الذكر يردنا إلى الحياة بعد فنائنا ؟

[قل الذي فطركم أول مرة] أى قل لهم : يعيدكم القادر العظيم ، الذي خلقكم وأنشأكم من العدم أول مرة

[فسينغضون إليك رءوسهم ويقولون متى هو] ؟ أى يحركون رءوسهم متعجبين مستهزئين ، ويقولون استنكاراً واستبعاداً : متى يكون البعث والإعادة ؟

[قل عسى أن يكون قريبا] أى لعله يكون قريبا ، فإن كل ما هو آت قريب

[يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون إن لبثتعم إلا قليلا] أى سيكون بعثكم يوم الحشر الأكبر ، يوم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يدعوكم الرب جل وعلا للإجتماع في المحشر فتجيبون لأمره ، وتظنون لهول ما ترون إنكم ما أقمتم في الدنيا إلا زمنا قليلا

[وقل لعبادى يقولوا التي هي أحسن] أى قل لعبادي المؤمنين يقولوا في مخاطباتهم ومحاوراتهم الكلمة الطيبة ، ويختاروا من الكلام ألطفه وآحسنه ، وينطقوا دائما بالحسنى

[إن الشيطان ينزغ بينهم] أى إن الشيطان يُفسد ويُهيج بين الناس الشر ، ويُشعل نار الفتنة بالكلمة الخشنة يُفلت بها اللسان

[إن الشيطان كان للإنسان عدوا مبينا] أى ظاهر العداوة للإنسان من قديم الزمان ، يتلمس سقَطَات لسانه ، ليُحدث العداوة والبغضاء بين المرء وأخيه

[ربكم أعلم بكم إن يشأ يرحمكم أو إن يشأ يعذبكم] أى ربكم أيها الناس أعلم بدخائل نفوسكم ، إن يشأ يرحمكم بالتوفيق للإيمان ، وإن يشأ يعذبكم بالإماتة على الكفر والعصيان

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وما أرسلناك عليهم وكيلا] أى وما جعلناك يا محمد حفيظا على أعمال الكفار ، كفيلا عنهم لتقسرهم على الإيمان ، إنما أرسلناك نذيرا فمن أطاعك دخل الجنة ، ومن عصاك دخل النار

[وربك أعلم بمن في السموات والأرض] انتقاذ من الخصوص إلى العموم ، أى ربك جل وعلا أعلمُ بعباده ، بأحوالهم ومقاديرهم ، فيخص بالنبوة من شاء من خلقه ، وهو أعلم بالسعداء والأشقياء ، والآية رد على المشركين حيث أستبعدوا النبوة على رسول الله ، وقالوا : كيف يكون يتيم أبى طالب نبيا ؟ وكيف يكون هؤلاء الفقراء الضعفاء أصحابه ، دون الأكابر والرؤساء ؟

[ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض] أى فضلنا بعض الأنبياء على بعض ، حسب علمنا وحكمتنا ، وخصصناهم بمزايا فريدة ، فأصطفينا إبراهيم بالخُلة ، وموسى بالتكليم ، وسليمان بالمُلك العظيم ، ومحمدا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بالإسراء والمعراج ، وجعلناه سيد الأولين والآخرين ، وكل ذلك فعل آلحكيم العليم ، الذي لا يصدر شيء إلا عن حكمته

[وآتينا داود زبوراً] أى وأنزلنا الزبور على داود ، المشتمل على الحكمةِ وفصل الخطاب

[قل ادعوا الذين زعمتم من دونه] أى قل يا محمد لهؤلاء المشركين : ادعوا الذين زعمتمَ أنهم آلهة من دونه تعالى ، قال الحسن : يعنى الملائكة وعيسى وعزيرا ، فقد كانوا يقولون إنهم يشفعون لنا عند الله

[فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا] أى فلا يستطيعون رفع البلاء عنكم ولا تحويله إلى غيركم

[أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب] أى أولئك الآلهة الذين يعبدونهم من دون الله ، هم أنفسهم يبتغون القرب إلى الله ، ويتوسلون إليه بالطاعة والعبادة ، فكيف تعبدونهم معه ؟

[ويرجون رحمته ويخافون عذابه] أى يرجون بعبادتهم رحمته تعالى ، ويخافون عقابه ، ، يتسابقون

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إلى رضاه

[إن عذاب ربك كان محذورا] أى عذابه تعالى شديد ينبغي أن يُحذر منه ، ويخاف من وقوعه وحصوله

[وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معذبوها عذابا شديدا] أى ما من قرية من القرى الكافرة ، التي عصت أمر الله وكذبت رسله ، إلا وسيهلكها الله ، إما بالاستئصال الكلي أو بالعذاب الشديد لأهلها

[كان ذلك في الكتاب مسطورا] أى كان ذلك حكما مسطرا في اللوح المحفوظ لا يتغير

[وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون] قال المفسرون : اقترح المشركون على رسول الله (ص) معجزات عظيمة ، منها أن يقلب لهم الصفا ذهبا ، وأن يزيح عنهم الجبال ، فأخبره تعالى أنه إن أجابهم إلى ما طلبوا ، ثم لم يؤمنوا استحقوا عذاب الإستئصال ، وقد آقتضَت حكمته تعالى إمهالهم ، لأنه علم أن منهم من يؤمن ، وأن من أولادهم من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يدخل في الدين الحق ، فلهذا السبب ما أجابهم إلى ما طلبوا ، فما منعنا من إرسال المعجزات والخوارق التي اقترحها قومك ، إلا تكذيبُ مَن سبقهم من الأمم ، حيث اقترحوا ثم كذْبوا ، فأهلكهم الله ودمرهم

[وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها] أى وأعطينا قوم صالح الناقة آية بينة ، ومعجزة ساطعة واضحة ، فكفروا بها وجحدوا بعد أن سألوها فأهلكهم الله

[وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً] أى وما نرسل بالآيات الكونية ، كالزلازل ، والرعد ، والخسوف والكسوف ، إلا تخويفا للعباد من المعاصي ، قال قتادة : إن الله تعالى يخوف الناس بما شاء من الآيات ، لعلهم يعتبرون ويرجعون

[وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس] أى واذكر يا محمد حين أخبرناك أن الله احاط بالناس علما ، في الماضي والحاضر والمستقبل ، فهو تعالى لا يخفى عليه شي : من أحوالهم ، وقد علم أنهم لن يؤمنوا ، ولو جئتهم بما طلبوا من الآيات والمعجزات

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس] أى وما جعلنا الرؤية التي أريناكها ليلة المعراج ، عن عجائب الأرض والسماء ، إلا امتحاناَ وابتلاء لأهل مكة ، حيث كذبوا وكفروا ، وارتد بعض الناس لما أخبرتهم بها ، قال البخاري عن ابن عباس : هي رؤيا عينِ أريها رسولُ الله (ص) ليلةَ اُسريَ به ، وليست برؤيا منام ،

[والشجرة الملعونة في القرآن] أى وما جعلنا الشجرة الملعونة في القرآن وهي شجرة الزقوم " إلا فتنة أى أيضا للناس ، قال ابن كثير : لما أخبرهم رسول الله ، أنه رأى الجنة والنار ، ورأى شجرة الزقوم ، كذبوا بذلك ، حتى قال ابو جهل متهكما : هاتوا لنا تمراً وزبداً ، وجعل يأكل من هذا بهذا ويقول : تزقموا فلا نعلم الزقوم غير هذا

[ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغيانا كبيراَ] أى ونخوف هؤلاء المشركين بأنواع العذاب والآيات الزاجرة ، فما

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يزيدهم تخويفنا إلا تماديا وغيا ، واستمرارا على الكفر والضلال ، فماذا تنفع معهم الخوارق ؟ هل زادتهم خارقة الإسراء والمعراج ، والتخويف بشجرة الزقوم ، إلا استهزاءً وإمعانا في الضلال ؟ ثم أشار تعالى إلى أن هذا الطغيان ، سببه إغواء الشيطان لهم ، فقال سبحانه :

[وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس] أى اذكر يا محمد حين أمرنا الملائكة بالسجود لآدم سجود " تحية وتكريم " فسجدوا كلهم إلا إبليس ، استكبر وأبى افتخاراً على آدم واحتقارا له

[قال أأسجد لمن خلقت طينا] استفهام إنكاري أى أأسجد أنا العظيم الكبير ، لهذا الضعيف الحقير ؟ الذي خلقته من الطين ؟ كيف يصح للعالي أن يسجد للداني ؟

[قال أرأيتك هذا الذى كرمت على] أى قال إبليس اللعين جراءة على الرب وكفراً به : آرأيتَ هذا المخلوق الذي فضلته على ، وجعلتَه أكرَم مني عندك ؟

[لئن أخرتن إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلا]

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أى لئن أنظرتني وأبقيتني حيا إلى يوم القيامة ، لأستأصلن ذريته بالإغواء والإضلال ، قال الطبري : اقسم عدوْ الله فقال لربه : لئن أخرتَ إهلاكي إلى يوم القيامة ، لأستأصلنهم ولأستميلنهم وأضلنهم إلا قليلا منهم

[قال اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفورا] أى قال الرب جل وعلا : اذهب فقد انظرتُك ، فابذل جهدك فيهم ، فمن أطاعك من ذربة آدم ، فإن جزاءك وجزاءهم نارُ جهنم ، جزاء كاملا وافرا ، لا ينقص لكم منه شيء ، قال القرطبي : والأمر فى [اذهب] أمرُ إهانة ، والمعنى : اجهد جهدك فقد أنظرناك

[واستفزز من استطعت منهم بصوتك] أى استخفف استجهل وحرك من أردتَ ان تستفزه ، فتخدعه بدعائك إلى الفساد ، قال ابن عباس : صوتُه كل داع يدعو إلى معصية الله تعالى ، وقال مجاهد : صوته الغناء والمزامير واللهو

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وأجلب عليهم بخيلك ورجلك] أى صِح عليهم بأعوانك وجنودك من كل راكب وراجل ، قال الطبري : المعنى اجمع عليهم من ركبان جندك ومشاتهم ، من يصيح عليهم بالدعاة إلى طاعتك ، والصرفِ عن طاعتي ، قال ابن عباس : خيله ورَجِله كل راكب وماش في معصية الله تعالى وقال الزمخشري : الكلام وارد مورد التمثيل ، مُثِّلَت حالُه في تسلطه على من يُغويه بفارس مغوار ، أوقع على قومٍ فصوت بهم صوتا يستفزهم عن أماكنهم ، ويُقلقهم عن مراكزهم ، وأجلبَ عليهم بجنده من خيالة ورجالة حتى استأصلهم

[وشاركهم في الأموال والأولاد] أى اجعل لنفسك شركة في أموالهم وأولادهم ، أما الأموال فبكسبها من الحرام ، لإنفاقها في المعاصي ، وأما الأولاد فبتحسين اختلاط الرجال بالنساء ، حتى يكثر الفجور ويكثر أولاد الزنى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا] أى عدهم بالوعود المغرية الخادعة ، والأماني الكاذبة ، كالوعد بشفاعة الأصنام ، والوعد بالغِنى من المال الحرام ، والوعد بالعفو والمغفرة ، وسعَة رحمة الله ، والوعد باللذة والسرور في ارتكاب الموبقات كقول الشاعر :

خذوا بنصيب من سرور ولذة فكلَ وإن طال المدى يتصرمً

[إن عبادي ليس لك عليهم سلطان] أى إن عبادي المخلصين ليس لك عليهم تسلط بالإغواء ، لأنهم فى حفظى وأماني

[وكفى بربك وكيلا] أى كفى بالله تعالى عاصما وحافظاً لهم من كيدك وشرك . . ثم ذكر تعالى العباد بإحسانه ونعمه عليهم ، وبآثار قدرته ووحدانيته فقال سبحانه :

[ربكم الذى يزجي لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله] أى ربكم أيها الناس هو الذي يُسير لكم السفن في البحر ، لتطلبوا من رزقه في أسفاركم وتجاراتكم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[إنه كان بكم رحيما] أى هو تعالى رحيم بالعباد ، ولهذا سهل لهم أسباب ذلك

[وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه] أى وإذا أصابتكم الشدة والكرب في البحر ، وخشيتم من الغَرَق ذهب عن خاطركم من كنتم تعبدونه من الآلهة ، ولم تجدوا غير الله مغيثا يغيثكم ، فالإنسان في تلك الحالة لا يتضرع إلى الصنم والوثن ، والملك والفلك ، وإنما يتضرع إلى الله تعالى

[فلما نجاكم إلى البر أعرضتم] أى فلما نجاكم من الغرق وأخرجكم إلى البرز ، أعرضتم عن الإيمان والإخلاص

[وكان الإنسان كفورا] أى ومن طبيعة الإنسان جحود نعم الرحمن ، ثم خوفهم تعالى بقدرته العظيمة فقأل

[أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر] أى أفأمنتم أيها الناس حين نجوتم من الغرق في البحر ، ان يخسف الله بكم الأرض ، فيخفيكم في باطنها ؟ إنكم قي قبضة الله في كل لحظة ، فكيف تأمنون بطش الله وانتقامه ؟

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بزلزال أو رجفة أو بركان ؟

[أو يرسل عليكم حاصبا] أى يمطركم بحجارة من السماء تقتلكم ، كما فعل بقوم لوط

[ثم لا تجدوا لكم وكيلا] أى لا تجدوا من يقوم بأموركم ، ويحفظكم من عذابه تعالى

[أم أمنتم أن يعيدكم فيه تارة أخرى] أى يعيدكم في البحر مرة أخرى ؟

[فيرسل عليكم قاصفا من الريح] أى يرسل عليكم وأنتم في البحر ، ريحا شديدة مدمرة ، لا تمر بشيء إلا كسرته ودمرته

[فيغرقكم بما كفرتم] أى يغرقكم بسبب كفركم

[ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا] أى لا تجدوا من يأخذ لكم بالثأر منا ، أو يطالبنا بتبعة إغراقكم ! !

البلاغة :

تضمنت الآيات الكريمة من وجوه البيان والبديع ما يلي :

1- الاستفهام الإنكاري [أئذا كنا عظاما] وتكرير

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الهمزة في [أئنا لمبعوثون] لتأكيد النكير ، وكذلك تأكيده بإن واللام للإشارة إلى قوة الإنكار .

2- الأمر للتعجيز والإهانة في قوله [قل كونوا حجارة أو حديدا] .

3- الطباق بين [يرحمكم . . ويعذبكم] وبين لفظ [البر . . والبحر] .

4- الإيجازبالحذف [ولا تحويلا] أى ولا تحويل الضر عنكم حُذف لدلالة ما سبق عليه .

5- المقابلة اللطيفة بين الجملتين [يرجون رحمته] ، [ويخافون عذابه] .

6- الإسناد المجازي [وما منعنا أن نرسل بالآيات] المنع محال في حقه تعالى ، لأن الله لا يمنعه عن إرادته شيء ، فالمنع مجاز عن الترك أى ما كان سبب ترك إرسال الآيات إلا تكذيب الأولين .

7- المجاز العقلي [الناقة مبصرة] لما كانت الناقة سببا فى إبصار الحق والهدى ، نُسِب إليها الإبصار ، ففيه مجاز عقلي علاقته السببية .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

8- الاستعارة التمثيلية [وأجلب عليهم بخيلك ورجلك] مُثلَت حال الشيطان في تسلطه على من يغويه ، بالفارس الذي يصيح بجنده للهجوم على الأعداء لإستئصالهم .

9 - التذييل [أنه كان بكم رحيماا] لأنه كالتعليل لما سبق من تسيير السفن تسخيرها في البحر.

تنبيه :

الغالب في لفظ [الرؤيا] أن تكون منامية وإذا كانت بالعين يقال : [رؤية] بالتاء ، وقوله تعالى : [وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس] جاءت على غير الغالب ، لأن المراد بها الرؤية البصرية التي رأها رسول الله (ص) فى الإسراء والمعراج ، وقد تقدم قول ابن عباس : (هي رؤيا عين أُريها رسول الله (ص) ليلة أسري به كما في البخاري ، ولو كانت رؤيا منام لما كانت فتنة للناس ، ولما ارتد بعضهم عن الإسلام ، فتنبه لهذا فإنه هام .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قال الله تعالى : [ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر . .] إلى قوله [فأبى أكثر الناس إلا كفورا] . من آية (70) إلى نهآية آية (89)

المناسبة :

لما ذكر تعالى ما امتن به على الناس من تسيير السفن في البحر ، ومن تنجيتهم من الغرق ، تتم ذكر المنة بما أنعم به على النوع الإنساني من تكرمتهم ، ورزقهم ، وتفضيلهم على سائر المخلوقات ، ثم ذكر أحوال الناس ودرجأتهم في الآخرة ، ثم حذر الرسول (ص) من اتباع أهوا ء المشركين .

اللغة :

[بإمامهم] الإمام في اللغة : كل من يأتم به غيره ، سواء كان على هدى أو ضلال ، ويطلق الإمام على كتاب الأعمال لأن الإنسان يكون تابعا لكتاب أعماله ، يقوده إلى الجنة أو النار

[فتيلا] الفتيل : القشرة التي في شق النواة ، ويضرب مثلا للشيء الحقير التافه ، ومثله القطمير والنقير

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[تركن] تميل

[ليستفزونك] الإستفزاز : الإزعاج بسبب من الأسباب للحمل على الخروج من الوطن وغيره

[وتحويلا] تغييرا وتبديلا

[لدلوك] الدلوك : الغروب يقال دلكت الشمس أى غابت ، قال أبو عبيد وابن قتيبة : الدلوك الغروب وأنشد لذي الرومة : مصابيحُ ليست باللواتي تقودها نجوم ولا بالآفلات الدوالك وقال الأزهري : أصل الدلوك الميل يقال : مالت الشمس للزوال ، ومالت للغروب

[غسق] غسَقُ الليل : سواده وظلمته يقال : غسق الليل إذا اشتدت ظلمته

[فتهجد] التهجد : صلاة الليل بعد الاستيقاظ من النوم ، والهجودُ : النوم ، قال الشاعر : ألا طرقتنا والرِّفَاقُ هُجُود فباتت بعَلاتِ آلنوَال تَجُود

[زهق] زال وبطل

[نأى] تباعد ، والنأى : ا لبُعد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ظهيرا] مُعينا ونَصيا

سبب النزول :

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قالت قريش لليهود أعطونا شيئا نسأل عنه هذا الرجل ! فقالوا : سلوه عن الروح فأنزل الله [ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي . .] الآية .

التفسير :

[ولقد كرمنا بني آدم] أى لقد شرفنا ذرية آدم على جميع المخلوقات ، بالعقل ، والعلم ، والنطق ، وتسخير جميع ما في الكون لهم

[وحملناهم في البر والبحر] أى وحملناهم على ظهور الدواب والسفن

[ورزقناهم من الطيبات] أى من لذيذ المطاعم والمشارب ، قال مقاتل : السمن والعسل والزبد والتمر والحلوى ، وجعلنا رزق الحيوان التبن والعظام وغيرها

[وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا] أى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وفضلناهم على جميع من خلقنا من سائر الحيوانات ، وأصناف المخلوقات من الجن والبهائم والدواب والوحش والطير وغير ذلك

[يوم ندعوا كل أناس بإمامهم] أى اذكر يوم الحشر ، حين ننادي كل إنسان بكتاب عمله ليسلم له وينال جزاءه ، و " الإمامُ " الكتاب الذي سجل فيه عمل الإنسان ، ويقويه قوله تعالى : [وكل شيء أحصيناه في إمام مبين] قال ابن عباس : الإمام ما عُمل وأُملي فكتب عليه ، فمن بُعث متقيا لله جُعل كتابُه بيمينه فقرآه واستبشر

[فمن أوتي كتابه بيمينه] أى فمن أُعطي كتاب عمله بيمينه ، وهم السعداء أولو البصائر والنهى المتقون لله

[فأولئك يقرءون كتابهم] أى يقرءون حسناتهم بفرح واستبشار ، لأنهم أخذوا كتبهم بأيمانهم

[ولا يظلمون فتيلا] أى ولا ينقصون من أجور أعمالهم شيئا ، ولو كان بمقدار الفتيل وهوالخيط الذي في شق النواة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ومن كان في هذه أعمى] أى ومن كان في هذه الدنيا أعمى القلب ، لا يهتدي إلى الحق ولا إلى الخير [فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا] أى فهو في الآخرة أشد عمى وأشد ضلالا ((هذا كله من عمى القلب ، وقيل : المراد أنه يحشر يوم القيامة أعمى البصر لقوله تعالى : {ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما . . } الاية)) عن طريق السعادة والنجاة ، قال قتادة : من كان في هذه الدنيا أعمى ، عما عاين من نعم الله وخلقه وعجائبه ، فهو فيما يغيب عنه من أمر الآخرة ، أشد عمى وأضل طريقاً

[وإن كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا إليك] أى وإن كان الحال والشأن أن المشركين ، قاربوا أن يصرفوك عن الذي أوحيناه إليك يا محمد من بعض الأوامر والنواهي

[لتفتري علينا غيره] أى لتأتي بغير ما أوحاه الله إليك

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وتخالف تعاليمه ، وهذا تحذير للأمة أن يركنوا إلى المشركين ، في شيء من أمور الدين ، كما قال ابن عباس ((قال ابن عباس : كان رسول الله (ص) معصوما ، ولكن هذا تعريف للأمة لئلا يركن أحد منهم إلى المشركين ، في شيء من أحكام الله تعالى وشرائعه))

[وإذا لاتخذوك خليلا] أى لو فعلت ما أرادوا لاتخذوك صاحبا وصديقاً ، قال المفسرون : حاول المشركون محاولات كثيرة ليثنوا رسول الله (ص) عن المضي في دعوته ، منها : مساومتهم له أن يعبدوا إلهه مقابل أن يترك التنديد بآلهتهم ، وما كان عليه آباؤهم ، ومنها مساومة بعضهم أنْ يجعل أرضهم حراما كالبيت العتيق الذي حرمه الله ، ومنها طلب بعض الكبراء أن يجعل لهم مجلسا غير مجلس الفقراء ، فعصمه الله من شرهم ، وأخبر أنه لا يكله إلى أحد من خلقه ، بل هو وليه وحافظه وناصره

[ولولا أن ثبتناك] أى لولا أن ثبتناك على الحق

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بعصمتنا إياك

[لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا] أى كدت تميل إليهم وتسايرهم على ما طلبوا

[إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات] أى لو ركَنتَ إليهم لضاعفنا لك عذاب الدنيا وعذاب الآخرة ، لأن الذنب من العظيم جرم كبير ، يستحق مضاعفة العذاب ، والغرضُ من الآية بيانُ فضل الله على الرسول (ص) فى تثبيته على الحق ، وعصمته من الفتنة ، وفي الآية تحذير للأمة ، في صورة مخاطبة القائد والرئيس ، [ولولا] حرف امتناع لوجود أى امتنع الركون إليهم ، لعصمته تعالى وتثبيته له ، فليس في الآية ما يُنقص من قدر الرسول (ص) وإنما هي بيان لفضل الله العظيم ، على نبيه الكريم

[ثم لا تجد لك علينا نصيرا] أى لا تجد من ينصرك منا ، أو يدفع عنك عذابنا

[وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها] أى وإن كاد المشركون بمكرهم وإزعاجهم ، أن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يخرجوك يا محمد من أرض مكة

[واذا لا يلبثون خلافك إلا قليلا] أى لو أخرجوك لم يلبثوا بعد خروجك إلا زمنا يسيرا ، وفق سنة الله التي لا تتبدل ، مع الذين يخرجون رسلهم من أوطانهم ،

قال قتادة : هلم أهلُ مكة بإخراج النبي (ص) من مكة ، ولو فعلوا ذلك ما أمهلوا ، ولكن الله تعالى منعهم من إخراجه ، حتى أمره بالخروج

[سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا] أى هذه عادة الله مع رسله ، في إهلاك كل أمة أَخرجت رسولَها من بين أظهرهم

[ولا تجد لسنتنا تحويلا] أى لن تجد لها تبديلا أو تغييرا

[أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل] أى حافظ يا محمد على الصلاة في أوقاتها ، من وقت زوال الشمس عند الظهيرة ، إلى وقت ظلمة الليل

[وقرآن الفجر] أى وأقم صلاة الفجر ، وإنما عبرعنها بقرَان الفجر ، لإطالة القراءة فيها

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[إن قرآن الفجر كان مشهودا] أى تشهده ملائكة الليل والنهار ، كما جاء في الحديث الصحيح (يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ، فيجتمعون في صلاة العصر ، وصلاة الفجر) الحديث أخرجه البخاري ، قال المفسرون : في الآية الكريمة إشارة إلى الصلوات لمفروضة ، فدلوكُ الشمس زوالُها وهو إشارة إلى (الظهر والعصر) ، وغَسَق الليل ظلمتُه وهو إشارة إلى (المغرب والعشاء) ، وقرآن الفجر (صلاة الفجر) ، فالآية رمزٌ إلى الصلوات الخمس ((قال القرطبي : وهذه الآية إشارة إلى الصلوات المفروضة بإجماع من المفسرين))

[ومن الليل فتهجد به نافلة لك] أى وقم من الليل بعد النوم متهجدا لربك بالصلاة وتلاوة القرآن ، زيادة وتطوعا لك

[عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا] أى لعل ربك يقيمك يوم القيامة مقاما محمودا ، يحمدك فيه الأولون

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والآخرون ، وهو مقام (الشفاعة العظمى) ، قال المفسرون : و[عسى] في كلام الله للتحقيق ، لأنه وعد كريم وهو لا يتخلف ولهذا ، قال ابن عباس : " عسى " من الله واجبة أى تفيد القطع

[وقل رب أدخلني مدخل صدق] أى قل يا رب أدخلني قبري مُدخل صدق ، أى إدخالا حسنا

[وأخرجني مخرج صدق] أى أخرجني من قبرى عند البعث إخراجا حسنا ، هذا قول ابن عباس ، وقال الحسن والضحاك : المراد دخوله (المدينة المنورة) وخروجه من (مكة المكرمة) وذلك حين أخرجه المشركون ، بعد أن تأمروا على قتله (ص) فى دار الندوة

[واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا] أى اجعل لي من عندك قوة ومَنَعة ، تنصرني بها على أعدائك ، وتُعز بها دينك ، وقد استجاب الله دعاءه فنصره على الأعداء ، وأعلا دينه على سائر الأديان

[وقل جاء الحق وزهق الباطل] أى سطع نور الحق

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وضياوه ، وهو (الإسلام) وزهق الباطل وأنصاره وهو الكفر وعبادةُ الأصنام ، فلا شرك ولا وثنية بعد إشراق نور الإيمان

[إن الباطل كان زهوقا] أى إن الباطل لا بقاء له ولا ثبوت ، لأنه يضمحل ويتلاشى ، لأن كانت له صولة وجولة ، فإنه سرعان ما يزول ، كشعلة الهشعيم ترتفع عاليا ثم تخبو سريعا ، روي أن النبي (ص) لما دخل مكة (عام الفتح) كان حول الكعبة ثلاثمائة وستون صنما ، فجعل يطعنها بعود في يده ويقول : [جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا] فما بقي منها صنم إلا خر لوجهه ، ثم أمر بها فكسرت

[وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين] أى وتتزل من آيات القرآن العظيم ، ما يشفي القلوب من أمراض الجهل والضلال ، ويُذهب صدأ النفس من الهوى والدنس ، والشح والحسد ، وما هو رحمة للمؤمنين ، بما فيه من الإيمان ، والحكمة ، والخير المبين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ولا يزيد الظالمين إلا خسارا] أى ولا يزيد هذا القرآن الكافرين ، عند سماعه إلا هلاكى ودمارا ، لأنهم لا يصدقون به فيزدادون كفرا وضلالا
[وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه] أى وإذا أنعمنا على الإنسان بأنواع النعم : من (صحة ، وأمن ، وغنى) ، أعرض عن طاعة الله وعبادته ، وابتعد عن ربه غرورا وكبرا
[وإذا مسه الشر كان يئوسا] أى وإذا أصابته الشدائد والمصائب ، أصبح يائسا قانطا من رحمة الله ، والآية تمثيل لطغيان الإنسان ، فإن أصابته النعمة بطر وتكبر ، وإن أصابته الشدة أيس وقنط ، كقوله سبحانه : [ان الإنسان خلق هلوعا ، إذا مسه الشر جزوعا ، واذا مسه الخير منوعا]
[قل كل يعمل على شاكلته] أى كل واحد يعمل على نهجه وطريقته في الهدى والضلال ، فإن كانت نفس الإنسان مشرقة صافية ، صدرت عنه أفعال كريمة فاضلة ، وإن كانت نفسه فاجرة كافرة ، صدرت عنه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أفعال سيئة شريرة

[فربكم أعلم بمن هوى أهدى سبيلا] أى ربكم أعلم بمن اهتدى إلى طريق الصواب وبمن ضل عنه ، وسيجزي كل عامل بعمله

[ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى] أى يسألك يا محمد الكفار عن الروح ما هي ؟ وما حقيقتها ؟ فقل لهم إنها من الأسرار الخفية ، التي لا يعلمها إلا رب البرية

[وما أوتيتم من العلم الا قليلا] أى وما أوتيتم أيها الناس من العلم إلا شيئا قليلا ، لأن علمكم قليل بالنظر إلى علم الله

[ولئن شئنا لنذهبن بالذى أوحينا إليك] أى لو أردنا لمحونا هذا القرآن ، الذي هو منةُ الرحمن من صدرك يا محمد ، فإن ذلك في قدرتنا

[ثم لا تجد لك به علينا وكيلا] أى لا تجد من يتوكل علينا باسترداده ، ورده إليك بعد ذهابه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[إلا رحمة من ربك] أى لكن رحمة من ربك تركناه محفوظا في صدرك وصدر أصحابك

[إن فضله كان عليك كبيرا] أى فضل الله عليك عظيم ، حيث أنزل عليك القرآن ، وأعطاك المقام المحمود " وجعلك خاتم المرسلين ، وسيد الأولين والآخرين ، والمقصود بالآية الامتنان على الرسول بالقرآن ، والتحذير له عن التفريط فيه ، والخطاب له عليه السلام والمراد أمته

[قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا] أى لو اتفق واجتمع أرباب الفصاحة والبيان من الإنس والجان ، وأرادوا أن يأتوا بمثل هذا القرآن ، لما أطاقوا ذلك ، ولو تعاونوا وتساعدوا على ذلك جميعا ، فإن هذا أمر لا يستطاع وليس بمقدور أحد

[ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل] أى بينا لهم الحجج والبراهين القاطعة ، ووضحنا لهم الحقً بالآيات والعِبَر ، والترغيب والترهيب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فأبى أكثر الناس الا كفوراً] أى ومع البراهين القائمة ، والحجج الواضحة ، أبى أكثر الناس إلا جحودا للحق وتكذيبا لله ورسوله ، وهذا غاية الضلال . "

البلاغة :

تضمنت الآيات الكريمة من وجوه البيان والبديع ما يلي :

1 - الاستعارة [كل أناس بإمامهم] الإمام الذي يتقدم الناس في الصلاة وقد استعير هنا لكتاب الأعمال ، لأنه يرافق الإنسان ويتقدمه يوم القيامة .

2 - الاستعارة التمثيلية [ولا يظلمون فتيلا] يضرب مثلا للقلة أى لا ينقصون من ثواب أجورهم ولا بمقدار الخيط الذي في شق النواة .

3 - الطباق بين [ضعف الحياة وضعف الممات] .

4 - المجاز المرسل [وقرآن الفجر] أطلق الجزء على الكل أى قراءة الفجر والمراد بها الصلاة ، لأن القراءة جزء منها ، فالعلاقة في هذا المجاز الجزئية .

5 - الإظهار في مقام الإضمار لمزيد الاهتمام والعناية

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[إن قرآن الفجر كان مشهودا] بعد قوله : [وقرآن الفجر] .

6 - التفصيل بعد الإجمال [فمن أوتي كتابه بيمينه . . ومن كان في هده أعمى] بعد ذكر كتاب الأعمال .

7 - المقابلة اللطيفة بين [أدخلني مُدخل صدق] [وأخرجني مخرج صدق] وبين [جاء الحق] [وزهق الباطل] .

8-إسناد الخيرإلى الله والشر لغيره [أنعمنا على الإنسان . . وإذا مسه الشر] لتعليم الأدب مع الله تعالى .

لطيفة :

ذكر أن شخصا ممن ينكر المجاز والاستعارة في القرآن الكريم جاء إلى شيخٍ فاضل عالم ، منكراً عليه دعوى المجاز - وكان ذلك السائل المنكر أعمى - فقال له الشيخ ما تقول في قوله تعالى : [ومن كان قي هده أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا] هل المراد بالعمى الحقيقة وهو " عمى البصر " ، أم المرآد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

به المجاز " عمى البصيرة " ؟ فبهت السائل وانقطعت حجته .

قال الله تعالى : [وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً . .] إلى قوله [ولم يكن له ولي من الذل وكفره تكبيرا] . من آية (90) إلى آية (111) نهاية السورة الكريمة

المناسبة :

لما ذكر تعالى القرآن ومما فيه من الدلائل الواضحة والبراهين القاطعة على صدق النبى الأمي ، وتحداهم فظهر عجزهم بوضوح إعجازه ، ذكر هنا نماذج عن تعنت الكفار وضلالهم باقتراح خوارق مادية غير القرآن العظيم ، ثم ذكر قصة موسى ، وتكذيب فرعون له ، مع كثرة الخوارق والمعجزات التي ظهرت على يديه ، تسلية لرسول الله (ص) عن تكذيب المشركين ، ثم ختم السورة الكريمة بدلائل القدرة والوحدانية .

اللغه :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[كسفا] أى قِطَعاً جمع كسفة كدمنة ودمن يقال :
كسفتُ الثوبَ أكسِفُه كِسَفا إذا قطعته قطعا ، قال
الفراء : سمعت أعرابيا يقول للبزاز : أعطني كِسفةً
يريد قطعة

[قبيلا] معاينة

[ترقى] تصعد

[خبت] خبت النار : سكنَ لهبها ، وخمدت : سكن
جمرها ، وهَمَدت : طفئت جملة

[قتوراً] بخيلا

[مثبورا] الثبور : الهلاك يقال : ثَبَر الله العدو أهلكه

[لفيفا] اللفيف : الجمع من القوم من أخلاطِ شتى ،
قال الجوهري : اللفيف ما اجتمع من الناس من قبائل
شتى ، يقال : جاء القوم بلَفهم ولفيفهم

[مكث] المكث : التطاول في المدة يقال مكَثَ إذا
أطال الإقامة

[تخافت] خافت في آلكلام أسَره بحيث لا يكاد يسمع
أحد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[الأذقان] جمع ذَقَن وهو مجتمع اللحيَين ، قال الشاعر : فخزوا لأذقانِ الوجوه تنوشُهم سباع من الطير العوادي وتنتف

سبب النزول :

1 - عن ابن عباس ان رؤساء قريش اجتمعوا عند الكعبة فقالوا : ابعثوا إلى محمد فكذموه وخاصموه حتى تُعذروا فيه ، فبعثوا إليه إنْ أشراف قومك قد اجتمعوا ليكلموك ، فجاءهم (ص) سريعا - وكان حريصا على رشدهم - فقالوا يا محمد : إنا والله لا نعلم رجلا من العرب ، أدخلَ على قومه ما أدخلتَ على قومك ، لقد شتمت آلآَباء ، وعبتَ آلدين ، وسفهتَ الأحلام ، وفرقت الجماعة ، فإن كنتَ إنما جئت بهذا لتطلب مالا جعلنا لك من اموالنا ما تكون به أكثرنا مالا ، وإن كنت إنما تطلب الشرَف فينا سودناك علينا ، وإن كان هذا الذي يأتيك رَئيا - أى تابعاً من الجن - بذلنا أموالنا في طلب الطِب حتى نبر لك منه أو نُعذَر فيك ، فقال رسول الله (ص) : ما بي ما تقولون ، ما جئتكم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم ولا المُلك عليكم ، ولكن الله بعثني إليكم رسولا فإن تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة ، وان تردوه على أصبر لأمر الله ، حتى يحكم الله بيني وبينكم ، فقالوا : يا محمد إن كنت غيرقابل منا ما عرضنا فقد علمت أنه ليس أحد من الناس أضيقَ بلاداً ، ولا أشد عيشا منا ، فسل ربك يُسير لنا هذه الجبال ، ويجري لنا أنهاراً ، ويبعث من مضى من آبائنا ، حتى نسألهم أحق ما تقول ؟ وسله أن يجعل لك جنانا وكنوزا وقصوراً من ذهب وفضة تغنيك عنا فأنزل الله [وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا . .] الآية .

2 - وعن آبن عباس قال : (كان رسول الله (ص) مختبي بمكة ، وكان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن ، فإذا سمع ذلك المشركون سبوا القرآن ، ومن أنزله ومن جاء به) ، فقال الله عز وجل لنبيه [ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا] .

التفسير :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً] لما تبين إعجاز القرآن ، ولزمتهم الحجة وغلبوا ، أخذوا يتعللون باقتراح الآيات والخوارق ، والمعنى : قال المشركون : لن نصدقك يا محمد ، حتى تشقق لنا من أرض مكة عيناَ غزيرة ، لا ينقطع منها الماء

[أو تكون لك جنة من نخيل وعنب] أى يكون لك بستان فيه أنواع النخيل والأعناب

[فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا] أى تجعل الأنهار تتفجر فيها وتسير وسطها بقوة وغزارة

[أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا] هذا هو الاقتراح الثالث أى تجعل السماء تتساقط علينا قِطَعا ، كما كنتَ تخوفنا ، وتزعم أن الله سيعذبنا إن لم نؤمن بك ! ! وهذا اشارة إلى قوله تعالى [إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفا من السماء]

[أو تأتي بالله والملائكة قبيلا] الاقتراح الرابع ، أى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تُحضر لنا الله وملائكته مقابلة وعياناً فنراهم
[أو يكون لك بيت من زخرف] الاقتراح الخامس ، أى يكون لك قصر مشيد عظيم من ذهب ، لا من حجر أو طين
[أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه] هذا هو الإقتراح السادس والأخير - وكلْها تدل على سفهٍ وجهل كبير ، بسنة الله في خلقه ، وبحكمته وجلاله -آى تصعد إلى السماء بسُلم ، ولن نصدقك لمجرد صعودك ، حتى تعود ومعك كتاب من الله تعالى منشور ، أنك عبده ورسولُهَ نقرؤه بأنفسنا
[قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا] أى قل لهم يا أيها الرسولُ تعجبا من فرط كفرهم وعنادهم : سبحانَ الله ! ! هل انا إله حتى تطلبوا مني أمثال هذه المقترحات ؟ ما أنا إلا رسول من البشر ، بعثني الله إليكم ، فلِمَ هذا الجحود والعناد ؟ !
[وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا] ؟ أى إن السبب الذي منع

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المشركين من الإيمان ، بعد وضوح المعجزات ، هو استبعاد أن يبعث الله رسولا إلى الخلق من البشر ، فلماذا يكون بشراً ولا يكون مَلَكاً ؟ وقد ردْ تعالى عليهم بقوله :

[قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين] أى قل لهم يا محمد : لو كان أهل الأرض ملائكة ، يمشون على أقدامهم كما يمشي الناس ، ساكنين في الأرض مستقرين فيها

[لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا] أى لنزلنا عليهم رسولا من الملائكة ، ولكن أهل الأرض بشر ، فالرسول إليهم بشر من جنسهم ، إذ جرت حكمة الله ، أن يرسل إلى كل قوم رسولا من جنسهم ، ليمكنهم الفهم عنه ومخاطبته ، وهذا تسفيه وتجهيل لمنطق المشركين

[قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم] أى كفى الله شاهدا على صدقي

[إنه كان بعباده خبيراً بصيرا] أى هو تعالى العالم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بأحوال العباد ، وسيجازيهم عليها

[ومن يهد الله فهو المهتد] أى من يهده الله إلى الحق فهو السعيد الرشيد

[ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه] أى ومن يضلله الله عن الحق بسبب سوء اختياره ، فلن تجد لهم أنصاراً يعصمونهم من عذاب الله

[ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم] أى يسحمون يوم القيامة على وجوههم ، تجرهم الزبانية من أرجلهم إلى جهنم كما يُفعل في الدنيا بمن يبالغ في هوانه وتعذيبه

[عميا وبكما وصما] أى يحشرون حال كونهم عمياَ وبكماً وصما ، يعنى فاقدي الحواس لا يرون ، ولا ينطقون ، ولا يسمعون ، ثم يرد الله إليهم أسماعهم وأبصارهم ونطقهم ، فيرون النار ويسمعون زفيرها ، وينطقون بما حكى الله عنهم ! ! عن أنس : قيل يا رسول الله : كيف يُحشر الناسُ على وجوههم ؟ قال : إنً الذي أمشاهم على أرجلهم ، قادر على أن يمشيهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

على وجوههم

[مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيراَ] أى مستقرهم ومقامهم في نار جهنم ، كلما سكن لهبها وخمدت نارها ، زدناهم نارا ملتهبة ووهجا وجمرا

[ذلك جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا] أى ذلك العذاب جزاء كفرهم بآيات الله وتكذيبهم بالبعث والنشور ، وقولهم : أئذا أصبحنا عظاماً نخرة ، وذرات متفتتة سنُخلق ونبعث مرة ثانية ؟ وقد رد تعالى عليهم بقوله :

[أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم] أى أولم ير هؤلاء المشركون أن الله العظيم الجليل ، الذي خلق هذا الكون الهائل بسمواته وأرضه ، قادر على إعادة جسد الإنسان بعد فنائه ؟ فإن القادر على الإحياء ، قادر على الإعادة بطريق الأحرى ، قال في البحر : نبههم تعالى على عظيم قدرته وباهر حكمته بقوله : [أولم يروا] وهو

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

استفهام إنكار وتوبيخ على استبعادهم الإعادة ، واحتجاج عليهم بأنهم قد رأوا قدرة الله على خلق هذه الأجرام العظيمة ، فكيف يقرون بخلق هذا المخلوق العظيم ، ثم ينكرون إعادة الله لهم

[وجعل لهم أجلا لا ريب فيه] أى جعل لهؤلاء المشركين موعدا محددا لموتهم وبعثِهم ، لاشك ولا ريب في مجيئه

[فأبى الظالمون إلا كفورا] أى أبى هؤلاء الكافرون الظالمون - مع وضوح الحق وسطوعه - إلا جحودا وتماديا في الكفر والضلال

[قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي] أى قل يا أيها الرسول لهؤلاء المعاندين المكابرين ، المقترحين للخوارق والمعجزات : لو كنتم تملكون خزائن رزق الله ، ونعَمه التي أفاضها على العباد

[إذا لأمسكتم خشية الإنفاق] أى إذا لبخلتم به وامتنعتم عن الإنفاق خوفا من نفادها

[وكان الإنسان قتورا] أى وكان الإنسان شحيحاً

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مبالغاَ في البخل ، قال ابن عباس : [قتورا] أى بخيلا منوعاً ، وقال الزمخشري : ولقد بلغ هذا الوصف بالشح الغاية التي لا يبلغها الوهم ، ثم ذكر تعالى أن كثرة الخوارق لا تُنشيء الإيمان في القلوب الجاحدة ، وها هو ذا موسى قد أوتي تسع آيات بينات ، ثم كذب بها فرعون وقومه فحل بهم الهلاك جميعآ

[ولقد أتينا موسى تسع آيات بينات] أى والله لقد أعطينا موسى تسع آيات واضحات الدلالة على نبوته ، وصحة ما جاء به من عند الله ، وهي (العصا ، واليد ، والطوفان ، والجراد ، والقمل ، والضفاغ ، والدم ، وانفلاق البحر ، والسنين) خمس منها في سورة الأعراف [فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقُمل والضفاغ والدم آيات مفصلات] والباقي متفرقات

[فأسأل بني إسرائيل إذ جاءهم] أى فأسأل يا محمد بني إسرائيل عما جرى بين موسى وفرعون ، فإنهم يعلمونها مما لديهم في التوراة ، قال الرازى : وليس المطلوب من سؤال بني إسرائيل ، أن يستفيد هذا العلم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

منهم ، بل المقصود أن يظهر لعامة اليهود وعلمائهم صدق ما ذكره الرسول ، فيكون هذا السؤال سؤال استشهاد

[فقال له فرعون إني لأظنك يا موسى مسحورا] أى إني لأظنك يا موسى قد سُحرت فتخبط عقلُك

[قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر] أى قال له موسى توبيخا وتبكيتا : لقد تيقنت يا فرعون أن هذه الآيات التسع ، ما أنزلها إلا رب السموات والأرض ، شاهدة على صدقى ، تبصرُ الناس بقدرة الله وعظمته ولكنك مكابر معاند

[وإني لأظنك يا فرعون مَثبُورا] أى وإنى لأعتقدك يا فرعون هالكا خاسرا

[فأراد أن يستفزهم من الأرض] أى أراد فرعون أن يخرج موسى وقومه من أرض مصر

[فأغرقناه ومن معه جميعا] أى فأغرقنا فرعون وجنده : أجمعين في البحر

[وقلنا من بعده لبني إسرائيل اسكنوا الأرض] أى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقلنا لبني إسرائيل من بعد إغراق فرعون وجنده : اسكنوا أرض مصر

[فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا] أى فإذا جاء يوم القيامة جئنا بكم من قبوركم إلى المحشر مختلطين ، فيكم المؤمن والكافر ، والبر والفاجر ، ثم نفصل بينكم ونميز السعداء من الأشقياء . . ثم عاد إلى تعظيم حال القرآن وجلالة قدره فقال سبحانه :

[وبالحق أنزلناه وبالحق نزل] أى وأنزلنا هذا القرآن بالحق القاطع ، والنور الساطع ، لا يعتريه شك ولا ريب ، فيه الحكم والمواعظ ، والأمثال التي اشتمل عليها القرآن ، والهداية لطريق الخير والسعادة

[وما أرسلناك الا مبشرا ونذيرا] أى مبشراَ بالجنة لمن أطاع ، ومنذرا بالنار لمن عصى

[وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث] أى وقرآناً نزلناه مفرقى منجما ، لتقرآه على الناس على تؤدة ومهل ، ليكون حفظه أسهل ، والوقوف على

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

دقائقه أيسر

[ونزلناه تنزيلا] أى نزلناه شيئا بعد شيء ، على حسب الأحوال والمصالح

[قل آمنوا به أو لا تؤمنوا] خطاب للمشركين الذين اقترحوا المعجزات على وجه التهديد والوعيد أى آمنوا بهذا القرآن آو لا تؤمنوا ؟ فإن إيمانكم به لا يزيده كمالا ، وتكذيبكم له لا يورثه نقصا

[إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا] أى العلماء الذين قرءوا الكتب السالفة ، من صالحي أهل الكتاب ، إذا سمعوا القرآن تأثروا فخزوا ساجدين لله رب العالمين ! ! والجملة تعليل لما تقدم ، والمعنى : إن لم تؤمنوا به أنتم ، فقد آمن به من هو خير منكم وأعلم

[ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا] أى يقولون : تنزّه الله عن إخلاف وعده إنه كان وعده كائنا لا محالة

[ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا] أى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ويخرون ساجدين على وجوههم ، باكين عند استماع القرآن ، ويزيدهم تواضعاً لله ، قال الرازي : والفائدة في هذا التكرير ، اختلاف الحالين وهو خرورهم للسجود ، وفي حال كونهم باكين عند استماع القرآن

[قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن] أى نادوا ربكم الجليل باسم [الله] او باسم [الرحمن]

[أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى] آى بآى هذين الاسمين ناديتموه فهو حسن ، لأن أسماءه جميعها حسنى ، وهذان منها ، قال المفسرون : سببها أن الكفار سمعوا النبي (ص) يدعو : (يا الله) ، (يا رحمن) فقالوا : إن محمدا ليأمرنا بدعاء إله واحد! ، وها هو يدعو إلهين ، فنزلت الآية مبينة انهما اسم لمسمى واحد

[ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها] أى لا تجهر يا محمد بقراءتك في الصلاة ، فيسمعك المشركون فيسبوا القرآن ومن أنزله ، ولا تسر بقراءتك بحيث لا تسمع من خلفك

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وابتغ بين ذلك سبيلا] أى اقصد طريقا وسطا بين الجهر والمخافتة ، قال ابن عباس : كان رسول الله (ص) يرفع صوته بالقراءة ، فإذا سمعه المشركون سبوا القرآن ومن أنزله فنزلت ،

[وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا] أى الحمد لله الذي تنزه عن الولد

[ولم يكن له شريك في الملك] أى ليس له شريك في ألوهيته

[ولم يكن له ولى من الذل] أى ليس بذليل فيحتاج إلى الولي والنصير

[وكبره تكبيرأ] أى عظم ربك عظمة تامة ، واذكره بصفات العز والجلال ، والعظمة والكمال ! ! ختمت السورة كما بدأت بحمد الله ، وتقرير وحدانيته بلا ولد ولا شريك ، وتنزيهه عن الحاجة إلى الولي والنصير ، وهو العلي الكبير .

البلاغة :

تضمنت الآيات الكريمة وجوها من البيان والبديع

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

نوجزها فيما يلي :

1 - الاستفهام الإنكاري [أبعث الله بشرا رسولا] ؟ .

2 - الالتفات من الغيبة إلى التكلم [ونحشرهم يوم القيامة] اهتماماً بأمر الحشر .

3 - الطباق بين [من يهد . . ومن يضلل ، وبين [مبشراً . . ونذيرا] وبين [تجهر . وتخافت] .

4 - الجناس الناقص بين [مسحورا] و[مثبورا] لتغير بعض الحروف .

5 - المقابلة اللطيفة [وإني لأظنك يا فرعون مثبورا] مقابل قولة فرعون [وإني لأظنك يا موسى مسحورا] .

6 - السجع الرصين الذي يزيد في جمال الأسلوب مثل [فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا ، مبشرا ونذيرا] ومثل [إني لأظنك يا موسى مسحورا . . وإني لأظنك يا فرعون مثبورا] .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

سورة الكهف

مكية وآياتها عشرة ومائة

بين يدي السورة

* سورةُ الكهف من السور المكية ، وهي إحدى سورٍ خمس بُدئت ب " الحمدُ لله ، وهذه السور هي الفاتحة ، الأنعام ، آلكهف ، سبأ ، فاطر وكلها تبتدىء بتمجيد الله جل علا وتقديسه ، والاعتراف له بالعظمة والكبرياء ، والجلال والكمال .

* تعرضت السورة الكريمة لثلاث قصص من روائع قصص القرآن ، في سبيل تقرير أهدافها الأساسية لتثبيت العقيدة ، والإيمان بعظمة ذي الجلال . . أما الأولى فهي قصة (أصحاب الكهف وهي قصة التضحية بالنفس في سبيل العقيدة ، وهم الفتية المؤمنون الذين خرجوا من بلادهم فرارا بدينهم ، ولجئوا إلى غار في الجبل ، ثم مكثوا فيه نياما ثلاثمائة وتسع سنين ، ثم بعثهم الله بعد تلك المدة الطويلة .

والقصة الثانية : قصة موسى مع الخضر ، وهي قصة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

التواضع في سبيل طلب العلم ، وما جرى من الأخبار الغيبية التي اطلع الله عليها ذلك العبد الصالح " الخضر " ولم يعرفها موسى عليه السلام حتى أعْلمه بها الخضر كقصة السفينة ، وحادثة قتل الغلام ، وبناء الجدار . والقصة الثالثة : قصة ذي القرنين وهو ملك مكَّن الله تعالى له بالتقوى والعدل أن يبسط سلطانه على المعمورة ، وأن يملك مشارق الأرض ومغاربها ، وما كان من أمره في بناء السد العظيم .

* وكما استخدمت السورة - في سبيل هدفها - هذه القصص الثلاث ، استخدمت أمثلة واقعية ثلاثة ، لبيان أن الحقً لا يرتبط بكثرة المال والسلطان ، وإنما هو مرتبط بالعقيدة ، المثل الأول : للغني المزهو بماله ، والفقير المعتز بعقيدته وإيمانه ، في قصة أصحاب الجنتين . والثاني : للحياة الدنيا وما يلحقها من فناء وزوال ، والثالث : مثل التكبر والغرور مصورا في حادثة امتناع إبليس عن السجود لآدم ، وما ناله من الطرد والحرمان ، وكل هذه القصص والأمثال بقصد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

العظة والاعتبار .

التسمية :

سميت " سورة الكهف " لما فيها من المعجزة الربانية ، فى تلك القصة العجيبة الغريبة قصة أصحاب الكهف .

تفسيرسورة الكهف

قال الله تعالى : [الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب . . إلى . . ولا يُشرك في حكمه أحدا . من آية(1) إلي آية(26)0

اللغة :

[باخع] قاتل ومهلك ، قال الليث : بخع الرجل نفسه إذا قتلها غيظا وأصل البخع الجهد كما قال الفراء.

[جرزا] الجُرُز : الأرض التي لا نبات عليها

[الكهف] النقب المتسع في الجبل وإذا لم يكن متسعا فهو غار

[الرقيم] اللوح الذي كتبت فيه أسماء أصحاب الكهف

[شططا] الشطط : الجور والغلو وتعدي الحد ، قال الفراء : اشتط في الأمر جاوز الحد ، وشط المنزل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بعغدَ

[تزاور] تتنحى وتميل من الازورار بمعنى الميل ،

قال عنترة : " وازور من وقع القنا بلبانه

[الوصيد] الفِناء أى فناء الكهف

[فجوة] متسع من المكان

[ورقكم] الوَرِق : اسم للفضة سواء كانت مضروبة أم لا

[أعثرنا] أطلعنا

[تمار] تجادل والمراد : المجادلة .

التفسير :

[الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب] أى الثناء الكامل مع التعظيم والإجلال ، لرب العزة والجلال ، الذى أنزل على رسوله محمد القرآن ، نعمةْ عليه وعلى سائر الخلق

[ولم يجعل له عوجا] أى لم يجعل فيه شيئاً من العوج ، لا في ألفاظه ولا في معانيه ، وليس فيه أى عيب أو تناقض

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[قيما] أى مستقيماً لا اختلاف فيه ولا تناقض ، قال الطبري : هذا من المُقدم والمؤخر أى أَنزل الكتاب قيماً ولم يجعل له عِوَجا ، يعني : مستقيماً لا اختلاف فيه ولا تفاوت ، ولا إعوجاج ولا ميل عن الحق ،

[لينذر بأسا شديدا من لدنه] أى ليخوف بهذا القرآن الكافرين ، عذابا شديدا صادرا منه تعالى

[ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات] أى ويبشر المصدقين بالقرآن الذين يعملون الأعمال الصالحة

[أن لهم أجرا حسنا] أى أن لهم الجنة وما فيها من النعيم المقيم

[ماكثين فيه أبداً] أى مقيمين في ذلك النعيم الخالد ، الذي لا انتهاء له ولا انقضاء

[وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا] أى ويخوف أولئك الكافرين - الذين نسبوا لله الولد - عذابه الأليم ، قال البيضاوي : خصهم بالذكر ، وكرر الإنذار استعظاما لكفرهم ، وإنما لم يذكر المنذَر به استثناء بتقدم ذكره

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ما لهم به من علم] أى ما لهم بذلك الافتراء الشنيع ، شيء من العلم أصلا

[ولا لآبائهم] أى ولا لأسلافهم الذين قلدوهم ، فتاهوا جميعاً في بيداء الجهالة والضلالة

[كبرت كلمةً تخرج من أفواههم] أى عظمت تلك المقالة الشنيعة كلمة قبيحة ، ما أشنعها وأفظعها ؟ خرجت من أفواه أولئك المجرمين ، وهي في غاية الفساد والبطلان

[ان يقولون إلا كذباً] أى ما يقولون إلا كذبا وسفها وزورا

[فلعلك باخع نفسك على آثارهم] أى فلعلك قاتل نفسك ومهلكها غما وحزنا ، على إجرامهم وتوليهم ، وإعراضهم عن الإيمان

[إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا] أي إن لم يؤمنوا بهذا القرآن ، حسرة وأسفا عليهم ، فما يستحق هؤلاء أن تحزن وتأسف عليهم ، والآَية تسلية للنبى عليه السلام

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها] أى جعلنا ما عليها من زخارف ورياش ، ومتاع وذهب وفضة وغير ذلك زينة للأرض ، كما زينا السماء بالكواكب [لنبلوهم أيهم أحسن عملا] أى لنختبر الخلق أيهم أطوع لله ، وأحسن عملا لآخرته

[وإنا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا] أى سنجعل ما عليها من الزينة والنعيم ، حطاما وركاما حتى تصبح كالأرض الجرداء ، التي لا نبات فيها ولا زرع ، بعد أن كانت خضراء بهجة ، قال القرطبى : آلاية وردت لتسلية النبي (ص) والمعنى : لا تهتم يا محمد للدنيا وأهلها ، فإنا إنما جعلنا ذلك ، امتحانا واختباراً لأهلها ، فمنهم من يتدبر ويؤمن ومنهم من يكفر ، ثم أن يوم القيامة بين أيديهم ، فلا يعظمنً عليك كفرهُم فإنا سنجازيهم

[أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً] ؟ هذا بدء قصة (أصحاب الكهف) والكهفُ : آلغارُ المتسع في الجبل ، والرقيم : اللوح الذي كتب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فيه أسماء أصحاب الكهف على المشهور ، والمعنى : لا تظنن يا محمد أن قصة اهل الكهف - على غرابتها - هي أعجبُ آيات الله ، ففي صفحات هذا الكون من العجائب والغرائب ، ما يفوق قصة أصحاب الكهف ، قال مجاهد : أحسبت أنهم كانوا أعجب آياتنا ؟ قد كان في آياتنا ما هو أعجب منهم

[إذ أوى الفتية إلى الكهف] أي اذكر حين التجأ الشبان إلى الغار في الجبل وجعلوه مأواهم ((خلاصة قصة أصحاب الكهف كما ذكرها المفسرون أن ملكا جبارا يسمى " دقيانوس " ظهر على بلدة من بلاد الروم تدعى " طرطوس " بعد زمن عيسى عليه السلام ، وكان يدعو الناس الى عبادة الأصنام ، ويقتل كل مؤمن لا يستجيب لدعوته الضالة ، حتى عظمت الفتنة على أهل الإيمان ، فلما رأى الفتية ذلك حزنوا حزنا شديدا وبلغ خبرهم الملك الجبار فبعث في طلبهم ، فلما مثلوا عند الملك توعدهم بالقتل إن لم يعبدوا الأوثان ويذبحوا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

للطواغيت ، فوقفوا في وجهه وأظهروا إيمانهم وقالوا : {ربنا رب السموات والأرض لن ندعوا من دونه إلها} فقال لهم : إنكم فتيان حديثة أسنانكم وقد اخرتكم إلى الغد لتروا رأيكم ! ! فهربوا ليلا ومروا براع معه كلب فتبعهم فلما كان الصباح أووا الى الكهف وتبعهم الملك وجنده فلما وصلوا إلى الكهف هاب الرجال وفزعوا من الدخول عليهم وألقى الله على أهل الكهف النوم فبقوا نائمين وهم لا يدرون (ثلاثمائة وتسع سنين) ثم أيقظهم الله وظنوا أنهم أقاموا يوما أو بعض يوم ، وشعروا بالجوع فبعثوا أحدهم ليشتري لهم طعاما ، وطلبوا منه التخفي والحذر فسار حتى وصل البلدة فوجد معالمها قد تغيرت ، ولم يعرف أحدا من أهلها فقال في نفسه : لعلي اخطأت الطريق إلى البلدة ، ثم اشترى طعاما ولما دفع النقود للبائع جعل يقلبها في يده ويقول : من أين حصلت على هذه النقود ؟ واجتمع عليه الناس وأخذوا ينظرون لتلك النقود ويعجبون ، ثم قالوا : من أنت يا فتى ؟ لعلك وجدت كنزا ؟ فقال : لا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والله ما وجدت كنزا إنها دراهم قومي ، قالوا له : انها من عهد بعيد ، من زمن الملك (دقيانوس) قال : وما فعل دقيانوس ؟ قالوا : مات من قرون عديدة قال : والله ما يصدقني أحد بما أقوله : لقد كنا فتية واكرهنا الملك على عبادة الاوثان فهربنا منه عشية أمس ، فأوينا إلى الكهف فأرسلني أصحابي اليوم لأشتري لهم طعاما ، فانطلقوا معي إلى الكهف أريكم أصحابي ، فتعجبوا من كلامه ورفعوا أمره إلى الملك - وكان مؤمنا صالحا - فلما سمع خبره خرج الملك والجند وأهل البلدة ، وحين وصلوا الى الغار سمعوا الأصوات وجلبة الخيل فظنوا انهم رسل دقيانوس ، فقاموا الى الصلاة فدخل الملك عليهم فرآهم يصلون ، فلما انتهوا من صلاتهم عانقهم الملك واخبرهم أنه رجل مؤمن وأن دقيانوس قد هلك من زمن بعيد ، وسمع كلامهم وقصتهم وعرف أن الله بعثهم ليكون أمرهم آية للناس ، ثم ألقى الله عليهم النوم وقبض أرواحهم ، فقال الناس : لنتخذن عليهم مسجدا ! !))

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة] أى أعطنا من خزائن رحمتك الخاصة مغفرة ورزقاً

[وهيء لنا من أمرنا رشدا] أى أصلح لنا أمرنا كله واجعلنا من الراشدين المهتدين

[فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا] أى ألقينا عليهم النوم فى الغار سنين عديدة

[ثم بعثناهم لنعلم أى الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا] أى لم أيقظناهم من بعد نومهم الطويل لنرى أى الفريقين أدق إحصاء للمدة التى ناموها في الكهف ؟ قال في التسهيل : والمراد بالحزبين : أصحابُ الكهف ، والذين بعثهم الله إليهم حتى رأوهم ، وقال مجاهد : الحزبان من أصحاب الكهف لما استيقظوا اختلفوا في المدة التى لبثوها في الكهف فقال بعضهم : يوما أو بعض يوم ، وقال آخرون : ربكم أعلم بما لبثتم ، والقول الأول مروي عن ابن عباس

[نحن نقص عليك نبأهم بالحق] أى نحن نقص عليك يا أيها الرسول خبرهم العجيب ، على وجه الحقيقة ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

دون زيادة ولا نقصان
[إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى] أى إنهم جماعة من الشبان آمنوا بالله ، فثبتناهم على الدين ، وزدناهم يقينا

[وربطنا على قلوبهم] أى قوينا عزمهم وألهمناهم الصبر ، حتى أصبحت قلوبهم ثابتة راسخة ، مطمئنة إلى الحق معتزةً بالإيمان
[إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض] أى حين قاموا بين يدي الملك الكافر الجبار من غير مبالاة ، فقالوا : ربنا هو خالق السموات والأرض لا ما تدعونا إليه من عبادة الأوثان والأصنام
[لن ندعوا من دونه إلها] أى لن نشرك معه غيره ، فهو واحد بلا معين ولا شريك
[لقد قلنا إذا شططا] أى لئن عبدنا غيره ، نكون قد تجاوزنا الحق ، وحُدنا عن الصواب ، وأفرَطنا في الظلم والضلال

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة] أى هؤلاء أهل بلدنا ، عبدوا الأصنام تقليدا ، غير حجة ولا برهان [لولا يأتون عليهم بسلطان بين] أى هلا يأتون على عبادتهم لها ببرهان ظاهر! ؟ والغرض من التحضيض [لولا] التعجيز ، كأنهم قالوا : إنهم لا يستطيعون أن يأتوا بحجة ظاهرة ، على عبادتهم للأصنام ، فهم إذاً كذبة على الله ((يقول الشهيد سيد قطب في الظلال : " والى هنا يبدو موقف الفتية واضحا صريحا حاسما ، لا تردد فيه ولا تلعثم ، إنهم فتية أشداء في أجسامهم ، أشداء في إيمانهم ، أشداء في استنكار ما عليه قومهم ، ولقد تبين الطريقان فلا سبيل إلى الالتقاء ، ولابد من الفرار بالعقيدة . . إنهم فتية تبين لهم الهدى في وسط ظالم كافر ، ولا حياة لهم في هذا الوسط ؟ إن هم أعلنوا عقيدتهم وجاهروا بها ، وهم لا يطيقون كذلك أن يداروا القوم ويعبدوا ما يعبدون من الالهة على سبيل التقية ويخفوا عبادتهم لله . والأرجح أن أمرهم قد كشف ، فلا سبيل لهم إلا أن يفروا بدينهم إلى الله وأن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يختاروا الكهف على زينة الحياة ، وقد أجمعوا أمرهم فهم يتناجون بينهم ثم يأوون إلى الكهف الضيق المظلم ، يستروحون فيه رحمة الله ، فاذا الكهف فسيح تنتشر فيه الرحمة وتمتد ظلالها فتشملهم بالرفق ، والرخاء ، واللين "))

[فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا] استفهام بمعنى النفي ، أى لا أحد أظلم ممن كذب على الله بنسبة الشريك إليه تعالى

[وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله] أى وإذ اعتزلتم أيها الفتية قومكم ، وما يعبدون من الأوثان ، اعتزلتم قومكم غير الله تعالى

[فأووا إلى الكهف] أى التجئوا إلى الكهف

[ينشر لكم ربكم من رحمته] أى يبسط ربكم ويوشع عليكم رحمته

[ويهيء لكم من أمركم مرفقا] أى يُسهل عليكم أسباب الرزق ، وما ترتفقون به من الطعام والشراب في هذا الغار

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين] أى ترى أيها المخاطب الشمس إذا طلعت تميل عن كهفهم جهة اليمين

[وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال] أى وإذا غربت تقطعهم وتُبعد عنهم جهة الشمال ، والغرضُ أن الشمس لا تصيبهم عند طلوعها ولا عند غروبها ، كرامة لهم من الله تعالى ، لئلا تؤذيهم بحرها

[وهم في فجوة منه] أى في متسع من الكهف وفي وسطه ، بحيث لا تصيبهم الشمس لا في ابتداء اللهار ، ولا فى آخره

[ذلك من أيات الله] أى ذلك الصنيع من دلائل قدرة الله الباهرة ، قال ابن عباس : لو أن الشمس تطلع عليهم لأحرقتهم ، ولو أنهم لا يقلبون لأكلتهم الأرض

[من يهد الله فهو المهتد] أى من يُوفقه الله للإيمان ، ويرشده إلى طريق السعادة ، فهو المهتدي حقا

[ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا] أى ومن يضلله الله بسوء عمله ، فلن تجد له من يهديه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وتحسبهم أيقاظا وهم رقود] أى لو رأيتهم أيها الناظر ، لظننتهم أيقاظا لتفتح عيونهم وتقلبهم ، والحال أنهم نيام

[ونُقلبهم ذات اليمين وذات الشمال] أى ونقلبهم من جانب إلى جانب ، لئلا تأكل الأرض أجسامهم

[وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد] أي وكلبهم الذي تبعهم باسط يديه بفناء الكهف ، كأنه يحرسهم

[لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا] أى لو شاهدتهم وهم على تلك الحالة ، لفررت منهم هاربا رعبا منهم ، وذلك لما ألبسهم الله من الهيبة ، فرؤيتهم تثير الرعب ، إذ يراهم الناظر نياما كالأيقاظ ، يتقلبون ولا يستيقظون

[وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم] أى كما أنمناهم كذلك بعثناهم من النوم ، وأيقظناهم بعد تلك الرقدة الطويلة التي تشبه الموت ، ليسأل بعضهم بعضاً عن مدة مكثهم ، وإقامتهم في الغار

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم] أى قال أحدهم : كم مكثنا في هذا الكهف ؟ فقالوا مكثنا فيه يوما أو بعض اليوم ، قال المفسرون : دخلوا في الكهف صباحا ، وبعثهم الله في آخر اللهار ، فلما استيقظوا ظنوا أن الشمس قد غربت ، فقالوا : لبثنا يوما ، ثم رأوها لم تغرب فقالوا : أو بعض يوم ، وما دروا أنهم ناموا ثلاثمائة وتسع سنين

[قالوا ربكم أعلم بما لبثتم] أى قال بعضهم ؟ الله أعلم بمدة إقامتنا ولا طائل وراء البحث عنها ؟ فخذوا بما هو أهم وأنفع لكم ، فنحن الآن جياع

[فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة] أى فأرسلوا واحدا منكم إلى المدينة ، بهذه النقود الفضية

[فلينظر أيها أزكى طعاماً فليأتكم برزق منه] أى فليختر لنا أحل وأطيب الطعام فليشتر لنا منه

[وليتلطف ولا يشعرن بكم أحدا] أى وليتلطف في دخول المدينة وشراء الطعام ، حتى لا يشعر بأمرنا أحد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم] أى إن يظفروا بكم يقتلوكم بالحجارة ، أو يردوكم إلى دينهم الباطل

[ولن تفلحوا إذا أبدا] أى وإن عدتم إلى دينهم ووافقتموهم على كفرهم ، فلن تفوزوا بخير أبدا ، وهكذا يتناجى الفتية فيما بينهم خائفين ، حذرين أن يظهر عليهم الملك الجبار فيقتلهم ، أو يردهم إلى عبادة الأوثان ، فيوصون صاحبهم بالتلطف بالدخول والخروج ، وأخذ الحيطة والحذر

[وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها] أى وكما بعثناهم من نومهم ، كذلك أطلعنا الناس عليهم ، ليستدلوا بذلك على صحة (البعث) ويوقنوا أن القيامة لا شك فيها ، فتكون قصة أصحاب الكهف حجة واضحة ، ودلالة قاطعة على إمكان البعث والنشور ، فأن القادر على بعث أهل الكهف بعد نومهم (ثلاثمائة عام) قادر على بعث الخلق بعد مماتهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[إذ يتنازعون بينهم أمرهم] أى حين تنازع القوم في
أمر أهل الكهف بعد أن أطلعهم الله عليهم ثم قبض
أرواحهم

[فقالوا ابنوا عليهم بنيانا] أى قال بعض الناس : ابنوا
على باب كهفهم بنياناً ليكون علَما عليهم

[ربهم أعلم بهم] أى الله أعلم بحالهم وشأنهم

[قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا]
أى قال الفريق الآخر وهم الأكثرية الغالبة : لنتخذن
على باب الكهف ، وفي هذا المكان مسجدا نصلي
ونعبد الله فيه

[سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم] أى سيقول هؤلاء القوم
الخائضون قي قصتهم في عهد الرسول (ص) من أهل
الكتاب : هم ثلاثة رجال يتبعهم كلبهم

[ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب] أى
ويقول البعض : إنهم خمسة سادسهم الكلب ، قذفا
بالظن من غير يقين ولا علم ، كمن يرمي إلى مكان لا
يعرفه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم] أى ويقول البعض : إنهم سبعة والثامن هو الكلب

[قل ربى أعلم بعدتهم] أى الله أعلم بحقيقة عددهم

[ما يعلمهم إلا قليل] أى لا يعلم عدتهم إلا قليل من الناس ، قال ابن عباس : أنا من ذلك القليل ، كانوا سبعة إن الله عدهم حتى انتهى إلى السبعة قال المفسرون : إن الله تعالى لما ذكر القول الأول والثاني أردفه بقوله : [رجما بالغيب] ولما ذكر القول الأخير لم يقدح فيه بشيء ، فكأنه أقر قائله ، ثم نبه رسوله إلى الأفضل والأكمل ، وهو ردُ العلم إلى علام الغيوب

[فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهرا] أى فلا تجادل أهل الكتاب في عدتهم ، إلا جدال متيقن عالم بحقيقة الخبر

[ولا تستفت فيهم منهم أحدا] أى لا تسأل أحدا عن قصتهم فإنً فيما أوحي إليك الكفاية

[ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله] أى لا تقولن لأمر عزمت عليه إني سأفعله غدا إلا إذا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قرنته بالمشيئة ، فقلت : إن شاء الله ، قال ابن كثير : سبب نزول الآية أن النبي (ص) لما سئل عن قصة أصحاب الكهف قال : " غدا أجيبكم " فتأخر الوحي عنه خمسة عشر يوما

[واذكر ربك إذا نسيت] أى إذا نسيت أن تقول (إن شاء الله) ثم تذكرت فقلها ، لتبقى نفسك مستشعرة عظمة الله

[وقل عسى أن يهديني ربي لأقرب من هذا رشدا] أى لعل الله يوفقني ويرشدني إلى ما هو أصلح ، من أمر ديني ودنياي

[ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وإزدادوا تسعا] أى مكثوا في الكهف نائمين ثلاثمائة وتسع سنين ، وهذا بيانَ لما أُجل في قوله تعالى : [سنين عددا]

[قل الله أعلم بما لبثوا] أى الله أعلم بمدة لبثهم في الكهف على وجه اليقين

[له غيب السموات والأرض] أى هو تعالى المختص بعلم الغيب ، وقد أخبرك بالخبر القاطع عن أمرهم ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الحكيم الخبير

[أبصر به وأسمع] أى ما أبصره بكل موجود ، وما أسمعه لكل مسموع ، يدرك الخفيات كما يدرك الجليات

[ما لهم من دونه من ولي] أى ليس للخلق ناصر ولا معين غيره تعالى

[ولا يشرك في حكمه أحداً] أى ليس له شريك ولا مثيل ولا نظير ، ولا يقبل في قضائه وحكمه أحدا ، لأنه الغنى عما سواه .

البلاغة :

تضمنت الآيات الكريمة وجوها من البيان والبديع نوجزها فيما يلي :

1 - الطباق بين [يبشر . . وينذر] وبين [يهدي . . ويضل] وبين [أيقا ظ . . ورقود] وبين [ذات اليمين . . وذات الشمال] .

2 - الطباق المعنوي بين [فضربنا على آذانهم . . ثم بعثناهم] لأن معنى الأول أنمناهم والثانى أيقظناهم .

3 - الجناس الناقص بين [قاموا . . وقالوا] لإختلاف

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بعض الحروف .

4 - الإطناب بذكر الخاص بعد العام [لينذر بأسا شديدا] [وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا] لشناعة دعوى الولد لله ، وفيه من بديع الحذف وجليل الفصاحة حذف المفعول الأول ، أى لينذر الكافرين بأسا شديدا ، ثم ذكرالمفعول الأول وحذف الثانى في قوله : [وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا] عذابا شديدا فحذف العذاب لدلالة الأول عليه ، وحذف من الأول المنذرين لدلالة الثاني عليه ، وهذا من ألطف الفصاحة .

5 - صيغة التعجب [أسمع به وأبصر] يعني ما أسمعهم ، وما أبصرهم ! !

6 - الاستعارة التمثيلية [باخع نفسك على آثارهم] شبَّه حاله (ص) مع المشركين بحال من فارقه الأحباب ، فهم بقتل نفسه ، أو كاد يهلك نفسه حزنا ووجدا عليهم .

7 - الاستعارة التبعية [فضربنا على آذانهم] شبهت الإنامة الثقيلة بضرب الحجاب على الآذان ، كما

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تضرب الخيمة على السكان وكذلك يوجد استعارة في [وربطنا على قلوبهم] لأن الربط هو الشد ، والمراد شددنا على قلوبهم كما تشد الأوعية بالأوكية .

قال الله تعالى : [واتل ما أُوحي إليك من كتاب ربك . .] إلى قوله [ولم يجدوا عنها مصرفا] . من آية (27) إلى نهاية اَية (53) .

المناسبة :

لما ذكر تعالى قصة أهل الكهف وهي تُمثل صور التضحية والبطولة في سبيل العقيدة والإيمان ، أعقبها بذكر قصة صاحب الجنتين وهي نموذج آخر للعقيدة ممثلة في قصة الأخوين من بني إسرائيل : المؤمن المعتز بإيمانه ، والكافر وهو صاحب الجنتين ، وما فيها من عبر وعظات ، وفي ثنايا الآيات جاءت بعض التوجيهات القرآنية الكريمة .

اللغة :

[ملتحدا] ملجأ وأصله من لَحد إذا مال ، ومن لجأتَ إليه فقد ملتَ اليه ، هكذا قال أهل اللغة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فرطا] مجاوزا للحد من قولهم فرس فرُط إذا كان متقدما للخيل ، قال الليث : الفرُط الأمر الذي يفرط فيه ، قال الشاعر : لقد كلفتني شَططا وأمرا خائبا فُرُطا

[سرادقها] السرادق : السور والحائط

[المهل] كل ما أذيب من المعادن ، قال أبو عبيدة : كل شيء أذبته من ذهب ، أو نحاسٍ ، أو فضة فهو المُهل

[سندس] السندس : الرقيق من الحرير

[إستبرق] الإستبرق : الغليظ من الحرير وهو الديباج ، قال الشاعر : تراهن يلبسن المشاعر مرة وإستبرق الديباج طوراَ لباسها

[الأرائك] جمع أريكة وهي السرير المزين بالثياب والستور ، كسرير العروس

[حسبانا] جمع حسبانة وهي الصاعقة

[هشيما] الهشيم : اليابس المتكسر من النبات

[نغادر] نترك .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

سبب النزول :

روي أن أشراف قريش اجتمعوا عند رسول الله (ص) وقالوا له : إن اردت أن نؤمن بك ، فأطرد هؤلاء الفقراء من عندك ! ! يعنون " بلالا ، وخبابا ، وصهيبا وغيرهم فإنا نأنف أن نجتمع بهم ، وتعين لهم وقتا يجتمعون فيه عندك فأنزل الله [واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي بريدون وجهه ولا نعد عيناك عنهم . .] الآية .

التفسير :

[واتل ما أوحي إليك من كتاب ربك] أى أقرأ يا أيها الرسولُ ما أوحاه إليك ربك ، من آيات الذكر الحكيم [لا مبدل لكلماته] أى لا يقدر أحد أن يغير أو يبدل كلام الله

[ولن تجد من دونه ملتحدا] أى لن تجد ملجأ غير الله تعالى أبدا

[واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي] أي : احبس نفسك مع الضعفاء والفقراء من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المسلمين ، الذين يدعون ربهم بالصباح والمساء

[يريدون وجهه] أى يبتغون بدعائهم وجه الله تعالى

[ولا تعد عيناك عنهم] أى لا تصرف بصرك إلى غيرهم من ذوي الغنى والشرف ، قال المفسرون : كان عليه السلام حريصا على إيمان الرؤساء ليؤمن أتباعهم ولم ، يكن مريدا لزينة الدنيا قط ، فأمِر أن يجعل إقباله على فقراء المؤمنين ، وأن يُعرض عن أولئك العظماء والأشراف من المشركين

[تريد زينة الحياة الدنيا] أى تبتغي بمجالستهم الشرف والفخر ، قال ابن عباس : لا تجاوزهم إلى غيرهم تطلب بدلهم أصحاب الشرف والثروة

[ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا] أي لا تطع كلام الذين سألوك طرد المؤمنين ، فقلوبهم غافلة عن ذكر الله ، وقد شغلوا عن الدين وعبادةِ ربهم بالدنيا ، قال المفسرون : نزلت في (عُيينة بن حصن) وأصحابه أتى النبي (ص) وعنده جماعة من الفقراء منهم " سلمان الفارسي " وعليه شملة صوف قد عرق فيها

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فقال عُيينة للنبي (ص) : اما يؤذيك ريح هؤلاء ؟ ونحن سادةُ مضر وأشرافُها ، إن أسلمنا يسلم الناس ، وما يمنعنا من اتباعك إلا هؤلاء ، فنحهم عنك حتى نتبعك ، أو اجعل لنا مجلسا ولهم مجلس ، فهم رسول الله (ص) أن يجيبهم إلى ما طلبوا ، فلما نزلت الآية خرج رسول الله (ص) يلتمس هؤلاء الفقراء ، فلما رآهم جلس معهم وقال : " الحمد الله الذي جعل في أُمتي من أمرني ربي أن أصبر نفسي معهم

[واتبع هواه] أى سار مع هواه وترك أمر الله

[وكان أمره فرطا] أى كان أمره ضياعا وهلاكا ودمارا

[وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر] ظاهرُه أمر وحقيقته وعيد وإنذار ، أى قل يا محمد لهؤلاء الغافلين : لفد ظهر الحق وبان ، بتوضيح الرحمن ، فإن شئتم فآمنوا وإن شئتم فاكفروا كقوله :

[اعملوا ما شئتم]

[إنا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها] أى هيأنا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

للكافرين بالله ورسوله نارا حامية شديدة ، أحاط بهم سورها كاِحاطة السوار بالمعصم

[وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه] أى وان استغاثوا من شدة العطش فطلبوا الماء ، اُغيثوا بماء شديد الحرارة ، كالنحاس المذاب أو كعكر الزيت المحمى يشوي وجوههم إذا قَرُب منهم من شدة حره ، وفي الحديث : (ماء كعكر الزيت فإذا قرب إليه سقطت فروة وجهه فيه) أي سقطت جلدة وجهه فيه أعاذنا الله من جهنم

[بئس الشراب وساءت مرتفقا] أى بئس ذلك الشراب الذي يُغاثون به ، وساءت جهنم منزلا ومقيلا يرتفق به أهل النار

[إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا] لما ذكر تعالى حال الأشقياء ، أعقبه بذكر حال السعداء ، على طريقة القرآن فى الترغيب والترهيب ، أى إنا لا نضيع ثواب من أحسن عمله ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وأخلص فيه ، بل نزيده وننميه
[أولئك لهم جنات عدن] أى لهم جنات إقامة
[تجري من تحتهم الأنهار] أى تجري من تحت غرفهم وقصورهم أنهار الجنة
[يحلون فيها من أساور من ذهب] أى يُحلون في الجنة بأساور الذهب ، وليس أحد من أهل الجنة إلا وفي يده أساور : (سوار من ذهب ، وسوار من فضة ، وسوار من لؤلؤ) ، لأن الله تعالى قال : [وحلوا أساور من فضة] وقال : [ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير] وفي الحديث : (تبلغ حلية المؤمن حيث يبلغ الوضوء)
[ويلبسون ثيابا خضراً من سندس وإستبرق] أى وهم رافلون في ألوان من الحرير ، برقيق الحرير وهو السندس ، وبغليظه وهو الإستبرق ، قال الطبري : معنى الآية أنهم يلبسون من الحلي أساور من ذهب ، ويلبسون من الثياب (السندس) وهو ما رق من الديباج ، و(الإستبرق) وهو ما غلظ منه وثَخُن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[متكئين فيها على الأرائك] أى متكئين في الجنة على السرر الذهبية ، المزينة بالثياب والستور ، قال ابن عباس : الأرائك الأسرة من ذهب وهي مكللة بالدُر والياقوت عليها الحجال

[نعم الثواب وحسنت مرتفقا] أى نعم ذلك جزاء المتقين ، وحسنت الجنة منزلا ومقيلا لهم

[واضرب لهم مثلا رجلين] أى اضرب لهؤلاء الكفار هذا المثل ، قال المفسرون : هما اخوان من بني إسرائيل ، أحدهما مؤمن ، والآخر كافر ، ورثا مالا عن أبيهما ، فاشترى الكافر بماله حديقتين ، وأنفق المؤمن ماله في مرضاة الله ، حتى نفد ماله ، فعيره الكافر بفقره ، فأهلك الله مال الكافر ، وضرب هذا مثلاا للمؤمن الذي يعمل بطاعة الله ، والكافر الذي أبطرته النعمة

[جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب] أى جعلنا لأحدهما - وهو الكافر - بساتينِ من شجر العنب ، مثمرين بأنواع العنب اللذيذ

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وحففناهما بنخل] أى أحطناهما بسياج من شجر النخيل

[وجعلنا بينهما زرعاً] أى جعلنا وسط هذين البستانين زرعا ، ويتفجر بينهما نهر ، وإنه لمنظر بهيج ، يصوره القرآن أروع تصوير ، منظر الحديقتين المثمرتين بأنواع الكرم ، المحفوفتين بأشجار النخيل ، تتوسطهما الزروع وتتفجر بينهما الأنهار

[كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئاً] أي كل واحدة من الحديقتين ، أخرجت ثمرها يانعا في غاية الجودة والطيب ، ولم تنقص منه شيئا

[وفجرنا خلالهما نهرا] أى جعلنا اللهر يسير وسط الحديقتين

[وكان له ثمر] أى وكان للكافر من جنتيه أنواع من الفواكه والثمار

[فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا] أى قال صاحب الجنتين لصاحبه المؤمن ، وهو يجادله ويخاصمه ويفتخر عليه ويتعالى : أنا أغنى منك

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وأشرف ، وأكثر أنصارا وخدما
[ودخل جنته وهو ظالم لنفسه] أى أخذ بيد المؤمن ودخل الحديقة يطوف به فيها ، ويريه ما فيها من أشجار وثمار وأنهار ، وهو ظالم لنفسه بالعُجب والكفر
[قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا] أى ما أعتقد أن تفنى هذه الحديقة أبدا
[وما أظن الساعة قائمة] أى وما أعتقد القيامة كائنة وحاصلة ، أنكر فناء جنته ، وأنكر البعث والنشور

[ولئن رددت إلى ربى لأجدن خيرمنها] أى ولئن كان هناك بعث - على سبيل الفرض والتقدير كما تزعمُ - فسوف يعطيني الله خيرا من هذا وأفضل
[منقلبا] أى مرجعا وعاقبة ، فكما أعطاني هذا في الدنيا ، فسيعطينى في الآخرة لكرامتي عليه
[قال له صاحبه وهو يحاوره] أى قال ذلك المؤمن الفقير وهو يراجع أخاه ويجادله
[أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

رجلا] أى أجحدت الله الذي خلق أصلك من تراب ، ثم من مني ، ثم سوًاك إنسانا سويا ؟ والاستفهام للتقريع والتوبيخ

[لكنا هو الله ربي] أى لكنْ أنا أعترف بوجود الله فهو ربي وخالقي

[ولا أشرك بربي أحدا] أى لا أُشرك مع الله غيره ، فهو المعبودُ وحده لا شريك له

[ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله] أى فهلا حين دخلتَ حديقتك ، وأُعجبت بما فيها من الأشجار والثمار ، قلت : هذا من فضل الله ، فما شاءَ الله كان وما لم يشأ لم يكن

[لا قوة إلا بالله] أى لا قدرة لنا على طاعته إلا بتوفيقه ومعونته

[إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا] أى قال المؤمن للكافر : إن كنت ترى أنني افقر منك ، وتعتز عليً بكثرة مالك وأولادك

[فعسى ربى أن يؤتين خيرا من جنتك] جواب الشرط

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أى أني اتوقع من صنع الله تعالى وإحسانه ، أن يقلب ما بي وما بك من الفقر والغنى ، فيرزقني جنةً خيراً من جنتك لإيماني به ، ويسلب عنك نعمته لكفرك به ويخرب بستانك

[ويرسل عليها حسبانا من السماء] أى يرسل عليها آفة تجتاحها ، أو صواعق من السماء تدمرها

[فتصبح صعيدا زلقا] أى تصبح الحديقة أرضا ملساء ، لا تثبت عليها قدم ، جرداء لا نبات فيها ولا شجر

[أو يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا] أى يغور ماؤها في الأرض فيتلف كل ما فيها من الزرع والشجر ، وحينئذ لا تستطيع طلبه ، فضلا عن إعادته ورده ! ! وينتهي الحوار هنا وتكون المفاجأة المدهشة ، فيتحقق رجاء المؤمن بزوال النعيم عن الكافر ، وفجأة ينقلنا السياق من مشهد اللهجة والإزدهار ، إلى مشهد البوار والدمار

[وأحيط بثمره] أى هلكت جنته بالكلية واستولى عليها الخراب والدمار ، فى الزروع والثمار

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها] أى يقلب كفيه ظهرا لبطن ، أسفا وحزنا على ماله الضائع وجهده الذاهب ، قال القرطبي : أى يضرب إحدى يديه على الأخرى ندما ، كما يفعل ذلك النادم

[وهي خاوية على عروشها] أى مهشمة محطمة قد سقطت السقوف على الجدران ، فأصبحت خرابا يبابا

[ويقول يا ليتنى لم أشرك بربى أحدأ] أى يتمنى أن لم يكن قد كفر النعمة ، ندم حين لا ينفع الندم ، قال تعالى :

[ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله] أى لم تكن له جماعة تنصره وتدفع عنه الهلاك

[وما كان منتصرا] أى وما كان بنفسه ممتنعا عن انتقام الله سبحانه ، فلم تنفعه العشيرة والولد ، حين اعتز وافتخر بهم ، وما استطاع بنفسه أن يدفع عنه العذاب

[هنالك الولاية لله الحق] أى في ذلك المقام وتلك الحال ، تكون النصرة لله وحده ، لا يقدر عليها أحد ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فهو الولى الحق الذي ينصر أولياءه

[هو خير ثوابا وخير عقبا] أى الله خير ثوابا في الدنيا والاخرة لمن آمن به ، وهو خير عاقبة لمن اعتمد عليه ورجاه

[واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض] هذا مثل آخر للدنيا وبهرجها الخادع ، يشبه مثل الجنتين في الفناء والزوال ، والمعنى : اضرب يا محمد للناس مثل هذه الحياة في زوالها وفنائها وانقضائها ، بماء نزل من السماء ، فخرج به النبات وافيا غزيرا حسنا ، وخالط بعضه بعضا من كثرته وتكاثفه

[فأصبح هشيما تذروه الرياح] أى صار النبات متكسراً من اليبس ، بعد أن يبسَ الزرعُ ، تنسفه الرياح ذات اليمين وذات الشمال

[وكان الله على كل شيء مقتدرا] أى قادرا على الإفناء والإحياء ، لا يعجزه شيء في الأرض ولا في

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

السماء

[المال والبنون زينة الحياة الدنيا] أى الأموال والأولاد زينة هذه الحياة الفانية ، ذاك مثلها وهذه زينتها ، والكل إلى فناء وزوال ، لا يغتر بها إلا الأحمق الجهول

[والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا] أي أعمال الخير تبقى ثمرتها أبد الآباد ، فهى خير ما يؤمله الإنسان ويرجوه عند الله ، قال ابن عباس : الباقيات الصالحات هي الصلوات الخمس ، وعنه أيضا أنها كل عمل صالح من قول أو فعل يبقى للآخرة وفي الحديث : (سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله اكبر ، من الباقيات الصالحات

[ويوم نسير الجبال] لما ذكر الدنيا ومالها ذكر القيامة وأهوالها ، أى واذكر يوم نزيل الجبال من أماكنها ، ونسيرها كما نسير السحاب ، فنجعلها هباء منبثا

[وترى الأرض بارزة] أى وترى الأرض ظاهرة للعيان ليس عليها ما يسترها من جبل ولا شجر ولا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بنيان ، قد قلعت جبالها وهُدم بنيانها فهي بارزة ظاهرة
[وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا] أى جمعنا الأولين والآخرين لموقف الحساب ، فلم نترك أحدا منهم
[وعرضوا على ربك صفا] أى عُرضوا على رب العالمين مصطفين ، لا يحجبُ أحد أحدا وفي الحديث : (يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد صفوفا) ، قال مقاتل : يعرضون صفا بعد صف ، كالصفوف في الصلاة ، كل أمة وزمرة صفا
[لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة] أى يقال للكفار على وجه التوبيخ والتقريع : لقد جئتمونا حفاة عراة ، لا شيء معكم من المال والولد ، كهيئتكم حين خلقناكم أول مرة
[بل زعمتم ألن نجعل لكم موعدا] أى زعمتم أن لا بعث ولا جزاء ، ولا حساب ، ولا عقاب
[ووضع الكتاب] أى وضعت صحائف أعمال البشر ، وعُرضت عليهم
[فترى المجرمين مشفقين مما فيه] أى فترى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المجرمين خائفين مما فيه من الجرائم والذنوب

[ويقولون يا ويلتنا] أى يا حسرتنا ويا هلاكنا على ما فرطنا في حياتنا الدنيا

[ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها] أى ما شأن هذا الكتاب ، لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا ضبطها وأحاط بها ؟ قال تعالى :

[ووجدوا ما عملوا حاضرآ] أى مكتوبأ مثبتا في الكتاب

[ولا يظلم ربك أحدا] أى لا يعاقب إنسانا بغير جرم ، ولا يُنقص من ثواب المحسن

[وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم] أى اذكر حين أمرنا الملائكة بالسجود لآدم ، سجود (تحية وتكريم) لا سجود تعظيم وعبادة

[فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه] أى سجد جميع الملائكة ، لكن إبليس - الذي هو من الجنً - خرج عن طاعة ربه ، والآية صريحة فى أن إبليس من الجن لا من الملائكة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو] أي أفتتخذونه هو وأولاده الشياطين ، أعوان وأنصارا من دون الله ، وهم لكم أعداء ؟

[بئس للظالمين بدلا] أي بئست عبادة الشيطان بدلا من عبادة الرحمن

[ما أشهدتهم خلق السموات والأرض] أى ما أشهدت هؤلاء الشياطين الذين عبدتموهم من دوني ، خلق السموت والأرض

[ولا خلق أنفسهم] أى ولا أشهدت بعضهم خلق بعض ، فهم عبيد أمثالكم ، لا يملكون شيئا

[وما كنت متخذ المضلين عضدا] أي وما كنت متخذ الشياطين أعوانا في الخلق ، فكيف تطيعونهم من دوني ؟

[ويوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم] أى ويوم يقول الله للمشركين : أُدعوا شركائي ليمنعوكم من عذابي ، ويشفعوا لكم كما كنتم تزعمون

[فدعوهم فلم يستجيبوا لهم] أى فاستغاثوا بهم فلم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يغيثوهم

[وجعلنا بينهم موبقا] أى جعلنا بين العابدين والمعبودين مهلكة ، لا يجتازها هؤلاء وهي النار [ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها] أى عاينوها وهي تتغيظ حنقا عليهم ، فأيقنوا أنهم داخلوها

[ولم يجدوا عنها مصرفاً] أى لم يجدوا عنها معدلا ، وذلك لأنها أحاطت بهم من كل جانب ، فلم يقدروا على الهرب منها .

البلاغة :

تضمنت الآيات الكريمة وجوها من البيان والبديع نوجزها فيما يلي :

1 - الطبا ق بين [الغداة . . والعشي] وبين [فليؤمن . . وفليكفر] .

2 - المقابلة البديعة بين الجنة [نعم الثواب وحسنت مرتفقا] والنار [بئس الشراب وساءت مرتفقا] .

3 – اتشبيه [بماء كالمهل يشوي الوجوه] ويسمى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مرسلا مفصلا لذكر الأداة ووجه الشبه .

4 - التشبيه التمثيلي [واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين] لأن وجه الشبه منتزع من متعدد ، وكذلك يوجد التشبيه التمثيلي في [واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه] .

5 - المبالغة بإِطلاق المصدر على اسم الفاعل [أو يصبح ماؤها غورأ] أى غائرا .

6 - الكناية [يقلب كفيه] كناية عن التحسر والندم ، لأن النادم يضرب بيمينه على شماله .

7 - الإنكار والتعجيب [أفتتخذونه وذريته أولياء] ؟ .

تنبيه :

الجمهور على أن الباقيات الصالحات من الكلمات المأثور فضلها " سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وقد ورد بذلك حديث تقدم ذكره ، وروى الترمذي : (أن رسول الله (ص) قال : لقيتُ إبراهيم ليلةَ أُسري بي فقال يا محمد : أقرئ فى أمتك مني

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

السلام ، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة ، عذبة الماء ، وأنها قيعان ، وأن غراسها : (سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله اكبر) " .

قال الله تعالى : [ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل . .] إلى قوله [ما لم تسطِع عليه صبراَ] .

من آية (54) إلى نهاية آية (82) .

المناسبة :

لما ضرب تعالى المثل في قصة صاحب الجنتين ، وضرب المثل للحياة الدنيا وما فيها من نعيم خادع ومتاع زائل ، نبه تعالى إلى الغاية من ذكر هذه الأمثال ، وهي " العظةُ والإعتبار ثم ذكر القصة الثالثة قصة موسى مع الخضر ، وما فيها من أمور غيبية عجيبة .

اللغة :

[قبلا] مقابلة وعياناَ

[موئلا] ملجأ ومنجى ، قال ابن قتيبة : وَأَلَ فلان إلى كذا لجأ إليه ، والأ ووءولأ والموئل : الملجأ ، قال الأعشى : وقد أُخالِسُ رب البيت غفلتَه وقد يحاذِرُمني

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ثم لايئلُ

[حقبا] جمع حقبة وهي السنة والمراد بالحُقُب هنا الزمان الطويل

[سربا] السرب : المسلك في جوف الأرض

[نصبا] النصب : التعب والمشقة

[إمرا] أمراَ عظيما يقال : أمِر الأمر إذا عظم

[نكرا] منكرا فظيعاَ جدا

التفسير :

[ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل] أى بينا في هذا القرآن الأمثال ، وكررنا الحجج والمواعظ

[وكان الإنسان أكثر شيئا جدلا] أى وطبيعة الإنسان الجدلُ والخصومة ، لا ينيب لحق ، ولا ينزجر لموعظة

[وما منع الناس أن يؤمنوآ إذ جاءهم الهدى] أى ما منع الناسَ من الإيمان حين جاءهم الهُدى من الله

[ويستغفروا ربهم] أى ومن الاستغفار من الذنوب والآلام

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[إلا أن تأتيهم سنة الأولين] أي إلا انتظارهم ان تأتيهم سنة الأولين وهي الإهلاك

[أو يأتيهم العذاب قبلا] أى يأتيهم عذاب الله عيانا ومقابلة ، ومعنى الآية : أنه ما منعهم من الإيمان والإستغفار ، إلا طلبهم أن يعاهدوا العذاب الذي وُعدوا به ، عيانا ومواجهة كقولهم : [فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم]

[وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين] أى ما نرسل الرسل إلا بقصد التبشير والإنذار ، لا للإِهلاك والدمار ، مبشرين لأهل الإيمان ، ومنذرين لأهل العصيان

[ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق] أى ومع وضوح الحق يجادل الكفار بالباطل ، ليغلبوا به الحق ويبطلوه ، فهم حين يطلبون الخوارق ويستعجلون العذاب ، لا يريدون الإيمان ، ثم وإنما يستهزئون ويسخرون

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وأتخذوا آياتى وما أنذروا هزوا] أى اتخذوا القرآن وما خُوفوا به من العذاب ، سخرية واستهزاءً

[ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها] أى لا أحد أظلمُ ممن وُعظ بآيات الله البينة ، وحججه الساطعة ، فتعامى عنها وتناساها ، ولم يُلقِ لها بالا

[ونسي ما قدمت يداه] أي نسي ما عمله من الجرائم الشنيعة ، والأفعال القبيحة ، ولم يتفكر في عاقبتها

[إنا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه] أى جعلنا على قلوبهم أغطية ، تحول دون فقه هذا القرآن وإدراك أسراره ، والإنتفاع بما فيه من المواعظ والأحكام

[وفي آذانهم وقرا] أى وفي آذانهم صمما معنويا ، يمنعهم أن يسمعوه سماع تفهم وانتفاع

[وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذا أبدا] أى ثم إن دعوتهم إلى الإيمان والقرآن ، فلن يستجيبوا لك أبدا ، لأنهم لا يفقهون ولا يسمعون ، فللهدى قلوب متفتحة مستعدة لقبول الإيمان ، وهؤلاء كالأنعام

[وربك الغفور ذو الرحمة] أى وربك يا محمد واسع

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المغفرة ، عظيم الرحمة بالعباد ، مع تقصيرهم وعصيانهم

[لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب] أى لو يعاقبهم بما اقترفوا من المعاصي والإجرام ، لعجّل لهم عذاب الدنيا ، ولكنه تعالى يمهلهم ويؤخر عنهم العذاب الذي يستعجلون به رحمة بهم ، وقد جرت سنته بأن يمهل الظالم ، ولكن لا يهمله

[بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا] أى لهم موعد أخر في القيامة ، يرون فيه الأهوال ، لن يجدوا لهم فيه ملجأ ولا منجى

[وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا] أي تلك هي أخبار ا لأمم السالفة ، والقرون الخالية ، كقوم (هود وصالح ولوط وشعيب) أهلكناهم حين ظلموا

[وجعلنا لمهلكهم موعدا] أى جعلنا لهلاكهم وقتا محددا معلوما ، أفلا يعتبر هؤلاء المكذبون المعاندون ؟ والآية وعيد وتهديد لكفار قريش ، قال ابن كثير : والمعنى احذروا أيها المشركون أن يصيبكم ما أصابهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

، فقد كذبتم أعظم نبى ، واشرف رسول ، ولستم بأعزْ علينا منهم فخافوا عذابي ونُذري

[وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين] هذه هي القصة الثالثة في هذه السورة الكريمة ، والمعنى : اذكر حين قال موسى الكليم لفتاه " يوشع بن نون " لا أزال أسير وأتابع السير حتى اصل إلى ملتقى بحر (فارس) وبحر (الروم) مما يلي جهة المشرق ، وهو مجمع البحرين

[أو أمضي حقبا] أى أسير زمانا طويلا مهما امتد ، إلى أن أبلغ ذلك المكان

[فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما] أى فلما بلغ موسى وفتاه (مجمع البحرين) نسي " يوشع ، ان يخبر موسى بأمر الحوت ، وما شاهده منه من الأمر العجيب ، روي أن الله تعالى أوحى إلى موسى ، أن يأخذ معه حوتاً فيجعله في مكتل ، فحيثما فقد الحوت فهناك الرجل الصالح

[فاتخذ سبيله في البحر سربا] أى اتخذ الحوت سبيله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

في البحر مسلكا ، قال المفسرون : كان الحوت مشويا ، فخرج من المِكتل ودخل قي البحر ، وأمسك الله جرية الماء على الحوت ، فصار كالطاق عليه وجمد الماء حوله ، وكان ذلك آية من آيات الله الباهرة لموسى عليه السلام

[فلما جاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا] أى فلما قطعا ذلك المكان ، وهو (مجمع البحرين) الذي جُعل موعدا للملاقاة ، قال موسى لفتاه : أعطنا طعام الغداء

[لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا] أى لقينا في هذا السفر العناء والتعب ، وكان قد سار ليلة وجزءا من اللهار بعد أن جاوز الصخرة

[قال أرأيتَ إذ أوينا إلى الصخرة فإنى نسيت الحوت] أى قال الفتى (يوشع بن نون) حين طلب موسى منه الحوت للغداء : أرأيت حين التجأنا إلى الصخرة التي نمت عندها ، ماذا حدث من الأمر العجيب ؟ لقد خرج الحوتُ من المكتل ودخل البحر ، واصبح عليه مثل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الكوة ، وقد نسيتُ أن أذكر لك ذلك حين استيقظتَ

[وما أنسانيه إلا الشيطان أن اذكره] أى وقد أنساني الشيطان أن أخبرك عن قصته الغريبة

[واتخذ سبيله في البحر عجبا] أى واتخذ الحوتُ طريقه في البحر ، وكان أمره عجبا ، يتعجب الفتى من أمره ، لأنه كان حوتا مشويا ، فدبت فيه الحياة ودخل البحر

[قال ذلك ما كنا نبغ] أى قال موسى : هذا الذي نطلبه ونريده ، لأنه علامة على غرضنا ، وهو لقيا الرجل الصالح

[فارتدا على آثارهما قصصا] أى رجعا في طريقهما الذي جاءا منه ، يتتبعان أثرهما الأول ، لئلا يخرجا عن الطريق

[فوجدا عبداَ من عبادنا] أى وجدا الخضر عليه السلام ، عند الصخرة التى فقد عندها الحوت ، وفي الحديث أن موسى وجد الخضر مسجى بثوبه ، مستلقياً على الأرض ، فقال له : السلام عليك ، فرفع رأسه ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقال : وأنى بأرضك السلام ؟ أى من أين لك السلام في هذه الأرض ؟

[آتيناه رحمة من عندنا] أى وهبناه نعمة عظيمة ، وفضلا كبيرا وهي الكرامات التي أظهرها الله على يديه ((الصحيح ان الخضر عليه السلام ليس بنبي وإنما هو من عباد الله الصالحين وأوليائه المقربين ، وقد أظهر الله على يديه هذه الكرامات ، والأمور الغيبية ، تعليما للخلق فضل العبودية لله رب العالمين ، وما يكرم الله به بعض أوليائه

[وعلمناه من لدنا علما] أى علما خاصا بنا لا يُعلم إلا بتوفيقنا وهو علم الغيوب ، قال العلماء : هذا العلم الربانى ثمرة الإخلاص والتقوى ويسمى " العلم اللدُني " يورثه الله لمن أخلص العبودية له ، ولا ينال بالكسب والمشقة ، وإنما هو هبة الرحمن ، لمن خصه الله بالقرب والولاية والكرامة

[قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشداً] أى هل تأذن لي في مرافقتك ، لأقتبس من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

علمك ما يرشدني في حياتي ؟ قال المفسرون : هذه مخاطبة فيها ملاطفة ، وتواضع من نبي الله الكريم ، وكذلك ينبغى أن يكون الإنسان ، مع من يريد أن يتعلم منه

[قال إنك لن تستطيع معي صبرا] أى قال الخضر : إنك لا تستطيع الصبر على ما ترى ، قال ابن عباس : لن تصبر على صنعى ، لأني علمتُ من غيب علم ربي

[وكيف تصبرُ على ما لم تحط به خبرا] أى كيف تصبر على أمر ظاهره منكر ، وأنت لا تعلم باطنه ؟

[قال ستجدني إن شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا] أى قال موسى ستراني صابراَ ، ولا أعصي أمرك إن شاء الله

[قال فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا] شرط عليه قبل بدء الرحلة ، ألا يسأله ، ولا يستفسر عن شيء من تصرفاته حتى يكشف له سرها ، فقبل موسى شرطه رعاية لأدب المتعلم مع

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

العالم ، والمعنى لا تسألني عن شيء مما أفعله ، حتى أبينه لك بنفسي

[فانطلقا حتى إذا ركبا في السفينة خرقها] أى انطلق (موسى والخضر) يمشيان على ساحل البحر ، حتى مرت بهما سفينة ، فعرفوا الخضر فحملوهما بدون أجر ، فلما ركبا السفينة عمد الخضر إلى فأس ، فقلع لوحا من ألواح السفينة ، بعد أن أصبحت في لجة البحر

[قال أخرقتها لتغرق أهلها] أى قال له موسى مستنكرا : أخرقت السفينة لتغرق الركاب ؟

[لقد جئت شيئا إمرآ] أى فعلت شيئا عظيما هائلا ، يروى أن موسى لما رأى ذلك أخذ ثوبه فجعله مكان الخرق ، ثم قال للخضر : قوم حملونا بغير أجر ، عمدتَ إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهل السفينة ، لقد فعلت أمراَ منكراً عظيما! !

[قال ألم أقل إنك لن تستطيع معى صبرا] أى ألم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أخبرك من أول الأمر ، إنك لا تصبر على ما ترى من صنيعي ؟ ذكره بلطف في مخالفته الشرط

[قال لا تؤاخذني بما نسيت] أى لا تؤاخذني بمخالفتي الشرط ونسياني العهد

[ولا ترهقني من أمري عسرا] أى لا تكلفني مشقة في صحبتي إياك ، وعاملني باليُسر لا بالعُسر

[فإنطلقا حتى إذا لقيا غلاما فقتله] أى فقبل عذره ، وانطلقا بعد نزولهما من السفينة يمشيان ، فمرا بغلمان يلعبون ، وفيهم غلام وضيء الوجه ، جميل الصورة فأمسكه الخضر واقتلع رأسه بيده ، ثم رماه في الأرض

[قال أقتلت نفسا زكية بغير نفس] أى قال موسى : أقتلت نفساً طاهرة ، لم ترتكب جرما ولم تقتل نفسا حتى تقتل به ! ؟

[لقد جئت شيئا نكراَ] أى فعلت شيئا منكرا عظيما ، لا يمكن السكوت عنه . . لم يكن موسى ناسيا في هذه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المرة ولا غافلا ، ولكنه قاصد أن يُنكر المنكر الذي لا يصبر على وقوعه ، بالرغم من تذكره لوعده ، وقال هنا : [نكرا] أى منكراً فظيعا وهو أبلغ من قوله [إمرا] في الآية السابقة ، ذكر القرطبي أن موسى عليه السلام لما قال للخضر [أقتلت نفسا زكية] غضب واقتلع كتف الصبي الأيسر ، وقشر اللحم عنه ، فإذا مكتوب في عظم كتفه (كافر لا يؤمن بالله أبدا)

[قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معى صبرا] أى ألم أقل لك أنتَ على التعيين والتحديد لن تستطيع الصبر على ما ترى مني ؟ قال المفسرون : وقره في الأول فلم يواجهه بكاف الخطاب ، فلما خالف في الثاني واجهه بقوله : [لك] لعدم العذر هنا ، ويعود موسى لنفسه ، ويجد أنه خالف وعده مرتين ، فيندفع ويقطع على نفسه الطريق ، ويجعلها أخر فرصة أمامه

[قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني] أى إن أنكرت عليك بعد هذه المرة ، واعترضتُ على ما يصدر منك ، فلا تصحبني معك

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[قد بلغت من لدني عذرا] أى قد أعذرتَ إلى في ترك مصاحبتي ، فأنت معذور عندي ، لمخالفتي لك ثلاث مرات

[فانطلقا حتى إذا آتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما] أى مشيا حتى وصلا إلى قرية ، قال ابن عباس : هي " أنطاكية " فطلبا طعاما وكان أهلها لئاما لا يطعمون جائعا ، ولا يستضيفون ضيفا ، فامتنعوا عن إضافتهما أو إطعامهما

[فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض] أى وجدا في القرية حائطا مائلا يوشك أن يسقط ويقع

[فأقامه] أي مسحه الخضر بيده فاستقام ، وقيل إنه هدمه ثم بناه وكلاهما مروي عن ابن عباس

[قال لو شئت لأتخذت عليه أجرا] أى قال له موسى : لو أخذت منهم أجرا نستعين به على شراء الطعام ! ! أنكر عليه موسى صنيع المعروف مع غير أهله ، روي أن موسى ، قال للخضر : قوم استطعمناهم فلم يطعمونا ، واستضفناهم فلم يضيفونا ، ثم قعدت تبنى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لهم الجدار ، لو شئتَ لأتخذت عليه أجرا!
[قال هذا فراقُ بيني وبينك] أى قال الخضر : هذا وقت الفراق بيننا حسب قولك
[سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا] أى سأخبرك بحكمة هذه المسائل الثلاث ، التي أنكرتها على ، ولم تستطع الصبر عليها ، وفي الحديث : " رحم الله أخي موسى لوددت أنه صبر ، حتى يقص الله علينا من أخبارهما ، ولو لبث مع صاحبه لأبصر العجب
[أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر] هذا بيان وتفصيل للأحداث العجيبة ، التي رآها موسى ولم يطق لها صبرا ، والمعنى : أما السفينة التي خرقتها فكانت لأناس ضعفاء ، لا يقدرون على مدافعة الظلمة ، يشتغلون بها في البحر بقصد التكسب
[فأردت أن أعيبها] أى أردت بعرقها أن أجعلها معيبة ، لئلا يغتصبها الملك الظالم
[وكان وراءهم ملك] أى كان أمامهم ملك كافر ظالم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[يأخد كل سفينة غصبا] أى يغتصب كل سفينة صالحة لا عيب فيها

[وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين] أى وأما الغلام الذي قتلتُه ، فكان كافرا فاجرا وكان أبواه مؤمنين وفي الحديث : (إن الغلام الذي قتله الخضر طبع كافراً ، ولو عاش لأرهق أبويه طغيانا وكفراَ)

[فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا] أى فخفنا أن يحملهما حبه على اتباعه في الكفر والضلال

[فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة وأقرب رُحما] أى فأردنا بقتله أن يرزقهما الله ولداَ صالحا ، خيرا من ذلك الكافر ، وأقربَ برا ورحمة بوالديه

[وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما] أى وأما الجدار الذي بنيتُه دون أجر ، والذي كان يوشك أن يسقط ، فقد خبىء تحته كنزْ من ذهب وفضة لغلامين يتيمين

[وكان أبوهما صالحا] أى وكان والدهما صالحاَ تقيا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فحفظ الله لهما الكنز لصلاح الوالد ((قيل إنه الأب السابع ، وظاهر اللفظ أنه ابوهما مباشرة وهو الأرجح)) ، قال المفسرون : إن صلاح الأباء ينفع الأبناء ، وتقوى الأصول تنفع الفروع

[فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما] أى فأراد الله بهذا الصنيع ، أن يكبرا ويشتد عودهما ، ويستخرجا كنزهما من تحت الجدار

[رحمة من ربك] أى رحمة من الله بهما لصلاح أبيهما

[وما فعلته عن أمري] اي ما فعلتُ ما رأيتَ من خرقِ السفينة ، وقتل الغلام ، وإِقامة الجدار عن رأيي واجتهادي ، بل فعلته بأمر الله وإلهامه

[ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا] أى ذلك تفسير الأمور التي لم تستطع الصبر عليها وعارضت فيها قبل أن أخبرك عنها .

البلاغة :

تضمنت الآيات الكريمة من وجوه البيان والبديع ما

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يلي :

1 - الطباق بين [مبشرين . . ومندرين] وبين [نسيت . . وأذكر] .

2 - اللف والنشر المرتب [أما السفينة] [وأما الغلام] [وأما الجدار] فقد جاء بها مرتبة بعد ذكر ركوب السفينة ، وقتل الغلام ، وبناء الجدار ، بطريق اللف والنشر المرتب وهو من المحسنات البديعية .

3 - الحذف بالإيجاز [كل سفينة] أى صالحة ، حذف لدلالة لفظ " أعيبها " وكذلك حذف لفظ كافر من [وأما الغلام] لدلالة قوله تعالى : [فكان أبواه مؤمنين] أى وهو كافر .

4 - التغليب [أبواه] المراد باللفظ أبوه وأمه .

5 - الاستعارة [يريد أن ينقض] لأن الإرادة من صفات العقلاء لإسنادها إلى الجدار من لطيف الاستعارة وبليغ المجاز كقول الشاعر : يريد الرمح صدر أبى براء ويرغب عن دماء بني عقيل

6 - التنكير للتفخيم والإضافة للتشريف [عبدا من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عبادنا] .

7 - السجع الرصينُ غير المتكلف مراعاة لرءوس الآيات مثل [نصباً ، سربا ، عجبا]

8 - تعليم الأدب [فأردت أن أعيبها] وهناك قال : [فأراد ربك] حيث أسند ما ظاهره شر لنفسه ، وأسند الخير إلى الله تعالى ، وذلك لتعليم العباد الأدب مع الله جل وعلا .

قصة موسى والخضر كما في الصحيحين

" عن أبى بن كعب عن رسول الله (ص) أنه قال : (إن موسى قام خطيبا في بني إسرائيل ، فسئل أيُ الناس أعلم ؟ فقال : أنا ، فعتب الله عز وجل عليه ، إذ لم يرُد العلم إليه ، فأوحى الله إليه أن لي عبدا بمجمع البحرين هو أعلم منك ، قال موسى : يا رب فكيف لي به ؟ قال : تأخذ حوتا فتجعله في مكتل ، فحيثما فقدتَ الحوتَ فهو ثم ، فانطلق موسى ومعه فتاه " يوشع بن نون " حتى إذا أتيا الصخرة وضعا رءوسهما فناما ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

واضطرب الحوت في المكتل فخرج منه فسقط في البحر ، فإتخذ سبيله في البحر سرَبا ، أمسك الله عن الحوت جرية الماء ، فصار عليه مثل الطاق ، فلما استيقظ نسي صاحبه أن يخبره بالحوت ، فانطلقا بقية يومهما وليلتهما حتى إذا كان من الغد ، قال موسى لفتاه : آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا - قال : ولم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذي أمره الله به - فقال فتاه : [أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا] قال : فكان للحوت سَرَبآ ولموسى وفتاه عجَباً فقال موسى : [ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا] قال : رجعا يقصان آثارهما حتى انتهيا إلى الصخرة ، فإذا رجل مسجى بثوب ، فسلم عليه موسى فقال الخضر : وأنى بأرضك السلام ((يعني من أين السلام في هذه الأرض التي لا يعرف فيها السلام ؟)) من أنت ؟ قال : أنا موسى ، قال : موسى بني إسرائيل ؟ قال : نعم أتيتك

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لتعلمني مما عُلمت رُشداً [قال إنك لن تستطيع معي صبرا] . . يا موسى إني على علم من علم الله لا تعلمه علمنيه ، وأنت على علم من علم الله علمه لا أعلمه ، فقال موسى : [ستجدني إن شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا] فقال له الخضر : [فإن تبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أُحدث لك منه ذكرا] فانطلقا يمشيان على الساحل ، فمرت سفينة فكلموهم أن يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوهم بغير نزل - أي بدون أجر - فلما ركبا في السفينة ، لم يفجأ إلا والخضر قد قلع لوحا من الواح السفينة بالقدوم ، فقال له موسى : قوم قد حملونا بغير نول عمدت إلى سفينتهم فخرقتها [لتغرق أهلها لقد جئت شيئا إمرا] وقال رسول الله (ص) : وكانت الأولى من موسى نسيانا ، وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر في البحر نقرة فقال له الخضر : ما علمي وعلمكَ في علم الله تعالى إلا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر ، ثم خرجا من السفينة ، فبينما هما يمشيان على

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الساحل ، إذ أبصر الخضر غلاما يلعب مع الغلمان ، فأخذ الخضر رأسه فاقتلعه فقتله ، فقال له موسى : [أقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا] ؟ قال [ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا] ؟ قال سُفيان : وهذه أشد من الأولى [قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغتَ من لدني عذرا] فانطلقا [حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض] فقال الخضر بيده هكذا - أى أشار بيده - فأقامه فقال موسى : قوم أتيناهم فلم يطعمونا ، ولم يضيفونا [لو شئت لاتخذت عليه أجرا] قال الخضر : [هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا] قال رسول الله ، : يرحم الله موسى لوددت أنه كان صبر حتى يقص الله علينا من أخبارهما)! ! أخرجه الشيخان .

تنبيه :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قال العلامة القرطبي : " كرامات الأنبياء ثابتة على ما دلت عليه الأخبار والآيات المتواترة ، ولا ينكرها إلا المبتدع الجاحد ، أو الفاسق الحائد ، فالآيات منها ما أخبر الله تعالى في حق مريم ، من ظهور الفواكه الشتوية في الصيف ، والصيفية في الشتاء ، وما ظهر على يدها حيث هزت النخلة وكانت يابسة فأثمرت ، وهي ليست بنبية ، وبدل أيضا ما ظهر على يد الخضر من خرق السفينة ، وقتل الغلام ، لإقامة الجدار " اهـ . القرطبي .

قال الله تعالى : [ويسألونك عن ذي القرنين . .] إلى قوله [فليعمل عملا صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداَ] من آية (83) إلى آية (115) نهاية السورة الكريمة .

المناسبة :

لما ذكر تعالى قصة الخضر أعقبها بقصة ذي القرنين ، ورحلاته الثلاث إلى الغرب ، والشرق ، وإلى السدين ، وبناؤه للسد في وجه " يأجوج ومأجوج)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وهي القصة الرابعة من القصص المذكورة فى هذه السورة ، وجميعها ترتبط بالعقيدة والإيمان ، وهو الهدف الأصيل للسورة الكريمة .

اللغة :

[ذو القرنين] هو الاسكندر المقدوني ((ذو القرنين ملك مسلم من ملوك اليمن ، وهو غير الاسكندر باني الاسكندرية)) وهو ملِك صالح أعطي العلم والحكمة ، سمي بذي القرنين لأنه ملك مشارق الأرض ومغاربها وكان مسلما عادلا ، قال الشاعر :

قد كان ذو القرنين جذي مسلما ملكا علا في الأرض غير مفند بلغ المشارق والمغارب يبتغي أسباب مُلكٍ من كريمِ مرشد

[حمئة] كثيرة الحمأة وهي الطينة السوداء

[سداَ] السد : الحاجز والحائل بين الشيئين

[ردما] الردم . السدُ المنيع وهو أكبر من السد لأن الردم ما جعل بعضه على بعض حتى يصبح كالحصن المنيع ، فالردم الحاجز الحصين المتين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[زبر الحديد] قطع الحديد مفرده زُبرة وهي القطعة

[الصدفين] جانبا الجبل ، قال ابو عبيدة : الصدف كل بناء عظيم مرتفع

[قطرا] القِطر : النحاس المذاب

[نقبا] خرقا وثنبا

[دكاء] مدكوكا مسوى بالأرض ، قال الأزهري : دككته أى دققته

[يموج] يختلط ويضطرب

[الفردوس] قال الفراء : البستان الذي فيه العنب ، وقال ثعلب : كل بستان يحوط عليه فهو فردوس .

سبب النزول :

1 - قال قتادة : إن اليهود سألوا النبي (ص) عن ذي القرنين ، أرادوا بذلك امتحانه ، فأنزل الله [ويسألونك عن ذي القرنين . .] الآية .

2 - قال مجاهد : جاء رجل إلى النبي (ص) فقال يا رسول الله : إني أتصدق ، وأصلُ الرحم ، ولا أصنع ذلك إلا لله تعالى ، فيُذكر ذلك مني وأُحمد عليه ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فيسرني ذلك وأُعجب به ، فسكت رسول الله (ص) ولم يقل شيئا فأنزل الله [فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا] .

التفسير :

[ويسألونك عن ذي القرنين] أى يسألك اليهود يا محمد عن ذي القرنين ما شأنه ؟ وما قصته ؟

[قل سأتلوا عليكم منه ذكراً] أى قل لهم سأقص عليكم من نبأه وخبره ، قرآنا ووحيا

[إنا مكنا له في الأرض وآتيناه من كل شيء سببا] أى يسرنا له أسباب الملك والسلطان ، والفتح والعمران ، وأعطيناه كل ما يحتاج إليه للوصول إلى غرضه ، من أسباب العلم والقدرة والتصرف ، قال المفسرون : ذو القرنين هو (الاسكندر اليونانى) ملكَ المشرق والمغرب فسمي ذا القرنين ، وكان ملكا مؤمنا ، مكن الله له في الأرض فعدل في حكمه وأصلح ، وكان في الفترة بين (عيسى) و(محمد) صلوات الله عليهما . .

روي أن الذين ملكوا الأرض أربعة : مؤمنان وكافران

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

، أما المؤمنان ، فسليمان ، وذو القرنين ، وأما الكافران : فنمرود ، وبختتصر

[فأتبع سببا] أى سلك طريقه الذي يسره الله له ، وسار جهة المغرب

[حتى إذا بلغ مغرب الشمس] أى وصل جهة المغرب

[وجدها تغرب في عين حمئة] أى وجد الشمس تغرب في ماء وطين - حسب ما شاهد لا حسب الحقيقة - فإن الشمس أعظم من أن تدخل في عين من عيون الأرض ، قال الرازي : إن ذا القرنين لما بلغ أقصى المغرب ، ولم يبق بعده شيء من العمارات ، وجد الشمس كأنها تغرب في عين وهدة مظلمة ، وإن لم تكن كذلك في الحقيقة ، كما أن راكب البحر ، يرى الشمس كأنها تغيب في البحر ، إذا لم ير الشط ، وهي في الحقيقة تغيب وراء البحر

[ووجد عندها قوما] أى وجد عند تلك العين الحارة ، ذات الطين قوما من الأقوام

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[قلنا يا ذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسنا] أى قلنا له بطريق الإلهام : إما ان تقتلهم أو تدعوهم بالحسنى إلى الهداية والإيمان ، قال المفسرون : كانوا كفارا فخيَّره الله بين أن يعذبهم بالقتل ، أو يدعوهم إلى الإسلام ، فيُحسن إليهم

[قال أما من ظلم فسوف نعذبه] أى من أصر على الكفر فسوف نقتله

[ثم يرد إلى رب فيعذبه عذابا نكرا] أي ثم يرجع إلى ربه ، فيعذبه عذابا منكراً فظيعا ، في نار جهنم

[وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاءً الحسنى] أى وأما من آمن بالله ، وأحسن العمل في الدنيا وقدم الصالحات ، فجزاؤه الجنة يتنعم فيها

[وسنقول له من أمرنا يسرا] أى نيسر عليه في الدنيا ، فلا نكلِّفه بما هو شاق بل بالسهل الميسر. . اختار الملك العادل دعوتهم بالحسنى ، فمن آمن فله الجنة ، والمعاملة الطيبة ، والمعونة والتيسير ، ومن بقي على الكفر ، فله العذاب والنكال في الدنيا والآخرة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ثم أتبع سببا] أى سلك طريقاَ بجنده نحو المشرق

[حتى اذا بلغ مطلع الشمس] أى حتى إذا وصل أقصى المعمورة ، من جهة الشرق حيث مطلع الشمس في عين الرائي

[وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها ستراً] أى وجد الشمس تشرقُ على أقوام ، ليس لهم من اللباس والبناء ما يسترهم من حر الشمس ، فإذا طلعت الشمس دخلوا في أسراب تحت الأرض ، وإذا غربت خرجوا لمكاسبهم ، قال قتادة : مضى ذو القرنين يفتح المدائن ، ويجمع الكنوز ، ويقتل الرجال إلا من آمن ، حتى أتى مطلع الشمس فأصاب قوما في أسْراب عراةً ، ليس لهم طعام إلا ما انضجته الشمس إذا طلعت ، حتى إذا زالت عنهم الشمس ، خرجوا من أسرابهم في طلب معايشهم ، وذُكر لنا أنهم كانوا في مكان لا يثبت عليه بنيان ويقال إنهم الزنج

[كذلك وقد أحطنا بما لديه خبرا] أى كذلك فعل بأهل المشرق من آمن تركه ، ومن كفر قتله ، كما فعل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بأهل المغرب ، وقد أحطنا علما بأحواله وأخباره ، وعتاده وجنوده ، فأمرهُ من العظمة وكثرة الرجال ، بحيث لا يحيط به إلا علم اللطيف الخبير

[ثم أتبع سبباً] أي سلك طريقاً ثالثا بين المشرق والمغرب ، يوصله جهة الشمال حيث الجبال الشاهقة

[حتى إذا بلغ بين السدين] أى حتى إذا وصل إلى منطقة بين حاجزين عظيمين ، بمنقطع ، أرض بلاد الترك ، مما يلي أرمينية وأذربيجان ، قال الطبري : والسدُ الحاجز بين الشيئين وهما هنا جبلان سُد ما بينهما ، فردَم ذو القرنين حاجزا بين يأجوج ومأجوج من ورائهم ، ليقطع مادة غوائلهم وشرهم عنهم

[وجد من دونهما قوماً لا يكادون يفقهون قولا] أى وجد من وراء السدين قوما متخلفين ، لا يكادون يعرفون لسانا غير لسانهم ، إلا بمشقة وعُسر ، قال المفسرون : إنما كانوا لا يفقهون القول لغرابة لغتهم ، وبطء فهمهم ، وبعدهم عن مخالطة غيرهم ، وما فهم كلامهم إلا بواسطة ترجمان

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض] أي قال القوم لذي القرنين : إن يأجوج ومأجوج - قبيلتان من بني آدم في خلقهم تشوية ، منهم مفرط في الطول ، ومنهم مفرط في القصر - قوم مفسدون بالقتل السلب واللهب ، وسائر وجوه الشر ، كانوا من أكلة لحوم البشر ، يخرجون في الربيع ، فلا يتركون أخضر إلا أكلوه ، ولا يابسا إلا احتملوه

[فهل نجعل لك خرجا] أى هل نفرض لك جزءأ من أموالنا كضريبة وخراج

[على أن تجعل بيننا وبينهم سداَ] أى لتجعل سدا يحمينا من شر يأجوج ومأجوج ، قال في البحر : هذا استدعاء منهم لقبول ما يبذلونه على جهة حسن الأدب

[قال ما مكنى فيه ربي خير] أى ما بسطه الله على من القُدرة والمُلك ، خير مما تبذلونه لي من المال

[فأعينوني بقوة] أى لا حاجة لي إلى المال ، فأعينوني بالأيدي والرجال

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[أجعل بينكم وبينهم ردما] أي أجعل بينكم وبينهم سداً منيعا ، وحاجزا حصينا ، وهذه شهامة منه حيث رفض قبول المال ، وتطوع ببناء السد واكتفى بعون الرجال

[آتوني زبر الحديد] أى أعطوني قطع الحديد وأجعلوها لي في ذلك المكان

[حتى إذا ساوى بين الصدفين] أى حتى إذا ساوى البناء بين جانبي الجبلين

[قال انفخوا] أى انفخوا بالمنافيخ عليه

[حتى إذا جعله نارا] أى جعل ذلك الحديد المتراكم كالنار بشدة الإحماء

[قال اَتوني أفرغ عليه قطراً] أى أعطوني أصب عليه النحاس المذاب ، قال الرازى : لما آتوه بقطع الحديد وضع بعضها على بعض ، حتى صارت بحيث تسد ما بين الجبلين إلى أعلاهما ، ثم وضع المنافخ عليها ، حتى إذا صارت كالنار صب النحاس المذاب على الحديد المحمي ، فالتصق بعضه ببعض ، وصار جبلا صلدا 0

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فما اسطاعوا أن يظهروه] أى فما استطاع المفسدون ان يعلوه ويتسوروه ، لعلوه وملاسته

[وما استطاعوا له نقبا] أى وما استطاعوا نقبه من أسفل لصلابته وثخانته ، وبهذا السد المنيع ، أغلق (ذو القرنين) الطريق على يأجوج ومأجوج

[قال هذا رحمة من ربي] أى قال ذو القرنين : هذا السد نعمة من الله ورحمة على عباده

[فإذا جاء وعد ربي] أى فإذا جاء وعد الله بخروج يأجوج ومأجوج ، وذلك قرب قيام الساعة

[جعله دكاء] أى جعله الله مستويا بالأرض ، وعاد متهدما كأن لم يكن بالأمس

[وكان وعد ربي حقاَ] أي كان وعده تعالى بخراب السدً وقيام الساعة ، كائنا لا محالة . . وهھنا تنتهي قصة ذي القرنين ، ثم يأتي الحديث عن أهوال الساعة وشدائد القيامة ، حيث يقول سبحانه :

[وتركنا بعضهم يومئذ يموج فى بعض] أي تركنا الناس يوم قيام الساعة ، يضطرب بعضهم ببعض -

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لكثرتهم - كاضطراب موج البحر

[ونفخ في الصور فجمعناهم جمعا] أى ونفخ في الصور النفخة الثانية ، فجمعناهم للحساب والجزاء ، في صعيد واحد جمعا ، لم يتخلف منهم أحد

[وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا] أى أبرزنا جهنم وأظهرناها للكافرين يوم جمع الخلائق ، حتى شاهدوها بأهوالها ، عرضا مخيفا مفزعاً

[الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكرى] أى هم الذين كانوا في الدنيا عُمياً عن دلائل قدرة الله ووحدانيته فلا ينظرون ولا يتفكرون

[وكانوا لا يستطيعون سمعا] أى لا يطيقون أن يسمعوا كلام الله تعالى ، لظلمة قلوبهم ، قال أبو السعود : وهذا تمثيل لإعراضهم عن الأدلة السمعية ، وتعاميهم عن الآيات المشاهدة بالأبصار فكأنهم عمى صم

[أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادى من دونى أولياء] الهمزة للإنكار والتوبيخ ، أى هل يظن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الكافرون أن يتخذوا بعض عبادي آلهة يعبدونهم دوني ؟ كالملائكة وعزير والمسيح ابن مريم ، وأن ذلك ينفعهم أو يدفع عنهم عذابي ؟ قال القرطبي : جواب الاستفهام محذوف تقديره : أفحسبوا أن ذلك ينفعهم ، أو لا أعاقبهم ؟

[إنا أعتدنا جهنم للكافرين نزلا] أى هيأنا جهنم وجعلناها ضيافة لهم ، كالنُزُل المعد للضيف ، وفيه تهكم بهم ، وتنبيه على أن لهم وراءها من العذاب ، ما تستحقر جهنم دونه

[قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا] أى قل يا أيها الرسول لهؤلاء الكافرين : هل نخبركم بأخسر الناس عند الله ؟

[الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا] أى بطل عملهم وضاع في هذه الحياة الدنيا ، لأن الكفر لا تنفع معه طاعة ، قال الضحاك : هم القسيسون والرهبان ، يتعبدون ويظنون أن عبادتهم تنفعهم ، وهي لا تقبل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

منهم

[وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا] أى يظنون أنهم محسنون بأفعالهم

[أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم] أى كفروا بالقرآن وبالبعث والنشور ، فبطلت أعمالهم

[فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا] أى ليس لهم عند الله قيمة ولا وزن ، ولا قدر ولا منزلة ، وفي الحديث : (يُؤتى بالرجل الطويل الأكول الشروب فلا يزن جناح بعوضة)

[ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا] أى ذلك جزاؤهم وعقوبتهم نارُ جهنم ، بسبب كفرهم واستهزائهم بآيات الله ورسله

[إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات] أى آمنوا بالله وعملوا بما يرضيه

[كانت لهم جنات الفردوس نزلا] أى لهم أعلى درجات الجنة ، وهي (الفردوس) منزلا ومستقرا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[خالدين فيها لا يبغون عنها حولا] أى ماكثين فيها أبدا لا يطلبون عنها تحولا ، قال ابن رواحة : في جنان الفردوس ليسَ يخافون خُروجاً عنها ولا تحويلاً

[قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى] هذا تمثيل لسعة علم الله والمعنى : لو كانت بحار الدنيا حبرا ومدادا ، وكتبت به كلمات الله ، وحِكَمُه وعجائبه

[لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي] أى لفني ماء البحر على كثرته وانتهى ، وكلامُ الله لا ينفد ، لأنه غير متناه كعلمه جل وعلا

[ولو جئنا بمثله مددا] أى ولو آتينا بمثل ماء البحر ، وزدناه به أضعافا ، فإن كلام الله لا يتناهى

[قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد] أى قل لهم يا أيها الرسول : إنما أنا إنسان مثلكم ، أكرمني الله بالوحي ، وأمرني أن أخبركم أنه واحد احد لا شريك له

[فمن كان يرجوا لقاء ربه] أى فمن كان يرجو ثواب الله ويخاف عقابه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فليعمل عملا صالحا] أى فليخلص له العبادة
[ولا يشرك بعبادة ربه أحدا] أى ولا يرائى بعمله ، ولا يبتغي بما يعمل غير وجه الله ، فإن الله لا يقبل إلا ما كان خالصاً لوجهه الكريم ، على هدي سيد المرسلين ! !

البلاغة :

تضمنت الايات الكريمة وجوهاً من البيان والبديع نوجزها فيما يلي :

1 - الطباق بين [مطلع . . ومغرب] وهو من المحسنات البديعية .

2 - التشبيه البليغ [جعله نارا] أى كالنار في الحرارة وشدة الاحمرار حذفت أداة التشبيه ووجه الشبه فأصبح بليغاً .

3 - الاستعارة [يموج فى بعض] شبههم لكثرتهم وتداخل بعضهم في بعض ، بموج البحر المتلاطم ، واستعار لفظ " يموج " لذلك ، ففيه استعارة تبعية .

4 - الاستعارة أيضا [كانت أعينهم في غطاء عن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ذكري] أى كانوا ينظرون فلا يعتبرون ، وتُعرض عليهم الآيات الكونية فلا يؤمنون ، ولم تكن أعينهم حقيقةَ في غطاء وحجاب ، وإنما هو بطريق التمثيل .

5 -الجناس الناقص [يحسبون أنهم يحسنون] لتغير الشكل وبعض الحروف ، ويسمى أيضا جناس التصحيف .

6 - الاستفهام الذي يراد به التوبيخ والتقريع [أفحسب الذين كفروا] ؟ .

7 - المقابلة اللطيفة [وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى] مقابل [أما من ظلم فسوف نعذبه . .] الآية .

لطيفة :

كثيراً ما يرد فى القرآن لفظ " حبط " وأصل الحبوط هو انتفاخ بطن الدابة حين تأكل نوعا ساما من الكلأ ثم تَلقى حتفها ، وهذا اللفظ أنسب شيء لوصف الأعمال ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فإنها تنتفخ وأصحابها يظنونها صالحة ناجحة رابحة ثم تنتهي إلى البوار والدمار .

سورة مريم

مكية وآياتها ثمان وتسعون

بين يدي السورة

* سورة مريم مكية ، وغرضها تقرير التوحيد ، وتنزيه الله جل وعلا عما لا يليق به ، وتثبيت عقيدة الإيمان بالبعث والجزاء ، ومحورُ هذه السورة يدور حول التوحيد ، والإيمان بوجود الله ووحدانيته ، وبيان منهج المهتدين ، ومنهج الضالين .

* عرضت السورة الكريمة لقصص بعض الأنبياء مبتدئةً بقصة نبي الله " زكريا " وولده " يحيى " الذي وهبه على الكبر من امرأة عاقر ولا تلد ، ولكن الله قادرعلى كل شيء ، يسمع دعاء المكروب ، ويتسجيب لنداء الملهوف ، ولذلك استجاب الله دعاءه ورزقه الغلام النبيه .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

* وعرضت السورة لقصة أعجب وأغرب ، تلك هي قصة " مريم العذراء " وإنجابها لطفل من غير أب ، وقد شاءت الحكمة الإلهية أن تبرز تلك المعجزة الخارقة بميلاد عيسى من أم بلا أب ، لتظل آثار القدرة الربانية ماثلةً أمام الأبصار ، بعظمة الواحد القهار .

* وتحدثت كذلك عن قصة " إبراهيم " مع ابيه ، ثم ذكرت بالثناء والتبجيل رسل الله الكرام : " إسحاق ، يعقوب ، موسى ، هارون ، إسماعيل ، إدريس ، نوحاً " وقد استغرق الحديث عن هؤلاء الرسل الكرام حوالي ثلثي السورة ، والهدفُ من ذلك إثبات " وحدة الرسالة " وأن الرسل جميعا جاؤوا لدعوة الناس إلى توحيد الله ، ونبذ الشرك والأوثان .

* وتحدثت السورة عن بعض مشاهد القيامة ، وعن أهوال ذلك اليوم الرهيب ، حيث يجثو فيه الكفرة المجرمون حول جهنم ليقذفوا فيها ، ويكونوا وقودا لها .

* وختمت السورة الكريمة بتنزيه الله عن الولد ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والشريك ، والنظير ، وردّت على ضلالات المشركين بأنصع بيان ، وأقوى برهان .

التسمية :

سميت (سورة مريم) تخليدا لتلك المعجزة الباهرة ، في خلق إنسان بلا أب ، ثم إنطاق الله للوليد وهو طفل في المهد ، وما جرى من أحداث غريبة رافقت ميلاد عيسى عليه السلام .

اللغه :

[وهن] ضعف يقال ؟ وَهَن يهِنُ فهو وَاهِن ،

والوهنُ : ضعفُ القوة

[اشتعل] الاشتعال انتشار شعاع النار

[عاقراَ] العاقر : التي لا تلد لكبر سنها

[عتيا] العِتى : النهاية في الكبر واليبس والجفاف ، يقال : عتا الشيخ كبر وولى ، قال الشاعر : إنما يُعذر الوليدُ ولا يُعذر من كان في الزمان عِتياَ

[حنانا] الحنان : الشفقة والرحمةُ والمحبةُ ، وأصله من حنين الناقة على ولدها ، وحنانيك تريد رحمتك ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قال طرفة : أبَا منذرأفنيت فاستبق بعضَنا حنانَيك بعضُ الشر أهونُ من بعض

[انتبذت] ابتعدت وتنحًث

[سويا] مستوي الخلقة

[المخاض] اشتداد وجع الولادة والطلق

[سريا] السري : النهر والجدول لأن الماء يسري فيه

[فريا] الفري : العظيم من الأمر.

التفسير :

[كهيعص] حروف مقطعة للتنبيه على إعجاز القرآن وتقرأ : " كاف ، ها ، يَا ، عَينْ ، صَاد " ((الحروف الهجائية المقطعة اختلف فى معناها المفسرون اختلافا كبيرا ، فقيل : إنها من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه ، ولهذا يقول بعض المفسرين : الله اعلم بمراده ، ومنهم من قال إنها إشارة إلى بعض أسماء الله الحسنى ، فالألف إشارة إلى الاسم الجليل " الله " واللام إشارة إلى اسم الله " اللطيف " والميم إشارة إلى اسم الله " العليم " وروي عن ابن عباس أنه قال : الألف من "

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الله " واللام من " جبريل " والميم من " محمد " ففيها التلطف بالتنبيه على أن هذا القرآن المعجز ، منزل من الله تعالى ، بواسطة جبريل الامين ، على محمد خاتم المرسلين . وهناك اقوال اخرى كثيرة ، ولكن الصحيح الراجح منها ان هذه الحروف المقطعة ، للتنبيه على " إعجاز القران " العظيم ، كما ذهب اليه المحققون من أئمة أعلام جهابذة التفسير ، وانظر ما كتبناه في الجزء الأول من هذا التفسير ، في أول سورة البقرة ففيه من البيان ما يكفي ويشفي))

[ذكر رحمة ربك عبده زكريا] أى هذا ذكرُ رحمةِ ربك لعبدِهِ زكريا نقصه عليك يا محمد

[إذ نادى ربه نداء خفيا] أى حين ناجى ربه ودعاه بصوت خفى لا يكاد يسمع ، قال المفسرون : لأن الإخفاء في الدعاء أدخلُ في الإخلاص وأبعدُ من الرياء

[قال رب إني وهن العظم مني] أى دعا في ضراعة فقال يا رب : لقد ضعف عظمي ، وذهبت قوتي من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الكِبر

[واشتعل الرأس شيبا] أى انتشر الشيب في رأسي انتشار النار في الهشيم

[ولم أكن بدعائك رب شقيا] أى لم تخيب دعائي في وقت من الأوقات ، بل عودتني الإحسان والجميل ، فاستجب دعائي الآن ، كما كنت تستجيبه فيما مضى ، قال البيضاوي : هذا توسل بما سلف له من الاستجابة ، وأنه تعالى عوده بالإجابة وأطمعه فيها ، ومن حق الكريم أن لا يخيب من أطمعه

[وإني خفت الموالي من ورائي] أى خفت بني العم والعشيرة ، من بعد موتي أن يضيعوا الدين ، ولا يُحسنوا وراثة العلم والنبوة

[وكانت امرأتي عاقراَ] أى لا تلد لكبر سنها أو لم تلد قطْ

[فهب لي من لدنك ولياً] أى فارزقنى من محض فضلك ولدا صالحا يتولاني

[يرثني ويرث من آل يعقوب] أي يرثني ويرث

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أجداده في العلم والنبوة ، قال البيضاوي : المراد وراثة الشرع والعلم فإن الأنبياء لا يورثون المال

[واجعله رب رضيا] أى اجعله يا رب مرضيا عندك ، قال الرازى : قدم زكريا عليه السلام على طلب الولد أمورا ثلاثة : أحدها : كونه ضعيفا ، والثانى : أن الله ما رد دعاءه البتة ، والثالث : كون المطلوب بالدعاء سببا للمنفعة في الدين ، ثم صرح بسؤال الولد ، وذلك مما يزيد الدعاء توكيدا ، لما فيه من الاعتماد على حول الله وقوته ، والتبري عن الأسباب الظاهرة

[يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى] أى نبشرك بواسطة الملائكة بغلام يسمى " يحيى " كما في آل عمران [فنادته الملائكة وهو قائمَ يصلي في المحراب أن الله يبشرك بيحيى]

[لم نجعل له من قبل سميا] أى لم يسم أحد قبله بيحيى ، فهو اسم فذ غير مسبوق ، سماه تعالى به ولم يترك تسميته لوالديه ، وقال مجاهد : ليس له شبيه فى الفضل والكمال

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[قال رب أنى يكون لي غلام] أى كيف يكون لي غلام ؟ وهو استفهام تعجب وسرور بالأمر العجيب

[وكانت امرأتي عاقرا] أى والحال أن امرأتي كبيرة السن ، لم تلد في شبابها ، فكيف وهي الآن عجوز! !

[وقد بلغت من الكبر عتيا] أى بلغتُ في الكبر والشيخوخة نهاية العمرقال المفسرون : كان قد بلغ مائة وعشرين سنة ، وامرأتُه تسعا وتسعين سنة ، فأراد أن يطمئن ويعرف الوسيلة التي يرزقه بها هذا الغلام

[قال كذلك قال ربك هو على هين] أى قال الله لزكريا : هكذا الأمر أخلقه من شيخين كبيرين ، وخلقُه وإِيجادُه سهل يسير علي

[وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا] أى كما خلقتُك من العدم ولم تكنُ شيئاً مذكوراً ، فأنا قادر على خلق يحيى منكما ، قال المفسرون : ليس فى الخلق هين وصعب على الله ، فوسيلة الخلق للصغير والكبير ، والجليل والحقير واحدة [كن فيكون] وإنما هو أهونُ في

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

اعتبار الناس ، فإن القادر على الخلق من العدم ، قادر على الخلق من شيخين هرمين

[قال رب اجعل لي آية] أى اجعل لي علامة تدل على حمل امرأتي

[قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا] أى علامتك ألا تستطيع تكليم الناس ، ثلاثة أيام بلياليهن ، وأنت سوي الخلق ليس بك خرس ولا علة ، قال ابن عباس : اعتقِل لسانه من غير مرض ، وقال ابن زيد : حُبس لسانه فكان لا يستطيع أن يكلم أحدا ، وهو مع ذلك يسبح ويقرأ (التوراة) لم يكن الإنجيل ظهر بعد ، لأن هذا قبل ولادة عيسى عليه السلام ، فإذا أراد كلام الناس لم يستطع أن يكلمهم

[فخرج على قومه من المحراب] أى أشرف عليهم من المصلى وهو بتلك الصفة

[فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا] أى اشار إلى قومه بأن سبحوا الله في أوائل النهار وأواخره ، وكان

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كلامه مع الناس بالإشارة ، لقوله تعالى في آل عمران
[قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا]
[يا يحيى خذ الكتاب بقوة] فى الكلام حذف ، والتقدير
فلما ولد يحيى وكبر ، وبلغ السن الذي يؤمر فيه ، قال
الله له : يا يحيى خذ التوراة بجد واجتهاد
[وآتيناه الحكم صبيا] أى أعطيناه الحكمة ورجاحة
العقل منذ الصغر ، روي أن الصبيان قالوا ليحيى :
اذهب بنا نلعب ، فقال لهم : ما للعب خُلقت ، وقيل :
أعطي النبوة منذ الصغر ، والأول أظهر ، قال
الطبري : المعنى أعطيناه الفهم لكتاب الله في حال
صباه قبل بلوغه سن الرجال
[وحنانا من لدنا وزكاة] أى فعلنا ذلك رحمة منا
بأبويه ، وعطفا عليه ، وتزكية له من الخصال الذميمة
[وكان تقيا] أى عبدا صالحاً متقيا لله ، لم يهم
بمعصية قط ، قال ابن عباس : طاهرً لم يعمل بذنب
[وبرا بوالديه ولم يكن جباراً عصيا] أى جعلناه بارا
بأبيه وأُمه محسنا إليهما ، ولم يكن متكبرا عاصياً لربه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً]
أى سلام عليه من الله في يوم ولادته وفى يوم موته ، ويوم يُبعث من قبره ، قال ابن عطية : حياه في المواطن التي يكون الإنسان فيها في غاية الضعف ، والحاجة ، والافتقار إلى الله

[واذكر في الكتاب مريم] هذه هي القصة الثانية فى هذه السورة ، وهي أعجب من قصة " ميلاد يحي " لأنها ولادة عذراء من غير بعل ، وهى أغرب من ولادة عاقر ، من بعلها الكبير في السن ، والمعنى : اذكر يا محمد قصة مريم العجيبة الغريبة ، الدالة على كمال قدرة الله

[إذ إنتبذت من أهلها مكانا شرقيا] أى حين تنحت واعتزلت عن أهلها ، في مكان شرق بيت المقدس لتتفرغ لعبادة الله

[فإتخذت من دونهم حجابا] أى جعلت بينها وبين قومها سترا وحاجزاً

[فأرسلنا إليها روحنا] أى أرسلنا إليها جبريل عليه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

السلام

[فتمثل لها بشرا سوياً] أى تصور لها في صورة البشر التام الخلقة ، قال ابن عباس : جاءها في صورة شاب أبيض الوجه ، جعدَ الشعر مستوى الخلقة ، قال المفسرون : إنما تمثل لها في صورة الإنسان ، لتستأنس بكلامه ولا تنفر عنه ، ولو بدا لها في الصورة الملكية لنفرت ولم تقدر على السماع لكلامه ، ودل على عفافها وورعها أنها تعوذت بالله من تلك الصورة الجميلة ، الفائقة في الحسن

[قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا] أى فلما رأته فزعت وخشيت أن يكون إنما أرادها بسوء فقالت : إني احتمي والتجىء إلى الله منك ، وجواب الشرط محذوف تقديره إن كنت تقيا فاتركني ولا تؤذني

[قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا] أى قال لها (جبريل) مزيلا لما حصل عندها من الخوف : ما أنا إلا ملَك مرسل من عند الله إليك ، ليهبَ لك الله غلاما طاهرا من الذنوب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[قالت أنى يكون لي غلام] أى كيف يكون لي غلام ؟ وعلى أي صفة يوجد هذا الغلام مني ؟

[ولم يمسسني بشر ولم أك بغيا] أى ولستُ بذاتِ زوج حتى يأتيني ولد ولستُ بزانية

[قال كذلك قال ربك هو على هين] أى كذلك الأمرُ ، حَكَمَ ربك بمجيء الغلام منك ، وإن لم يكن لك زوج ، فإن ذلك على الله سهل يسير

[ولنجعله آية للناس ورحمة منا] أى وليكون مجيئه دلالة للناس على قدرتنا العجيبة ، ورحمة لهم ببعثته نبيا يهتدون بإرشاده

[وكان أمرا مقضيا] أى وكان وجوده أمرا مفروغا منه ، لا يتغير ولا يتبدل ، لأنه في سابق علم الله آلأزلي

[فحملته فإنتبذت به مكانا قصيا] انتهى الحوار بين الروح الأمين ومريم العذراء ، وهناك نفخ جبريل في جيب درعها ، فدخلت النفخة في جوفها فحملت به ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وتنحت إلى مكان بعيد ، ومعنى الآية : أنها حملت بالجنين فاعتزلت - وهو في بطنها - مكانا بعيدا عن أهلها خشية أن يعيروها بالولادة من غير زوج

[فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة] أي فألجأها ألم الطلق وشدة الولادة إلى ساق نخلةٍ يابسة ، لتعتمد عليه عند الولادة

[قالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا] أى قالت يا ليتنى كنت قد مِت قبل هذا اليوم ، وكنت شيئا تافها لا يُعرف ولا يُذكر ، قال ابن كثير : عرفت أنها ستُبتلى وتُمتحن بهذا المولود فتمنت الموت ، لأنها عرفت أن الناس لا يصدّقونها في خبرها ، وبعدما كانت عندهم عابدة ناسكة تصبح عاهرة زانية ، ولذلك قالت ما قالت

[فناداها من تحتها ألا تحزني] أى فناداها الملك من تحت النخلة ، قائلا لها : لا تحزني لهذا الأمر

[قد جعل ربك تحتك سريا] أى جعل لك جدولا صغيرا يجرى أمامك ، قال ابن عباس : ضرب جبريل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

برجله الأرض ، فظهرت عين ماءٍ عذب ، فجرى جدولا

[وهزى إليك بجذع النخلة] أى حركي جذع النخلة اليابسة

[تساقط عليك رطبا جنيا] أى يتساقط عليك الزطب الشهى الطري ، قال المفسرون : أمرها بهز الجذغ اليابس لترى آية أخرى في إحياء موات الجذع ، بعد رويتها عين الماء العذب الذي جرى جدولا ، وذلك ليسكن ألمها ، وتعلم أن ذلك كرامة من الله لها

[فكلي واشربى] أى كلي من هذا الرطَب الشهي ، واشربي من هذا الماء العذب السلسبيل

[وقري عينا] أى طيبي نفسا بهذا المولود ولا تحزني

[فإما ترين من البشر أحدا] أى فإن رأيتِ أحدا من الناس وسألكِ عن شأن المولود

[فقولي إني نذرت للرحمن صوماَ] أى نذرت السكوتَ والصمت لله تعالى

[فلن أكلم اليوم إنسيا] أى لن أكلم أحداً من الناس . .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

اُمِرت بالكف عن الكلام ، ليكفيها ولدها ذلك فتكون آية باهرة

[فأتت به قومها تحمله] أى أتت قومها بعد أن طهرت من النفاس تحمل ولدها (عيسى) على يديها

[قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا] أى فلما رأوها وابنها ، أعظموا أمرها واستنكروه وقالوا لها : لقد جئتِ شيئا عظيما مُنكرا

[يا أخت هارون ما كان أبوك امرء سوء] أى يا شبيهة هارون في الصلاح والعبادة ، ما كان أبوك رجلا فاجرا

[وما كانت أمك بغيا] أى وما كانت اُمكِ زانية ، فكيف صدر هذا منك ؟ وأنت من بيت طاهر معروف بالصلاح والعبادة ؟ قال قتادة : كان هارون رجلا صالحاً في بنى إسرائيل مشهورا بالصلاح فشبْهوها به ، وليس بهارون اخي موسى ، لأن بينهما ما يزيد على ألف عام وقال السهيلى : هارون رجل من عُباد بنى إسرائيل المجتهدين ، كانت مريم تُشبه به في اجتهادها

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

، وليس بهارون أخي موسى بن عمران فإن بينهما دهرا طويلا

[فأشارت إليه] أى لم تجبهم وأشارت إلى عيسى ليكلموه وسألوه

[قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيا] أى قالوا متعجبين : كيف نكلم طفلا رضيعا لا يزال في السرير يغتذي بلبان اُمه ؟ قال الرازي : روي أنه كان يرضع فلما سمع ذلك ترك الرضاع ، وأقبل عليهم بوجهه وكلمهم ، ثم لم يتكلم حتى بلغ مبلغا يتكلم فيه الصبيان

[قال إني عبد الله] أى قال عيسى في كلامه حين كلمهم : أنا عبد لله خلقني بقدرته من دون أب ، قدم ذكر العبودية ، ليُبطل قول من ادعى فيه الربوبية

[أتاني الكتاب وجعلني نبيا] أى قضى ربي أن يؤتيني الإنجيل ويجعلنى نبيا ، وإنما جاء بلفظ الماضي لإفادة تحققه ، فإن ما حكم به الله أزلا لا بد إلا أن يقع

[وجعلني مباركاً أين ما كنت] أى جعل في البركة والخير والنفع للعباد ، حيثما كنت وأينما حللت

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا] أى أوصاني بالمحافظة على الصلاة والزكاة مدة حياتي

[وبرا بوالدتي] أى وجعلني بارا بوالدتي محسنا لها

[ولم يجعلني جبارا شقيا] أى ولم يجعلني متعظماا متكبرا على أحد ، شقيا في حياتي

[والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا] أى سلام الله علي في يوم ولادتي ، وفي يوم مماتي ، وفي يوم خروجي حيا من قبري ، هذه أول كلمة نطق بها السيد المسيح عليه السلام ، وهو طفل رضيع في المهد ، وهي إحدى معجزاته ، ولكننا لا نجد لها وجوداً في الأناجيل الآن ، فقد حذفها القسسُ والرهبان ، لأنها تبطل دعواهم أنه ابن الله ، مع أنها إحدى الخوارق العجيبة! ! وهكذا يعلن عيسى عبوديته لله ، فليس هو إلها ، ولا ابن إله ، ولا ثالث ثلاثة كما يزعم النصارى ، إنما هو عبد ورسول ، يحيا ويموت كسائر البشر ، خلقه الله من أم دون أب ، ليكون آية على

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قدرة الله الباهرة ، ولهذا جاء التعقيب المباشر
[ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون]
أي ذلك هو القول الحق في عيسى ابن مريم ، لا ما يصفه النصارى من أنه ابن الله ، أو اليهود من أنه ابن زنى ويشكون في أمره ويمترون
[ما كان لله أن يتخذ من ولد] أى ما ينبغي لله ولا يجوز له أن يتخذ ولدا
[سبحانه] أى تنزه الله عن الولد والشريك
[إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون] أى إذا أراد شيئا وحكم به قال له " كن فكان " ولا يحتاج إلى معاناة أو تعب ، ومن كان هذا شأنه كيف يتوهم أن يكون له ولد ؟ وهذا كالدليل لما سبق كأنه قال : إن اتخاذ الولد شأن العاجز الضعيف المحتاج ، الذي لا يقدر على شيء ، وأما القادر الغني الذي يقول للشيء [كن فيكون] فلا يحتاج فى اتخاذ الولد إلى إحبال الأنثى ، وحيث أوجده بقوله : [كن] لا يسمى ابنا له بل هو عبده ، فهو تبكيت وإلزام لهم بالحجج الباهرة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وإن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم] أى ومما آمرَ به عيسى قومَه وهو في المهد ، أن أخبرهم أن الله ربه وربهم ، فليفردوه بالعبادة ، هذا هو الدين القويم الذي لا اعوجاج فيه

[فاختلف الأحزاب من بينهم] أي اختلفت الفرق من أهل الكتاب ، في أمر عيسى عليه السلام ، وصاروا أحزابا متفرقين ، فمنهم من يزعم أنه ابن الله ، ومنهم من يزعم أنه ابن زنى

[فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم] أى ويل لهم من المشهد الهائل ، ومن شهود هول الحساب والجزاء

[أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا] أى ما أسمعهم وأبصرهم فى ذلك اليوم الرهيب ! !

[لكن الظالمون اليوم فى ضلال مبين] أى لكن الظالمون في هذه الدنيا ، في بعد وغفلة عن الحق واضح جلي

[وأنذرهم يوم الحسرة] أى أنذر الخلائق وخوفهم يوم القيامة ، يوم يتحسر المسيء إذ لم يُحسن ، والمقصر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إذ لم يزدد من الخير

[إذ قضي الأمر] أى قُضي أمرُ الله في الناس ، فريق في الجنة ، وفريق في السعير

[وهم في غفلة] أى وهم اليوم في غفلة سادرون

[وهم لا يؤمنون] أى لا يصدقون بالبعث والنشور

[إنا نحن نرث الأرض ومن عليها] أى نحن الوارثون للأرض وما عليها من الكنوز والبشر

[والينا يرجعون] أى مرجع الخلائق ومصيرهم إلينا للحساب والجزاء .

البلاغة :

تضمنت الآيات الكريمة من وجوه البيان والبديع ما يلي :

1 - الكناية [وهن العظم مني] كناية عن ذهاب القوة وضعف الجسم .

2 - الاستعارة اللطيفة [اشتعل الرأس شيبا] شبه انتشار الشيب وكثرته باشتعال النار في الحطب ، واستعير الاشتعال للانتشار ، واشتق منه اشتعل بمعنى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

انتشر ، ففيه استعارة تبعية .

3 - الطباق بين [ولد . . ويموت] .

4 - جناس الاشتقاق [نادى . . نداة] .

5 - الكناية اللطيفة [ولم يمسسني بشر] كناية عن المعاشرة الزوجية بالجماع ، وليس المراد مجرد اللمس باليد .

6 - صيغة التعجب [أسمع بهم وأبصر] .

7 - السجع الحسن الرصين [سريا ، بغيا ، صبيا ، نبيا] وهو من المحسنات البديعية .

تنبيه :

في يوم القيامة تشتد الحسرات حتى لكأن اليوم ممحَّضٌ للحسرة لا شيء فيه سواها ، وفي صحيح مسلم من حديث أبي سعيد الخدري أن الرسول (ص) قال : (إذا دخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، يجاء بالموت كأنه كبش أملح ، فيوقف بين الجنة والنار ، فيقال يا أهل الجنة : هل تعرفون هذا ؟ فيشرئبون -

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أى يمدون أعناقهم - وينظرون ويقولون : نعم ، هذا الموت ، ثم يقال : يا أهل النار ، هل تعرفون هذا ؟ فيشرئبون وينظرون ، ويقولون : نعم ، هذا الموتُ ، فيؤمر به فيذبح ، ثم يقال : يا أهل الجنة خلود فلا موت ، ويا أهل النار خلود فلا موت ثم قرأ (ص) : [وأنذرهم يوم الحسرة . .] الآية .

قال الله تعالى : [واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقا نبياً . .] إلى قوله [هل تعلم له سميا] . من آية (41) الى نهاية آية (65) .

المناسبه :

لما ذكر تعالى " قصة مريم " واختلاف النصارى في شأن عيسى ، حتى عبدوه من دون الله ، أعقبها بذكر " قصة إبراهيم " وتحطيمه الأصنام لتذكير الناس بما كان عليه خليل الرحمن من التوحيد والإيمان ، وسواء في الضلالة من عبد بشرا أو عبد حجرا ، فالنصارى عبدوا المسيح ، ومشركو العرب عبدوا الأوثان والأصنام .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

اللغة :

[صديقاً] من أبنية المبالغة ومعناه كثير الصدق

[مليا] دهرا طويلا من قولهم أمليتُ لفلان في الأمر إذا أطلت له ، قال الشاعر : فتصدعت شُم الجبال لموته وَبكت عليه المُزملاتُ ملياً

[حفيا] الحفى : المبالغ فى البر واللطف به

[خلف] الخلف : بسكون اللام : الذي يخلف سلفه بالشر ، وبفتحها الذي يخلفه بالخير ، يقال : جعلك الله خير خلفي لخير سلف ، وقال الشاعر : ذهب الذين يُعاش في أكنافهم وبقيث في خَلف كجلد الأجرب

[غيا] : شرأ وضلالا قال أهل اللغة : كل شر عند العرب فهو غي ، وكل خير فهو رشاد .

سبب النزول :

عن ابن عباس قال : قال رسول الله (ص) : يا جبريل ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا ؟ فنزلت الآية [وما نتنزل إلا بأمر ربك . .] الآَية .

التفسير :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[واذكر في الكتاب إبراهيم] أى اذكر يا أيها الرسولُ في الكتاب العزيز ، خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام [انه كان صديقا نبيا] أى ملازما للصدق مبالغا فيه ، جامعا بين (الصديقية) و(النبوءة) ، والغرضُ تنبيه العرب إلى فضل إبراهيم ، الذي يزعمون الانتساب إليه ثم يعبدون الأوثان ، مع أنه إمام الحنفاء ، وقد جاء بالتوحيد الصافي ، الذي دعاهم إليه خاتم المرسلين

[إذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا] أى ناداه متلطفا بخطابه ، مستميلا له نحو الهداية والإيمان ، قائلا له : يا ابتِ لم تعبد حجرا لا يسمع ولا يبصر ؟ ولا يجلب لك نفعا أو يدفع عنك ضراً ؟

[يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك] كرر النصح باللطف ، ولم يصف أباه بالجهل الشنيع في عبادته للأصنام ، وإنما ترفق وتلطف قي كلامه أى جاءني من العلم بالله ومعرفة صفاته القدسية ما لا تعلمه انت

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فاتبعني أهدك صراطا سوياً] أى اقبل نصيحتي وأطعني ، أرشدك إلى طريق مستقيم ، فيه النجاة من المهالك ، وهو دين الله الإسلام ، الذي لا عوج فيه

[يا أبت لا تعبد الشيطان] أى لا تطع أمر الشيطان في الكفر وعبادة الأوثان

[إن الشيطان كان للرحمن عصيا] أى إن الشيطان عاص للرحمن ، مستكبر على عبادة ربه ، فمن أطاعه أغواه ، قال القرطبي : وإنما عبر بالعبادة عن الطاعة ، لأن من أطاع شيئا في معصية الله فقد عبده

[يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا] تحذير من سوء العاقبة والمعنى : أخاف أن تموت على كفرك ، فيحل بك عذاب الله الأليم ، وتكون قرينا للشيطان بالخلود في نار الجحيم ! ! قال الإمام الفخر : وإيراد الكلام بلفظ [يا أبت] في كل خطاب ، دليل على شدة الحب والرغبة في صونه عن العقاب ، وإرشاده إلى الصواب ، وقد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

رتب إبراهيم الكلام في غاية الحسن ، لأنه نبهه أولا إلى بطلان عبادة الأوثان ، ثم أمره باتباعه في الاستدلال وترك التقليد الأعمى ، ثم ذكره بأن طاعة الشيطان غير جائزة في العقول ، ثم ختم الكلام بالوعيد الزاجر عن الإقدام ، مع رعاية الأدب والرفق ، وقوله : [اني أخاف] دليلَ على شدة تعلق قلبه بمصالحه ، قضاء لحق الأبوة

[قال أراغب أنت عن آلهتى يا إبراهيم] أى قال له أبوه آزر : أتارك يا إبراهيم عبادة اَلهتي ومنصرفْ عنها ؟ استفهام فيه معنى التعجب والإنكار ، لإعراضه عن عبادة الأوثان ، كأن ترك عبادتها لا يصدر عن عاقل ، قال البيضاوي : قابل أبوه استعطافه ولطفه في الإرشاد ، بالفظاظة وغلظة العناد ، فناداه باسمه ولم يقابل قوله : [يا أبت] ب " يا ابني " وقدم الخبر وصدره بالهمزة ، لإنكار نفس الرغبة كأنها مما لا يرغب عنها عاقل ، ثم هدده بقوله :

[لئن لم تنته لأرجمنك] أى لئن لم تترك شتم وعيب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

آلهتي ، لأرجمنك بالحجارة

[واهجرنى مليا] أى اهجرني دهرا طويلا ! ! بهذه الجهالة تلقى " آزر " الدعوة إلى الهدى ، وبهذه القسوة قابل القول المؤدب المهذب ، وكذلك شأن الكفر مع الإيمان ، وشأن القلب الذي هذبه الإيمان ، والقلب الذي أفسده الطغيان

[قال سلام عليك سأستغفر لك ربي] أى قال إبراهيم في جوابه : أما أنا فلا ينالك مني آذى ولا مكروه ، ولا أقول لك بعدُ ما يؤذيك لحرمة الأبوة ، وسأسأل الله أن يهديك ويغفر لك ذنبك

[إنه كان بي حفيا] أى مبالغاَ في اللطف بي ، والإعتناء بشأني

[وأعتزلكم وما تدعون من دون الله] أى أترككم وما تعبدون من الأوثان وأرتحل عن دياركم

[وأدعوا ربي] أى وأعبد ربي وحده ، مخلصا له العبادة والذين

[عسى ألا أكون بدعاء ربى شقيا] أى راجيا بسبب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إخلاصى العبادة له ، ألاا يجعلني شقيا ، وفيه تعريضْ بشقاوتهم بدعاء آلهتهم . . وهكذا اعتزل إبراهيم أباه وقومه ، وعبادتهم للأوثان ، وهَجَر الأهل والأوطان ، فلم يتركه الله وحيدا بل وهب له ذرية وعوضه خيرا [فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحق ويعقوب] قال المفسرون : لما هاجر إبراهيم إلى أرض الشام ، واعتزل أباه وقومه في الله ، أبدله الله من هو خيرَ منهم ، فوهب له (إسحق) و(يعقوب) أولادا أنبياء ، فآنس الله بهما وحشته عن فراق قومه ، بأولئك الأولاد الأطهار ، ويعقوبُ ابن إسحق ، وهما شجرتا الأنبياء ، فقد جاء من نسلهما أنبياء بني إسرائيل ، قال ابن كثير : المعنى جعلنا له نسلا وعقبا أنبياء ، أقر الله بهم عينه في حياته بالنبوة ولهذا قال : [وكلا جعلنا نبيا] أى كل واحد منهما جعلناه نبيا [ووهبنا لهم من رحمتنا] أى أعطينا الجميعَ - إبراهيم وإسحق ويعقوب - كل الخير الديني والدنيوي ، من المال والولد والعلم والعمل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وجعلنا لهم لسان صدق عليا] أى جعلنا لهم ذكرا حسناَ في الناس ، لأن جميع أهل الملل والأديان يثنون عليهم ، لما لهم من الخصال المرضية ، ويُصلون على إبراهيم وعلى إله إلى قيام الساعة ، قال الطبري : أى رزقناهم الثناء الحسن ، والذكر الجميل في الناس

[واذكر في الكتاب موسى] أى اذكر يا أيها الرسولُ لقومك فى القرآن العظيم ، خبر موسى الكليم

[إنه كان مخلصاً] أى استخلصه الله لنفسه ، واصطفاه من بين الخلق لكلامه

[وكان رسولا نبيا] أى من الرسل الكبار ، والأنبياء الأطهار ، جمع الله له بين الوصفين الجليلين ، وإنما أعاد لفظ " كان " لتفخيم شأن النبي المذكور

[وناديناه من جانب الطور الأيمن] أى نادينا موسى من جهة جبل الطور ، من ناحية اليمين حين كلمناه بلا واسطة

[وقربناه نجياً] أى أذنيناه للمناجاة حين كلمناه ، قال

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ابن عباس : أُدني موسى من الملكوت ورُفعت له الحُجُب ، حتى سمع صريف الأقلام قال الزمخشري : شبهه بمن قربه بعض العظماء للمناجاة ، حيث كلمه بغير واسطة مَلَك

[ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيا] أى وهبنا له من نعمتنا عليه أخاه (هارون) فجعلناه نبياَ اجابة لدعائه حين قال : [واجعل لي وزيرا من أهلي هارون أخي] جعلناه له عضُدا وناصراً ومعينا

[واذكر في الكتاب إسماعيل] أى اذكر يا أيها الرسول قي القرآن العظيم ، خبر جدك (إسماعيل) الذبيح ابن إبراهيم ، وهو أبو العرب جميعا

[إنه كان صادق الوعد] أى كان صادقا في وعده ، لا يعد بوعد إلا وفى به ، قال المفسرون : وذكر بصدق الوعد وإن كان موجودا في غيره من الأنبياء ، تشريفا وإكراما ، ولأنه عانى في الوفاء بالوعد ما لم يعانه غيره من الأنبياء ، فمن مواعيده الصبر وتسليم نفسه للذبح ، فلذلك ألقى الله عليه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وكان رسولا نبيا] أى جمع الله له بين الرسالة والنبوة ، قال ابن كثير : وفي الآية دليل على شرف (إسماعيل) على أخيه (إسحق) لأنه إنما وُصف بالنبوة فقط ، وإسماعيل وصف بالنبوة والرسالة ، ومن إسماعيل جاء خاتم المرسلين محمد (ص)

[وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة] أى كان يحث أهله على طاعة الله ، وبخاصة الصلاة التي هي عماد الدين ، والزكاة التي بها تتحقق سعادة المجتمع

[وكان عند ربه مرضيا] أى نال رضى الله ، قال الرازي : وهذا نهاية المدح ، لأن المرضى عند الله ، هو الفائز في كل طاعاته بأعلى الدرجات

[واذكر في الكتاب إدريس إنه كان صديقاً نبياَ] أى اذكر يا أيها الرسول في الكتاب الجليل ، خبر إدريس إنه كان ملازما للصدق في جميع أحواله ، موحى إليه من الله ، قال المفسرون : إدريس هو جد نوح ، وأول مرسل بعد آدم ، وأول من خط بالقلم ، ولبس المخيط ، وكانوا من قبل يلبسون الجلود ، وقد أنزل الله عليه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ثلاثين صحيفة

[ورفعناه مكانا علياً] أى رفعنا ذكره وأعلينا قدره ، بشرف النبوة والزلفى عند الله

[أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين] أى أولئك المذكورون هم أنبياء الله ورسله الكرام ، الذين قصصنا عليك خبرهم فى هذه السورة - وهم عشرة أولهم زكريا وآخرهم إدريس - وهم الذين أنعم الله عليهم بشرف النبوة

[من ذرية آدم] أى هم من نسل آدم

[وممن حملنا مع نوح] كإبراهيم فإنه من ذرية سام بن نوح

[ومن ذرية إبراهيم] كإسماعيل ثم إسحق ويعقوب

[وإسرائيل] أى ومن ذرية إسرائيل وهو " يعقوب " كموسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى

[وممن هدينا واجتبينا] أى وممن هديناهم للإيمان واصطفيناهم لرسالتنا ووحينا

[اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا] أى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إذا سمعوا كلام الله ، سجدوا وبكوا من خشية الله ، مع ما لهم من علو الرتبة ، وسمو النفس ، والزلفى من الله تعالى ، قال القرطبي : وفي الآَية دلالة على أن لآياتِ الرحمن تأثيرا في القلوب

[فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات] أى جاء من بعد هؤلاء الأتقياء قوم أشقياء ، تركوآ الصلوات وسلكوا طريق الشهوات

[فسوف يلقون غيا] أى سوف يلقون كل شر وخسارة ودمار ، قال ابن عباس : غى وادٍ في جهنم ، وإن أودية جهنم لتستعيذ بالله من حره

[إلا من تاب وآَمن وعمل صالحا] أى إلا من تاب وأناب وأصلح عمله

[فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا] أى فأولئك يسعدون في الجنة ، ولا يُنقصون من جزاء أعمالهم شيئا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب] أى هي جنات إقامة التي وعدهم بها ربهم ، فآمنوا بها بالغيب ، قبل أن يروها تصديقا بوعده تعالى

[إنه كان وعده مأتيا] أى أن وعده تعالى بالجنة آتٍ وحاصل لا يخلف

[لا يسمعون فيها لغواً إلا سلاما] أى لا يسمعون في الجنة شيئا من فضول الكلام ، لكن يسمعون تسليم الملائكة عليهم ، على وجه التحية والإكرام ، والاستثناء منقطع

[ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا] أى ولهم ما يشتهون في الجنة من أنواع المطاعم والمشارب ، بدون كد ولا تعب ، ولا تنغص ولا انقطاع

[تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقياً] أى هذه الجنة التى وصفنا أحوال أهلها ، هي التي نورثها لعبادنا المتقين

[وما نتنزل إلا بأمر ربك] هذا من كلام جبريل لرسول الله (ص) حين احتبس عنه فترةَ من الزمن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والمعنى : ما نتنزل إلى الدنيا إلا بأمر الله وإذنه
[له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك] أي لله جل وعلا جميع الأمر ، أمر الدنيا والآخرة ، وهو المحيط بكل شيء لا تخفى عليه خافية ، ولا يعزب عنه مثقال ذرة ، فلا نقدم على فعل شيء إلا بأمره وإذنه ؟
[وما كان ربك نسيا] أى لا ينسى شيئا من أعمال العباد
[رب السموات والأرض وما بينهما فاعبده] أى هو رب العوالم علويها وسفليها فاعبده وحده
[واصطبر لعبادته] أى اصبر على تكاليف العبادة
[هل تعلم له سميا] أى هل تعلم له شبيهأ ونظيرا ؟ والمراد إنكار الشريك ، أى ليس له جل وعلا من يشابهه ويماثله ، في الألوهية والربوبية .
البلاغة :
تضمنت الآيات الكريمة وجوها من البيان والبديع نوجزها فيما يلي :
1 - الكناية اللطيفة [وجعلنا لهم لسان صدق عليا]

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كنى عن الذكر الحسن والثناء الجميل باللسان ، لأن الثناء يكون باللسان فلذلك قال : [لسان صدق] كما يكنى عن العطاء باليد.

2 - الاستعارة اللطيفة [ورفعناه مكاناً عليا] شبه المكانة العظيمة والمنزلة السامية بالمكان العالي بطريق الاستعارة .

3 - المبالغة [صديقا نبياَ] أى مبالغا في الصدق والإلتزام به .

4 - الإشارة بالبعيد لعلو الرتبة [أولئك الذين أنعم] فما فيه من معنى البعد ، للإشادة بعلو رتبهم وبُعد منزلتهم قي الفضل .

5 - الجناس الناقص [خَلَفَ من بعدهم خَلْف] لتغير الحركات والشكل .

6 - الطباق [له ما بين أيدينا وما خلفنا] وبين [بكرة . . وعشيا] .

7 - السجع الحسن الرصين [عليا ، حفيا ، نبيا] .

فائدة :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

في قول إبراهيم عليه السلام " يا أبتِ " تلطف واستدعاء ، والتاء عوضْ عن ياء الإضافة لأن أصله " يا أبي ، ولهذا لا يُجمع بينهما .

تنبيه :

ذكر السيوطي في التحبير أن إبراهيم عليه السلام عاش من العمر مائة وخمسا وسبعين سنة ، وبينه وبين آدم ألفا سنة ، وبينه وبىن نوح ألف سنة ، ومنه تفرعت شجرة الأنبياء .

قال الله تعالى : [ويقول الإنسان أئذا ما مت لسوف أخرج حيا . .] إلى قوله [أو تسمع لهم ركزأ] من آية (66) إلى آية (98) نهاية السورة الكربمة .

المناسبة :

لما ذكر تعالى طائفة من قصص الأنبياء للعظة والاعتبار ، وكان الغرضُ الأساسي للسورة الكريمة ، إثبات قدرة الله على الإحياء والإفناء ، لإثباتُ يوم المعاد ، ذكر تعالى هنا بعض شبهات المكذبين للبعث والنشور ، ورد عليها بالحجج القاطعة ، والبراهين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الساطعة ، وختم السورة الكريمة ببيان مال السعداء والأشقياء يوم البعث والحساب .

اللغة :

[جثيا] جمع جاثي يقال : جثا إذآ قعد على ركبتيه من شدة الهول ، وهي قعدة الخائف الذليل ، قال الكميت :

هُمُو تركوا سراتهم جثْيآ وهم دونَ السراة مقرنينا

[عتيا] عصيانا وتمرداً عن الحق

[نديا] الندى والنادي : الذي يجتمع فيه القوم للتحدث والمشورة ، قال الجوهري : الندئ مجلس القوم ومتحدثهم وكذلك الندوة والنادي فإن تفرقوا فليس بندي

[أثاثا] الأثاث : متاع البيت

[رئيا] منظرا حسنا

[تؤزهم] الأز : التهييجُ والإغراء ، قال أهل اللغة : الأزُ والهز والاستفزاز متقاربة ، ومعناها التهييج وشدة الإزعاج ، ومنه أزيز المِرجل وهو غليانه وحركته

[وفدا] جمع وافد وهو الذي يقدم على سبيل التكرمة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

معززاً مكرما

[وردا] مشاة عطاشا ، قال الرازي : والورد اسم للعطاش لأن من يرد الماء لا يرده إلا للعطش

[إدا] منكرا عظيما ، قال الجوهري : الإد : الداهية والأمر الفظيع

[ركزاَ] الركز : الصوت الخفي .

سَبَبُ التزول :

عن خباب بن الأرت قال : (كنتُ رجلا قينا - أى حدادا- وكان لي على العاص بن وانل دين فأتيتُه أتقاضاه فقال : لا والله لا أقضيك حتى تكفر بمحمد ، فقلت : لا والله لا أكفر بمحمد حتى تموت ثم تبعث - أى تموت الآن وتبعث أمامي ، وهذا من باب المستحيل - قال : فإنى إذا مت ثم بُعثتُ جئتني ولي ثئم مال فأعطيتك فأنزل الله [أفرأيت الذى كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا] .

التفسير :

[ويقول الإنسان أئذا ما مت لسوف أخرج حيا] أى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يقول الكافر على وجه الإنكار والاستبعاد : أئذا مت وأصبحتُ تراباَ ورفاتاً ، فسوف أُخرج من القبر حيا ؟ قال ابن كثير : يتعجب ويستبعد إعادته بعد موته ، وآللام " لسوف " للمبالغة في الإنكار ، وهو إنكار منشؤه غفلة الإنسان عن نشأته الأولى ، أين كان ؟ وكيف كان ؟ ولو تذكر لعلم أن الأمر ايسر مما يتصور

[أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا] أى أولا يتذكر هذا المكذب الجاحد أول خلقه ، فيستدل بالبداءة على الإعادة ؟ ويعلم أن الله الذي خلقه من العدم ، قادر على أن يعيده بعد الفناء وتشتت الأجزاء ؟ قال بعضُ العلماء : لو اجتمع كل الخلائق على إيراد حجة في البعث ، على هذا الاختصار لما قدروا عليها ، إذ لا شك أن الإعادة ثانيا أهونُ من الإيجاد أولا ، ونظيره قوله : [قل يحييها الذي أنشأها أول مرة]

[فوربك لنحشرنهم والشياطين] أى فوربك يا محمد لنحشرن هؤلاء المكذبين الفجرة ، مع الشياطين الذين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أغووهم ، قال المفسرون : يُحشر كل كافر مع شيطان في سلسلة

[ثم لنحضرنهم حول جهنم جثياً] أى نحضر هؤلاء المجرمين ، حول جهنم قعودا على الركب ، من شدة الهول والفزع ، لا يطيقون القيام على أرجلهم لما يدهمهم من شدة الأمر

[ثم لننزعن من كل شيعة] أى لنأخذن ولننتزعن من كل فرقة وجماعة ارتبطت بمذهب

[أيهم أشد على الرحمن عتيا] أى من منهم أعصى لله وأشد تمردا ، والمراد أنه يؤخذ من هؤلاء المجرمين ، ليقذف في جهنم الأعتى فالأعتى ، قال ابن مسعود : يُبدأ بالأكابر جرما

[ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا] أى نحن أعلم بمن هم أحق بدخول النار ، والاصطلاء بحرًها ، وبمن يستحق تضعيف العذاب فنبدأ بهم

[وإن منكم إلا واردها] أى ما منكم أحد من بر أو فاجر ، ألا وسَيَرِد على النار ، المؤمن للعبور ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والكافر للقرار

[كان على ربك حتما مقضيا] أى كان ذلك الورود ((اختلف علماء السلف في معنى الورود فقال ابن عباس : الورود الدخول ، لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها فتكون على المؤمن بردا وسلاما كما كانت على إبراهيم ، وقال ابن مسعود وقتادة : الورود : المرور عليها حين اجتياز الصراط ، ولعل هذا القول أصح ، أجارنا الله من نار جهنم)) قضاءً لازما لا يمكن خلفه

[ثم ننجي الذين اتقوا] أى ننجي من جهنم المتقين بعد مرور الجميع عليها

[ونذر الظالمين فيها جثيا] أي ونترك الظالمين في جهنم قعوداً على الركب ، قال البيضاوي : والآية دليل على أن المراد بالورود الجثو حواليها ، وأن المؤمنين يفارقون الفجرة إلى الجنة بعد نجاتهم ، ويبقى الفجرة فيها على هيئاتهم

[وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات] أى وإذا قرئت على

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المشركين آيات القرآن المبين ، واضحات الإعجاز ، بينات المعاني

[قال الذين كفروا للذين آمنوا أى الفريقين خير مقاما وأحسن ندياً] أى قال الكفرة المترفون لفقراء المؤمنين : أى الفريقين : - نحن أو انتم - أحسنُ مسكناَ ، وأطيب عيشا ، وأكرم منتدى ومجلسا ؟ قال البيضاوي : إن المشركين لما سمعوا الآيات الواضحات ، وعجزوا عن معارضتها ، أخذوا في الافتخار ، بما لهم من حظوظ الدنيا ، والاستدلال بزيادة حظهم فيها ، على فضلهم وحسن حالهم لقصور نظرهم ، فرد الله عليهم بقوله :

[وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ورئيا] أى وكثير من الأمم المكذبين بآياتنا ، أهلكناهم بكفرهم كانوا أكثر من هؤلاء متاعا ، وأجمل صورة ومنظرا ، فكما أهلكنا السابقين نهلك اللاحقين ، فلا يغترً هؤلاء بما لديهم من النعيم والمتاع

[قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا] أي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قل يا محمد لهؤلاء المشركين الزاعمين أنهم على حق : من كان في الضلالة منا ومنكم ، فليمهله الرحمن فيما هو فيه ، وليدعه في طغيانه ، حتى يلقى ربه وينقضى أجله ، قال القرطبي : وهذا غاية في التهديد والوعيد

[حتى إذا رأوا ما يوعدون] أى حتى إذا رأوا ما يحل بهم من وعد الله

[إما العذاب وإما الساعة] أي إما عذاب الدنيا بالقتل والأسر ، أو عذاب الآخرة بما ينالهم يوم القيامة من الشدائد والأهوال

[فسيعلمون من هو شر مكانا وأضعف جندا] أى فسيعلمون عندئذ حين تتكشف الحقائق أي الفريقين شر منزلة عند الله ، وأقْل فئة وأنصاراَ ؟ هل هم الكفار أم المؤمنون ؟ وهذا في مقابلة قولهم [خير مقاما وأحسن نديا]

[ويزيد الله الذين اهتدوا هدى] أى ويزيد الله المؤمنين المهتدين ، بصيرة وإيماناً وهداية

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباَ] أى والأعمال الصالحة التي تبقى لصاحبها ذخرا فى الآخرة ، خير عند الله من كل ما يتباهى به أهل الأرض ، من حيث الأجر والثواب

[وخير مردا] أى وخير رجوعا وعاقبة ، فإن نعيم الدنيا زائل ونعيم الآخرة باقي دائم

[أفرأيت الذي كفر بأَياتنا وقال لأوتين مالا وولدا] نزلت في العاص بن وائل ، والاستفهام للتعجب أى تعجب يا محمد من قصة هذا الكافر ، الذي جحد بآيات الله ، وزعم أن الله سيعطيه قي الآخرة المال والبنين

[أطلع الغيب] أى هل أطلع على الغيب ، الذي تفرد بعلمه علام الغيوب ؟

[أم اتخذ عند الرحمن عهدا] أى أم أعطاه الله عهدا بذلك ، فهو يتكلم عن ثقةٍ ويقين ؟

[كلا سنكتب ما يقول] رد عليه ، ولفظةُ " كلا " للردع والزجر أى ليرتدع ذلك الفاجر عن تلك المقالة الشنيعة ، فسنكتب ما يقول عليه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ونمد له من العذاب مداَ] أى سنزيد له في العذاب ، ونطيل عليه جزاء طغيانه واستهزائه ، ونضاعف له مدد العذاب ، مكان الإمداد بالمال والولد

[ونرثه ما يقول ويأتينا فردا] أى ونرثه ما يُخلِّفه من المال والولد بعد إهلاكه ، ويأتينا وحيدا لا مال معه ولا ولد ، ولا نصير له ولا سند

[واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا] أى واتخذ المشركون أصناما ، عبدوها من دون الله لينالوا بها العز والشرف

[كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا] أى ليس الأمر كما ظنوا وتوهموا ، فإن الاَلهة التي عبدوها ، ستتبرأ من عبادتهم ويكونون لهم أعداء يوم القيامة

[ألم تر أنا أرسلنا الشيلطين على الكافرين تؤزهم أزأ] أي ألم تر أنا سلطنا الشياطين على الكافرين ، تُغريهم إغراء بالشر ، وتهيجهُم تهييجا حتى يركبوا المعاصي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

؟ قال الرازي : أى تغريهم على المعاصي ، وتحثهم وتهيجهم لها بالوساوس والتسويلات

[فلا تعجل عليهم إنما نعد لهم عدا] أى لا تتعجل يا محمد في طلب هلاكهم ، فإنه لم يبق لهم إلا أيام وأنفاس ، نعدها عليهم عدا ، ثم يصيرون الى عذاب شديد ، قال ابن عباس : نعد أنفاسهم في الدنيا كما نعدُّ عليه سنيهم

[يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً] أى يوم نحشر المتقين إلى ربهم معززين مكرمين ، راكبين على النوق ، كما يفد الوفود على الملوك ، منتظرين لكرامتهم وإنعامهم

[ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا] أى ونسوق المجرمين كما تُساق البهائم مشاة عطاشا ، كأنهم إبل عطاش تُساق إلى الماء ، وفي الحديث الشريف : (يُحشر الناس يوم القيامة على ثلاث طرائق : راغبين ، وراهبين ، واثنان على بعير ، وأربعة على بعير ، وعشرة على بعير ، وتُجر بقيتهم إلى النار ، تقيل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

معهم حيث قالوا ، وتبيت معهم حيث باتوا

[لا يملكون الشفاعة] أى لا يشفعون ولا يُشفع لهم

[إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً] الاستثناء منقطع أى لكن من تحلى بالإيمان والعمل الصالح ، فإنه يملك الشفاعة ، قال ابن عباس : العهدُ " شهادة ان لا إله إلا الله "

[وقالوا اتخذ الرحمن ولدا] أى اليهود والنصارى ومن زعم أن الملائكة بنات الله ، قالوا إن للهِ ذرية وأولاداً

[لقد جئتم شينا إداَ] أى لقد آتيتم أيها المشركون بقول منكر عظيم ، تناهى فى القبح والشناعة

[تكاد السموات يتفطرن منه] أى تكاد السموات تتشفق من هول هذا القول

[وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا] أي وتنشق كذلك الأرض وتندكْ الجبال ، وتهد هدا ، استعظاما للكلمة الشنيعة

[أن دعوا للرحمن ولدا وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا] آي نسبوا إلى الله ما لا يليق به سبحانه من اتخاذ

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الولد ، لأن الولد يقتضي المجانسة ، ويكون عن حاجة ، وهو المنزه عن الشبيه والنظير ، والغني عن المعين والنصير

[ان كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا] أى ما من مخلوق فى العالم العلوي والسفلي إلا وهو عبد لله ، ذليل خاضع بين يديه ، منقاد مطيع له كما يفعل العبيد

[لقد أحصاهم وعدهم عدا] أى علم عددهم ، وأحاط علمه بهم ، فلا يخفى عليه شيء من أمورهم

[وكلهم آتيه يوم القيامة فردا] أى وكل فرد يأتي يوم القيامة وحيداَ فريدا ، بلا مال ولا نصير ، ولا معين ولا خفير

[ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا] لما ذكر أحوال المجرمين ذكر أْحوال المؤمنين ، للجمع بين الترهيب والترغيب ، والمعنى : سيحدث لهم الله عز شأنه فى قلوب عباده الصالحين ، محبة ومودة ، قال الربيع : يحبهم ويحببهم إلى الناس

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فإنما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوماً لدا] أى فإنما يسرنا يا أيها الرسولُ هذا القرآن ، بلسانك العربي تقرأه ، وجعلناه سهلا يسيرا لمن تدبره ، لتبشر به المؤمنين المتقين ، وتخوف به قوما معاندين ، شديدي الخصومة والجدال

[وكم أهلكنا قبلهم من قرن] أى كم من الأمم الماضية ، أهلكناهم بتكذيبهم الرسل ، و " كم " للتكثير

[هل تحس منهم من أحد] أى هل ترى منهم أحدا

[أو تسمع لهم ركزآ] أى أو تسمع لهم صوتاً خفيا ؟ والمعنى : أنهم بادوا وهلكوا وخلت منهم الديار ، وأوحشت منهم المنازل ، فكما أهلكنا أولئك ، نهلك هؤلاء الفجرة المكذبين ، من كفار مكة ، الذين عاندوك وحاربوك ، ونجعلهم عبرة لمن يعتبر .

البلاغة :

تضمنت الآيات الكريمة من وجوه البيان والبديع ما يلى :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

1 - ذكر العام لارادة الخاص [ويقول الإنسان] المراد به الكافر لأنه هو المنكر للبعث ، المكذب بالحساب والجزاء ، ولا يراد بالإنسان هنا المؤمن .

2 - الطباق بين [مت . . وحيا] وبين [تبشر . . وتنذر] .

3 - الاستفهام للإنكار والتوببخ [أولا يذكر للإنسان] .

4- المقابلة اللطيفة بين المتقين والمجرمين ، وبين حال الأبرار والأشرار [يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدأ] [ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا] .

5 - الجناس غير التام [وفدا . . وردا] لتغير الحرف الثاني ، ويسمى الجناس الناقص .

6 - اللف والنشر المرتب في [شر مكانا وأضعف جندا] حيث رجع الأول إلى [خير مقاما] والثانى إلى [وأحسن نديا] كما يوجد بين [خير . . وضر] طباق وهو من المحسنات البديعية .

7 - المجاز العقلي [سنكتب ما يقول] أى نأمر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الملائكة بالكتابة فهو من إسناد الشيء إلى سببه ، لقوله تعالى : [إن رسلنا يكتبون ماتمكرون] .

8 - السجع الرصين مثل [عبدا ، عدا ، فردا ، ودا] وهو من المحسنات البديعية .

فائدة :

أخرج مسلم في صحيحه عن أبي هريرة أن رسول الله (ص) قال : " أن الله تعالى إذا أحبً عبدا دعا جبريل فقال : إني أحبُ فلانا فأحبه فيحبه جبريل ، ثم ينادي في السماء : أن الله يحب فلانا فأحبوه ، فيحبه أهل آلسماء ، ثم يوضع له القبول في الأرض . . . " الحديث .

لطيفة :

روي أن المأمون قرأ هذه [فلا تعجل عليها إنما نعد لهم عدا] وعنده جماعة من الفقهاء ، فيهم (آبن السماك) فأشار اليه المأمون أن يعظه فقال : إذا كانت الأنفاس بالعدد ، ولم يكن لها مدد ، فما أسرع ما تنفد ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قال الشاعر : حياتك أنفاس تعد فكلما مضى نفس منك انتقت به جزءا .

سورة طه

مكية وآياتها خمس وثلاثون ومائة آية

بين يدي السورة

سورة طه مكية ، وهي تبحث عن نفس الاهداف للسور المكية ، وغرضها الاساسى التركيز على اصول الدين من (التوحيد ، والنبوة ، والبعث والنشور) في هذه السورة الكريمة تظهر شخصية الرسول (ص) في شد أزره ، وتقوية روحه ، حتى لا يتأثر بما يلقى اليه من السفاهة والعناد ، والاستهزاء والتكذيب ، ولارشاده الى وظيفته الاساسية ، وهي التبليغ والتذكير ، والانذار والتبشير ، وليس عليه ان يجبر الناس على الايمان . عرضت السورة لقصص الانبياء ، تسلية لرسول الله (ص) وتطمينا لقلبه الشريف ، فذكرت بالتفصيل قصة (موسى) و(هارون) مع فرعون الطاغية الجبار ويكاد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يكون معظم السورة في الحديث عنها ، وبالأخص موقف المناجاة بين موسى وربه ، وموقف تكليفه بالرسالة ، وموقف الجدال بين موسى وفرعون ، وموقف المبارزة بينه وبين السحرة ، وتتجلى في ثنايا تلك القصة رعايةُ الله لموسى ، نبيه وكليمه ، لإهلاك الله لأعدائه الكفرة المجرمين . وعرضت السورة لقصة آدم بشكل سريع خاطف ، برزت فيه رحمة الله لآدم بعد الخطيئة ، وهدايته لذريته بإرسال الرسل مبشرين ومنذرين ، ثم ترك الخيار لهم لإختيار طريق الخير او الشر . وفي ثنايا السورة الكريمة تبرز بعض مشاهد القيامة ، في عبارات يرتجف لها الكون ، وتهتز لها القلوب هلعا وجزعا ، و ما يصيب الناس من الذهول والسكون [وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسا] . وعرضت السورة ليوم (الحشر الأكبر) ، حيث يتم الحساب العادل ، ويعود الطائعون الى الجنة ، ويذهب العصاة الى النار ، تصديقا لوعد الله الذي لا يتخلف ، بإثابة المؤمنين وعقاب المجرمين . وختمت

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

السورة ببعض التوجيهات الربانية للرسول (ص) في الصبر وتحمل الأذى في سبيل الله حتى يأتي نصر الله .

التسمية :

سميت " سورة طه " وهو اسم من اسمائه الشريفة (ص) تطييبا لقلبه ، وتسلية لفؤاده عما يلقاه من صدود وعناد ، ولهذا ابتدأت السورة بملاطفته بالنداء [طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى] .

اللغة :

[بقبس] القبس : شعلة من نار

[المقدس] المطهر والمبارك

[طوى] اسم للوادي

[فتردى] تهلك والردى : الهلاك

[أهش] اخبط بها الشجر ليسقط الورق

[مآرب] جمع مأربة وهي الحاجة

[جناحك] الجناح : الجنب ، وجناحا الانسان جنباه لان يدي الانسان يشبهان جناحي الطائر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[أزري] الأزر : القوة يقال : آزره اي قواه ومنه

[فآزره فاستغلظ] قال الشاعر : أليس أبونا هاشم شد

أزره وأوصى بنيه بالطعان وبالضرب

[اليم] البحر

[تقر عينها] تسر بلقائك .

التفسير :

[طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى] الحروف المتقطعة للتنبيه الى اعجاز القرآن وقال ابن عباس : معناها يا رجل ، ومعنى الآية : ما انزلنا عليك يا محمد القرآن لتشقى به ، انما انزلناه رحمة وسعادة ، روى ان رسول الله (ص) لما نزل عليه القرآن ، صلى هو واصحابه فأطال القيام فقالت قريش ؟ ما انزل الله هذا القرآن على محمد الا ليشقى ، فنزلت هذه الآية

[إلا تذكرة لمن يخشى] اي ما انزلناه الا عظة وتذكيرا لمن يخشى الله ويخاف عقابه ، وهو المؤمن المستنير بنور القرآن

[تنزيلا ممن خلق الأرض والسموات العلى] اي انزله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

خالق الارض ، ومبدع الكون ، ورافع السموات الواسعة العالية ، والآية اخبار عن عظمته وجبروته وجلاله ، قال في البحر : ووصف السموات بالعلى ، دليل على عظمة قدرة من اخترعها ، اذ لا يمكن وجود مثلها في علوها من غيره تعالى

[الرحمن على العرش استوى] اى ذلك الرب الموصوف بصفات الكمال والجمال ، هو الرحمن الذى استوى على عرشه استواء يليق بجلاله ، من غير تجسيم ، ولا تشبيه ، ولا تعطيل ، ولا تمثيل كما هو مذهب السلف

[له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى] اى له سبحانه ما في الوجود كله : السموات السبع ، والأرضون ، وما بينهما من المخلوقات ، وما تحت التراب من معادن ومكنونات ، الكل ملكه وتحت تصرفه وقهره وسلطانه

[وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى] اي وان

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تجهر بالقول او تخفيه في نفسك ، فسواء عند ربك ، فانه يعلم السر وما هو اخفى منه ، كالوسوسة والهاجس والخاطر . . والغرض من الآية طمأنينة قلبه (ص) بأن ربه معه يسمعه ، ولن يتركه وحيدا يواجه الكافرين بلا سند ، فاذا كان يدعوه جهرا ، فانه يعلم السر وما هو اخفى ، والقلب حين يستتشعر قرب الله منه ، وعلمه بسره ونجواه ، يطمئن ويرضى ويأنس بهذا القرب الكريم

[الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى] اي ربكم هو الله المتفرد بالوحدانية ، لا معبود بحق سواه ، ذو الاسماء الحسنة التي هي في غاية الحسن ، وفي الحديث : (ان لله تسعة وتسعين إسما من أحصاها دخل الجنة)

[وهل أتاك حديث موسى] الاستفهام للتقرير وغرضه التشويق لما يلقى اليه ، اى هل بلغك يا ايها الرسول خبر موسى ، وقصته العجيبة الغريبة ؟

[إذ رأى نارا فقال لأهله امكثوا إني آنست نارا] اى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

حين رأى نارا فقال لإمرأته : أقيمي مكانك فإني ابصرت نارا ، قال ابن عباس : هذا حين قضى الأجل ، وسار بأهله من مدين يريد مصر ، وكان قد أخطأ الطريق ، وكانت ليلة مظلمة شاتية ، فجعل يقدح بالزناد فلا يخرج منها شرر ، فبينما هو كذلك اذ بصر بنار من بعيد على يسار الطريق ، فلما رآها ظنها نارا وكانت من نور الله

[لعلي آتيكم منها بقبس] اي لعلى آتيكم بشعلة من النار تستدفئون بها

[أو أجد على النار هدى] اي اجد هاديا يدلني على الطريق

[فلما أتاها نودي يا موسى إني أنا ربك فاخلع نعليك] اي فلما أتى النار وجدها نارا بيضاء ، تتقد في شجرة خضراء ، وناداه ربه يا موسى ((قال سيد قطب تغمده الله بالرحمة ، وجمل قاتليه باللعنة : إن القلب ليجف ، وإن الكيان ليرتجف ، وهو يتصور ذلك المشهد . . موسى فريد في تلك الفلاة ، والليل دامس ، والظلام

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

شامل ، والصمت مخيم ، وهو ذاهب يلتمس النار التي آنسها من جانب الطور ، ثم إذا الوجود كله من حوله يتجاوب بذلك النداء العلوي {إنى أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى})) : اني انا ربك الذى اكلمك ، فاخلع النعلين من قدميك رعاية للأدب ، وأقبل

[إنك بالواد المقدس طوى] اي فإنك بالوادي المطهر المبارك المسمى طوى

[وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى] اي اصطفيتك للنبوة فاستمع لما اوحيه اليك ، قال الفخر الرازي : فيه نهاية الهيبة والجلالة ، فكأنه قال : لقد جاءك امر عظيم هائل فتأهب له ، واجعل كل عقلك وخاطرك مصروفا اليه

[إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني] اي انا الله المستحق للعبادة لا اله غيري ، فافردني بالعبادة والتوحيد

[وأقم الصلاة لذكري] اي اقم الصلاة لتذكرني فيها ، قال مجاهد : اذا صلى ذكر ربه لاشتمالها على الاذكار

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

، وقال الصاوي : خص الصلاة بالذكر ، لان كانت داخلة في جملة العبادات لعظم شأنها ، واحتوائها على الذكر ، وشغل القلب واللسان والجوارح ، فهي افضل اركان الدين بعد التوحيد

[إن الساعة آتية أكاد أخفيها] اى ان الساعة قادمة وحاصلة لا محالة ، أكاد اخفيها عن نفسي فكيف اطلعكم عليها ؟ قال المبرد : وهذا على عادة العرب فإنهم يقولون اذا بالغوا في كتمان الشيء : كتمته حتى من نفسي ، اي لم اطلع عليه احدا

[لتجزى كل نفس بما تسعى] اي لتنال كل نفس جزاء ما عملت من خير او شر ، قال المفسرون : والحكمة من اخفائها واخفاء وقت الموت ، ان الله تعالًى حكم بعدم قبول التوبة عند قيام الساعة وعند الاحتضار ، فلو عرف الناس وقت الساعة او وقت الموت ، لاشتغلوا بالمعاصي ، ثم تابوا قبل ذلك ، فيتخلصون من العقاب ، ولكن الله عمى الامر ، ليظل الناس على

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

حذر دائم ، وعلى استعداد دائم ، من ان تبغتهم الساعة ، او يفاجئهم الموت

[فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها] اي لا يصرفنك يا موسى عن التأهب للساعة والتصديق بها ، من لا يوقن بها

[واتبع هواه] اي سلك طريق الهوى ، واقبل على اللذائذ والشهوات ، ولم يحسب حسابا لآخرته

[فتردى] اي فتهلك ، فإن الغفلة عن الآخرة مستلزمة للهلاك

[وما تلك بيمينك يا موسى] اي وما هذه التي بيمينك يا موسى ؟ أليست عصا ؟ والغرض من الاستفهام التقرير والايقاظ ، والتنبيه الى ما سيبدو من عجائب صنع الله ، في الخشبة اليابسة بانقلابها الى حية ، لتظهر لموسى القدرة الباهرة ، والمعجزة القاهرة ، قال ابن كثير : انما قال له ذلك على وجه التقرير ، اي اما هذه التي في يمينك عصاك التي تعرفها ؟ فسترى ما نصنع بها الآن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[قال هي عصاي أتوكأ عليها] اى اعتمد عليها في حال المشي

[وأهش بها على غنمي] اي أهز بها الشجرة ، واضرب بها على الاغصان ، ليتساقط ورقها فترعاه غنمي

[ولي فيها مآرب أخرى] اي ولي فيها مصالح ومنافع وحاجات أخر غير ذلك ، قال المفسرون : كان يكفي ان يقول هي عصاي ، ولكنه زاد في الجواب لان المقام مقام مباسطة ، وقد كان ربه يكلمه بلا واسطة ، فأراد ان يزيد في الجواب ، ليزداد تلذذا بالخطاب ، وكلام الحبيب مريح للنفس ومذهب للعناء

[قال ألقها يا موسى] اي اطرح هذه العصا التي بيدك يا موسى ، لترى من شأنها ما ترى

[فألقاها فإذا هي حية تسعى] اي فلما القاها صارت في الحال حية عظيمة ، تنتقل وتتحرك في غاية السرعة ، قال ابن عباس : انقلبت ثعبانا ذكرا يبتلع الصخر والشجر ، فلما رآه يبتلع كل شيء ، خافه ونفر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

منه وولى هاربا قال المفسرون : لما رأى هذا الامر العجيب الهائل ، لحقه ما يلحق البشر عند رؤية الاهوال والمخاوف ، لا سيما هذا الامر الذي يذهب بالعقول ، وانما اظهر له هذه الآية وقت المناجاة ، تأنيسا له بهذه المعجزة الهائلة ، حتى لا يفزع اذا القاها عند فرعون ، لأنه يكون قد تدرب وتعود

[قال خذها ولا تخف] اي قال له ربه : خذها يا موسى ولا تخف منها

[سنعيدها سيرتها الأولى] اي سنعيدها الى حالتها الاولى كما كانت ، عصا لا حية ، فأمسكها فعادت عصا

[واضمم يدك إلى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء] اي ادخل يدك تحت ابطك ، ثم اخرجها تخرج نيرة مضيئة كضوء الشمس والقمر ، من غير عيب ولا برص ، وكان اذا ادخل يده في جيبه ثم اخرجها ، تعرج تتلألأ كأنها فلقة قمر ، من غير برص ولا أذى

[آية أخرى] اي معجزة ثانية غير العصا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[لنريك من آياتنا الكبرى] اي لنريك بذلك بعض آياتنا العظيمة . . اراه الله معجزتين (العصا ، واليد) وهي بعض ما أيده الله به من المعجزات الباهرة ، ثم أمره ان يتوجه الى فرعون رأس الكفر والطغيان

[اذهب الى فرعون إنه طغى] اي اذهب بما معك من الآيات الى فرعون ، انه تكبر وتجبر ، وجاوز الحد في الطغيان ، حتى ادعى الألوهية

[قال رب اشرح لي صدري] اي وسعه ونوره بالايمان والنبوة

[ويسر لي أمري] اي سهل علي القيام بما كلفتني من اعباء الرسالة والدعوة

[واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولي] اي حل هذه اللكنة الحاصلة في لساني حتى يفهموا كلامي ، قال المفسرون : عاش موسى في بيت فرعون فوضعه فرعون مرة في حجره وهو صغير ، فجر لحية فرعون بيده فهم بقتله ، فقالت له آسية : انه لا يعقل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وسأريك بيان ذلك ، قدم اليه جمرتين ولؤلؤتين ، فان اخذ اللؤلؤة عرفت انه يعقل ، وان اخذ الجمرة عرفت انه طفل لا يعقل ، فقدم اليه ذلك ، فأخذ الجمرة فجعلها في فيه ، فكان في لسانه حبسة

[واجعل لي وزيرا من أهلي هارون أخي] اي اجعل لي معينا يساعدني ويكون من اهلي وهو اخي هارون

[اشدد به أزري] اي لتقوي به يا رب ظهري

[وأشركه في أمري] اي اجعله شريكا لي في النبوة وتبليغ الرسالة

[كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا] اي كي نتعاون على تنزيهك عما لا يليق بك ، ونذكرك بالدعاء والثناء عليك

[إنك كنت بنا بصيرا] اي عالما بأحوالنا لا يخفى عليك شيء من افعالنا ، طلب موسى من ربه ان يعينه بأخيه يشد به أزره ، لما يعلم منه من فصاحة اللسان ، وثبات الجنان ، وان يشركه معه في المهمة ، لما يعلم من طغيان فرعون وتكبره وجبروته

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[قال قد أوتيت سؤلك يا موسى] اي اعطيت ما سألت وما طلبت ، ثم ذكره تعالى بالمنن العظام عليه ، فقال سبحانه :

[ولقد مننا عليك مرة أخرى] اي انعمنا عليك يا موسى ، بمنة اخرى غير هذه المنة

[إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى] اي ألهمناها ما يلهم مما كان سببا في نجاتك

[أن أقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليم] اي الهمناها ان ألقِ هذا الطفل في الصندوق ، ثم اطرحيه في نهر النيل ثم ماذا ؟ ومن يتسلمه ؟

[فليلقه اليم بالساحل يأخذه عدو لي وعدو له] اي يلقيه النهر على شاطئه ، ويأخذه فرعون عدوي وعدوه ، قال في البحر : [فليلقه] امر معناه الخبر جاء بصيغة الامر مبالغة ، اذ الامر اقطع الافعال واوجبها

[وألقيت عليك محبة مني] اي زرعت في القلوب محبتك ، بحيث لا يكاد يصبر عنك من رآك ، حتى أحبك فرعون ، قال ابن عباس : أحبه الله وحببه الى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

خلقه

[ولتصنع على عينى] اي ولتربى بعين الله ، بحفظي ورعايتي

[إذ تمشى أختك فتقول هل أدلكم على من يكفله] اي حين تمشي اختك وتتبع اثرك ، فتقول لآل فرعون حين طلبوا لك المراضع : هل ادلكم على من يضمن لكم حضانته ورضاعته ؟ قال المفسرون : لما التقطه آل فرعون جعل لا يقبل ثدي امرأة ، لأن الله حرم عليه المراضع ، وبقيت أمه بعد قذفه في اليم مغمومة ، فأمرت أخته ان تتبع خبره ، فلما وصلت الى بيت فرعون ورأته ، قالت : هل أدلكم على امرأة أمينة فاضلة ، تتعهد لكم رضاع هذا الطفل ؟ فطلبوا منها إحضارها فأتت بأم موسى ، فلما أخرجت ثديها التقمه ، ففرحت زوجة فرعون فرحا شديدا ، وقالت لها : كوني معى في القصر فقالت : لا استطيع ان اترك بيتي واولادي ، ولكن آخذه معي وآتي لك به كل حين ، فقالت : نعم واحسنت اليها غاية الاحسان ، فذلك

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قوله تعالى :

[فرجعناك إلى أمك كي تقر عينها ولا تحزن] اي رددناك الى امك لكي تسر بلقائك ، وتطمئن بسلامتك ونجاتك ، ولكيلا تحزن على فراقك

[وقتلت نفسا فنجيناك من الغم] اي قتلت القبطي حين اصبحت شابا ، فنجيناك من غم القتل ، وصرفنا عنك شر فرعون وزبانيته ، وفي صحيح مسلم : (وكان قتَلُه خطأ)

[وفتناك فتونا] اى ابتليناك ابتلاء عظيما بانواع من المحن

[فلبثت سنين في أهل مدين] اى مكثت سنين عديدة عند شعيب في ارض مدين

[ثم جئت على قدر يا موسى] اي جئت على موعد ووقت مقدر للرسالة والنبوة .

البلاغة :

تضمنت الآيات الكريمة وجوها من البيان والبديع نوجزها فيما يلي :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

1- التشويق والحث على الإصغاء [وهل أتاك حديث موسى] ؟

---

2 - الإطناب [قال هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي] وكان يكفي ان يقول : هي عصاى ، ولكنه توسع في الجواب تلذذا بالخطاب .

3 - الاستعارة التصريحية [واضمم يدك إلى جناحك] اصل الجناح للطائر ثم استعير لجنب الانسان ، لأن كل جنب في موضع الجناح للطائر فسميت الجهتان " جناحين " بطريق الاستعارة المكنية .

4 - الاحتراس وهو عند علماء البيان ان يؤتى بشيء يرفع توهم غير المراد مثل قوله : [بيضاء من غير سوء] فلو اقتصر على قوله : [بيضاء] لأوهم ان ذلك من برص او بهق ، ولذلك احترس بقوله : [من غيرسوء] .

5 - الاستعارة التمثيلية [ولتصنع على عينى] تمثيل لشدة الرعاية وفرط الحفظ والكلاءة بمن يصنع بمرأى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من الناظر ، لأن الحافظ للشيء في الغالب يديم النظر اليه فمثًل لذلك بمن يصنع على عين الآخر ، بطريق الاستعارة التمثيلية .

6 - السجع الحسن الذى يزيد الكلام جمالا وبهاء في اواخر الآيات [فتشقى ، يخشى ، أخفى ، تسعى] الخ .

فائدة :

قال العلماء : ما نفع اخ اخاه كما نفع موسى هارون ، فقد طلب له من ربه ان يجعله وزيرا له ويكرمه بالرسالة ، فاستجاب الله دعاءه وجعله نبيا مرسلا .

تنبيه :

ذكر تعالى بعض المنن على موسى وعدد منها ستا :

المنة الاولى : الهام أمه صنع الصندوق وإلقاءه في النيل ليربى في بيت فرعون [إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى أن اقذفيه في التابوت] .

الثانية : إلقاء المحبة عليه من الله تعالى ، بحيث لا يراه احد الا أحبه [وألقيت عليك محبة منى] .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الثالثة : حفظ الله ورعايته له بالكلاءة والعناية [ولتصنع على عيني] .

الرابعة : رده الى أمه مع الإنعام والإكرام [فرجعناك إلى أمك كي تقر عينها] .

الخامسة : إنجاء موسى من القتل بعد قتله القبطي [ونجيناك من الغم] . السادسة : تكليم الله له بعد عودته من ارض مدين وتكليفه بالرسالة [ثم جئت على قدر يا موسى واصطنعتك لنفسي] .

قال الله تعالى : [واصطنعتك لنفسي . . الى . . وذلك جزاء من تزكى] . من آية (41) الى نهاية (76) .

المناسبة :

لما ذكر تعالى نعمته على موسى ، باستجابة دعائه لإعطائه سؤله ذكر هنا ما خصه به من الاصطفاء والاجتباء ، وامره بالذهاب الى فرعون مع اخيه هارون لتبليغه دعوة الله ، ثم ذكر ما دار من الحوار بين موسى وفرعون ، وما كان من أمر السحرة وسجودهم لله رب العالمين ، حيث أسقط في يد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فرعون .

اللغة :

[اصطنعتك] اصطفيتك واخترتك ، واصل الاصطناع : اتخاذ الصنيعة ، وهو الخير تسديه الى انسان

[تنيا] الونى : الضعف والفتور ، قال العجاج :

فماونى محمد مذ أن غفر له الإله ما مضى وماغبر

[يفرط] يتعجل ويبادر الى عقوبتنا ، ومنه الفارط الذي يتقدم القوم الى الماء

[يسحتكم] يستأصلكم ويبيدكم ، وأصله استقصاء الحلق للشعر ، قال الفرزدق : وعض زمان يا ابن مروان لم يدع من المال إلا مسحت او مجلف ثم استعمل في الإهلاك والإذهاب ، والسحت : المال الحرام ، لأنه يهلك الانسان ويدمره

[النجوى] التناجي وهو الاسرار بالكلام

[أوجس] أضمر واستشعر الخوف في نفسه .

التفسير :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[واصطنعتك لنفسي] اي اخترتك لرسالتي ووحيي

[اذهب أنت وأخوك بآياتى] اي اذهب مع هارون بحججي وبراهيني ومعجزاتي ، والمراد بالآيات هنا (اليد والعصا) التي أيد الله بها موسى

[ولا تنيا في ذكرى] اي لا تفترا وتقصرا في ذكر الله وتسبيحه ، قال ابن كثير : والمراد ألا يفترا عن ذكر الله ، بل يذكران الله في حال مواجهة فرعون ، ليكون ذكر الله عونا لهما عليه ، وقوة لهما وسلطانا كاسرا له

[اذهبا إلى فرعون إنه طغى] اي تجبر وتكبر وبلغ النهاية في العتو والطغيان

[فقولا له قولا لينا] اي قولا لفرعون قولا لطيفا رفيقا

[لعله يتذكر أو يخشى] اي لعله يتذكر عظمة الله ، او يخاف عقابه فيرتدع عن طغيانه

[قالا ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى] اي قال موسى وهارون : يا ربنا اننا نخاف ان دعوناه الى الايمان ، ان يعجل علينا العقوبة ، او يجاوز الحد في

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الإساءة الينا

[قال لا تخافا إننى معكما أسمع وأرى] اى لا تخافا من سطوته ، انني معكما بالنصرة والعون اسمع جوابه لكما ، وأرى ما يفعل بكما

[فأتياه فقولا إنا رسولا ربك] اي انا رسولان من عند ربك ارسلنا اليك ، وتخصيص الذكر بلفظ [ربك] لإعلامه انه انسان مخلوق ، وعبد مملوك لله ، اذ كان يدعي الربوبية

[فأرسل معنا بني إسرائيل ولا تعذبهم] اي اطلق سراح بني اسرائيل ، ولا تعذبهم بتكليفهم الاعمال الشاقة

[قد جئناك بآية من ربك] اي قد جئناك بمعجزة تدل على صدقنا

[والسلام على من اتبع الهدى] اى والسلامة من عذاب الله لمن اهتدى وآمن بالله ، قال المفسرون : لم يقصد به التحية ، لأنه ليس بابتداء الخطاب ، وانما قصد به السلامة من عذاب الله وسخطه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[إنا قد أوحي إلينا أن العذاب على من كذب وتولى]
اي قد اخبرنا الله فيما أوحاه الينا ، ان العذاب الأليم على من كذب انبياء الله ، وأعرض عن الايمان

[قال فمن ربكما يا موسى] اي قال فرعون : ومن هذا الرب الذي تدعوني اليه يا موسى ؟ فإني لا اعرفه ؟ ولم يقل : من ربي ؟ لغاية عتوه ونهاية طغيانه ، بل أضافه الى موسى وهارون [من ربكما]

[قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى] اي ربنا هو الذي ابدع كل شيء خلقه ، ثم هداه لمنافعه ومصالحه ، وهذا جواب في غاية البلاغة والبيان ، لاختصاره ودلالته على جميع الموجودات بأسرها ، فقد اعطى العين الهيئة التى تطابق الابصار ، والأذن الشكل الذي يوافق الاستماع ، وكذلك اليد والرجل والانف واللسان ، قال الزمخشري : ولله در هذا الجواب ، ما أخصره وأجمعه وأبينه ؟ لمن ألقى الذهن ونظر بعين الإنصاف ؟

[قال فما بال القرون الأولى] اي قال فرعون : ما

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

حال من هلك من القرون الماضية ؟ لم لم يبعثوا ولم يحاسبوا ان كان ما تقول حقا ؟ قال ابن كثير : لما أخبر موسى بأن ربه الذي ارسله هو الذي خلق ورزق ، وقدر فهدى ، شرع فرعون يحتج بالقرون الاولى ، كأنه يقول : ما بالهم إذ كان الامر كذلك ، لم يعبدوا ربك بل عبدوا غيره ؟

[قال علمها عند ربى في كتاب] اي قال موسى : علم احوالها واعمالها عند ربي مسطر في اللوح المحفوظ

[لا يضل ربي ولاينسى] اى لا يخطىء ربي ولا يغيب عن علمه شىء منها . . ثم شرع موسى يبين له الدلائل على وجود الله ، وآثار قدرته الباهرة فقال :

[الذى جعل لكم الأرض مهدا] اي جعل الارض كالمهد اي كالبساط والفراش ، تمتهدونها وتستقرون عليها رحمة بكم

[وسلك لكم فيها سبلا] اي جعل لكم طرقا تسلكونها فيها ، لقضاء مصالحكم

[وأنزل من السماء ماء] اي انزل لكم من السحاب ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المطر عذبا فراتا

[فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى] اي فأخرج بذلك الماء انواعا من النباتات ، المختلفة الطعم والشكل والرائحة ، كل صنف منها زوج ، وفيه التفات من الغيبة الى المتكلم ، تنبيها على عظمة الله

[كلوا وارعوا أنعامكم] اى كلوا من هذه النباتات والثمار ، واتركوا أنعامكم تسرح وترعى من الكلأ الذي اخرجه الله ، والأمر للإباحة تذكيرا لهم بالنعم

[إن في ذلك لآيات لأولي النهى] اي ان فيما ذكر لعلامات واضحة لاصحاب العقول السليمة ، على وجود الله ووحدانيته

[منها خلقناكم وفيها نعيدكم] اي من الارض خلقناكم ايها الناس ، واليها تعودون بعد مماتكم فتصيرون ترابا

[ومنها نخرجكم تارة أخرى] اي ومن الارض نخرجكم مرة اخرى للبعث والحساب . . ثم اخبر تعالى عن عتو فرعون وعناده فقال سبحانه :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ولقد أريناه آياتنا كلها] اي والله لقد بصرنا فرعون بالمعجزات الدالة على نبوة موسى من (العصا ، واليد ، والطوفان ، والجراد) ، وسائر الآيات التسع

[فكذب وأبى] اي كذب بها مع وضوحها وزعم انها سحر ، وأبى الإيمان والطاعة لعتوه واستكباره

[قال أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى] اي قال فرعون : أجئتنا يا موسى بهذا السحر لتخرجنا من ارض مصر ؟

[فلنأتينك بسحر مثله] اي فلنعارضنك بسحر مثل الذي جئت به ، ليظهر للناس أنك ساحر ، ولست برسول

[فاجعل بيننا وبينك موعدا] اي عين لنا وقت اجتماع

[لا نخلفه نحن ولا أنت مكانا سوى] اي لا نخلف ذلك الوعد ، لا من جهتنا ولا من جهتك ، ويكون بمكان معين ، ووقت معين ((هذا ما اختاره ابن كثير في تفسير {مكانا سوى} واختار الطبرى أن المراد مكانا تستوي مسافته على الفريقين ، والقول الأول

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أظهر ، بدليل تعيين الزمان والمكان له في الآية بعدها))

[قال موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى] اي قال موسى : موعدنا للاجتماع يوم العيد -يوم من ايام اعيادهم - وان يجتمع الناس في ضحى ذلك النهار ، قال المفسرون : وانما عين ذلك اليوم للمبارزة ، ليظهر الحق ويزهق الباطل على رءوس الاشهاد ، ويشيع ذلك في الاقطار ، بظهور معجزته للناس

[فتولى فرعون فجمع كيده ثم أتى] اي انصرف فرعون فجمع السحرة ، ثم أتى الموعد ومعه السحرة وأدواتهم ، وما جمعه من كيد ليطفىء نور الله ، قال ابن عباس : كانوا اثنين وسبعين ساحرا ، مع كل ساحر منهم حبال وعصي

[قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب] اي قال موسى للسحرة لما جاء بهم فرعون : ويلكم لا تختلقوا على الله الكذب فيهلككم ويستأصلكم بعذاب هائل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وقد خاب من افترى] اي خسر وهلك من كذب على الله . . قدم لهم النصح والإنذار ، لعلهم يثوبون الى الهدى ، ولما سمع السحرة منه هذه المقالة ، هالهم ذلك ووقعت في نفوسهم مهابته ، ولذلك تنازعوا في أمره

[فتنازعوا أمرهم بينهم وأسروا النجوى] اي اختلفوا في أمر موسى ، فقال بعضهم : ما هذا بقول ساحر ، واخفوا ذلك عن الناس ، وأخذوا يتناجون سرا

[قالوا إن هذان لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما] اي قالوا بعد التناظر والتشاور : ما هذان الا ساحران ، يريدان الاستيلاء على ارض مصر ، واخراجكم منها بهذا السحر

[ويذهبا بطريقتكم المثلى] اي غرضهما افساد دينكم الذي انتم عليه ، والذي هو افضل المذاهب والاديان ، قال الزمخشري : والظاهر انهم تشاوروا في السر ، وتجاذبوا اهداب القول ، ثم قالوا : [إن هذان لساحران] فكانت نجواهم في تلفيق هذا الكلام وتزويره ، خوفا من غلبة موسى وهارون لهما ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وتثبيطا للناس من اتباعهما

[فأجمعوا كيدكم ثم ائتوا صفا] اي احكموا أمركم واعزموا عليه ، ولا تتنازعوا وارموا عن قوس واحدة ، ثم ائتوا الى الميدان مصطفين ، ليكون أهيب في صدور الناظرين

[وقد أفلح اليوم من استعلى] اي فاز اليوم من علا وغلب ، قال المفسرون : أرادوا بالفلاح ما وعدهم به فرعون ، من الإنعامات العظيمة والهدايا الجزيلة ، مع التقريب لهم والتكريم ، كما قال تعالى : [قالوا أئن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين ؟ قال نعم وإنكم إذا لمن المقربين]

[قالوا يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون أول من ألقى] اي قال السحرة لموسى : إما ان تبدأ أنت بالإلقاء او نبدأ نحن ؟ خيروه ثقة منهم بالغلبة لموسى ، لأنهم كانوا يعتقدون ، ان أحدا لا يقاومهم في هذا الميدان

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[قال بل ألقوا] اي قال لهم موسى : بل ابدءوا انتم بالإلقاء ، قال ابو السعود : قال ذلك مقابلة للأدب بأحسن من ادبهم ، حيث بت القول بإلقائهم اولا ، واظهارا لعدم المبالاة بسحرهم ، ليبرزوا ما معهم ، ويستفرغوا أقصى جهدهم ، وقصارى وسعهم ، ثم يظهر الله سلطانه فيقذف بالحق على الباطل فيدمغه

[فإذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى] في الكلام حذف دل عليه المعنى ، اي فألقوا فإذا تلك الحبال والعصي التي القوها يتخيلها موسى ويظنها - من عظمة السحر - انها حيات تتحرك وتسعى على بطونها ، والتعبير يوحي بعظمة السحر ، حتى ان موسى فزع منها واضطرب

[فأوجس في نفسه خيفة موسى] اي احس موسى الخوف في نفسه ، بمنتقضى الطبيعة البشرية ، لانه رأى شيئا هائلا

[قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى] اى قلنا لموسى : لا تخف مما توهمته ، فإنك انت الغالب المنتصر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا] اي القِ عصاك التي بيمينك ، تبتلع بفمها ما صنعوه من السحر

[إنما صنعوا كيد ساحر] اي ان الذى اخترعوه وافتعلوه هو من باب الشعوذة والسحر

[ولا يفلح الساحر حيث أتى] اي لا يسعد الساحر حيث كان ، ولا يفوز بمطلوبه لانه كاذب مضلل

[فألقي السحرة سجدا قالوا آمنا برب هارون وموسى] اي فألقى موسى عصاه ، فابتلعت ما صنعوا ، فخر السحرة حينئذ سجدا لله رب العالمين ، لما رأوا من الآية الباهرة ، قال ابن كثير : لما القى موسى العصا صارت ثعبانا عظيما هائلا ، ذا قوائم وعنق ورأس وأضراس ، فجعلت تتبع تلك الحبال والعصي ، حتى لم تبق شيئا الا ابتلعته ، والناس ينظرون الى ذلك عيانا نهارا ، فلما عاين السحرذلك ، وشاهدوه علموا علم اليقين ، ان هذا ليس من قبيل السحر والحيل ، وانه حق لا مرية فيه ، فعند ذلك وقعوا سجدا لله ، فقامت المعجزة واتضح البرهان ، ووقع الحق وبطل السحر ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قال ابن عباس : كانوا اول النهار سحرة ، وفي آخر النهار شهداء بررة

[قال آمنتم له قبل أن آذن لكم] اي قال فرعون للسحرة : آمنتم بموسى وصدقتموه بما جاء به ، من قبل ان اسمح لكم بذلك ، وقبل ان تستأذنوني ؟

[إنه لكبيركم الذي علمكم السحر] اي انه رئيسكم الذي علمكم السحر ، فاتفقتم معه لتذهبوا بملكي ، قال القرطبي : وانما اراد فرعون بقوله هذا ان يلبس على الناس ، حتى لا يتبعوهم فيؤمنوا كإيمانهم ، ثم توعدهم وهددهم بالقتل والتعذيب ، فقال :

[فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف] اي فوالله لأقطعن الأيدي والأرجل منكم مختلفات ، بقطع اليد اليمنى ، والرجل اليسرى ، او بالعكس

[ولأصلبنكم في جذوع النخل] اي لأربطنكم على جذوع النخل ، واقتلنكم شر قتلة

[ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى] اي ولتعلمن ايها السحرة ، من هو اشد منا عذابا وأدوم ؟ هل انا ؟ ام

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

رب موسى الذي صدقتم به وآمنتم ؟

[قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات] اي قال السحرة : لن نختارك ونفضلك على الهدى والايمان ، الذي جاءنا من الله ، ولو كان في ذلك هلاكنا

[والذي فطرنا] اي مقسمين بالله الذي خلقنا

[فاقض ما أنت قاض] اى فاصنع ما انت صانع

[إنما تقضي هذه الحياة الدنيا] اي انما ينفذ امرك في هذه الحياة الدنيا ، وهي فانية زائلة ، ورغبتنا فى النعيم الخالد ، قال عكرمة : لما سجدوا أراهم الله في سجودهم منازلهم في الجنة ، فلذلك قالوا ما قالوا

[إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا] اي آمنا بالله ليغفر لنا الذنوب التي اقترفناها ، وما صدر منا من الكفر والمعاصي

[وما أكرهتنا عليه من السحر] اي ويغفر لنا السحر الذي عملناه لإطفاء نور الله

[والله خير وأبقى] اي والله خير منك ثوابا ، وأبقي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عذابا ، وهذا جواب قوله : [ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقي]

[إنه من يأت ربه مجرما فإن له جهنم] هذا من تتمة كلام السحرة عظة لفرعون اي من يلقى ربه يوم القيامة وهو مجرم ، باقترافه المعاصي وموته على الكفر ، فإن له نار جهنم

[لا يموت فيها ولا يحيا] اى لا يموت في جهنم فينقضي عذابه ، ولا يحيا حياة طيبة هنيئة

[ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات] اى ومن يلقى ربه مؤمنا موحدا ، وقد عمل الطاعات وترك المنهيات

[فأولئك لهم الدرجات العلى] اي فأولئك المؤمنون العاملون للصالحات ، لهم المنازل الرفيعة عند الله

[جنات عدن] اى جنات اقامة ذات الدرجات العاليات ، والغرف الآمنات ، والمساكن الطيبات

[تجري من تحتها الأنهار] اى تجري من تحت غرفها وسررها انهار الجنة من الخمر ، والعسل ، واللبن ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والماء

[خالدين فيها] اى ماكثين في الجنة دوما لا يخرجون منها ابدا

[وذلك جزاء من تزكى] اي وذلك ثواب من تطهر من دنس الكفر والمعاصي ، وفي الحديث : (الجنة مائة درجة ، ما بين كل درجتين كما بين السماء والارض ، والفردوس اعلاها درجة ، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس) .

البلاغة :

تضمنت الآيات الكريمة وجوها من البيان والبديع نوجزها فيما يلي :

1 - الاستعارة اللطيفة [واصطنعتك لنفسي] شبه ما خوله به من القرب والاصطفاء بحال من يراه الملك اهلا للكرامة وقرب المنزلة ، لما فيه من الخلال الحميدة فيصطنعه لنفسه ، ويختاره لخلته ، ويصطفيه لأموره الجليلة ، واستعار لفظ اصطنع لذلك ، ففيه استعارة لطيفة ، تسمى (الاستعارة التبعية) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

2 - المقابلة اللطيفة [منها خلقناكم وفيها نعيدكم]
حيث قابل بين [منها] و[فيها] وبين الخلق والاعادة
، وهذا من المحسنات البديعية .
3 - الإيجاز بالحذف [بل ألقوا فإذا حبالهم] اي فألقوا
فإذا حبالهم حذف لدلالة المعنى عليه ، ومثله [فألقي
السحرة سجدا] بعد قوله [وألق ما في يمينك] حذف
منه كلام طويل ، وهو : فألقى موسى عصاه فتلقفت ما
صنعوا من السحر فألقي السحرة سجدا ، وانما حسن
الحذف لدلالة المعنى عليه ويسمى هذا في علم البلاغة
(إيجاز حذف) كما يقولون : البلاغةُ الإيجاز .
4 - الطباق بين [يموت . . ويحيا] وبين [نعيد . . .
ونخرج] .
5 - المقابلة بين [إنه من يأت ربه مجرما] وبين
[ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات] والمقابلة هي
ان يؤتى بمعنيين او اكثر ، ثم يؤتى بما يقابل ذلك ،
كما في هذه الآيات الكريمة .
6 - السجع الحسن غير المتكلف في مثل [سوى ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ضحى ، افترى ، يحيا ، تزكى] الخ .

7 - المؤكدات [إنك أنت الأعلى] أكد الخبر بعدة مؤكدات وهي [إن] المفيدة للتأكيد ، وتكرير الضمير [أنت] وتعريف الخبر [الأعلى] ولفظ العلو الدال على الغلبة ، وصيغة التفضيل [الأعلى] ولله در التنزيل ما أبلغه وأروعه ، وهذا من خصائص علم المعاني .

تنبيه :

لم تذكر الآيات الكريمة ان فرعون فعل بالسحرة ما هددهم به ، وقد ذكر المفسرون انه أنفذ فيهم وعيده ، فقطع ايديهم وارجلهم وصلبهم فماتوا على الإيمان ، ولهذا قال ابن عباس : كانوا في اول النهار سحرة ، وفي آخر النهار شهداء بررة .

قال الله تعالى : [ولقد أوحينا إلى موسى . .] الى قوله [وسع كل شىء علما] . من آية (77) الى نهاية آية (98) .

المناسبة :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لا تزال الآيات الكريمة تتحدث عن قصة موسى وفرعون ، وتشير الآيات هنا الى عناية الله تعالى بموسى وقومه ، وانجائهم واهلاك عدوهم ، وتذكرهم بنعم الله العظمى ، ومننه الكبرى على بني اسرائيل ، وما وصاهم به من المحافظة على شكرها ، وتحذيرهم من التعرض لغضب الله بكفرها ، ثم تذكر الآيات انتكاس بني اسرائيل بعبادتهم العجل ، وقد طوى هنا ما فصل في آيات أخر ، بقصد الإيجاز ، لتتكامل سلسلة حلقات القصة .

اللغة :

[دركا] لحاقا مصدر أدركه إذا لحقه

[تطغوا] الطغيان : مجاوزة الحد الى ما لا ينبغي

[هوى] صار الى الهاوية وهي قعر النار ، من هوى يهوي اذا سقط من علو الى سفل

[بملكنا] الملك : بفتح الميم وسكون اللام : الطاقة والقدرة ومعناه بأمر كنا نملكه من جهتنا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[أوزارا] أثقالا ومنه سمي الذنب وزرا لأنه يثقل الإنسان

[خوار] الخوار : صوت البقر

[يا ابن أم] اي يا ابن امي واللفظة تدل على الاستعطاف

[سولت] حسنت وزينت .

التفسير :

[ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي] اي اوحينا الى موسى - بعد ان تمادى فرعون في الطغيان - أن سر ببني اسرائيل ليلا من ارض مصر

[فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا] اي اضرب البحر بعصاك ليصبح لهم طريقا يابسا يمرون عليه

[لا تخاف دركا ولا تخشى] اي لا تخاف لحاقا من فرعون وجنوده ، ولا تخشى الغرق في البحر

[فأتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم] اي فلحقهم فرعون مع جنوده ليقتلهم ، فأصابهم من البحر ما أصابهم ، وغشيهم من الاهوال ما لا يعلم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كنهه الا الله ، والتعبير يفيد التهويل لما دهاهم عند الغرق

[وأضل فرعون قومه وما هدى] اي اضلهم عن الرشد ، وما هداهم الى خير ولا نجاة ، وفيه تهكم بفرعون في قوله : [وما أهديكم إلا سبيل الرشاد]

[يا بني إسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم] خطاب لبني اسرائيل بعد خروجهم من البحر ، وإغراق فرعون وجنوده ، والمعنى : اذكروا يا بني اسرائيل نعمتي العظيمة عليكم ، حين نجيتكم من فرعون وقومه الذين كانوا يسومونكم سوء العذاب

[وواعدناكم جانب الطور الأيمن] اي وعدنا موسى للمناجاة وإنزال التوراة عليه ، جانب طور سيناء الأيمن ، وانما نسبت المواعدة اليهم ، لكون منفعتها راجعة اليهم ، اذ في نزول التوراة صلاح دينهم ودنياهم

[ونزلنا عليكم المن والسلوى] اي رزقناكم وانتم في " أرض التيه " بالمن وهو يشبه العسل ، والسلوى وهو

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من اجود الطيور لحما ، تفضلا منا عليكم . . وفي هذا الترتيب غايةُ الحسن ، حيث بدأ بتذكيرهم بنعمة الإنجاء ، ثم بالنعمة الدينية ، ثم بالنعمة الدنيوية

[كلوا من طيبات ما رزقناكم] اي وقلنا لكم : كلوا من الحلال اللذيذ الذي انعمت به عليكم

[ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي] اي لا تحملنكم السعة والعافية على العصيان لأمري ، فينزل بكم عذابي

[ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى] اي ومن ينزل عليه غضبي وعقابي ، فقد هلك وشقي

[وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى] اي واني لعظيم المغفرة لمن تاب من الشرك ، وحسن ايمانه وعمله ، ثم استقام على الهدى والايمان ، وفي الآية ترغيب لمن وقع في وهدة العصيان ببيان المخرج كيلا ييأس

[وما أعجلك عن قومك يا موسى] أي أي شيء عجل بك عن قومك يا موسى ؟ قال الزمخشري : كان

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

موسى قد مضى مع النقباء ، الذين اختارهم من قومه الى الطور على الموعد المضروب ، ثم تقدمهم شوقا الى كلام ربه

[قال هم أولاء على أثري] اي قومي قريبون مني لم اتقدمهم الا بشيء يسير ، وهم يأتون بعدي

[وعجلت اليك رب لترضى] اي وعجلت الى الموضع الذي أمرتني بالمجيء اليه ، لتزداد رضى عني يا رب ، اعتذر موسى اولا ثم بين السبب في اسراعه قبل قومه ، وهو الشوق الى مناجاة الله ابتغاة لرضى الله

[قال فإنا قد فتنا قومك من بعدك] اي ابتليناهم بعبادة العجل ، من بعد ذهابك من بينهم

[وأضلهم السامري] اي وأوقعهم السامري فى الضلالة ، بسبب تزيينه لهم عبادة العجل ، وكان السامري ساحرا منافقا من قوم يعبدون البقر ، قال المفسرون : كان موسى حين جاء لمناجاة ربه ، قد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

استخلف على بني اسرائيل أخاه (هارون) وأمره ان يتعهدهم بالإقامة على طاعة الله ، وفي اثناء غيبة موسى جمع السامري الحلى ثم صنع منها عجلا ، ودعاهم الى عبادته فعكفوا عليه ، وكانت تلك الفتنة وقعت لهم بعد خروج موسى من عندهم بعشرين يوما [فرجع موسى الى قومه غضبان أسفا] اي رجع موسى من الطور - بعدما استوفى الأربعين وأخذ التوراة - غضبان شديد الحزن على ما صنع قومه من عبادة العجل

[قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا] اي ألم يعدكم ربكم بإنزال التوراة فيها الهدى والنور ؟ والاستفهام للتوبيخ

[أفطال عليكم العهد أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدي] اي هل طال عليكم الزمن حتى نسيتم العهد ؟ ام أردتم بصنيعكم هذا ، أن ينزل عليكم سخط الله وغضبه فأخلفتم وعدي ؟ قال ابو حيان : وكانوا وعدوه بأن يتمسكوا بدين الله وسنة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

موسى عليه السلام ، ولا يخالفوا أمر الله أبدا ، فأخلفوا موعده بعبادتهم العجل

[قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا] اي ما أخلفنا العهد بإرادتنا وإختيارنا ، بل كنا مكرهين

[ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم فقذفناها] اي حملنا اثقالا واحمالا من حلى آل فرعون ، فطرحناها في النار بأمر السامرى ، قال مجاهد : [أوزارا] اي اثقالا وهي الحلي التي استعاروها من آل فرعون

[فكذلك ألقى السامرى] اي كذلك فعل السامري ، ألقى ما كان معه من حلي القوم في النار ، قال المفسرون : كان بنو اسرائيل قد استعاروا من القبط الحلي ، قبل خروجهم من مصر ، فلما أبطأ موسى في العودة اليهم ، قال لهم السامري : انما احتبس عليكم لأجل ما عندكم من الحلي ، فجمعوه ودفعوه الى السامري ، فرمي به في النار ، وصاغ لهم منه عجلا ، ثم ألقى عليه قبضةَ من أثر فرس جبريل عليه السلام فجعل يخور فذلك قوله تعالى :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار] اي صاغ لهم السامري من تلك الحلى المذابة عجلا جسدا بلا روح ، له خوار وهو صوت البقر ((قال الرازي : قيل إنه صار حيا وخار ، وقيل : لم تحله الحياة وإنما جعل فيه منافذ تدخل فيه الريح فيخرج له صوت يشبه صوت العجل

[فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسي] اي هذا العجل إلهكم وإله موسى ، فنسي موسى إلهه هنا وذهب يطلبه في الطور ، قال قتادة : نسي موسى ربه عندكم ، فعكفوا عليه يعبدونه ، قال تعالى ردا عليهم ، وبيانا لسخافة عقولهم في عبادة العجل

[أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا] اي أفلا يعلمون ان العجل الذي زعموا انه إلههم لا يرد لهم جوابا ، ولا يقدر ان يدفع عنهم ضرا او يجلب لهم نفعا ؟ فكيف يكون إلها ؟ والاستفهام للتوبيخ والتقريع

[ولقد قال لهم هارون من قبل يا قوم إنما فتنتم به] اى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قال لهم هارون ناصحا ومذكرا من قبل رجوع موسى اليهم : انما ابتليتم وأضللتم بهذا العجل

[وإن ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري] وإن ربكم المستحق للعبادة هو (الرحمن) لا العجل ، فاقتدوا بي فيما أدعوكم اليه من عبادة الله ، واطيعوا امري بترك عبادة العجل

[قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى] اي قالوا : لن نزال مقيمين على عبادة العجل ، حتى يعود الينا موسى ، فننظر في الأمر ((قال سيد قطب عليه الرحمة في تفسير الظلال : " ما كاد بنو إسرائيل يرون عجلا من ذهب يخور حتى نسوا ربهم الذي أنقذهم من أرض الذل وعكفوا على عجل الذهب ، وفي بلاهة فكر ، وبلادة روح قالوا : {هذا إلهكم وإله موسى } راح يبحث عنه عند الجبل وهو هنا معنا وقد نسي موسى الطريق الى ربه وضل عنه ، وهى قولة تضيف إلى معنى البلادة والتفاهة اتهامهم لنبيهم بأنه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

غير موصول بربه حى ليضل الطريق إليه فلا هو يهتدي ولا ربه يهديه ، وهذا العجل لم يكن حيا يسمع قولهم ويستجيب نداءهم لأنه جسد لا حياة فيه ، فهو في درجة أقل من درجة الحيوانية ، ولقد نصحهم هارون ولكنهم بدلا من الاستجابة التووا وتملصوا من نصحه "))

[قال يا هارون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعن] ؟ في الكلام حذف اي فلما رجع موسى ، ووجدهم عاكفين على عبادة العجل ، امتلأ غضبا لله ، وأخذ برأس اخيه هارون يجره اليه ، وقال له : اى شيء منعك حين رأيتهم كفروا بالله ، ان لا تتبعني في الغضب لله ، والزجر لهم عن ذلك الضلال ؟

[أفعصيت أمري] اي أخالفتني وتركت أمري ووصيتي ؟ وأمره هو ما كان أوصاه به فيما حكاه تعالى عنه [وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين]

[قال يا ابن أم لا تأخذ بلحيتى ولا برأسي] اي قال له

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

هارون استعطافا وترقيقا : يا ابن أمي - اي يا أخي - لا تأخذ بلحيتي ولا بشعر رأسي ، قال ابن عباس : أخذ شعر رأسه بيمينه ، ولحيته بشماله ، من شدة غيظه وفرط غضبه ، لأن الغيرة في الله ملكته

[إني خشيت أن تقول فرقت بين بني اسرائيل] اى اني خفت ان زجرتهم بالقوة ، أن يقع قتال بينهم ، فتلومني على ذلك وتقول لي : لقد أشعلت الفتنة بينهم

[ولم ترقب قولي] اى لم تنتظر أمرى فيهم ، فمن اجل ذلك رايت ألا أفعل شيئا ، حتى ترجع اليهم ، لتتدارك الأمر بنفسك ، قال ابن عباس : وكان هارون هائبا مطيعا له

[قال فما خطبك يا سامري] اي ما شأنك فيما صنعت ؟ وما الذي حملك عليه يا سامري ؟

[قال بصرت بما لم يبصروا به] اي قال السامري : رأيت ما لم يروه ، وهو أن جبريل جاءك على فرس الحياة فألقي في نفسي أن أقبض من أثره قبضة ، فما ألقيته على شيء إلا دبت فيه الحياة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها] اي قبضت شيئا من أثر فرس جبريل ، فطرحتها على العجل فكان له خوار

[وكذلك سولت لي نفسي] اي وكذلك حسنت وزينت لى نفسي

[قال فاذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس] اي قال موسى للسامرى : عقوبتك في الدنيا الا تمس أحدا ولا يمسك أحد ، قال الحسن : جعل الله عقوبة السامري ألا يمس الناس ولا يمسوه ، عقوبة له في الدنيا ؟ وكان الله عز وجل شدد عليه المحنة عقوبة له .

[وإن لك موعدا لن تخلفه] اي وان لك موعدا للعذاب في الآخرة لن يتخلف

[وانظر إلى إلهك الذي ظلت عليه عاكفا] اي انظر الى هذا العجل الذي اقمت ملازما على عبادته

[لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفا] اي لنحرقنه بالنار ، ثم لنطيرنه رمادا في البحر ، لا يبقى منه عين ولا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أثر

[إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو] اي يقول موسى لبني اسرائيل : انما معبودكم المستحق للعبادة ، هو الله الذى لا رب سواه

[وسع كل شيء علما] اي وسع علمه كل شيء ، فلا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء

البلاغة :

تضمنت الآيات الكريمة من وجوه البيان والبديع ما يلي :

1 - التهويل [فغشيهم من اليم ما غشيهم] .

2 - الطباق بين [أضل . . وهدى] .

3 - الاستعارة [فقد هوى] استعار لفظ الهوي وهو السقوط من علو الى سفل للهلاك والدمار .

---

4 - صيغة المبالغة [وإني لغفار] اي كثير المغفرة للذنوب .

5 - الطباق [ضرا ولا نفعا] .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

6 - الايجاز بالحذف في مواطن عديدة .

7 - السجع الحسن غير المتكلف مثل [أمري ، قولي ، نفسي] و[نفعا ، علما ، نسفا] الخ

تنبيه :

انما عبد بنو اسرائيل العجل بسبب فتنة السامري ، وقد كانت بذور الوثنية راسخة في قلوبهم ، ولذلك لما نجاهم الله من طغيان فرعون طلبوا من موسى ان يصنع لهم تمثالا ليعبدوه كما قال تعالى : [وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون] فلا عجب اذا ان يعكفوا على عبادة عجل من ذهب له خوار ، لانهم كالبقر لا يفقهون ولا يعقلون ، والجنس يألفه الجنس !

قال الله تعالى : [كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق . .] الى قوله [من أصحاب الصراط السوي ومن اهتدى] من آية (99) الى نهاية السورة الكريمة .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المناسبة :

لما ذكر تعالى قصة موسى بالتفصيل ، أعقبها بذكر ان هذا القصص وحى من الله ، وان محمدا ، ما كان له علم بهذه الاخبار والانباء العجيبة ، لولا ان الله تعالى اوحى اليه ، وذلك من اكبر الدلائل والبراهين على صدق الرسالة ، وصحة ما جاء به خاتم المرسلين (ص).

اللغة :

[قاعا] القاع : الارض الملساء التي لا نبات فيها ولا بناء

[صفصفا] الضفصف : المستوي من الارض ، كأنه على صف واحد في استوائه

[أمتا] الأمت : المكان المرتفع كالتل والهضبة

[همسا] صوتا خفيا

[عنت] ذلت وخضعت قال أمية : " لعزته تعنو الوجوه وتسجد " ، قال الجوهري : عنا يعنو خضع وذل ، وأعناه غيره ومنه الآية [وعنت الوجوه]

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[هضما] الهضم : النقص يقال : هضمه حقه اذا انقصه ، والفرق بين الظلم والهضم ، ان الظلم المنع من الحق كله ، والهضم المنع من بعضه

[تضحى] ضحى للشمس برز لها حتى يصيبه حرها ، قال ابن أبي ربيعة : رأت رجلا أيما إذا الشمس عارضت فيضحى وأما بالعشي فيحصر

[ضنكا] الضنك : الضيق والشدة يقال : منزل ضنك وعيش ضنك اذا كان شديدا ضيقا

[سوآتهما] عوراتهما

[فتربصوا] انتظروا

[الصراط السوي] الطريق المستقيم .

التفسير :

[كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق] اي كما قصصنا عليك يا محمد خبر موسى مع فرعون ، وما فيه من الانباء الغريبة ، كذلك نقص عليك اخبار الامم المتقدمين

[وقد آتيناك من لدنا ذكرا] اي اعطيناك من عندنا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قرآنا يتلى ، منطويا على المعجزات الباهرة ، قال في البحر : امتن تعالى عليه بإيتائه الذكر المشتمل على القصص والاخبار ، الدال على معجزات أوتيها عليه السلام

[من أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة وزرا] اي من اعرض عن هذا القرآن فلم يؤمن به ، ولم يتبع ما فيه ، فإنه يحمل يوم القيامة حملا ثقيلا ، وذنبا عظيما يثقله في جهنم

[خالدين فيه وساء لهم يوم القيامة حملا] اي مقيمين في ذلك العذاب بأوزارهم ، وبئس ذلك الحمل الثقيل حملا لهم ، شبه الوزر بالحمل لثقله

[يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقا] اي يوم ينفخ إسرافيل في الصور " النفخة الثانية " ونحشر المجرمين الى ارض المحشر ، زرق العيون سود الوجوه ، قال القرطبي : تشوه خلقتهم بزرقة العيون وسواد الوجوه

[يتخافتون بينهم إن لبثتم إلا عشرا] اى يتهامسون

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بينهم ويسر بعضهم الى بعض قائلين : ما مكثتم في الدنيا الا عشر ليال ، استقصروا مدة لبثهم فيها لما عاينوا الشدائد والاهوال

[نحن أعلم بما يقولون إذ يقول أمثلهم طريقة إن لبثتم إلا يوما] اي نحن اعلم بما يتناجون بينهم اذ يقول اعقلهم واعدلهم قولا : ما لبثتم الا يوما واحدا

[ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا] اي ويسألونك عن حال الجبال يوم القيامة فقل لهم : إن ربي يفتتها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فيطيرها

[فيذرها قاعا صفصفا] اي فيتركها ارضا ملساء مستوية ، لا نبات فيها ولا بناء

[لا ترى فيها عوجا ولا أمتا] اي لا ترى فيها انخفاضا ولا ارتفاعا

[يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له] اي في ذلك اليوم العصيب يتبع الناس داعي الله الذي يدعوهم لأرض المحشر ، يأتونه سراعا لا يزيغون عنه ولا ينحرفون

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وخشعت الأصوات للرحمن] اي ذلت وسكنت أصوات الخلائق هيبة من الرحمن جل وعلا

[فلا تسمع إلا همسا] اي لا تسمع الا صوتا خفيا لا يكاد يسمع ، وعن ابن عباس : هو همس الاقدام في مشيها نحو المحشر ((وعلى هذا القول لا يراد بالهمس صوت الكلام ، إنما هو همس الأقدام))

[يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولا] اي في ذلك اليوم الرهيب لا تنفع الشفاعة أحدا ، إلا لمن أذن له الرحمن في ان يشفع له ، ورضي لأجله شفاعة الشافع ، وهو الذي كان في الدنيا من اهل " لا اله الا الله " قاله ابن عباس

[يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم] اي يعلم تعالى احوال الخلائق ، فلا تخفى عليه خافية من امور الدنيا وامور الآخرة

[ولا يحيطون به علما] اي لا تحيط علومهم بمعلوماته جل وعلا ((وقيل المراد : لا يحيطون بمعرفة ذاته إذ لا يعرف الله على الحقيقة إلا الله ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

واختاره في التسهيل))

[وعنت الوجوه للحي القيوم] اي ذلت وخضعت وجوه الخلائق للواحد القهار ، جبار السموات والارض الذي لا يموت ، قال الزمخشرى : المراد بالوجوه وجوه العصاة وانهم اذا عاينوا يوم القيامة الخيبة والشقوة وسوء الحساب ، صارت وجوههم عانية اي ذليلة خاضعة مثل وجوه العناة وهم الأسارى كقوله :

[سيئت وجوه الذين كفروا]

[وقد خاب من حمل ظلما] اي خسر من اشرك بالله ، ولم ينجح ولا ظفر بمطلوبه

[ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن] اي من قدم الاعمال الصالحة بشرط الايمان

[فلا يخاف ظلما ولا هضما] اي فلا يخاف ظلما بزيادة سيئاته ، ولا بخسا ونقصا لحسناته

[وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا] اي مثل إنزال الآيات المشتملة على القصص العجيبة ، انزلنا هذا الكتاب عليك يا محمد بلغة العرب ، ليعرفوا انه في الفصاحة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والبلاغة خارج عن طوق البشر

[وصرفنا فيه من الوعيد] اي كررنا فيه الانذار والوعيد

[لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا] اي كي يتقوا الكفر والمعاصي ، او يحدث لهم موعظة في القلوب ، ينشأ عنها امتثال الاوامر واجتناب النواهي

[فتعالى الله الملك الحق] اي جل الله وتقدس الملك الحق ، الذي قهر سلطانه كل جبار عما يصفه به المشركون من خلقه

[ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه] اي اذا أقرأك جبريل القرآن ، فلا تتعجل بالقراءة معه ، بل استمع اليه واصبر حتى يفرغ من تلاوته وحينئذ تقرأه أنت ، قال ابن عباس : كان (ص) يبادر جبريل فيقرأ قبل ان يفرغ جبريل من الوحي حرصا على حفظ القرآن ، ومخافة النسيان فنهاه الله عن ذلك ، قال القرطبي : وهذا كقوله تعالى : [لا تحرك به لسانك لتعجل به]

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وقل رب زدني علما] اي سل الله عز وجل زيادة العلم النافع ، قال الطبري : أمره بمسألته من فوائد العلم ما لا يعلم

[ولقد عهدنا إلى آدم من قبل] اي وصيناه ان لا يأكل من الشجرة من القديم

[فنسى ولم نجد له عزما] اي نسي امرنا ، ولم نجد له حزما وصبرا عما نهيناه عنه

[وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى] اي واذكر يا محمد حين أمرنا الملائكة بالسجود لآدم ، سجود (تحية وتكريم) فامتثلوا الأمر إلا إبليس ، فإنه أبى السجود وعصى أمر ربه ، قال الصاوي : كررت هذه القصة في سبع سور من القرآن ، تعليما للعباد امتثال الأوامر ، واجتناب النواهي ، وتذكيرا لهم بعداوة ابليس لأبيهم آدم

[فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك] اى ونبهنا آدم فقلنا له : ان ابليس شديد العداوة لك ولحواء

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى] اي لا تطيعاه فيكون سببا لإخراجكما من الجنة فتشقيان ، وانما اقتصر على شقائه مراعاة للفواصل ، ولاستلزام شقائه لشقائها ، قال ابن كثير : المعنى إياك ان تسعى في اخراجك من الجنة ، فتتعب وتشقى في طلب رزقك ، فإنك ههنا في عيش رغيد ، بلا كلفة ولا مشقة

[إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى] اي ان لك يا آدم ألا ينالك في الجنة الجوع ولا العري

[وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى] اي ولك ايضا ألا يصيبك العطش فيها ولا حر الشمس ، لأن الجنة دار السرور والحبور ، لا تعب فيها ولا نصب ، ولا حر ولا ظمأ ، بخلاف دار الدنيا

[فوسوس إليه الشيطان] اي حدثه خفية بطريق الوسوسة

[قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى] اى قال له ابليس اللعين : هل أدلك يا آدم على شجرة من أكل منها خلد ، ولم يمت أصلا ، ونال الملك الدائم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الذي لا يزول أبدا ؟ وهذه مكيدة ظاهرها النصيحة ، ومتى كان اللعين ناصحا ؟

[فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما] اى أكل آدم وحواء من الشجرة التي نهاهما الله عنها فظهرت لهما عوراتهما ، قال ابن عباس : عريا عن النور الذى كان الله تعالى قد ألبسهما إياه حتى بدت فروجهما

[وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة] اي شرعا يأخذان من اوراق الجنة ، ويغطيان عوراتهما ليستترا بها

[وعصى آدم ربه فغوى] اى خالف آدم أمر ربه ، بالأكل من الشجرة ، فضل عن المطلوب الذى هو الخلود في الجنة ، حيث اغتر بقول العدو ، قال ابو السعود : وفي وصفه بالعصيان والغواية - مع صغر زلته - تعظيم لها ، وزجر بليغ لأولاده عن أمثالها

[ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى] اي ثم اصطفاه ربه فقربه اليه ، وقَبِل توبته وهداه الى الثبات على التوبة ، والتمسك بأسباب الطاعة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو] اي قال الله لآدم وحواء : انزلا من الجنة الى الارض مجتمعين ، بعض ذريتكما لبعض عدو ، بسبب الكسب والمعاش ، واختلاف الطبائع والرغبات ، قال الزمخشري : لما كان آدم وحواء أصلَي البشر جعلا كأنهما البشر في أنفسهما فخوطبا مخاطبتهم

[فإما يأتينكم مني هدى] اى فإن جاءكم من جهتي الكتب والرسل لهدايتكم

[فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى] اي فمن تمسك بشريعتي واتبع رسلى ، فلا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة ، قال ابن عباس : ضمن الله تعالى لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه ، ألا يضل في الدنيا ، ولا يشقى في الآخرة ، وتلا الآية

[ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا] اى ومن اعرض عن امري وما انزلته على رسلي من الشرائع والاحكام ، فإن له في الدنيا معيشة قاسية شديدة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ونحشره يوم القيامة أعمى] اى ونحشره في الآخرة أعمى البصر ، قال ابن كثير : من أعرض عن أمر الله وتناساه ، فإن له حياة ضنكا في الدنيا ، فلا طمأنينة له ولا انشراح لصدره ، بل صدره ضيق شديد الضيق لضلاله ، وإن تنعم ظاهره ، ولبس ما شاء ، وأكل ما شاء ، وسكن حيث شاء ، فإن قلبه في قلق وحيرة وشك ، وقيل : يضيق عليه قبره حتى تختلف اضلاعه فيه

[قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا] اي قال الكافر : يا رب بأى ذنب عاقبتني بالعمى ، وقد كنت في الدنيا بصيرا ؟

[قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى] اى قال الله تعالى له : لقد أتتك آياتنا واضحة جلية ، فتعاميت عنها وتركتها ، وكذلك تترك اليوم في العذاب جزاء وفاقا

[وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه] اي ومثل ذلك الجزاء الموافق للخيانة والتكذيب بآيات الله ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

نعاقب من أسرف بالانهماك في الشهوات ، ولم يصدق بكلام ربه وآياته البينات

[ولعذاب الآخرة أشد وأبقي] اى عذاب جهنم اشد من عذاب الدنيا ، لأن عذابها أدوم وأثبت ، لانه لا ينقطع ولا ينقضي

[أفلم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون] اي أفلم يتبين لكفار مكة الذين كذبوك ، كم أهلكنا قبلهم من الامم الخالية ، المكذبين لرسلهم ؟

[يمشون في مساكنهم] اي يرون مساكن عاد وثمود ، ويعاينون آثار هلاكهم ، أفلا يتعظون ويعتبرون ؟

[إن في ذلك لآيات لأولي النهى] اي ان فى آثار هذه الامم البائدة ، لدلالات وعبرا ، لذوي العقول السليمة

[ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى] اى لولا قضاء الله بتأخير العذاب عنهم ، ووقت مسمى لهلاكهم ، لكان العذاب واقعا بهم ، قال الفراء : في الآية تقديم وتأخير ، والمعنى : ولولا كلمة وأجل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مسمى لكان لزاما اي لكان العذاب لازما لهم ، وانما اخره لتعتدل رءوس الآى

[فاصبر على ما يقولون] اي فاصبر يا محمد على ما يقول هؤلاء المكذبون من قومك

[وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها] اى صل وانت حامد لربك ، قبل طلوع الشمس (صلاة الصبح) وقبل غروبها (صلاة العصر)

[ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار] اى وصل لربك في ساعات الليل ، في اول النهار وآخره

[لعلك ترضى] اي لعلك تعطى ما يرضيك ، قال القرطبى : كثر المفسرين ان هذه الآية اشارة الى الصلوات الخمس [قبل طلوع الشمس] صلاة الصبح [وقبل غروبها] صلاة العصر [ومن آناء الليل] صلاة العشاء [وأطراف النهار] صلاة المغرب والظهر ، لأن الظهر في آخر طرف النهار الأول ، وغروب الشمس آخر طرف النهار الأخير

[ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم] اى لا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تنظر الى ما متعنا به اصنافا من الكفار ، من نعيم الدنيا وبهرجها الخادع

[زهرة الحياة الدنيا] اي زينة الحياة الدنيا

[لنفتنهم فيه] اي لنبتليهم ونختبرهم بهذا النعيم ، حتى يستوجبوا العذاب بكفرهم

[ورزق ربك خير وأبقى] اي ثواب الله خير من هذا النعيم الفاني وأدوم ، قال المفسرون : الخطاب للرسول ، والمراد به أمته ، لأنه عليه السلام كان أزهد الناس في الدنيا ، وأشد رغبة فيما عند الله

[وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها] اى وأمر يا محمد أهلك وأمتك بالصلاة ، واصبر أنت على أدائها بخشوعها وآدابها

[لا نسألك رزقا نحن نرزقك] اي لا نكلفك أن ترزق نفسك وأهلك ، بل نحن نتكفل برزقك وإياهم

[والعاقبة للتقوى] اي العاقبة الحميدة لأهل التقوى ، قال ابن كثير : اي حسن العاقبة وهي الجنة لمن اتقى الله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه] اي قال المشركون : هلا يأتينا محمد بمعجزة تدل على صدقه ؟

[أولم تأتهم بينة ما في الصحف الأولى] اي أولم يكتفوا بالقرآن المعجزة الكبرى لمحمد عليه السلام ، المحتوي على أخبار الامم الماضية ؟ والاستفهام للتوبيخ والتقريع ، بين تعالى ان هذا القرآن ، الذي سبق التبشير به في الكتب الإلهية السابقة ، اعظم الآيات في الاعجاز ، وهو الآية الباقية الى يوم القيامة

[ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله] اي لو انا اهلكنا كفار مكة ، من قبل نزول القرآن وبعثة محمد ،

[لقالوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا] اي لقالوا يا ربنا : هلا أرسلت الينا رسولا حتى نؤمن به ونتبعه

[فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى] اي فنتمسك بآياتك ، من قبل ان نذل بالعذاب ، ونفتضح على رءوس الاشهاد قال المفسرون : اراد تعالى ان يبين أنه لا حجة لأحد على الله بعد ارسال الرسل وانزال الكتب ، فلم يترك لأحد حجة ولا عذرا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[قل كل متربص] اي قل يا محمد لهؤلاء المكذبين : كل منا ومنكم منتظر دوائر الزمان ، ولمن يكون النصر

[فتربصوا] امر تهديد اي فانتظروا العاقبة والنتيجة

[فستعلمون من أصحاب الصراط السوى] اي فستعلمون عن قريب ، من هم اصحاب الطريق المستقيم ، هل نحن ام انتم ؟

[ومن اهتدى] اي ومن اهتدى الى الحق وسبيل الرشاد ، ومن بقى على الضلال ؟ قال القرطبي : وفي هذا ضرب من الوعيد ، والتخويف والتهديد ، ختمت به السورة الكريمة ، تقريعا لكفار مكة.

البلاغة :

تضمنت الآيات الكريمة من وجوه الفصاحة والبيان ما يلي :

1 - التشبيه التمثيلي [كذلك نقص عليك] وهو تشبيه مرسل مجمل .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

2 - الاستعارة اللطيفة [وساء لهم يوم القيامة حملا] شبه (الوزر) بالحمل الثقيل ، الذي يثقل ظهر حامله ، بطريق الاستعارة التصريحية .
3 - الكناية [يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم] كناية عن أمر الدنيا وأمر الآخرة .
4 - الطباق بين [أعمى . . وبصيرا] .
5 - التشبيه التمثيلي [زهرة الحياة الدنيا] مثل لنعم الدنيا بالزهر البهيج الفاتن ، الذي ينعش النفس ، لأن الزهر له منظر حسن ، ثم يذبل ويضمحل ، وكذلك نعيم الدنيا .
6 - الوعيد والتهديد [فتربصوا] .
7 - جناس الاشتقاق [أرسلت إلينا رسولا] .
8 - السجع اللطيف غير المتكلف مثل [ظلما ، هضما ، علما] ومثل [تشقى ، تعرى ، ترضى] الخ ...

لطيفة :

قال الناصر : في الآية سر بديع من البلاغة يسمى (قطع النظير عن النظير) ، وذلك انه قطع الظمأ عن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الجوع ، والضحو عن الكسوة ، مع ما بينهما من التناسب ، ولو قرن كلا بشكله ، لتوهم ان المعدودات نعمة واحدة ، على ان في الآية سرا آخر وهو قصد تناسب الفواصل ، ولو قرن الظمأ بالجوع ، لانتثر سلك رءوس الآي .

فائدة :

قال الشهاب : ليس المراد بحكاية قول من قال : [عشرا] او [يوما] او [ساعة] حقيقة اختلافهم في مدة اللبث ، ولا الشك في تعيينه ، بل المراد انه لسرعة زواله ، عبر عن قلته بما ذكر ، فتفنن في الحكاية وأتى في كل مقام بما يليق به .

سورة الأنبياء

مكية وآياتها اثنتا عشرة ومائة آية

بين يدي السورة

هذه السورة مكية وهي تعالج موضوع العقيدة الاسلامية في ميادينها الكبيرة (الرسالة ، الوحدانية ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

البعث والجزاء) وتتحدث عن الساعة وشدائدها ، والقيامة واهوالها ، وعن قصص الانبياء المرسلين ، صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين . ابتدأت السورة الكريمة بالحديث عن غفلة الناس عن الآخرة ، وعن الحساب والجزاء ، بينما القيامة تلوح لهم ، وهم عن ذلك اليوم الرهيب غافلون ، وقد شغلتهم مغريات الحياة عن الحساب المرقوب .

ثم انتقلت الى الحديث عن المكذبين ، وهم يشهدون مصارع الغابرين ، ولكنهم لا يعتبرون ولا يتعظون ، حتى اذا ما فاجأهم العذاب ، رفعوا اصواتهم بالتضرع والاستغاثة ، ولكن هيهات ان ينفع الندم ، او تفيد الاستغاثة . وتناولت السورة دلائل القدرة في الأنفس والآفاق ، لتنبه على عظمة الخالق المدبر الحكيم ، فيما خلق وأبدع ، ولتربط بين وحدة الكون ، ووحدة الإله الكبير جل جلاله . وبعد عرض الادلة والبراهين ، الشاهدة على وحدانية رب العالمين ، تذكر السورة حال المشركين ، وهم يتلقون الرسول (ص) بالاستهزاء

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والسخرية والتكذيب ، وتعقب على ذلك بسنة الله الكونية في اهلاك الطغاة المجرمين ثم تتناول السورة الكريمة قصص بعض الرسل ، وتتحدث بالاسهاب عن قصة " ابراهيم " عليه السلام مع قومه الوثنيين ، في اسلوب مشوق ، فيه من نصاعة البيان ، وقوة الحجة والبرهان ، ما يجعل الخصم يقر بالهزيمة في خنوع واستسلام ، وفي قصته عبر وعظات ، لمن كان له قلب وفكر سليم . . وتتابع السورة الحديث عن الرسل الكرام فتتحدث عن (اسحاق ، ويعقوب ، ولوط ، ونوح ، وداود ، وسليمان ، وايوب ، واسماعيل ، وادريس ، وذي الكفل ، وذي النون ، وزكريا ، وعيسى) بايجاز ، ولهذا سميت سورة الانبياء ، مع بيان الاهوال والشدائد التي تعرضوا لها ، وتختم ببيان رسالة سيد المرسلين محمد بن عبد الله المرسل رحمة للعالمين .

التسمية :

سميت " سورة الانبياء " لان الله تعالى ذكر فيها جملة من الانبياء الكرام فى استعراضٍ سريع ، يطول احيانا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ويقصر احيانا ، وذكر جهادهم وصبرهم وتضحيتهم في سبيل الله ، وتفانيهم في تبليغ الدعوة لاسعاد البشرية .

اللغة :

[أضغاث] اخلاط جمع ضغث وهي الاهاويل التي يراها الانسان في منامه

[قصمنا] القصم : كسر الشيء الصلب يقال : قصمت ظهره وانقصمت سنه اذا انكسرت

[يركضون] الركض : العدو بشدة ، والركض ضرب الدابة بالرجل حثا على العدو

[خامدين] خمدت النار طفئت والخمود الهمود ويراد به الموت تشبيها بخمود النار

[فيدمغه] دمغه : اصاب دماغه نحو كبده ورأسه اصاب كبده ورأسه

[يستحسرون] يعيون ، مأخوذ من الحسير وهو البعير المنقطع بالإعياء والتعب .

التفسير :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[اقترب للناس حسابهم] اي قرب ودنا وقت حساب الناس على اعمالهم

[وهم في غفلة معرضون] اي وهم مستغرقون في الشهوات ، غافلون عن ذلك اليوم الرهيب ، لا يعملون للآخرة ، ولا يستعدون لها ، كقول الشاعر : الناس في غفلاتهم : ورحى المنية تطحن ، وانما وصف الآخرة بالاقتراب لان كل ما هو آت قريب

[ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث] اي ما يأتيهم شيء من الوحي والقرآن من عند الله ، متجدد في النزول ، فيه عظة لهم وتذكير

[إلا استمعوه وهم يلعبون] اي الا استمعوا القرآن مستهزئين ، قال الحسن : كلما جدد لهم الذكر استمروا على الجهل ،

[لاهية قلوبهم] اي ساهية قلوبهم عن كلام الله ، غافلة عن تدبر معناه

[وأسروا النجوى الذين ظلموا] اي تحدث المشركون فيما بينهم سرا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[هل هذا الا بشر مثلكم] اي قالوا فيما بينهم خفية : هل محمد الذي يدعي الرسالة ، الا شخص مثلكم يأكل الطعام ويمشي في الاسواق ؟

[أفتأتون السحر وأنتم تبصرون] اي أفتقبلون السحر وانتم تعلمون انه سحر ؟ قال الالوسي : ارادوا ان ما اتى به محمد عليه السلام من قبيل السحر ، وذلك بناء على ما ارتكز في اعتقادهم ان الرسول لا يكون الا ملكا ، وان كل ما جاء به من الخوارق من قبيل السحر ، وعنوا بالسحر القرآن

[قال ربي يعلم القول في السماء والأرض] اي قال محمد (ص) ان ربي لا يخفى عليه شيء مما يقال في السماء والارض

[وهو السميع العليم] اي السميع بأقوالكم ، العليم بأحوالكم ، وفي هذا تهديد لهم ووعيد

[بل قالوا أضغاث أحلام] هذا اضراب من جهته تعالى ، وانتقال الى ما هو اشنع واقبح ، حيث قالوا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عن القرآن انه اخلاط منامات

[بل افتراه] اي اختلقه محمد من تلقاء نفسه

[بل هو شاعر] اي بل محمد شاعر وما أتى به شعر ، يخيل للسامع انه كلام رائع مجيد ، قال في التسهيل : حكى الله عنهم هذه الاقوال الكثيرة ، ليظهر اضطراب امرهم ، وبطلان اقوالهم ، فهم متحيرون لا يستقرون على شيء

[فليأتنا بآية كما ارسل الأولون] اي فليأتنا محمد بمعجزة خارقة تدل على صدقه ، كما ارسل موسى (بالعصا) وصالح (بالناقة)

[ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها أفهم يؤمنون] اي ما صدق قبل مشركي مكة اهل القرى الذين اقترحوا على انبيائهم الآيات ، بل كذبوا فأهلكهم الله ، أفيصدق هؤلاء بالآيات لو رأوها ؟ كلا ، قال ابو حيان : وهذا استبعاد وانكار اي هؤلاء أعتى من الذين اقترحوا على انبيائهم الآيات ، فلوا اعطيناهم ما اقترحوا لكانوا اضل من اولئك ، واستحقوا عذاب الاستئصال ، ولكن الله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تعالى حكم بإبقائهم ، لعلمه انه سيخرج منهم مؤمنون
[وما ارسلنا قبلك إلا رجالا نوحي إليهم] اي وما ارسلنا قبلك يا محمد الا رسلا من البشر لا ملائكة ، فكيف ينكر هؤلاء المشركون رسالتك ويقولون : ما هذا الا بشر مثلكم ؟
[فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون] اي فاسالوا يا اهل مكة العلماء بالتوراة والانجيل ، هل كان الرسل الذين جاءوهم بشرا ام ملائكة ؟ ان كنتم لا تعلمون ذلك
[وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام] اي ما جعلنا الانبياء اجسادا لا يأكلون ولا يشربون كالملائكة ، بل هم كسائر البشر يأكلون ويشربون ، وينامون ويموتون
[وما كانوا خالدين] اي ما كانوا مخلدين في الدنيا لا يموتون
[ثم صدقناهم الوعد فأنجيناهم ومن نشاء] اي ثم صدقنا الانبياء ما وعدناهم به من نصرهم ، واهلاك مكذبيهم ، وانجائهم مع اتباعهم المؤمنين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وأهلكنا المسرفين] اي واهلكنا المكذبين للرسل ، المجاوزين الحد في الكفر والضلال ، وهذا تخويف لاهل مكة

[لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم] اللام للقسم اي والله لقد انزلنا اليكم يا معشر العرب ، كتابا عظيما مجيدا لا يماثله كتاب ، فيه شرفكم وعزكم لانه بلغتكم

[أفلا تعقلون] اي افلا تعقلون هذه النعمة ، فتؤمنون بما جاءكم به محمد عليه السلام ؟

[وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة] اي وكثير من اهل القرى ، الذين كفروا بآيات الله وكذبوا رسله اهلكناهم

[وأنشأنا بعدها قوما آخرين] اي وخلقنا امة اخرى بعدهم

[فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون] اي فلما رأوا عذابنا بحاسة البصر ، وتيقنوا نزوله ، اذا هم يهربون فارين منهزمين ، قال ابو حيان : لما ادركهم مقدمة العذاب ، ركبوا دوابهم يركضونها هاربين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

منهزمين

[لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه] اي تقول لهم الملائكة استهزاء : لا تركضوا هاربين من نزول العذاب ، وارجعوا الى ما كنتم فيه من النعمة والسرور ، ولين العيش

[ومساكنكم] اي ارجعوا الى مساكنكم الطيبة

[لعلكم تسألون] اي لعلكم تسألون عما جرى عليكم ، وهذا كله من باب الاستهزاء والتوبيخ

[قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين] اي قالوا : يا هلاكنا ودمارنا ، انا كنا ظالمين بالإشراك وتكذيب الرسل ، اعترفوا وندموا حين لا ينفعهم الندم

[فما زالت تلك دعواهم] اي فما زالت تلك الكلمات التي قالوها ، يكررونها ويرددونها

[حتى جعلناهم حصيدا خامدين] اي حتى اهلكناهم بالعذاب ، وتركناهم مثل الحصيد ، موتى كالزرع المحصود بالمناجل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين] اي لم نخلق ذلك عبثا وباطلا ، وانما خلقناهما دلالة على قدرتنا ووحدانيتنا ، ليعتبر الناس ويستدلوا بالخلق على وجود الخالق المدبر الحكيم

[لو أردنا أن نتخذ لهوا] قال ابن عباس : هذا رد على من قال اتخذ الله ولدا ، والمعنى : لو اردنا ان نتخذ ما يتلهى به من زوجة او ولد

[لاتخذناه من لدنا] اي لاتخذناه من عندنا ، من الحور العين ، او من الملائكة

[إن كنا فاعلين] اى لو اردنا فعل ذلك ، لاتخذناه من طرفنا ، ولكنه مناف للحكمة فلم نفعله

[بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه] اى بل نرمي بالحق المبين على الباطل المتزعزع فيقمعه ويبطله

[فإذا هو زاهق] اى هالك تالف

[ولكم الويل مما تصفون] اى ولكم يا معشر الكفار العذاب والدمار ، من وصفكم الله تعالى بما لا يجوز من الزوجة والولد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وله من في السموات والأرض] اى وله جل وعلا جميع المخلوقات ، ملكا وخلقا وتصرفا ، فكيف يجوز ان يشرك به ما هو عبد ومخلوق له ؟

[ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون] اى والملائكة الذين عبدتموهم من دون الله ، لا يتكبرون عن عبادة مولاهم ، ولا يعيون ولا يملون

[يسبحون الليل والنهار لا يفترون] اى هم في عبادة دائمة ينزهون الله عما لا يليق به ، ويصلون ويذكرون الله ليل نهار ، لا يضعفون ولا يسأمون

[أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون] لما ذكر تعالى الدلائل على وحدانيته وان كل من في السموات والارض ملك له ، وان الملائكة المقربين في طاعته وخدمته ، عاد الى ما كان عليه من توبيخ المشركين وذمهم وتسفيه احلامهم ، و[ام] منقطعة بمعنى " بل " والهمزة فيها استفهام معناه التعجب والانكار ، والمعنى : هل اتخذ هؤلاء المشركون آلهة من الارض ، قادرين على احياء الموتى ؟ لا ، بل اتخذوا آلهة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

جمادا ، لا تتصف بالقدرة على شيء ، فهى ليست بآلهة على الحقيقة ، لان من صفة الإله ، القدرة على الاحياء والاماتة

[لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا] هذا برهان على وحدانيته تعالى ، اي لو كان في الوجود آلهة غير الله ، لفسد نظام الكون كله ، لما يحدث بين الآلهة من الاختلاف والتنازع ((قال المفسرون : في الآية دليل على (التمانع) الذي أورده الأصوليون ، وذلك أنا لو فرضنا إلهين فأراد أحدهما شيئا وأراد الآخر نقيضه ، فإما أن تنفذ إرادة كل منهما وذلك محال لإستحالة اجتماع النقيضين ، وإما أن تنفذ إرادة واحد منهما دون الآخر فيكون الأول الذى تنفذ إرادته هو الإله ، والثانى عاجز فلا يصلح أن يكون إلها)) في الخلق والتدبير ، وقصد المغالبة ، الا ترى انه لا يوجد ملكان في مدينة واحدة ، ولا رئيسان في دائرة واحدة ؟

[فسبحان الله رب العرش عما يصفون] اي تنزه الله الواحد الاحد ، خالق العرش العظيم ، عما بصفه به

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

اهل الجهل ، من الشريك والزوجة والولد

[لا يسأل عما يفعل وهم يسألون] اي لا يسأل تعالى عما يفعل ، لانه مالك كل شيء ، والمالك يفعل في ملكه ما يشاء ، ولانه حكيم فافعاله كلها جارية على الحكمة ، وهم يسألون عن اعمالهم لانهم عبيد

[ام اتخذوا من دونه آلهة] كرر هذا الانكار ، استعظاما للشرك ومبالغة في التوبيخ اى هل اتخذوا آلهة من دون الله تصلح للعبادة والتعظيم ؟

[قل هاتوا برهانكم] اي قل يا محمد لاولئك المشركين : ائتوني بالحجة والبرهان على ما تقولون

[هذا ذكر من معي وذكر من قبلي] اي هذا الكتاب الذى معي ، والكتب التي من قبلي (كالتوراة والانجيل) ليس فيها ما يقتضى الاشراك بالله ، ففي اى كتاب نزل هذا ؟ في القرآن ام في الكتب المنزلة على سائر الانبياء ؟ فما زعمتموه من وجود الآلهة ، لا تقوم عليه حجة ، لا من جهة العقل ولا النقل ، بل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كتب الله السابقة شاهدة بتنزيهه تعالى عن الشركاء والانداد

[بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون] اي بل اكثر المشركين لا يعلمون التوحيد ، فهم معرضون عن النظر والتأمل في دلائل الايمان ، وبراهين التوحيد .

البلاغة :

تضمنت الآيات الكريمة وجوها من البيان والبديع نوجزها فيما يلي :

1 - التنكير في (غفلة) للتعظيم والتفخيم [وهم في غفلة] اى غفلة هائلة.

2 - صيغة المبالغة [السميع العليم] فان " فعيل " من صيغ المبالغة .

3 - الاضراب بطريق الترقي [بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر] وهذا الاضطراب في وصف القرآن ، يدل على التردد والتحير في تزويرهم للحق الساطع المنير ، فقولهم الثاني افسد من الاول ، والثالث افسد من الثاني .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

4 - الانكار التوبيخي [أفلا تعقلون] ؟ فيه توبيخ وتقريع لهم .

5 - التشبيه البليغ [حصيدا خامدين] اى جعلناهم كالزرع المحصود وكالنار الخامدة ، حذفت اداة التشبيه ووجه الشبه ، فأصبح بليغا .

6 - الاستعارة التمثيلية [بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه] شبه الحق بقذيفة قاتلة مهلكة بطريق (التمثيل) فكأنه رمي بجرم صلب ، على راس دماغ الباطل فشقه ، وفي هذا التعبير مبالغة بديعة في ازهاق الباطل .

7 - طباق السلب [لا يسأل عما يفعل وهم يسألون] .

8 - التبكيت والقام الحجر للخصم [قل هاتوا برهانكم] .

فائدة :

سئل كعب عن الملائكة كيف يسبحون الليل والنهار لا يفترون ؟ اما يشغلهم شأن ، اما تشغلهم حاجة ؟ فقال للسائل : يا ابن اخي جعل لهم التسبيح كما جعل لكم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

النفس ، ألست تأكل وتشرب ، وتقوم وتجلس ، وتجيء وتذهب وانت تتنفس ؟ فكذلك جعل لهم التسبيح).

قال الله تعالى : [وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي . .] الى قوله [أفأنتم له منكرون] من آية (25) الى نهاية آية (50) .

المناسبة :

لما بين تعالى احوال المشركين ، واقام الادلة والبراهين على وحدانية الله ، وبطلان تعدد الآلهة ، ذكر هنا ان دعوة الرسل جميعا انما جاءت لبيان التوحيد ، ثم ساق الادلة على قدرة الله ووحدانيته ، في هذا الكون العجيب .

اللغة :

[رتقا] الرتق : الضم والالتحام وهو ضد الفتق " يقال : رتقت الشيء ارتقه اى التأم ، ومنه الرتغاء للمنضمة الفرج

[تميد] تتحرك وتضطرب

[فجاجا] جمع فج وهو المسلك والطريق الواسع

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[يسبحون] يجرون ويسيرون بسرعة كالسابح في الماء

[فتبهتهم] تدهشهم وتحيرهم ، قال الجوهرى : بهته بهتا أخذه بغتة وقال الفراء : بهته اذا واجهه بشيء يحيره

[يكلأكم] يحرسكم ويحفظكم ، والكلاءة : الحراسة والحفظ . .

سبب النزول :

مر النبي (ص)على أبى سفيان وابي جهل وهما يتحدثان ، فلما رآه ابو جهل ضحك ، وقال لابي سفيان : هذا نبى بنى عبد مناف كالمستهزىء برسول الله (ص) فرجع رسول الله (ص) الى (ابو جهل) وقال له : ما اراك منتهيا حتى يصيبك ما اصاب عمك (الوليد بن المغيرة) فنزلت الآية [وإذا رآك الذين كفروا إن يتخذونك إلا هزوا. . .] الآية .

التفسير :

[وما أرسلنا من قبلك من رسول] اي وما بعثنا قبلك

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يا محمد رسولا من الرسل
[إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا] اي الا اوحينا اليه انه لا رب ولا معبود بحق سوى الله
[فاعبدون] اي فاعبدوني وحدي وخصوني بالعبادة ، ولا تشركوا معي احدا
[وقالوا اتخذ الرحمن ولدا] اي قال المشركون : اتخذ الله من الملائكة ولدا ، وهم حى من خزاعة قالوا : الملائكة بنات الله

[سبحانه] اي تنزه الله وتقدس عما يقول الظالمون
[بل عباد مكرمون] اي بل هم عباد مبجلون ، اصطفاهم الله ، فهم مكرمون عنده في منازل عالية ، ومقامات سامية ، وهم في غاية الطاعة والخضوع لله عز وجل
[لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون] اي لا يقولون شيئا حتى يقوله سبحانه ، شانهم شأن العبيد المؤدبين ، وهم بطاعته واوامره يعملون ، لا يخالفون ربهم في

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

امر من الاوامر

[يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم] اي علمه تعالى محيط بهم لا يخفى عليه منهم خافية

[ولا يشفعون إلا لمن ارتضى] اي لا يشفعون يوم القيامة الا لمن رضي الله عنه ، وهم اهل الايمان ، اهل شهادة (لا اله الا الله ، محمد رسول الله)

[وهم من خشيته مشفقون] اي وهم من خوف الله ورهبته خائفون حذرون ، لانهم يعرفون عظمة الله ، قال الحسن : يرتعدون من خشية الله

[ومن يقل منهم إني إله من دونه] اي ومن يقل من الملائكة اني إله ومعبود مع الله

[فذلك نجزيه جهنم] اي فعقوبته جهنم ، قال المفسرون : هذا على وجه التهديد ، وعلى سبيل الفرض والتقدير ، لان هذا شرط ، والشرط لا يلزم وقوعه ، والملائكة معصومون عن ادعاء الالوهية

[كذلك نجزي الظالمين] اي مثل ذلك الجزاء الشديد ، نجزي من ظلم وتعدى حدود الله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما] استفهام توبيخ لمن ادعى مع الله آلهة ، ورد على عبدة الاوثان ، اي أولم يعلم هؤلاء الجاحدون ان السموات والارض كانتا شيئا واحدا ملتصقتين ، ففصل الله بينهما ورفع السماء الى حيث هي ، واقر الارض كما هي ؟ قال الحسن : كانت السموات والارض ملتزقتين ، ففصل الله بينهما بالهواء وقال ابن عباس : كانت السموات رتقا لا تمطر ، وكانت الارض رتقا لا تنبت ، ففتق هذه بالمطر ، وهذه بالنبات

[وجعلنا من الماء كل شىء حي] اي جعلنا الماء اصل كل الاحياء ، وسببا للحياة ، فلا يعيش بدونه انسان ولا حيوان ولا نبات

[أفلا يؤمنون] اي افلا يصدقون بقدرة الله ؟

[وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد بهم] اي جعلنا في الارض جبالا ثوابت لئلا تتحرك وتضطرب ، فلا يستقر لهم عليها قرار

[وجعلنا فيها فجاجا سبلا لعلهم يهتدون] اي وجعلنا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

في هذه الجبال مسالك وطرقا واسعة ، كي يهتدوا الى مقاصدهم في الاسفار ، قال ابن كثير : جعل في الجبال ثغرا ، يسلكون فيها طُرقا ، من قطر الى قطر ، واقليم الى اقليم ، كما هو المشاهد في الارض ، يكون الجبل حائلا بين هذه البلاد وهذه ، فيجعل الله فيها فجوة ، ليسلك الناس فيها من ههنا الى ههنا

[وجعلنا السماء سقفا محفوظا] اي جعلنا السماء كالسقف للارض ، محفوظة من الوقوع والسقوط ، قال ابن عباس : حفظت بالنجوم من الشياطين

[وهم عن آياتها معرضون] اي والكفار عن الآيات الدالة على وجود الخالق جل وعلا ، وقدرته الباهرة من خلق (الشمس والقمر والنجوم) وسائر الادلة والعبر ، معرضون لا يتفكرون فيما ابدعته يد القدرة ، من الخلق العجيب والتنظيم الفريد ، الدال على الحكمة البالغة والقدرة الباهرة ، قال القرطبي : بين تعالى ان المشركين غفلوا عن النظر في السموات وآياتها ، من ليلها ونهارها ، وشمسها وقمرها ، وافلاكها ورياحها ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وما فيها من القدرة الباهرة ، اذ لو نظروا واعتبروا ، لعلموا ان لها صانعا قادرا واحدا ، يستحيل ان يكون له شريك

[وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر] اي وهو تعالى بقدرته ، نوع الحياة فجعل فيها ليلا ونهارا ، هذا في ظلامه وسكونه ، وهذا بضيائه وانسه ، يطول هذا تارة ثم يقصر اخرى وبالعكس ، وخلق الشمس والقمر ، آيتين عظيمتين دالتين على وحدانيته تعالى

[كل في فلك يسبحون] اي كل من الشمس والقمر والنجوم والكواكب والليل والنهار ، يجرون ويسيرون بسرعة كالسابح في الماء

[وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد] اي وما جعلنا لأحد من البشر قبلك يا محمد البقاء الدائم ، والخلود في الدنيا

[أفإن مت فهم الخالدون] ؟ اي فهل اذا مت يا ايها

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الرسول سيخلدون بعدك في هذه الحياة ؟ لا لن يكون لهم ذلك ، بل كل الى الفناء ، قال المفسرون : هذا رد لقول المشركين [شاعر نتربص به ريب المنون] فأعلم تعالى بأن الانبياء قبله ماتوا ، وتولى الله دينه بالنصر والحياطة ، فهكذا نحفظ دينك وشرعك

[كل نفس ذائقة الموت] اي كل مخلوق الى الفناء ، ولا يدوم الا الحى القيوم

[ونبلوكم بالشر والخير فتنة] اي ونختبركم بالمصائب والنعم ، لنرى الشاكر من الكافر ، والصابر من القانط ، قال ابن عباس : نبتليكم بالشدة والرخاء ، والصحة والسقم ، والغنى والفقر ، والحلال والحرام ، والطاعة والمعصية ، والهدى والضلال وقال ابن زيد : نختبركم بما تحبون ، لنرى كيف شكركم ؟ وبما تكرهون لنرى كيف صبركم

[والينا ترجعون] اي والينا مرجعكم فنجازيكم باعمالكم

[وإذا رآك الذين كفروا إن يتخذونك إلا هزوا] اي اذا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

رآك كفار قريش كأبي جهل واشياعه ، ما يتخذونك الا مهزوءا به ، يسخرون منك ويهزءون يقولون :
[أهذا الذى يذكر آلهتكم] استفهام فيه انكار وتعجيب اي هذا الذي يسب آلهتكم ، ويسفه احلامكم ؟
[وهم بذكر الرحمن هم كافرون] اي وهم كافرون بالله ، يستهزئون برسول الله يعيبون من جحد إلهية اصنامهم ، وهم جاحدون لإلهية الرحمن ، وهذا غاية الجهل
[خلق الإنسان من عجل] اي ركب الانسان على العجلة ، فخلق عجولا يستعجل كثيرا من الاشياء ، وان كانت مضرة ، قال ابن كثير : والحكمة في ذكر عجلة الانسان ههنا ، انه لما ذكر المستهزئين بالرسول ، وقع فى النفوس سرعة الانتقام منهم ، واستعجلوا ذلك ولهذا قال
[سأوريكم آياتي فلا تستعجلون] اي سأريكم انتقامي واقتداري على من عصاني ، فلا تتعجلوا الامر قبل اوانه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين] اي ويقول المشركون على سبيل الاستهزاء والسخرية : متى هذا العذاب الذي يعدنا به محمد ؟ ان كنتم يا معشر المؤمنين صادقين فيما اخبرتمونا به ؟ قال تعالى :

[لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم] اي لو عرف الكافرون فظاعة العذاب حين لا يستطيعون دفع العذاب عن وجوههم وظهورهم ، لانه محيط بهم من جميع جهاتهم ، لما استعجلوا الوعيد ، قال في البحر : وجواب [لو] محذوف لانه ابلغ في الوعيد واهيب ، وقدره الزمخشري بقوله : لما كانوا بتلك الصفة من الكفر والاستهزاء والاستعجال ، ولكن جهلهم هو الذي هونه عندهم

[ولا هم ينصرون] اى لا ناصر لهم من عذاب الله

[بل تأتيهم بغتة فتبهتهم] اى بل تأتيهم الساعة فجأة ، فتدهشهم وتحيرهم

[فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون] اي فلا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يقدرون على صرفها عنهم ، ولا يمهلون ويؤخرون لتوبة واعتذار

[ولقد استهزىء برسل من قبلك] تسلية لرسول الله ، عن استهزاء المشركين ، اي والله لقد استهزىء برسل من قبلك يا محمد ، اولي شأن خطير ، وذوي عدد كثير

[فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون] اي فنزل وحل بالساخرين من الرسل العذاب الذى كانوا يستهزئون به ، قال ابو حيان : سلاه تعالى ، بأن من تقدمه من الرسل ، وقع من اممهم الاستهزاء بهم ، وان ثمرة استهزائهم جنوها هلاكا وعقابا في الدنيا والآخرة ، فكذلك حال هؤلاء المستهزئين

[قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن] اي قل يا ايها الرسول لهؤلاء المستهزئين : من يحفظكم من بأس الرحمن في اوقاتكم قي ليلكم ونهاركم ؟ ومن يدفع عنكم عذابه وانتقامه ان اراد انزاله بكم ؟ وهو سؤال تقريع وتنبيه ، كيلا يغتروا بما نالهم من نعم الله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[بل هم عن ذكر ربهم معرضون] اي بل هؤلاء الظالمون ، معرضون عن كلام الله ومواعظه ، لا يتفكرون ولا يعتبرون

[أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا] اي هل لهم آلهة تمنعهم من العذاب غيرنا ؟

[لا يستطيعون نصر أنفسهم] اي لا يقدرون على نصر انفسهم ، فكيف ينصرون عابديهم ؟

[ولا هم منا يصحبون] اي وليست هذه الآلهة ، تستطيع ان تجير نفسها من عذاب الله ، لانها في غاية العجز والضعف ، فكيف ينجون غيرهم من العذاب ؟ قال ابن عباس : [يصحبون] يجارون اي لا يجيرهم منا احد ، لان المجير صاحب لجاره ،

[بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر] اي متعنا هؤلاء المشركين وآباءهم من قبلهم ، بما رزقناهم من حطام الدنيا ، حتى طالت اعمارهم في رخاء ونعمة ، وحسبوا ان ذلك يدوم لهم ، فاغتروا بذلك

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[أفلا يرون أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها] اي افلا ينظرون فيعتبرون ، باننا نأتي ارضهم فننقصها من اطرافها ، بالفتح على النبي وتسليط المسلمين عليها ؟

[أفهم الغالبون] استفهام بمعنى التقريع والإنكار ، اى هل هم الغالبون ام المغلوبون ؟ لا شك انهم المغلوبون ، الاخسرون ، الارذلون

[قل إنما أنذرتكم بالوحي] اي قل لهم يا محمد : انما اخوفكم واحذركم بوحى من الله ، لا من تلقاء نفسي ، فأنا مبلغ عن الله ، ما انذرتكم به من العذاب والنكال

[ولا يسمع الصم الدعاء إذا ما ينذرون] اي ولكنكم ايها المشركون ، لشدة جهلكم وعنادكم ، كالصم الذين لا يسمعون الكلام والانذار ، فلا يتعظون ولا ينزجرون

[ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك] اي ولئن اصابهم شيء خفيف ، مما انذروا به من عذاب الله ، ولو كان يسيرا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ليقولن يا ويلنا إنا كنا ظالمين] اي ليعترفن بجريمتهم ويقولون : يا هلاكنا لقد كنا ظالمين لانفسنا ، بتكذيبنا رسل الله

[ونضع الموازين القسط ليوم القيامة] اي ونقيم الموازين العادلة التي توزن بها الاعمال في يوم القيامة

[فلا تظلم نفس شيئا] اي فلا ينقص محسن من احسانه ، ولا يزاد مسيء على اساءته

[وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها] اي وان كان العمل زنة حبة من خردل ، جئنا بها واحضرناها ، قال ابو السعود : اي وان كان في غاية القلة والحقارة ، فإن حبة الخردل ، مثَل في الصغر

[وكفى بنا حاسبين] اي كفى بربك ان يكون محصيا لاعمال العباد ، مجازيا لهم عليها والغرض منه التحذير ، فإن المحاسب اذا كان في العلم بحيث لا يمكن ان يشتبه عليه شي ، وفي القدرة بحيث لا يعجز عن شيء ، فحقيق بالعاقل ان يكون على اشد الخوف منه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء وذكرا للمتقين] اي ولقد اعطينا موسى وهارون (التوراة) الفارقة بين الحق والباطل ، والهدى والضلال ، نورا وضياء وتذكيرا للمؤمنين المتقين

[الذين يخشون ربهم بالغيب] اي هم الذين يخافون الله ولم يروه ، لأنهم عرفوا بالنظر والاستدلال ، ان لهم ربا عظيما قادرا يجازي على الاعمال ، فهم يخشونه وان لم يروه

[وهم من الساعة مشفقون] اي وهم من اهوال القيامة وشدائدها ، خائفون وجلون

[وهذا ذكر مبارك أنزلناه] اي وهذا القرآن العظيم ، كتاب عظيم الشأن ، فيه ذكر لمن تذكر ، وعظة لمن اتعظ ، كثير الخير ، انزلناه عليكم بلغتكم

[أفأنتم له منكرون] اي أفانتم يا معشر العرب منكرون له ؟ وهو في غاية الجلاء والظهور ؟ قال الكرخي : الاستفهام للتوبيخ ، والخطاب لأهل مكة فإنهم من اهل اللسان ، يدركون مزايا الكلام ولطائفه ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ويفهمون من بلاغة القرآن ، ما لا يدركه غيرهم ، مع ان فيه شرفهم وصيتَهم ، فلو انكره غيرهم لكان الواجب عليهم ، مناصبتَه وعداءه

البلاغة :

تضمنت الآيات الكريمة من وجوه البيان والبديع ما يلي :

1 - جناس الاشتقاق [أرسلنا . . رسول] .

---

2 - الاستفهام الذى معناه التعجب والانكار [أولم ير الذين كفروا] ؟

3 - الطباق بين الرتق والفتق في قوله : [كانتا رتقا ففتقناهما] .

4 - التنكير للتعميم والشمول [وجعلنا من الماء كل شيء حي] [وما جعلنا لبشر] اى لأي انسان كائنا من كان

5 - الالتفات من المتكلم الى الغائب [وهو الذي خلق الليل والنهار] بعد قوله : [وجعلنا من الماء] وذلك

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لتأكيد الاعتناء بالنعم الجليلة ، التي انعم الله تعالى بها على العباد .

6 - الطباق بين الشر والخير [ونبلوكم بالشر والخير] .

7 - المبالغة [خلق الانسان من عجل] جعل لفرط استعجاله ، كأنه مخلوق من نفس العجل ، كقول العرب لمن لازم اللعب : هو لعب ، وكوصف بعضهم قوما بقوله (نساؤهم لعب ورجالهم طرب)

8 - الاستعارة [ولا يسمع الصم الدعاء] استعار الصم للكفار ، لانهم كالبهائم التي لا تسمع الدعاء ، ولا تفقه النداء ، ففيه استعارة لطيفة .

9 - الكناية [حبة هن خرول] كناية عن العمل القليل ، اي ولو كان هذا العمل في غاية القلة والحقارة .

10 - السجع اللطيف [يهتدون ، يسبحون ، ينصرون] الخ .

تنبيه :

سئل ابن عباس : هل الليل كان اولا او النهار ؟ فقال :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أرايتم الى السموات والارض ، حين كانتا رتقا ؟ هل كان بينهما الا ظلمة ؟ ذلك لتعلموا ان الليل قبل النهار .

لطيفة :

عن ابن عمر ان رجلا اتاه يسأله عن (السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما) فقال له : اذهب الى ذلك الشيخ فاسأله ، ثم تعال فأخبرني بما قال لك - يريد ابن عباس - فذهب اليه فسأله فقال ابن عباس : كانت السموات رتقا لا تمطر ، وكانت الارض رتقا لا تنبت ، فلما خلق اللهُ للارض اهلا ، فتق هذه بالمطر ، وفتق هذه بالنبات فرجع الرجل الى ابن عمر فاخبره ، فقال ابن عمر : قد كنت اقول : ما يعجبني جراءة ابن عباس في تفسير القرآن ، فالآن علمت بأنه قد اوتي في القرآن علما .

قال الله تعالى : [ولقد آتينا آل إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين . .] الى قوله [وكنا لهم حافظين] . من آية (51) الى نهاية آية (82) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المناسبة :

لما ذكر تعالى الدلائل على التوحيد والنبوة والمعاد ، اتبع ذلك بذكر قصص الانبياء ، وما نال كثيرا منهم من الابتلاء ، تسلية للرسول الاعظم ، ليتأسى بهم في الصبر ، واحتمال الاذى في سبيل الله تعالى ، وتوطين النفس على مجابهة المشركين اعداء الله

اللغة :

[رشده] هداه الى وجوه الصلاح

[التماثيل] جمع تمثال وهو الصورة المصنوعة مشبهة بمخلوق من مخلوقات الله تعالى ، يقال : مثلت الشيء بالشيء اي شبهته به ، واسم ذلك الممثًّل تمثال

[جذاذا] فتاتا والجذ : الكسر والقطع ، قال الشاعر :

بنو المهلب جذ الله دابرهم امسوا رمادا فلا اصل ولا طرف

[نكسوا] النكس : قلب الشيء بحيث يصير اعلاه اسفل

[نافلة] زيادة ومنه النفل لانه زيادة على ما فرض الله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

، ويقال لولد الولد (نافلة) لانه زيادة على الولد
[الكرب] الغم الشديد
[نفشت] النفش : الرعي بالليل بلا راع ، يقال :
نفشت بالليل ، وهملت بالنهار : اذا رعت بلا راع .
التفسير :
[ولقد آتينا إبراهيم رشده] اي والله لقد اعطينا ابراهيم هداه وصلاحه الى وجوه الخير في الدين والدنيا
[من قبل] اي من صغره ، حيث وفقناه للنظر والاستدلال ، الى وحدانية ذي الجلال
[وكنا به عالمين] اي عالمين انه اهل ، لما اتيناه من الفضل والنبوة
[إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون] اي حين قال لابيه آزر وقومه المشركين : ما هذه الاصنام التي انتم مقيمون على عبادتها ؟ وفي قوله : [ما هذه التماثيل] تحقير لها ، وتصغير لشأنها وتجاهل بها مع علمه بتعظيمهم لها

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين] اي نعبدها تقليدا لأسلافنا ، قال ابن كثير : لم يكن لهم حجة سوى صنيع آبائهم الضلال

[قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين] اي لقد كنتم واسلافكم ، الذين عبدوا هذه الاصنام ، في خطأ بين بعبادتكم إياها ، اذ هي جمادات ، لا تنفع ولا تضر ولا تسمع

[قالوا أجئتنا بالحق ام انت من اللاعبين] اي هل انت جاد فيما تقول يا ابراهيم ام لاعب ؟ وهل قولك حق ام مزاح ؟ استعظموا انكاره عليهم ، واستبعدوا ان يكون ما هم عليه ضلالا ، وجوزوا ان ما قاله على سبيل المزاح لا الجد فأضرب عن قولهم ، واخبر انه جاد فيما قال غير لاعب

[قال بل ربكم رب السموات والأرض الذي فطرهن] اي ربكم الجدير بالعبادة ، هو رب السموات والارض ، الذي خلقهن وابدعهن ، لا هذه الاصنام المزعومة

[وأنا على ذلكم من الشاهدين] اي وانا شاهد لله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بالوحدانية ، بالبراهين القاطعة والحجج الساطعة كالشاهد الذي تقطع به الدعاوى

[وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين] اي واقسم بالله لأمكرن بآلهتكم ، وأحتالن في وصول الضر اليها ، بعد ذهابكم عنها الى عيدكم ، قال المفسرون : كان لهم عيد يخرجون اليه في كل سنة ويجتمعون فيه ، فقال آزر لإبراهيم : لو خرجت معنا الى عيدنا أعجبك ديننا فخرج معهم ابراهيم ، فلما كان ببعض الطريق ، القى نفسه الى الارض ، وقال اني سقيم اشتكي رجلي ، فتركوه ومضوا ، ثم نادى في آخرهم [وتالله لأكيدن اصنامكم] فسمعها رجل فحفظها

[فجعلهم جذاذا] اي كسر الاصنام ، حتى جعلها فتاتا وحطاما

[إلا كبيرا لهم] اي إلا الصنم الكبير فإنه لم يكسره ، قال مجاهد : ترك الصنم الأكبر ، وعلق الفأس الذي كسر به الاصنام في عنقه ، ليحتج به عليهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[لعلهم إليه يرجعون] اي لعلهم يرجعون الى الصنم فيسألونه عمن كسر الاصنام ؟ فيتبين لهم عجزه ، وتقوم الحجة عليهم

[قالوا من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين] في الكلام محذوف تقديره : فلما رجعوا من عيدهم ونظروا الى آلهتهم ، ورأوا ما فعل بها ، قالوا على جهة الانكار والتشنيع والتوبيخ : ان من حطم هذه الآلهة ، لشديد الظلم عظيم الجرم ، لجراءته على الآلهه المستحقة للتعظيم والتوقير

[قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم] اي قال من سمع ابراهيم يقول : [وتالله لأكيدن أصنامكم] سمعنا فتى يذكرهم بالذم ويسبهم ويعيبهم ، يسمى " إبراهيم " فلعله هو الذي حطم الآلهة

[قالوا فأتوا به على أعين الناس] اي قال نمرود واشراف قومه : احضروا ابراهيم بمرأى من الناس حتى يروه ، والغرض ان تكون محاكمته على رءوس الاشهاد بحضرة الناس كلهم ، ليكون عقابه عبرة لمن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يعتبر

[لعلهم يشهدون] اي لعلهم يحضرون عقابه ، ويرون ما يصنع به

[قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم] اي هل انت الذي حطمت هذه الآلهة يا ابراهيم

[قال بل فعله كبيرهم هذا] اي قال ابراهيم : بل حطمها الصنم الكبير ، لانه غضب ان تعبدوا معه هذه الصغار فكسرها والغرض تبكيتهم لاقامة الحجة عليهم ، ولهذا قال :

[فاسألوهم إن كانوا ينطقون] اى اسألوا هذه الاصنام من كسرها ؟ ان كانوا يقدرون على النطق ، قال القرطبي : والكلام خرج مخرج التعريض ، وذلك انهم كانوا يعبدونهم ويتخذونهم آلهة من دون الله ، كما قال ابراهيم لأبيه : [لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئا] فقال إبراهيم : [بل فعله كبيرهم هذا] ليقولوا : انهم لا ينطقون ولا ينفعون ولا يضرون ، فيقول لهم : فلم تعبدونهم اذا ؟ فتقوم عليهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الحجة منهم كما يجوز فرض الباطل مع الخصم حتى يرجع الى الحق من نفسه ، فإنه اقرب في الحجة ، واقطع للشبهة

[فرجعوا إلى أنفسهم] أى رجعوا الى عقولهم ، وتفكروا بقلوبهم

[فقالوا إنكم أنتم الظالمون] اي انتم الظالمون في عبادة ما لا ينطق

[ثم نكسوا على رءوسهم] اى انقلبوا من الاذعان الى المكابرة والطغيان

[لقد علمت ما هؤلاء ينطقون] اي قالوا في لجاجهم وعنادهم : لقد علمت يا ابراهيم ان هذه الاصنام لا تتكلم ولا تجيب ، فكيف تأمرنا بسؤالها ؟ وهذا اقرار منهم بعجز الآلهة ، وحينئذ توجهت لابراهيم الحجة عليهم ، فأخذ يوبخهم ولعنفهم

[قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم] اي أتعبدون جمادات ، لا تضر ولا تنفع ؟

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[أف لكم ولما تعبدون من دون الله] اى قبحا لكم وللاصنام التى عبدتموها من دون الله

[أفلا تعقلون] ؟ اي أفلا تعقلون قبح صنيعكم ؟

[قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم] لما لزمتهم الحجة ، وعجزوا عن الجواب ، عدلوا الى البطش والتنكيل ، فقالوا : احرقوا ابراهيم بالنار ، انتقاما لآلهتكم ونصرة لها

[إن كنتم فاعلين] اي ان كنتم ناصريها حقا

[قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم] اي ذات برد وسلامة ، وجاءت العبارة هكذا للمبالغة ، قال المفسرون : لما ارادوا احراق ابراهيم ، جمعوا له حطبا مدة شهر ، حتى كانت المرأة تمرض ، فتنذر ان عوفيت ان تحمل حطبا لحرق ابراهيم ، ثم جعلوه في حفرة من الارض ، واضرموها نارا ، فكان لها لهب عظيم ، حتى ان الطائر ليمر من فوقها فيحترق ، من شدة وهجها وحرها ، ثم اوثقوا ابراهيم وجعلوه في منجنيق ، ورموه فى النار ، فجاء اليه جبريل فقال :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ألك حاجة ؟ قال : أما اليك فلا ، فقال جبريل : فأسال ربك ، فقال : " حسبي من سؤالي علمه بحالي " فقال الله : يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم ، ولم تحرق النار منه سوى وثاقه ، قال ابن عباس : لو لم يقل الله [وسلاما] لآذى ابراهيم بردها

[وأرادوا به كيدا] اى ارادوا تحريقه بالنار

[فجعلناهم الأخسرين] اي اخسر الخلق ، واخسر من كل خاسر ، حيث كادوا لنبي الله (ابراهيم) فرد الله كيدهم في نحورهم

[ونجيناه ولوطا إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين] اي ونجينا ابراهيم مع ابن اخيه (لوط) ، حيث هاجرا من العراق الى الشام ، التي بارك الله فيها بالخصب وكثرة الانبياء ، ووفرة الانهار والاشجار ، قال ابن الجوزي : وبركتها ان الله عز وجل ، بعث أكثر الانبياء منها ، وأكثر فيها الخصب والانهار

[ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة] اي اعطينا ابراهيم - بعدما سأل ربه الولد - (إسحاق) واعطيناه كذلك

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(يعقوب) نافلة اي زيادة وفضلا من غير سؤال ، قال المفسرون : سأل ابراهيم ربه ولدا فاعطاه الله اسحاق وزاده (يعقوب) نافلة زيادة على ما سأل ، لأن ولد الولد كالولد

[وكلا جعلنا صالحين] اى وكلا من (ابراهيم ، واسحاق ، ويعقوب) جعلناه من اهل الخير والصلاح

[وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا] اي جعلناهم قدوة ورؤساء لغيرهم يرشدون الناس الى الدين الحق ، بأمر الله

[وأوحينا اليهم فعل الخيرات] أى اوحينا اليهم ان يفعلوا الخيرات ، ليجمعوا بين العلم والعمل

[وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة] اي وأمرناهم بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وانما خصهما بالذكر ، لأن الصلاة افضل العبادات البدنية ، والزكاة افضل العبادات المالية

[وكانوا لنا عابدين] اى موحدين مخلصين في العبادة

[ولوطا آتيناه حكما وعلما] اى واعطينا (لوطا) النبوة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والعلم ، والفهم السديد ، قال ابن كثير : كان لوط قد آمن بإبراهيم عليه السلام ، واتبعه وهاجر معه ، كما قال تعالى [فآمن له لوط وقال إني مهاجر إلى ربى] فآتاه الله حكما وعلما ، واوحى اليه ، وجعله نبيا وبعثه الى " سدوم " فكذبوه فأهلكهم الله ودمر عليهم ، كما قص خبرهم في غير موضع من كتابه العزيز

[ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث] اى خلصناه من اهل (قرية سدوم) الاشرار الفجار ، الذين كانوا يعملون الاعمال الخبيثة ، كاللواطة وقطع السبيل ، وغير ذلك

[إنهم كانوا قوم سوء فاسقين] اي كانوا اشرارا خارجين عن طاعة الله

[وأدخلناه في رحمتنا إنه من الصالحين] اى ادخلناه في اهل رحمتنا المؤمنين ، لانه من عبادنا الصالحين

[ونوحا إذ نادى من قبل] اي واذكر قصة (نوح) حين دعا على قومه ، من قبل هؤلاء الانبياء

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المذكورين ، دعا عليهم بالهلاك حين كذبوه بقوله :
[رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا]
[فاستجبنا له فنجيناه وأهله من الكرب العظيم] اي استجبنا دعاءه ، فأنقذناه ومن معه من المؤمنين - ركاب السفينة - من الطوفان والغرق ، الذي كان كربا وغما شديدا يكاد يأخذ بالأنفاس
[ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا] اي منعناه من شر قومه المكذبين ، فنجيناه واهلكناهم
[إنهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم أجمعين] اي كانوا منهمكين في الشر والفجور ، فاغرقناهم جميعا ، ولم نبق منهم احدا
[وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث] اى واذكر قصة (داود وسليمان) حين يحكمان في شأن الزرع
[إذ نفشت فيه غنم القوم] اى وقت ان رعت فيه غنم القوم ليلا فأفسدته
[وكنا لحكمهم شاهدين] اي كنا مطلعين على حكم كلِ منهما عالمين به

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ففهمناها سليمان] اي علمنا وألهمنا سليمان الحكم في القضية

[وكلا آتينا حكما وعلما] اى وكلا من داود وسليمان ، اعطيناه الحكمة ، والعلم الواسع مع (النبوة) ، قال المفسرون : تخاصم الى داود رجلان ، دخلت غنم احدهما على زرع الآخر بالليل ، فأفسدته فلم تبق منه شيئا ، فقضى بان يأخذ صاحب الزرع الغنم ، فخرج الرجلان على " سليمان " وهو بالباب ، فأخبراه بما حكم به ابوه ، فدخل عليه فتال : يا نبى الله لو حكمت بغير هذا كان ارفق للجميع قال : وما هو ؟ قال : يأخذ صاحب الغنم الارض ، فيصلحها ويبذرها حتى يعود زرعها كما كان ، ويأخذ صاحب الزرع الغنم ، وينتفع بألبانها وصوفها ونسلها ، فإذا خرج الزرع ردت الغنم الى صاحبها ، والارض الى ربها ، فقال له داود : وفقت يا بنى وقضى بينهما بذلك ، فذلك قوله تعالى : [ففهمناها سليمان]

[وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير] اي جعلنا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الجبال والطير تسبح مع داود إذا سبح ، قال ابن كثير : وذلك لطيب صوته بتلاوة الزبور ، فكان اذا ترنم بها ، تقف الطير في الهواء فتجاوبه ، وترد عليه الجبال تأويبا وانما قدم ذكر الجبال على الطير ، لأن تسخيرها وتسبيحها اعجب واغرب ، وادخل في الاعجاز ، لأنها جماد

[وكنا فاعلين] اي وكنا قادرين على فعل ذلك

[وعلمناه صنعة لبوس لكم] اي علمنا داود صنع الدروع ، بإلانة الحديد له ، قال قتادة : اول من صنع الدروع (داود) عليه السلام وكانت صفائح ، فهو اول من سردها وحلقها

[لتحصنكم من بأسكم] اي لتقيكم في القتال شر الاعداء

[فهل أنتم شاكرون] استفهام يراد به الامر ، اي اشكروا الله على ما انعم به عليكم ، ولما ذكر تعالى ما خص به نبيه (داود) عليه السلام ، ذكر ما خص به ابنه (سليمان) فقال سبحانه :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ولسليمان الريح عاصفة] اي وسخرنا لسليمان الريح عاصفة اي شديدة الهبوب

[تجرى بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها] اي تسير بمشيئته وارادته ، الى ارض (الشام) المباركة بكثرة الاشجار والانهار والثمار ، وكانت مسكنه ومقر ملكه

[وكنا بكل شيء عالمين] اي وكنا عالمين بجميع الامور والمصالح ، فما اعطيناه تلك المكانة ، الا لما نعلمه من الحكمة

[ومن الشياطين من يغوصون له] اي وسخرنا لسليمان بعض الشياطين ، يغوصون له في الماء ويدخلون اعماق البحار ، ليستخرجوا له الجواهر واللآلىء

[ويعملون عملا دون ذلك] اي ويعملون اعمالا اخرى سوى الغوص ، كبناء المدن ، والقصور الشاهقة والامور التى يعجز عنها البشر

[وكنا لهم حافظين] اي نحفظهم عن الزيغ عن أمره ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

او الخروج عن طاعته ، تعظيما له وتكريما .

البلاغة :

تضمنت الآيات من وجوه الفصاحة والبديع ما يلي :

1 - الاستعارة اللطيفة [ثم نكسوا على رءوسهم] شبه رجوعهم عن الحق الى الباطل ، بانقلاب الشخص حتى يصبح اسفله اعلاه ، بطريق (الاستعارة التمثيلية) .

2 - الطباق بين [ينفعكم] و[يضركم] .

3- المبالغة بالتعبير بلفظ المصدر [كونى بردا] اطلق المصدر واراد اسم الفاعل اي باردة او ذات برد .

4 - عطف الخاص على العام [فعل الخيرات واقام الصلاة وإيتاء الزكاة] لأن الصلاة والزكاة من فعل الخيرات ، وانما خصهما بالذكر تنبيها لعلو شأنهما وفضلهما .

5 - الاحتراس [وكلا آتينا حكما وعلما] دفعا لتوهم انتقاص مقام داود عليه السلام .

6 - المجاز المرسل [وأدخلناه في رحمتنا] اي في

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الجنة ، لأنها مكان تنزل الرحمة فالعلاقة المحلية .

7 - السجع غير المتكلف [العابدين ، الصابرين ، الصالحين] الخ .

تنبيه :

وصف تعالى الريح ههنا بقوله : [عاصفة] ووصفها فى مكان آخر بقوله : [رخاء] والعاصفة هي الشديدة ، والرخاء هي اللينة ، ولا تعارض بين الوصفين ، لأن الريح كانت لينة طيبة ، وكانت تسرع في جريها كالعاصف فجمعت الوصفين ، فتدبر اسرار القرآن .

قال الله تعالى : [وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر . .] الى قوله [وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون] من آية (83) الى نهاية السورة الكريمة .

المناسبة :

لما ذكر تعالى جملة من الانبياء (ابراهيم ، نوح ، لوط ، داود ، سليمان) وما نال كثيرا منهم من الابتلاء ، ذكر هنا قصة (ايوب) وابتلاء الله له بانواع المحن ، ثم اعقبها بذكر محنة (يونس) و(زكريا) و(عيسى)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وكل ذلك بقصد التسلية للرسول ، ليتأسى بهم في صبرهم وبلائهم

اللغة :

[ذا النون] النون : الحوت وذا النون لقب (يونس بن متى) لابتلاع الحوت له

[أحصنت] الاحصان : العفة يقال : رجل محصن ، وامرأة محصنة اي عفيفة

[رغبا ورهبا] الرغب : الرجاء ، والرهب : الخوف

[كفران] الكفر والكفران : الجحود ، واصله الستر ، لأن الكافر يستر نعمة الله ويجحدها

[حدب] الحدب : ما ارتفع من الارض مأخوذ من حدبة الظهر ، قال عنترة : فما رعشت يداي ولا ازدهانى تواترهم الى من الحداب

[ينسلون] يسرعون يقال : نسل الذئب نسلانا اي اسرع

[حصب] الحصب : ما توقد به النار كالحطب وغيره

[زفير] أنين وتنفس شديد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[حسيسها] الحسيس : الصوت والحس والحركة الذي يحس به من حركة الاجرام

[السجل] الصحيفة لأن بها يسجل المطلوب .

سبب النزول :

عن ابن عباس قال : لما نزل قوله تعالى : [إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم] شق ذلك على كفار قريش ، وقالوا : شتم آلهتنا ، وأتوا (ابن الزبعري) وأخبروه فقال : لو حضرته لرددت عليه ، قالوا : وما كنت تقول له ؟ قال : اقول له : هذا المسيح تعبده النصارى ، وهذا عزير تعبده اليهود ؟ أفهما من حصب جهنم ؟ فعجبت قريش من مقالته ، ورأوا أن محمدا قد خصم ، فأنزل الله [إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون] .

التفسير :

[وأيوب إذ نادى ربه] اي واذكر قصة نبي الله (ايوب) حين دعا ربه بتضرع وخشوع

[أني مسني الضر] اي نالني البلاء والكرب والشدة ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قال المفسرون : كان ايوب نبيا من الروم ، وكان له اولاد ومال كثير ، فأذهب الله ماله فصبر ، لم أهلك الاولاد فصبر ، ثم سلط البلاء والمرض على جسمه فصبر ، فمر عليه ملأ من قومه ، فقالوا : ما أصابه هذا الا بذنب عظيم فعند ذلك تضرع الى الله ، فكشف عنه ضره

[وأنت أرحم الراحمين] اي اكثرهم رحمة فارحمني ، ولم يصرح بالدعاء ، ولكنه وصف نفسه بالعجز والضعف ، ووصف ربه بغاية الرحمة ليرحمه ، فكان فيه من حسن التلطف ما ليس في التصريح بالطلب

[فاستجبنا له] اي اجبنا دعاءه وتضرعه

[فكشفنا ما به من ضر] اي أزلنا ما اصابه من ضر وبلاء

[وآتيناه أهله ومثلهم معهم] قال ابن مسعود : مات اولاده وهم سبعة من الذكور وسبعة من الإناث ، فلما عوفي أحيوا له ، وولدت له امرأته سبعة بنين وسبع

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بنات ((هذا الأثر عن ابن مسعود أن الله أحيا اولاده بعد موتهم فيه نظر ، لأنه - كما هو معلوم - لا يرجع أحد إلى الدنيا بعد انتقاله منها إلا ما كان من معجزة المسيح عليه السلام ، والصحيح أن الله عوضه من زوجته أولادا مثل من فقدهم)) . والمعنى : أعطيناه اهله في الدنيا ورزقناه من زوجته مثل ما كان له من الاولاد والاتباع

[رحمة من عندنا] اى من اجل رحمتنا إياه

[وذكرى للعابدين] اي وتذكرة لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر ، قال القرطبي : اي وتذكيرا للعباد لأنهم اذا ذكروا بلاء (ايوب) ومحنته وصبره ، وطنوا انفسهم على الصبر على شدائد الدنيا ، مثل ما فعل ايوب وهو افضل اهل زمانه ، يروى ان ايوب مكث في البلاء ثمان عشرة سنة فقالت له امرأته يوما : لو دعوت الله عز وجل فقال لها : كم لبثنا في الرخاء ؟ فقالت : ثمانين سنة فقال : اني استحيي من الله ان ادعوه وما مكثت في بلائي المدة التي مكثتها في

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

رخائي

[وإسماعيل وإدريس وذا الكفل] اي واذكر لقومك قصة اسماعيل بن ابراهيم ، وادريس بن شيث ، وذا الكفل

[كل من الصابرين] اي كل من هؤلاء الانبياء ، من اهل الاحسان والصبر ، جاهدوا في الله ، وصبروا على ما نالهم من الاذى

[وأدخلناهم في رحمتنا] اي ادخلناهم بصبرهم وصلاحهم الجنة ، دار الرحمة والنعيم

[إنهم من الصالحين] اي لأنهم من اهل الفضل والصلاح

[وذا النون] اي واذكر لقومك قصة (يونس بن متى) الذى ابتلعه الحوت ، والنون هو الحوت نسب اليه لأنه التقمه

[إذ ذهب مغاضبا] اي حين خرج من بلده مغاضبا لقومه ، اذ كان يدعوهم الى الإيمان فيكفرون ، حتى اصابه ضجر منهم فخرج عنهم ، ولذلك قال الله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تعالى : [ولا تكن كصاحب الحوت] ولا يصح ان نفهم انه خرج مغاضبا لربه ، قال ابو حيان : وقول من قال : مغاضبا لربه يجب طرحه ، إذ لا يناسب منصب النبوة وقال الرازي : لا يجوز صرف المغاضبة الى الله تعالى ، لان ذلك صفة من يجهل كون الله مالكا للامر والنهي ، والجاهل بالله لا يكون مؤمنا ؟ فضلا عن ان يكون نبيا ، ومغاضبته لقومه كانت غضبا لله ، وأنفة لدينه ، وبغضا للكفر واهله [فظن أن لن نقدر عليه] اي ظن يونس ان لن نضيق عليه بالعقوبة ، كقوله تعالى : [ومن قدر عليه رزقه] اى ضيق عليه فيه ، فهو من القَدر بمعنى التضييق لا من القدرة ، قال الامام الفخر : من ظن عجز الله فهو كافر ، ولا خلاف انه لا يجوز نسبة ذلك الى آحاد المؤمنين ، فكيف الى الانبياء عليهم السلام روي ان ابن عباس دخل على معاوية ، فقال له معاوية : لقد ضربتني امواج القرآن البارحة فغرقت فيها ، فلم اجد لي خلاصا الا بك ، فقال : وما هي ؟ قال : يظن نبى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الله (يونس) ان لن يقدر الله عليه ؟ فقال ابن عباس : هذا من القدر لا من القدرة ، اي ظن ان لن نؤاخذه ، ولن نضيق عليه

[فنادى في الظلمات] اي نادى ربه في ظلمة الليل ، وهو في بطن الحوت ، جمعت هنا (الظلمات) لانها ظلمة الليل ، وظلمة البحر ، وظلمة بطن الحوت

[أن لا إله إلا أنت] اي نادى ان لا معبود غيرك يا رب

[سبحانك إني كنت من الظالمين] اي تنزهت يا ربى عن النقص والظلم ، وقد كنت انا من الظالمين لنفسي ، وانا الآن هن التائبين النادمين ، فاكشف عني المحنة

وفي الحديث : (ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء إلا استجيب له)

[فاستجبنا له ونجيناه من الغم] اي استجبنا لتضرعه واستغاثته ، ونجيناه من الضيق والكرب الذي ناله حين التقمه الحوت

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وكذلك ننجي المؤمنين] اي كما نجينا (يونس) من تلك المحنة ، ننجي المؤمنين من الشدائد والاهوال اذا استغاثوا بنا

[وزكريا إذ نادى ربه رب لا تذرنى فردا] اي واذكر يا ايها الرسول خبر رسولنا (زكريا) حين دعا ربه دعاء مخلص منيب ، قائلا : رب لا تتركني وحيدا بلا ولد ولا وارث ، قال ابن عباس : كان سنه مائة وسن زوجته تسعا وتسعين

[وأنت خير الوارثين] اى وانت يا رب خير من يبقى ، بعد كل من يموت من الخلق ، قال الألوسي : وفيه مدح له تعالى بالبقاء ، واشارة الى فناء من سواه من الاحياء ، واستمطار لسحائب لطفه عز وجل

[فاستجبنا له] اي اجبنا دعاءه

[ووهبنا له يحيى] اي رزقناه ولدا اسمه (يحيى) على شيخوخته

[وأصلحنا له زوجه] اى جعلناها ولودا بعد ان كانت عاقرا ، وقال ابن عباس : كانت سيئة الخلق طويلة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

اللسان فأصلحها الله تعالى ، فجعلها حسنة الخلق

[إنهم كانوا يسارعون في الخيرات] اي انما استجبنا دعاء من ذكر من الانبياء ، لأنهم كانوا صالحين يجدون في طاعة الله ويتسابقون في فعل الطاعات وعمل الصالحات

[ويدعوننا رغبا ورهبا] اى طمعا ورجاء في رحمتنا ، وخوفا وفزعا من عذابنا

[وكانوا لنا خاشعين] اي كانوا متذللين خاضعين لله ، يخافونه في السر والعلن

[والتي أحصنت فرجها] اي واذكر (مريم) البتول ، التي اعفت نفسها عن الفاحشة وعن الحلال والحرام كقوله : [لم يمسسني بشر ولم أك بغيا] قال ابن كثير : ذكر تعالى قصة مريم وابنها عيسى ، مقرونة بقصة زكريا وابنه يحيى ، لان تلك مربوطة بهذه ، فإنها ايجاد ولد من شيخ كبير قد طعن في السن ، وامرأة عجوز لم تكن تلد في حال شبابها ، وهذه اعجب فإنها ايجاد ولد من انثى بلا ذكر ، ولذلك ذكر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تعالى قصة مريم بعدها

[فنفخنا فيها من روحنا] اي امرنا جبريل فنفخ في فتحة درعها - قميصها - فدخلت النفخة الى جوفها فحملت بعيسى ، واضاف الروح اليه تعالى على جهة التشريف

[وجعلناها وابنها آية للعالمين] اي وجعلنا مريم مع ولدها عيسى علامة واعجوبة للخلق ، تدل على قدرتنا الباهرة ليعتبر بها الناس

[إن هذه أمتكم أمة واحدة] اي دينكم وملتكم التي يجب ان تكونوا عليها ايها الناس ، ملة واحدة غير مختلفة وهي (ملة الاسلام) والانبياء كلهم جاءوا برسالة التوحيد ، قال ابن عباس : معناه دينكم دين واحد

[وأنا ربكم فاعبدون] اي وانا الهكم لا رب سواي ، فأفردوني بالعبادة

[وتقطعوا أمرهم بينهم] اي اختلفوا في الدين واصبحوا فيه شيعا واحزابا ، فمن موحد ، ومن يهودي ، ونصراني ، ومجوسى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[كل إلينا راجعون] اي رجوعهم الينا وحسابهم علينا ، قال الرازي : معنى الآية انهم جعلوا امر دينهم فيما بينهم قطعا ، كما تتوزع الجماعة الشيء ويقتسمونه ، تمثيلا لاختلافهم في الدين وصيرورتهم فرقا واحزابا شتى

[فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن] اي من يعمل شيئا من الطاعات ، واعمال البر والخير ، بشرط الايمان

[فلا كفران لسعيه] اي لا بطلان لثواب عمله ، ولا يضيع شيء من جزائه

[وإنا له كاتبون] اي نكتب عمله في صحيفته ، والمراد امر الملائكة بكتابة اعمال الخلق

[وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون] قال ابن عباس : اي ممتنع على اهل قرية أهلكناهم ، ان يرجعوا بعد الهلاك الى الدنيا مرة ثانية ، وفي رواية عنده [أنهم لا يرجعون] اي لا يتوبون ، قال ابن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كثير : والاول اظهر وقال في البحر : المعنى : اي ممتتع على اهل قرية ، قدرنا إهلاكهم لكفرهم ، رجوعهم في الدنيا الى الايمان الى ان تقوم الساعة ، فحينئذ يرجعون

[حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج] اي حتى اذا فتح سد يأجوج ومأجوج

[وهم من كل حدب ينسلون] اي وهم لكثرتهم من كل مرتفع من الارض ومن كل اكمة وناحية يسرعون النزول ، والمراد ان (يأجوج ومأجوج) لكثرتهم يخرجون من كل طريق للفساد في الارض

[واقترب الوعد الحق] اي اقترب وقت القيامة ، قال المفسرون : جعل الله خروج يأجوج ومأجوج علما على قرب الساعة ، قال ابن مسعود : الساعة من الناس بعد يأجوج ومأجوج كالحامل المتمم - اي التي اتمت شهورها التسعة - لا يدري اهلها متى تفجؤهم بولدها ، ليلا او نهارا

[فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا] الضمير

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

للقصة والشأن ، اي فاذا شأن الكافرين ان ابصارهم شاخصة من هول ذلك اليوم ، لا تكاد تطرف من الحيرة وشدة الفزع

[يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا] اي ويقولون يا ويلنا اي يا حسرتنا وهلاكنا قد كنا في الدنيا في غفلة تامة عن هذا المصير المشئوم واليوم الرهيب

[بل كنا ظالمين] اضربوا عن القول السابق ، واخبروا بالحقيقة المؤلمة ، والمعنى : لم نكن في غفلة حيث ذكرتنا الرسل ونبهتنا الآيات ، بل كنا ظالمين لأنفسنا بالتكذيب وعدم الايمان

[إنكم وما تعبدون من دون الله] اي انكم ايها المشركون وما تعبدونه من الاوثان والاصنام

[حصب جهنم] اي حطب جهنم ووقودها ، قال ابو حيان : الحصب ما يحصب به اي يرمى به في نار جهنم ، وقبل ان يرمى به لا يطلق عليه حصب الا مجازا

[أنتم لها واردون] اي انتم داخلوها مع الاصنام ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وانما جمع الله الكفار مع معبوداتهم في النار ، لزيادة غمهم وحسرتهم ، برؤيتهم الآلهة التي عبدوها معهم في عذاب الجحيم

[لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها] اي لو كانت هذه الاصنام التي عبدتموها (آلهة) ما دخلوا جهنم

[وكل فيها خالدون] اي العابدون والمعبدون ، كلهم في جهنم مخلدون

[لهم فيها زفير] اي لهؤلاء الكفرة في النار زفير ، وهو صوت النفس الذي يخرج من قلب المغموم ، وهو يشبه أنين المحزون والمكلوم

[وهم فيها لا يسمعون] اي لا يسمعون في جهنم شيئا ، لأنهم يحشرون صما كما قال تعالى : [ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما] قال القرطبي : وسماع الاشياء فيها روح وأنس ، فمنع الله الكفار ذلك في النار وقال ابن مسعود : إذا بقي من يخلد في نار جهنم ، جعلوا في توابيت من نار ، فيها مسامير من نار فلا يسمعون شيئا ، ولا يرى احد منهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

انه يعذب في النار غيره ، ثم تلا الآية

[إن الذين سبقت لهم منا الحسنى] اي سبقت لهم من الله السعادة

[أولئك عنها مبعدون] اي هم عن النار مبعدون ، لا يصلون حرها ولا يذوقون عذابها ، قال ابن عباس : اولئك اولياء الله ، يمرون على الصراط مرا اسرع من البرق ، ويبقى الكفار فيها جثيا

[لا يسمعون حسيسها] اي لا يسمعون حس النار ، ولا حركة لهبها وصوتَها

[وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون] اي وهم في الجنة دائمون ، لهم فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين

[لا يحزنهم الفزع الأكبر] اي لا تصيبهم اهوال يوم القيامة ، لانهم في مأمن منها

[وتتلقاهم الملائكة] اي تستقبلهم الملائكة على ابواب الجنة يهنئونهم قائلين :

[هذا يومكم الذي كنتم توعدون] اي هذا يوم الكرامة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والنعيم ، الذي وعدكم الله به ، فأبشروا بالهناء والسرور

[يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب] اي اذكر يوم نطوي السماء طيا مثل طي الصحيفة على ما كتب فيها ، قال ابن عباس : كطي الصحيفة على ما فيها ، فاللام بمعنى " على "

[كما بدأنا أول خلق نعيده] اي نحشرهم حفاة عراة غرلا ، على الصورة التي بدأنا خلقهم فيها ، وفي الحديث : " إنكم محشورون الى الله حفاة عراة غرلا [كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين] ألا وإن اول الخلائق يكسى يوم القيامة (ابراهيم) عليه السلام . . " الحديث

[وعدا علينا] اي وعدا مؤكدا لا يخلف ولا يبدل ، لازم علينا انجازه والوفاء به

[إنا كنا فاعلين] اي قادرين على ما نشاؤه ، وهو تأكيد لوقوع البعث

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ولقد كتبنا في الزبور] اي سجلنا وسطرنا في الزبور المنزل على داود

[من بعد الذكر] اي من بعد ما سطرنا في اللوح المحفوظ أزلا

[أن الأرض يرثها عبادي الصالحون] اي ان الجنة يرثها المؤمنون الصالحون ، قال ابن كثير : اخبر سبحانه في التوراة والزبور وسابق علمه ، قبل ان تكون السموات والارض ان يورث امة محمد (ص) الارض ، ويدخلهم الجنة وهم الصالحون ، وقال القرطبي : احسن ما قيل فيها انه يراد بها ارض الجنة ، لان الارض في الدنيا قد ورثها الصالحون وغيرهم ، وهو قول ابن عباس ومجاهد ، ويدل عليه قوله تعالى : [وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض] واكثر المفسرين على ان المراد بالعباد الصالحين امة محمد (ص) ، وقال مجاهد : (الزبور) الكتب المنزلة ، و(الذكر) أم الكتاب عند الله ((اختار هذا القول ابن جرير الطبري ، والأظهر أنه الزبور

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الذي نزل على داود عليه السلام لقوله تعالى : {وأتينا داود زبورا}))

[إن في هذا لبلاغا لقوم عابدين] اي ان في هذا المذكور في هذه السورة ، من الاخبار والوعد والوعيد ، والمواعظ البالغة ، لكفاية لقوم خاضعين متذللين لله جل وعلا ، المؤثرين لطاعة الله على طاعة الشيطان

[وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين] اى وما أرسلناك يا محمد الا رحمة للخلق أجمعين ، وفي الحديث : " إنما أنا رحمة مهداة فمن قبل هذه الرحمة ، وشكر هذه النعمة ، سعد في الدنيا والآخرة ((لم يقل الله تعالى : رحمة للمؤمنين وإنما قال : {رحمة للعالمين } فإن الله سبحانه وتعالى رحم الخلق بإرسال سيد المرسلين (ص) لأنه جاءهم بالسعادة الكبرى ، والنجاة من الشقاوة العظمى ، ونالوا على يديه الخيرات الكثيرة في الاخرة والأولى ، وعلمهم بعد الجهالة ، وهداهم بعد الضلالة فكان رحمة للعالمين ، حتى الكفار رحموا به حيث أخر الله عقوبتهم ، ولم يستأصلهم بالعذاب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كالمسخ والخسف والغرق !!

[قل إنما يوحى الى أنما إلهكم إله واحد] اى قل يا محمد لهؤلاء المشركين : انما اوحى الى ربي ، ان إلهكم المستحق للعبادة إله واحد ، أحد فرد صمد

[فهل أنتم مسلمون] استفهام ومعناه الامر اي فاسلموا له وانقادوا لحكمه وأمره

[فإن تولوا] اى فإن اعرضوا عن الإسلام

[فقل آذنتكم على سواء] اى فقل لهم : لقد أعلمتكم بالحق على استواء في الاعلام ، لم اخص أحدا دون أحد

[وإن أدري أقريب أم بعيد ما توعدون] اى وما ادري متى يكون ذلك العذاب ؟ ولا متى يكون أجل الساعة ؟ فهو واقع لا محالة ، ولكن لا علم لي بقربه ولا ببعده

[إنه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون] اى الله هو العالم ، الذى لا يخفى عليه شيء ، يعلم الظواهر والضمائر ، ويعلم السر وأخفى وسيجازى كلا بعمله

[وإن أدري لعله فتنة لكم] اي وما ادري لعل هذا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الإمهال وتأخير عقوبتكم ، امتحان لكم لنرى كيف صنيعكم

[ومتاع الى حين] اي ولعل هذا التأخير لتستمتعوا الى زمنِ معين ، ثم يأتيكم عذاب الله الأليم

[قال رب احكم بالحق] اي احكم بيني وبين هؤلاء المكذبين ، وافصل بيننا بالحق

[وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون] اي استعين بالله على ما تصفونه من الكفر والتكذيب ختم السورة الكريمة بأمر النبي (ص) بتفويض الأمر اليه ، وتوقع الفرج من عنده ، فهو نعم الناصر ، ونعم المعين

البلاغة :

تضمنت الآيات الكريمة من وجوه البيان والبديع ما يلي :

1 - التعرض للرحمة بطريق التلطف [وأنت أرحم الراحمين] ولم يقل : ارحمني ، وفيه ادب التضرع

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والمفاجأة .

2 - جناس الاشتقاق [أرحم الراحمين] .

3 - الجناس الناقص بين [الصابرين] و[الصالحين] لاختلاف بعض الحروف .

4 - الطباق بين [رغبا . . ورهبا] وبين [بدأنا . . ونعيده] وبين [قريب أم بعيد] .

5 - اضافة الروح الى الله للتشريف [فنفخنا فيها من روحنا] اضاف الروح اليه تعالى على جهة التشريف كقوله : [ناقة الله] وبيت الله .

6 - الاستعارة التمثيلية [وتقطعوا أمرهم بينهم] مثل اختلافهم في الدين الى أهواء ، وتفرقهم فيه الى شيع واحزاب ، بالجماعة تتوزع الشيء ، لهذا نصيب ولهذا نصيب ، وهذا من لطيف الاستعارة .

7 - الايجاز بالحذف [يا ويلنا] اي ويقولون يا ويلنا ، ومثلُه قوله : [وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم] اي تقول لهم الملائكة : هذا يومكم الذى كنتم توعدون .

8 - التشبيه المرسل المفصل [نطوي السماء كطي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

السجل للكتب] اي طيا مثل طي الصحيفة على ما كتب فيها.

9 - الاستفهام الذي يراد به الأمر [فهل أنتم مسلمون] اي أسلموا .

10 - السجع اللطيف الشفيف مثل [فاعبدون ، راجعون ، كاتبون] الخ وهو من المحسنات البديعية .

سوره الحج

مدنية وآياتها ثمان وسبعون آية

بين يدي السورة

* سورة الحج مدنية وهي تتناول جوانب التشريع ، شأنها شأن سائر السور المدنية التي تعني بأمور التشريع ، ومع أن السورة مدنية إلا أنه يغلب عليها جو السور المكية ، فموضوع الإيمان ، والتوحيد ، والإنذار ، والتخويف ، وموضوع البعث والجزاء ، ومشاهد القيامة وأهوالها ، هو البارز في السورة الكريمة ، حتى ليكاد يخيل للقارىء ، أنها من السور

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المكية ، هذا إلى جانب الموضوعات التشريعية ، من الإذن بالقتال ، وأحكام الحج والهدي ، والأمر بالجهاد في سبيل الله ، وغير ذلك من المواضيع التي هي من خصائص السور المدنية ، حتى لقد عدها بعض العلماء ، من السور المشتركة بين المدني والمكي .

*ابتدأت السورة الكريمة بمطلع عنيف مخيف ، ترتجف له القلوبُ ، وتطيش لهوله العقول ، ذلكم هو الزلزال العنيف الذي يكون بين يدي الساعة ، ويزيد في الهول على خيال الإنسان ، لأنه لا يدك الدور والقصور فحسب ، بل يصل هوله إلي المرضعات الذاهلات عن أطفالهن ، والحوامل المسقطات حملهن ، والناس الذين يترنحون كأنهم سكارى من الخمر ، وما بهم شيء من السكر والشراب ، ولكنه الموقف المرهوب ، الذي تتزلزل له القلوب [يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم . .] الآيات.

*ومن أهوال الساعة إلى أدلة (البعث والنشور) تنتقل السورة لتقيم الأدلة والبراهين على البعث بعد الفناء ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ثم الإنتقال إلى دار الجزاء ، لينال الإنسان جزاءه إن خيرا فخير ، وإن شراً فشر .

* وتحدثت السورة عن بعض مشاهد القيامة ، حيث يكون الأبرار في دار النعيم والفجار في دار الجحيم .

* ثم إنتقلت للحديث عن الحكمة من الإذن بقتال الكفار ، وتناولت الحديث عن القرى المدمرة بسبب ظلمها وطغيانها ، وذلك لبيان سنة الله في الدعوات ، وتطمينا للمسلمين بالعاقبة التي تنتظر الصابرين . " وفي ختام السورة ضربت مثلا لعبادة المشركين للأصنام ، وبينت أن هذه المعبودات أعجز وأحقر من أن تخلق ذبابة ، فضلا عن أن تخلق إنسانا سميعاً بصيرا ، ودعت إلى اتباع ملة الخليل (إبراهيم) كهف الإيمان ، وركن التوحيد ، وهكذا بدأت السورة بعقيدة البعث ، وختمت بالتوحيد . التسميه : سميت " سورة الحج " تخليدا لدعوة الخليل إبراهيم عليه السلام ، حين إنتهى من بناء البيت العتيق ونادى الناس لحج بيت الله الحرام ، فتواضعت الجبال حتى بلغ الصوت أرجاء الأرض ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وإسمع نداؤه من في الأصلاب والأرحام ، وأجابوا النداء " لبيك اللهم لبيك " ! ! (تفسيرسورة الحج)

التفسير :

[يا أيها الناس اتقوا ربكم] خطاب لجميع البشر ، أي خافوا عذاب الله وأطيعوه بامتثال أوامره واجتناب نواهيه ، وجماعُ القول في التقوى : أنها امتثالُ أوامر الله ، واجتناب محارمه ، ولهذا قال بعض العلماء : التقوى أن لا يراك حيث نهاك ، وأن لا يفقدك حيث أمرك

[إن زلزلة الساعة شيء عظيم] تعليل للأمر بالتقوى ، أي إن الزلزال الذي يكون بين يدي الساعة ، أمر عظيم وخطب جسيم ، لا يكاد يُتَصور لهوله

[يوم ترونها] أي في ذلك اليوم العصيب ، الذي تشاهدون فيه تلك الزلزلة ، وترون هول مطلعها

[تذهل كل مرضعة عما أرضعت] أي تغفل وتذهل - مع شدة الفزع - كل أنثى مرضعة عن رضيعها ، إذ تنزع ثديها من فمه ، وتنشغل - لهول ما ترى - عن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أحب الناس إليها ، وهو طفلها الرضيع

[وترى الناس سكارى] أي تراهم كانهم سكارى يترنحون ترنح السكران ، من هول ما يدركهم من الخوف والفزع

[وما هم بسكارى] أي وما هم على الحقيقة بسكارى من الخمر

[ولكن عذاب الله شديد] أي ليسوا بسكارى ، ولكن أهوال الساعة وشدائدها ، أطارت عقولهم وسلبت أفكارهم ، فهم من خوف عذاب الله مشفقون

[ومن الناس من يجادل في الله بغير علم] أي وطائفة من الناس ، يخاصم وينازع في قدرة الله وصفاته بغير دليل ولا برهان ، ويقول ما لا خير فيه من الأباطيل ، نزلت في (النضر بن الحارث) كان مجادلا يقول : الملائكة بناتُ الله ، والقرآن أساطير الأولين ، ولا بعث بعد الموت ، والآية عامة له ولأضرابه من العُتاة المتمردين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ويتبع كل شيطان مريد] أي يطيع ويقتدي بكل عاتٍ متمرد ، كرؤساء الكفر الصادين عن الحق

[كُتب عليه أنه من تولاه] أي حكم الله وقضى أنه من تولى الشيطان واتخذه وليا

[فأنه يضله ويهديه الى عذاب السعير] أي فأن الشيطان يغويه ويسوقه إلى عذاب جهنم المستعرة ، وعبر بلفظ [ويهديه] على سبيل التهكم ، ولما ذكر تعالى المجادلين في قدرة الله ، المنكرين للبعث والنشور ، ذكر دليلين واضحين على إمكان البعث ، أحدهما : في الإنسان ، والثاني في النبات فقال سبحانه :

[يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب] أي إن شككتم في قدرتنا على إحيائكم بعد موتكم ، فأنظروا في أصل خلقكم ليزول ريبكم ، فقد خلقنا أصلكم (آدم) من الأرض ، والقادر على ذلك قادر على أن يخرجكم من قبوركم

[ثم من نطفة] أي ثم جعلنا نسله من المني ، الذي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ينطف من صلب الرجل ، قال القرطبي : والنطف : القطر سمي نطفة لقلته

[ثم من علقة] وهو الدم الجامد الذي يشبه العلقة ، التي تظهر حول الأحواض والمياه

[ثم من مضغة] أي من قطعة متجمدة مقدار ما يمضغ

[مخلقة وغير مخلقة] أي مستبينة الخلق مصورة وغير مصورة ، قال ابن زيد : المخلقة التي خلق الله فيها الرأس واليدين والرجلين ، وغير مخلقة التي لم يخلق فيها شيء

[لنبين لكم] أي خلقناكم على هذا النموذج البديع لنبين لكم أسرار قدرتنا وحكمتنا ، قال الزمخشري : أي لنبين لكم بهذا التدريج قدرتنا ، وأن من قدر على خلق البشر من تراب أولا ، ثم من نطفة ثانيا ، ولا تناسب بين التراب والماء ، وقدر على أن يجعل النطفة علقة ، وبينهما تباين ظاهر ، ثم يجعل العلقة مضغة ، والمضغة عظاما ، قادر على إعادة ما بدأه ، بل هذا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أدخل في القدرة ، وأهون في القياس

[ونقر في الأرحام ما نشاء] أي ونثبت من الحمل في أرحام الأمهات ، من أردنا أن نُقره فيها حتى يتكامل خلقه

[إلى أجل مسمى] أي إلى زمن معين هو وقت الوضع

[ثم نخرجكم طفلا] أي ثم نخرج هذا الجنين ، طفلا ضعيفا في بدنه وسمعه وبصره وحواسه ، ثم نعطيه القوة شيئأ فشيئا

[ثم لتبلغوا أشدكم] أي كمال قوتكم وعقلكم

[ومنكم من يتوفى] أي ومنكم من يموت في ريعان شبابه

[ومنكم من يرد الى أرذل العمر] أي ومنكم من يُعمر حتى يصل إلى الشيخوخة والهرم ، وضعف القوة والخرف

[لكيلا يعلم من بعد علم شيئا] أي ليعود إلى ما كان عليه في أوان الطفولة ، من ضعف البنية ، وسخافة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

العقل ، وقلة الفهم ، فينسى ما علمه وينكر ما عرفه ، ويعجز عما قدر عليه كما قال تعالى : [ومن نعمره ننكسه في الخلق]

[وترى الأرض هامدة] هذه هي الحجة الثانية على (إمكان البعث) أي وترى أيها المخاطب ، وأيها الإنسان العاقلُ ، الأرض يابسة ميتة لا نبات فيها

[فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت] أي فإذا أنزلنا عليها المطر ، تحركت بالنبات وأنتفخت وزادت وحييت بعد موتها

[وأنبتت من كل زوج بهيج] أي وأخرجت من كل صنف عجيب ، ما يسر الناظر ببهائه ورونقه

[ذلك بأن الله هو الحق] أي ذلك المذكور من خلق الإنسان والنبات لتعلموا أن الله هو الخالق المدبر ، وأن ما في الكون من آثار قدرته ، وشاهد بأن الله هو الحق

[وأنه يحي الموتى] أي وبأنه القادر على إحياء الموتى ، كما أحيا الأرض الميتة بالنبات

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وأنه على كل شيء قدير] أي ولأنه قادر على ما أراد

[وأن الساعة آتية لا ريب فيها] أي وليعلموا أن الساعة كائنة لا شك فيها ولا مرية

[وأن الله يبعث من في القبور] أي يحي الأموات ويعيدهم بعدما صاروا رمما ، ويبعثهم أحياء إلى موقف الحساب

[ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير] أي يجادل في شأنه تعالى من غير تمسك بعلم صحيح يهدي إلى المعرفة ، ولا كتاب نير بين الحجة ، بل بمجرد الرأي والهوى ، قال ابن عطية : كرر هذه على وجه التوبيخ ، فكأنه يقول : هذه الأمثال في غاية الوضوح والبيان ، ومن الناس مع ذلك من يجادل في الله بغير دليل ولا برهان

[ثاني عطفه] أى معرضا عن الحق لاويا عنقه كفرا ، قال ابن عباس : مستكبرا عن الحق إذا دُعي إليه ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قال الزمخشري : وثنيُ العطف عبارة عن الكبر والخيلاء ، فهو كتصعير الخد

[ليضل عن سبيل الله] أي ليصُد الناس عن دين الله وشرعه

[له في الدنيا خزي] أي له هوان وذل في الحياة الدنيا

[ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق] أي ونذيقه في الآخرة النار المحرقة

[ذلك بما قدمت يداك] أي ذلك الخزي والعذاب بسبب ما اقترفته من الكفر والضلال

[وأن الله ليس بظلام للعبيد] أي وأن الله عادل لا يظلم أحدا من خلقه

[ومن الناس من يعبد الله على حرف] أي ومن الناس من يعبد الله على جانب وطرف من الدين ، وهذا تمثيل للمذبذبين الذين لا يعبدون الله عن ثقة ويقين ، بل عن قلق واضطراب ، كالذي يكون على طرف من الجيش فان احس بظفر أو غنيمة استقر وإلا فر قال الحسن : هو المنافق يعبده بلسانه دون قلبه ، وقال ابن عباس :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كان الرجل يقدم المدينة ، فإن ولدت امرأته غلاما وأنتجت خيله قال : هذا دين صالح ، وأن لم تلد امرأته ولم تنتج خيله ، قال : هذا دين سوء

[فإن أصابه خير اطمأن به] أي فإن ناله خير في حياته من صحة ورخاء أقام على دينه

[وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه] أي وإن ناله شيء يفتتن به من مكروه وبلاء ، إرتد فرجع إلى ما كان عليه من الكفر

[خسر الدنيا والآخرة] أي أضاع دنياه وآخرته ، فشقي الشقاوة الأبدية

[ذلك هو الخسران المبين] أي ذلك هو الخسران الواضح الذي لا خسران مثله

[يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه] أي يعبد الصنم والوثنَ الذي لا ينفع ولا يضر

[ذلك هو الضلال البعيد] أي ذلك هو نهاية الضلال الذي لا ضلال بعده ، شبه حالهم بحال من أبعد في أرض التيه ، ضالا عن الطريق

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[يدعو لمن ضره أقرب من نفعه] أي يعبد وثنا أو صنما ضره في الدنيا بالخزي والذل أسرع من نفعه الذي يتوقعه بعبادته ، وهو الشفاعة له يوم القيامة ، وقيل : الآية على الفرض والتقدير : أي لو سلمنا نفعه أو ضره ، لكان ضره أكثر من نفعه ، والآية سيقت تسفيها وتجهيلا لمن يعتقد أنه ينتفع بعبادة غير الله ، حين يستشفع بها

[لبئس المولى ولبئس العشير] أي بئس الناصر ، وبئس القريب والصاحب

[إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار] لما ذكر حال المشركين وحال المنافقين المذبذبين ، ذكر حال المؤمنين في الآخرة ، والمعنى : إن الله يدخل المؤمنين الصادقين ، جنات تجري من تحت قصورها وغرفها أنهار اللبن والخمر والعسل ، وهم في روضات الجنات يحبرون

[إن الله يفعل ما يريد] أي يثيب من يشاء ويعذب من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يشاء ، لا معقب لحكمه ، فللمؤمنين الجنة بفضله ، وللكافرين النار بعدله

[من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة] أي من كان يظن أن لن ينصر الله رسوله (ص) في الدنيا والآخرة ((للمفسرين في معنى الآية قولان : الأول أن الضمير في " ينصره " للرسول (ص) والمعنى على هذا : من كان من الكفار يظن أن لن ينصر الله محمدا فليختنق بحبل فإن الله ناصره لابد ، وهذا ما رجحه ابن كثير ، والثاني ان الضمير يعود على الإنسان نفسه والمعنى : من ظن بسبب ضيق صدره وكثرة غمه أن لن ينصره الله فليختنق وليمت بغيظه ، وهذا ما رجحه صاحب التسهيل))
[فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع] أي فليمدد بحبل إلى السقف ، ثم ليقطع عنقه وليختنق به
[فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ] أي فلينظر هل يشفي ذلك ما يجد في صدره من الغيظ ؟ قال ابن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كثير : وهذا القول قول ابن عباس وهو أظهر في المعنى ، وأبلغ في التهكم ، فإن المعنى : من كان يظن أن الله ليس بناصر محمدا وكتابه ودينه ، فليذهب فليقتل نفسه ، إن كان ذلك غائظه فإن الله ناصره لا محالة

[وكذلك أنزلنا آيات بينات] أي ومثل ذلك الإنزال البديع المنطوي على الحكم البالغة ، أنزلنا القرآن الكريم كله آيات واضحات الدلالة على معانيها الرائقة

[وأن الله يهدي من يريد] أي وأن الله هو الهادي لا هادي سواه يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم

[إن الذين آمنوا] أي صدقوا الله ورسوله وهم أتباع محمد عليه السلام

[والذين هادوا] أي اليهود وهم المنتسبون إلى موسى عليه السلام

[والصابئين] هم قوم من أهل الكتاب عبدوا النجوم

[والنصارى] هم المنسوبون إلى ملة عيسى عليه السلام

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[والمجوس] هم عبدة النيران
[والذين أشركوا] هم العرب عبدة الأوثان
[إن الله يفصل بينهم يوم القيامة] أي يقضي بين المؤمنين وبين الفرق الخمسة الضالة ، فيدخل المؤمنين الجنة ، والكافرين النار
[إن الله على كل شيء شهيد] أي شاهد على أعمال خلقه ، عالم بكل ما يعملون
[ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض] أي يسجد لعظمته كل شيء ، طوعا وكرها ، الملائكة في أقطار السموات ، والإنس والجن وسائر المخلوقات في العالم الأرضي
[والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب] أي وهذه ا لأجرام العظمى ، مع سائر الجبال والأشجار والحيوانات ، تسجد لعظمته سجود انقياد وخضوع ، قال ابن كثير : وخَص الشمس والقمر والنجوم بالذكر لأنها قد عبدت من دون الله ، فبين أنها تسجد لخالقها ، وأنها مربوبة مسخرة . والغرض من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الآية : بيان عظمته تعالى وإنفراده بألوهيته وربوبيته بانقياد هذه العوالم العظمى له ، وجريها على وفق أمره وتدبيره

[وكثير من الناس] أي وسجد له كثير من الناس ، سجود طاعة وعبادة

[وكثير حق عليه العذاب] أي وكثير من الناس وجب له العذاب بكفره واستعصائه

[ومن يهن الله فما له من مكرم] أي من أهانه الله بالشقاء والكفر ، فلا يقدر أحد على دفع الهوان عنه

[إن الله يفعل ما يشاء] أي يعذب ويرحم ، ويعز ويذل ، ويُغني ويُفقِر ، ولا اعتراض لأحد عليه .

البلاغة :

تضمنت الآيات الكريمة وجوها من البيان والبديع نوجزها فيما يلي :

1 - التشبيه البليغ المؤكد [وترى الناس سكارى] أي كالسكارى من شدة الهول ، حذفت أداة التشبيه والشبه.

2 - الاستعارة [شيطان مريد] استعار لفظ الشيطان

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لكل طاغية متمرد على أمر الله تعالى .

3 - الطباق بين [يضله . . ويهديه] .

4 -أسلوب التهكم [ويهديه إلى عذاب السعير] لأن الهداية تكون لما فيه الخير ، لا إلى الشر ونار الجحيم .

5 - طباق السلب [مخلقة وغير مخلقة] .

6 - الاستعارة اللطيفة [فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت] شبه الأرض بنائم لا حركة له ، ثم يتحرك وينتعش وتدب فيه الحياة كالأرض تحيا بنزول المطر عليها ففيها استعارة تبعية .

---

7 - الكناية [ثاني عطفه] كناية عن التكبر والخيلاء .

8 - المجاز المرسل [بما قدمت يداك] هذا المجاز علاقته السببية لأن اليد هي التي تفعل الخير أو الشر .

9 - الاستعارة التمثيلية [من يعبد الله على حرف] مثل للمنافقين وما هم فيه من قلق واضطراب في دينهم ، بمن يقف على شفا الهاوية يريد العبادة والصلاة ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ويا له من تمثيل رائع .

10 - المقابلة البديعة بين [فإن أصابه خير اطمأن به . . وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه] .

11 - الطباق بين [يضره . . وينفعه] وبين [يهن . . فما له من مكرم] . 1

12 - السجع اللطيف بين كثير من الآيات ، مثل (شديد ، مريد ، شهيد) .

فائدة :

المُرضع التي شأنها أن ترضع ، والمرضعة هي التي في حال الإرضاع ملقمة ثديها لطفلها ، ولهذا قال : [تذهل كل مرضعة] ولم يقل : مرضع ليكون ذلك أعظم في الذهول إذ تنزع ثديها من فم الصبي - أحب الناس إليه - وذلك غاية في شدة الهول والفزع.

تنبيه :

روى ابن أبي حاتم أنه قيل لعلى : " إن ههنا رجلا يتكلم في المشيئة فاستدعاه فقال له ، يا عبد الله : خلقك كما يشاء أو كما تشاء ؟ قال : بل كما شاء ، قال :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فيمرضك إذا شاء أو إذا شئت ؟ قال : بل إذا شاء ، قال : فيشفيك إذا شاء أو إذا شئت ؟ قال : بل إذا شاء ، قال : فيدخلك حيث شئت أو حيث يشاء ؟ قال : بل حيث يشاء ، قال : والله لو قلت غير ذلك ، لضربت الذي بين عينيك بالسيف "

قال الله تعالى : [هذان خصمان اختصموا في ربهم . .] إلى قوله [لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين] . من آية (19) الى نهاية آية (37)

المناسبة :

لما ذكر تعالى أهل السعادة وأهل الشقاوة ، ذكر ما دار بينهم من الخصومة في دينه وعبادته ، ثم ذكر عظم حرمة البيت العتيق وبناء الخليل له ، وعظم كفر هؤلاء المشركين ، الذين يصدون الناس عن سبيل الله والمسجد الحرام ! !

اللغة :

[يصهر] الصهر : الإذابة صهرت الشيء فانصهر أي أذبته فذاب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[مقامع] المقامع : السياط جمع مقمعة سميت بذلك لأنها تقمع الفاجر

[العاكف] المقيم الملازم

[الباد] القادم من البادية

[بوأنا] أنزلنا وهيأنا وأرشدنا

[رجالا] جمع راجل وهو الماشي على قدميه

[ضامر] الضامر : البعير المهزول الذي أتعبه السفر

[تفثهم] التفث في

اللغة :

الوسخ والقذر قال الشاعر : حَفُّوا رءوسهم لم يحلقوا تَفَثًا ولم يسلوا لهم قملا وصئبانا قال الثعلبي : أصل التفث في اللغة الوسخ ، تقول العرب للرجل تستقذره : ما أتفثك ؟ أي ما أوسخك واقذرك

[المخبتين] المخبت : المتواضع الخاشع لله .

التفسير :

[هذان خصمان] أي هذان فريقان مختصمان فريق المؤمنين المتقين ، وفريق الكفرة المجرمين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[اختصموا في ربهم] أي اختلفوا وتنازعوا من أجل الله ودينه ، فالمؤمنون يريدون نصرة دين الله ، والكافرون يريدون إطفاء نور الله

[فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار] أي فُصلت لهم ثياب من نار ، على قدر أجسادهم ليلبسوها إذا صاروا إلى النار ، قال القرطبي : شبهت النار بالثياب لأنها لباس لهم كالثياب ومعنى [قطعت] خيطت وسويت ، وذكر بلفظ الماضي لأن الموعود منه كالواقع المحقق

[يصب من فوق رءوسم الحميم] أي يصب على رءوسهم الماء الحار ، المغلي بنار جهنم

[يصهربه ما في بطونهم والجلود] أي يذاب به ما في بطونهم من الأمعاء والأحشاء مع الجلود ، قال ابن عباس : لو سقطت منه قطرة على جبال الدنيا لأذابتها ، وفي الحديث : (إن الحميم ليُصب على رءوسهم فينفذ الجمجمة حتى يخلص إلى جوفه ، فيسلت ما في

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

جوفه ، حتى يمرق من قدميه وهو الصهر ، ثم يعاد كما كان) ، قال الإمام الفخر : والغرض أن الحميم إذا صُب على رءوسهم كان تأثيره في الباطن مثل تأثيره في الظاهر ، فيذيب أمعاءهم وأحشاءهم كما يذيب جلودهم وهو أبلغ من قوله : [وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم]

[ولهم مقامع من حديد] أي ولهم مطارق وسياط من الحديد يضربون بها ويدفعون وفي الحديث : (لو وضعت مقمعة منها في الأرض فاجتمع عليها الثقلان ما أقلوها) ، أي ما استطاعوا رفعها وحملها

[كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها] أي كلما أراد أهل النار الخروج من النار من شدة غمها ردوا إلى أماكنهم فيها قال الحسن : أن النار تضربهم بلهبها فترفعهم حتى إذا كانوا في أعلاها ضربوا بالمقامع فهووا فيها سبعين خريفا

[وذوقوا عذاب الحريق] أي يقال لهم : ذوقوا عذاب جهنم المحرق الذي كنتم به تكذبون ، ولما ذكر تعالى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ما أعد للكفار من العذاب والدمار ، ذكر ما أعده للمؤمنين من الثواب والنعيم فقال سبحانه :

[إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الأنهار] أي يدخل المؤمنين الصالحين في الآخرة جنات تجري من تحت أشجارها وقصورها الأنهار العظيمة المتنوعة

[يحلون فيها من أساور من ذهب] أي تلبسهم الملائكة في الجنة الأساور الذهبية كحلية وزينة يتزينون بها

[ولؤلؤا] أي ويُحلَون باللؤلؤ كذلك إكراماً من الله لهم

[ولباسهم فيها حرير] أى ولباسهم في الجنة الحرير ، ولكنه أعلى وأرفع مما في الدنيا بكثير

[وهدوا الى الطيب من القول] أي أرشدوا الى الكلام الطيب والقول النافع إذ ليس في الجنة لغو ولا كذب

[وهدوا الى صراط الحميد] أي إلى صراط الله وهو (الجنة) دار المتقين ، ثم عدد تعالى بعض جرائم المشركين فقال تعالى :

[إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الحرام] أي جحدوا بما جاء به محمد(ص) ، ويمنعون المؤمنين عن إتيان المسجد الحرام لآداء المناسك فيه ، قال القرطبي : وذلك حين صدوا رسول الله (ص) ، عن المسجد الحرام عام الحديبية ، وأنما قال :

[ويصدون] بصيغة المضارع ليدل على الاستمرار فكان المعنى : إن الذين كفروا من شأنهم الصد عن سبيل الله ، ونظيره قوله : [الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله]

[الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد] أي الذى جعلناه منسكا ومتعبدا للناس جميعا سواء فيه المقيم الحاضر ، والذى يأتيه من خارج البلاد

[ومن يرد فيه بإلحاد بظلم] أي ومن يرد فيه سوءا أو ميلا عن القصد ، أو يهم فيه بمعصية

[نذقه من عذاب أليم] أي نذقه أشد أنواع العذاب الموجع ، قال ابن مسعود : لو أن رجلا بِعدَنَ همَّ بأن يعمل سيئة عند البيت أذاقه الله عذابا أليما ، وقال مجاهد : تضاعف السيئات فيه كما تضاعف فيه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الحسنات

[واذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت] أي واذكر حين أرشدنا إبراهيم وألهمناه مكان البيت

[أن لا تشرك بي شيئا] أي أمرناه ببناء البيت العتيق خالصا لله تعالى قال ابن كثير : أي ابنه علي إسمي وحدي

[وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود] أى طهر بيتي من الأوثان والأقذار لمن يعبد الله فيه بالطواف والصلاة ، قال القرطبي : والقائمون هم المصلون ، ذكر تعالى من أركان الصلاة أعظمها وهو القيام والركوع والسجود

[وأذن في الناس بالحج] أى وناد في الناس داعيا لهم لحج بيت الله العتيق ، قال ابن عباس : لما فرغ إبراهيم من بناء البيت ، قيل له : أذن في الناس بالحج ، قال يا رب : وما يبلغ صوتي ؟ قال : أذن وعلي الإبلاغ فصعد إبراهيم على جبل (أبي قبيس) وصاح :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يا أيها الناس إن الله قد أمركم بحج هذا البيت ليثيبكم به الجنة ، ويجيركم من عذاب النارفحجوا ، فأجابه من كان في أصلاب الرجال ، وأرحام النساء : لبيك اللهم لبيك ، وهذا هو السر في شروعية التلبية

[يأتوك رجالا وعلى كل ضامر] أي يأتوك مشاة على أقدامهم أو ركبانا على كل جمل هزيل ، قد أتعبه وأنهكه بُعدُ المسافة

[يأتين من كل فج عميق] أى تأتي الإبل الضامرة من كل طريق بعيد ، قال القرطبي : ورد الضميرَ إلى الإبل [يأتين] تكرمة لها لقصدها الحج مع أربابها ، كما قال تعالى : [والعاديات ضبحا] في خيل الجهاد ، تكرمة لها حين سعت في سبيل الله

[ليشهدوا منافع لهم] أي ليحضروا منافع لهم كثيرة دينية ودنيوية ، قال الفخر الرازي : وإنما نكر المنافع لأنه أراد منافع مختصة بهذه العبادة ، دينية ودنيوية لا توجد في غيرها من العبادات

[ويذكروا إسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من بهيمة الأنعام] أي ويذكروا عند ذبح الهدايا والضحايا إسم الله في أيام النحر شكرا لله على نعمائه ، وعلى ما رزقهم وملكهم من الأنعام وهي : (الإبل والبقر والغنم والمعز) ، قال الرازي : وفيه تنبيه على أن الغرض الأصلي ذكر إسمه تعالى عند الذبح وأن يخالف المشركين في ذلك ، فإنهم كانوا يذبحونها للنصب والأوثان

[فكلوا منها] أي كلوا من لحوم الأضاحي

[وأطعموا البائس الفقير] أي أطعموا منها البائس الذي أصابه بؤس وشدة ، والفقير الذي أضعفه الإعسار ، قال ابن عباس : البائس الذي ظهر بؤسه في ثيابه وفي وجهه ، والفقير الذي لا يكون كذلك ، ثيابه نقية ، ووجهه وجه غني

[ثم ليقضوا تفثهم] أي ثم بعد الذبح ليزيلوا وسخهم الذى أصابهم بالإحرام ، وذلك بالحلق والتقصير لإزالة الشعَث وقص الشارب والأظافر

[وليوفوا نذورهم] أي ما أوجبوه على أنفسهم بالنذر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

طاعة لله

[وليطوفوا بالبيت العتيق] أي ليطوفوا حول البيت العتيق طواف الإفاضة ، وهو (طواف الزيارة) الذي به تمام التحلل ، و(العتيق) : القديم سمي به لأنه أول بيت وضع للناس

[ذلك] أي الأمر والشأن ذلك ، قال الزمخشري : كما يُقدم الكاتب جملة من كتابه في بعض المعاني ثم إذا أراد الخوض في معنى آخر قال : هذا وقد كان كذا

[ومن يعظم حرمات الله] أي من يعظم ما شرعه الله من أحكام الدين ، ويجتنب المعاصي والمحارم

[فهو خير له عند ربه] أي ذلك التعظيم خير له ثوابا في الآخرة

[وأحلت لكم الأنعام إلا ما يتلى عليكم] أي أحللنا لكم جميع الأنعام إلا ما استثني في الكتاب المجيد كالميتة والمنخنقة ، وما ذبح لغير الله ، وغير ذلك

[فاجتنبوا الرجس من الأوثان] أي اجتنبوا الرجس الذي هو الأوثان ، كما تُجتَنب الأنجاس ، وهو غاية

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المبالغة في النهي عن عبادتها وتعظيمها

[واجتنبوا قول الزور] أي واجتنبوا شهادة الزور

[حنفاء لله غير مشركين به] أي مائلين إلى الحق ، مسلمين لله غير مشركين به أحدا

[ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير] هذا تمثيل للمشرك في ضلاله وهلاكه ، أي ومن أشرك بالله فكأنما سقط من السماء ، فتخطفه الطير وتمزقه كل ممزق

[أو تهوي به الريح في مكان سحيق] أي أو كمن عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المهالك البعيدة

[ذلك ومن يعظم شعائر الله] أي ذلك ما وضحه الله لكم من الأحكام والأمثال ، ومن يعظم أمور الدين ، ومنها أعمالُ الحج والأضاحي والهدايا

[فإنها من تقوى القلوب] أي فإن تعظيمها من أفعال المتقين لله ، قال القرطبي : أضاف التقوى إلى القلوب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

، لأن حقيقة التقوى في القلب ، وفي الحديث : " التقوى ههنا " وأشار إلى صدره

[لكم فيها منافع إلى أجل مسمى] أي لكم في الهدايا منافع كثيرة من الدر والنسل والركوب إلى وقت نحرها

[ثم محلها الى البيت العتيق] أي ثم مكان ذبحها في الحرم ، بمكة أو منى ، وخص البيت بالذكر لأنه أشرف الحرم كقوله تعالى : [هديا بالغ الكعبة]

[ولكل أمة جعلنا منسكا] أي شرعنا لكل أُمة من الأمم السابقة ، من عهد إبراهيم مكانا للذبح تقربا لله ، قال ابن كثير : يخبر تعالى أنه لم يزل ذبح المناسك ، وإراقة الدماء على إسم الله ، مشروعا في جميع الملل

[ليذكروا إسم الله] أي أمرناهم عند الذبح أن يذكروا إسم الله ، وأن يذبحوا لوجهه تعالى

[على ما رزقهم من بهيمة الأنعام] أي شكرا لله على ما أنعم به عليهم من بهيمة الأنعام ، من (الإبل والبقر والغنم) . . بين تعالى أنه يجب أن يكون الذبح لوجهه تعالى وعلى إسمه لأنه هو الخالق الرازق لا كما كان

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المشركون يذبحون للأوثان

[فإلهكم إله واحد] أي فربكم أيها الناس ومعبودكم المستحن للعبادة ، إله واحد لا شريك له

[فله أسلموا] أي فأخلصوا له العبادة واستسلموا لحكمه وطاعته

[وبشر المخبتين] أي بشر المطيعين المتواضعين الخاشعين ، بشرهم بجنات النعيم ، ثم وصف تعالى المخبتين بأربع صفات فقال سبحانه :

[الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم] أي إذا ذكر الله خافت وإرتعشت لذكره قلوبهم ، لإشراق أشعة جلاله عليها فكأنهم بين يديه واقفون ، ولجلاله وعظمته مشاهدون

[والصابرين على ما أصابهم] أي يصبرون في الضراء ، على الأمراض والمصائب والمحن ، وسائر المكاره

[والمقيمي الصلاة] أي الذين يؤدونها في أوقاتها مستقيمةً كاملة مع الخشوع والخضوع

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ومما رزقناهم ينفقون] أي ومن بعض الذي رزقناهم من فضلنا ينفقون في وجوه الخيرات

[والبدن جعلناها لكم من شعائر الله] أي الإبل السمينة - سميت بدنا لبدانتها وضخامة أجسامها - جعلناها من أعلام الشريعة التي شرعها الله لعباده ، قال ابن كثير : وكونها من شعائر الدين ، أنها تهدى إلى بيته الحرام ، بل هي أفضل ما يهدي

[لكم فيها خير] قال ابن عباس : نفغ في الدنيا ، وأجر في الآخرة

[فاذكروا إسم الله عليها صواف] أي اذكروا عند ذبحها إسم الله الجليل عليها ، حال كونها (صواف) أي قائمات قد صُففن أيديهن وأرجلهن

[فإذا وجبت جنوبها] أي فإذا سقطت على الأرض بعد نحرها ، وهو كناية عن إنتهاء حياتها

[فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر] أي كلوا من هذه الهدايا ، وأطعموا (القانع) أي المتعفف ، و(المعتر) أي السائل قاله ابن عباس ، وقال الرازي : الأقرب أن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

القانع هو الراضي بما يدفع إليه من غير سؤال وإلحاح ، والمعتر هو الذي يتعرض ويطلب ويعتريهم حالا بعد حال

[كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون] أي مثل ذلك التسخير البديع ، جعلناها منقادة لكم مع ضخامة أجسامها ، لكي تشكروا الله على إنعامه

[لن ينال الله لحومها ولا دماؤها] أي لن يصل إليه تعالى شيء من لحومها ولا دمائها

[ولكن يناله التقوى منكم] أى ولكن يصل إليه التقوى منكم ، بامتثالكم أوامره وطلبكم رضوانه

[كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم] كرره للتأكيد أي كذلك ذللها لكم وجعلها منقادة لرغبتكم ، لتكبروا الله على ما أرشدكم إليه من أحكام دينه

[وبشر المحسنين] أي بشر المحسنين في أعمالهم ، بالسعادة التامة ، والفوز العظيم بدار النعيم .

البلاغة :

تضمنت الآيات الكريمة وجوها من البيان والبديع

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

نوجزها فيما يلي :

1 - الإيجاز [اختصموا في ربهم] أي في دين ربهم ، وفي نصرة الدين وحربه ، فهو على حذف مضاف .

---

2 - الاستعارة اللطيفة [قطعت لهم ثياب من نار] استعارة الثياب للعذاب ، فهو استعارة عن إحاطة النار بهم كما يحيط الثوب بلابسه .

3 - الطباق بين [العاكف . . والباد] لأن العاكف المتيم في المدينة والباد القادم من البادية .

4 - التأكيد بإعادة الفصل [فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور] للعناية بشأن كل استقلالا ، ويسمى في علم البديع الإطناب .

5 - التشبيه التمثيلي [ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير] لأن وجه الشبه منتزع من متعدد .

6 - الجناس الناقص [وجبت جنوبها] .

7 - الطباق بين [القانع والمعتر] لأنه القانع المتعفف

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والمعتر السائل .

8 - السجع اللطيف مثل [عميق ، سحيق ، العتيق] ومثل [المحسنين ، المخبتين] .

تنبيه :

لم يؤاخذ الله تعالى أحدا من خلقه على الهم بالمعصية ، إلا في المسجد الحرام [ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم] لأنه المكان المقدس الذي يجب أن يكون فيه الإنسان نقي القلب ، طاهر النفس ، صافي السريرة ، خالصا بكليته لله ، فمن ينتهك حرمة الملك في حماه ، جدير بالجحيم والعذاب الأليم .

قال الله تعالى : [إن الله يدافع عن الذين آمنوا . .] إلى قوله [وإن الله هو العلي الكبير] . من آية (38) إلى نهآية آية (62) .

المناسبه :

لما بين تعالى مناسك الحج وما فيه من منافع الدنيا والآخرة ، وذكر أن الكفار صدوا المؤمنين عن دين الله وعن دخول مكة ، بين هنا أنه يدافع عن المؤمنين ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وذكر الحكمة من مشروعية القتال ، ومنها الدفاع عن المقدسات ، وحماية المستضعفين ، وتمكين المؤمنين من عبادة الله تعالى .

اللغه :

[صوامع] جمع صومعة وهي البناء المرتفع وهي مختصة بالرهبان

[بيع] جمع بيعة وهي كنيسة النصارى

[وصلوات] كنائس اليهود وقال الزجاج : وهي بالعبرانية صلُوتا

[نكير] مصدر بمعنى الإنكار ، قال الجوهري : النكير والإنكارُ تغيير المنكر

[معطلة] متروكة وتعطيل الشيء إبطال منافعه

[مشيد] مرفوع البنيان .

التفسير :

[إن الله يدافع عن الذين آمنوا] أي ينصر المؤمنين ويدفع عنهم بأس المشركين ، وهذه بشارة للمؤمنين بإعلائهم على الكفار وكف كيدهم عنهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[إن الله لا يحب كل خوان كفور] أي أنه تعالى يبغض كل خائن للأمانة جاحد نعمة الله

[أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا] في الآية محذوف تقديره : أُذن لهم في القتال بسبب أنهم ظُلموا ، قال ابن عباس : هذه أول آية نزلت في الجهاد ، قال المفسرون : هم أصحابُ رسول الله (ص) كان مشركو مكة يؤذونهم أذى شديدا وكانوا يأتون رسول الله(ص) بين مضروب ومشجوح ويتظلمون إليه فيقول لهم : اصبروا فاني لم أومر بقتالهم حتى هاجروا فأنزلت هذه الآية ، وهي أول آية أذن فيها بالقتال بعدما نهي عنه في أكثر من سبعين آية

[وإن الله على نصرهم لقدير] أي هو تعالى قادر على نصر عباده من غير قتال ولكنه يريد منهم أن يبذلوا جهدهم في طاعته لينالوا أجر الشهداء

[الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق] أي أخرجوا من أوطانهم ظلما وعدوانا بغير سبب موجب للإخراج ، قال ابن عباس : يعني محمدا وأصحابه ، أُخرجوا من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مكة الى المدينة بغير حق

[إلا أن يقولوا ربنا الله] أي ما كان لهم إساءة ولا ذنب ، إلا أنهم وحدوا الله ، ولم يشركوا به أحدا

[ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض] أي لولا ما شرعه الله من الجهاد وقتال الأعداء ، لاستولى أهل الشرك على أهل الأديان ، وتعطلت الشعائر ولكنه تعالى دفع شرهم ، بأن أمر بقتالهم

[لهدمت صوامع وبيع] أي لتهدمت معابد الرهبان وكنائس النصارى

[وصلوات] أى كنائس اليهود

[ومساجد يذكر فيها إسم الله كثيرا] أي ومساجد المسلمين التي يعبد فيها الله بكرة وأصيلا ، ومعني الآية : أنه لولا كفه تعالى المشركين بالمسلمين ، وإذنه بمجاهدة المسلمين للكافرين ، لاستولى المشركون على أهل الملل المختلفة في أزمانهم ، فهدموا موضع عباداتهم ، ولم يتركوا للنصارى بيعا ، ولا لرهبانهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

صوامع ، ولا لليهود كنائس ، ولا للمسلمين مساجد ، ولغلب المشركون أهل الأديان ، وإنما خص المساجد بهذا الوصف [يذكر فيها إسم الله كثيراً] تعظيما لها وتشريفا لأنها أماكن العبادة الحقة

[ولينصرن الله من ينصره] قَسَم أي والله سينصر الله من ينصر دينه ورسوله

[إن الله لقوي عزيز] أي إنه تعالى قادر لا يعجزه شيء ، عزيز لا يُقهر ولا يغلب ، قال ابن كثير : وصف تعالى نفسه بالقوة والعزة ، فبقوته خلق كل شيء وبعزته لا يقهره قاهر ولا يغلبه غالب

[الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة] قال ابن عباس : هم المهاجرون والأنصار والتابعون بإحسان ، والمعنى : هؤلاء الذين يستحقون نصرة الله ، هم الذين إن جعلنا لهم سلطانا في الأرض وتملكا وإستعلاء ، عبدوا الله وحافظوا على الصلاة وآداء الزكاة

[وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر] أي دعوا الى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الخير ، ونهوا عن الشر

[ولله عاقبة الأمور] أي مرجع الأمور الى حكمه تعالى وتقديره

[وإن يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود] تسلية للرسول (ص) ووعيد للمشركين أي إن كذبك أهل مكة ، فاعلم أنك لست أول رسول يكذبه قومه ، فقد كان قبلك أنبياء كُذبوا فصبروا إلى أن أهلك الله المكذبين ، فاقتد بهم واصبر

[وقوم إبراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين] أي وكذب كذلك قوم إبراهيم وقوم لوط وقوم شعيب

[وكذب موسى] أي وكذب موسى أيضا مع وضوح آياته ، وعظم معجزاته فما ظنك بغيره ؟

[فأمليت للكافرين ثم أخذتهم] أي أمهلتهم ثم أخذتهم بالعقوبة

[فكيف كان نكير] استفهام تقريري أي فكيف كان إنكاري عليهم بالعذاب ؟ ألم يكن أليماً ؟ ألم أبدلهم بالنعمة نقمة ، وبالكثرة قلة ، وبالعمارة خرابا ؟ فكذلك

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أفعل بالمكذبين من أهل مكة

[فكأين من قرية أهلكناها] أي كم من قرية أهلكنا أهلها بالعذاب الشامل

[وهي ظالمة] أي وهي مشركة كافرة

[فهي خاوية على عروشها] أي خرت سقوفها على الأرض ثم تهدمت حيطانها ، فسقطت فوق السقوف فهي مخربة مهدمة

[وبئر معطلة] أي وكم من بئر عُطلت فتُركت ، لا يستقى منها لهلاك أهلها

[وقصر مشيد] أي وكم من قصر مرفوع البنيان ، أصبح خاليا بلا ساكن ، أليس في ذلك عبرة للمعتبر ؟

[أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها] أي أفلم يسافر أهل مكة ليشاهدوا مصارع الكفار ، فيعتبروا بما حل بهم من النكال والدمار! ! وهلا عقلوا ما يجب أن يُعقل من الإيمان والتوحيد !

[أو آذان يسمعون بها] أي أو تكون لهم آذان يسمعون بها المواعظ والزواجر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فإنها لا تعمي الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور] أي ليس العمى على الحقيقة عمى البصر ، وإنما العمى عمى البصيرة ، فمن كان أعمى القلب لا يعتبر ولا يتدبر ، وذِكرُ الصدور للتأكيد ونفي توهم المجاز

[ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده] أي ويستعجلك يا أيها الرسولُ هؤلاء المشركون بالعذاب استهزاءَ ، وإن ذلك واقع لا محالة ، لكن لوقوعه أجل لا يتعداه لأنه تعالى لا يخلف الميعاد

[و إن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون] أي هو تعالى حليم لا يعجل العقوبة ، فإن مقدار (ألف سنة) عند خلقه ، كيوم واحد عنده ، بالنسبة إلى حلم الله تعالي ، فلِم إذا يستبعدونه ويستعجلون العذاب ؟ ولهذا قال بعد ذلك

[وكأين من قرية أمليت لها وهي ظالمة] أي وكثير من أهل قرية أخرتُ إهلاكهم ، وأمهلتهم مع استمرارهم على الظلم ، فاغتروا بذلك التأخير

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ثم أخذتها وإلي المصير] أي ثم أخذتهم بالعذاب بعد طول الإمهال ، وإلي المرجع والمآب ، قال في البحر : لما كان تعالى قد أمهل قريشاَ حتى استعجلت بالعذاب ، ذكر الآية تنبيها على أن السابقين أمهلوا ثم أهلكوا ، وأن قريشاَ وإن أملى تعالى لهم وأمهلهم ، فإنه لا بد من عذابهم ، فلا يفرحوا بتأخير العذاب عنهم

[قل يا أيها الناس إنما أنا لكم نذير مبين] أي قل يا أيها الرسول لهؤلاء : المستعجلين للعذاب : إنما أنا منذر لكم أخوفكم عذاب الله ، وأنذركم أنذارا بينا من غير أن يكون لي دخل في تعجيل العذاب أو تأخيره

[فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم] أي فالمؤمنون الصادقون الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح لهم عند ربهم مغفرة لذنوبهم ورزق كريم في جنان النعيم ، قال الرازي : بين سبحانه أن من جمع بينهما فالله تعالى يجمع له بين المغفرة والرزق الكريم وقال القرطبي : إذا سمعت الله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تعالى يقول : [ورزق كريم] فإعلم أنه الجنة
[والذين سعوا في آياتنا معاجزين] أي كذبوا بآياتنا وسعوا في إبطالها ، مغالبين مشاقين لله ورسوله ، يريدون إطفاء نور الله
[أولئك أصحاب الجحيم] أي فأولئك هم أصحاب النار ، الحارة الموجعة ، الشديد عذابها ونكالها ، شبههم من حيث الدوام بالصاحب والمالك للشيء ، قال الرازي : فإن قيل : أنه عليه السلام بشر المؤمنين أولا ، وأنذر الكافرين ثانيا في هذه الآية ، فكان القياس أن يقال [إنما أنا لكم بشير ونذير] ، والجواب : أن الكلام مسوق إلى المشركين ، وهم الذين استعجلوا العذاب و[أيها الناس] نداء لهم ، وإنما ذكر المؤمنين وثوابهم ، زيادة لغيظ الكفار وأيذائهم
[وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي] أي وما أرسلنا قبلك يا أيها الرسول رسولا ولا نبيا
[إلا إذا تمنى] أي إلا إذا أحب شيئا وهويته نفسه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ألقى الشيطان في أمنيته] أي ألقى الشيطان فيما يشتهيه ويتمناه بعض الوساوس التي توجب اشتغاله بالدنيا ، كما قال عليه السلام (إنه ليُغان على قلبي فأستغفر الله في اليوم سبعين مرة) ، قال الفراء : تمنى إذا حدث نفسه وفي البخاري : قال ابن عباس : " إلا إذا تمني ألقى الشيطان في أمنيته " إلا إذا حدث ألقى الشيطان في حديثه ، فيبطل الله ما يلقي الشيطان ويحكم الله آياته ، ويقال : أمنيته : قراءته ، قال النحاس : وهذا من أحسن ما قيل في الآية وأجَله ، ومعنى الآية : وما أرسلنا رسولا ولا نبيا فحدث نفسه بشيء ، وتمنى لأمته الهداية والإيمان ، إلا ألقى الشيطان الوساوس والعقبات في طريقه ، بتزيين الكفر لقومه وإلقائه في نفوسهم مخالفة لأمر الرسول ، وكأن الآية تسلية للرسول (ص) تقول له : لا تحزن يا محمد على معاداة قومك لك فهذه سنة المرسلين ((هذا أصح ما قيل في تفسير الآية وهو اختيار المحققين من المفسرين ، وأما قصة الغرانيق التي أولع بذكرها

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بعض المفسرين فهي باطلة مردودة ، وهي أن الرسول عليه السلام قرأ سورة {والنجم اذا هوى} بمحضر من المشركين والمسلمين فلما بلغ {أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى} ألقى الشيطان على لسانه " تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى " ففرح بذلك المشركون ولما انتهى من السورة سجد وسجد معه المشركون إلخ قال ابن العربي : إن جميع ما ورد في هذه القصة باطل لا أصل له وقال ابن إسحاق : هي من وضع الزنادقة وقال البيهقي : رواتها مطعون فيهم وقال ابن كثير : ذكر كثير من المفسرين قصة الغرانيق وهي روايات مرسلات ومنقطعات لا تصح وقال القاضي عياض : هذا حديث لم يخرجه أحد من اهل الصحة ولا رواه أحد بسند متصل سليم ، وإنما أولع به وبمثله المفسرون والمؤرخون ، المولعون بكل غريب ، المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم .
أقول : مما يدل على بطلان القصة قوله تعالى في نفس السورة {وما ينطق عن الهوى إن هو الا وحي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يوحى} فكيف نطق المعصوم بمثل هذا الذى يزعمونه ! سبحانك هذا بهتان عظيم)).

[فينسخ الله ما يلقي الشيطان] أي يزيل ويبطل الله ما يلقيه الشيطان من الوساوس والأوهام

[ثم يحكم الله آياته] أي يثبت في نفس الرسول(ص) آياته الدالة على الوحدانية والرسالة

[والله عليم حكيم] أي مبالغ في العلم ، حكيم يضع الأشياء في مواضعها ، قال أبو السعود : وفي الآية دلالة على جواز السهو من الأنبياء عليهم السلام ، وتطرق الوسوسة إليهم

[ليجعل ما يلقي الشيطان] أي ليجعل تلك الشبه والوساوس التي يلقيها الشيطان

[فتنة للذين في قلوبهم مرض] أي فتنة للمنافقين الذين في قلوبهم شك وإرتياب

[والقاسية قلوبهم] أي وفتنة للكافرين الذين لا تلين قلوبهم لذكر الله ، وهم خواص من الكفار عتاة كأبي جهل ، والنضر ، وعتبة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وإن الظالمين لفي شقاق بعيد] أي وإن هؤلاء المذكورين من المنافقين والمشركين ، في عداوة شديدة لله ولرسوله ، ووصف الشقاق بلفظ [بعيد] لأنه في غاية الضلال والبعدِ عن الخير

[وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك] أي وليعلم أهل العلم أن القرآن هو الحق النازل من عند الله تعالى

[فيؤمنوا به] أي يؤمنوا بهذا القرآن

[فتخبت له قلوبهم] أي تخشع وتسكن له قلوبهم بخلاف من في قلبه مرض

[وإن الله لهاد الذين آمنوا إلى صراط مستقيم] أي مرشد المؤمنين إلى الصراط المستقيم ، ومنقذهم من الضلالة والغواية

[ولا يزال الذين كفروا في مرية منه] أي ولا يزال هؤلاء المشركون في شك وريب من هذا القرآن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[حتي تأتيهم الساعة بغتة] أى حتى تأتيهم الساعة فجأة دون أن يشعروا ، قال قتادة : ما أخذ الله قوماً قط إلا عند سكرتهم وغرتهم ونعمتهم فلا تغتروا بالله إنه لا يغتر بالله إلا القوم الفاسقون

[أو يأتيهم عذاب يوم عقيم] أي أو يأتيهم عذاب يوم القيامة ، وسمي " عقيما " لأنه لا يوم بعده ، قال أبو السعود : كان كل يوم يلد ما بعده من الأيام ، فما لا يوم بعده يكون عقيما ، والمراد به القيامةُ نفسها كأنه قيل : أو يأتيهم عذابها ، ووضع ذلك موضع الضمير لمزيد التهويل

[الملك يومئذ لله] أي الملك يوم القيامة له وحده ، لا منازع له فيه ولا مدافع

[يحكم بينهم] أي يفصل بين عباده بالعدل ، فيدخل المؤمنين الجنة ، والكافرين النار ، ولهذا قال :

[فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم] أى فالذين صدقوا الله ورسوله وفعلوا صالح الأعمال ، لهم النعيم المقيم في جنات الخلد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين] أى والذين جحدوا بآيات الله وكذبوا رسله ، لهم العذاب المخزى ، مع الإهانة والتحقير في دار الجحيم

[والذين هاجروا في سبيل الله] أى تركوا الأوطان والديار إبتغاء مرضاة الله ، وجاهدوا لاعلاء كلمة الله

[ثم قتلوا أو ماتوا] أي قتلوا في الجهاد ، أو ماتوا على فرشهم

[ليرزقنهم الله رزقا حسنا] أي ليعطينهم نعيما خالدا لا ينقطع أبدا ، وهو نعيم الجنة

[وإن الله لهو خير الرازقين] أي هو تعالى خير من أعطى ، فإنه يرزق بغير حساب

[ليدخلنهم مدخلا يرضونه] أي ليدخلنهم مكانا يرضونه وهو الجنة ، التي (فيها ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر)

[وأن الله لعليم حليم] أى عليم بدرجات العاملين (حليم) لا يعجل العقوبة لمن عصاه

[ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به] أي من جازى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الظالم بمثل ما ظلمه

[ثم بغي عليه لينصرنه الله] أي ثم اعتدى الظالم عليه ثانيا ، لينصرن الله ذلك المظلوم

[إن الله لعفو غفور] أي مبالغ في العفو والغفران ، وفيه تعريض بالحث علي العفو والصفح ، فإنه تعالى مع كمال قدرته على الإنتقام يعفو ويغفر ، فغيره أولى بذلك

[ذلك بأن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل] أى ذلك النصر بسبب أن الله قادر ، ومن آيات قدرته تعالى أيلاج الليل في النهار ، بأن ينقص من الليل فيزيد في النهار ، وبالعكس وهذا مشاهد ملموس في الصيف والشتاء

[وأن الله سميع بصير] أي سميع لأقوال عباده ، بصير بأحوالهم ، لا تخفى عليه خافية

[ذلك بأن الله هو الحق] أي ذلك بأن الله هو الإله الحق

[وأن ما يدعون من دونه هو الباطل] أى وأن الذي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يدعوه المشركون من الأصنام والأوثان ، هو الباطل الذى لا يقدر على شيء

[وأن الله هو العلي الكبير] أي هو العالي على كل شئ ، ذو العظمة والكبرياء ، فلا أعلى منه سبحانه ولا أكبر ! !

البلاغة :

تضمنت الآيات الكريمة وجوها من البيان والبديع نوجزها فيما يلي :

1 - صيغة المبالغة [خوان كفور] لأن فعال وفعول من صيغ المبالغة .

2 - الحذف لدلالة السياق عليه [أُذن للذين يقاتلون] أي أُذن بالقتال للذين يقاتلون الأعداء ، دفعا للظلم والعدوان . . .

3 - تأكيد المدح بما يشبه الذم [إلا أن يقولوا ربنا الله] أى لا ذنب لهم إلا هذا ، وهذا ليس بذنب ، فهو من باب تأكيد المدح .

4 - المقابلة للطيفة بين [فالذين آمنوا وعملوا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم] وبين [والذين سعوا في آياتنا معاجزين أولئك أصحاب الجحيم] .

5 - جناس الاشتقاق [وما أرسلنا من رسول] .

6 - الطباق بين [بنسخ . . ثم يحكم] .

---

7 - الاستعارة البديعة [أو يأتيهم عذاب يوم عقيم] وهذا من أحسن الإستعارات ، لأن العقيم المرأة التي لا تلد ، فكأنه سبحانه وصف ذلك اليوم بأنه لا ليل بعده ولا نهار لأن الزمان قد مضى والتكليف قد إنقضي ، فجعلت الأيام بمنزلة الولدأن لليالى ، وجعل ذلك اليوم من بينها (عقيما) على طريق الاستعارة المكنية .

قال الله تعالى : [ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء. .] إلي قوله [فنعم المولى ونعم النصير] . من آية (63) إلى آيه (78) نهاية السورة الكريمة .

المناسبة :

لقد ذكر تعالى دلائل قدرته الباهرة من أيلاج الليل في النهار والنهار في الليل ، ونبه به على نعمه ، أتبعه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

منا بأنواع أخر من الدلائل على قدرته وحكمته ، وجعلها كالمقدمة لإثبات البعث والمعاد ، وختم السورة بدعوة المؤمنين إلى عبادة الله الواحد الأحد .

اللغة :

[سطاناً] حجة وبرهانا

[يسطون] يبطشون ، والسطوة : القهر وشدة البطش يقال : سطا يسطو إذا بطش به

[يسلبهم] سلب الشيء : اختطفه بسرعة

[قدروا] عظموا

[بصطفي] يجتبي ويختار

[حرج] ضيق

[مله] الملة : الدين .

التفسير :

[ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء] إستفهام تقريري أى ألم تعلم أيها السامع أن الله بقدرته أنزل من السحاب المطر ؟

[فتصبح الأرض مخضرة] أي فأصبحت الأرض

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

منتغشة خضراء ، بعد يبسها ومحولها ، وجاء بصيغة المضارع [فتصبح] لاستحضار الصورة ، وإفادة بقائها مخضرة نضِرة مدة من الزمن

[أن الله لطيف خبير] قال ابن عباس : لطيف بأرزاق عباده ، خبير بما في قلوبهم من القنوط ، والغرض من الآية إقامة الدليل على كمال قدرته ، وعلى البعث والنشور ، فمن قدر على إخراج النبات من الأرض الميتة ، قادر على إعادة الحياة بعد الموت ، ولهذا قال : [وهو الذي أحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم] فجعله كدليل واضح على القدرة

[له ما في السموات وما في الأرض] أي جميع ما في الكون ملكه جل وعلا ، خلقا وملكا وتصرفا ، والكل محتاج إلى تدبيره وفضله

[وإن الله لهو الغني الحميد] أي هو تعالى غني عن الأشياء كلها لا يحتاج لأحد ، وهو المحمود في كل حال على الدوام

[ألم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض] تذكير بنعمة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أُخرى ، أي ألم تر أيها العاقل أن الله سخر لعباده جميع ما يحتاجون إليه ، من الحيوانات والأشجار والأنهار والمعادن

[والفلك تجري في البحر بأمره] أي وسخر السفن العظيمة المثقلة بالأحمال والرجال ، تسير في البحر لمصالحكم بقدرته ومشيئته

[ويمسك السماء أن تقع على الأرض] أى ويمسك بقدرته السماء كي لا تقع على الأرض فيهلك من فيها

[إلا بإذنه] أي إلا إذا شاء وذلك عند قيام الساعة

[إن الله بالناس لرءوف رحيم] أي وذلك من لطفه بكم ورحمته لكم حيث هيأ لكم أسباب المعاش فاشكروا اَلاءه

[وهو الذي أحياكم] أي أحياكم بعد أن كنتم عدماً

[ثم يميتكم] أي يميتكم عند إنتهاء آجالكم

[ثم يحييكم] أي بعد موتكم للحساب والثواب والعقاب

[إن الإنسان لكفور] أي مبالغ فى الجحود لنعم الله ، قال ابن عباس : المراد (بالإنسان) الكافر ، والغرض

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من الآيات توبيخ المشركين كأنه يقول : كيف تجعلون لله أندادا ، وتعبدون معه غيره ؟ وهو المستقل بالخلق والرزق والتصرف ! !

[لكل أمة جعلنا منسكا] أي لكل نبي أرسلناه إلى أمة من الأمم السابقين ، وضعنا لهم شريعة ومتعبدا ومنهاجا كقوله : [لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا]

[هم ناسكوه] أي هم عاملون به أي بذلك الشرع

[فلا ينازعنك في الأمر] أي لا ينازعك أحد من المشركين ، فيما شرعتُ لك ولأمتك ، فقد كانت الشرائع في كل عصر وزمان ، وهو نهي يراد به النفي أي لا ينبغي منازعة النبي (ص) ، لأن الحق قد ظهر وبان ، بحيث لا يسع النزاع فيه

[وادع إلى ربك] أي أدع الناس الى عبادة ربك ، وإلى شريعته السمحة المطهرة

[إنك لعلى هدى مستقيم] أي فإنك على طريق واضح مستقيم موصل إلى جنات النعيم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وإن جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون] أي وإن خاصموك بعد ظهور الحق وقيام الحجة عليهم ، فقل لهم : الله أعلم بأعمالكم القبيحة وبما تستحقون عليها من الجزاء ، وهذا وعيد وإنذار

[الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون] أي الله يفصل في الآخرة بين المؤمنين والكافرين ، فيما كانوا فيه يختلفون من أمر الدين ، فيعرفون حينئذ الحق من الباطل

[ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض] الاستفهام تقريري أي لقد علمت يا أيها الرسولُ أن الله أحاط علمه بما في السماء والأرض ، فلا تخفى عليه أعمالهم

[إن ذلك في كتاب] أي إن ذلك كله مسطر في اللوح المحفوظ

[إن ذلك على الله يسير] أي إن حصر المخلوقات تحت علمه وإحاطته ، سهل عليه يسير لديه ثم بين سبحانه ما يقدم عليه الكفارمع عظيم نعمه ، ووضوح

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

دلائله فقال

[ويعبدون من دون الله] أي ويعبد كفار قريش غير الله تعالى ، يعبدون أصناما لا تنفع ولا تسمع

[ما لم ينزل به سلطانا] أي ما لم يرد به حجة ولا برهان ، لا من جهة الوحي ، ولا الشرع

[وما ليس لهم به علم] أي وما ليس عندهم به علم من جهة العقل ، وإنما هو مجرد التقليد الأعمي للآباء

[وما للظالمين من نصير] أي وليس لهم ناصر يوم القيامة يدفع عنهم عذاب الله

[وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات] أي وإذا تليت على هؤلاء المشركين ، آيات القرآن الواضحة الساطعة ، وما فيها من الحجج القاطعة على وحدانية الله

[تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر] أي ترى في وجوه الكفار الإنكار بالعبوس والكراهة

[يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا] أي يكادون يبطشون بالمؤمنين الذين يتلون عليهم القرآن

[قل أفأنبئكم بشر من ذلكم النار] أي قل لهم : هل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أخبركم بما هو أسوأ وأشنع ، من تخويفكم للمؤمنين وبطشكم بهم ؟ إنها نار جهنم وعذابها ونكالها

[وعدها الله الذين كفروا] أي وعدها الله للكافرين المكذبين بآياته

[وبئس المصير] أي بئس المرجع والموضع الذي يصيرون إليه

[يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له] أي يا معشر المشركين ضرب الله مثلا لما يعبد من دون الله ، من الأوثان والأصنام فتدبروه حق التدبر ، واعقلوا ما يقال لكم

[إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له] أي إن هذه الأصنام التي عبدتموها من دون الله لن تقدر على خلق ذبابة على ضعفها ، لإن اجتمعت على ذلك ، فكيف يليق بالعاقل جعلها آلهة ؟ وعبادتها من دون الله ! قال القرطبي : وخص الذباب لأربعة أمور : لمهانته ، وضعفه ، ولإستقذاره ، وكثرته ، فإذا كان هذا الذي هو أضعف الحيوان

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وأحقره ، لا يقدر من عبدوهم من دون الله على خلق مثله ودفع أذيته ، فكيف يجوز أن يكونوا آلهة معبودين ، وأربابا مطاعين ؟ وهذا من أقوى الحجة وأوضح البرهان

[وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه] أي لو اختطف الذباب وسلب شيئا من الطيب ، الذي كانوا يضمخون به الأصنام لما استطاعت تلك الآلهة استرجاعه منه ، رغم ضعفه وحقارته

[ضعف الطالب والمطلوب] أي ضعف العابد الذي يطلب الخير من الصنم ، والمطلوب الذي هو الصنم ، فكل منهما حقير وضعيف ((قال ابن عباس : الطالب الصنم ، والمطلوب الذباب ، وقال السدي : الطالب العابد ، والمطلوب الصنم نفسه ، وهذا هو الراجح وهو الذي اخترناه))

[ما قدروا الله حق قدره] أي ما عظموا الله حق تعظيمه ، حيث جعلوا الأصنام - على حقارتها - شركاء للقوي العزيز ، ولهذا قال :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[إن الله لقوي عزيز] أي هو تعالى قادر لا يعجزه شيء ، غالب لا يُغلب ، فكيف يسوون بين القوي العزيز ، والعاجز الحقير ؟ !

[الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس] أي الله يختار رسلا من الملائكة ، ليكونوا وسطاء لتبليغ الوحي إلى أنبيائه ، ويختار رسلا من البشر ، لتبليغ شرائع الدين لعباده ، والآية رد على من أنكر أن يكون الرسول من البشر

[إن الله سميع بصير] أي هو سبحانه يسمع ما يقولون ، ويرى ما يفعلون

[يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم] أي يعلم ما قدموا وما أخروا ، من الأفعال والأقوال والأعمال

[وإلى الله ترجع الأمور] أي إليه وحده جل وعلا ، تُرد أمور العباد فيجازيهم عليها

[يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا] أي صلوا لربكم خاشعين ، وأنما عبر عن الصلاة بالركوع والسجود

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لأنهما أشرف أركان الصلاة
[واعبدوا ربكم] أي أفردوه بالعبادة ولا تعبدوا غيره
[وافعلوا الخير] أي افعلوا ما يقربكم من الله من أنواع الخيرات والمبرات ، كصلة ا لأرحام ، ومواساة الأيتام ، والصلاة بالليل والناس نيام
[لعلكم تفلحون] أي لتفوزوا وتظفروا بنعيم الآخرة
[وجاهدوا في الله حق جهاده] أي جاهدوا بأموالكم وأنفسكم لإعلاء كلمة الله ، حق الجهاد باستفراغ الوسع والطاقة
[هو اجتباكم] أي هو إختاركم من بين الأمم لنصرة دينه ، وخصكم بأكمل شرع ، وأكرم رسول
[وما جعل عليكم في الدين من حرج] أى وما جعل عليكم في هذا الدين من ضيق ولا مشقة ، ولا كلفكم ما لا تطيقون بل هي الحنيفية السمحة ، ولهذا قال سبحانه :
[ملة أبيكم إبراهيم] أي دينكم الذي لا حرج فيه ، هو دين إبراهيم فإلزموه ، لأنه الدين القيم ، كقوله تعالى :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[دينا قيما ملة لى إبراهيم حنيفا]

[هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا] أي الله ((هذا قول ابن عباس ومجاهد وهو الظاهر ، وقال الحسن : الضمير يعود على إبراهيم ، وهذا قول مرجوح والله أعلم)) سماكم المسلمين في الكتب المتقدمة ، وفي هذا القرآن ، ورضي لكم الإسلام دينا ، قال الإمام الفخر : المعنى : أنه سبحانه في سائر الكتب ، المتقدمة على القرآن ، وفي القرآن أيضا ، بين فضلكم على الأمم ، وسماكم بهذا الإسم الأكرم ، لأجل الشهادة المذكورة ، فلما خصكم بهذه الكرامة فاعبدوه ، ولا تردوا تكاليفه

[ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس] أي ليشهد عليكم الرسول بتبليغه الرسالة لكم ، وتشهدوا أنتم على الخلائق ، أن رسلهم قد بلغتهم

[فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة] أي وإذ قد اختاركم الله لهذه المرتبة الجليلة ، فاشكروا الله على نعمته ، بأداء الصلاة ودفع الزكاة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[واعتصموا بالله] أي استمسكوا بحبله المتين ، وثقوا واستعينوا بالله في جميع أموركم

[هو مولاكم] أي هو تعالى ناصركم ، ومتولي أموركم

[فنعم المولى ونعم النصير] أي نعم هو تعالى الناصر والمعين .

البلاغة :

تضمنت الآيات الكريمة وجوها من البيان والبديع نوجزها فيما يلي :

1 - الامتنان بتعداد النعم [ألم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض ، والفلك تجرى . .] إلخ وكذلك الاستفهام الذي يفيد التقرير .

2 - الطباق بين [يُميتكم ثم يحيكم] .

3 - صيغة المبالغة [إن الإنسان لكفور] أي مبالغ في الجحود .

4 - النهي الذي يراد منه نفي الشيء [فلا ينازعنك] أي لا ينبغي لهم منازعتك ، فقد ظهر الحق وبان ! !

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

5 - الاستعارة اللطيفة [تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر] أي تستدل من وجوههم على المكروه ، لارادة الفعل القبيح ، مثل قولهم : عرفت في وجه فلان الشر .

6 - التمثيل الرائع [إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا] أي مثل الكفار في عبادتهم لغير الله ، كمثل الأصنام التي لا تستطيع أن تخلق ذبابة واحدة ، قال الزمخشري : سميت القصة الرائقة المتلقاة بالاستحسان مثلا تشبيهاَ لها ببعض الأمثال البديعة .

---

7 - المجاز المرسل [اركعوا واسجدوا] من إطلاق الجزء على الكل أي صلوا لأن الركوع والسجود من أركان الصلاة .

8 - ذكر العام بعد الخاص لإفادة العموم مع العناية بشأن الخاص [اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير] بدأ بخاص ، ثم بعام ، ثم بأعم .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

سورة المؤمنون

من السور المكية وآياتها ثماني عشرة ومائة آية

بين يدي السورة

* سورة " المؤمنون " من السور المكية التي تعالج أصول الدين من (التوحيد والرسالة ، والبعث) سميت بهذا الإسم الجليل " المؤمنون " تخليدا لهم وإشادةً بمآثرهم وفضائلهم الكريمة ، التي استحقوا بها ميراث الفردوس الأعلى في جنات النعيم .

* عرضت السورة الكريمة لدلائل القدرة والوحدانية ، مصورة في هذا الكون العجيب ، في (الإنسان ، والحيوان ، والنبات ، ثم في خلق السموات البديعة ذات الطرائق ، وفي الآيات الكونية المنبثة فيما يشاهده الناس في العالم المنظور ، من أنواع النخيل والأعناب ، والزيتون والرمان ، والفواكه والثمار ، والسفن الكبيرة التي تمحر عباب البحار) وغير ذلك من الآيات الكونية الدالة على وجود الله جل وعلا .

* وقد عرضت السورة لقصص بعض الأنبياء ، تسلية

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لرسول الله(ص) ، عما يلقاه من أذى المشركين ، فذكرت قصة نوح ، ثم قصة هود ، ثم قصة موسى ، ثم قصة مريم البتول وولدها عيسى ، ثم عرضت لكفار مكة وعنادهم ومكابرتهم للحق بعدما سطع سطوع الشمس في رابعة النهار ، وأقامت الحجج والبراهين على البعث والنشور ، وهو المحور الذي تدور عليه السورة ، وأهم ما يجادل فيه المبطلون ، فقصمت ببيانها الساطع ظهر الباطل .

* وتحدثت السورة عن الأهوال والشدائد التي يلقاها الكفار وقت الإحتضار ، وهم في سكرات الموت ، وقد تمنوا العودة إلى الدنيا ليتداركوا ما فاتهم من صالح العمل ، ولكن هيهات فقد انتهى الأجل ، وضاع الأمل .

* وختمت السورة بالحديث عن يوم القيامة حيث ينقسم الناس إلى فريقين : سعداء ، وأشقياء ، وينقطع الحسب والنسب ، فلا ينفع إلا الإيمان والعمل الصالح ، وسجلت المحاورة بين المَلِكِ الجبار ، وبين أهل النار

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وهم يصطرخون فيها فلا يغاثون ولا يجابون ! !

قال الله تعالى : [قد أفلح المؤمنون . .] إلى قوله [وعليها وعلى الفلك تحملون] . من آية (1) إلى نهاية آية (22) .

اللغة :

[سلالة] السلالة : الخلاصة مشتقة من السل وهو استخراج الشيء من الشيء ، تقول سللت الشعر من العجين ، والسيف من الغمد ، قال أمية : خَلَقَ البَرِيةَ من سُلالة مُنتِنٍ وإلى السلالة كلها ستعود ويقال : الولد سلالة أبيه ، لأنه أنسل من ظهر أبيه

[مكين] ثابت راسخ تقول : هذا شيء مكين أي متمكن في الثبوت والرسوخ

[طرائق] جمع طريقة والمراد بالطرائق السموات السبع ، سميت بذلك لكون بعضها فوق بعض ، ومنه قولهم : طَارق النعل إذا جعل إحداهما على الآخرى

[صبغ] الصبغ : الإدام وأصله الصباغ وهو الذي يلون به الثوب ، قال الهروي : كل إدام يؤتدم به فهو

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

صبغ

[الأنعام] الحيوانا ت ا لمأكولة (الإبل ، والبقر ، والغنم)

[عبرة] عظة

[الفُلك] السفن التي تجري في البحر ، يطلق على الجمع وعلى المفرد ، قال تعالى

[حتى إذا كنتم في الفُلك] أي فوق ظهر السفينة .

التفسير :

[قد أفلح المؤمنون] أي حقا واللهِ لقد فاز وسَعِد ، وحصل على البغية والمطلوب ، المؤمنون المتصفون بهذه الأوصاف الجليلة ، و[قد] للتأكيد والتحقيق فكأنه يقول : لقد تحقق ظفرهم ونجاحهم بسبب الإيمان والعمل الصالح ، ثم عدد تعالى مناقبهم فقال سبحانه :

[الذين هم في صلاتهم خاشعون] قال ابن عباس :

[خاشعون] أي خائفون ساكنون أي هم خائفون متذللون قي صلاتهم لجلال الله وعظمته ، لاستيلاء الهيبة على قلوبهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[والذين هم عن اللغو معرضون] أي عن الكذب والشتم والهزل ، قال ابن كثير : اللغو : الباطل ، وهو يشمل الشرك ، والمعاصي ، وما لا فائدة فيه من الأقوال والأفعال

[والذين هم للزكاة فاعلون] أي يؤدون زكاة أموالهم للفقراء والمساكين ، طيبة بها نفوسهم ، طلبا لرضى الله

[والذين هم لفروجهم حافظون] هذا هو الوصف الرابع أي عفوا عن الحرام ، وصانوا فروجهم عما لا يحل من الزنا واللواط وكشف العورات

[إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم] أي هم حافظون لفروجهم في جميع الأحوال ، إلا من زوجاتهم أو إيمائهم المملوكات

[فإنهم غير ملومين] أي فإنهم غير مؤاخذين

[فمن ابتغى وراء ذلك] أي فمن طلب غير الزوجات والمملوكات

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فأولئك هم العادون] أي هم المعتدون المجاوزون الحد في البغي والفساد

[والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون] أي قائمون عليها بحفظها وإصلاحها ، لا يخونون إذا ائتمنوا ، ولا ينقضون عهدهم إذا عاهدوا ، قال أبو حيان : والظاهر عموم الأمانات ، فيدخل فيها ما ائتمن الله تعالى عليه العبد من قولٍ وفعل! واعتقاد ، وما ائتمنه الإنسان من الودائع والأمانات

[والذين هم على صلواتهم يحافظون] هذا هو الوصف السادس أي يواظبون على الصلوات الخمس ويؤدونها في أوقاتها ، فإن قيل : كيف كرر ذكر الصلوات أولا وآخراً ؟ فالجواب أنه ليس بتكرار ، لأنه قد ذكر أولا الخشوع فيها ، وذكر هنا المحافظة عليها ، فهما مختلفان

[أولئك هم الوارثون] أي أولئك الجامعون لهذه الأوصاف الجليلة هم الجديرون بوراثة جنة النعيم

[الذين يرثون الفردوس] أي الذين يرثون أعالي الجنة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

التي لتفجر منها أنهار الجنة ، وفي الحديث : (إذا سألتم الله فسلوه الفردوس ، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة ، ومنه تفجر أنهار الجنة)

[هم فيها خالدون] أي هم دائمون فيها لا يخرجون منها أبدا ، ولا يبغون عنها حولا . . ثم ذكر تعالى الأدلة والبراهين على قدرته ووحدانيته فقال سبحانه :

[ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين] اللام جواب قسم أي والله لقد خلقنا جنس الإنسان من صفوة وخلاصة استلت من الطين ، قال ابن عباس : هو (آدم) عليه السلام لأنه انسل من الطين

[ثم جعلناه نطفة] أي ثم جعلنا ذرية آدم وبنيه ، منيا ينطف من أصلاب الرجال

[في قرار مكين] أي في مستقر متمكن هو الرحم

[ثم خلقنا النطفة علقة] أي ثم صيرنا هذه النطفة - وهي الماء الدافق -دما جامداً يشبه العلقة

[فخلقنا العلقة مضغة] أي جعلنا ذلك الدم الجامد مضغة أي قطعة لحم لا شكل فيها ولا تخطيط

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فخلقنا المضغة عظاما] أي صيرنا قطعة اللحم عظاما صلبة لتكون عمودا للبدن

[فكسونا العظام لحما] أي سترنا تلك العظام باللحم ، فجعلناه كالكسوة لها

[ثم أنشأناه خلقا آخر] أي ثم بعد تلك الأطوار نفخنا فيه الروح فصيرناه خلقا آخر ، في أحسن تقويم ، قال الرازي : أي جعلناه خلقا مباينا للخلق الأول ، حيث صار إنسانا وكان جمادا ، وناطقا وكان أبكم ، وسميعا وكان أصم ، وبصيراً وكان أكمه ، وأودع كل عضو من أعضائه عجائب فطرة ، وغرائب حكمة ، لا يحيط بها وصف الواصفين

[فتبارك الله أحسن الخالقين] أي فتعالى الله في قدرته وحكمته ، أحسن الصانعين صنعا

[ثم إنكم بعد ذلك لميتون] أي ثم إنكم أيها الناس بعد تلك النشأة والحياة ، لصائرون إلى الموت

[ثم إنكم يوم القيامة تبعثون] أي تبعثون من قبوركم للحساب والمجازاة ، ولما ذكر تعالى الأطوار في خلق

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ا لإنسان وبدايته ونهايته ، ذكر خلق السموات والأرض ، بهذه السعة ، وهذا الإتقان ، وكلها أدلة ساطعة على وجود الله فقال سبحانه :

[ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق] أي والله لقد خلقنا فوقكم سبع سموات ، سميت طرائق لأن بعضها فوق بعض ، بشكل متناسق متزن

[وما كنا عن الخلق غافلين] أي وما كنا مهملين أمر الخلق بل نحفظهم وندبر أمرهم

[وأنزلنا من السماء ماء بقدر] أي أنزلنا من السحاب المطر مدرارا ، بحسب الحاجة ، لا كثيرا فيفسد الأرض ، ولا قليلا فلا يكفي الزروع والثمار

[فأسكناه في الأرض] أي جعلناه ثابتا مستقرا في الأرض لتنتفعوا به وقت الحاجة

[وإنا على ذهاب به لقادرون] وعيد وتهديد أي ونحن قادرون على إذهابه ، بالتغوير في الأرض ، فتهلكون عطشا أنتم ومواشيكم ! ! قال ابن كثير : لو شئنا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لجعلناه إذا نزل يغور في الأرض ، إلى مدى لا تصلون إليه ولا تنتفعون به لفعلنا ، ولكن بلطفه تعالى ورحمته ، ينزل عليكم المطر من السحاب عذبا فراتاً ، فيسكنه في الأرض ، ويسلكه ينابيع فيها ، فيفتح العيون والأنهار ، ويسقي الزروع والثمار ، فتشربون منه أنتم ودوابكم وأنعامكم

[فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب] أي فأخرجنا لكم بذلك الماء حدائق وبساتين ، فيها النخيل والأعناب

[لكم فيها فواكه كثيرة] أي لكم في هذه البساتين أنواع الفواكه والثمار لتتفكهون بها

[ومنها تأكلون] أي ومن ثمرات البساتين والجنات ، تأكلون صيفا وشتاء كالرطب والعنب والتمر والزبيب ، وإنما خص النخيل والأعناب بالذكر ، لكثرة منافعهما فإنهما يقومان مقام الطعام ، ومقام الإدام ، ومقام الفواكه رطبا ويابسا ، وهما أكثر فواكه العرب

[وشجرة تخرج من طور سيناء] أي ومما أنشأنا لكم بالماء أيضاً شجرة الزيتون ، التي تخرج حول جبل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الطور ، وهو الجبل الذي كلم الله عليه موسى

[تنبت بالدهن] أي تُنبت الدهن أى الزيت الذي فيه منافع عظيمة

[وصبغ للآكلين] أي وإدام للآكلين ، سمي (صِبغا) لأنه يلوِّن الخبز إذا غُمس فيه ، جمع الله في هذه الشجرة بين الإدم والدهن ، وفي الحديث : (كلوا الزيت وادهنوا به فإنه من شجرة مباركة)

[وإن لكم في الأنعام لعبرة] أي وإن لكم أيها الناس فيما خلق لكم ربكم من الأنعام ، وهي (الإبل والبقر والغنم) لعظة بالغة تعتبرون بها

[نسقيكم مما في بطونها] أي نسقيكم من ألبانها ، من بين فرث ودم لبناَ خالصا سائغا للشاربين

[ولكم فيها منافع كثيرة] أي ولكم في هذه الأنعام منافع عديدة : تشربون من ألبانها ، وتلبسون من أصوافها ، وتركبون ظهورها ، وتحملون عليها الأحمال الثقال

[ومنها تأكلون] أي وتأكلون لحومها كذلك

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وعليها وعلى الفلك تحملون] أي وتحمَلون على الإبل في البر ، كما تُحمَلون على السفن في البحر ، فإن الإبل سفائن البر كما أن الفلك سفائن البحر .

البلاغة :

تضمنت الآيات الكريمة وجوها من البيان والبديع نوجزها فيما يلي :

1 - الإخبار بصيغة الماضي لإفادة الثبوت والتحقق [قد أفلح المؤمنون] كما أن [قد] لإفادة التحقيق أيضا .

2 - التفصيل بعد الإجمال [الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون . .] الخ ، فضل ما أجمله من صفات المؤمنين .

3 - إنزال غير المُنكِر منزلة المنكِر [ثم إنكم بعد ذلك لميتون] الناس لا ينكرون الموت ، ولكن غفلتهم عنه وعدم استعدادهم له بالعمل الصالح يعدان من علامات الإنكار ، ولذلك نُزلوا منزلة المنكرين ، وألقى الخبر مُوكدا بمؤكدين " إن " و " اللام " ، وهذا ما يتفق مع

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الأسلوب البليغ .
4 - الإستعارة اللطيفة [سبع طرائق] شبهت السموات السبع بطرائق النعل ، التي يجعل بعضها فوق بعض بطريق الإستعارة .
5 - أسلوب التهديد [وإنا على ذهاب به لقادرون] فيه إنذار وتهديد .
6 - السجع غير المتكلف [خاشعون ، حافظون ، عادون] وكذلك [طين ، مكين ، الخالقين] وهو من المحسنات البديعية .
تنبيه :

ذكر تعالى في هذه الآيات من قوله : [ولقد خلقنا الإنسان] إلى قوله : [وعلى الفلك تحملون] أربعة أنواع من دلائل قدرته تعالى ، الأول : تقلب الإنسان في أطوار الخلق ، وهي تسعة آخرها البعث بعد الموت ، الثاني : خلق السموات السبع بهذا الإبداع والإتقان ، الثالث : إنزال الماء من السماء ، الرابع :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

منافع الحيوانات وذكر منها أربعة أنواع (الإنتفاع بالألبان ، وبالصوف ، وباللحوم ، وبالركوب) وكلُها دلائل وبراهين ، على وحدانية رب العالمين . !

فائدة :

روى الإمام أحمد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : " كان إذا نزل على رسول الله (ص) الوحيُ ، يُسمع عند وجهه كدوي النحل ، فلبثنا ذات يوم ساعة ، فأستقبل القبلة ورفع يديه وقال : (اللهم زدنا ولا تنقصنا ، وأكرمنا ولا تهنا ، وأعطنا ولا تحرمنا ، وآثرنا ولا تُؤثر علينا ، وأرضنا وارض عنا) ثم قال : لقد أنزل عليَّ عشر آيات من أقامهن دخل الجنة ثم قرأ [قد أفلح المؤمنون] حتى ختم العشر.

قال الله تعالى : [لقد أرسلنا نوحا إلى قومه . .] إلى قوله [وأنا ربكم فاتقون] . من آية (23) إلى نهاية آية (52) .

المناسبة :

لما ذكر تعالى دلائل التوحيد في خلق الإنسان ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والحيوان ، والنبات ، وفي خلق السموات والأرض ، وعدد نعمه على عباده ، ذكر هنا أمثالا لكفار مكة من المكذبين من الأمم السابقة ، وما نالهم من العذاب ، فإبتدا أولا بذكر قصة نوح مع قومه ، ثم بقصة هود ، ثم بقصة موسى وفرعون ، ثم بقصة عيسى ابن مريم ، وكلها عبر وعظات ، للمكذبين بالرسل والآيات .

اللغة :

[جنة] بكسر الجيم أي جنون

[فتربصوا] فإنتظروا والتربص : الإنتظار

[مبتلين] مختبرين

[هيهات] إسم فعل ماض بمعنى بَعُد ، قال الشاعر :

تذكرتُ أياما مَضَين من الصبَا وهيهاتَ هيهاتا إليك رجوعها

[غثاء] الغثاء : العشب إذا يبس ، وغُثاء السيل : ما يحمله من الحشيش والقصب اليابس ونحوه

[بعدا] هلاكا ، قال الرازي : بعدا وسُحقا ودمارا ونحوها مصادر موضوعة مواضع أفعالها ، قال

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

سيبويه : وهي منصوبة بأفعال لا يحسُن إظهارها ، ومعنى

[بعدا] أي بعدوا بعدا أي هلكوا

[قرونا] أمما

[تترى] تتابع يأتي بعضهم إثر بعض

[أحاديث] جمع أُحدوثة كأُعجوبة وهي ما يتحدث به عجبا وتسلية

[معين] ماء جار ظاهر للعيون

[ربوة] الربوة : المكان المرتفع من الأرض .

التفسير :

[ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه] أي والله لقد أرسلنا رسولنا نوحا إلى قومه داعيا لهم إلى الله ، قال المفسرون : هذه تعزية لرسول الله(ص) ، بذكر هذا الرسول نوح عليه السلام ، ليتأسى به في صبره ، وليعلم إن الرسل قبله قد كُذبوا

[فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره] أي اعبدوه وحده فليس لكم رب سواه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[أفلا تتقون] زجر ووعيد أي أفلا تخافون عقوبته بعبادتكم غيره ؟

[فقال الملأ الذين كفروا من قومه] أي فقال أشراف قومه ورؤساؤهم الممعنون في الكفر والضلال

[ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم] أي ما هذا الذي يزعم أنه رسول إلا رجل من البشر يريد أن يطلب الرياسة والشرف عليكم ، بدعواه النبوة لتكونوا له أتباعا. . واعجب بضلال هؤلاء ؟ ! لقد استبعدوا أن تكون النبوة لبشر ، وأثبتوا الربوبية لحجر! !

[ولو شاء الله لأنزل ملائكة] أي لو أراد الله أن يبعث رسولا ، لبعث ملكا ولم يكن بشرا

[ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين] أي ما سمعنا بمثل هذا الكلام في الأمم الماضية ، والدهور الخالية

[إن هو إلا رجل به جنة] أي ما هو إلا رجل به جنون

[فتربصوا به حتى حين] أي انتظروا واصبروا عليه مدة حتى يموت

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[قال رب انصرني بما كذبون] أي قال نوح بعد ما يئس من إيمانهم : رب انصرني عليهم بإهلاكهم عامة ، بسبب تكذيبهم إياي

[فأوحينا إليه أن اصنع الفلك بأعيننا] أي فأوحينا إليه عند ذلك ، أن اصنع السفينة بمرأى منا وحفظنا

[ووحينا] أي بأمرنا وتعليمنا

[فإذا جاء أمرنا] أي فإذا جاء أمرنا بإنزال العذاب

[وفار التنور] أي فار الماء في التنور الذي يخبز فيه ، قال المفسرون : جعل الله ذلك علامة لنوح على هلاك قومه

[فاسلك فيها من كل زوجين اثنين] أي فأدخل في السفينة من كل صنف من الحيوان زوجين (ذكر وأنثى) لئلا ينقطع نسل ذلك الحيوان

[وأهلك إلا من سبق عليه القول منهم] أي وإحمل أهلك أيضا إلا من سبق عليه القول بالهلاك ، ممن لم يؤمن كزوجته وإبنه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون] أي ولا تسألني الشفاعة للظالمين ، عند مشاهدة هلاكهم ، فقد قضيت أنهم مغرقون محكوم عليهم بالغرق

[فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك] أي فإذا علوت أنت ومن معك من المؤمنين على السفينة

[فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين] أي احمدوا الله على تخليصه إياكم من الغرق ، وإنما قال : [فقل] ولم يقل فقولوا لأن نوحا كان نبيا لهم وإماماً ، فخطابه خطاب لهم

[وقل رب أنزلني منزلا مباركا] أي أنزلني إنزالا مباركا يحفظني من كل سوء وشر ، قال ابن عباس : هذا حين خرج من السفينة

[وأنت خير المنزلين] أي أنت يا رب خير المنزلين لأوليائك ، والحافظين لعبادك

[إن في ذلك لآيات] أي إن فيما جرى على أمة نوح ، لدلائل وعبر يستدل بها أولوا الأبصار

[وإن كنا لمبتلين] أي وإن الحال والشأن كنا مختبرين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

للعباد بإرسال المرسلين

[ثم أنشأنا من بعدهم قرنا آخرين] أي ثم أوجدنا من بعد قوم نوح قوما آخرين يخلفونهم وهم قوم عاد

[فأرسلنا فيهم رسولا منهم] أي أرسلنا إليهم رسولا من عشيرتهم ، هو (هود) عليه السلام

[أن اعبدوا الله ما لكم من إله غيره] أي اعبدوه وحده ولا تشركوا به أحدا لأنه ليس لكم رب سواه

[أفلا تتقون] أي أفلا تخافون عذابه وإنتقامه إن كفرتم ؟

[وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة] أي قال أشراف قومه الكفرة المكذبون بالآخرة وما فيها من الثواب والعقاب

[وأترفناهم في الحياة الدنيا] أي وسعنا عليهم نعم الدنيا حتى بطروا ونعمناهم في هذه الحياة

[ما هذا إلا بشر مثلكم] أي قالوا لأتباعهم مضلين لهم : ما هذا الذي يزعم أنه رسول إلا إنسان مثلكم

[يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون] أي يأكل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مثلكم ويشرب مثلكم ، فلا فضل له عليكم ، لأنه محتاج إلى الطعام والشراب

[ولئن أطعتم بشرا مثلكم إنكم إذا لخاسرون] أي ولئن أطعتموه وصدقتموه فإنكم لخاسرون حقا ، حيث أذللتم أنفسكم باتباعه ، قال أبو السعود : أنظر كيف جعلوا أتباع الرسول الحق ، الذي يوصلهم إلى سعادة الدارين ، خسرانا دون عبادة الأصنام ، التي لا خسران وراءها ؟ قاتلهم الله أنى يؤفكون

[أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم ترابا وعظاما] إستفهام على وجه الإستهزاء والإستبعاد أي أيعدكم بالحياة بعد الموت ، بعد أن تصبحوا رفاتاً وعظاما بالية ؟

[أنكم مخرجون] أي أنكم ستخرجون أحياء من قبوركم ، وكرر لفظ [أنكم] تأكيدا لأنه لما طال الكلام حسن التكرار

[هيهات هيهات لما توعدون] أي بعد بُعد هذا الذي توعدونه من الإخراج من القبور ، وغرضهم بهذا الإستبعاد أنه لا يكون أبدا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[إن هي إلا حياتنا الدنيا] أي لا حياة إلا هذه الحياة الدنيا

[نموت ونحيا] أي يموتُ بعضنا ويولد بعضنا إلى انقراض العصر

[وما نحن بمبعوثين] أي لا بعث ولا نشور

[إن هو إلا رجل افترى على الله كذبا] أي ما هو إلا رجل كاذب ، يكذب على الله فيما جاءكم به من الرسالة ، والإخبار بالمعاد

[وما نحن له بمؤمنين] أي ولسنا له بمصدقين فيما يقوله ! !

[قال رب انصرني بما كذبون] لما يئس نبيهم من إيمانهم ورأي إصرارهم علي الكفر دعا عليهم بالهلاك والمعنى : رب انصرني عليهم بسبب تكذيبهم إياي

[قال عما قليل ليصبحن نادمين] أي عن قريب من الزمان ، سيصيرون نادمين على كفرهم

[فأخذتهم الصيحة بالحق] أي أخذتهم صيحة العذاب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المدمر ، عدلا من الله لا ظلما

[فجعلناهم غثاءً] أي هلكى كغثاء السيل ، قال المفسرون : صاح بهم جبريل صيحة ، رجفت لها الأرض من تحتهم ، فصاروا لشدتها غثاءً كغثاء السيل وهو الشيء التافه الحقير ، الذي لا ينتفع منه بشيء

[فبعداً للقوم الظالمين] أي فسحقا وهلاكا لهم ، لكفرهم وظلمهم ، وهي جملة دعائية كأنه قال : بعدا لهم من رحمة الله ، وهلاكا ودمارا لهم

[ثم أنشأنا من بعدهم قرونا آخرين] أي أوجدنا من بعد هلاك هؤلاء ، أمماً وخلائق آخرين ، كقوم (صالح ، وإبراهيم ، وقوم لوط وشعيب) ، قال ابن عباس : هم بنو إسرائيل ، وفي الكلام حذفٌ تقديره : فكذبوا أنبياءهم فأهلكناهم ، دل عليه قوله :

[ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون] أي ما تتقدم أمة من الأمم المهلكة ، عن الوقت الذي عُين لهلاكهم ولا تتأخر عنه

[ثم أرسلنا رسلنا تترا] أي بعثنا الرسل متتالين واحدا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بعد واحد ، قال ابن عباس : يتبع بعضهم بعضا

[كلما جاء أمة رسولها كذبوه] تشنيع عليهم بكمال ضلالهم أي أنهم سلكوا في تكذيب أنبيائهم مسلك من سبقهم من الضالين المكذبين ، ولهذا قال :

[فأتبعنا بعضهم بعضا] أي ألحقنا بعضهم في أثر بعض بالهلاك والدمار

[وجعلناهم أحاديث] أي أخبارا تُروى ، وأحاديث تُذكر ، يتحدث الناس بما جرى عليهم ، تعجبا وتسلية

[فبعدا لقوم لا يؤمنون] أي فهلاكا ودمارا لقوم لا يصدقون الله ورسله

[ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون بآياتنا] أي أرسلناهما بآياتنا البينات ، قال ابن عباس : هي الآيات التسع (العصا ، اليد ، الجراد) الخ

[وسلطان مبين] أي وحجة واضحة ملزمة للخصم

[إلى فرعون وملئه] أي أرسلناهما إلى فرعون الطاغية وأشراف قومه المتكبرين

[فاستكبروا] أي عن الإيمان بالله وعبادته

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وكانوا قوما عالين] أي متكبرين متمردين ، قاهرين لغيرهم بالظلم

[فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا] أي أنصدق رجلين مثلنا ونتبعهما ؟

[وقومهما لنا عابدون] أي والحال أن قوم (موسى وهارون) منقادون لنا كالخدم والعبيد ؟

[فكذبوهما فكانوا من المهلكين] أي فكذبوا رسولينا فكانوا من المغرقين في البحر

[ولقد أتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون] أي أعطينا موسى التوراة بعد غرق فرعون وملائه ليهتدي بها بنو إسرائيل

[وجعلنا ابن مريم وأمه آية] أي وجعلنا قصة (مريم) وابنها (عيسى) معجزة عظيمة ، تدل على كمال قدرتنا

[وآويناهما إلى ربوة] أي وجعلنا منزلهما ومأواهما إلى مكانٍ مرتفع من أرض بيت المقدس قال ابن عباس : الربوة المكان المرتفع من الأرض ، وهو أحسن ما يكون فيه النبات

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ذات قرار ومعين] أي مستوية يستقر عليها وماء جارٍ ظاهر للعيون ، قال الرازي : القرار : المستقر وهو كل أرض مستوية مبسوطة ، والمعين : الماء الظاهر الجاري على وجه الأرض ، وعن قتادة : ذات ثمار وماء ، يعني أنه لأجل الثمار يستقر فيها ساكنوها

[يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا] أي قلنا يا أيها الرسل كلوا من الحلال وتقربوا إلى الله بالأعمال الصالحة ، والنداء لكل رسول في زمانه وصيَ به كل رسول إرشادا لأمته ، كما تقول وأنت تخاطب تاجرا : يا تجار اتقوا الربا

[إني بما تعملون عليم] وعيد وتحذير أي إني عالم بما تعملون ، لا يخفى علي شيء من أمركم ، قال القرطبي : شمل الكل في الوعيد ، وإذا كان هذا مع الرسل والأنبياء ، فما ظن كل الناس بأنفسهم ؟

[وإن هذه أمتكم أمة واحدة] أي دينكم يا معشر الأنبياء دين واحد ، وملتكم ملة واحدة ، وهي دين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الإسلام

[وأنا ربكم فاتقون] أي وأنا ربكم لا شريك لي ، فخافوا عذابي وعقابي .

البلاغه :

تضمنت الآيات الكريمة وجوها من البيان والبديع نوجزها فيما يلي :

1 - الإستعارة البديعة [اصنع الفلك بأعيننا] عبر عن المبالغة في الحفظ والرعاية بالصنع على الأعين ، لأن الحافظ للشيء في الأغلب يديم مراعاته بعينه فلذلك جاء بذكر الأعين ، بدلا من ذكر الحفظ والحراسة على طريق الإستعارة التمثيلية .

2 - الكناية [وفار التنور] كناية عن الشدة كقولهم : حمي الوطيس ، وأطلق بعض العلماء التنور على وجه الأرض مجازا .

3 - جناس الاشتقاق في قوله [أنزلني منزلا] .

4 - الطباق بين [نموت ونحيا] وكذلك بين [تسبق . . ويستأخرون] .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

5 - الجناس الناقص [أرسلنا رسلنا] لتغيير بعض الحروف مع الشكل .

6 - التشبيه البليغ [فجعلناهم غثاء] أي كالغثاء في سرعة زواله ومهانة حاله ، حذف وجه الشبه وأداة التشبيه فصار بليغا .

7 - أسلوب الإطناب [الذين كفروا ، وكذبوا بلقاء الآخرة ، وأترفناهم في الحياة الدنيا] ذماَ لهم وتسجيلا عليهم القبائح والشناعات .

8 - السجع اللطيف مثل [تتقون . تشربون . مخرجون] ومثل [عالين ، المهلكين ، قرار ومعين] .

فائدة :

لفظ البَشَر يطلق على الواحد والجمع ، فمن إطلاقه على الواحد [فتمثل لها بشرا سويا] [أنؤمن لبشرين مثلنا] ؟ ومن إطلاقه على الجمع [فإما ترين من البشر أحدا] [وما هي إلا ذكرى للبشر] أفاده صاحب الكشاف .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قال الله تعالى : [فتقطعوا أمرهم بينهم زُبرا . .] إلى قوله [وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون] . من آية (53) إلى نهاية آية (74) .

المناسبة :

لما ذكر تعالى قصص الأنبياء والمرسلين ، أتبعه بذكر أخبار الكفرة المتمردين من أقوامهم ، واختلافهم وتفرقهم في الدين حتى أصبحوا فرقا وأحزابا ، ليجتنب الإنسان طرق أهل الضلال ، وليجتنب الإختلاف والتنازع .

اللغة :

[زبرا] قطعا جمع زبور وهي القطعة من الفضة أو الحديد

[غمرتهم] الغَمرةُ : الحيرة والضلالة ، وأصله في اللغة : الماء الذي يغمر القامة

[يجأرون] يضجون ويستغيثون وأصل الجؤار رفع الصوت بالتضرع كما يفعل الثور

[تنكصون] النكوص : الرجوع إلى الوراء

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ناكبون] نكب عن الطريق نكوبا إذا عدل عنه ومال إلى غيره .

التفسير :

[فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا] أي تفرقت الأمم في أمر دينهم فرقا عديدة ، وأدياناً مختلفة ، هذا مجوسي ، وهذا يهودي ، وهذا نصراني ، بعدما أُمروا بالإجتماع

[كل حزب بما لديهم فرحون] أي كل فريق منهم مغتبط بما إتخذه دينا لنفسه ، معجب به ، يرى أنه المحق الرابح ، وأن غيره المبطل الخاسر

[فذرهم في غمرتهم] الخطاب للرسول (ص) والضمير لكفار مكة ، أي فاترك يا أيها الرسول هؤلاء المشركين في غفلتهم وجهلهم وضلالهم

[حتى حين] أي إلى حين موتهم ، وهذا تسلية لرسول الله (ص) ، ووعيد للمشركين

[أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين] أي أيظن هؤلاء الكفار أن الذي منحناهم في الدنيا من الأموال والأولاد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[نسارع لهم في الخيرات] أي هو تعجيل ومسارعة لهم في الإحسان ؟ كلا ليس الأمر كما يظنون ، بل هو استدراج لهم ، واستجرار إلى زيادة الإثم ، ولهذا قال :

[بل لا يشعرون] أي بل هم أشباه البهائم ، لا فطنة لهم ولا شعور ، حتى يتفكروا في الأمر ، أهو استدراج أم مسارعة في الخير ؟ والآية رد على المشركين ، في زعمهم أن أموالهم وأولادهم دليلُ رضى الله عنهم كما حكى الله عنهم [وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين] وفي الحديث الشريف يقول ، : " إن الله يعطى الدنيا لمن يُحب ولمن لا يحب ، ولا يعطي الدين إلا لمن أحب " ، ولما ذم المشركين وتوعدهم عقب ذلك بمدح المؤمنين وذكرهم بأبلغ صفاتهم فقال سبحانه :

[إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون] أي هم من جلال الله وعظمته خائفون ، ومن خوف عذابه حذرون

[والذين هم بآيات ربهم يؤمنون] أي يصدقون بآيات

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الله القرآنية ، وآياته الكونية ، وهي الدلائل والبراهين الدالة على وجوده سبحانه . وفي كل شئ له آية تدل على أنه واحد

[والذين هم بربهم لا يشركون] أي لا يعبدون معه غيره ، بل يوحدونه ويخلصون العمل لوجهه قال الإمام الفخر : وليس المراد منه الإيمان بالتوحيد ونفى الشريك لله فإن ذلك داخل في الآية السابقة ، بل المراد منه نفيُ الشرك الخفي وذلك بأن يخلص في العبادة لوجه الله وطلبا لرضوانه

[والذين يؤتون ما آتو وقلوبهم وجلة] هذه هي الصفة الرابعة من أوصاف المؤمنين ، أي يعطون العطاء من زكاة وصدقة ، ويتقربون بأنواع القربات من أفعال الخير والبِر ، وهم يخافون أن لا تقبل منهم أعمالهم ، قال الحسن : إن المؤمن جمع إحسانا وشفقة ، وإن المنافق جمع إساءة وأمنا

[أنهم إلى ربهم راجعون] أي لخوفهم أن يكونوا قد قصروا في القيام بشروط الطاعات والأعمال الصالحة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

، ولاعتقادهم أنهم سيرجعون إلى ربهم للحساب ،
روي أن عائشة سألت رسول الله(ص) ، عن الآية الكريمة فقالت : [والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة] أهو الذي يزني ، ويسرق ، ويشرب الخمر وهو يخاف الله عز وجل ؟ فقال لها : " لا يا بنت الصديق ! ولكنه الذي يصلي ، ويصوم ، ويتصدق ، وهو مع ذلك يخاف الله عز وجل "
[أولئك يسارعون في الخيرات] أي أولئك المتصفون بتلك الصفات الجليلة ، هم الذين يسابقون في الطاعات لنيل أعلى الدرجات ، لا أولئك الكفرة المجرمون
[وهم لها سابقون] أي هم الجديرون بها والسابقون إليها ، قال الإمام الفخر : واعلم أن ترتيب هذه الصفات في نهاية الحسن ، فالصفة الأولى : دلت على حصول الخوف الشديد ، الموجب للإحتراز عما لا ينبغي ، والثانية : دلت على التصديق بوحدانية الله ، والثالثة : دلت على ترك الرياء في الطاعات ، والرابعة : دلت على أن المستجمع لتلك الصفات الثلاثة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

، يأتي بالطاعات مع الوجل والخوف من التقصير ، وذلك هو نهاية مقامات الصديقين رزقنا الله الوصول إليها

[ولا نكلف نفساً إلا وسعها] أي لا نكلف أحدا من العباد ما لا يطيق تفضلا منا ولطفا ، وأتى بهذه الآية عقب أوصاف المؤمنين إشارة إلى أن أولئك المخلصين لم يُكلفوا بما ليس في قدرتهم ، وأن جميع التكاليف في طاقة الإنسان

[ولدينا كتاب ينطق بالحق] أي وعندنا صحائف أعمال العباد ، التي سُطر فيها ما عملوا من خير أو شر ، نجازيهم في الآخرة عليها ، ولهذا قال سبحانه :

[وهم لا يظلمون] أي لا يظلمون من أعمالهم شيئا ، بنقص الثواب أو زيادة العقاب ، قال القرطبي : والآية تهديد وتأمين من الحيف والظلم

[بل قلوبهم في غمرة من هذا] أي بل قلوب الكفرة المجرمين ، في غطاء وغفلة وعماية عن هذا القرآن

[ولهم أعمال من دون ذلك] أي ولهم أعمال سيئة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كثيرة ، غير الكفر والإشراك

[هم لها عاملون] أي سيعملونها في المستقبل لتحق عليهم الشقاوة ، فقد جمعوا بين الكفر وسوء الأعمال ، فحقت عليهم كلمة العذاب

[حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب] أي حتى إذا أخذنا أغنياءهم وكبراءهم المتنعمين في هذه الحياة بالعذاب العاجل ، كالجوع والقتل والأسر

[إذا هم يجأرون] أي إذا هم يصيحون ويرفعون أصواتهم بالإستغاثة ، قال ابن عباس : هو الجوع الذي عذبوا به سبع سنين

[لا تجأروا اليوم] أي لا تستغيثوا اليوم من العذاب

[إنكم منا لا تنصرون] أي لا تمنعون من عذابنا ، فلا ينفعكم صراخ ولا إستغاثة

[قد كانت آياتي تتلى عليكم] أي لقد كنتم تسمعون آيات القرآن تقرأ عليكم

[فكنتم على أعقابكم تنكصون] أي كنتم تنفرون عن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تلك الآيات ، كما يذهب الناكص على عقبيه بالرجوع إلى ورائه ، وهذا تمثيل لإعراضهم عن الحق ، بالراجع إلى الخلف

[مستكبرين به] أي مستكبرين بسبب القرآن عن الإيمان ، قال ابن كثير : الضمير للقرآن كانوا يسمرون ويذكرون القرآن بالهجر من الكلام ، يقولون : إنه سحر ، شعر ، كهانة ، إلى غير ذلك من الأقوال الباطلة وقال ابن الجوزي : الضمير عائد إلى البيت الحرام وهي كناية عن غير مذكور لشهرة الأمر ، والمعنى : إنكم تستكبرون وتفتخرون بالبيت والحرم لأمنكم فيه ، مع خوف سائر الناس في مواطنهم ، تقولون : نحن أهل الحرم فلا نخاف أحدا ، ونحن أهل بيت الله وولاته ، هذا مذهب ابن عباس وغيره

[سامرا تهجرون] أي متحدثين ليلا تسمرون ، تقولون في سمركم الهجر يعني القول الفاحش ، من الطعن في القرآن ، وسب النبي عليه السلام

[أفلم يدبروا القول] أى أفلم يتدبروا هذا القرآن العظيم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

، ليعرفوا بما فيه من إعجاز النظم أنه كلام الله فيصدقوا به ؟

[أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين] أي أم جاءهم من الله شي مبتدع لم يأت مثله في آبائهم السابقين ؟ قال أبو السعود : يعني أن مجيء الكتب من جهته تعالى إلى الرسل ، سُنة قديمة لا يكاد يتسنى إنكاره ، وأن مجيء القرآن على طريقته فمن أين ينكرونه ؟

[أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون] توبيخ آخر لهم أي أم لم يعرفوا محمدا (ص) ، بالأمانة والصدق ، وحسن الأخلاق ؟ وبخهم تعالى أولا : بترك الإنتفاع بالقرآن ، وثانيا : بأن ما جاءهم قد جاء مثله لآبائهم الأولين ، وثالثا : بأنهم يعرفون محمدا (ص) ونسبه وصدقه وأمانته ، ورابعا : إتهامهم له بالجنون وقد علموا أنه عليه السلام أرجحهم عقلا ، وأثقبهم ذهنا ولهذا قال بعده :

[أم يقولون به جنة] أي أم يقولون إن محمدا مجنون ، وهذا توبيخ آخر وتعجيب من تفننهم في العناد ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وتلونهم في الجحود

[بل جاءهم بالحق] " بل " للإضراب أي ليس الأمر كما زعموا ، بل جاءهم محمد بالحق الساطع ، الذي لا مدخل فيه للباطل بوجه من الوجوه ، وبالقرآن المشتمل على التوحيد وشرائع الإسلام

[وأكثرهم للحق كارهون] أي ومع وضوح الدعوة ، فإن أكثر المشركين يكرهون الحق لما في قلوبهم من الزيغ والإنحراف

[ولو اتبع الحق أهواءهم] أي لو كان ما كرهوه من الحق - الذي هو التوحيد والعدل - موافقا لأهوائهم الفاسدة ، ومتمشيا مع رغباتهم الزائغة

[لفسدت السموات والأرض ومن فيهن] أي لفسد نظام العالم أجمع ، علويه وسفليه ، وفسد من فيه من المخلوقات ، لفساد أهوائهم وإختلافهم ، قال ابن كثير : وفي هذا كله تبين عجز العباد ، وإختلاف آرائهم وأهوائهم ، وأنه تعالى هو الكامل في جميع صفاته وأفعاله وتدبيره لخلقه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[بل أتيناهم بذكرهم] أي بل أتيناهم بما فيه فخرهم وشرفهم ، وهو هذا القرآن العظيم الذي أكرمهم الله تعالى به

[فهم عن ذكرهم معرضون] أي فهم معرضون عن هذا القرآن ، وكان اللائق بهم الإنقياد له وتعظيمه ، لأنه شرفهم وعزهم ، وأعاد لفظ " الذكر " تعظيما للقرآن

[أم تسألهم خرجا] أي أم تسألهم يا أيها الرسول أجرا على تبليغ الرسالة ، فلأجل ذلك لا يؤمنون ، وفي هذا تشنيع عليهم لعدم الإيمان ، فمحمد لا يطلب منهم أجرا ، فلماذا إذا يكذبونه ويعادونه ؟

[فخراج ربك خير] أي رزق الله وعطاؤه خير لك يا محمد

[وهو خير الرازقين] أي هو تعالى أفضلُ من أعطى ورزق ، لأنه يعطي لا لحاجة ، وغيره يعطي لحاجة

[وإنك لتدعوهم إلى صراط مستقيم] أي وإنك يا محمد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لتدعوهم إلى الطريق المستقيم وهو الإسلام الموصل إلى جنات النعيم

[وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون]

أي وإن الذين لا يصدقون بالبعث والثواب والعقاب ، لعادلون عن الطريق المستقيم ، منحرفون عنه فهم في ضلال يتخبطون .

البلاغة :

تضمنت الآيات الكريمة وجوها من البلاغة والبيان والبديع نوجزها فيما يلي :

1 - الإستعارة اللطيفة [فذرهم في غمرتهم] أصل الغمرة الماء الذي يغمر القامة ، شبه ما هم فيه من الجهالة والضلالة بالماء الذي يغمر الإنسان من فرقه إلى قدمه ، على سبيل الإستعارة ، وهي من لطيف ألوان الإستعارة .

2 - الإستفهام الإنكاري [أيحسبون أنما نمدهم] ؟ هذا للإنكار عليهم والتشنيع .

3 - حذف الرابط في [نسارع لهم في الخيرات]

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

حذف " به " أي نسارع لهم به في الخيرات ، وحَسُنَ حذفُه لاستطالة الكلام مع أمن اللبس .

4 - الطبا ق بين [يؤمنون . . ويشركون] .

5 - الإستعارة البديعة [ولدينا كتاب ينطق بالحق] النطق لا يكون إلا ممن يتكلم بلسانه ، والكتاب ليس له لسان ، فوصف سبحانه الكتاب بالنطق مبالغة في وصفه بإظهار البيان لإعلان البرهان ، وتشبيها باللسان الناطق بطريق الإستعارة اللطيفة .

6 - جناس الإشتقاق [يؤتون ما آتوا] [أعمال هم لها عاملون] .

7 - الإستعارة الفائقة [فكنتم على أعقابكم تنكصون] شبه إعراضهم عن الحق بالراجع القهقرى إلى الخلف ، وهو من قبيل (الإستعارة التمثيلية) .

8 - السجع الرصين [مشفقون ، يؤمنون ، يشركون ، سابقون] ا لخ .

قال الله تعالى : [ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر . .] إلى قوله [اغفر وارحم وأنت خير

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الراحمين] . من آية (75) إلى نهاية السورة الكريمة آية (118) .

المناسبة :

لما ذكر تعالى إعراض المشركين عن دعوة الإيمان ، ذكر هنا سبب الإعراض وهو العناد والطغيان ، ثم أردفه بإقامة الأدلة على التوحيد ، ثم ذكر أحوال الآخرة ، وإنقسام الناس إلى سعداء وأشقياء ، وختم السورة ببيان الحكمة من حشر الناس إلى دار الجزاء ، وأنه لولا القيامة لم يتميز المطيع من العاصي ، ولا البر من الفاجر ، ولضاع العدل بين الناس

اللغة :

[مبلسون] يائسون متحيرون ، والإبلاس : اليأس من كل خير

[يجير] يمنع ويحمي من استغاث به ، يقال : أجرت فلانا على فلان إذا أغثته ومنعته منه

[همزات] جمع همزة وهي الدفع والتحريك الشديد ، وهو كالهز والأز ، وهمزات الشيطان : كيده

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بالوسوسة
[برزخ] حاجز ومانع ، قال الجوهري : البرزخ : الحاجز بين الشيئين (1)
[كالحون] الكلوح : أن تتقلص الشفتان وتتباعد عن الأسنان ، وذلك نهاية القبح لوجه الإنسان .
سبب النزول :

عن ابن عباس قال : نزلت في قصة " ثمامة بن أثال " لما أسرته السرية وأسلم وخلى رسول الله(ص) سبيله ، حال بين أهل مكة وبين الميرة وقال : والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة ، حتى يأذن فيها رسول الله (ص) ، وأخذ الله قريشا بالقحط والجوع حتى أكلوا الميتة والكلاب والعلهز ، قيل : وما العلهز ؟ قال : كانوا يأخذون الصوف والوبر فيبلونه بالدم ثم يشوونه ويأكلونه فقال ابو سفيان : أنشدك الله والرحم ، أليس تزعم أن الله بعثك رحمة للعالمين ؟ قال : بلى ، قال : فوالله ما أراك إلا قتلت الآباء بالسيف ، وقتلت الأبناء

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بالجوع ، فنزل قوله تعالى : [ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا في طغيانهم يعمهون] الآيات .

التفسير :

[ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر] أي لو رحمنا هؤلاء المشركين الذين كذبوك وعاندوك ، ورفعنا عنهم ما أصابهم من قحط وجدب وكشفنا عنهم البلاء

[للجوا في طغيانهم يعمهون] أي لاستمروا وتمادوا في ضلالتهم وتجاوزهم الحد ، يترددون ويتخبطون حيارى

[ولقد أخذناهم بالعذاب] أي إبتليناهم بالمصائب والشدائد وبالقحط والجوع

[فما استكانوا لربهم] أي ما خضعوا لله ، ولا تواضعوا لجلاله

[وما يتضرعون] أي وما دعوا ربهم لكشف البلاء ، بل استمروا على العتو والإستكبار ، والغرضُ من الآية : أنه لم يحصل منهم تواضع ورجوع إلى الله في الماضي ، ولا إلتجاء إلى الله في المستقبل ، لشدة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

جبروتهم وطغيانهم

[حتى إذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد] أي حتى إذا جاءتهم أهوال الآخرة ، وآتاهم من عذاب الله ما لم يكونوا يحتسبون

[إذا هم فيه مبلسون] أي إذا هم آيسون من كل خير ، قال أبو السعود : المراد بالعذاب عذاب الآخرة كما ينبيء عنه التهويل والوصف بالشدة ، والمعنى : إنا إمتحناهم بكل محنة من القتل ، والأسر ، والجوع ، وغير ذلك فما رؤي منهم لين ، ولا توجة إلى الإسلام ، إلى أن يروا عذاب الآخرة فحينئذ يبلسون وتخضع رقابهم . . ثم ذكرهم تعالى بنعمه ودلائل وحدانيته فقال سبحانه :

[وهو الذي أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة] أي خلق لكم هذه الحواس لتسمعوا وتبصروا وتفقهوا ، وفيه توبيخ للمشركين حيث لم يصرفوا النعم في مصارفها ، لأن السمع خلق ليسمع به الإنسان ما يرشده ، والبصر ليشاهد به الآيات الكونية في الآفاق ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والعقل ليتأمل به في مصنوعات الله وباهر قدرته ، فمن لم يصرف تلك النعم في مصارفها ، فهو بمنزلة فاقدِها ، كما قال تعالى : [فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء] وخص تعالى هذه الثلاثة بالذكر (السمعَ والبصرَ والعقلَ) لعظم المنافع التي فيها

[قليلا ما تشكرون] أي قليلا تشكرون ربكم ، و[ما] لتأكيد القلة ، أي ما أقلَّ شكركم لله ، على كثرة أفضاله وإنعامه عليكم ؟

[وهو الذي ذرأكم في الأرض] أي خلقكم وبثكم في الأرض بطريق التناسل

[وإليه تحشرون] أي وإليه وحده تجمعون للجزاء والحساب

[وهو الذي يحيي ويميت] أي يُحيي الرمم ويميت الخلائق والأمم

[وله إختلاف الليل والنهار] أي إن إختلاف الليل والنهار ، بالزيادة والنقصان ، بفعله سبحانه وحده ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ليقيم الدليل على وجوده وقدرته

[أفلا تعقلون] أي أفليس لكم عقول تدركون بها دلائل قدرته ، وآثار قهره ، فتعلمون أن من قدر على ذلك إبتداءً ، قادر على إعادة الخلق بعد الفناء ؟

[بل قالوا مثل ما قال الأولون] " بل " للإضراب أي ليس لهم عقل ولا نظر في هذه الآيات والعِبر ، بل قال هؤلاء المشركون - من كفار مكة - مثل ما قال الأمم المتقدمون

[قالوا أئذا متنا وكنا تراباً وعظاما أئنا لمبعوثون] ؟ أي أئذا بلينا وصرنا ذرات ناعمة ، وعظاما نخرة أئنا لمخلوقون ثانية ؟ هذا لا يتصور ولا يكون أبدا

[لقد وعدنا نحن وآباونا هذا من قبل] أي لقد وعدنا بهذا نحن ومن سبقنا ، فلم نر له حقيقة

[إن هذا إلا أساطير الأولين] أي ما هذا إلا أكاذيب وأباطيل المتقدمين ، ولما أنكروا البعث والنشور ، أمر تعالى رسوله أن يفحمهم بالحجة الدامغة التي تقصم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ظهر الباطل ، فقال سبحانه :

[قل لمن الأرض ومن فيها] ؟ أي قل يا محمد جوابا لهم عما قالوه : لمن الأرض ومن فيها من المخلوقات ؟ ومن مَالكها ؟ والمتصرفُ فيها بالإيجاد والإفناء ؟

[إن كنتم تعلمون] أي إن كان عندكم علم فأخبروني بذلك ، وفيه استهانة بهم وتقرير لجهلهم ، قال القرطبي : يخبر تعالى في الآية بربوبيته ووحدانيته ، وملكه الذي لا يزول ، وقدرته التي لا تحول ، ودلت هذه الآيات - وما بعدها - على جواز جدال الكفار وإقامة الحجة عليهم ، ونبهت على أن من إبتدأ بالخلق والإيجاد ، والإبداع ، هو المستحق للألوهية والعبادة

[سيقولون لله] أي فسيقولون الله خالقها وموجدها ، ولا بد لهم من الإعتراف بذلك

[قل أفلا تذكرون] ؟ أي أفلا تعتبرون فتعلمون أن من إبتدأ ذلك قادر على إعادته ؟

[قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم] ؟ أي من هو خالق السموات السبع الطباق ؟ بما فيها

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الشموس ، والكواكب والأقمار ؟ ومن هو خالق العرش الكبير الذي تحمله الملائكة الأطهار ؟

[سيقولون لله] أي سيقولون : الله خالقه وهو لله

[قل أفلا تتقون] ؟ أي أفلا تخافون من عذابه فتوحدونه ؟ وتتركون عبادة غيره من الأوثان والأصنام ؟

[قل من بيده ملكوت كل شيء] الملكُوت من صفات المبالغة أي من بيده الملك الواسع التام ؟ ومن بيده خزائن كل شيء ؟ ومن هو المتصرف في هذه الأكوان بالخلق والإيجاد والتدبير ؟

[وهو يجير ولا يجار عليه] أي يحمي من إستجار به وإلتجأ إليه ، ولا يغيث أحد منه أحدا

[إن كنتم تعلمون] أي إن كنتم تعلمون فأخبروني عن ذلك

[سيقولون لله] أي سيقولون : الملك كله والتدبيرُ لله جل وعلا

[قل فأنى تسحرون] أي قل لهم : فكيف تُخدعون

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وتُصرفون عن طاعته وتوحيده ؟ مع إعترافكم وعلمكم بأنه وحده المتصرف المالك ؟ قال أبو حيان : والسحر هنا مستعار ، وهو تشبيه لما يقع منهم من التخليط ، ووضع الأفعال والأقوال غير مواضعها ، بما يقع للمسحور من التخبط والتخليط . . رتب هذه التوبيخات الثلاثة بالتدريج فقال أولا : [أفلا تذكرون] ؟ ثم قال ثانيا [أفلا تتقون] ؟ وذلك أبلغ لأن فيه زيادة تخويف ، ثم قال ثالثا : [فأنى تسحرون] وفيه من التوبيخ ما ليس في غيره

[بل آتيناهم بالحق] أي بل جئناهم بالقول الصدق ، في أمر التوحيد والبعث والجزاء

[وإنهم لكاذبون] أي كاذبون فيما ينسبون لله من الشركاء والأولاد . . ولمَّا بالغ في الحِجاج عليهم بالآيات السابقة ، أعقبها بهذه الآية كالوعيد والتهديد ، ثم بين بطلان الشريك والولد بالبرهان القاطع ، فقال سبحانه :

[ما إتخذ الله من ولد] أي ما إتخذ الله ولداً مطلقا ، لا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من الملائكة ولا من البشر
[وما كان معه من إله] أي وليس معه من يشاركه في الألوهية والربوبية
[إذا لذهب كل إله بما خلق] أي لو كان معه إله - كما زعم عبدة الأوثان - لإنفرد كل إله بخلقه الذي خلق واستبد به ، وتميز ملك كل واحد عن ملك الآخر
[ولعلا بعضهم على بعض] أي ولغلب بعضهم على بعض ، كحال ملوك الدنيا ، قال ابن كثير : المعنى لو قدر تعدد الآلهة ، لإنفرد كل منهم بما خلق ، ثم لكان كل منهم يطلب قهر الآخر وخلافه ، فيعلو بعضهم على بعض ، وما كان ينتظم الوجود ، والمشاهد أن الوجود منتظم ، متسق غاية الكمال ، فدل على تنزه الله عن الولد والشريك . . ولهذا قال بعده :
[سبحان الله عما يصفون] أي تنزه الله وتقدس عما يصفه به الظالمون

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[عالم الغيب والشهادة] أي هو تعالى العالم بما غاب عن الأنظار ، وبما تدركه الأبصار ، لا تخفى عليه خافية من شؤون الخلق

[فتعالى عما يشركون] أي تقدس وتنزه عن الشريك والولد

[قل رب إما تريني ما يوعدون] أي قل : يا رب إن كان لا بد ، أن تُرِيَني ما تعدهم من العذاب في الدنيا

[رب فلا تجعلني في القوم الظالمين] هذا جواب الشرط [إما] وكرر قوله : [رب] مبالغة في الدعاء والتضرع ، أي يا رب فلا تجعلنى في جملة الظالمين ، فأهلك بهلاكهم ، قال أبو حيان : ومعلوم أنه عليه السلام معصوم مما يكون سببا لجعله مع الظالمين ، ولكنه أمر أن يدعو بذلك ، إظهارا للعبودية وتواضعا لله

[وإنا على أن نريك ما نعدهم لقادرون] أي ونحن قادرون على أن نريك العذاب الذي وعدناهم به ، ولكن نؤخره لحكمة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ادفع بالتي هي أحسن السيئة] أي ادفع إساءتهم بالصفح عنهم ، وتجمل بمكارم الأخلاق ، قال ابن كثير : أرشده إلى الترياق النافع في مخالطة الناس ، وهو الإحسان إلى من يسيء إليه ، ليستجلب خاطره ، فتعود عداوته صداقة ، وبغضه محبة

[نحن أعلم بما يصفون] أي نحن أعلم بحالهم وبما يكون منهم من التكذيب والإستهزاء وسنجازيهم عليه

[وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين] أي اعتصم بك من نزغات الشياطين ، ووساوسهم المغرية على الباطل والمعاصي

[وأعوذ بك رب أن يحضرون] أي وأعتصم وأحتمي بك يا رب من أن يصيبوني بسوء ، أو يكونوا معي في أموري ! ! كرر ذلك للمبالغة والإعتناء بشأن الإستعاذة

[حتى إذا جاء أحدهم الموت] عاد الكلام عن المشركين ، أي حتى إذا حضر الموتُ أحدَهَم ، وعاين أهواله وشدائده

[قال رب ارجعون] أي قال تحسرا على ما فرط

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

منه : يا رب ردني إلى الدنيا ، وصيغة الجمع
[إرجعون] للتعظيم
[لعلي أعمل صالحاً فيما تركت] أي لكي اعمل
صالحا فيما صنعت من عمري
[كلا إنها كلمة هو قائلها] " كلا " كلمة ردع وزجر
أي لا رجوع إلى الدنيا فليرتدع عن ذلك ، فإن طلبه
للرجعة كلام لا فائدة فيه ، ولا جدوى منه ، وهو
ذاهب أدراج الرياح
[ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون] أي وأمامهم
حاجز يمنعهم عن الرجوع إلى الدنيا - هو عالم
البرزخ - الذي يحول بينهم وبين الرجعة ، يلبثون فيه
إلى يوم القيامة ، قال مجاهد : البرزخُ : الحاجز ما
بين الدنيا والآخرة
[فإذا نفخ في الصور] أي فإذا نفخ في الصور (النفخة
الثانية) وهي نفخة البعث والنشور
[فلا أنساب بينهم يومئذ] أي فلا قرابة ولا نسب
ينفعهم يوم القيامة ، لزوال التراحم والتعاطف من شدة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الهول والدهشة ، بحيث يفر المرء (من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه)

[ولا يتساءلون] أي لا يسأل بعضهم بعضا عن شأنه ، لاشتغال كل واحد بنفسه ، ولا تنافي بينها وبين قوله :

[وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون] لأن يوم القيامة طويل ، وفيه مواقف ومواطن ، ففي بعضها يتكلمون ، وفي بعضها لا ينطقون

[فمن ثقلت موازينه] أي فمن رجحت حسناته على سيئاته ولو بواحدة

[فأولئك هم المفلحون] أي فهم السعداء الذين فازوا فنجوا من النار وأدخلوا الجنة

[ومن خفت موازينه] أي زادت سيئاته على حسناته

[فأولئك الذين خسروا أنفسهم] أي فهم الأشقياء الذين خسروا سعادتهم الأبدية ، بتضييع أنفسهم وتدنيسها بالكفر والمعاصي

[في جهنم خالدون] أي هم مقيمون في جهنم ، لا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يخرجون منها أبدا

[تلفح وجوههم النار] أي تحرقها بشدة حرها ، وتخصيص الوجوه بالذكر لأنها أشرف الأعضاء

[وهم فيها كالحون] أي وهم في جهنم عابسون مشوهو المنظر ، قال ابن مسعود : قد بدت أسنانهم وتقلصت شفاههم ، كالرأس المُشيَط بالنار ، وفي الحديث الشريف : (تشويه النارُ فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه ، وتسترخي شفته السفلى حتى تبلغ سُرته)

[ألم تكن آياتي تُتلى عليكم] أي يقال لهم تعنيفاً وتوبيخاً : ألم تكن آيات القرآن الساطع ، تقرأ عليكم في الدنيا ؟

[فكنتم بها تكذبون] أي فكنتم لا تصدقون بها مع وضوحها

[قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا] أي غلبت علينا شقاوتنا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وكنا قوما ضالين] أي وكنا ضالين عن الهدى ، بسبب إتباعنا للملذات والأهواء

[ربنا أخرجنا منها] أي أخرجنا من النار ورُدنا إلى الدنيا

[فإن عدنا فإنا ظالمون] أي فإن رجعنا إلى الكفر والمعاصي بعد ذلك ، نكون قد تجاوزنا الحد في الظلم والعدوان . اقروا أولا بالإجرام ، ثم تدرجوا من الإقرار إلى الرغبة والتضرع فجاء الجواب بالتيئيس والزجر

[قال اخسئوا فيها ولا تكلمون] أي ذلوا في النار وانزجروا كما تُزجر الكلاب ، ولا تكلموني في رفع العذاب ، قال في التسهيل : اخسئوا : كلمة تستعمل في زجر الكلاب ، ففيها إهانةْ وإبعاد

[إنه كان فريق من عبادى يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وإرحمنا وأنت خير الراحمين] قال مجاهد : هم بلال ، وخباب ، وصهيب ، وغيرهم من ضعفاء المسلمين ، كان أبو جهل وأصحابه يهزءون بهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فاتخذتموهم سخريا] أي فسخرتم منهم واستهزأتم بهم
[حتى أنسوكم ذكري] أي حتى نسيتم - بتشاغلكم بهم واستهزائكم عليهم - غفلتم عن طاعتي وعبادتي
[وكنتم منهم تضحكون] أي وكنتم تضحكون عليهم في الدنيا
[إني جزيتهم اليوم بما صبروا] أي جزيتهم بسبب صبرهم على أذاكم أحسن الجزاء
[أنهم هم الفائزون] أي أنهم هم الفائزون بالنعيم المقيم
[قال كم لبثتم في الأرض عدد سنين] أي قال تعالى للكفار على سبيل التبكيت والتوبيخ : كم مكثتم في الدنيا ؟ وعمرتم فيها من السنين ؟
[قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم] أي مكثنا يوما أو أقل من يوم
[فإسأل العادين] أي إسأل الحاسبين المتمكنين من العد ، قال ابن عباس : أنساهم ما كانوا فيه من العذاب ، المدة التي لبثوها في الدنيا
[قال إن لبثتم إلا قليلا] أي ما أقمتم حقا في الدنيا إلا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قليلا ، قال الرازي : كأنه قيل لهم : صدقتم ما لبثتم فيها إلا قليلا ، فقد انقضت ومضت ، والغرضُ تعريفهم قلة أيام الدنيا في مقابلة أيام الآخرة

[لو أنكم كنتم تعلمون] أي لو كان لكم علم وفهم ، لعرفتم حقارة الدنيا ومتاعها الزائل

[أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا] أي أظننتم - أيها الناس - أنما خلقناكم باطلا وهملا ، بلا ثواب ولا عقاب ؟ كما خُلِقت البهائم ؟

[وأنكم إلينا لا ترجعون] أي وأنه لا رجوع لكم إلينا للجزاء ؟ لا ليس الأمر كما تظنون ، وإنما خلقناكم للتكليف والعبادة ، ثم الرجوع إلى دار الجزاء

[فتعالى الله] أي فتنزه وتقدس الله الكبير الجليل

[الملك الحق] أي صاحب السلطان ، المتصرف في ملكه ، بالإيجاد والإعدام ، والإحياء ، والإفناء ، تنزه عن العبث والنقائص ، وعن أن يخلق شيئا سفها لأنه حكيم

[لا إله إلا هو] أي لا رب يُعبد بحق سواه ، ولا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

خالق غيره

[رب العرش الكريم] أي خالق العرش العظيم ، ووصفُه (بالكريم) لأن الرحمة والخير والبركة تنزل منه ، ولنسبته إلى أكرم الأكرمين

[ومن يدع مع الله إلها آخر] أي ومن يجعل لله شريكا ، ويعبد معه سواه

[لا برهان له به] أي لا حجة له به ولا دليل

[فإنما حسابه عند ربه] أي جزاؤه وعقابه عند الله

[إنه لا يفلح الكافرون] أي لا يفوز ولا ينجح من جحد وكذب بالله ورسله ، وهو الشقي الخاسر ، افتتح تعالى السورة بقوله : [قد أفلح المؤمنون] وختمها بقوله : [إنه لا يفلح الكافرون] ليظهر التفاوت بين الفريقين ، فشتان ما بين البدء والختام ! !

[وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين] أمر الله رسوله بالإستغفار والإسترحام ، تعليماً للأمة طريق الثناء والدعاء ، اللهم إغفر لنا وإرحمنا برحمتك التي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وسعت كل شيء ، يا أرحم الراحمين ، اللهم آمين .

البلاغة :

تضمنت الآيات الكريمة وجوها من البيان والبديع نوجزها فيما يلى :

1 - ا لامتنان [وهو الذي أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة] .

2 - التفنن [السمع والأبصار] أفرد السمع وجمع الأبصار تفننا .

3 - التنكير للتقليل [قليلا ما تشكرون] و[ما] تأكيد للقلة المستفادة من التنكير ، والمعنى شكراً قليلا وهو كناية عن عدم الشكر.

4 - الإستفهام الذي غرضه الإنكار والتوبيخ [أفلا تعقلون] ؟ [أفلا تذكرون] ؟ [أفلا تتقون] ؟ .

5 - الطباق بين [يحيي] و[يميت] ومعناه الجمعُ بين الشيء وضده .

6 - حذف جواب الشرط ثقةَ بدلالة اللفظ عليه [إن كنتم تعلمون] أي إن كنتم تعلمون ذلك فأخبروني

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عنه .

7 - طباق السلب [وهو يُجير ولا يجار عليه] .

8 - تأكيد الكلام بذكر حرف الجر الزائد [ما إتخذ الله من ولد] أي ما إتخذ الله ولدا وكذلك [وما كان معه من إله] ذكر [من] في الجملتين تأكيدا للكلام ، وتثبيتا للنفى .

9 - الطباق في [عالم الغيب والشهادة] .

10 - التأكيد بإن واللام [وإنا على أن نريك ما نعدهم لقادرون] لإنكار المخاطبين لذلك .

11 - الطباق المعنوي [إدفع بالتي هي أحسن السيئة] لأن المعنى إدفع بالحسنة السيئة ، فهو طباق بالمعنى لا باللفظ .

12 - واو الجمع للتعظيم [رب ارجعون] ولم يقل : ارجعني تعظيما لله جل وعلا .

13 - المجاز المرسل [إنها كلمة هو قائلها] أطلق الكلمة على الجملة وهو من إطلاق الجزء وإرادة الكل .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

14 - المقابلة اللطيفة بين [فمن ثقلت موازينه] وبين [ومن خفت موازينه . .] الآيتان .

15 - القصر [إنهم هم الفائزون] أي هم الفائزون لا غيرهم .

16 - السجع اللطيف غير المتكلف (مبلسون . تُشكرون . تُحشرون) .

17-السجع الموزون الخالي من التكلف وهو كثير مشهور.

سورة النور

مدنية وآياتها أربع وستون آية

بين يدي السورة

سورة النور من السور المدنية ، التى تتناول الأحكام التشريعية ، وتعنى بأمور التشريع ، والتوجيه والاخلاق ، وتهتم بالقضايا العامة والخاصة التي ينبغى ان يربى عليها المسلمون ، افرادا وجماعات ، وقد اشتملت هذه السورة على احكام هامة وتوجيهات عامة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تتعلق بالاسرة ، التي هى النواة الأولى لبناء المجتمع الأكبر.

وضحت السورة الآداب الإجتماعية التي يجب أن يتمسك بها المؤمنون في حياتهم الخاصة والعامة ، كالإستئذان عند دخول البيوت ، وغض الابصار ، وحفظ الفروج ، وحرمة إختلاط الرجال بالنساء الأجنبيات ، وما ينبغي ان تكون عليه الاسرة المسلمة و " البيت المسلم " من العفاف والستر ، والنزاهة والطهر ، والاستقامة على شريعة الله ، صيانةً لحرمتها ، وحفاظا عليها من عوامل التفكك الداخلي ، والانهيار الخلقي ، الذي يهدم الأمم والشعوب . وقد ذكرت في هذه السورة الكريمة بعض الحدود الشرعية التي فرضها الله كحد الزنى ، وحد القذف ، وحد اللعان ، وكل هذه الحدود انما شرعت تطهيرا للمجتمع ، من الفساد والفوضى ، واختلاط الانساب ، والانحلال الخلقى ، وحفظا للأمة من عوامل التردي في بؤرة الإباحية والفساد ، التي تسبب ضياع الأنساب ، وذهاب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

العرض والشرف . وبإختصار فإن هذه السورة الكريمة عالجت ناحية من أخطر النواحي الاجتماعية هي (مسألة الاسرة) وما يحفها من مخاطر ، وما يعترض طريقها من عقبات ومشاكل ، تؤدي بها الى الانهيار ثم الدمار ، هذا عدا عما فيها من آداب سامية ، وحكم عالية ، وتوجيهات رشيدة ، الى أسس الحياة الفاضلة الكريمة ، ولهذا كتب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الى اهل الكوفة يقول لهم : علموا نساءكم سورة النور.

التسمية :

سميت (سورة النور) لما فيها من إشعاعات النور الرباني ، بتشريع الأحكام والآداب ، والفضائل الانسانية ، التي هي قبس من نور الله على عباده ، وفيض من فيوضات رحمته وجوده [الله نور السموات والأرض] اللهم نور قلوبنا بنور كتابك المبين يا رب العالمين .

اللغة :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[سورة] السورة في اللغة : المنزلة السامية والمكانة الرفيعة ، قال النابغة : ألم تر أن الله أعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب وسميت المجموعة من الآيات لها بدء ونهاية " سورة " لشرفها وارتفاعها كما يسمى (السور) للمرتفع من الجدار

[الزاني] الزنى : الوطء المحرم ويسمى الفاحشة لتناهي قبحه ، وهو مقصور وقد يمد على لغة اهل نجد فيقال الزناء ، قال الفرزدق : أبا طاهر من يزن يعرف زناؤه ومن يشرب الخرطوم يصبح مسكرا

[رأفة] شفقة وعطف مأخوذ من رؤف إذا رق ورحم

[المحصنات] العفيفات وأصل الإحصان المنع ، سميت العفيفة محصنة لأنها منعت نفسها عن القبيح ، ومنه الحصن لأنه يمنع من الأعداء

[يدرأ] يدفع ، والدرء : الدفع

[تشيع] شاع الأمر شيوعا : إذا فشا وظهر وانتشر

[عصبة] العصبة : الجماعة الذين يتعصب بعضهم لبعض .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

سبب النزول :

1 - روي أن امرأة تدعى " أم مهزول " كانت من البغايا فكانت تسافح الرجل ، وتشرط أن تنفق عليه ، فأراد رجل من المسلمين ان يتزوجها فذكر ذلك لرسول الله (ص) فأنزل الله [الزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك] الآية .

2 - عن ابن عباس أن (هلال بن أمية) قذف امرأته عند النبي (ص) (شريك بن سحماء) فقال له النبى (ص) : " البينة أو حد في ظهرك " فقال يا رسول الله : اذا رأى أحدنا مع امرأته رجلا ينطلق يلتمس البينة ؟ والذي بعثك بالحق إني لصادق ، ولينزلن الله ما يبرىء ظهري من الحد! فنزلت : [والذين يرمون أزواجهم..] الآية .

التفسير :

[سورة أنزلناها] اي هذه سورة عظيمة الشأن ، من جوامع سور القرآن ، أوحيناها اليك يا محمد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وفرضناها] اي أوجبنا ما فيها من الأحكام ايجابا قطعيا

[وأنزلنا فيها آيات بينات] اي أنزلنا فيها آيات تشريعية ، واضحات الدلالة على أحكامها ، لتكون لكم - أيها المؤمنون - قبسا ونبراسا ، وتكرير لفظ الإنزال لإبراز كمال العناية بشأنها ، فكأنه يقول : ما أنزلتها عليكم لمجرد التلاوة ، وإنما أنزلتها للعمل والتطبيق

[لعلكم تذكرون] اى لكي تعتبروا وتتعظوا بهذه الأحكام ، وتعملوا بموجبها . . ثم شرع تعالى بذكر الأحكام وبدأ بحد الزنى فقال سبحانه :

[الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة] اي فيما شرعت لكم وفرضت عليكم ، أن تجلدوا كل واحد من الزانيين - غير المحصنين - مائة ضربة بالسوط ، عقوبة لهما على هذه الجريمة الشنيعة

[ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله] اي لا تأخذكم بهما رقة ورحمة ، في حكم الله تعالى ، فتخففوا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الضرب او تنقصوا العدد ، بل أوجعوهما ضربا ، قال مجاهد : لا تعطلوا حدود الله ، ولا تتركوا إقامتها شفقة ورحمة

[إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر] هذا من باب الإلهاب والتهييج ، اي إن كنتم مؤمنين حقا تصدقون بالله وباليوم الآخر ، فلا تعطلوا الحدود ، ولا تأخذكم شفقة بالزناة ، فإن جريمة الزنى أكبر من أن تستدر العطف ، او تدفع الى الرحمة

[وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين] اي وليحضر عقوبة الزانيين جماعة من المؤمنين ، ليكون أبلغ في زجرهما ، وأنجع في ردعهما ، فإن الفضيحة قد تنكل اكثر مما ينكل التعذيب

[الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة] اي الزاني لا يليق به أن يتزوج العفيفة الشريفة ، انما ينكح مثله او أخس منه ، كالبغي الفاجرة ، او المشركة الوثنية

[والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك] اي والزانية لا يليق ان يتزوج بها المؤمن العفيف ، انما يتزوجها

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من هو مثلها او أخس منها " كالزاني الخبيث او المشرك الكافر ، فإن النفوس الطاهرة تأبى الزواج بالفواجر الفاسقات ، قال الامام الفخر : " من أحسن ما قيل في تفسير هذه الآية : أن الفاسق الخبيث - الذي من شأنه الزنى والفسق - لا يرغب في نكاح الصوالح من النساء ، وإنما يرغب في فاسقة خبيثة مثله ، او فى مشركة ، والفاسقة الخبيثة لا يرغب في نكاحها الصلحاء من الرجال وينفرون عنها ، وإنما يرغب فيها من هو من جنسها من الفسقة والمشركين ، وهذا على الأعم الأغلب ، كما يقال : لا يفعل الخير إلا الرجل التقي ، وقد يفعل بعض الخير من ليس بتقي ، فكذا هنا "

[وحرم ذلك على المؤمنين] اي وحرم الزنى على المؤمنين ، لشناعته وقبحه ، او حرم نكاح الزواني على المؤمنين ، لما فيه من الاضرار الجسيمة. . ثم شرع تعالى في بيان حد القذف فقال :
[والذين يرمون المحصنات] اي يقذفون بالزنى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

العفيفات الشريفات

[ثم لم يأتوا بأربعة شهداء] اي ثم لم يأتوا على دعواهم بأربعة شهود عدول ، يشهدون عليهن بما نسبوا اليهن من الفاحشة

[فاجلدوهم ثمانين جلدة] اي اضربوا كل واحد من الرامين ، ثمانين ضربة بالسوط ونحوه ، لأنهم كذبة يتهمون البريئات ، ويخوضون في اعراض الناس

[ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا] اي وزيدوا لهم في العقوبة بإهدار كرامتهم الإنسانية ، فلا تقبلوا شهادة أي واحد منهم ما دام مصرا على كذبه وبهتانه

[وأولئك هم الفاسقون] اي هم الخارجون عن طاعة الله عز وجل ، لإتيانهم بالذنب الكبير ، والجرم الشنيع ، قال ابن كثير : أوجب تعالى على القاذف ، إذا لم يقم البينة على صحة ما قال ، ثلاثة أحكام : أحدها : أن يجلد ثمانين جلدة ، الثاني : أن ترد شهادته أبدا ، الثالث : أن يكون فاسقا ليس بعدل ، لا عند الله ولا عند الناس

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[إلا الذين تابوا من بعد ذلك] اي إلا الذين تابوا وأنابوا ، وندموا على ما فعلوا ، من بعد ما اقترفوا ذلك الذنب العظيم

[وأصلحوا] اي أصلحوا أعمالهم فلم يعودوا الى قذف المحصنات ، قال ابن عباس : اي أظهروا التوبة
[فإن الله غفور رحيم] اي فاعفوا عنهم واصفحوا ، وردوا اليهم اعتبارهم بقبول شهادتهم ، فإن الله غفور رحيم يقبل توبة عبده اذا تاب وأناب ، وأصلح سيرته وحاله . . ثم ذكر تعالى حكم من قذف زوجته وهو المعروف (باللعان) فقال سبحانه :
[والذين يرمون أزواجهم] اي يقذفون زوجاتهم بالزنى
[ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم] اي وليس لهم شهود يشهدون بما رموهن به من الزنى ، سوى شهادة أنفسهم
[فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله] اي فشهادة أحدهم التي تزيل عنه حد القذف ، أربع شهادات بالله تقوم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مقام الشهداء الأربعة

[إنه لمن الصادقين] اي إنه صادق فيما رمى به زوجته من الزنى

[والخامسة أن لعنة الله عليه] اي وعليه ايضا ان يحلف في المرة الخامسة ، بأن لعنة الله عليه

[إن كان من الكاذبين] اي إن كان كاذبا في قذفه لها بالزنى

[ويدرأ عنها العذاب] اي ويدفع عن الزوجة المقذوفة (حد الزنى) الذي ثبت بشهادة الزوج

[أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين] اي أن تحلف اربع مرات انه لمن الكاذبين فيما رماها به من الزنى

[والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين] اي وتحلف في المرة الخامسة ، بأن غضب الله وسخطه عليها إن كان زوجها صادقا في اتهامه لها بالزنى

[ولولا فضل الله عليكم ورحمته] اي ولولا فضل الله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عليكم ورحمته بكم بالستر في ذلك ، وجواب [لولا] محذوف لتهويل الأمر ، تقديره : لفضحكم او عاجلكم بالعقوبة ، ورب مسكوت عنه أبلغ من المنطوق

[وأن الله تواب حكيم] اي وأنه تعالى مبالغ في قبول التوبة ، حكيم في ما شرع من الأحكام ، ومن جملتها (حكم اللعان) قال ابو السعود : وجواب " لولا " محذوف لتهويله كأنه قيل : ولولا تفضله تعالى عليكم ورحمته بكم ، لكان ما كان مما لا يحيط به نطاق البيان ، ومن جملته أنه تعالى لو لم يشرع لهم ذلك ، لوجب على الزوج حد القذف ، مع أن الظاهر صدقه لاشتراكه في الفضيحة ، ولو جعل شهاداته موجبة لحد الزنى عليها ، لفات النظر لها ، ولو جعل شهاداتها موجبة لحد القذف عليه ، لفات النظر له ، فسبحانه ما أعظم شأنه ، وأوسع رحمته ، وأدق حكمته . . ثم بين تعالى (قصة الإفك) التي اتهمت فيها العفيفة البريئة الطاهرة أم المؤمنين (عائشة) رضى الله عنها بالكذب والبهتان فقال سبحانه :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[إن الذين جاءو بالإفك] اي جاءوا بأسوء الكذب ، وأشنع صور البهتان ، وهو قذف عائشة بالفاحشة ، قال الإمام الفخر : الإفك أبلغ ما يكون من الكذب والإفتراء ، وقد أجمع المسلمون على أن المراد ما أفك به على (عائشة) وهي زوجة الرسول المعصوم

[عصبة منكم] اي جماعة منكم أيها المؤمنون وعلى رأسهم " ابن سلول " رأس النفاق

[لا تحسبوه شرا لكم] اي لا تظنوا هذا القذف والاتهام شرا لكم يا آل أبي بكر

[بل هو خير لكم] لما فيه من الشرف العظيم بنزول الوحي ببراءة أم المؤمنين ، وكرامة الله لها بإنزال الوحي في شأنها ، والأجر الجزيل لها في الفرية عليها ، وموعظة المؤمنين ، والإنتقام من المفترين

[لكل امرىء منهم ما اكتسب من الإثم] اي لكل فرد من العصبة الكاذبة ، جزاء ما اجترح من الذنب على قدر خوضه فيه

[والذي تولى كبره منهم] اي والذي تولى معظمه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وأشاع هذا البهتان ، وهو (ابن سلول) رأس النفاق [له عذاب عظيم] اي له في الآخرة عذاب شديد في نار جهنم

[لولا اذ سمعتموه] اي هلا حين سمعتم يا معشر المؤمنين هذا الإفتراء ، وقذف الصديقة عائشة

[ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا] اي هلا ظنوا الخير ولم يسرعوا الى التهمة ، فيمن عرفوا فيها النزاهة والطهارة ؟ فإن مقتضى الإيمان ، ألا يصدق مؤمن على أخيه قولة عائب ولا طاعن ، قال ابن كثير : هذا تأديب من الله تعالى للمؤمنين في (قصة عائشة) حين أفاض بعضهم في ذلك الكلام السوء ، وهلا قاسوا ذلك الكلام على أنفسهم ، فإن كان لا يليق بهم ، فأم المؤمنين أولى بالبراءة منه بطريق الأولى والأحرى ، روي أن امرأة " أبي أيوب " قالت لزوجها : أما تسمع ما يقول الناس في عائشة ! قال : نعم وذلك الكذب ، أكنت فاعلة ذلك يا أم أيوب ؟

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قالت : لا والله ، قال : فعائشة والله خير منك ،

[وقالوا هذا إفك مبين] اي قالوا في ذلك الحين هذا كذب ظاهر واضح

[لولا جاءو عليه بأربعة شهداء] اي هلا جاء أولئك المفترون بأربعة شهود ، يشهدون على ما قالوا

[فإذ لم يأتوا بالشهداء] اي فإن عجزوا ولم يأتوا على دعواهم بالشهود

[فأولئك عند الله هم الكاذبون] اي فأولئك هم المفسدون ، الكاذبون في حكم الله وشرعه ، وفيه توبيخ وتعنيف للذين سمعوا الإفك ، ولم ينكروه أول وهلة

[ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة] اي لولا فضله تعالى عليكم - أيها الخائضون في شأن عائشة - ورحمته بكم في الدنيا والآخرة ، حيث أمهلكم ولم يعاجلكم بالعقوبة

[لمسكم فيما أفضتم فيه] اي لأصابكم ونالكم بسبب ما خضتم فيه من حديث الإفك

[عذاب عظيم] اي عذاب شديد هائل ، يستحقر دونه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الجلد والتعنيف ، قال القرطبي : هذا عتاب من الله بليغ لمن خاضوا في الإفك ، ولكنه برحمته ستر عليكم في الدنيا ، ويرحم في الآخرة من أتاه تائبا

[إذ تلقونه بألسنتكم] اي وذلك حين تتلقونه ويأخذه بعضكم من بعض بالسؤال عنه ، قال مجاهد : اي يروي بعضكم عن بعض ، يقول هذا سمعته من فلان ، وقال فلان كذا

[وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم] اي تقولون ما ليس له حقيقة في الواقع ، وإنما هو محض كذب وبهتان

[وتحسبونه هينا] اي وتظنونه ذنبا صغيرا لا يلحقكم فيه إثم

[وهو عند الله عظيم] اي والحال انه عند الله من أعظم الموبقات والجرائم ، لأنه وقوع في أعراض المسلمين . . عاتبهم تعالى على ثلاثة أشياء : الأول : تلقيه بالألسنة اي السؤال عنه ، والثاني : التكلم به ، والثالث : استصغاره حيث حسبوه هينا وهو عند الله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عظيم ، وفائدة قوله (بألسنتكم) وبأفواهكم الإشارة الى أن ذلك الحديث كان باللسان دون القلب ، لأنهم لم يعلموا حقيقته بقلوبهم

[ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا] عتاب لجميع المؤمنين ، اي كان ينبغي عليكم أن تنكروه أول سماعكم له ، وتقولوا : لا ينبغي لنا ان نتفوه بهذا الكلام ، ولا نذكره لأحد

[سبحانك هذا بهتان عظيم] اي سبحان الله أن يقال هذا الكلام على زوجة رسول الله الطاهرة البريئة ، فإن هذا الإفتراء كذب واضح ، عظيم الجرم ، قال الزمخشري : هو بمعنى التعجب من عظيم الأمر ، والإستبعاد له ، والأصل في ذلك أن يسبح الله عند رؤية العجائب

[يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا] اي يذكركم الله ويعظكم بالمواعظ الشافية ، لكي لا تعودوا إلى مثل هذا العمل أبدا

[إن كنتم مؤمنين] اي إن كنتم حقا مؤمنين ، فإن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الإيمان وازع عن مثل هذا البهتان ، وفيه حث لهم على اللاإتعاظ وتهييج

[ويبين الله لكم الآيات] اي ويوضح لكم الآيات الدالة على الشرائع ، ومحاسن الآداب ، لتتعظوا وتتأدبوا بها

[والله عليم حكيم] اي عالم بما يصلح العباد ، حكيم في تدبيره وتشريعه

[إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة] أي يريدون أن ينتشر الفعل القبيح المفرط في القبح ، كإشاعة الرذيلة والزنى ، وغير ذلك من المنكرات

[في الذين آمنوا] اي في المؤمنين الأطهار

[لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة] أي لهم عذاب موجع مؤلم في الدنيا بإقامة الحد ، وفي الآخرة بعذاب جهنم ، قال الحسن : عنى بهذا الوعيد واللعن (المنافقين) فإنهم أحبوا وقصدوا إذاية الرسول(ص) وذلك كفر وملعون صاحبه

[والله يعلم وأنتم لا تعلمون] اي هو تعالى عالم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بالخفايا والنوايا ، وأنتم لا تعلمون ذلك ، قال الإمام الفخر : وهذه الجملة فيها حسن الموقع بهذا الموضع ، لأن محبة القلب كامنة ونحن لا نعلمها إلا بالأمارات ، أما الله سبحانه فهو لا يخفى عليه شيء ، فصار هذا الذكر نهاية في الزجر ، لأن من أحب إشاعة الفاحشة ، وإن بالغ في إخفاء تلك المحبة ، فهو يعلم أن الله تعالى يعلم ذلك منه ، ويعلم قدر الجزاء عليه

[ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رءوف رحيم] جواب [لولا] محذوف لتهويل الأمر أي لولا فضله تعالى على عباده ، ورحمته بهم ، لأهلكهم وعذبهم ، وكان ما كان مما لا يكاد يتصوره الإنسان ، لأنه فوق الوصف والبيان ، وهذا هو السر في حذف جواب " لولا " .

البلاغة :

تضمنت الآيات الكريمة وجوها من البيان والبديع نوجزها فيما يلي :

1 - التنكير للتفخيم [سورة أنزلناها] اي هذه سورة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عظيمة الشأن ، جليلة القدر ، أنزلها الله تعالى عليكم معشر المؤمنين لتعملوا بها.

2 - الإطناب بتكرير لفظ [أنزلنا] في قوله :
[وأنزلنا فيها آيات بينات] لإبراز كمال العناية بشأنها ، وهو من باب (ذكر الخاص بعد العام) للعناية والإهتمام بشأن الخاص

3 - الإستعارة [يرمون المحصنات] أصل الرمي القذف بالحجارة او بشيء صلب ، ثم استعير للقذف باللسان لأنه يشبه الأذى الحسي ففيه (استعارة لطيفة) اي يقذفون المؤمنات العفيفات .

4 - التهييج والإلهاب [إن كنتم تؤمنون بالله]
كقولهم : إن كنت رجلا فأقدم ، وإن كنت شجاعا فلا تهرب من المعركة .

5 - صيغة المبالغة [غفور رحيم] و[تواب حكيم]
فإن (فعول ، وفعال ، وفعيل) من صيغ المبالغة وكلها تفيد بلوغ النهاية في هذه الصفات .

6 - الطباق بين [الصادقين] و[الكاذبين] .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

7 - حذف جواب [لولا] للتهويل في [ولولا فضل الله عليكم ورحمته] وذلك حتى يذهب الوهم في تقديره كل مذهب ، فيكون أبلغ في البيان وأبعد في التهويل والزجر .

8 - الطباق [لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم] وكذلك [وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم] فقد طابق بين الشر والخير ، وبين الهين والعظيم .

9 - الإلتفات من الخطاب إلى الغيبة [لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون] والأصل أن يقال ظننتم وإنما عدل عنه مبالغة في التوبيخ ، وإشعارا بأن الإيمان يقتضي ظن الخير بالمؤمنين .

10 - التحضيض [لولا جاءو عليه بأربعة شهداء] اي هلا جاءوا وغرضه التوبيخ واللوم .

11 - التعجب [سبحانك هذا بهتان عظيم] ففيه تعجب ممن يقول ذلك والأصل في ذكر هذه الكلمة [سبحانك] أن يسبح الله تعالى عند رؤية العجيب من صنائعه ، تنزيها له من أن يخرج مثله عن قدرته ثم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كثر حتى استعمل في كل متعجب منه.

فائدة :

لماذا بدأ الله في الزنى بالمرأة ، وفي السرقة بالرجل ؟ والجواب أن الزنى من المرأة أقبح ، وجرمه أشنع فبدأ بها ، وأما السرقة فالرجل عليها أجرأ وهو عليها أقدر ولذلك بدأ به [والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما] .

تنبيه :

في التعبير بالإحصان [والذين يرمون المحصنات] إشارة دقيقة إلى أن قذف العفيف من الرجال أو النساء موجب لحد القذف ، وأما إذا كان الشخص معروفا بفجوره او اشتهر بالإستهتار والمجون فلا حد على قاذفه ، لأنه لا كرامة للفاسق الماجن ! ! فتدبر السر الدقيق .

لطيفة :

لماذا عدل عن قوله : [تواب رحيم] إلى قوله : [تواب حكيم] مع أن الرحمة تناسب التوبة ؟

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والجواب أن الله عز وجل أراد الستر على العباد بتشريع (اللعان بين الزوجين) ، فلو لم يكن اللعان مشروعا لوجب على الزوج حد القذف مع أن الظاهر صدقه ، ولو اكتفى بلعانه لوجب على الزوجة حد الزنى ، فكان من الحكمة وحسن النظر لهما جميعا أن شرع هذا الحكم ، ودرأ عنهما العذاب بتلك الشهادات ، فسبحانه ما أوسع رحمته ، وأجل حكمته!!

قال الله تعالى : [يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان . .] إلى قوله [وموعظة للمتقين] . من آية (21) إلى نهاية آية (34) .

المناسبة :

لما ذكر تعالى حادثة الإفك ، أتبعها بالتحذير من سلوك طريق الشيطان المتربص بالإنسان الذي يدعو إلى السوء والشر والفساد ، ثم ذكر تعالى آداب الإستئذان والزيارة ، لأن أهل الإفك إنما وجدوا السبيل إلى بهتانهم من حيث اتفقت الخلوة فصارت طريقا للتهمة ، فأوجب تعالى ألا يدخل إنسان بيت غيره إلا بعد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الإستئذان والسلام ، ثم أتبعها بآيات غض البصر.

اللغة :

[يأتل] يحلف والألية : اليمين ومنه

[يؤلون من نسائهم] اي يحلفون

[المحصنات] العفائف الشريفات الطاهرات جمع محصنة وهي العفيفة

[مبرءون] منزهون والبراءة : النزاهة مما نسب للإنسان من تهمة

[تستأنسوا] تستأذنوا وأصله في اللغة : طلب الأنس بالشيء ، قال الشاعر : عوى الذئب فاستأنست للذئب إذ عوى وصوت إنسان فكدت أطير

[يغضوا] غض بصره : خفضه ونكسه ، وأصله إطباق الجفن على الجفن ، قال جرير : فغض الطرف إنك من نمير فلا كعبا بلغت ولاكلابا

[خمرهن] جمع خمار وهو ما تغطي به المرأة رأسها ، وخمروا الآنية اي غطوها

[جيوبهن] جمع جيب وهو الصدر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[الإربة] الحاجة إلى النساء والإستمتاع بهن .

سبب النزول :

1 - كان أبو بكر الصديق ينفق على (مسطح بن أثاثة) لمسكنته وقرابته ، فلما وقع أمر الإفك ، وقال فيه مسطح ما قال ، حلف أبو بكر ألا ينفق عليه ، ولا ينفعه بنافعة أبدا ، فأنزل الله [ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة . .] الآية فقال أبو بكر : والله إني لأحب أن يغفر الله لي ، فأعاد الى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه وقال : والله لا أنزعها منه أبدا .

2 - عن علي كرم الله وجهه قال : مر رجل على عهد رسول الله (ص) في طريق من طرقات المدينة ، فنظر الى امرأة ونظرت إليه ، فوسوس لهما الشيطان أنه لم ينظر أحدهما إلى الآخر إلا إعجابا به ، فبينما الرجل يمشي إلى جانب حائط وهو ينظر إليها ، إذ استقبله الحائط " اي صدمه الحائط " فشق أنفه فقال : والله لا أغسل الدم حتى آتي رسول الله (ص) فأعلمه أمري ، فأتاه فقص عليه قصته فقال النبي في : هذه عقوبة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ذنبك فأنزل الله : [قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم . .] الآيات .

التفسير :

[يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان] اي يا من صدقتم بالله ورسوله لا تتبعوا آثار الشيطان ، ولا تسلكوا مسالكه بإشاعة الفاحشة ، والإصغاء إلى الإفك والقول به

[ومن يتبع خطوات الشيطان] أي ومن يتبع سيرة الشيطان وطريقته

[فإنه يأمر بالفحشاء] اي فإن الشيطان يضل الإنسان ويغويه ، لأنه يأمر بالفحشاء وهي ما أفرط قبحه

[والمنكر] وهو ما ينكره الشرع ، وتنفر منه العقول السليمة

[ولولا فضل الله عليكم ورحمته] أي لولا فضل الله عليكم أيها المؤمنون بالتوفيق للتوبة الماحية للذنوب ، وبشرع الحدود المكفرة للخطايا

[ما زكى منكم من أحد أبدا] أي ما تطهر أحد منكم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من الأوزار أبد الدهر

[ولكن الله يزكي من يشاء] أي ولكن الله بفضله ورحمته ، يطهر من يشاء بتوفيقه للتوبة النصوح وقبولها منه ، قال القرطبي : والغرض أن تزكيته لكم ، وتطهيره وهدايته إنما هي بفضله لا بأعمالكم

[والله سميع عليم] أي سميع لأقوالكم عليم بنياتكم وضمائركم

[ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة] اي لا يحلف أهل الفضل في الدين وأصحاب الغنى واليسار

[أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله] أي أن لا يعطوا أقاربهم من الفقراء والمهاجرين ، ما كانوا يعطونهم إياه من الإحسان لذنب فعلوه

[وليعفوا وليصفحوا] أي وليعفوا عما كان منهم من جرم ، وليصفحوا عما بدر منهم من إساءة ، وليعودوا إلى ما كانوا عليه من الإنعام والإحسان

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ألا تحبون أن يغفر الله لكم] اي ألا تحبون أيها المؤمنون أن يغفر الله لكم ؟ على عفوكم وصفحكم وإحسانكم إلى من أساء اليكم ؟ روي أن أبا بكر لما سمع الآية قال : بلى أحب أن يغفر الله لي ، وأعاد النفقة إلى مسطح ، وكفر عن يمينه ، وقال : والله لا أنزعها منه أبدا! ! قال المفسرون : والآية دالة على فضل أبي بكر فإن الله تعالى امتدحه بقوله : [ولا يأتل أولوا الفضل] وكفى به دليلا على (فضل الصديق) رضي الله عنه وأرضاه

[والله غفور رحيم] اي مبالغ في المغفرة والرحمة ، مع كمال قدرته على العقاب ، ثم توعد تعالى الذين يرمون العفائف الطاهرات فقال سبحانه :

[إن الذين يرمون المحصنات الغافلات] اي يقذفون بالزنى العفيفات ، السليمات الصدور ، النقيات القلوب من كل سوء وفاحشة

[المؤمنات] اي المتصفات بالإيمان مع طهارة القلب

[لعنوا في الدنيا والآخرة] اي طردوا وأبعدوا من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

رحمة الله في الدنيا والآخرة ، قال ابن عباس : هذا اللعن فيمن قذف زوجات النبي (ص) إذ ليس له توبة ، ومن قذف مؤمنة جعل الله له توبة وقال أبو حمزة : نزلت في مشركي مكة ، كانت المرأة إذا خرجت إلى المدينة مهاجرة قذفوها وقالوا : خرجت لتفجر

[ولهم عذاب عظيم] أي ولهم مع اللعنة عذاب هائل لا يكاد يوصف ، بسبب ما ارتكبوا من إثم وجريمة

[يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون] أي وذلك العذاب الشديد في ذلك اليوم الرهيب - يوم القيامة - حين تشهد على الإنسان جوارحه ، فتنطق الألسنة والأيدي والأرجل بما اقترف من سيئ الأعمال

[يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق] اي يوم القيامة ينالهم حسابهم وجزاؤهم العادل من أحكم الحاكمين

[ويعلمون أن الله هو الحق المبين] اي ويعلمون حينئذ أن الله هو الإله العادل ، الذي لا يظلم أحدا ، الظاهر عدله في تشريعه وحكمه . . ثم ذكر تعالى بالدليل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

القاطع ، والبرهان الساطع (براءة عائشة) ونزاهتها ، فهي زوجة رسول الله الطيب الطاهر ، وقد جرت سنة الله أن يسوق الجنس إلى جنسه ، فلو لم تكن عائشة طيبة ، لما كانت زوجة لأفضل الخلق (ص) ولهذا قال :

[الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات ، والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات] اي الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال ، والخبيثون من الرجال للخبيثات من النساء ، وكذلك الطيبات من النساء للطيبين من الرجال ، والطيبون من الرجال للطيبات من النساء ، وهذا كالدليل على براءة عائشة لأنها زوجة أشرف رسول وأكرم مخلوق على الله ، وما كان الله ليجعلها زوجة لأحب عباده ، لو لم تكن عفيفة طاهرة شريفة

[أولئك مبرءون مما يقولون] أي أولئك الفضلاء منزهون مما تقوله أهل الإفك في حقهم من الكذب والبهتان

[لهم مغفرة ورزق كريم] اى لهم على ما نالهم من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الأذى مغفرة لذنوبهم ، ورزق كريم في جنات النعيم ، قال ابن كثير : وفيه وعد بأن تكون زوجة رسول الله (ص) في الجنة

[يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم] لما حذر تعالى من قذف المحصنات ، وشدد العقاب فيه ، وكان طريق هذا الإتهام مخالطة الرجال للنساء ، ودخولهم عليهن في أوقات الخلوات ، أرشد تعالى إلى الآداب الشرعية في دخول البيوت ، فأمر بالإستئذان قبل الدخول وبالتسليم بعده

[حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها] أي لا تدخلوا بيوت الغير حتى تستأذنوا وتسلموا على أهل المنزل

[ذلكم خير لكم] أي ذلك الإستئذان والتسليم خير لكم من الدخول بغتة

[لعلكم تذكرون] أي لتتعظوا وتعملوا بموجب هذه الآداب الرشيدة ، قال القرطبي : المعنى : إن الإستئذان والتسليم خير لكم من الهجوم بغير إذن ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ومن الدخول على الناس بغتة ، ومن تحية الجاهلية ، فقد كان الرجل منهم إذا دخل بيتا غير بيته قال : حييتم صباحا ، وحييتم مساء ودخل فربما أصاب الرجل مع امرأته في لحاف !! روي أن رجلا قال للنبى (ص) : أأستأذن على أمي ؟ قال : نعم ، قال : ليس لها خادم غيري ، أأستأذن عليها كلما دخلت ؟ قال : أتحب أن تراها عريانة ؟ قال : لا ، قال : فاستأذن عليها

[فإن لم تجدوا فيها أحدا] أي فإن لم تجدوا في البيوت أحدا يأذن لكم بالدخول إليها

[فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم] اي فاصبروا ولا تدخلوها حتى يسمح لكم بالدخول ، لأن للبيوت حرمة ولا يحل دخولها إلا بإذن أصحابها

[وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا] أي وإن لم يؤذن لكم ، وطلب منكم الرجوع فارجعوا ولا تلحوا

[هو أزكى لكم] أي الرجوع أطهر وأكرم لنفوسكم ، وهو خير لكم من اللجاج والإنتظار على الأبواب

[والله بما تعملون عليم] أي هو تعالى عالم بالخفايا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والنوايا وبجميع أعمالكم فيجازيكم عليها ، قال القرطبي : وفيه توعد لأهل التجسس على البيوت . .

ثم إنه تعالى لما ذكر حكم الدور المسكونة ، ذكر بعده حكم الدور غير المسكونة فقال سبحانه :

[ليس عليكم جناح] أي ليس عليكم إثم وحرج

[أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة] أي أن تدخلوا بغير استئذان بيوتا لا تختص بسكنى أحد ، كالرباطات والفنادق والخانات ، قال مجاهد : هي الفنادق التي في طرق السابلة لا يسكنها أحد ، بل هي موقوفة ليأوي إليها كل ابن سبيل

[فيها متاع لكم] أي فيها منفعة لكم أو حاجة من الحاجات ، كالإستظلال من الحر ، وإيواء الأمتعة والرحال

[والله يعلم ما تبدون وما تكتمون] أي يعلم ما تظهرون وما تسرون في نفوسكم فيجازيكم عليه ، قال ابو السعود : وهذا وعيد لمن يدخل مدخلا لفساد ، أو إطلاع على عورات . .ثم أرشد تعالى إلى الآداب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الرفيعة من غض البصر ، وحفظ الفروج فقال سبحانه :

[قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم] أي قل يا أيها الرسول لاتباعك المؤمنين : يكفوا أبصارهم عن النظر إلى الاجنبيات من غير المحارم ، فإن النظرة تزرع في القلب الشهوة ، ورب شهوة أورثت حزنا طويلا ، كما قال الشاعر : كم نظرة فتكت في قلب صاحبها فتك السهام بلاقوس ولاوتر

[ويحفظوا فروجهم] أي يصونوا فروجهم عن الزنى وعن الإبداء والكشف للعورات

[ذلك أزكى لهم] اي ذلك الغض والحفظ أطهر للقلوب ، وأتقى للدين ، وأحفظ من الوقوع في الفجور

[إن الله خبير بما يصنعون] أي هو تعالى رقيب عليهم ، مطلع على أعمالهم ، لا تخفى عليه خافية من أحوالهم ، فعليهم أن يتقوا الله في السر والعلن ، قال الإمام الفخر : فإن قيل فلم قدم غض الأبصار على حفظ الفروج ؟ قلنا : لأن النظر بريد الزنى ، ورائد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الفجور ، والبلوى فيه أشد وأكثر ، ولا يكاد يحترس منه

[وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن] أي وقل أيضا للمؤمنات يكففن أبصارهن عن النظر إلى ما لا يحل لهن النظر إليه ، ويحفظن فروجهن عن الزنى ، وعن كشف العورات ، قال المفسرون : أكد تعالى الأمر للمؤمنات بغض البصر وحفظ الفروج ، وزادهن في التكليف على الرجال ، بالنهي عن إبداء الزينة إلا للمحارم والأقرباء ، فقال : [ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها] أي ولا يكشفن زينتهن للأجانب إلا ما ظهر منها بدون قصد ولا نية سيئة ، قال ابن كثير : أي لا يظهرن شيئا من الزينة للأجانب إلا ما لا يمكن إخفاؤه ، كما قال ابن مسعود : الزينة زينتان : فزينة لا يراها إلا الزوج : الخاتم والسوار ، وزينة يراها الأجانب وهي الظاهر من الثياب وقيل : المراد به الوجه والكفان فإنهما ليسا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بعورة ، قال البيضاوي : والأظهر ان هذا في الصلاة لا في النظر ، فإن كل بدن الحرة عورة ، لا يحل لغير الزوج والمحرم النظر إلى شيء منها إلا لضرورة ، كالمعالجة وتحمل الشهادة

[وليضربن بخمرهن على جيوبهن] اي وليلقين الخمار وهو (غطاء الرأس) على صدورهن ، لئلا يبدو شيء من النحر والصدر ، وفي لفظ الضرب مبالغة في الصيانة والتستر ، عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : (يرحم الله النساء المهاجرات الأول لما أنزل الله [وليضربن بخمرهن على جيوبهن] شققن مروطهن فاختمرن بها) قال المفسرون : كانت المرأة في الجاهلية - كما هي اليوم في الجاهلية الحديثة - تمر بين الرجال مكشوفة الصدر ، بادية النحر ، حاسرة الذراعين ، وربما أظهرت مفاتن جسمها وذوائب شعرها لتغري الرجال ، وكن يسدلن الخمر من ورائهن ، فتبقى صدورهن مكشوفة عارية ، فأمرت المؤمنات بأن يلقينها من أمامهن حتى تستر ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ويدفعن عنهن شر الأشرار

[ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن] أي ولا يظهرن زينتهن الخفية ، التي حرم الله كشفها ، إلا لأزواجهن

[أو آبائهن أو آباء بعولتهن] أي أو لآبائهن او آباء أزواجهن ، وهو العم أبو الزوج فإنهما من المحارم ، فإن الأب يصون عرض ابنته ، ووالد الزوج يحفظ على ابنه ما يسوءه ، ثم عدد تعالى بقية المحارم فقال سبحانه :

[أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن ، أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن] فذكر تعالى الأبناء ، وأبناء الأزواج ، والإخوة ، وأبناء الإخوة ، وأبناء الأخوات ، وكلهم من المحارم الذين يحرم على المرأة الزواج بهم ، لما جبل الله في الطباع من النفرة من مماسة القريبات ونكاحهن

[أو نسائهن] أي المسلمات ، وخرج بذلك النساء الكافرات ، قال مجاهد : المراد نساؤهن المسلمات ، ليس المشركات من نسائهن ، وليس يحل للمرأة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المسلمة أن تتكشف بين يدي مشركة ، وقال ابن عباس : هن المسلمات ، ولا تبدي زينتها أمام يهودية أو نصرانية ((مختصر ابن كثير وهذا قول أكثر السلف أن المراد بالنساء المؤمنات ، قال الفخر الرازي : وقيل المراد بالنساء ، جميع النساء فإنهن سواء في حل نظر بعضهن إلى بعض ، وقول السلف محمول على الاستحباب ، أقول : القول الأول اظهر ، والله اعلم))

[أو ما ملكت أيمانهن] أي من الإماء المشركات ، قال ابن جرير : يعني من نساء المشركين ، فيجوز لها أن تظهر زينتها لها ، وإن كانت مشركة لأنها أمتها

[أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال] أي الخدام غير أولي الميل والشهوة والحاجة إلى النساء ، كالبله والحمقى ، والمغفلين الذين لا يدركون من أمور النكاح شيئا ، قال مجاهد : هو الأبله الذي يريد الطعام ، ولا يريد النساء ، ولا يهمه إلا بطنه

[أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء] أي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الأطفال الصغار الذين لم يبلغوا حد الشهوة ، ولا يعرفون أمور الجماع لصغرهم ، فلا حرج أن تظهر المرأة زينتها أمامهم

[ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن] أي ولا يضربن بأرجلهن الأرض ، لئلا يسمع الرجال صوت الخلخال ، فيطمع الذي في قلبه مرض ، قال ابن عباس : كانت المرأة تمر بالناس وتضرب برجلها ليسمع صوت خلخالها ، فنهى الله تعالى عن ذلك لأنه من عمل الشيطان

[وتوبوا إلى الله جميعا أيه المؤمنون لعلكم تفلحون] أي ارجعوا أيها المؤمنون إلى ربكم بإمتثال الطاعات ، والكف عن الشهوات ، لتنالوا رضاه وتفوزوا بسعادة الدارين

[وأنكحوا الأيامى منكم] أي زوجوا أيها المؤمنون من لا زوج له من الرجال والنساء ، من أحرار رجالكم ونسائكم ، قال الطبرى : الأيامي جمع أيم ، يوصف به

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الذكر والأنثى يقال : رجل أيم ، وامرأة أيمة ، إذا لم يكن لها زوج

[والصالحين من عبادكم وإمائكم] أي وأنكحوا كذلك أهل التقى والصلاح ، من عبيدكم وجواريكم ، قال البيضاوي : وتخصيص الصالحين لأن إحصان دينهم والإهتمام بشأنهم أهم ، وفيه إشارة إلى مكانة التقى والصلاح في الإنسان

[إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله] أي إن يكن هؤلاء الذين تزوجونهم ، أهل فاقة وفقر ، فلا يمنعكم فقرهم من إنكاحهم ، ففى فضل الله ما يغنيهم

[والله واسع عليم] أي واسع الفضل ، جواد كريم ، يعطي الرزق من يشاء ، وهو عليم بمصالح العباد ، قال القرطبي : وهذا وعد بالغنى للمتزوجين طلبا لرضى الله ، واعتصاما من معاصيه وقال ابن مسعود : التمسوا الغنى في النكاح وتلا هذه الآية وفي الحديث الشريف : (ثلاثة حق على الله عونهم : الناكح يريد العفاف ، والمكاتب يريد الأداء ، والغازي في

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

سبيل الله)

[وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا] أي وليجتهد في العفة وقمع الشهوة ، الذين لا تتيسر لهم سبل الزواج لأسباب مادية

[حتى يغنيهم الله من فضله] أي حتى يوسع الله عليهم ، ويسهل لهم أمر الزواج ، فإن العبد إذا اتقى الله ، جعل الله له من أمره فرجا ومخرجا

[والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم] أي والذين يريدون أن يتحرروا من (رق العبودية) بمكاتبة أسيادهم من العبيد والأرقاء

[فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرا] أي فكاتبوهم على قدر من المال ، إن عرفتم منهم الأمانة والديانة ، ليصيروا أحرارا

[وآتوهم من مال الله الذي آتاكم] أي أعطوهم مما أعطاكم الله من الرزق ليكون لهم عونا على فكاك أنفسهم

[ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء] أي لا تجبروا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إماءكم على الزنى

[إن أردن تحصنا] أي إن أردن التعفف عن مقارفة الفاحشة ، وليس هذا للقيد أو الشرط ، وإنما هو لبيان فظاعة الأمر وشناعته ، فالأصل في المملوكة ان يحصنها سيدها ، أما أن يأمرها بالزنى وتمتنع وتريد العفة ، فذلك منتهى الخسة والدناءة منه ، قال المفسرون : نزلت في (عبد الله بن سلول) المنافق كان له جاريتان إحداهما تسمى " مسيكة " والثانية تسمى " أميمة " فكان يأمرهما بالزنى للكسب ، ويضربهما على ذلك ، فشكتا ذلك إلى رسول الله ، فنزلت الآية

[لتبتغوا عرض الحياة الدنيا] أي لأجل أن تنالوا حطام هذه الحياة الزائل ، وتحصلوا على المال بطريق الفاحشة والرذيلة

[ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم] أي ومن يجبرهن على الزنى فإن الله غفور لهن ، رحيم بهن ، لا يؤاخذهن بالزنى ، لأنهن أكرهن عليه ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وسينتقم ممن أكرههن أشد انتقام
[ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات] أي والله لقد أنزلنا إليكم أيها المؤمنون آيات واضحات ، وأحكاما مفصلات
[ومثلا من الذين خلوا من قبلكم] وضربنا لكم الأمثال بمن سبقكم من الأمم ، لتتعظوا وتعتبروا
[وموعظة للمتقين] أي وعظة وذكرى للمتقين ، الذين يخافون عذاب الله !
البلاغة :
تضمنت الآيات الكريمة وجوها من البيان والبديع نوجزها فيما يلي :

---

1 - الإستعارة اللطيفة [لا تتبعوا خطوات الشيطان] شبه سلوك طريق الشيطان ، والسير في ركابه ، بمن يتتبع خطوات الآخر خطوة خطوة بطريق الإستعارة البديعة .
2 - الإيجاز بالحذف [أن يؤتوا] أي أن لا يؤتوا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

حذفت منه [لا] لدلالة المعنى وهو كثير في اللغة .

3 - صيغة الجمع للتعظيم [ألا تحبون أن يغفر الله لكم] والمراد به (أبو بكر الصديق) رضي الله عنه وأرضاه .

4 - الجناس الناقص بين [يعملون] و[يعلمون] .

5 - المقابلة اللطيفة بين [الخبيثات للخبيثين . . والطيبات للطيبين] .

6 - الطباق بين [تبدون . . وتكتمون] .

7 - الإيجاز بالحذف [يغضوا من أبصارهم] لأن المراد غض البصر عما (حرم الله) لا عن كل شيء ، فحذف ذلك اكتفاء بفهم المخاطبين .

8 - المجاز المرسل [ولا يبدين زينتهن] المراد مواقع الزينة وهو من باب إطلاق اسم الحال على المحل ، وذكر الزينة دون مواقعها للمبالغة في الأمر بالتستر والتصون .

فائدة :

قال بعض المحققين : إن (يوسف) لما رمي بالفاحشة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

برأه الله على لسان صبي في المهد ، وإن (مريم) لما رميت بالفاحشة برأها الله على لسان ابنها (عيسى) عليه السلام ، وإن (عائشة) لما رميت بالفاحشة برأها الله فى كتابه العزيز ، فما رضي الله لها ببراءة صبى ، ولا نبي ، حتى برأها الله في القرآن من القذف والبهتان.

تنبيه :

السر في تقديم غض البصر على حفظ الفروج [يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم] هو أن النظر بريد الزنى ورائد الفجور ، وهو مقدمة للوقوع في الخطر ، كما قال الشاعر : وكنت إذا أرسلت طرفك رائدا لقلبك يوما اتعبتك المناظر رأيت الذي لا كله أنت قادر عليه وعلى عن بعضه أنت صابر

لطيفة :

ذكر أن قسيسا أراد أن ينال من المسلمين ، بالطعن في أم المؤمنين السيدة (عائشة) رضي الله عنها ، فقال : إن الناس رموها بالإفك ، ولا ندري أهي بريئة أم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

متهمة ؟ فأجابه بعض الحاضرين بقوله : اسمع يا هذا ، هناك امرأتان اتهمتا بالزنى ، وقد برأهما القرآن الكريم ، إحداهما ليس لها زوج وقد جاءت بولد ، والأخرى لها زوج ولم يأتها ولد - يقصد مريم وعائشة - فأيتهما أحرى بالتهمة ؟ فخرس القسيس وأسقط في يده ، ولم ينبس ببنت شفة ، لقوة الحجة.

قال الله تعالى : [الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح . .] إلى قوله [فأولئك هم الفائزون] . من آية (35) إلى نهاية آية (52) .

المناسبة :

لما وصف تعالى نفسه بأنه أنزل آيات مبينات ، وأقام دلائل واضحات على وحدانيته ، واختصاصه بتشريع الأحكام التي بها سعادة المجتمع ، عقبه بذكر مثلين : أحدهما في بيان أن دلائل الوحدانية والإيمان في غاية الظهور ، والثاني : في بيان أن أديان الكفار في نهاية الظلمة والخفاء ، وبالمقارنة بين المثلين ، يتضح الصبح لذي عينين .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

اللغة :

[مشكاة] المشكاة : الكوة في الحائط غير النافذة ، وأصلها الوعاء يجعل فيه الشيء

[دري] متلألىء وقاد ، يشبه الدر في صفائه ولمعانه

[سراب] السراب : ما يتراءى للعين وسط النهار عند اشتداد الحر يشبه الماء الجاري وليس بماء ، سمى سرابا لأنه يسرب أي يجري كالماء ، قال الشاعر :

فلما كففنا الحرب كانت عهودكم كلمع سراب بالفلا متألق

[قيعة] قال الفراء : هو جمع قاع مثل جار وجيرة ، والقاع المنبسط المستوى من الأرض ، وقال الزمخشري : القيعة بمعنى القاع وليس جمعا ، وهكذا قال ابو عبيدة

[لجي] اللجى : الذي لا يدرك قعره لعمقه ، واللجة معظم الماء ، والجمع لجج ، والتج البحر : تلاطمت أمواجه

[يزجي] الإزجاء : سوق الشيء برفق وسهولة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ركاما] مجتمعا يركب بعضه بعضا

[الودق] : المطر ، قال الليث : الودق المطر كله شديده وهينة

[سنا] : السنا : الضوء واللمعان قال الشماخ : وما كادت إذا رفعت سناها ليبصر ضوءها إلا البصير

[مذعنين] خاضعين منقادين ، أذعن للأمر خضع له

[يحيف] يجور ويظلم .

التفسير :

[الله نور السموات والأرض] أي الله جل وعلا منور السموات والأرض ، أنار السموات بالكواكب المضيئة ، والأرض بالشرائع والأحكام ، وبعثة الرسل الكرام ، قال الطبري : أي هادي أهل السموات والأرض فهم بنوره إلى الحق يهتدون ، وبهداه من حيرة الضلالة يعتصمون وقال القرطبي : النور عند العرب : الضوء المدرك بالبصر ، واستعمل مجازا في المعاني فيقال كلام له نور ، قال الشاعر : نسب كأن عليه من شمس

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الضحى نورا ومن فلق الصباح عمودا والناس يقولون : فلان نور البلد ، وشمس العصر وقمره ، فيجوز أن يقال : الله نور على جهة المدح ، لأن جميع الأشياء منه ابتداؤها ، وعنه صدورها ، وبقدرته استقامت أمورها ، وقال ابن عطاء الله : " الكون كله ظلمة ، أناره ظهور الحق فيه ، إذ لولا وجود الله ما وجد شيء من العالم " وفي الحديث الشريف : (اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن) وقال ابن مسعود : " ليس عند ربكم ليل ولا نهار ، نور السموات والأرض من نور وجهه " وقال ابن القيم : سمى الله سبحانه نفسه نورا ، وجعل كتابه نورا ، ورسوله نورا ، واحتجب عن خلقه بالنور ، وقد فسرت الآية بأنه منور السموات والأرض ، وهادي أهل السموات والأرض ، وما قاله ابن مسعود أقرب الى تفسير الآية من قول من فسرها بأنه هادي أهل السموات والأرض ، وأما من فسرها بأنه منور السموات والأرض فلا تنافي بينه وبين قول ابن مسعود

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

((أقول : في هذا الضمير {مثل نوره } للمفسرين فيه قولان أحدهما : أنه عائد إلى الله عز وجل ، اي مثل هدى الله ، ونور الله ، في قلب عبده المؤمن ، كمصباح في فتحة حائط ، ليكون أجمع للضوء ، وهذا قول ابن عباس ، والثاني : أن الضمير عائد إلى المؤمن ، أى مثل نور المؤمن الذي في قلبه كمصباح وهاج فى فتحة حائط ، يشعل هذا المصباح بزيت الزيتون الصافي ، فهو مثل ضربه الله للمؤمن بدليل قوله تعالى فى نهاية الآية الكريمة {ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شىء عليم }))

[مثل نوره] أي مثل نور الله سبحانه في قلب عبده المؤمن

[كمشكاة فيها مصباح] أي ككوة في الحائط لا منفذ لها ليكون أجمع للضوء ، وضع فيها سراج ثاقب ساطع ، قال في التسهيل : المعنى صفة نور الله في وضوحه ، كصفة مشكاة - أي فتحة - فيها مصباح على أعظم ما يتصوره البشر ، من الإضاءة والإنارة ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وإنما شبه بالمشكاة - وإن كان نور الله أعظم - لأن ذلك هو ما يدركه الناس من الأنوار ، ضرب لهم به المثل

[المصباح في زجاجة] أي في قنديل من الزجاج الصافي

[الزجاجة كأنها كوكب دري] أي تشبه الكوكب الدري في صفائها وحسنها

[يوقد من شجرة مباركة] اي يشعل ذلك المصباح من زيت شجرة مباركة

[زيتونة] أي هي من شجر الزيتون الذي خصه الله بمنافع عديدة

[لا شرقية ولا غربية] أي ليست في جهة الشرق ، ولا في جهة الغرب ، وإنما هي في صحراء منكشفة ، تصيبها الشمس طول النهار ، لتكون ثمرتها أنضج ، وزيتها أصفى ، قال ابن عباس : هي شجرة بالصحراء لا يظلها شجر ، ولا جبل ، ولا كهف ، ولا يواريها شيء وهو أجود لزيتها

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار] مبالغة في وصف صفاء الزيت وحسنه وجودته ، أي يكاد زيت هذه الزيتونة ، يضيء من صفائه وحسن ضيائه ، ولو لم تمسه نار ، فكيف إذا مسته النار ؟

[نور على نور] أي نور فوق نور ، فقد اجتمع (نور السراج) ، و(حسن الزجاجة) ، و(صفاء الزيت) ، فاكتمل النور الممثل به

[يهدي الله لنوره من يشاء] أي يوفق الله لاتباع نوره - وهو القرآن - من يشاء من عباده

[ويضرب الله الأمثال للناس] أي يبين لهم الأمثال تقريبا لأفهامهم ، ليعتبروا ويتعظوا بما فيها من الأسرار والحكم

[والله بكل شيء عليم] أي هو سبحانه واسع العلم ، لا يخفى عليه شيء من أمر الخلق ، وفيه وعد ووعيد ، قال الطبري : ذلك مثل ضربه الله للقرآن في قلب أهل الإيمان به ، فقال : مثل نور الله الذي أنار به لعباده

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

سبيل الرشاد ، مثل كوة في الحائط ، لا منفذ لها ، فيها مصباح أي سراج ، وجعل السراج مثلا لما في قلب المؤمن من القرآن والآيات البينات ثم قال : [المصباح في زجاجة] وذلك مثل للقرآن في قلب المؤمن الذي أنار الله صدره ، فخلص من الكفر والشك ، ثم قال : [الزجاجة كأنها كوكب دري] أي كأن الزجاجة في صفائها وضيائها ، كوكب يشبه الدر في الصفاء والضياء والحسن [يوقد من شجرة مباركة لا شرقية ولا غربية] أي توقد هذا المصباح من دهن شجرة مباركة ، هي (شجرة الزيتون) ليست شرقية تطلع عليها الشمس بالعشي دون الغداة ، وإنما هي في سهل فسيح ، تصيبها الشمس طول النهار ، فيكون زيتها أجود وأصفى وأضوأ [يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار] أي يكاد زيت هذه الزيتونة يضيء من صفائه وحسن ضيائه ، وعنى بها أن حجج الله على خلقه تكاد من بيانها ووضوحها تضيء لمن فكر فيها ونظر ، ولو لم يزدها الله بيانا ووضوحا بنزول هذا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

القرآن ، فكيف وقد نبههم به وذكرهم بآياته فزادهم به حجة! وذلك بيان من الله ونور على البيان. ثم لما ذكر تعالى هدايته لمن يشاء من عباده ، ذكر مواطن هذه العبادة وهي المساجد أحب البقاع إلى الله فقال :

[في بيوت أذن الله أن ترفع] أي أمر تعالى أن تبنى وتشاد على إسمه خاصة ، وأن تعظم ويرفع شأنها ، لتكون منارات للهدى ، ومراكز للإشعاع الروحي ، قال ابن عباس : المساجد بيوت الله في الأرض ، تضيء لأهل السماء كما تضيء النجوم لأهل الارض

[ويذكر فيها اسمه] أي يعبد فيها الله بتوحيده ، وذكره ، وتلاوة آياته

[يسبح له فيها بالغدو والآصال] أي يصلي لله تعالى في هذه المساجد ، في الصباح والمساء المؤمنون ، قال ابن عباس : كل تسبيح فى القرآن فهو صلاة

[رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله] أي لا تشغلهم الدنيا وزخرفها وزينتها عن ذكر ربهم ، ولا يلهيهم البيع والشراء عن طاعة الله ، قال المفسرون :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

نزلت هذه الآية في أهل الأسواق من الصحابة رضوان الله عليهم ، كانوا إذا سمعوا النداء ، تركوا كل شغل وبادروا لطاعة الله

[وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة] أي ولا تشغلهم الدنيا عن إقامة الصلاة في أوقاتها ، ودفع الزكاة للفقراء والمستحقين ، بحدودها وشروطها

[يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار] أي يخافون يوما رهيبا ، تضطرب من شدة هوله وفزعه قلوب الناس وأبصارهم

[ليجزيهم الله أحسن ما عملوا] اي ليكافئهم الله على أعمالهم في الدنيا بأحسن الجزاء ، ويجزيهم على الإحسان إحسانا ، وعلى الإساءة عفوا وغفرانا

[ويزيدهم من فضله] أي يتفضل عليهم فوق ذلك الجزاء ، بما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر

[والله يرزق من يشاء بغير حساب] أي يعطي من شاء من خلقه ، عطاء واسعا بدون حد ولا عد ، يقال :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فلان ينفق بغير حساب أي يوسع كأنه لا يحسب ما ينفقه ! نبه تعالى في هذه الآية ، على كمال قدرته ، وكمال جوده ، وسعة إحسانه ، فإنه سبحانه يعطيهم الثواب العظيم على طاعاتهم ، ويزيدهم الفضل الذي لا حد له في مقابلة خوفهم . . ولما ذكر تعالى حال المؤمن وسعادته ، ذكر حال الكافر وخسارته ، وضرب لذلك مثلين : الأول لعمله ، والثاني لإعتقاده الخبيث ، وتخبطه فى الظلمات فقال سبحانه :

[والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة] أي إن أعمال الكفار التي عملوها في الدنيا ، وظنوها أعمالا صالحة نافعة لهم في الآخرة ، كالسراب الذي يرى في الفلوات من ضوء الشمس وقت الظهيرة ، حتى يظهر كأنه ماء يجري على وجه الأرض

[يحسبه الظمآن ماء] أي يظنه العطشان من بعيد ماء جاريا

[حتى إذا جاءه] أي حتى إذا وصل إليه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[لم يجده شيئا] أي لم ير ماء ولا شرابا ، وإنما رأى سرابا ، فعظمت حسرته ، وزاد بلاؤه

[ووجد الله عنده فوفاه حسابه] أي وجد الله له بالمرصاد ، فوفاه جزاء عمله ، فكذلك الكافر يحسب أن عمله ينفعه ، حتى إذا مات وقدم على ربه ، لم يجد شيئا من الأعمال ، لأنها ذهبت هباء منثورا

[والله سريع الحساب] أي حسابه لخلق سريع ، لا يحتاج إلى طول زمانه ، لأنه لا يشغله محاسبة واحد عن آخر

[أو كظلمات في بحر لجي] هذا المثل الثاني لضلال الكفار ، والمعنى : أو مثلهم كظلمات متكاثفة ، في بحر عميق لا يدرك قعره

[يغشاه موج من فوقه موج] أي يغطي ذلك البحر ويعلوه موج متلاطم بعضه فوق بعض

[من فوقه سحاب] أي من فوق ذلك الموج الثاني سحاب كثيف

[ظلمات بعضها فوق بعض] أي هي ظلمات متكاثفة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

متراكمة بعضها فوق بعض ، قال قتادة : الكافر يتقلب في خمس من الظلم : فكلامه ظلمة ، وعمله ظلمة ، ومدخله ظلمة ، ومخرجه ظلمة ، ومصيره إلى الظلمات يوم القيامة إلى نار جهنم

[إذا أخرج يده لم يكد يراها] هذا من تتمة التمثيل ، أي إذا أخرج ذلك الإنسان الواقع في هذه الظلمات يده ، لم يقارب رؤيتها ، فإن " ظلمة البحر ، ، و " ظلمة الموج " ، و " ظلمة السحاب " قد تكاثفت حتى حجبت عنه رؤية أقرب شيء إليه ، من شدة الظلمة ، فكذلك شأن الكافر يتخبط في ظلمات الكفر والضلال

[ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور] أي ومن لم يهده الله للإيمان ، وينور قلبه بنور الإسلام ، لم يهتد أبد الدهر! ذكر تعالى لعمل الكافر مثالين : الأول لعمله الصالح ، ومثل له بالسراب الخادع ، والثاني لإعتقاده السيىء ومثل له بالظلمات ، المتراكم بعضها فوق بعض ، ثم ختم الآية الكريمة ذلك الختام الرائع بقوله :

[ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور] مقابل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قوله في المؤمن [نور على نور] فكان هذا التمثيل والبيان في غاية الحسن والجمال ، فلله ما أروع تعبير القرآن! ولما وصف سبحانه أنوار المؤمنين ، وظلمات قلوب الجاهلين ، أتبع ذلك بدلائل التوحيد فقال تعالى :

[ألم تر أن الله يسبح له من في السموات والأرض] أي ألم تعلم يا أيها المخاطب ، علما يقينيا كأنه مشاهد بالعين ، أن الله العظيم الكبير ، يسبح له كل من في الكون من ملك ، وإنس ، وجن ، ينزهه ويقدسه ساكنوها ؟

[والطير صافات] أي والطير باسطات أجنحتهن حال الطيران ، تسبح ربها وتعبده كذلك ، بتسبيح ألهمها وأرشدها إليه تعالى

[كل قد علم صلاته وتسبيحه] أي كل من الملائكة والإنس والجن والطير ، قد أرشد وهدي إلى طريقته ومسلكه في عبادة الله ، وما كلف به من الصلاة والتسبيح

[والله عليم بما يفعلون] أي لا تخفى عليه طاعتهم ولا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تسبيحهم

[ولله ملك السموات والأرض] أي هو المالك والمتصرف في الكون ، وجميع المخلوقات تحت ملكه ، يتصرف فيهم تصرف القاهر الغالب

[وإلى الله المصير] أي وإليه مرجع الخلائق فيجازيهم على أعمالهم ، وهو تذكير يتضمن الوعيد! ثم أشار تعالى إلى ظاهرة كونية تدل على قدرته ووحدانيته فقال سبحانه :

[ألم تر أن الله يزجي سحابا] أي يسوق بقدرته السحاب إلى حيث يشاء

[ثم يؤلف بينه] أى يجمعه بعد تفرقه

[ثم يجعله ركاما] أي يجعله كثيفا متراكما بعضه فوق بعض

[فترى الودق يخرج من خلاله] أي فترى المطر يخرج من بين السحاب الكثيف

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وينزل من السماء من جبال فيها من برد] أي وينزل من السحاب الذي هو كأمثال الجبال بردا

[فيصيب به من يشاء] أي فيصيب بذلك البرد من شاء من العباد ، فيضره في زرعه وثمرته وماشيته

[ويصرفه عمن يشاء] أي ويدفعه عمن يشاء فلا يضره ، قال الصاوى : كما ينزل المطر من السماء وهو نفع للعباد ، كذلك ينزل منها البرد وهو ضرر للعباد ، فسبحان من جعل السماء منشأ للخير والشر

[يكاد سنا برقه] أي يقرب ضوء برق السحاب

[يذهب بالأبصار] أى أن يخطف أبصار الناظرين ، من شدة إضاءته وقوة لمعانه

[يقلب الله الليل والنهار] أي يتصرف فيهما بالطول والقصر ، والظلمة والنور ، والحر والبرد

[إن في ذلك لعبرة] أي إن فيما تقدم ذكره لدلالة واضحة ، وعظة بليغة على وجود الصانع المبدع

[لأولي الأبصار] أي لذوي البصائر المستنيرة ، وخصهم بالذكر لأنهم المنتفعون ، حيث يتأملون

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فيجدون الماء والبرد ، والظلمة والنور تخرج من شيء واحد ، فسبحان القادر على كل شيء

[والله خلق كل دابة من ماء] استدل سبحانه على وحدانيته ، بتسبيح أهل السماء والأرض له ، ثم بتصريف السحاب وإنزال المطر ، ثم بأحوال الحيوانات ، قال ابن كثير : يذكر تعالى قدرته التامة وسلطانه العظيم ، في خلقه أنواع المخلوقات على اختلاف أشكالها وألوانها وحركاتها وسكناتها من ماء واحد

[فمنهم من يمشي على بطنه] أى فمنهم من يزحف على بطنه كالحية والزواحف

[ومنهم من يمشي على رجلين] كالإنسان والطير

[ومنهم من يمشي على أربع] كالأنعام وسائر الدواب ، قال ابو حيان : قدم ما هو أظهر في القدرة وأعجب ، وهو الماشي بغير آلة من رجل وقوائم ، ثم الماشى على رجلين ، ثم الماشي على أربع

[يخلق الله ما يشاء] أي يخلق تعالى بقدرته ما شاء

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من المخلوقات

[إن الله على كل شيء قدير] أي هو قادر على ما يشاء ، لا يمنعه مانع ، ولا يدفعه دافع ، قال الفخر : واعلم أن العقول قاصرة عن الإحاطة بأحوال أصغر الحيوانات على الكمال ، والإستدلال بها على الصانع ظاهر ، لأنه لو كان الأمر بتركيب الطبائع الأربع ، لكان في الكل على السوية ، فإختصاص كل واحد من هذه الحيوانات ، بأعضائها وأعمارها ومقادير أبدانها ، لا بد وأن يكون بتدبير قاهر حكيم ، سبحانه وتعالى عما يقول الجاحدون

[لقد أنزلنا آيات بينات] أي لقد أنزلنا إليكم أيها الناس آيات واضحات ، دالات على طريق الحق والرشاد

[والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم] أي يرشد من يشاء من خلقه إلى الدين الحق ، وهو (الإسلام)

ولما ذكر دلائل التوحيد حذر من النفاق والمنافقين فقال سبحانه

[ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا] أي يقول

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المنافقون : صدقنا بالله وبالرسول ، وأطعنا الله ورسوله

[ثم يتولى فريق منهم] أي لم يعرض جماعة منهم عن قبول حكمه

[من بعد ذلك] أي من بعد ما صدر ، منهم ما صدر من دعوى الإيمان والطاعة

[وما أولئك بالمؤمنين] أي وليس أولئك الذين يدعون الإيمان والطاعة ، بمؤمنين على الحقيقة! قال الحسن : نزلت هذه الآية في المنافقين الذين كانوا يظهرون الإيمان ويسرون الكفر

[وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم] أي وإذا دعوا إلى حكم الله أو حكم رسوله

[إذا فريق منهم معرضون] أي استنكفوا وأعرضوا عن الحضور إلى مجلس الرسول

[وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين] أي وإن كان الحق بجانبهم جاءوا إلى رسول الله طائعين منقادين ، لعلمهم أنه عليه السلام يحكم بالحق ، نبه تعالى على

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أنهم إنما يعرضون ، متى عرفوا أن الحق لغيرهم ؟
أما إذا عرفوه لأنفسهم ، عدلوا عن الإعراض ،
وأذعنوا ببذل الرضا والقبول
[أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا] أي هل في قلوبهم
نفاق ؟ أم شكوا في نبوته عليه السلام ؟

[أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله] أي أم
يخافون أن يظلمهم رسول الله في الحكم ، والإستفهام
للمبالغة في التوبيخ والذم ، كقول الشاعر : ألست من
القوم الذين تعاهدوا على اللؤم والفحشاء في سالف
الدهر ؟
[بل أولئك هم الظالمون] أي بل هم الكاملون في
الظلم والعناد لإعراضهم عن حكم رسول الله
[إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله
ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا] أي كان الواجب
عليهم عندما يدعون إلى رسول الله ، للفصل بينهم
وبين خصومهم ، أن يسرعوا ويقولوا : سمعا وطاعة ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فلو كان هؤلاء مؤمنين لفعلوا ذلك ، قال الطبري : ولم يقصد به الخبر ولكنه تأنيب من الله للمنافقين ، وتأديب منه لآخرين

[وأولئك هم المفلحون] أي وأولئك المسارعون إلى مرضاة الله ، هم الفائزون بسعادة الدارين

[ومن يطع الله ورسوله] أي ومن يطع أمر الله وأمر رسوله في كل فعل وعمل

[ويخش الله ويتقه] أي ويخاف الله تعالى لما فرط منه من الذنوب ، ويمتثل أوامره ويجتنب زواجره

[فأولئك هم الفائزون] أي هم السعداء الناجون من عذاب الله ، الفائزون برضوانه . . ذكر أن بعض بطارقة الروم سمع هذه الآية فأسلم وقال : إنها جمعت كل ما في التوراة والإنجيل من مواعظ وروائع .

البلاغة :

تضمنت الآيات الكريمة وجوها من البلاغة والبديع نوجزها فيما يلي :

1 -إطلاق المصدر على اسم الفاعل للمبالغة [الله نور

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

السموات] بمعنى منور لكل شيء بحيث كأنه عين نوره ، قال الشريف الرضى : وفي الآية استعارة - على تفسير بعض العلماء - والمراد عندهم أنه هادي أهل السموات والأرض بصوادع برهانه ، ونواصع بيانه ، كما يهتدى بالأنوار الثاقبة والشهب اللامعة .

2 - التشبيه التمثيلي [مثل نوره كمشكاة فيها مصباح] شبه نور الله الذي وضعه في قلب عبده المؤمن ، بالمصباح الوهاج في كوة داخل زجاجة تشبه الكوكب الدري في الصفاء والحسن إلخ ، سمى تمثيليا لأن وجه الشبه منتزع من متعدد ، وهو من روائع التشبيه .

3- الإطناب بذكر الخاص بعد العام تنويها بشأنه [ذكر الله وإقام الصلاة] لأن الصلاة من ذكر الله تعالى .

4 - جناس الإشتقاق [تتقلب فيه القلوب] .

5 - التشبيه التمثيلي الرائع [والذين كفروا أعمالهم كسراب] إلخ وكذلك في قوله : [أو كظلمات في بحر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لجي] وهذا من روائع التشبيه وبدائع التمثيل .

6 - الطباق بين [يصيب به . . ويصرفه] .

7 - الإستعارة اللطيفة [يقلب الله الليل والنهار] إذ ليس المراد التقليب المادي للأشياء الذاتية وإنما استعير لتعاقب الليل والنهار .

8-الجناس التام [يذهب بالأبصار] [للأولي الأبصار] المراد بالأولى العيون ، وبالثانية الألباب والعقول .

لطيفة :

سمع بعض علماء الطبيعة من غير المسلمين هذه الآية [أو كظلمات في بحر لجى يغشاه موج..] الآية فسأل هل ركب محمد البحر ؟ فقالوا : لا ، فقال : أشهد أنه رسول الله ، قالوا : وكيف عرفت ؟ فقال : إن هذا الوصف للبحر ، لا يعرفه إلا من عاش عمره في البحارورأى الأهوال والأخطار ، فلما أخبرت أنه لم يركب البحر عرفت أنه كلام الله تعالى .

قال الله تعالى : [وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن أمرتهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ليخرجن . .] إلى قوله [والله بكل شيء عليم] . من آية (53) إلى آية (64) نهاية السورة الكريمة .

المناسبة :

لما ذكر تعالى المنافقين وما هم عليه من صفات قبيحة ، أعقبه بذكر ما انطوت عليه نفوسهم من المكر والاحتيال ، والحلف الكاذب بأغلظ الأيمان ، وختم السورة الكريمة بالتحذير من سلوك طريق المنافقين .

اللغة :

[الحلم] : الإحتلام في المنام ، قال في القاموس : الحلم : الرؤيا جمعه أحلام ، والحلم والإحتلام : الجماع في النوم وقال الراغب : هو زمان البلوغ سمي به لكون صاحبه جديرا بالحلم أي الأناة وضبط النفس

[القواعد] جمع قاعد بغير تاء لأنه خاص بالنساء ، كحائض وطامث وهي المرأة التي قعدت عن الزواج وعن الولد

[أشتاتا] متفرقين جمع شت وهو الإفتراق ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والشتات : الفرقة

[يتسللون] التسلل : الخروج خفية يقال : انسل وتسلل إذا خرج مستترا بطريق الخفية

[لواذا] اللواذ : أن يستتر بشيء مخافة أن يراه أحد.

سبب النزول :

روي أن رسول الله (ص) بعث غلاما من الأنصار يقال له : (مدلج) إلى عمر بن الخطاب وقت الظهيرة ليدعوه فوجده نائما ، فدق عليه الغلام الباب ودخل ، فاستيقظ عمر وجلس فانكشف منه شيء ، فقال : وددت أن الله نهى أبناءنا ونساءنا وخدمنا عن الدخول في هذه الساعات إلا بإذن ، ثم انطلق إلى رسول الله (ص) فوجد الآية قد أنزلت [يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم . .] فخر ساجدا شكرا لله تعالى.

التفسير :

[وأقسموا بالله جهد أيمانهم] أي حلف المنافقون أغلظ الإيمان وآكدها

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[لئن أمرتهم ليخرجن] أي لئن أمرتهم بالخروج إلى الجهاد ليخرجن معك ، قال مقاتل : لما بين الله إعراض المنافقين وإمتناعهم عن قبول حكمه عليه السلام أتوه فقالوا : لو أمرتنا أن نخرج من ديارنا وأموالنا ونسائنا لخرجنا ، وإن أمرتنا بالجهاد لجاهدنا فنزلت

[قل لا تقسموا] أي لا تحلفوا فإن أيمانكم كاذبة

[طاعة معروفة] أي طاعتكم لله ورسوله معروفة ، فإنها باللسان دون القلب ، وبالقول دون العمل

[إن الله خبير بما تعملون] أي بصير لا يخفى عليه شيء من خفاياكم ونواياكم

[قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول] أي أطيعوا الله بإخلاص النية وترك النفاق ، وأطيعوا الرسول بالإستجابة لأمره والتمسك بهديه

[فإن تولوا] أي فإن تتولوا وتعرضوا عن طاعته

[فإنما عليه ما حمل] أي على الرسول ما كلف به من تبليغ الرسالة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وعليكم ما حملتم] أي وعليكم ما كلفتم به من السمع والطاعة ، واتباع أمره عليه السلام

[وإن تطيعوه تهتدوا] أي وإن أطعتم أمره ، فقد اهتديتم إلى طريق السعادة والفلاح

[وما على الرسول إلا البلاغ المبين] أي ليس عليه إلا التبليغ الواضح للأمة ، ولا ضرر عليه إن خالفتم وعصيتم ، فإنه قد بلغ الرسالة وأدى الأمانة

[وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات] أي وعد الله المؤمنين المخلصين الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح

[ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم] أي وعدهم بميراث الأرض ، وأن يجعلهم فيها خلفاء متصرفين فيها تصرف الملوك في ممالكهم ، كما استخلف المؤمنين قبلهم فملكهم ديار الكفار ، قال المفسرون : لما قدم رسول الله (ص) وأصحابه المدينة رمتهم العرب عن قوس واحدة ، فكانوا لا يبيتون إلا في السلاح ، ولا يصبحون إلا في لأمتهم - أي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

سلاحهم - فقالوا أترون أنا نعيش حتى نبيت آمنين مطمئنين ؟ لا نخاف إلا الله عز وجل ! فنزلت الآية ، وهذا وعد ظهر صدقه بفتح مشارق الأرض ومغاربها لهذه الأمة ، وفي الحديث بشارة كذلك فقد قال (ص) : " إن الله زوى لي الأرض ، فرأيت مشارقها ومغاربها ، وإن ملك أمتي سيبلغ ما زوي لي منها "

[وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم] أي وليجعلن دينهم - الإسلام - الذي ارتضاه لهم عزيزا مكينا عاليا على كل الأديان

[وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا] أي وليغيرن حالهم التي كانوا عليها من الخوف والفزع ، إلى الأمن والإستقرار ، كقوله سبحانه : [وآمنهم من خوف]

[يعبدونني لا يشركون بي شيئا] استئناف بطريق الثناء عليهم كالتعليل للإستخلاف في الأرض ، أي يوحدونني ويخلصون لي العبادة ، لا يعبدون إلها غيري

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ومن كفر بعد ذلك] أي فمن جحد شكر هذه النعم

[فأولئك هم الفاسقون] هم الخارجون عن طاعة الله ، العاصون أمر الله ، قال ابو العالية : أي من كفر بهذه النعمة وليس يعني الكفر بالله ، قال الطبري : وهو أشبه بتأويل الآية لأن الله وعد الإنعام على هذه الأمة بما أخبر في هذه الآية بأنه منعم به عليهم ثم قال :

[ومن كفر] أي كفر هذه النعمة [فأولئك هم الفاسقون]

[وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة] أي أقيموا أيها المؤمنون الصلاة ، وأدوا الزكاة على الوجه الأكمل الذي يرضي الله

[وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون] أي أطيعوا الرسول في سائر ما أمركم به رجاء الرحمة

[لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الأرض] تسلية للنبي (ص) ووعد له بالنصرة ، أي لا تظنن يا محمد الكافرين الذين عاندوك وكذبوك ، معجزين لله في هذه الحياة ، بل الله قادر عليهم في كل حين وآن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ومأواهم النار] أي مرجعهم نار جهنم

[ولبئس المصير] أي بئس المرجع والمآل الذي يصيرون إليه

[يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم] أي يا أيها المؤمنون الذين صدقوا الله ورسوله ، وأيقنوا بشريعة الإسلام نظاما وحكما ومنهاجا ، ليستأذنكم في الدخول عليكم العبيد والإماء الذين تملكونهم ملك اليمين

[والذين لم يبلغوا الحلم منكم] أي والأطفال الذين لم يبلغوا مبلغ الرجال الأحرار ليستأذنوا أيضا

[ثلاث مرات] أي في ثلاثة أوقات

[من قبل صلاة الفجر] أي في الليل وقت نومكم وخلودكم إلى الراحة

[وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة] أي وقت الظهر حين تخلعون ثيابكم للقيلولة

[ومن بعد صلاة العشاء] أي ووقت إرادتكم النوم وإستعدادكم له

[ثلاث عورات لكم] أي هي ثلاثة أوقات يختل فيها

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تستركم ، العورات فيها بادية ، والتكشف فيها غالب ، فعلموا عبيدكم وخدمكم وصبيانكم ، ألا يدخلوا عليكم في هذه الأوقات إلا بعد الإستئذان

[ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن] أي ليس عليكم ولا على المماليك والصبيان حرج في الدخول عليكم بغير استئذان بعد هذه الأوقات الثلاثة

[طوافون عليكم بعضكم على بعض] أي لأنهم خدمكم يطوفون عليكم للخدمة ، يمضون ويجيئون ويدخلون عليكم في المنازل ، غدوة وعشية بغير إذن إلا في تلك الأوقات

[كذلك يبين الله لكم الآيات] أي مثل ذلك التوضيح والبيان ، يبين الله لكم الأحكام الشرعية لتتأدبوا بها

[والله عليم حكيم] أي عالم بأمور خلقه ، حكيم في تدبيره لهم

[وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم] أي وإذا بلغ هؤلاء الأطفال الصغار مبلغ الرجال ، وأصبحوا في سن التكليف

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم] أي فعلموهم الأدب السامي ، أن يستأذنوا في كل الأوقات ، كما يستأذن الرجال البالغون

[كذلك يبين الله لكم آياته] أي يفصل لكم أمور الشريعة والدين

[والله عليم حكيم] أي عليم بخلقه حكيم فى تشريعه ، قال البيضاوي : كرره تأكيدا ومبالغة في الأمر بالإستئذان

[والقواعد من النساء] أي والنساء العجائز اللواتي قعدن عن التصرف ، وطلب الزواج لكبر سنهن

[اللاتي لا يرجون نكاحا] أي لا يطمعن في الزواج ولا يرغبن فيه ، لإنعدام دوافع الشهوة فيهن

[فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن] أي لا حرج ولا إثم عليهن في أن يضعن بعض ثيابهن ، كالرداء والجلباب ، ويظهرن أمام الرجال بملابسهن المعتادة التي لا تلفت إنتباها ، ولا تثير شهوة

[غير متبرجات بزينة] أي غير متظاهرات بالزينة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لينظر إليهن ، قال ابو حيان : وحقيقة التبرج إظهار ما يجب إخفاؤه ، ورب عجوز شمطاء يبدو منها الحرص على أن يظهر بها جمال

[وأن يستعففن خير لهن] أي وأن يستترن بإرتداء الجلباب ولبس الثياب ، كما تلبسه الشابات من النساء ، مبالغة في التستر والتعفف ، خير لهن وأكرم ، وأزكى عند الله وأطهر

[والله سميع عليم] أي يعلم خفايا النفوس ويجازي كل إنسان بعمله ، وفيه وعد وتحذير

[ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج] أي ليس على أهل الأعذار (الأعمى ، والأعرج ، والمريض) حرج ولا إثم في القعود عن الغزو ، لضعفهم وعجزهم

[ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم] أي وليس عليكم أيها الناس إثم أن تأكلوا من بيوت أزواجكم وعيالكم ، قال البيضاوي : فيدخل فيها بيوت الأولاد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لأن بيت الولد كبيته لقوله عليه السلام : إن أطيب ما يأكل المرء من كسبه ، وإن ولده من كسبه

[أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت إخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم ، أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم] أي لا حرج في الأكل من بيوت هؤلاء الأقارب قال الرازي : والظاهر أن إباحة الأكل لا تتوقف على الإستئذان لأن العادة أن هؤلاء القوم تطيب أنفسهم بأكل الأقارب

[أو ما ملكتم مفاتحه] أي البيوت التي توكلون عليها وتملكون مفاتيحها في غياب أهلها ، قالت عائشة : كان المسلمون يذهبون مع رسول الله في الغزو ويدفعون مفاتحهم إلى ضمنائهم ويقولون : قد أحللنا لكم الأكل منها ، فكانوا يقولون : إنه لا يحل لنا أن نأكل ، إنهم أذنوا لنا عن غير طيب أنفسهم ، وإنما نحن أمناء فأنزل الله [أو ما ملكتم مفاتحه]

[أو صديقكم] أي أو بيوت أصدقائكم وأصحابكم ، قال قتادة : إذا دخلت بيت صديقك فلا بأس أن تأكل بغير

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إذنه

[ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا] أي ليس عليكم إثم أو حرج أن تأكلوا مجتمعين أو متفرقين ، قال المفسرون : نزلت في حي من كنانة كان الرجل منهم لا يأكل وحده ، يمكث يومه فإن لم يجد من يؤاكله لم يأكل شيئا ، وربما كانت معه الإبل الحفل فلا يشرب من ألبانها حتى يجد من يشاربه ، فأخبرهم تعالى بأن الرجل إذا أكل وحده لا حرج عليه

[فإذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم] أي إذا دخلتم بيوتا مسكونة ، فسلموا على من فيها من الناس

[تحية من عند الله مباركة طيبة] أي حيوهم بتحية الإسلام " السلام عليكم " وهي التحية المباركة الطيبة التي شرعها الله لعباده المؤمنين ، قال القرطبي : وصفها بالبركة لأن فيها الدعاء واستجلاب المودة ، ووصفها بالطيب لأن سامعها يستطيبها

[كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون] قال ابن كثير : لما ذكر تعالى في هذه السورة الكريمة من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الأحكام المحكمة ، والشرائع المبرمة ، نبه عباده على أنه يبين لهم الآيات بيانا شافيا ليتدبروها ويتعقلوها لعلهم يعقلون

[إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله] أي إنما المؤمنون الكاملون في الإيمان ، الذين صدقوا الله ورسوله تصديقا جازما لا يخالجه شك

[وإذا كانوا معه على أمر جامع] أي وإذا كانوا مع الرسول في أمر هام ، فيه مصلحة للمسلمين

[لم يذهبوا حتى يستاذنوه] أي لم يتركوا مجلسه حتى يستأذنوه فيأذن لهم ، قال المفسرون : نزلت هذه الآية في وقت حفر الخندق ، فإن بعض المؤمنين كانوا يستأذنون في الإنصراف لضرورة ، وكان المنافقون يذهبون بغير إستئذان ، فنزلت تمدح المؤمنين الخالصين ، وتعرض بذم المنافقين

[إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله] هذا توكيد لما تقدم ذكره تفخيما وتعظيما لشأن الرسول ، أي إن الذين يستأذنونك يا أيها الرسول

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أولئك هم المؤمنون حقا ، قال البيضاوي : أعاده مؤكدا على أسلوب أبلغ ، فإن جعل المستأذنين هم المؤمنون ، عكس الأسلوب الأول ، وفيه تأكيد للأول بذكر لفظ الله ورسوله ، فيكون مصداقا ودليلا على صحة الإيمان

[فإذا استأذنوك لبعض شأنهم] أي فإذا استأذنك هؤلاء المؤمنون لبعض شؤونهم ومهامهم

[فأذن لمن شئت منهم] أي فإسمح لمن أحببت بالإنصراف إن كان فيه حكمة ومصلحة

[واستغفر لهم الله] أي وأدع الله لهم بالعفو والمغفرة ، فإن الإستئذان ولو لعذر قصور ، لأنه تقديم لأمر الدنيا على أمر الدين

[إن الله غفور رحيم] أي عظيم العفو واسع الرحمة

[لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا] أي لا تنادوا الرسول بإسمه كما ينادي بعضكم بعضا بإسمه ، بل قولوا : يا نبى الله ، ويا رسول الله ، تفخيما لمقامه وتعظيما لشانه! قال ابو حيان : لما كان

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

التداعي بالأسماء على عادة البداوة أمروا بتوقير رسول الله (ص) ودعائه بأحسن ما يدعى به ، نحو يا رسول الله ، يا نبى الله ، ألا ترى إلى بعض جفاة من أسلم كان يقول يا محمد فنهوا عن ذلك قال قتادة : أمرهم تعالى أن يفخموه ويشرفوه

[قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا] أي قد علم الله الذين ينسلون قليلا قليلا ، ويخرجون من الجماعة في خفية ، يستتر بعضهم ببعض ، قال الطبرى : واللواذ هو أن يلوذ القوم بعضهم ببعض ، يستتر هذا بهذا وهذا بهذا

[فليحذر الذين يخالفون عن أمره] أي فليخف الذين يخالفون أمر الرسول ويتركون سبيله ومنهجه وسنته

[أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم] أي تنزل بهم محنة عظيمة في الدنيا ، أو ينالهم عذاب شديد في الآخرة

[ألا إن لله ما في السموات والأرض] أي له جل وعلا ما في الكون ملكا وخلقا وعبيدا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[قد يعلم ما أنتم عليه] أي قد علم ما في نفوسكم من الإيمان أو النفاق ، والإخلاص أو الرياء
[ويوم يرجعون إليه فينبئهم بما عملوا] أي ويوم القيامة يرجعون إليه فيخبرهم بما فعلوا في الدنيا ، من صغير وكبير ، وجليل وحقير ، ويجازي كلا بعمله
[والله بكل شيء عليم] أي لا يخفى عليه خافية ، لأن الكل خلقه وملكه ، وهم في قبضته وسلطانه ، لا تخفى عليه أعمالهم وأحوالهم .
البلاغة :
تضمنت الآيات وجوها من البلاغة والبيان نوجزها فيما يلي :
1 - الإستعارة اللطيفة [جهد أيمانهم] شبه الإيمان التي يحلف بها المنافقون ، بالغين فيها أقصى المراتب في الشدة والتوكيد ، بمن يجهد نفسه في أمر شاق لا يستطيعه ، ويبذل أقصى وسعه وطاقته ، بطريق الإستعارة التبعية .
2 - المشاكلة [عليه ما حمل وعليكم ما حملتم] أي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عليه أمر التبليغ وعليكم وزر التكذيب فالمعنى في الموضعين مختلف .

3 - الطباق بين الخوف والأمن [من بعد خوفهم أمنا] وكذلك بين (الجميع والأشتات) [جميعا أو أشتاتا] لأن المعنى مجتمعين ومتفرقين .

4 - الإطناب بتكرير لفظ الحرج لترسيخ الحكم في الأذهان [ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج] .

5 - صيغة المبالغة [غفور رحيم] .

فائدة :

قال بعض السلف : من أمر السنة على نفسه ، قولا وفعلا نطق بالحكمة ، ومن أمر الهوى على نفسه قولا وفعلا نطق بالبدعة ، لقوله تعالى : [وإن تطيعوه تهتدوا] .

لطيفة :

قيل لبعضهم : من أحب إليك أخوك أم صديقك ؟ فقال : لا أحب أخي إذا لم يكن صديقي ! وقال ابن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عباس : " الصديق أوكد من القريب ألا ترى استغاثة الجهنميين حين قالوا : [فما لنا من شافعين ولا صديق حميم] ولم يستغيثوا بالآباء والأمهات " .

سورة الفرقان

مكية وآياتها سبع وسبعون آية

بين يدي السورة

سورة الفرقان مكية وهي تعنى بشئون العقيدة ، وتعالج شبهات المشركين حول رسالة محمد(ص) وحول القرآن العظيم ، ومحور السورة يدور حول آيات صدق القرآن ، وصحة الرسالة المحمدية ، وحول عقيدة الإيمان بالبعث والجزاء ، وفيها بعض القصص للعظة والإعتبار.

* ابتدأت السورة الكريمة بالحديث عن القرآن الذي تفنن المشركون بالطعن فيه ، والتكذيب بآياته ، فتارة زعموا أنه أساطير الأولين ، وأخرى زعموا أنه من إختلاق محمد أعانه عليه بعض أهل الكتاب ، وثالثة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

زعموا أنه سحر مبين ، فرد الله تعالى عليهم هذه المزاعم الكاذبة ، والأوهام الباطلة ، وأقام الأدلة والبراهين على أنه تنزيل رب العالمين ، ثم تحدثت عن موضوع الرسالة التى طالما خاض فيها المشركون المعاندون ، واقترحوا أن يكون الرسول ملكا لا بشرا ، وأن تكون الرسالة - على فرض تسليم الرسول من البشر - خاصة بذوي الجاه والثراء ، فتكون لإنسان غني عظيم ، لا لفقير يتيم ، وقد رد الله تعالى شبهتهم بالبرهان القاطع ، والحجة الدامغة ، التي تقصم ظهر الباطل .

* ثم ذكرت الآيات فريقا من المشركين عرفوا الحق وأقروا به ، ثم انتكسوا إلى جحيم الضلال ، وذكرت منهم " عقبة بن أبي معيط " الذي أسلم ثم ارتد عن الدين بسبب صديقه الشقي " أُبي بن خلف " وقد سماه القرآن الكريم بالظالم

[ويوم يعض الظالم على يديه] الآية وسمى صديقه بالشيطان .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

*وفى ثنايا السورة الكريمة جاء ذكر بعض الأنبياء إجمالا وجاء الحديث عن أقوامهم المكذبين ، وما حل بهم من النكال والدمار ، نتيجة لطغيانهم وتكذيبهم لرسل الله ، كقوم نوح ، وعاد ، وثمود ، وأصحاب الرس ، وقوم لوط ، وغيرهم من الكافرين الجاحدين ، كما تحدثت السورة عن دلائل قدرة الله ووحدانيته ، وعن عجائب صنعه وآثار خلقه في هذا الكون البديع ، الذي هو من آثار قدرة الله ، وشاهد من شواهد العظمة والجلال .

*وختمت السورة ببيان صفات عباد الرحمن ، وما أكرمهم الله به من الأخلاق الحميدة ، التي استحقوا بها الأجر العظيم في جنات النعيم .

التسمية :

سميت السورة الكريمة (سورة الفرقان) لأن الله تعالى ذكر فيها هذا الكتاب المجيد الذي أنزله على عبده محمد (ص) ، وكان النعمة الكبرى على الإنسانية لأنه النور الساطع والضياء المبين ، الذي فرق الله به بين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الحق والباطل ، والنور والظلام ، والكفر والإيمان ، ولهذا كان جديرا بأن يسمى الفرقان .

اللغة :

[تبارك] من البركة وهي كثرة الخير وزيادته ، ويأتي بمعنى التمجيد والتعظيم ، قال الشا عر : تباركت لامعط لشيء منعته وليس لما أعطيت يارب مانع

[نذيرا] النذير : المحذر من الهلاك

[نشورا] النشور : الإحياء بعد الموت

[مقرنين] مربوطين بالسلاسل ، قال عمرو بن كلثوم : فآبوا بالنهاب وبالسبايا وأبنا بالملوك مقرنينا

[ثبورا] هلاكا ودمارا

[بورا] مأخوذ من البوار وهو الهلاك ، قال أبو عبيدة : يقال رجل بور ورجال بور ومعناه هالك ، والبوار الهلاك . (تفسيرسورة الفرقان)

التفسير :

[تبارك الذي نزل الفرقان على عبده] أي تمجد وتعظم وتكاثر خير الله ، الذي نزل القرآن العظيم ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الفارق بين الحق والباطل على عبده محمد(ص)
[ليكون للعالمين نذيرا] أي ليكون محمد نبيا للخلق أجمعين مخوفا لهم من عذاب الله
[الذي له ملك السموات والأرض] أي هو تعالى المالك لجميع ما في السموات والأرض ، خلقا وملكا وعبيدا
[ولم يتخذ ولدا] أي وليس له ولد كما زعم اليهود والنصارى
[ولم يكن له شريك في الملك] أي وليس معه إله كما زعم عبدة الأوثان

[وخلق كل شئ فقدره تقديرا] أي أوجد كل شيء بقدرته ، مع الإتقان والإحكام ، قال في التسهيل : الخلق عبارة عن الإيجاد بعد العدم ، والتقدير عبارة عن إتقان الصنعة ، وتخصيص كل مخلوق بمقداره وصنعته ، وزمانه ومكانه ، ومصلحته وأجله ، وغير ذلك قال الرازي : وصف سبحانه ذاته بأربع أنواع من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

صفات الكبرياء : الأول : أنه المالك للسموات والأرض ، وهذا كالتتبيه على وجوده والثاني : أنه هو المعبود أبدا والثالث : أنه المنفرد بالألوهية والرابع : أنه الخالق لجميع الأشياء مع الحكمة والتدبير

[واتخدوا من دونه آلهة] أي عبد المشركون غير الله من الأوثان والأصنام

[لا يخلقون شيئا وهم يخلقون] أي لا يقدرون على خلق شيء أصلا ، بل هم مصنوعون بالنحت والتصوير ، فكيف يكونون آلهة مع الله ؟

[ولا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا] أي لا يستطيعون دفع ضر عنهم ، ولا جلب نفع لهم

[ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا] أي لا تملك أن تميت أحدا ، ولا أن تحيي أحدا ، ولا أن تبعث أحدا من الأموات ، قال الزمخشري : المعنى أنهم آثروا على عبادة الله عبادة آلهة لا يقدرون على شيء ، وإذا عجزوا عن دفع الضرر وجلب النفع ، الذي يقدر عليه العباد ، كانوا عن الموت والحياة والنشور ، الذي لا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يقدر عليها إلا الله أعجز

[وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه] أي وقال كفار قريش : ما هذا القرآن إلا كذب إختلقه محمد من تلقاء نفسه

[وأعانه عليه قوم آخرون] أي وساعده على هذا الاختلاق قوم من أهل الكتاب

[فقد جاءوا ظلما وزورا] أي جاءوا بالظلم والبهتان ، حيث جعلوا العربي يتلقن من العجمي (كلاما عربيا) أعجز بفصاحته جميع فصحاء العرب فكان كلامهم فيه محض الكذب والزور

[وقالوا أساطير الأولين اكتتبها] أي وقالوا في حق القرآن أيضا : إنه خرافات الأمم السابقين أمر أن تكتب له

[فهي تملى عليه بكرة وأصيلا] أي فهي تلقى وتقرأ عليه ليحفظها صباحا ومساءا ، قال ابن عباس : والقائل هو " النضر بن الحارث " وأتباعه ، والإفك أسوأ الكذب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض] هذا رد عليهم في تلك المزاعم ، أي قل لهم يا محمد : أنزله الله العليم القدير ، الذي لا يخفى عليه شيء في السموات والأرض

[إنه كان غفورا رحيما] أي أنه تعالى لم يعجل لكم العقوبة ، بل أمهلكم رحمة بكم ، لأنه واسع المغفرة رحيم بالعباد

[وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق] أي وقال المشركون : ما لهذا الذي يزعم الرسالة يأكل الطعام كما نأكل ؟ ويمشي في الأسواق لطلب المعاش كما نمشى ؟ إنه ليس بمَلَك ولا مَلِك ، لأن الملائكة لا تأكل ، والملوك لا تتبذل في الأسواق ؟ وفي قولهم : [ما لهذا الرسول] مع إنكارهم لرسالته تهكم وإستهزاء ، كأنهم يقولون : ما لهذا الإنسان الذي يزعم الرسالة ، ويدعي أنه رسول الله ، يأكل الطعام كما نأكل ! ؟ ويمشي في الأسواق ؟

[لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا] أي هلا بعث

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الله معه ملكا ، ليكون شاهدا له على صدق ما يدعيه !

[أو يلقى إليه كنز] أي يأتيه كنز من السماء فيستعين به ، ويستغني عن طلب المعاش

[أو تكون له جنة يأكل منها] أي يكون له بستان يأكل من ثماره

[وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا] أي وقال الكافرون : ما تتبعون أيها المؤمنون ، إلا إنسانا سحر فغلب على عقله ، فهو يزعم أنه رسول الله

[انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا] أي انظر كيف قالوا في حقك يا أيها الرسول ، تلك الأقاويل العجيبة ؟ الجارية لغرابتها مجرى الأمثال ! وكيف اخترعوا تلك الصفات والأحوال الشاذة ، فضلوا بذلك عن الهدى!

[فلا يستطيعون سبيلا] أي فلا يجدون طريقا إلى الحق بعد أن ضلوا عنه ، بتكذيبك وإنكار رسالتك ، ذكروا له عليه الصلاة والسلام خمس صفات ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وزعموا أنها تخل بالرسالة ، زعما منهم أن فضيلة الرسول على غيره تكون بأمور جسمانية ، وهذه غاية الجهالة والسفاهة ، فرد الله عليهم بأمرين : الأول : تعجيب الرسول (ص) من تناقضهم ، فتارة يقولون عنه شاعر ، وتارة ساحر ، وأخرى يقولون أنه مجنون ، حتى أصبحت تلك الأقوال الغريبة الشاذة ، والأمور العجيبة جارية مجرى الأمثال والثاني : أن الله تعالى لو أراد لأعطى نبيه خيرا مما اقترحوا ، وأفضل مما يتصورون ، وهو المراد بقوله

[تبارك الذى إن شاء جعل لك خيرا من ذلك] أي تمجد وتعظم الله الكبير الجليل ، الذي لو أراد لجعل لك خيرا من ذلك الذي ذكروه من نعيم الدنيا

[جنات تجرى من تحتها الأنهار] أي لو شاء لأعطاك بساتين وحدائق ، تسير فيها الأنهار ، لا جنة واحدة

[ويجعل لك قصورا] أي ويجعل لك مع الحدائق القصور الرفيعة المشيدة ، كما هو حال الملوك ، قال الضحاك : لما عير المشركون رسول الله (ص) ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بالفاقة حزن عليه السلام فنزل جبريل معزيا له فبينما النبي وجبريل يتحدثان إذ فتح باب من السماء ، فقال جبريل : أبشر يا محمد هذا رضوان خازن الجنة ، قد أتاك بالرضى من ربك ، فسلم عليه وقال : ربك يخيرك بين أن تكون نبيا ملكا ، وبين أن تكون نبيا عبدا - ومعه سفط من نور يتلألأ - ثم قال : هذه مفاتيح خزائن الأرض ، فنظر رسول الله ، إلى جبريل كالمستشير فأومأ بيده أن تواضع ! فقال رسول الله (ص) : " بل نبيا عبدا " فكان عليه السلام بعد ذلك لا يأكل متكأ حتى فارق الدنيا

[بل كذبوا بالساعة] أي بل كذبوا بالقيامة

[وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا] أي وهيأنا لمن كذب بالآخرة نارا شديدة الاستعار ، قال الطبري : المعنى ما كذب هؤلاء المشركون بالله ، وأنكروا ما جئتهم به من الحق ، من أجل أنك تأكل الطعام وتمشي في الأسواق ، ولكن من أجل أنهم لا يوقنون بالمعاد ، تكذيبا منهم بالقيامة ، وأعددنا لمن كذب بالبعث نارا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تسعر عليهم وتتقد

[إذا رأتهم من مكان بعيد] أي إذا رأت جهنم هؤلاء المشركين من مسافة بعيدة ، وهي خمسمائة عام

[سمعوا لها تغيظا وزفيرا] أي سمعوا صوت لهيبها وغليانها ، كالغضبان إذا غلا صدره من الغيظ ، وسمعوا لها صوتا كصوت الحمار وهو الزفير ، قال ابن عباس : إن الرجل ليجر إلى النار ، فتشهق إليه النار شهوق البغلة إلى الشعير ، وتزفر زفرة لا يبقى أحد إلا خاف ، وتقييد الرؤية بالبعد [من مكان بعيد] فيه مزيد تهويل لأمرها

[وإذا ألقوا منها مكانا ضيقا] أي وإذا ألقوا في جهنم ، في مكان ضيق ، قال ابن عباس : تضيق عليهم ضيق الزج في الرمح - الزج : الحديدة التي في أسفل الرمح - [مقرنين] أي مصفدين قد قرنت أيديهم إلى أعناقهم بالسلاسل

[دعوا هنالك ثبورا] أي دعوا في ذلك المكان على أنفسهم ، بالويل والهلاك يقولون : يا هلاكنا ، نادوه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

نداء المتمني للهلاك ، ليسلموا مما هو أشد منه ، كما قيل : أشد من الموت ، ما يتمنى معه الموت

[لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وأدعوا ثبورا كثيرا] أي يقال لهم : لا تدعوا اليوم بالهلاك على أنفسكم مرة واحدة ، بل ادعوا مرات ومرات ، فإن ما أنتم فيه من العذاب الشديد ، يستوجب تكرير الدعاء في كل حين وآن ، وفيه إقناط لهم من استجابة الدعاء ، أو تخفيف العذاب عنهم

[قل أذلك خير أم جنة الخلد التي وعد المتقون] ؟ أي قل لهم يا أيها الرسول ، على سبيل التقريع والتهكم : أذلك السعير خير أم جنة الخلود التي وعدها المتقون ؟ قال ابن كثير : يقول الله تعالى يا محمد : هذا الذي وصفناه لك من حال الأشقياء ، الذين تتلقاهم جهنم بوجه عبوس وتغيظ وزفير ، ويلقون في أماكنها الضيقة مقرنين ، لا يستطيعون حراكا ولا فكاكا مما هم فيه ، أهذا خير أم جنة الخلد التي وعدها الله المتقين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من عباده قال الإمام الفخر : فإن قيل كيف يقال العذاب خير أم جنة الخلد ؟ وهل يجوز أن يقول العاقل : السكر أحلى أم الصبر ؟ قلنا : هذا يحسن في معرض التقريع ، كما إذا أعطى السيد عبده مالا فتمرد وأبى واستكبر ، فيضربه ضربا وجيعا ويقول على سبيل التوبيخ : أهذا أطيب أم ذاك ؟

[كانت لهم جزاء ومصيرا] أي كانت لهم ثوابا ومرجعا

[لهم فيها ما يشاءون] أي لهم في الجنة ما يشاءون من النعيم

[خالدين] أي ماكثين فيها ابدأ ، بلا زوال ولا انقضاء

[كان على ربك وعدا مسؤولا] أي كان ذلك الجزاء ، وعدا على ذي الجلال ، حقيقا بأن يسأل ويطلب لكونه مما يتنافس فيه المتنافسون ، وهو وعد واجب

[ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله] أي واذكر ذلك اليوم الرهيب - يوم القيامة - حين يجمع الله الكفار والأصنام ، وكل من عبد من دون الله ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كالملائكة ، والمسيح ، قال مجاهد : هو عيسى وعزير والملائكة

[فيقول أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء] أي فيقول تعالى للمعبودين تقريعا لعبدتهم : أأنتم دعوتم هؤلاء إلى عبادتكم ؟

[أم هم ضلوا السبيل] أي أم هم ضلوا الطريق ، فعبدوكم من تلقاء أنفسهم ؟

[قالوا سبحانك] أي قال المعبودون تعجبا مما قيل لهم : تنزهت يا الله عن الأنداد

[ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء] أي ما يحق لنا ولا لأحد من الخلق أن يعبد غيرك ، ولا أن يشرك معك سواك

[ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر] أي ولكن أكثرت عليهم وعلى آبائهم النعمة - وكان يجب عليهم شكرها والإيمان بما جاءت به الرسل - فكان ذلك سببا للإعراض عن ذكرك وشكرك

[وكانوا قوما بورا] أي وكانوا قوما هالكين ، قال

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تعالى توبيخا للكفرة

[فقد كذبوكم بما تقولون] أي فقد كذبكم هؤلاء المعبودون في قولكم إنهم آلهة

[فما تستطيعون صرفا ولا نصرا] أي فما تستطيعون أيها الكفار دفعا للعذاب عنكم ، ولا نصرا لأنفسكم من هذا البلاء

[ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا] أي ومن يشرك منكم بالله ، فيظلم نفسه ، نذقه عذابا شديدا في الآخرة

[وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق] أي وما أرسلنا قبلك يا محمد أحدا من الرسل ، إلا وهم يأكلون ويشربون ويتجولون في الأسواق للتكسب والتجارة ، فتلك هي سنة المرسلين من قبلك ، فلم ينكرون ذلك عليك ؟ وهو جواب عن قولهم [ما لهذا الرسول يأكل الطعام] ؟

[وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون] أي جعلنا بعض الناس بلاء لبعض ومحنة ، ابتلى الله الغني بالفقير ، والشريف بالوضيع ، والصحيح بالمريض ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ليختبر صبركم وإيمانكم ، أتشكرون أم تكفرون ؟ قال الحسن : يقول الأعمى : لو شاء الله لجعلني بصيرا مثل فلان ، ويقول الفقير : لوشاء الله لجعلني غنيا مثل فلان ، ويقول السقيم : لوشاء الله لجعلني صحيحا مثل فلان

[وكان ربك بصيرا] أي عالما بمن يصبر أو يجزع ، وبمن يشكر أو يكفر .

البلاغة :

تضمنت الآيات وجوها من البلاغة والبديع نوجزها فيما يلي :

1 - الإضافة للتشريف [على عبده] ولم يذكره باسمه تشريفا له وتكريما .

2 - الاكتفاء بأحد الوصفين [ليكون للعالمين نذيرا] أي ليكون بشيرا ونذيرا ، واكتفى بالإنذار لمناسبته للكفار .

3 - الجناس الناقص [يخلقون . . ويخلقون] سمي ناقصا لتغايره في الشكل .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

4 - الطبا ق بين [ضرا . . ونفعا] وبين [موتا . . وحياة] .

5 - الاستفهام للتهكم والتحقير [ما لهذا الرسول يأكل الطعام] ؟ .

6 - الاستعارة التمثيلية [سمعوا لها تغيظا وزفيرا] شبه صوت غليانها بصوت المغتاظ وزفيره ، وهو صوت يسمع من جوفه ، وهو تمثيل وصف النار بالاهتياج والاضطرام ، على عادة المغيظ والغضبان ، ففيه استعارة تمثيلية لطيفة .

7 - جناس الاشتقاق [أرسلنا . . المرسلين] .

8 - الجناس غير التام [تصبرون . . بصيرا] لتقديم بعض الحروف وتأخير البعض .

لطيفة :

نبه تعالى بقوله : [تبارك الذي إن شاء جعل لك خيرا من ذلك] على أنه تعالى يعطي العباد على حسب المصالح ، فيفتح على واحد أبواب المعارف والعلوم ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ويسد عليه أبواب الدنيا ، ويفتح على آخر أبواب الرزق ، ويحرمه لذة الفهم والعلم ، ولا اعتراض عليه لأنه فعال لما يريد .

قال الله تعالى : [وقال الذين لا يرجون لقاءنا . . إلى . . بل كانوا لا يرجون نشورا] . من آية (21) إلى نهاية آية (40) .

المناسبة :

لما حكى تعالى إنكار المشركين لنبوة محمد(ص) وتكذيبهم للقرآن ، أعقبه بذكر بعض جرائمهم الأخرى ، ثم ذكر قصص بعض الأنبياء ، وما حل بأقوامهم المكذبين ، تسلية لرسول الله (ص) عما ناله من أذى المشركين !

اللغة :

[حجرا] بكسر الحاء حراما من حجره إذا منعه ، قال الشاعر : " ألا أصبحت أسماء حجرا محرما " أي حراما محرما

[هباء] قال أبو عبيدة : الهباء مثل الغبار يدخل من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الكوة مع ضوء الشمس

[منثورا] المنثور : المتفرق

[مقيلا] المقيل : زمان القيلولة وهي الاستراحة نصف النهار إذا اشتد الحر

[تبرنا] التتبير : التدمير والتكسير قال الزجاج : كل شيء كسرته وفتته فقد تبرته .

سبب النزول :

روي أن (عقبة بن أبي معيط) وكان صديقا " لأبى بن خلف " صنع وليمة فدعا إليها قريشا ، ودعا رسول الله (ص) إلى طعامه ، فأتاه رسول الله (ص) طمعا في إسلامه ، فلما قدم الطعام إلى الحاضرين ، أبى رسول الله(ص) أن يأكل من الطعام ، لأنه طعام مشرك ، وقال له رسول الله (ص) : ما أنا بآكل طعامك حتى تشهد أني رسول الله ! ! ففعل ، فأكل رسول الله من طعامه ، فلما بلغ (أبى بن خلف) ذلك قال لصديقه عقبة : صبأت قال : لا ، ولكن دخل علي رجل عظيم ، فأبى أن يأكل طعامي حتى أشهد له بالرسالة ، فقال

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

له أبي : وجهي من وجهك حرام ، إن رأيت محمدا حتى تبزق في وجهه وتطأ على عنقه وتقول كيت وكيت ، ففعل عدو الله ما أمره به خليله ، ففيه نزلت هذه الآية الكريمة [ويوم يعض الظالم على يديه . .] الآية ((قال الحافظ ابن كثير : وسواء كان سبب نزولها في (عقبة بن أبي معيط) او غيره من الأشقياء ، فإنها عامة في كل ظالم ، فكل ظالم يندم يوم القيامة اشد الندم ، ويعض على يديه قائلا {يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا})).

التفسير :

[وقال الذين لا يرجون لقاءنا] أي قال المشركون الذين لا يرجون لقاء الله ، ولا يخشون عقابه لتكذيبهم بالبعث والنشور

[لولا أنزل علينا الملائكة] أي هلا نزلت الملائكة علينا ، فأخبرونا بصدق محمد! !

[أو نرى ربنا] أي أو نرى الله عيانا ، فيخبرنا أنك رسوله ! ! قال أبو حيان : وهذا كله على سبيل التعنت

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

، وإلا فما جاءهم به من المعجزات كاف لو وفقوا

[لقد استكبروا في أنفسهم] أي تكبروا في شأن أنفسهم ، حين تفوهوا بمثل هذه العظيمة ، وطلبوا ما لا ينبغي

[وعتو عتوا كبيرا] أي تجاوزوا الحد في الظلم والطغيان ، حتى بلغوا أقصى العتو وغاية الاستكبار

[يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين] أي يوم يرى المشركون الملائكة حين تنزل لقبض أرواحهم وقت الاحتضار ، فلن يكون للمجرمين يومئذ بشارة تسرهم ، بل لهم الخيبة والخسران

[ويقولون حجرا محجورا] أي تقول الملائكة لهم : حرام محرم عليكم دخول الجنة ، وحرام عليكم البشرى والغفران ، قال ابن كثير : وذلك يصدق على وقت الاحتضار حين تبشرهم الملائكة بالنار ، فتقول للكافر عند خروج روحه : أخرجي أيتها النفس الخبيثة ، في الجسد الخبيث ، أخرجي إلى سموم وحميم ، وظل! من يحموم ، فتأبى الخروج وتتفرق في البدن ، فيضربونه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بمقامع الحديد ، بخلاف المؤمنين حال احتضارهم ، فإنهم يبشرون بالخيرات ، وحصول المسرات [تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون] ثم قال تعالى مخبرا عن الكفار : [وقدمنا إلى ما عملوا من عمل] أي عمدنا إلى أعمال الكفار ، التي يعتقدونها برا كإطعام المساكين ، وصلة الأرحام ، ويظنون أنها تقربهم إلى الله

[فجعلناه هباء منثورا] أي جعلنا أعمالهم محل الغبار المنثور في الجو ، لإنها لا تعتمد على أساس ، ولا تستند على إيمان ، قال الطبري : أي جعلناه باطلا لأنهم لم يعملوه لله ، وإنما عملوه للشيطان ، والهباء هو الذي يرى كهيئة الغبار ، إذا دخل ضوء الشمس من كوة ، والمنثور المتفرق ، وقال القرطبي : إن الله أحبط أعمالهم بسبب الكفر ، حتى صارت بمنزلة الهباء المنثور

[أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا] لما بين تعالى حال الكفار وأنهم في الخسران الكلي والخيبة التامة ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

شرح وصف أهل الجنة وأنهم في غاية السرور والحبور ، تنبيها على أن السعادة كل السعادة في طاعة الله عز وجل ، ومعنى الآية : أصحاب الجنة يوم القيامة ، خير من الكفار مستقرا ومنزلا ومأوى

((كلمة " خير " ليست على بابها للمفاضلة وإنما هي لبيان حال أهل الجنة وأنهم في أحسن حال وخير مكان ، ولا ضرورة للتأويل بأنهم خير من الكافرين المترفين فى الدنيا))

[وأحسن مقيلا] أي وأحسن منهم مكانا للتمتع وقت القيلولة ، وهي الاستراحة نصف النهار ، فالمؤمنون في الآخرة في الفردوس والنعيم المقيم ، والكفار في دركات الجحيم ، قال ابن مسعود : " لا ينتصف النهار من يوم القيامة ، حتى يقيل - أي يستريح ويستقر - أهل الجنة في الجنة ، وأهل النار في النار "

[ويوم تشقق السماء بالغمام] أي واذكر ذلك اليوم الرهيب ، يوم تتشقق السماء وتتفطر عن الغمام ، الذي يسود الجو ويظلمه ، ويغم القلوب مرآه لكثرته وشدة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ظلمته

[ونزل الملائكة تنزيلا] أي ونزلت الملائكة فأحاطت بالخلائق في المحشر

[الملك يومئذ الحق للرحمن] أي الملك في ذلك اليوم لله الواحد القهار ، الذي تخضع له الملوك ، وتعنو له الوجوه ، وتذل له الجبابرة ، لا مالك يومئذ سواه ، كقوله سبحانه : [لمن الملك اليوم ؟ لله الواحد القهار]

[وكان يوما على الكافرين عسيرا] أي وكان ذلك اليوم صعبا شديدا على الكفار ، قال أبو حيان : ودل قوله : [على الكافرين] على تيسيره على المؤمنين ، ففي الحديث : " أنه يهون حتى يكون على المؤمن أخف عليه من صلاة مكتوبة صلاها في الدنيا "

[ويوم يعض الظالم على يديه] أي واذكر يوم يندم ويتحسر الظالم على نفسه ، لما فرط في جنب الله ، وعض اليدين كناية عن الندم والحسرة ، والمراد بالظالم (عقبة بن أبي معيط) كما تقدم في سبب النزول ، وهي تعم كل ظالم ، قال ابن كثير : يخبر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تعالى عن ندم الظالم الذي فارق طريق الرسول ، وسلك سبيلا غير سبيل الرسول ، فإذا كان يوم القيامة ندم ، حيث لا ينفعه الندم ، وعض على يديه حسرة وأسفا ، وسواء كان نزولها في (عقبة بن أبي معيط) أو غيره من الأشقياء ، فإنها عامة في كل ظالم

[يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا] أي يقول الظالم : يا ليتني اتبعت الرسول ، فاتخذت معه طريقا إلى الهدى ، ينجيني من العذاب !

[يا ويلتا ليتني لم أتخذ فلانا خليلا] أي يا هلاكي وحسرتي ، يا ليتني لم أصاحب فلانا وأجعله صديقا لي ، ولفظ [فلان] كناية عن الشخص الذي أضله وهو (أبي بن خلف) قال القرطبي : وكنى عنه ولم يصرح باسمه ، ليتناول جميع من فعل مثل فعله

[لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني] أي لقد أضلني عن الهدى والإيمان ، بعد أن إهتديت وآمنت ! ! لم قال تعالى :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وكان الشيطان للإنسان خذولا] أي يضله ويغويه ، لم يتبرأ منه وقت البلاء ، فلا ينقذه ولا ينصره

[وقال الرسول يا رب إن قومي إتخذوا هذا القرآن مهجورا] لما أكثر المشركون الطعن في القرآن ، ضاق صدر الرسول(ص) وشكاهم إلى الله ، والمعنى : قال محمد رسول الله : يا رب إن قريشا كذبت بالقرآن ولم تؤمن به ، وجعلته وراء ظهورها متروكا ، وأعرضوا عن استماعه ! ! قال المفسرون : وليس المقصود من حكاية هذا القول ، الإخبار بما قال المشركون ، لأن الله عالم بما صنعوا ، بل المقصود منها تعظيم شكايته ، وتخويف قومه ، لأن الأنبياء إذا إلتجأوا إلى الله وشكوا قومهم ، حل بهم العذاب ولم يمهلوا

[وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين] أي كما جعلنا لك أعداء من مشركي قومك ، جعلنا لكل نبي عدوا من كفار قومه ، والمراد تسلية النبي (ص) بالتأسي بغيره من الأنبياء

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وكفى بربك هاديا ونصيرا] أي وكفى أن يكون ربك يا محمد هاديا لك ، وناصرا لك على أعدائك ، فلا تبال بمن عاداك ! !

[وقال الذين كفروا] أي وقال كفار مكة :

[لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة] أي هلا نزل هذا القرآن على محمد دفعة واحدة ، كما نزلت التوراة والإنجيل ؟ قال تعالى ردا على شبهتهم التافهة :

[كذلك لنثبت به فؤادك] أي كذلك أنزلناه مفرقا لنقوي قلبك على تحمله ، فتحفظه وتعمل بمقتضي ما فيه

[ورتلناه ترتيلا] أي فصلنا تفصيلا بديعا ، قال قتادة : أي بيناه ، وقال الرازي : الترتيل في الكلام أن يأتي بعضه على إثر بعض ، على تؤدة وتمهل ، وأصل الترتيل في الأسنان وهو تفلجها وقال الطبري : الترتيل في القراءة : الترسل والتثبت ، يقول : علمناكه القرآن شيئا بعد شيء حتى تحفظه

[ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق] أي ولا يأتيك هؤلاء الكفار بحجة أو شبهة ، للقدح فيك أو في القرآن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

، إلا أتيناك يا محمد بالحق الواضح والنور الساطع ، لندمغ به باطلهم

[وأحسن تفسيرا] أي أحسن بيانا وتفصيلا . . ثم ذكر تعالى حال هؤلاء المشركين ، المكذبين للقرآن فقال سبحانه :

[الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم] أي يسحبون ويجرون إلى النار على وجوههم

[أولئك شر مكانا وأضل سبيلا] أي هم شر منزلا ومصيرا ، وأخطأ دينا وطريقا ، وفي الحديث الشريف : (قيل يا رسول الله : كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة ؟ فقال : إن الذي أمشاه على رجليه ، قادر على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة) ، ثم ذكر تعالى قصص الأنبياء تسلية لرسول الله (ص) وإرهابا للمكذبين فقال سبحانه :

[ولقد آتينا موسى الكتاب] أي والله لقد أعطينا موسى التوراة

[وجعلنا معه أخاه هارون وزيرا] أي وأعناه بأخيه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

هارون ، فجعلناه وزيرا له ، يناصره ويؤآزره
[فقلنا اذهبا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا] أي إذهبا إلى فرعون وقومه بالآيات الباهرات ، والمعجزات الساطعات
[فدمرناهم تدميرا] أي فأهلكناهم إهلاكا فظيعا بالغرق ، لما كذبوا رسلنا
[وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم وجعلناهم للناس آية] أي وأغرقنا قوم نوح بالطوفان ، لما كذبوا رسولهم (نوحا) وجعلناهم عبرة لمن يعتبر ، قال أبو السعود : وإنما قال الرسل بالجمع ، مع أنهم كذبوا نوحا وحده ، لأن تكذيبه تكذيب للجميع ، لاتفاقهم على التوحيد والإسلام

[وأعتدنا للظالمين عذابا أليما] أي وأعددنا لهم في الآخرة عذابا شديدا مؤلما ، سوى ما حل بهم في الدنيا
[وعادا وثمود وأصحاب الرس] أي وأهلكنا عادا وثمود وأصحاب البئر الذين انهارت بهم ، قال

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

البيضاوي : وأصحاب الرس قوم كانوا يعبدون الأصنام ، فبعث الله إليهم شعيبا فكذبوه ، فبينما هم حول الرس - وهي البئر غير المطوية - انهارت فخسفت بهم وبديارهم

[وقرونا بين ذلك كثيرا] أي وأمما وخلائق كثيرين ، لا يعلمهم إلا الله بين أولئك المكذبين أهلكناهم أيضا

[وكلا ضربنا له الأمثال] أي وكلا من هؤلاء بينا لهم الحجج ، ووضحنا لهم ا لأدلة ، إعذاراً وإنذاراً

[وكلا تبرنا تتبيرا] أي أهلكناه إهلاكا ، ودمرناه تدميرا ، لما لم تنجح فيهم المواعظ

[ولقد أتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء] أي ولقد مرت قريش مرارا في متاجرهم إلى الشام ، على تلك القرية التي أهلكت بالحجارة من السماء ، وهي قرية " سدوم " عظمى قرى قوم لوط

[أفلم يكونوا يرونها] ؟ توبيخ لهم على تركهم الاتعاظ والاعتبار ، أي أفلم يكونوا فى أسفارهم يرونها ، فيعتبروا بما حل بأهلها من العذاب والنكال بسبب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تكذيبهم لرسولهم ، ومخالفتهم لأوامر الله ؟ قال ابن عباس : كانت قريش في تجارتها إلى الشام ، تمر بمدائن (قوم لوط) كقوله تعالى : [وإنكم لتمرون عليهم مصبحين . وبالليل أفلا تعقلون

[بل كانوا لا يرجون نشورا] أي إنهم لا يعتبرون ، لأنهم لا يرجون معادا يوم القيامة ، ولا يؤمنون ببعث ولا نشور ، ولا حساب ولا جزاء ! !

البلاغة :

تضمنت الآيات وجوها من البلاغة والبديع نوجزها فيما يلي :

1 - الترجي [لولا أنزل علينا الملائكة] لأن لولا بمعنى هلا للترجي .

2 - جناس الاشتقاق [عتوا عتوا] و[حجرا محجورا] .

3 - المبالغة بنفي الجنس [لا بشرى يومئذ للمجرمين] ومعناها لا يبشر يومئذ المجرمون ، وإنما عدل عنه للمبالغة .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

4 - التشبيه البليغ [فجعلناه هباء منثورا] أي كالغبار المنثور في الجو ، في حقارته وعدم نفعه ، حذف منه أداة التشبيه ووجه الشبه فأصبح بليغا .

5 - الكناية اللطيفة [يعض الظالم على يديه] كناية عن الندم والحسرة ، كما أن لفظة [فلان] كناية عن الصديق الذي أضله .

6 - الإسناد المجازي [شر مكانا] لأن الضلال لا ينسب إلى المكان ولكن إلى أهله .

لطيفة :

قال ابن القيم رحمه الله : هجر القرآن أنواع خمسة : أحدها : هجر سماعه والإيمان به . والثاني : هجر العمل به وإن قرأه وآمن به . والثالث : هجر تحكيمه والتحاكم إليه . والرابع : هجر تدبره وتفهم معانيه . الخامس : هجر الاستشفاء والتداوي به في جميع أمراض القلوب ، وكل هذا داخل في قوله تعالى : [إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا] وإن كان بعض الهجر أهون من بعض ! !

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قال الله تعالى : [وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزوا . .] إلى قوله [أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا] . من آية (41) إلى نهاية آية (60) .

المناسبة :

لما ذكر تعالى شبهات المشركين حول القرآن والرسول ، ورد عليهم بالحجج الدامغة ، والبراهين القاطعة ، ذكر هنا طرفا من استهزائهم وسخريتهم بالرسول ، ، فلم يقتصروا على تكذيبه ، بل زادوا عليه بالاستهزاء والإحتقار ، ثم ذكر الأدلة على وحدانيته تعالى ، بفعل العجائب في هذا الكون .

اللغة :

[سباتا] السبات : الراحة جعل النوم سباتا لأنه راحة للأبدان وأصل السبت : القطع ، ومنه السبت لليهود لانقطاعهم فيه عن الأعمال

[نشورا] النشور : الانتشار والحركة ، والنهار سبب للانتشار من أجل طلب المعاش

[أناسي] جمع إنسي مثل كراسي وكرسي ، قال

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الفراء : الإنسي والأناسي اسم للبشر ، وأصله إنسان ثم أبدلت من النون ياء فصار إنسي

[مرج] خلى وأرسل وخلط ، يقال : مرجته إذا خلطته

[وأمر مريج] أي مضطرب مختلط

[فرات] شديد العذوبة

[أجاج] شديد الملوحة

[برزخا] حاجزا .

التفسير :

[وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزوا] أي وإذا رآك المشركون يا محمد ما يتخذونك إلا موضع هزء وسخرية

[أهذا الذى بعث الله رسولا] أي قائلين بطريق التهكم والاستهزاء : أهذا الذي بعثه الله إلينا رسولا ؟

[إن كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها] أي إن كاد ليصرفنا عن عبادة آلهتنا ، لولا أن ثبتنا عليها

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

واستمسكنا بعبادتها ، قال تعالى ردا عليهم :
[وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا]
وعيد وتهديد ، أي سوف يعلمون في الآخرة عند
مشاهدة العذاب ، من هو أخطأ طريقا وأضل دينا ؟
أهم أم محمد ؟
[أرأيت من اتخذ إلهه هواه] تعجيب من ضلال
المشركين أي أرأيت من جعل هواه إلها له ؟ كيف
يكون حاله ؟ قال ابن عباس : كان الرجل من
المشركين يعبد حجرا ، فإذا رأى حجرا أحسن منه
رماه وأخذ الثاني فعبده
[أفأنت تكون عليه وكيلا] أي هل ستكون حافظا
تحفظه من اتباع هواه ؟ ليس الأمر لك ، قال أبو
حيان : وهذا تيئيس من إيمانهم ، وإشارة للرسول(ص)
ألا يتأسف عليهم ، وإعلام أنهم في الجهل بالمنافع ،
وقلة النظر في العواقب ، مثل البهائم
[أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون] ؟ أي
أتظن أن هؤلاء المشركين ، يسمعون ما تقول لهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

سماع قبول ؟ أو يعقلون ما تورده عليهم من الحجج والبراهين ، الدالة على الوحدانية ؟ حتى تهتم بشأنهم وتطمع في إيمانهم ؟

[إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا] أي ما هم إلا كالبهائم ، بل هم أبشع حالا ، وأسوأ مالا من الأنعام السارحة ، لأن البهائم تهتدي لمراعيها ، وتنقاد لأربابها ، وتعرف من يحسن إليها ، وهؤلاء لا ينقادون لربهم ، ولا يعرفون إحسانه إليهم . . ثم ذكر تعالى أنواعا من الدلائل الدالة على وحدانيته ، وكمال قدرته ، فقال سبحانه :

[ألم تر إلى ربك كيف مد الظل] أي ألم تنظر إلى بديع صنع الله وقدرته ؟ كيف بسط تعالى الظل ومده وقت النهار ؟ حتى يستروح الإنسان بظل الأشياء من حرارة الشمس المتوهجة ؟ إذ لولا الظل لأحرقت الشمس الإنسان وكدرت حياته

[ولو شاء لجعله ساكنا] أي لو أراد سبحانه لجعل الظل دائما ثابتا في مكان ، لا يزول ولا يتحول عنه ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولكنه بقدرته ينقله من مكان إلى مكان ، ومن جهة إلى جهة ، فتارة يكون جهة المشرق ، وتارة جهة المغرب ، وأخرى من أمام أو خلف

[ثم جعلنا الشمس عليه دليلا] أي جعلنا طلوع الشمس دليلا على وجود الظل ، فلولا وقوع ضوئها على الأجرام ، لما عرف أن للظل وجودا ، ولما ظهرت آثار هذه النعمة الجليلة للعباد ، والأشياء إنما تعرف بأضدادها ، فلولا الظلمة ما عرف النور ، ولولا الشمس ما عرف الظل (وبضدها تتميز الأشياء)

[ثم قبضناه إلينا قبضا يسيرا] أي أزلنا هذا الظل شيئا فشيئا ، وقليلا قليلا ، لا دفعة واحدة ، لئلا تختل المصالح ، قال ابن عباس : الظل من وقت طلوع الفجر ، إلى وقت طلوع الشمس ((هذا القول منقول عن مجاهد وإليه ذهب كثير من المفسرين وقالوا : إنه أطيب الأحوال ولذلك وصف به الجنة {وظل ممدود} وما أثبتناه هو الراجح لأنه الظل المعروف ، ولفظ

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الشمس يرجحه لأن الله قرن الظل بالشمس {ثم جعلنا الشمس عليه دليلا} وهو اختيار العلامة أبي السعود))

قال المفسرون : الظل هو الأمر المتوسط بين الضوء الخالص والظلمة الخالصة ، وهو يحدث على وجه الأرض منبسطا ، فيما بين ظهور الفجر إلى طلوع الشمس ، ثم إن الشمس تنسخه وتزيله شيئا فشيئا ، إلى الزوال ، ثم هو ينسخ ضوء الشمس من وقت الزوال إلى الغروب ويسمى فيئأ ، ووجه الاستدلال به على وجود الصانع الحكيم ، أن وجوده بعد العدم وعدمه بعد الوجود ، وتنير أحواله بالزيادة والنقصان والانبساط والتقلص ، على الوجه النافع للعباد ، لا بد له من صانع قادر ، مدبر حكيم ، يقدر على تحريك الأجرام العلوية ، وتدبير الأجسام الفلكية ، وترتيبها على الوصف الأحسن ، والترتيب الأكمل وما هو إلا الله رب العالمين . . ثم أشار تعالى إلى آثار قدرته ، وجليل نعمته الفائضة على الخلق فقال :

[وهو الذي جعل لكم الليل لباسا] أي هو سبحانه الذي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

جعل لكم الليل كاللباس ، يستركم بظلامه كما يستركم اللباس بزينته ، قال الطبري : وصف الليل باللباس تشبيها من حيث يستر الأشياء فصار لهم سترا يستترون به ، كما يستترون بالثياب التى يكسونها

[والنوم سباتا] أي وجعل النوم راحة لأبدانكم ، بانقطاعكم عن أعمالكم

[وجعل النهار نشورا] أي وقتا لانتشار الناس فيه لمعايشهم ، ومكاسبهم ، وأسباب رزقهم

[وهو الذي أرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته] أي أرسل الرياح مبشرة بنزول الغيث والمطر

[وأنزلنا من السماء ماء طهورا] أي أنزلنا من السحاب الذي ساقته الرياح ، ماء طاهرا مطهرا تشربون وتتطهرون به ، قال القرطبي : وصيغة [طهورا] بناء مبالغة في " طاهر " فاقتضي أن يكون طاهرا مطهرا

[لنحيي به بلدة ميتا] أي لنحيي بهذا المطر أرضا ميتة لا زرع فيها ولا نبات

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسي كثيرا] أي وليشرب منه الحيوان والإنسان ، لأن الماء حياة كل حي ، والناس محتاجون إليه غاية الحاجة ، لشربهم وزروعهم وسقي مواشيهم ، قال الإمام الفخر : وتنكير الأنعام والأناسي لأن حياة البشر بحياة أرضهم وأنعامهم ، وأكثر الناس يجتمعون في البلاد القريبة من الأودية والأنهار ، فهم في غنية عن شرب مياه المطر ، وكثير منهم نازلون في البوادي ، فلا يجدون المياه للشرب إلا عند نزول المطر ، ولهذا قال : [أنعاما وأناسي كثيرا] أي بشرا كثيرين ، لأن " فعيل " يراد به الكثرة

[ولقد صرفناه بينهم ليذكروا] أي ضربنا الأمثال في هذا القرآن للناس ((الضمير في {صرفناه } عائد على (القرآن) وإن لم يتقدم له ذكر لوضوح الأمر ، ويؤيده قوله : {وجاهدهم به جهادا كبيرا} وقيل إنه عائد على (المطر) وهو كما قال في التسهيل : بعيد عن المعنى المراد ، لأن جهاد المشركين يكون بالقرآن لا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بالمطر)) ، وبينا فيه الحجج والبراهين ، ليتفكروا ويتدبروا

[فأبى أكثر الناس إلا كفورا] أي أبى الكثير من البشر إلا الجحود والتكذيب

[ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا] أي لو أردنا لخففنا عنك أعباء النبوة ، فبعثنا في كل أهل قرية نبيا ينذرهم ، ولكنا خصصناك بالبعثة إلى جميع أهل الأرض ، إجلالا لك ، وتعظيما لشأنك ، فقابل هذا الإجلال ، بالثبات والاجتهاد في الدعوة وإظهار الحق

[فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادا كبيرا] أي فلا تطع الكفار فيما يدعونك إليه من الكف عن آلهتهم ، وجاهدهم بالقرآن جهادا كبيرا ، بالغا نهايته ، لا يصاحبه فتور

[وهو الذي مرج البحرين] أي هو تعالى بقدرته خلى وأرسل البحرين متجاورين متلاصقين بحيث لا يتمازجان

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[هذا عذب فرات] أي شديد العذوبة قاطع للعطش ، من فرط عذوبته

[وهذا ملح أجاج] أي بليغ الملوحة ، مر شديد المرارة

[وجعل بينهما برزخا] أي جعل بينهما حاجزا من قدرته ، لا يغلب أحدهما على الآخر

[وحجرا محجورا] أي ومنعا من وصول أثر أحدهما إلى الآخر وإمتزاجه به ، قال ابن كثير : معنى الآية أنه تعالى خلق الماءين : الحلو والمالح ، فالحلو كالأنهار والعيون والآبار ، والمالح كالبحار الكبار التي لا تجري ، وجعل بين العذب والمالح حاجزا ، وهو اليابس من الأرض ، ومانعا من أن يصل أحدهما إلى الآخر ، وهذا اختيار ابن جرير وقال الرازي : ووجه الاستدلال ههنا بين لأن الحلاوة والملوحة إن كانت بسبب طبيعة الأرض أو الماء ، فلابد من الاستواء ، وإن لم يكن كذلك فلا بد من قادر حكيم يخص كل واحد بصفة معينة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وهو الذي خلق من الماء بشرا] أي خلق من النطفة إنسانا سميعا بصيرا

[فجعله نسبا وصهرا] أي قسمهم من نطفة واحدة قسمين : ذوي نسب أي ذكورا ينسب إليهم ، لأن النسب إلى الآباء كما قال الشاعر : فإنما أمهات الناس أوعية مستودعات وللآباء أبناء وإناثا يصاهر بهن ، فبالنسب يتعارفون ويتواصلون ، وبالمصاهرة تكون المحبة والمودة ، واجتماع الغريب بالقريب

[وكان ربك قديرا] أي مبالغا في القدرة حيث خلق من النطفة الواحدة ذكرا وأنثى . . ولما شرح دلائل التوحيد عاد إلى تهجين سيرة المشركين في عبادة الأوثان فقال سبحانه :

[ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم] أي يعبدون الأصنام التي لا تنفع ولا تضر ، لأنها جمادات لا تحس ولا تبصر ، ولا تعقل

[وكان الكافر على ربه ظهيرا] أي معينا للشيطان على معصية الرحمن ، لأن عبادته للأصنام معاونة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

للشيطان ، قال مجاهد : يظاهر الشيطان على معصية الله ويعينه

[وما أرسلناك إلا مبشرا ونذيرا] أي مبشرا للمؤمنين بجنات النعيم ومنذرا للكافرين بعذاب الجحيم

[قل ما أسألكم عليه من أجر] أي قل لهم يا محمد لا أسألكم على تبليغ الرسالة أجرا

[إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا] أي لكن من شاء أن يتخذ طريقا يقربه إلى الله ، بالإيمان والعمل الصالح فليفعل ، كأنه يقول : لا أسألكم مالا ولا أجرا ، وانما أسألكم الإيمان بالله وطاعته وأجري على الله

[وتوكل على الحي الذي لا يموت] أي اعتمد في جميع أمورك على الواحد الأحد ، الدائم الباقي الذي لا يموت أبدا ، فإنه كافيك وناصرك ومظهر دينك على سائر الأديان

[وسبح بحمده] أي نزه الله تعالى عما يصفه هؤلاء الكفار مما لا يليق به من الشركاء والأولاد

[وكفى به بذنوب عباده خبيرا] أي حسبك أن الله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مطلع على أعمال العباد لا يخفى عليه شيء منها ، قال الإمام الفخر : وهذه الكلمة يراد بها المبالغة كقولهم : كفى بالعلم جمالا ، وكفى بالأدب مالا ، وهي بمعنى حسبك أي لا تحتاج معه إلى غيره لأنه خبير بأحوالهم ، قادر على مجازاتهم ، وذلك وعيد شديد

[الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام] أي هذا الإله العظيم الذي ينبغي أن تتوكل عليه هو القادر على كل شيء ، الذي خلق السموات السبع في إرتفاعها وإتساعها ، والأرضين في كثافتها وإمتدادها في مقدار ستة أيام من أيام الدنيا ، قال ابن جبير : الله قادر على أن يخلقها في لحظة ، ولكن علم خلقه الرفق والتثبت

[ثم استوى على العرش] استواء يليق بجلاله ، من غير تشبيه ولا تعطيل ولا تكييف ، لأنه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[الرحمن] أي هو الرحمن ذو الجود والإحسان

[فاسأل به خبيرا] أي فسل عنه من هو خبير عارف بجلاله ورحمته ، وهم الرسل الكرام ، وقيل : الضمير يعود إلى (الله) أي فإسأل الله الخبير بالأشياء ، العالم بحقائقها ، يطلعك على جلية الأمر

[وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن] أي وإذا قيل للمشركين اسجدوا لربكم (الرحمن) الذي وسعت رحمته الأكوان

[قالوا وما الرحمن] ؟ أي من هو الرحمن ؟ استفهموا عنه استفهام من يجهله وهم عالمون به

[أنسجد لما تأمرنا] أي أنسجد لما تأمرنا بالسجود له من غير أن نعرفه ؟

[وزادهم نفورا] أي وزادهم هذا القول بعدا عن الدين ونفورا منه ، وذلك لشدة ضلالهم وطغيانهم .

البلاغة :

تضمنت الآيات وجوها من البلاغة والبديع نوجزها فيما يلي :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

1 - الاستفهام للتهكم والاستهزاء [أهذا الذى بعث الله رسولا] ؟ .

2 - التعجيب [أرأيت من اتخد إلهه هواه] وفيه تقديم المفعول الثانى على الأول اعتناء بالأمر المتعجب منه ، والأصل " اتخذ هواه إلها له " .

3 - التشبيه البليغ [جعل الليل لباسا] أي كاللباس الذي يغطي البدن ويستره ، حذف منه الأداة ووجه الشبه فأصبح بليغا .

4 -المقابلة اللطيفة بين الليل والنهار والنوم والانتشار [جعل الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا] .

5 - الاستعارة البديعة [بين يدي رحمته] استعار اليدين لما يكون أمام الشىء وقدامه ، كما تقول : بين يدي الموضوع أو السوره .

6 - الالتفات من الغيبة إلى التكلم للتعظيم [وأنزلنا من السماء] بعد قوله : [أرسل الرياح] .

7-المقابلة اللطيفة [هذا عذب فرات ، وهذا ملح أجاج] أي نهاية في الحلاوة ، وهذا في نهاية في

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الملوحة .

تنبيه :

الفرق بين [ميت] بالتخفيف [وميت] بالتشديد أن الأول لمن مات حقيقة ، والثاني لمن سيموت ، قال الشاعر : أيا سائلي تفسير ميت وميت فدونك قد فسرت ما عنه تسأل فما كان ذا روح فذلك ميت وما الميت إلا من إلى القبر يحمل

قال الله تعالى : [تبارك الذي جعل في السماء بروجا . .] إلى قوله [فقد كذبتم فسوف يكون لزاما] . من آية (61) إلى آية (77) نهاية السورة الكريمة .

المناسبه :

لما ذكر إعراض المشركين عن عبادة الرحمن ، اعقبها بذكر آياته الكونية الدالة على الوحدانية ، ثم ختم السورة الكريمة بذكر صفات عباد الرحمن ، التي استحقوا بها دخول الجنان ، بعد أن أفاض في أوصاف عباد الأوثان .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

اللغه :

[بروجا] البروج : منازل الكواكب السيارة ، سميت بالبروج لأنها تشبه القصور العالية وهي للكواكب كالمنازل للسكان ، وقيل : هي الكواكب العظيمة

[غراما] لازما دائما غير مفارق ومنه الغريم لملازمته

[الغرفة] الدرجة الرفيعة في الجنة وهي في اللغة العلية ، وكل بناء عالي فهو غرفة

[يعبأ] يبالي ويهتم ، قال أبو عبيدة : ما أعبأ به أي وجوده وعدمه عندي سواء ، والعبء في اللغة الثقل

[لزاما] ملازما لكم لا يفارق صاحبه .

التفسير :

[تبارك الذي جعل في السماء بروجا] أي تمجد وتعظم الله الذي جعل في السماء تلك الكواكب العظام المنيرة

[وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا] أي وجعل فيها الشمس المتوهجة في النهار ، والقمر المضيء بالليل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة] أي يخلف كل منهما الآخر ويتعاقبان ، فيأتى النهار بضيائه ثم يعقبه الليل بظلامه

[لمن أراد أن يذكر] أي لمن أراد أن يتذكر آلاء الله ، ويتفكر في بدائع صنعه

[أو أراد شكورا] أي أراد شكر الله على إفضاله ونعمائه ، قال الطبري : جعل الله الليل والنهار يخلف كل واحد منهما الآخر ، فمن فاته شيء من الليل أدركه بالنهار ، ومن فاته شيء من النهار أدركه بالليل

[وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا] الاضافة للتشريف أي العباد الذين يحبهم الله ، الجديرون بالانتساب اليه ، هم الذين يمشون على الأرض ، في لين وسكينة ووقار ، لا يضربون بأقدامهم أشرا ولا بطرا ، ولا يتبخترون في مشيتهم

[وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما] أي وإذا خاطبهم السفهاء بغلظة وجفاء ، قالوا قولا يسلمون فيه من الإثم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

، قال الحسن : لا يجهلون على أحد ، وإن جهل عليهم حلموا

[والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما] أي يحيون الليل بالصلاة ، ساجدين لله على جباههم ، أو قائمين على أقدامهم ، كقوله تعالى : [كانوا قليلا من الليل ما يهجعون] قال الرازي : لما ذكر سيرتهم في النهار من وجهين : ترك الإيذاء ، وتحمل الأذى ، بين هنا سيرتهم في الليالي ، وهو إشتغالهم بخدمة الخالق

[والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم] أي يدعون ربهم أن ينجيهم من عذاب النار ، ويبتهلون إليه أن يدفع عنهم عذابها

[إن عذابها كان غراما] أي لازما دائما غير مفارق

[إنها ساءت مستقرا ومقاما] أي بئست جهنم منزلا ومكان إقامة ، قال القرطبي : المعنى بئس المستقر وبئس المقام ، فهم مع طاعتهم ، مشفقون خائفون من عذاب الله ، وقال الحسن : خشعوا بالنهار وتعبوا بالليل ، فرقا من عذاب جهنم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا] هذا هو الوصف الخامس من أوصاف عباد الرحمن ، والمعنى : ليسوا مبذرين في إنفاقهم في المطاعم والمشارب والملابس ، ولا مقصرين ومضيقين بحيث يصبحون بخلاء

[وكان بين ذلك قواما] أي وكان إنفاقهم وسطا معتدلا ، بين الإسراف والتقتير ، كقوله تعالى : [ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط] الآية وقال مجاهد : " لو أنفقت مثل جبل أبي قبيس ذهبا في طاعة الله ما كان سرفا ، ولو أنفقت صاعا في معصية الله كان سرفا " ((وهذا على قول من فسر الإسراف بأنه الإنفاق فى معصية الله ، وإليه ذهب بعض المفسرين وهو منقول عن ابن عباس أيضا والقول الاول أظهر ، أن المراد بالإسراف : التبذير في إنفاق المال))

[والذين لا يدعون مع الله إلها آخر] أي لا يعبدون معه تعالى إلها آخر ، بل يوحدونه مخلصين له الدين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق] أي لا يقتلون النفس التي حرم الله قتلها ، إلا بما يحق أن تقتل به النفوس من كفر بعد إيمان ، أو زنى بعد إحصان ، أو القتل قصاصا

[ولا يزنون] أي لا يرتكبون جريمة الزنى التي هي من أفحش الجرائم

[ومن يفعل ذلك يلق أثاما] أي ومن يقترف تلك الموبقات العظيمة : من الشرك ، والقتل ، والزنى ، يجد فى الآخرة النكال والعقوبة ، ثم فسرها بقوله :

[يضاعف له العذاب يوم القيامة] أي يضاعف عقابه ، ويغلظ بسبب الشرك وبسبب المعاصي

[ويخلد فيه مهانا] أي يخلد في ذلك العذاب ، حقيرا ذليلا أبد الآبدين

[إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا] أي إلا من تاب في الدنيا التوبة النصوح ، وأحسن عمله

[فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات] أي يكرمهم الله في الآخرة فيجعل مكان السيئات حسنات ، وفي الحديث :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

" إني لأعلم آخر أهل الجنة دخولا الجنة ، وآخر أهل النار خروجا منها ، رجل يؤتى به يوم القيامة فيقال : اعرضوا عليه صغار ذنوبه ، وارفعوا عنه كبارها ، فتعرض عليه صغار ذنوبه ، فيقال : عملت يوم كذا كذا وكذا ، وعملت يوم كذا كذا وكذا فيقول : نعم ، لا يستطيع أن ينكر من ذلك شيئا ، وهو مشفق من كبار ذنوبه أن تعرض عليه فيقال له : فإن لك مكان كل سيئة حسنة فيقول يا رب : قد عملت أشياء لا أراها ههنا ، قال : فضحك رسول الله (ص) حتى بدت نواجذه "

[وكان الله غفورا رحيما] أي واسع المغفرة كثير الرحمة

[ومن تاب وعمل صالحا فإنه يتوب إلى الله متابا] أي ومن تاب عن المعاصي وأصلح سيرته ، فإن الله يتقبل توبته ويكون مرضيا عند الله تعالى

[والذين لا يشهدون الزور] هذا هو الوصف السابع

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من أوصاف عباد الرحمن أي لا يشهدون الشهادة الباطلة - شهادة الزور - التي فيها تضييع لحقوق الناس

[وإذا مروا باللغو مروا كراما] أي وإذا مروا بمجالس اللغو - وهي الأماكن التي يكون فيها العمل القبيح كمجالس اللهو ، والسينما ، والقمار ، والغناء المحرم - مروا معرضين مكرمين أنفسهم عن أمثال تلك المجالس ، قال الطبري : واللغو كل كلام أو فعل باطل ، وكل ما يستقبح كسب الإنسان ، وذكر النكاح باسمه في بعض الأماكن ، وسماع الغناء مما هو قبيح ، كل ذلك يدخل في معنى اللغو ، الذي يجب أن يجتنبه المؤمن

[والذين إذا ذكروا بآيات ربهم] أي إذا وعظوا بآيات القرآن وخوفوا بها

[لم يخروا عليها صما وعميانا] أي لم يعرضوا عنها ، بل سمعوها بآذان واعية وقلوب وجلة

[والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أعين] أي اجعل لنا في الأزواج والبنين ، مسرة
وفرحا بالتمسك بطاعتك ، والعمل بمرضاتك
[واجعلنا للمتقين إماما] أي اجعلنا قدوة يقتدي بنا
المتقون ، دعاة إلى الخير هداة مهتدين ، قال ابن
عباس : أي أئمة يقتدى بنا في الخير
[أولئك يجزون الغرفة بما صبروا] أي أولئك
المتصفون بالأوصاف الجليلة السامية ينالون الدرجات
العالية ، بصبرهم على أمر الله ، وطاعتهم له سبحانه
[ويلقون فيها تحية وسلاما] أي ويتلقون بالتحية
والسلام من الملائكة الكرام ، كقوله تعالى :
[والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم]
الآية
[خالدين فيها] أي مقيمين في ذلك النعيم ، لا يموتون
ولا يخرجون من الجنة لأنها دار الخلود
[حسنت مستقرا ومقاما] أي ما أحسنها مقرا ،
وأطيبها منزلا لمن اتقى الله
[قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم] أي قل لهم يا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

محمد : لا يكترث ولا يحفل بكم ربي لولا تضرعكم إليه ، واستغاثتكم إياه في الشدائد

[فقد كذبتم فسوف يكون لزاما] أي فقد كذبتم أيها الكافرون بالرسول والقرآن ، فسوف يكون العذاب ملازما لكم في الآخرة .

البلاغة :

تضمنت الأيات وجوها من البلاغة والبديع نوجزها فيما يلي :

1 - الإضافة للتشريف والتكريم [وعباد الرحمن] .

2 - الطباق بين السجود والقيام [سجدا وقياما] وكذلك بين الإسراف والتقتير [لم يسرفوا ولم يقتروا] .

3 - المقابلة اللطيفة بين نعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار [حسنت مستقرا ومقاما] مقابل قوله عن أهل النار [ساءت مستقرا ومقاما] .

4 - الاستعارة البديعة [لم يخروا عليها صما وعميانا] أي لم يتغافلوا عن قوارع النذر ، حتى يكونوا بمنزلة من لا يسمع ولا يبصر ، وهذا من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أحسن الاستعارات .

5 - الكناية [قرة أعين] كناية عن الفرحة والمسرة كما أن [الغرفة] كناية عن الدرجات العالية في الجنة.

تنبيه :

قال القرطبي : وصف تعالى " عباد الرحمن " بإحدى عشرة خصلة هي أوصافهم الحميدة من التحلي ، والتخلي وهي (التواضع ، والحلم ، والتهجد ، والخوف ، وترك الإسراف والإقتار ، والبعد عن الشرك ، والنزاهة عن الزنى ، والقتل ، والتوبة ، وتجنب الكذب ، وقبول المواعظ ، والإبتهال إلى الله وجل) ثم بين جزاءهم الكريم ، وهو نيل الغرفة أي الدرجة الرفيعة وهي أعلى منازل الجنة وأفضلها كما أن الغرفة أعلى مساكن الدنيا .

سورة الشعراء

مكية وآياتها سبع وعشرون ومائتان آيه

بين يدي السورة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

* سورة الشعراء قد عالجت أصول الدين من (التوحيد ، والرسالة ، والبعث) شأنها شأن سائر السور المكية ، التي تهتم بجانب العقيدة وأصول الإيمان .
* ابتدأت السورة الكريمة بموضوع القرآن العظيم ، الذي أنزله الله هداية للخلق ، وبلسما شافيا لأمراض الإنسانية ، وذكرت موقف المشركين منه ، فقد كذبوا به مع وضوح آياته ، وسطوع براهينه ، وطلبوا معجزة أخرى غير القرآن الكريم عنادا واستكبارا [إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين . .] الآيات
* ثم تحدثت السورة عن طائفة من الرسل الكرام ، الذين بعثهم الله لهداية البشرية ، فبدأت بقصة الكليم (موسى) مع فرعون الطاغية الجبار ، وما جرى من المحاورة والمداورة بينهما في شأن الإله جل وعلا ، وما أيد الله به موسى من الحجة الدامغة التي تقصم ظهر الباطل ، وقد ذكرت في القصة حلقات جديدة ، إنتهت ببيان العظة والعبرة من الفارق الهائل ، بين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الإيمان والطغيان [وإذ نادى ربك موسى أن ائت القوم الظالمين قوم فرعون الظالمين] ؟ الآيات .

* ثم تناولت قصة الخليل (إبراهيم) عليه السلام ، وموقفه من قومه وأبيه في عبادتهم للأوثان والأصنام ، وقد أظهر لهم بقوة حجته ، ونصاعة بيانه ، بطلان ما هم عليه من عبادة ما لا يسمع ولا ينفع ، وأقام لهم الأدلة القاطعة على وحدانية رب العالمين ، الذي بيده النفع والضر ، والإحياء والإماتة [وأتل عليهم نبأ إبراهيم . إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون] ؟الآيات .

* ثم تحدثت السورة عن المتقين والغاوين ، والسعداء والأشقياء ، ومصير كل من الفريقين يوم الدين [وأزلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين . .] الآيات .

* وبعد أن تابعت السورة في ذكر قصص الأنبياء (نوح ، وهود ، وصالح ، ولوط ، وشعيب) عليهم الصلاة والسلام ، وبينت سنة الله في معاملة المكذبين لرسله ، عادت للتنويه بشأن الكتاب العزيز ، تفخيما

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لشأنه ، وبيانا لمصدره [وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين ، على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين] .

* ثم ختمت السورة بالرد على إفتراء المشركين ، في زعمهم أن القرآن من تنزل الشياطين ، [وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون إنهم عن السمع لمعزولون] ليتناسق البدء مع الختام ، في أروع تناسق وإلتئام ! التسميه : سميت (سورة الشعراء) لأن الله تعالى ذكر فيها أخبار الشعراء ، وذلك للرد على المشركين في زعمهم أن محمدا كان شاعرا ، وأن ما جاء به من قبيل الشعر ، فرد الله عليهم ذلك الكذب والبهتان بقوله سبحانه : [والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون] ؟ وبذلك ظهر الحق وبان .

اللغه :

[باخع] مهلك وقاتل ، وأصل البخع : أن يبلغ بالمذبوح البخاع وهو الخرم النافذ في ثقب الفقرات

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وهو أقصى حد الذبح

[فعلتك] الفعلة بفتح الفاء المرة من الفعل

[تلقف] تبتلع

[يأفكون] من الإفك وهو الكذب

[لا ضير] لا ضرر ، والضر والضير بمعنى واحد ، قال الجوهري : ضاره يضوره ، ضيرا أي ضره ، قال الشاعر : فإنك لا يضورك بعد حول أظبي كان أمك أم حمار

[منقلبون] راجعون

[من خلاف] أي يخالف بين الأعضاء فيقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى .

التفسير :

[طسم] إشارة إلى إعجاز القرآن الكريم وإنه مركب من أمثال هذه الحروف الهجائية

[تلك آيات الكتاب المبين] أي هذه آيات القرآن الواضح الجلي ، الظاهر إعجازه لمن تأمله

[لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين] أي لعلك يا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

محمد مهلك نفسك ، لعدم إيمان هؤلاء الكفار ، وهي تسلية للرسول(ص) ، حتى لا يحزن ، ولا يتأثر على عدم إيمانهم

[إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية] أي لو شئنا لأنزلنا آية من السماء ، تضطرهم إلى الإيمان قهرا
[فظلت أعناقهم لها خاضعين] أي فتظل أعناقهم منقادة خاضعة للإيمان قسرا وقهرا ، ولكن لا نفعل لأنا نريد أن يكون الإيمان ، إختيارا لا اضطرارا ، قال الصاوي ؟ المعنى لا تحزن على عدم إيمانهم ، فلو شئنا إيمانهم لأنزلنا معجزة تأخذ بقلوبهم ، فيؤمنون قهرا عليهم ، ولكن سبق في علمنا شقاؤهم ، فأرح نفسك من التعب
[وما يأتيهم من ذكر من الرحمن] أي ما يأتي هؤلاء الكفار شيء من القرآن أو الوحي منزل من عند الرحمن
[محدث] أي جديد في النزول ، ينزل وقتا بعد وقت

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

((معنى " محدث " أي محدث في نزوله وإلا فكلام الله قديم لا يوصف بالحدوث كما لا يوصف بأنه مخلوق))

[إلا كانوا عنه معرضين] أي إلا كذبوا به واستهزءوا ولم يتأملوا بما فيه من المواعظ والعبر

[فقد كذبوا فسيأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزءون] أي فقد بلغوا النهاية في الإعراض والتكذيب ، فسوف يأتيهم عاقبة ما كذبوا واستهزءوا به ، ثم نبه تعالى على عظمة سلطانه ، وجلالة قدره في مخلوقاته ومصنوعاته ، الدالة على وحدانيته ، وكمال قدرته فقال سبحانه :

[أولم يروا إلى الأرض كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم] أي أولم ينظروا إلى عجائب الأرض ، كم أخرجنا فيها من كل صنف حسن محمود ، كثير الخير والمنفعة ؟ والإستفهام للتوبيخ على تركهم الإعتبار

[إن في ذلك لآية] أي إن في ذلك الإنبات ، لآية باهرة تدل على وحدانية الله وقدرته

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وما كان أكثرهم مؤمنين] أي وما كان أكثرهم يؤمن في علم الله تعالى ، فمع ظهور الدلائل الساطعة ، يستمر أكثرهم على كفرهم

[وإن ربك لهو العزيز الرحيم] أي هو سبحانه الغالب القاهر ، القادر على الإنتقام ممن عصاه ، الرحيم بخلقه حيث أمهلهم ، ولم يعجل لهم العقوبة مع قدرته عليهم ، قال أبو العالية : العزيز في نقمته ممن خالف أمره وعبد غيره ، الرحيم بمن تاب إليه وأناب ، وقال الفخر الرازي : إنما قدم ذكر [العزيز] على [الرحيم] لإنه ربما قيل : إنه رحمهم لعجزه عن عقوبتهم ، فأزال هذا الوهم بذكر (العزيز) وهو الغالب القاهر ، ومع ذلك فإنه رحيم بعباده ، فإن الرحمة إذا كانت مع القدرة الكاملة ، كانت أعظم وقعا

[وإذ نادى ربك موسى] أي وإذكر يا محمد لأولئك المعرضين المكذبين من قومك ، حين نادى ربك نبيه (موسى) من جانب الطور الأيمن ، آمرا له أن يذهب إلى فرعون وملئه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[أن ائت القوم الظالمين] أي بأن ائت هؤلاء الظالمين ، الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصي ، واستعباد الضعفاء من بني إسرائيل

[قوم فرعون] أي هم قوم فرعون ، وهو عطف بيان ، كان القوم الظالمين وقوم فرعون شيء واحد

[ألا يتقون] ؟ أي ألا يخافون عقاب الله ؟ وفيه تعجيب من غلوهم في الظلم ، وإفراطهم في العدوان

[قال رب إني أخاف أن يكذبون] أي قال موسى : يا رب إني أخاف أن يكذبوني في أمر الرسالة

[ويضيق صدري] أي ويضيق صدري من تكذيبهم إياي

[ولا ينطلق لساني] أي ولا ينطلق لساني بأداء الرسالة على الوجه الكامل

[فأرسل إلى هارون] أي فأرسل إلى هارون ليعينني على تبليغ رسالتك ، قال المفسرون : التمس موسى العذر بطلب المعين بثلاثة أعذار ، كل واحد منها مرتب على ما قبله وهي : (خوف التكذيب) و(ضيق

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الصدر) و(عدم إنطلاق اللسان) ، فالتكذيب سبب لضيق القلب ، وضيق القلب سبب لتعسر الكلام ، وبالأخص على من كان في لسانه حبسة كما في قوله : [واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي] ثم زاد اعتذارا آخر بقوله :

[ولهم علي ذنب فأخاف أن يقتلون] أي ولفرعون وقومه علي دعوى ذنب ، وهو إني قتلت منهم قبطيا فأخاف أن يقتلوني به

[قال كلا] أي قال الله تعالى له : كلا لن يقتلوك ، وهو ردع وزجر عن هذا الظن ، وأمر بالثقة بالله تعالى ، أي ثق بالله وإنزجر عن خوفك منهم فإنهم لا يقدرون على قتلك

[فإذهبا بآياتنا] أي إذهب أنت وهارون بالبراهين والمعجزات الباهرة

[إنا معكم مستمعون] أي فأنا معكما بالعون والنصرة أسمع ما تقولان وما يجيبكما به ، وصيغة الجمع "

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

معكم " أريد به النية ، فكأنهما شرفهما عند الله ، عاملهما في الخطاب معاملة الجمع ، تشريفا لهما وتعظيما

[فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين] أي فأتيا فرعون الطاغية وقولا له : إنا مرسلان من عند رب العالمين إليك ، لندعوك إلى الهدى

[أن أرسل معنا بني إسرائيل] أي أطلق بني إسرائيل من إسارك واستعبادك ، وخل سبيلهم حتى يذهبوا معنا إلى الشام

[قال ألم نربك فينا وليدا] في الكلام حذف يدل عليه المعنى تقديره : فأتياه فبلغاه الرسالة ، فقال فرعون لموسى عندئذ : ألم نربك في منازلنا صبيا صغيرا ؟ قصد فرعون بهذا الكلام المن على موسى والإحتقار له ، كأنه يقول : ألست أنت الذي ربيناك صغيرا وأحسنا إليك ، فمتى كان هذا الأمر الذي تدعيه ؟

[ولبثت فينا من عمرك سنين] أي ومكثت بين ظهرانينا سنين عديدة ، نحسن إليك ونرعاك ؟ قال

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مقاتل : ثلاثين سنة

[وفعلت فعلتك التي فعلت] أي فجازيتنا على أن ربيناك ، أن كفرت نعمتنا وقتلت منا نفسا ؟ والتعبير بالفعلة لتهويل الواقعة وتعظيم الأمر ، ومراده قتل القبطى

[وأنت من الكافرين] أي وأنت من الجاحدين لإنعامنا ، الكافرين بإحساننا ، قال إبن عباس : من الكافرين لنعمتي إذ لم يكن فرعون يعلم ما الكفر ((وقال الحسن : يريد إنك من الكافرين بألوهيتي ورجح الطبري قول ابن عباس وهو الأظهر))

[قال فعلتها إذا وأنا من الضالين] أي قال موسى : فعلت تلك الفعلة وأنا من المخطئين ، لأنني لم أتعمد قتله ولكن أردت تأديبه ، ولم يقصد عليه السلام الضلال عن الهدى " لأنه معصوم منذ الصغر " وقال ابن عباس : [وأنا من الضالين] أي الجاهلين

[ففررت منكم لما خفتكم] أي فهربت إلى أرض مدين حين خفت على نفسي أن تقتلوني وتؤاخذوني بما لا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أستحقه

[فوهب لي ربي حكما] أي فأعطاني الله النبوة والحكمة

[وجعلني من المرسلين] أي واختارني رسولا إليك ، فإن آمنت سلمت ، وإن جحدت هلكت

[وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني إسرائيل] أي كيف تمن على بإحسانك إلي وقد استعبدت قومي ؟ فما تعده نعمة ما هو إلا نقمة ، قال ابن كثير : المعنى ما أحسنت إلي وربيتني ، مقابل ما أسأت إلى بني إسرائيل ، فجعلتهم عبيدا وخدما ، فهل يفي إحسانك إلى رجل واحد منهم ، بما أسأت إلى مجموعهم ؟ وقال الطبري : أي أتمن علي أن اتخذت بني إسرائيل عبيدا ؟

[قال فرعون وما رب العالمين] أي قال فرعون متعاليا متكبرا : من هو هذا الذي تزعم أنه رب العالمين ؟ هل هناك إله غيري ؟ لأنه كان يجحد الصانع ويقول لقومه : [ما علمت لكم من إله غيرى]

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[قال رب السموات والأرض وما بينهما] أي قال موسى : هو خالق السموات والأرض ، والمتصرف فيهما بالإحياء والإعدام ، وهو الذي خلق الأشياء كلها ، من بحار وقفار ، وجبال وأشجار ، ونبات وثمار ، وغير ذلك من المخلوقات البديعة

[إن كنتم موقنين] أي إن كانت لكم قلوب موقنة ، وأبصار نافذة ، فهذا أمر ظاهر جلي

[قال لمن حوله ألا تستمعون] أي قال فرعون لمن حوله من أشراف قومه ، على سبيل التهكم والإستهزاء : ألا تسمعون جوابه ، وتعجبون من أمره ؟ إسأله عن حقيقة الله فيجيبني عن صفاته ، فأجاب موسى وزاد في البيان والحجة

[قال ربكم ورب آبائكم الأولين] أي هو خالقكم وخالق آبائكم الذين كانوا قبلكم ، فوجودكم دليل على وجود القادر الحكيم ، عدل عن التعريف العام إلى التعريف الخاص لأن دليل الأنفس أقرب من دليل الآفاق ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وأوضح عند التأمل [وفي أنفسكم أفلا تبصرون] فعند ذلك غضب فرعون ، ونسب موسى إلى الجنون

[قال إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون] سماه رسولا استهزاء وإضافه إلى المخاطبين استنكافا من نسبته له ، أي إن هذا الرسول لمجنون لا عقل له ، أسأله عن شيء فيجيبني عن شيء ، فلم يحفل موسى بسخرية فرعون ، وعاد إلى تأكيد الحجة بتعريف ثالث أوضح من الثاني

[قال رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون] أي هو تعالى الذي يطلع الشمس من المشرق ويجعلها تغرب من المغرب ، وهذا مشاهد كل يوم يبصره العاقل والجاهل ، ولهذا قال : [إن كنتم تعقلون] أي إن كان لكم عقول أدركتم إن هذا لا يقدر عليه إلا رب العالمين ، وهذا من أبلغ الحجج التي تقصم ظهر الباطل ، كقول إبراهيم في مناظرة النمرود [قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر] ولما إنقطع فرعون

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وأبلس في الحجة ، رجع إلى الاستعلاء متوعدا بالبطش والعنف

[قال لئن اتخذت إلها غيرى لأجعلنك من المسجونين]

أي لئن اتخذت ربا غيري ، لألقينك في غياهب السجن ، قال المفسرون : وكان سجنه شديدا يحبس الشخص في مكان تحت الأرض وحده لا يبصر ولا يسمع فيه أحدا حتى يموت ، ولهذا لم يقل " لأسجننك " وإنما قال لأجعلنك من المسجونين ، لأن سجنه كان أشد من القتل ، قال المفسرون : لما أظهر فرعون الجهل بالله فقال : [وما رب العالمين] أجابه موسى بقوله : [رب السموات والأرض] فقال : [ألا تستمعون] ؟ تعجبا من جوابه ، فزاد موسى في إقامة الحجة بقوله :

[ربكم ورب آبائكم الأولين] لأن وجود الإنسان وآبائه أظهر الأدلة عند العقلاء ، وأعظم البراهين ، فإن أنفسهم أقرب الأشياء إليهم فيستدلون بها على وجود خالقهم ، فلما ظهرت هذه الحجة حاد فرعون عنها ونسب موسى إلى الجنون مغالطة منه ، وأيده

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بالإزدراء والتهكم في قوله : [إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون] فزاد موسى في إقامة الحجة بقوله :

[رب المشرق والمغرب] لأن طلوع الشمس وغروبها آية ظاهرة لا يمكن أحدا جحدها ، ولا أن يدعيها لغير الله ، فلما إنقطع فرعون بالحجة رجع إلى الاستعلاء والتغلب فهدده بالسجن ، فأقام موسى عليه الحجة بالمعجزة وذكرها له بتلطف طمعا في إيمانه

[قال أولو جئتك بشيء مبين] أي أتسجنني ولو جئتك بأمر ظاهر ، وبرهان قاطع تعرف به صدقي ؟

[قال فأت به إن كنت من الصادقين] أي فائت بما تقول إن كنت صادقا في دعواك

[فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين] أي رمى موسى عصاه ، فإذا هي حية عظيمة ، في غاية الجلاء والوضوح ، ذات قوائم وفم كبير ، وشكل هائل مزعج

[ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين] أي وأخرج يده من جيبه فإذا هي تتلألأ كالشمس الساطعة ، لها شعاع يكاد يغشي الأبصار ويسد الأفق

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[قال للملأ حوله إن هذا لساحر عليم] أي قال فرعون لأشراف قومه ، الذين كانوا حوله : إن هذا لساحر عظيم بارع في فن السحر . . أراد أن يعمي على قومه تلك المعجزة برميه بالسحر ، خشية أن يتأثروا بما رأوا

[يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره] أي يريد أن يستولي على بلادكم بسحره العظيم

[فماذا تأمرون] أي فبأي شيء تأمروني ؟ وبما تشيرون علي أن أصنع به ؟ لما رأى فرعون تلك الآيات الباهرة خاف على قومه أن يتبعوه ، فتنزل إلى مشاورتهم بعد أن كان مستبدا بالرأي والتدبير

[قالوا أرجه وأخاه] أي أخر أمرهما

[وابعث في المدائن حاشرين] أي وأرسل في أطراف مملكتك من يجمع لك السحرة من كل مكان

[يأتوك بكل سحار عليم] أي يجيئوك بكل ساحر ماهر ، عليم بضروب السحر ، وكان هذا من تسخير الله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تعالى ليجتمع الناس في صعيد واحد ، وتظهر آيات الله وحججه وبراهينه على الناس في النهار جهرة

[فجمع السحرة لميقات يوم معلوم] أي فاجتمع السحرة للموعد المحدد ، وهو وقت الضحى من (يوم الزينة) وهو الوقت الذي حدده موسى ، ليظهر الحق ويزهق الباطل على رءووس الأشهاد ، كما قال تعالى : [قال موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى]

[وقيل للناس هل أنتم مجتمعون لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين] أي قيل للناس : بادروا إلى الإجتماع لكي نتبع السحرة في دينهم إن غلبوا موسى

[فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين] أى إن غلبنا بسحرنا موسى فهل تكرمنا بالمال والأجر الجزيل ؟

[قال نعم وإنكم إذا لمن المقربين] أي قال لهم فرعون : نعم أعطيكم ما تريدون ، وأجعلكم من المقربين عندي ، ومن خاصة جلسائي ! !

[قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون] في الكلام إيجاز

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

دل عليه السياق تقديره : فقالوا لموسى عند ذلك إما أن تلقي وإما أن نكون نحن الملقين ؟ كما ذكر ذلك في الأعراف ، فأجابهم موسى بقوله : [ألقوا ما أنتم ملقون] أي ابدءوا بإلقاء ما تريدون فأنا لا أخشاكم ، قاله ثقة بنصرة الله له ، وتوسلا لإظهار الحق

[فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون] أي فألقوا ما بأيديهم من الحبال والعصي ، وقالوا عند الإلقاء : نقسم بعظمة فرعون وسلطانه ، إنا نحن الغالبون لموسى

[فألقى موسي عصاه فإذا هي تلقف ما يأفكون] أي فألقى موسى العصا ، فإنقلبت حية عظيمة ، فإذا هي تبتلع وتزدرد الحبال والعصي ، التي اختلقوها بإسم السحر ، حيث خيلوها للناس حيات تسعى ، وسمي تلك الأشياء إفكا - أي كذبا - للمبالغة

[فألقي السحرة ساجدين] أي سجدوا لله رب العالمين ، بعدما شاهدوا البرهان الساطع ، والمعجزة الباهرة

[قالوا آمنا برب العالمين رب موسي وهارون] أي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقالوا عند سجودهم : آمنا وصدقنا بالله العزيز الكبير ، الذي يدعونا إليه موسى وهارون ، قال الطبري : لما تبين للسحرة ، أن الذي جاءهم به موسى حق لا سحر ، وإنه مما لا يقدر عليه غير الله الذي فطر السموات والأرض ، خروا لوجوههم سجدا لله ، مذعنين له بالطاعة قائلين : آمنا برب العالمين الذي دعانا موسى لعبادته ، دون فرعون وملئة

[قال آمنتم له قبل أن آذن لكم] أي قال فرعون للسحرة : آمنتم لموسى قبل أن تستأذنوني ؟

[إنه لكبيركم الذي علمكم السحر] أي إنه رئيسكم الذي تعلمتم منه السحر ، وتواطأتم معه ليظهر أمره ، أراد فرعون بهذا الكلام ، التلبيس على قومه ، لئلا يعتقدوا أن السحرة آمنوا عن بصيرة وظهور حق ، قال ابن كثير : وهذه مكابرة يعلم كل أحد بطلانها ، فإنهم لم يجتمعوا بموسى قبل ذلك اليوم ، فكيف يكون كبيرهم الذي أفادهم صناعة السحر ؟ هذا لا يقوله عاقل ، ثم توعدهم بقوله :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فلسوف تعلمون] أي سوف تعلمون عند عقابي ، وبال ما صنعتم من الإيمان به

[لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف] أي لأقطعن يد كل واحد منكم (اليمنى) ورجله (اليسرى)

[ولأصلبنكم أجمعين] أي ولأصلبن كل واحد منكم على فرع شجرة وأتركه حتى الموت

[قالوا لا ضير إنا إلى ربنا منقلبون] أي لا ضرر علينا في وقوع ما أوعدتنا به ، ولا نبالي به ، لأننا نرجع إلى ربنا مؤملين غفرانه

[إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا] أي إنا نرجو أن يغفر لنا الله ذنوبنا التي سلفت منا قبل إيماننا به فلا يعاقبنا بها

[إن كنا أول المؤمنين] أي بسبب أن بادرنا قومنا إلى الإيمان ، وكنا أول من آمن بموسى عن بصيرة ويقين .

البلاغة :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تضمنت الآيات وجوها من البلاغة والبديع نوجزها فيما يلي :

---

1 - الكناية اللطيفة [فظلت أعناقهم لها خاضعين] كنى به عن الذل والهوان ، الذي يلحقهم بعد العز والكبرياء .

2 - الوعيد والتهديد [فسيأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزءون] .

3 - التوبيخ [أولم يروا إلى الأرض] الإستفهام للتوبيخ على تركهم النظر بعين الإعتبار .

4 - المقابلة اللطيفة بين [ويضيق صدري] وبين [ولا ينطلق لساني] .

5 - جناس الإشتقاق بين [رسول . . وأرسل] .

6 - الجناس الناقص [وفعلت فعلتك] فقد اتفقت الحروف بين [فعلت] وبين [فعلة] وإختلف الشكل ، فأصبح جناسا غير تام .

7 - الإيجاز بالحذف [قال ألم نربك فينا وليدا] دل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

على هذا الحذف السياق تقديره فأتيا فرعون فقالا له ذلك فقال لموسى : [ألم نربك] وكذلك هناك إيجاز في [فأرسل إلى هارون] وأصله أرسل جبريل إلى هارون ، واجعله نبيا وآزرني به ، واشدد به عضدي ، فأحسن في الإختصار غاية الإحسان .

8 - صيغة التعجب [ألا تستمعون] ؟ .

9 - التأكيد بإن واللام ، لأن السامع متشكك ومتردد [إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون] ومثله قول السحرة في بدء المناظرة [إنا لنحن الغالبون] وهذا من خصائص علم البيان .

10 - الطباق بين [المشرق . . والمغرب] ثم توافق الفواصل وهو من السجع البديع .

لطيفة :

إن قيل كيف قال موسى في بدء مناظرته لفرعون وقومه

[إن كنتم موقنين] ثم قال آخرا :

[إن كنتم تعقلون] فالجواب إنه تلطف ولاين أولا ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

طمعا في إيمانهم ، فلما رأى منهم العناد والمغالطة ، وبخهم بقوله :

[إن كنتم تعقلون] وجعل ذلك في مقابلة قول فرعون :

[إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون] فسلك موسى طريق الحكمة مع الطاغية الجبار

قال الله تعالى : [وأوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي . .] إلى قوله [وإن ربك لهو العزيز الرحيم] . من آية (52) إلى نهاية آية (104) .

المناسبة :

ذكر الله سبحانه وتعالى في هذه السورة سبع قصص : أولها قصة موسى وهارون ، وثانيها قصة إبراهيم ، وثالثها قصة نوح ، ورابعها قصة هود ، وخامسها قصة صالح ، وسادسها قصة لوط ، وسابعها قصة شعيب ، وكل تلك القصص لتسلية الرسول(ص) عما يلقاه من أذى المشركين ، ولتكون عبرة للمعتبرين ، ولا تزال الآيات تتحدث عن قصة موسى عليه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

السلام .

اللغة :

[أسر] من الإسراء وهو السير ليلا ، فلا يقال لمن سار نهارا أسرى وإنما هو خاص بالليل

[شرذمة] الشرذمة : الجمع القليل والجمع شراذم ، قال الجوهري : الشرذمة الطائفة من الناس ، والقطعة من الشيء ، وثوب شراذم أي قطع

[أزلفنا] قربنا ومنه

[وأزلفت الجنة للمتقين] أي قربت ، قال الشاعر :

وكل يوم مضى أو ليلة سلفت فيها النفوس إلى الآجال تزدلف

[فكبكبوا] كبكب الشيء : قلب بعضه على بعض ، وهو مضاعف من كب وهذا قول الجمهور مثل صر ، وصرصر ، وقال الزمخشري : الكبكبة : تكرير الكب جعل التكرير في اللفظ دليلا على التكرير في المعنى كأنه إذا ألقى في جهنم ينكب مرة بعد مرة حتى يستقر في قعرها

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[حميم] الحميم : الصديق الخالص الذي يهمه ما أهمك

[كرة] الكرة : العودة والرجوع مرة أخرى .

التفسير :

[وأوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي] أي أمرنا موسى بطريق الوحي أن يسير ليلا إلى جهة البحر ببنى إسرائيل ، قال القرطبي : أمر الله موسى أن يخرج ببني إسرائيل ليلا ، وسماهم عباده لأنهم آمنوا بموسى

[إنكم متبعون] أي يتبعكم فرعون وقومه ، ليردوكم إلى أرض مصر ويقتلوكم

[فأرسل فرعون في المدائن حاشرين] أي أرسل فرعون في طلبهم حين أخبر بمسيرهم ، وأمر أن يجمع له الجيش من كل المدن ، قائلا لهم :

[إن هؤلاء لشرذمة قليلون] أي طائفة قليلة ، قال الطبري : كان بنو إسرائيل ستمائة وسبعين ألفا ولكنه قللهم بالنسبة إلى كثرة جيشه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وإنهم لنا لغائظون] أي وإنهم يفعلون أفعالا تغيظنا وتضيق صدورنا

[وإنا لجميع حاذرون] أي ونحن قوم متيقظون منتبهون ، من عادتنا التيقظ والحذر ، واستعمال الحزم في الأمور ، قال الزمخشري : وهذه معاذير اعتذر بها إلى قومه ، لئلا يظن به ما يكسر من قهره وسلطانه ، قال تعالى ؟

[فأخرجناهم من جنات وعيون] أي أخرجنا فرعون وقومه ، من بساتين كانت لهم ، وأنهار جارية

[وكنوز ومقام كريم] أي وأخرجناهم من الأموال ، التي كنزوها من الذهب والفضة ، ومن المنازل الحسنة والمجالس البهية

[كذلك وأورثناها بني إسرائيل] أي مثل ذلك الإخراج الذي وضعناه فعلنا بهم ، وأورثنا بني إسرائيل ديارهم وأموالهم ، بعد إغراق فرعون وقومه

[فأتبعوهم مشرقين] أي فلحقوهم وقت شروق الشمس

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فلما تراءى الجمعان] أي فلما رأى كل منهما الآخر ، والمراد (جمع موسى) و(جمع فرعون)
[قال أصحاب موسى إنا لمدركون] أي ملحقون يلحقنا فرعون وجنوده فيقتلوننا ، قالوا ذلك حين رأوا فرعون الجبار وجنوده وراءهم ، والبحر أمامهم ، وساءت ظنونهم
[قال كلا] أي قال موسى : كلا لن يدركوكم ، فارتدعوا عن مثل هذا الكلام وإنزجروا
[إن معي ربي سيهدين] إن ربي معه بالحفظ والنصرة ، وسيهديني إلى طريق النجاة والخلاص ، قال الرازي : قوى نفوسهم بأمرين : أحدهما أن ربه معه وهذا دلالة النصرة والتكفل بالمعونة ، والثاني : قوله : [سيهدين] أي إلى طريق النجاة والخلاص ، وإذا دله على طريق نجاته وهلاك أعدائه ، فقد بلغ النهاية في النصر
[فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر] أي أمرنا موسى بطريق الوحي أن يضرب البحر بعصاه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فانفلق] أي فضربه فانشق وانفلق

[فكان كل فرق كالطود العظيم] أي فكان كل جزء منه كالجبل الشامخ الثابت ، قال ابن عباس : صار فيه اثنا عشر طريقا لكل سبط منهم طريق ((وإنما جعل الله لهم في البحر اثني عشر طريقا ، لئلا يزدحموا حين مرورهم فيه ، وصار على قدر عدد الأسباط ، لكل سبط طريق))

[وأزلفنا ثم الآخرين] أي وقربنا هناك فرعون وجماعته حتى دخلوا البحر ، على إثر دخول بني إسرائيل

[وأنجينا موسى ومن معه أجمعين] أي أنجينا موسى والمؤمنين معه جميعا

[ثم أغرقنا الآخرين] أي أغرقنا فرعون وقومه ، قال المفسرون : لما انفلق البحر جعله الله يبسا لموسى وقومه ، وصار فيه اثنا عشر طريقا ووقف الماء بينها كالطود العظيم ، فلما خرج أصحاب موسى وتكامل دخول أصحاب فرعون أمر الله البحر أن يطبق عليهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فغرقوا فيه ، فقال بعض أصحاب موسى : ما غرق فرعون ! فنبذ على ساحل البحر حتى نظروا إليه

[إن في ذلك لآية] أي إن في إغراق فرعون وقومه ، لعبرة عظيمة على إنجاء الله لأوليائه ، وإهلاكه لأعدائه

[وما كان أكثرهم مؤمنين] أي ومع معاهدة هذه الآية العظمى ، لم يؤمن أكثر البشر ، وفيه تسلية للنبي (ص) ووعيد لمن عصاه

[وإن ربك لهو العزيز الرحيم] أي هو تعالى المنتقم من أعدائه الرحيم بأوليائه

[واتل عليهم نبأ إبراهيم] هذه بداية (قصة إبراهيم) أي اقصص عليهم يا أيها الرسول خبر (إبراهيم) الهام وشأنه العظيم ((قال الفخر الرازي : ذكر تعالى في اول السورة حزن النبي (ص) بسبب كفر قومه ، ثم ذكر قصة موسى ليعرف محمد أن مثل تلك المحنة كانت حاصلة لموسى ، ثم ذكر عقبها قصة إبراهيم ليعرف محمد أيضاً أن حزن إبراهيم بهذا السبب كان

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أشد من حزنه ، لأن من عظيم المحنة على إبراهيم أن يرى أباه وقومه فى النار ، وهو لا يتمكن من إنقاذهم إلا بالدعاء والتنبيه))

[إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون] أي حين قال لأبيه وعشيرته أي شئ تعبدون ؟ سألهم مع علمه بأنهم يعبدون الأصنام ليبين لهم سفاهة عقولهم في عبادة ما لا ينفع ، ويقيم عليهم الحجة

[قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين] أي نعبد أصناما فنبقى مقيمين على عبادتها لا نتركها ، قالوا ذلك على سبيل الإبتهاج والإفتخار ، وكان يكفيهم أن يقولوا : نعبد الأصنام ، ولكنهم زادوا في الوصف ، كالمفتخر بما يصنع

[قال هل يسمعونكم إذ تدعون] أي قال لهم إبراهيم على سبيل التبكيت والتوبيخ : هل يسمعون دعاءكم حين تلجأون إليهم بالدعاء ؟

[أو ينفعونكم أو يضرون] أي وهل يبذلون لكم منفعة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

، أو يدفعون عنكم مضرة ؟

[قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون] أي وجدنا آباءنا يعبدونهم ففعلنا مثلهم ! ! اعترفوا بأنها لا تنفع ولا تضر بالمرة ، واضطروا إلى إظهار الحقيقة وهي أنه لا سند لهم سوى التقليد ، وهذا من علامات إنقطاع الحجة

[قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباوكم الأقدمون] أي قال إبراهيم : أفرأيتم هذه الأصنام التي عبدتموها من دون الله أنتم وآباوكم الأولون ؟

[فإنهم عدو لي إلا رب العالمين] أي فإن هذه الأصنام أعداء لي لا أعبدهم ، ولكن أعبد الله رب العالمين ، فهو وليي في الدنيا والآخرة! ! أسند العداوة لنفسه تعريضا بهم ، وهو أبلغ في النصيحة من التصريح

[الذي خلقني فهو يهدين] أي الله الذي خلقني هو الذي يهديني إلى طريق الرشاد ، لا هذه الأصنام

[والذي هو يطعمني ويسقين] أي هو تعالى الذي يرزقني الطعام والشراب ، فهو الخالق الرازق الذي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ساق المزن ، وأنزل المطر ، وأخرج به أنواع الثمر ، رزقا للعباد

[وإذا مرضت فهو يشفين] أي وإذا أصابني المرض ، فإنه لا يقدر على شفائي أحد غيره ، وإنما أسند المرض إلى نفسه [مرضت] وأسند الشفاء إلى الله رعاية للأدب ، وإلا فالمرض والشفاء من الله جل وعلا ، فراعي في كلامه حسن الأدب

[والذي يميتني ثم يحيين] أي وهو تعالى المحيي المميت ، لا يقدر على ذلك أحد سواه ، بيده الحياة والموت ، يميتني إذا شاء ، ثم يحييني إذا أراد بعد مماتي

[والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين] أي أرجو من واسع رحمته أن يغفر لي ذنبي ، يوم الحساب والجزاء ، حيث يجازى العباد بأعمالهم ، وفيه تعليم للأمة أن يستغفروا من ذنوبهم ويقروا بخطاياهم

[رب هب لي حكما وألحقني بالصالحين] أي هب لي الفهم والعلم ، وألحقني في زمرة عبادك الصالحين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[واجعل لي لسان صدق] أي اجعل لي ذكرا حسنا وثناء عاطرا

[في الآخرين] أي فيمن يأتي بعدي إلى يوم القيامة ، أذكر به ويقتدى بي قال ابن عباس : هو اجتماع الأمم عليه ، فكل أمة تتمسك به وتعظمه

[واجعلني من ورثة جنة النعيم] أي من السعداء في الآخرة ، الذين يستحقون ميراث جنات الخلد

[واغفر لأبي] أي اصفح عنه واهده إلى الإيمان

[إنه كان من الضالين] أي ممن ضل عن سبيل الهدى ، قال الصاوي : وقد أجابه الله تعالى في جميع دعواته ، سوى الدعاء بالغفران لأبيه وقال القرطبي : كان أبوه وعده أن يؤمن به ، فلذلك استغفر له ، فلما بان له أنه لا يفي تبرأ منه

[ولا تخزني يوم يبعثون] أي لا تذلني ولا تهني ، يوم تبعث الخلائق للحساب ، وهذا تواضع منه أمام عظمة الله وجلاله ، وإلا فقد أثنى الله عليه بقوله : [إن إبراهيم كان أمة] الآية

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[يوم لا ينفع مال ولا بنون] أي في ذلك اليوم العصيب الرهيب ، لا ينتفع أحد بمال ولا ولد ، ولا يقيه من عذاب الله شيء ، لا ماله ولا ولده ، ولو افتدى بملء الأرض ذهبا

[إلا من أتى الله] أي إلا من جاء ربه في الآخرة [بقلب سليم] أي بقلب نقي طاهر ، سليم من الشرك والنفاق ، والحسد والبغضاء . . وإلى هنا تنتهي دعوات الخليل إبراهيم عليه السلام ، ثم يقول تعالى [وأزلفت الجنة للمتقين] أي قربت الجنة للمتقين لربهم ليدخلوها ، قال الطبري : وهم الذين اتقوا عقاب الله بطاعتهم إياه في الدنيا

[وبرزت الجحيم للغاوين] أي وأظهرت النار للمجرمين الضالين حتى رأوها بارزة أمامهم ، مكشوفة للعيان ، فالمؤمنون يرون الجنة فتحصل لهم البهجة والسرور ، والغاوون يرون جهنم فتحصل لهم المساءة والأحزان

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وقيل لهم] أي قيل للمجرمين على سبيل التقريع والتوبيخ

[أين ما كنتم تعبدون من دون الله] أي أين آلهتكم الذين عبدتموهم من الأصنام والأنداد ؟

[هل ينصرونكم أو ينتصرون] أي هل ينقذونكم من عذاب الله ، أو يستطيعون أن يدفعوه عن أنفسهم ؟ وهذا كله توبيخ

[فكبكبوا فيها] أي ألقوا على رءوسهم في جهنم ، قال مجاهد : دهوروا في جهنم ، وقال الطبري : رمي بعضهم على بعض ، وطرح بعضهم على بعض ، منكبين على وجوههم

[هم والغاوون] أي الأصنام والمشركون ، والعابدون والمعبودون ، كقوله : [إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم]

[وجنود إبليس أجمعون] أي وأتباع إبليس قاطبة من الإنس والجن

[قالوا وهم فيها يختصمون] أي قال العابدون

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لمعبوديهم ، وهم في الجحيم يتنازعون ويتخاصمون :

[تالله إن كنا لفي ضلال مبين] أي نقسم لكم بالله ، لقد كنا في ضلال واضح وبعد عن الحق ظاهر

[إذ نسويكم برب العالمين] أي حين عبدناكم مع رب العالمين ، وجعلناكم مثله في استحقاق العبادة

[وما أضلنا إلا المجرمون] أى وما أضلنا عن الهدى إلا الرؤساء والكبراء الذي زينوا لنا الكفر والمعاصي

[فما لنا من شافعين] أي ليس لنا من يشفع لنا من هول هذ اليوم

[ولا صديق حميم] أي ولا صديق خالص الود ينقذنا من عذاب الله

[فلو أن لنا كرة] أي لو أن لنا رجعة إلى الدنيا

[فنكون من المؤمنين] أي فنؤمن بالله ونحسن عملنا ونطيع ربنا

[إن في ذلك لآية] أي إن فيما ذكر من نبأ إبراهيم وقومه لعبرة يعتبر بها أولو الأبصار

[وما كان أكثرهم مؤمنين] أي وما كان أكثر هؤلاء

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المشركين ، الذين تدعوهم إلى الإسلام بمؤمنين [وإن ربك لهو العزيز الرحيم] أي المنتقم من أعدائه ، الرحيم بأوليائه .

البلاغة :

تضمنت الآيات وجوها من البلاغة والبديع نوجزها فيما يلي :

1 - الإيجاز بالحذف [فانفلق] أي فضرب البحر فإنفلق اثني عشر طريقا.

2 - التشبيه المرسل المجمل [كالطود العظيم] أي كالجبل في رسوخه وثباته ذكرت أداة التشبيه وحذف وجه الشبه .

3 - الطباق بين [ينفعونكم أو يضرون] وكذلك بين [يميتني ثم يحيين] .

4 - مراعاة الأدب [وإذا مرضت فهو يشفين] لم يقل : وإذا أمرضني بل أسند المرض لنفسه ، تأدبا مع الله ، لأن الشر لا ينسب إليه تعالى أدبا ، وإن كان المرض والشفاء كلاهما من الله تعالى.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

5 - الإستعارة اللطيفة [واجعل لي لسان صدق] استعار اللسان للذكر الجميل والثناء الحسن ، وهو من ألطف الإستعارات .

6 - المقابلة البديعة [وبرزت الجحيم للغاوين] مقابل قوله عن السعداء [وأزلفت الجنة للمتقين] .

7 - مراعاة الفواصل في أواخر الآيات مثل [المتقين ، والغاوين ، وضلال مبين] وهو من السجع الحسن ، الذي يزيد في جمال البيان .

تنبيه :

(روي أن إبراهيم يلقى أباه آزر يوم القيامة ، وعلى وجه آزر قترة وغبرة - أي سواد وظلمة - فيقول له إبراهيم : ألم أقل لك لا تعصني ! فيقول أبوه : فاليوم لا أعصيك ، فيقول إبراهيم يا رب : إنك وعدتني ألا تخزني يوم يبعثون ، فأي خزي أخزى من أبي الأبعد ؟ فيقول الله تعالى : إني حرمت الجنة على الكافرين ثم يقول يا إبراهيم : أنظر تحت رجلك ، فينظر فإذا هو بذيخ - ذكر من الضباع - متلطخ فيؤخذ بقوائمه فيلقى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

في النار).

قال الله تعالى : [كذبت قوم نوح المرسلين . .] إلى قوله [وإن ربك لهو العزيز الرحيم] . من آية (105) إلى نهاية آية (191) .

المناسبة :

لما قص تعالى على نبيه محمد(ص) ، خبر (موسى) و(إبراهيم) أتبعه بذكر قصة نوح ، وهود ، وصالح ، ولوط ، وشعيب ، وكل ذلك تسلية لرسول الله (ص) فيما يلقاه من قومه ، وبيان لسنة الله في عقاب المكذبين .

اللغة :

[المشحون] المملوء يقال : شحن السفينة أي ملأها بالناس والدواب والطعام

[ريع] الريع : ما ارتفع من الأرض ، والريع : الطريق

[مصانع] المراد بها الحصون المشيدة ، وهو قول

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ابن عباس ، قال الشاعر : تركنا ديارهم منهم قفارا وهدمنا المصانع والبروجا)

[بطشتم] البطش : السطوة والأخذ بالعنف ، يقال : بطش يبطش إذا أخذه بشدة وعنف

[الجبلة] الخليقة ، قال الهروي : الجبلة والجبل : الجمع ذو العدد الكثير من الناس ومنه قوله :

[ولقد أضل منكم جبلا كثيرا] أي ناسا كثيرين

ويقال : جبل فلان على كذا أي خلق

[كسفا] جمع كسفة وهي القطعة من الشيء .

التفسير :

[كذبت قوم نوح المرسلين] أي كذب قوم نوح رسولهم نوحا ، وإنما قال [المرسلين] لأن من كذب رسولا ، فقد كذب جميع الرسل

[إذ قال لهم أخوهم نوح] أي أخوهم في النسب لا فى الدين لأنه كان منهم ، قال الزمخشري : وهذا من قول العرب : يا أخا بني تميم يريدون يا واحدا منهم ومن بيت الحماسة (لا يسألون أخاهم حين يندبهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ألا تتقون] أي ألا تخافون عقاب الله في عبادة الأصنام ؟

[إني لكم رسول أمين] أي إني لكم ناصح ، أمين في نصحي ، لا أخون ولا أكذب

[فاتقوا الله وأطيعون] أي خافوا عذاب الله ، وأطيعوا أمري

[وما أسألكم عليه من أجر] أي لا أطلب منكم جزاء على نصحي لكم

[إن أجري إلا على رب العالمين] أي ما أطلب ثوابي وأجري إلا من الله تعالى

[فاتقوا الله وأطيعون] كرره تأكيدا وتنبيها على أهمية الأمر الذي دعاهم إليه

[قالوا أنؤمن لك] أي أنصدقك يا نوح فيما تقول ؟

[واتبعك الأرذلون] أي والحال أن أتباعك هم السفلة والفقراء والضعفاء ؟ قال البيضاوي : وهذا من سخافة عقلهم ، وقصور رأيهم ، فقد قصروا الأمر على حطام الدنيا ، حتى جعلوا اتباع الفقراء له ، مانعا عن إيمانهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بدعوة نوح

[قال وما علمي بما كانوا يعملون] أي ليس علي أن أبحث عن خفايا ضمائرهم ، وأن أنقب عن أعمالهم ، هل اتبعوني إخلاصا أو طمعا ؟ قال القرطبي : كأنهم قالوا : إنما اتبعك هؤلاء الضعفاء ، طمعا في العزة والمال ، فقال في جوابهم : إني لم أقف على باطن أمرهم وإنما إلي ظاهرهم

[إن حسابهم إلا على ربي لو تشعرون] أي ما حسابهم وجزاؤهم إلا على الله ، فإنه المطلع على السرائر والضمائر ، لو تعلمون ذلك

[وما أنا بطارد المؤمنين] أي لست بمبعد هؤلاء المؤمنين الضعفاء عني ، ولا بطاردهم عن مجلسي ، قال أبو حيان : وهذا مشعر بأنهم طلبوا منه ذلك ، كما طلب روساء قريش من رسول الله(ص) أن يطرد من آمن من الضعفاء

[إن أنا إلا نذير مبين] أي ما أنا إلا نذير لكم من عذاب الله ، أخوفكم بأسه وسطوته ، فمن أطاعني نجا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

سواء كان شريفا أو وضيعا ، أو جليلا أو حقيرا

[قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين] أي لئن لم تنته عن دعوى الرسالة ، وتقبيح ما نحن عليه ، لتكونن من المرجومين بالحجارة ، خوفوه بالقتل بالحجارة ، فعند ذلك حصل اليأس لنوح من فلاحهم فدعا عليهم

[قال رب إن قومي كذبون] أي قال نوح : يا رب إن قومي كذبوني ولم يؤمنوا بي

[فافتح بيني وبينهم فتحا] أي فاحكم بيني وبينهم بما تشاء ، واقض بيننا بحكمك العادل

[ونجني ومن معي من المؤمنين] أي أنقذني والمؤمنين معي من مكرهم وكيدهم

[فأنجيناه ومن معه في الفلك المشحون] أي فأنجينا نوحا ومن معه من المؤمنين في السفينة المملوءة بالرجال والنساء والحيوان

[ثم أغرقنا بعد الباقين] أي أغرقنا بعد إنجائهم الباقين من قومه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[إن في ذلك لآية] أي لعبرة عظيمة لمن تفكر وتدبر

[وما كان أكثرهم مؤمنين] أي وليس أكثر الناس بمؤمنين

[وإن ربك لهو العزيز الرحيم] أي وإن ربك يا محمد لهو الغالب الذي لا يقهر ، الرحيم بالعباد ، حيث لا يعاجلهم بالعقوبة ، ثم شرع تعالى في ذكر قصة (هود) فقال سبحانه :

[كذبت عاد المرسلين] أي كذبت قبيلة عاد رسولهم (هودا) ، ومن كذب رسولا فقد كذب جميع المرسلين

[إذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون] أي ألا تخافون عذاب الله وإنتقامه ، في عبادتكم لغيره ؟

[إني لكم رسول أمين] أي أمين على الوحي ، ناصح لكم في الدين

[فاتقوا الله وأطيعون] أي فخافوا عذاب الله واطيعوا أمري

[وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

العالمين] أي لا أطلب منكم على تبليغ الدعوة شيئا من المال ، إنما أطلب أجري من الله ، كررت الآيات للتنبيه إلى أن دعوة الرسل واحدة

[أتبنون بكل ريع آية تعبثون] ؟ استفهام إنكاري أي أتبنون بكل موضع مرتفع من الطريق ، بناءا شامخا كالعلم لمجرد اللهو والعبث ؟ قال ابن كثير : الريع المكان المرتفع كانوا يبنون عند الطرق المشهورة ، بنيانا محكما هائلا باهرا ، لمجرد اللهو واللعب وإظهار القوة ، ولهذا أنكر عليهم نبيهم عليه السلام ذلك ، لأنه تضييع للزمان ، وإتعاب للأبدان ، واشتغال بما لا يجدي في الدنيا ولا في الآخرة

[وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون] أي وتتخذون قصورا مشيدة محكمة ترجون الخلود في الدنيا ، كأنكم لا تموتون ؟

[وإذا بطشتم بطشتم جبارين] أي وإذا اعتديتم على أحد ، فعلتم فعل الجبارين من البطش ، دون رأفة أو رحمة ، وإنما أنكر عليهم ذلك لأنه صادر عن ظلم ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عادة الجبابرة المتسلطين ، قال الإمام الفخر : وصفهم بثلاثة أمور : إتخاذ الأبنية العالية ، وهو يدل على السرف وحب العلو ، واتخاذ المصانع - القصور المشيدة والحصون - وهو يدل على حب البقاء والخلود ، والجبارية وهي تدل على حب التفرد بالعلو ، وكل ذلك يشير على أن حب الدنيا قد استولى عليهم ، بحيث استغرقوا فيه ، حتى خرجوا عن حد العبودية ، وحاموا حول إدعاء الربوبية ، وحب الدنيا رأس كل خطيئة

[فاتقوا الله وأطيعون] أي خافوا الله واتركوا هذه الأفعال ، واطيعوا أمري ! ا ثم شرع يذكرهم بنعم الله عليهم فقال :

[واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون] أي أنعم عليكم بأنواع النعم والخيرات

[أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون] أي أعطاكم أصول الخيرات من المواشي ، والبنين ، والبساتين ، والأنهار ، وأغدق عليكم النعم ، فهو الذى يجب أن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يعبد ويشكر ولا يكفر
[إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم] أي أخشى عليكم إن لم تشكروا هذه النعم ، وأشركتم وكفرتم ، عذاب يوم هائل تشيب لهوله الولدان . . دعاهم إلى الله بالترغيب والترهيب ، وبلغ في دعائهم بالوعظ والتخويف النهاية القصوى في البيان ، فكان جوابهم
[قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين] أى يستوى عندنا تذكيرك لنا وعدمه ، فلا نبالي بما تقول ، ولا نرعوي عما نحن عليه ! ! جعلوا قوله وعظا ، على سبيل الاستخفاف ، وعدم المبالاة بما خوفهم به ، إذ لم يعتقدوا صحة ما جاء به ، وإنه كاذب فيما ادعاه
[إن هذا إلا خلق الأولين] أي ما هذا الذي جئتنا به إلا كذب وخرافات الأولين
[وما نحن بمعذبين] أي لا بعث ولا جزاء ، ولا حساب ولا عذاب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فكذبوه فأهلكناهم] أي فكذبوا رسولهم " هود " فأهلكناهم بريح صرصر عاتية ، قال ابن كثير : وكان إهلاكهم بالريح الشديدة الهبوب ، ذات البرد الشديد ، وهي الريح الصرصر العاتية ، وكان سبب إهلاكهم من جنسهم ، فإنهم كانوا أعتى شئ وأجبره ، فسلط الله عليهم ما هو أعتى منهم وأشد ، فحصبت الريح كل شيء ، حتى كانت تأتي الرجل منهم فتقتلعه ، وترفعه في الهواء ، ثم تنكسه على أم رأسه ، فتشدخ رأسه ودماغه

[إن في ذلك لآية] أي إن في إهلاكهم لعظة وعبرة

[وما كان أكثرهم مؤمنين] أى وما آمن أكثر الناس ، مع رؤيتهم للآيات الباهرة

[وإن ربك لهو العزيز الرحيم] أي وإن ربك يا محمد لهو العزيز في إنتقامه من أعدائه ، الرحيم بعباده المؤمنين ، ثم شرع تعالى فى ذكر قصة (صالح) فقال سبحانه :

[كذبت ثمود المرسلين] أي كذبت قبيلة ثمود نبيهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(صالحا) ومن كذب رسولا فقد كذب جميع المرسلين
[إذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون] ؟ ألا تخافون عذاب الله وإنتقامه ؟ في عبادتكم غيره ! ؟
[إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين] كررت الآيات للتنبيه على أن دعوة الرسل واحدة ، فكل رسول يذكر قومه بالغاية من بعثته ورسالته ، وأنها لصالح البشر
[أتتركون فيما ههنا آمنين] أي أيترككم ربكم في هذه الدنيا آمنين ، مخلدين في النعيم ، كأنكم باقون في الدنيا بلا موت ؟ قال ابن عباس : كانوا معمرين لا يبقى البنيان مع أعمارهم ، قال القرطبي : ودل على هذا قوله تعالى : [واستعمركم فيها] فقرعهم نبيهم (صالح) ووبخهم وقال : أتظنون أنكم باقون في الدنيا بلا موت
[في جنات وعيون] أي في بساتين وأنهار جاريات
[وزروع ونخل طلعها هضيم] أي وسهول فسيحة ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فيها من أنواع الزروع والنخيل الرطب اللين ؟
أتتركون في كل ذلك النعيم ، دون حساب ولا جزاء ؟
قال المفسرون : كانت أرض ثمود كثيرة البساتين ، والماء ، والنخيل ، فذكرهم صالح بنعم الله الجليلة من إنبات البساتين والجنات ، وتفجير العيون الجاريات ، لاخراج الزروع ، والثمرات ، ومعنى (الهضيم) : اللطيف الدقيق وهو قول عكرمة ، وقال ابن عباس معناه : اليانع النضيج
[وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين] أي وتبنون بيوتا في الجبال أشرين بطرين ، من غير حاجة لسكناها ، قال الرازي : وظاهر هذه الآيات يدل على أن الغالب على قوم (هود) هو اللذات الخيالية وهي : الاستعلاء ، والبقاء ، والتجبر ، والغالب على قوم (صالح) هو اللذات الحسية وهي : طلب المأكول ، والمشروب ، والمساكن الطيبة ، وقال الصاوي : كانت أعمارهم طويلة ، فإن السقوف والأبنية كانت تبلى ، قبل فناء أعمارهم ، لأن الواحد منهم كان يعيش ثلاثمائة سنة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فأكثر

[فاتقوا الله وأطيعون] أي فاتقوا عقاب الله ، وأطيعوني في نصيحتي لكم

[ولا تطيعوا أمر المسرفين] أي ولا تطيعوا أمر الكبراء المجرمين

[الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون] أي الذين عادتهم الفساد في الأرض لا الإصلاح ، قال الطبري : وهم الرهط التسعة الذين وصفهم الله بقوله : [وكان في المدينة تسعة رهط يفسدرن في الأرض ولا يصلحون]

[قالوا إنما أنت من المسحرين] أي من المسحورين ، سحرت حتى غلب على عقلك ، والمسحر مبالغة من المسحور

[ما أنت إلا بشر مثلنا] أى لست يا صالح إلا رجلا مثلنا ، فكيف تزعم أنك رسول الله ؟

[فأت بآية إن كنت من الصادقين] أي فائتنا بمعجزة تدل على صدقك

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[قال هذه ناقة] أي هذه معجزتي إليكم وهي الناقة الي تخرج من الصخر الأصم بقدرة الله ، قال المفسرون : روي أنهم اقترحوا عليه ناقة عشراء - حامل - تخرج من صخرة معينة وتلد أمامهم ، فقعد صالح عليه السلام ، يتفكر فجاءه جبريل فقال : صل ركعتين وسل ربك الناقة ففعل ، فخرجت الناقة وولدت أمامهم ، وبركت بين أيديهم فقال لهم : هذه ناقة يا قوم كما طلبتم

[لها شرب ولكم شرب يوم معلوم] أي تشرب ماءكم يوما ويوما تشربون أنتم الماء ، قال قتادة : إذا كان يوم شربها شربت ماءهم كله ، وشربهم في اليوم الذي لا تشرب هي فيه ، وتلك آية أخرى

[ولا تمسوها بسوء] أي لا تنالوها بأي ضرر ، بالعقر أو بالضرب

[فيأخذكم عذاب يوم عظيم] أي فيصيبكم عذاب من الله هائل لا يكاد يوصف ، قال ابن كثير : حذرهم نقمة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الله إن أصابوها بسوء ، فمكثت الناقة بين أظهرهم حينا من الدهر ، ترد الماء وتأكل الورق والمرعى ، وينتفعون بلبنها يحلبون منها ما يكفيهم شربا وريا ، فلما طال عليهم الأمد ، وحضر أشقاهم تمالئوا على قتلها وعقرها

[فعقروها فأصبحوا نادمين] أي فقتلوها رميا بالسهام ، رماها أشقاهم - قدار بن سالف - بأمرهم ورضاهم فأصبحوا نادمين على قتلها خوف العذاب ، قال الفخر : لم يكن ندمهم ندم التائبين ، لكن ندم الخائفين من العذاب العاجل

[فأخدهم العذاب] أي العذاب الموعود ، وكان صيحة خمدت لها أبدانهم ، وإنشقت لها قلوبهم ، وزلزلت الأرض تحتهم زلزالا شديدا ، وصبت عليهم حجارة من السماء فماتوا عن آخرهم

[إن في ذلك لآية] أي لعظة وعبرة لمن عقل وتدبر [وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم] تقدم تفسيرها فيما سبق . . ثم شرع تعالى في

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ذكر قصة (لوط) عليه السلام فقال سبحانه :

[كذبت قوم لوط المرسلين] أي كذبوا رسولهم لوطا

[إذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون] أي ألا تخافون عقاب الله وإنتقامه ؟ في عبادتكم غيره ؟

[إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين] نفس الكلمات والألفاظ الي قالها من قبل (صالح ، وهود ونوح) مما يؤكد أن دعوة الرسل واحدة ، وغايتها واحدة ، وأن معناها هو الوحي السماوي . . ثم قال لهم لوط :

[أتأتون الذكران من العالمين] استفهام إنكاري وتوبيخ وتقريع أي أتنكحون الذكور في أدبارهم ؟ وتتفردون بهذا الفعل الشنيع من بين سائر الخلق ؟

[وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم] أي تتركون ما أباح لكم ربكم ، من الإستمتاع بالإناث ؟ قال مجاهد : تركتم فروج النساء إلى أدبار الرجال

[بل أنتم قوم عالون] أي بل أنتم قوم مجاوزون الحد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

في الإجرام والفساد ، وبخهم على إتيانهم الذكور ، ثم أضرب عنه إلى ما هو أبلغ في التوبيخ ، كأنه يقول : خرجتم عن حدود الإنسانية ، إلى مرتبة البهيمية بعدوانكم وارتكابكم هذه الجريمة الشنيعة ، فالذكر من الحيوان يأنف عن إتيان الذكر ، وأنتم فعلتم ما يتورع عنه الحيوان ! !

[قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين] أي لئن لم تترك تقبيح ما نحن عليه ، لنخرجنك من بين اظهرنا وننفيك من بلدنا كما فعلنا بمن قبلك !! توعدوه بالنفي والطرد

[قال إني لعملكم من القالين] أي قال لهم لوط : إني لعملكم القبيح من المبغضين غاية البغض ، وأنا بريء منكم

[رب نجني وأهلي مما يعملون] أي نجني من العذاب الذي يستحقونه بعملهم القبيح أنا وأهلي ، قال تعالى :

[فنجيناه وأهله أجمعين إلا عجوزا في الغابرين] أي نجيناه مع أهله جميعا ، إلا امرأته كانت من الهالكين ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الباقين في العذاب ، قال ابن كثير : والمراد بالعجوز امرأته فقد كانت عجوز سوء ، بقيت فهلكت مع من بقي من قومها ، حين أمره الله أن يسري بأهله إلا امرأته

[ثم دمرنا الآخرين] أي أهلكناهم أشد إهلاك وافظعه ، بالخسف والحصب

[وأمطرنا عليهم مطرا] أي أمطرنا عليهم حجارة من السماء كالمطر الزاخر

[فساء مطر المنذرين] أي بئس هذا المطر مطر القوم المنذرين ، الذين أنذرهم نبيهم فكذبوه

[إن في ذلك لآية] أي إن في ذلك لعبرة وعظة لأولي البصائر

[وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم] تقدم تفسيره . . ثم شرع تعالى في ذكر قصة " شعيب " عليه السلام فقال سبحانه :

[كذب أصحاب الأيكة المرسلين] أي كذب أصحاب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مدين نبيهم شعيبا ، قال الطبري : والأيكة : الشجر الملتف وهم أهل مدين

[إذ قال لهم شعيب ألا تتقون إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين] سبق تفسيره

[أوفوا الكيل] أي أوفوا الناس حقوقهم في الكيل والوزن

[ولا تكونوا من المخسرين] أي من المنقصين المطففين في المكيال والميزان

[وزنوا بالقسطاس المستقيم] أي زنوا بالميزان العدل السوي

[ولا تبخسوا الناس أشياءهم] أي لا تنقصوا حقوق الناس بأي طريق كان ، بالهضم أو الغبن أو الغصب ونحو ذلك

[ولا تعثوا في الأرض مفسدين] أي ولا تفسدوا في الأرض بأنواع الفساد ، من قطع الطريق ، والغارة ، والسلب والنهب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[واتقوا الذي خلقكم والجبلة الأولين] أي خافوا الله الذي خلقكم وخلق الخليقة المتقدمين ، قال مجاهد : الجبلة : الخليقة ويعني بها الأمم السابقين

[قالوا إنما أنت من المسحرين] أي قالوا : ما أنت إلا من المسحورين ، سحرت كثيرا حتى غلب على عقلك

[وما أنت إلا بشر مثلنا] أي أنت إنسان مثلنا ولست برسول

[وإن نظنك لمن الكاذبين] أي ما نظنك يا شعيب إلا كاذبا ، تكذب علينا فتقول أنا رسول الله

[فأسقط علينا كسفا من السماء] أي أنزل علينا العذاب قطعا من السماء ، وهو مبالغة في التكذيب

[إن كنت من الصادقين] أي إن كنت صادقا فيما تقول ، قال الرازي : وإنما طلبوا ذلك ، لاستبعادهم وقوعه ، فظنوا أنه إذا لم يقع ظهر كذبه فعندها أجابهم شعيب

[قال ربي أعلم بما تعملون] أي الله أعلم بأعمالكم ، فإن كنتم تستحقون ذلك جازاكم به ، وهو غير ظالم لكم ، وإن كنتم تستحقون عقابا آخر فإليه الحكم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والمشيئة ، قال تعالى :

[فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة] أي فكذبوا شعيبا فأخذهم ذلك العذاب الرهيب ، عذاب(يوم الظلة) وهي السحابة التي أظلتهم ، قال المفسرون : بعث الله عليهم حرا شديدا فأخذ بأنفاسهم ، فخرجوا من البيوت هربا إلى البرية ، فبعث الله عليهم سحابة أظلتهم من الشمس ، فوجدوا لها بردا ، ونادى بعضهم بعضا ، حتى إذا اجتمعوا تحتها ، أرسل الله عليهم نارا فاحترقوا جميعا ، وكان ذلك من أعظم العذاب ولهذا قال :

[إنه كان عذاب يوم عظيم] أي كان عذاب يوم هائل ، عظيم في الشدة والهول

[إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم] وإلى هنا ينتهي آخر القصص السبع ، التي قصها الله على رسوله(ص) ، لصرفه عن الحرص على إسلام قومه ، وقطع رجائه ، ودفع تحسره عليهم كما قال في أول السورة : [لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين] ففيها تسلية لرسول الله(ص)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

، وتخفيف عن أحزانه وآلامه ، وإنما كرر في نهاية كل قصة قوله : [إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم] ليكون ذلك أبلغ في الإعتبار ، وأشد تنبيها لذوي القلوب والأبصار!

البلاغة :

بينت الآيات وجوها من البلاغة والبديع نوجزها فيما يلي :

1 - إطلاق الكل وإرادة البعض [كذبت قوم نوح المرسلين] أراد بالمرسلين (نوحا) وإنما ذكره بصيغة الجمع تعظيما له ، وتنبيها على أن من كذب رسولا فقد كذب جميع المرسلين .

2 - الاستفهام الإنكاري [أنؤمن لك واتبعك الأرذلون] ؟

---

3 - الإستعارة اللطيفة [فافتح بيني وبينهم فتحا] أي احكم بيننا وبينهم بحكمك العادل ، استعار الفتاح للحاكم ، والفتح للحكم ، لأنه يفتح المنغلق من الأمر ، ففيه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

استعارة تبعية

4 - الطباق بين [يفسدون . . ويصلحون] .

5 - الجناس غير التام [قال . . القالين] الأول من القول ، والثاني من قلى إذا أبغض .

6 - الإطناب [أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين] لأن وفاء الكيل هو في نفسه نهي عن الخسران ، وفائدته زيادة التحذير من العدوان .

7 - المبالغة [إنما أنت من المسحرين] والمسحر مبالغة عن المسحور .

8 - توافق الفواصل مراعاة لرءوس الآيات مثل [يفسدون ، يصلحون ، الأرذلون] .

قال الله تعالى : [وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين . .] إلى قوله [وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون] . من آية (192) إلى آية (227) نهاية السورة الكريمة .

المناسبه :

لما ذكر تعالى قصص الأنبياء لرسوله (ص) ، اتبعه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بذكر ما يدل على نبوته من تنزيل هذا القرآن المعجز ، على قلب خاتم الأنبياء والمرسلين ، ليكون برهانا ساطعا على صدق رسالته (ص).

اللغة :

[زبر] الزبر : الكتب جمع زبور كرسول ورسل

[الأعجمين] جمع أعجمى وهو الذي لا يحسن العربية ، يقال : رجل أعجمي إذا كان غير فصيح وإن كان عربيا ، ورجل عجمي أي غير عربي وإن كان فصيح اللسان

[بغتة] فجأة

[منظرون] مؤخرون وممهلون يقال : أنظره أي أمهله

[أفاك] كذاب

[منقلب] مصير .

التفسير :

[وإنه لتنزيل رب العالمين] أي وإن هذا القرآن المعجز لتنزيل رب الأرباب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[نزل به الروح الأمين] أي نزل به أمين السماء (جبريل) عليه السلام

[على قلبك لتكون من المنذرين] أي أنزله على قلبك يا محمد لتحفظه ، وتنذر بآياته المكذبين

[بلسان عربى مبين] أي بلسان عربي فصيح هو لسان قريش ، لئلا يبقى لهم عذر فيقولوا : ما فائدة كلام لا نفهمه ؟ قال ابن كثير : أنزلناه باللسان العربي الفصيح ، الكامل الشامل ، ليكون بينا واضحا ، قاطعا للعذر ، مقيما للحجة ، دليلا إلى المحجة

[وإنه لفي زبر الأولين] أي وإن ذكر القرآن وخبره ، لموجود في كتب الأنبياء السابقين

[أولم يكن لهم آيه] الإستفهام للتوبيخ والتقريع ، أي أولم يكن لكفار مكة علامة على صحة القرآن

[إن يعلمه علماء بني إسرائيل] أي إن يعلم ذلك علماء بني إسرائيل ، الذين يجدون ذكر هذا القرآن في كتبهم ، كعبد الله بن سلام وأمثاله

[ولو نزلناه على بعض الأعجمين] أي لو نزلنا هذا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

القرآن ، بنظمه الرائق المعجز ، على بعض الأعجمين ، الذين لا يقدرون على التكلم بالعربية

[فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين] أي فقرأه على كفار مكة قراءة صحيحة فصيحة ، وانضم إعجاز القراءة إلى إعجاز المقروء ، ما آمنوا بالقرآن لفرط عنادهم واستكبارهم

[كذلك سلكناه في قلوب المجرمين] أي كذلك أدخلنا القرآن في قلوب المجرمين ، فسمعوه وفهموه ، وعرفوا فصاحته وبلاغته ، وتحققوا من إعجازه ثم لم يؤمنوا به وجحدوه

[لا يؤمنون به] أي لا يصدقون بالقرآن مع ظهور إعجازه

[حتى يروا العذاب الأليم] أي حتى يشاهدوا عذاب الله المؤلم فيؤمنوا حيث لا ينفع الإيمان

[فيأتيهم بغتة] أي فيأتيهم عذاب الله فجأة

[وهم لا يشعرون] أي وهم لا يعلمون بمجيئه ولا يدرون

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فيقولوا هل نحن منظرون] أي فيتولوا حين يفاجأهم العذاب - تحسرا على ما فاتهم من الإيمان وتمنيا للإمهال - هل نحن مؤخرون لنؤمن ونصدق

[أفبعذابنا يستعجلون] إنكار وتوبيخ أي كيف يستعجل العذاب هؤلاء المشركون ؟ ويقولون : [أئتنا بعذاب أليم] ؟ وحالهم عند نزول العذاب أنهم يطلبون الإمهال والنظرة ؟

[أفرأيت إن متعناهم سنين] أي أخبرني يا محمد إن متعناهم سنين طويلة ، مع وفور الصحة ، ورغد العيش

[ثم جاءهم ما كانوا يوعدون] أي ثم جاءهم العذاب الذي وعدوا به

[ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون] ؟ أي ماذا ينفعهم حينئذ ما مضي من طول أعمارهم ، وطيب معاشهم ؟ هل ينفعهم ذلك النعيم في تخفيف الحزن ، أو دفع العذاب ؟

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وما أهلكنا من قرية] أي وما أهلكنا أهل قرية من القرى ، ولا أمة من الأمم

[إلا لها منذرون] أي إلا بعدما ألزمناهم الحجة ، بإرسال الرسل مبشرين ومنذرين

[ذكرى] أى ليكون إهلاكهم تذكرة وعبرة لغيرهم ، حتى لا يعصوا مثل عصيانهم

[وما كنا ظالمين] أي وما كنا ظالمين في تعذيبهم ، لأننا أقمنا الحجة عليهم وأعذرنا إليهم . . ثم إنه تعالى بعد أن نبه على إعجاز القرآن ، وصدق نبوة محمد عليه السلام ، رد على قول من زعم من الكفار ، أن القرآن من إلقاء الجن والشياطين ، كسائر ما ينزل على الكهنة فقال سبحانه :

[وما تنزلت به الشياطين] أي وما تنزلت بهذا القرآن الشياطين ، بل نزل به الروح الأمين

[وما ينبغي لهم وما يستطيعون] أي وما يصح ولا يستقيم ، أن يتنزل بهذا القرآن الشياطين ، ولا يستطيعون ذلك أصلا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[إنهم عن السمع لمعزولون] أي لأنهم منعوا من إستراق السمع ، منذ بعث محمد عليه السلام ، وحيل بينهم وبين السمع بالملائكة والشهب ، فكيف يستطيعون أن يتنزلوا به ؟ قال ابن كثير : ذكر تعالى أنه يمتنع ذلك عليهم من ثلاثة أوجه : أحدها : أنه ما ينبغي لهم لأن سجاياهم الفساد ، وإضلال العباد ، وهذا فيه نور وهدى وبرهان عظيم ، الثاني : أنه لو انبغى لهم لما استطاعوا ذلك ، وهذا من حفظ الله لكتابه ، وتأييده لشرعه ، الثالث : أنهم لو أرادوا ذلك لما استطاعوا ذلك ، لأنهم بمعزل عن إستماع القرآن ، لأن السماء ملئت حرسا شديدا وشهبا ، فلم يخلص أحد من الشياطين لاستماع حرف واحد منه ، لئلا يشتبه الأمر

[فلا تدع مع الله إلها آخر] الخطاب للرسول(ص) ، والمراد غيره أي لا تعبد يا محمد مع الله معبودا آخر

[فتكون من المعذبين] أي فيعذبك الله بنار جهنم ، قال ابن عباس : يحذر به غيره يقول : أنت أكرم الخلق

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

علي ، ولو اتخذت من دوني إلها لعذبتك ، ثم أمر تعالى رسوله بتبليغ الرسالة فقال سبحانه :

[وإنذر عشيرتك الأقربين] أي خوف يا أيها الرسول أقاربك ، الأقرب منهم فالأقرب ، خوفهم من عذاب الله إن لم يؤمنوا ، روى أنه (ص) قام حين نزلت عليه [وأنذر عشيرتك الأقربين] فقال : (يا معشر قريش اشتروا أنفسكم من الله ، لا أغني عنكم من الله شيئا ، يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئا ، يا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئا ، يا فاطمة بنت محمد ، سليني ما شئت لا أغني عنك من الله شيئا) قال المفسرون : وإنما أمر ، بإنذار أقاربه أولا ، لئلا يظن أحد به المحاباة واللطف معهم ، فإذا تشدد على نفسه وعلى أقاربه ، كان قوله أنفع ، وكلامه أنجح

[واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين] أي تواضع وألن جانبك لأتباعك المؤمنين

[فإن عصوك فقل إني برئ مما تعملون] أي فإن لم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يطيعوك وخالفوا أمرك ، فتبرأ منهم ومن أعمالهم ، قال أبو حيان : لما كان الإنذار يترتب عليه الطاعة أو العصيان جاء التقسيم عليهما فكان المعنى : من اتبعك مؤمنا فتواضع له ، ومن عصاك فتبرأ منهم ومن أعمالهم

[وتوكل على العزيز الرحيم] أي فوض جميع أمورك إلى الله العزيز ، الذي يقهر أعداءك بعزته ، وينصرك عليهم برحمته

[الذي يراك حين تقوم] أي يراك حين تكون وحدك ، تقوم من فراشك أو مجلسك لأعمالك ، وقال ابن عباس : حين تقوم إلى الصلاة

[وتقلبك في الساجدين] أي ويرى تقلبك مع المصلين في الركوع والسجود والقيام ، والمعنى : يراك وحدك ، ويراك مع الجماعة

[إنه هو السميع العليم] أي إنه تعالى السميع لما تقوله ، العليم بما تخفيه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[هل أنبئكم على من تنزل الشياطين] ؟ أي قل يا محمد لكفار مكة : هل أخبركم على من تتنزل الشياطين ؟ وهذا رد عليهم حين قالوا إنما يأتيه بالقرآن الشياطين

[تنزل على كل أفاك أثيم] أي تتنزل على كل كذاب فاجر ، مبالغ في الكذب والعدوان ، لا على سيد ولد عدنان

[يلقون السمع وأكثرهم كاذبون] أي يلقي الشياطين ما استرقوه من السمع إلى أوليائهم الكهنة ، وأكثرهم يكذبون فيما يوحون به إليهم ، وفي الحديث : (تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني فيقرقرها - أي يلقيها - في أذن وليه كقرقرة الدجاج ، فيخلطون معها أكثر من مائة كذبة قال الزمخشرى : [يلقون السمع] هم الشياطين كانوا قبل أن يحجبوا بالرجم يسمعون إلى الملأ الأعلى ، فيختطفون بعض ما يتكلمون به مما اطلعوا عليه من الغيوب ، ثم يوحون به إلى أوليائهم من الكهنة والمتنبئة [وأكثرهم كاذبون] فيما يوحون

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

به إليهم ، لأنهم يسمعونهم ما لم يسمعوا ، ثم رد تعالى على من زعم أن محمدا شاعر فقال سبحانه :

[والشعراء يتبعهم الغاوون] أي يتبعهم الضالون ، لا أهل البصيرة والرشاد

[ألم تر أنهم في كل واد يهيمون] أي ألم تر أيها السامع العاقل أنهم يسلكون في المديح والهجاء كل طريق ، يمدحون الشيء بعد أن ذموه ، ويعظمون الشخص بعد أن احتقروه ، قال الطبري : وهذا مثل ضربه الله لهم في إفتتانهم في الوجوه التي يفتتون فيها بغير حق ، فيمدحون بالباطل قوما ويهجون آخرين

[وأنهم يقولون ما لا يفعلون] أي يكذبون فينسبون لأنفسهم ما لم يعملوه ، قال أبو حيان : أخبر تعالى عن الشعراء بالأحوال التي تخالف حال النبوة ، إذ أمرهم كما ذكر من أتباع الغواة لهم ، وسلوكهم أفانين الكلام ، من مدح الشيء وذمه ، ونسبة ما لا يقع منهم إليهم ، وهذا مخالف لحال النبوة ، فإنها طريقة واحدة لا يتبعها إلا الراشدون ، ثم استثنى تعالى فقال :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات] أي صدقوا في إيمانهم ، وأخلصوا في أعمالهم

[وذكروا الله كثيرا] أي لم يشغلهم الشعر عن ذكر الله ، ولم يجعلوه همهم وديدنهم

[وأنتصروا من بعد ما ظلموا] أي هجوا المشركين ، دفاعا عن الحق ونصرة للإسلام

[وسيعلم الذين ظلموا] وعيد عام في كل ظالم ، تتفتت له القلوب وتتصدع لهوله الأكباد ، أي وسيعلم الظالمون المعادون لدعوة الله ، ومعهم الشعراء الغاوون

[أى منقلب ينقلبون] ؟ أي أي مرجع يرجعون اليه ؟ وأي مصير يصيرون إليه ؟ فإن مرجعهم إلى العقاب ، وهو شر مرجع ، ومصيرهم إلى النار وهو أقبح مصيرا!

البلاغة :

تضمنت الآيات وجوها من البلاغة والبديع نوجزها فيما يلي :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

1 - التأكيد بإن واللام [وإنه لتنزيل رب العالمين] لأن الكلام مع المتشككين في صحة القرآن فناسب تأكيده بأنواع من المؤكدات .

2 - الإستفهام للتوبيخ والتبكيت [أفبعذابنا يستعجلون] ؟ .

3 - جناس الإشتقاق بين [يعلمه] و[علماء] .

4 - المجاز المرسل [وما أهلكنا من قرية] المراد به أهلها .

5 - أسلوب التهييج والإلهاب [فلا تدع مع الله إلها آخر] الخطاب للرسول بطريق التهييج لزيادة إخلاصه وتقواه .

6 - الإستعارة التصريحية [واخفض جناحك للمؤمنين] شبه التواضع ولين الجانب ، بطائر يخفض جناحه عند إرادة الإنحطاط ، فأطلق على المشبه إسم الخفض بطريق الإستعارة المكنية .

7 - صيغتا المبالغة [أفاك أثيم] لأن فعال وفعيل من صيغ المبالغة أي كثير الكذب كثير الفجور.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

8 - الطباق بين [يقولون . . ويفعلون] وبين [انتصروا . . وظلموا] .
9 - الإستعارة التمثيلية البديعة [في كل واد يهيمون] مثل ذهابهم عن سنن الهدى ، وإفراطهم في المديح والهجاء ، بالتائه في الصحراء الذي هام على وجهه ، فهو لا يدري أين يسير ، وهذا من ألطف الإستعارات ، ومن أرشقها وأبدعها .

---

10 - جناس الإشتقاق بين [منقلب - ينقلبون] .
11 - مراعاة الفواصل مما يزيد في جمال الكلام ورونقه مثل [يهيمون ، ينقلبون ، يقولون ما لا يفعلون] ! لخ .

لطيفه :

ذكر أن عمر بن عبد العزيز كان إذا أصبح أمسك بلحيته ثم قرأ قوله تعالى : [أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أفنى عنهم ما كانوا يمتعون] ؟ ثم يبكي وينشد : نهارك يا مغرور سهو

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وغفلة وليلك نوم والردى لك لازم تسر بما يفنى

وتفرح بالمنى كما سر باللذات في النوم حالم وتسعى

إلى ما سوف تكره غبه كذلك في الدنيا تعيش البهائم

تنبيه :

الشعر باب من الكلام ، حسنه حسن ، وقبيحه قبيح ، وإنما ذم تعالى الشعر ، لما فيه من المغالاة والإفراط في المديح أو الهجاء ، ومجاوزة حد القصد فيه ، حتى يفضلوا أجبن الناس على عنترة ، وأشحهم على حاتم ، ويبهتوا البريء ، ويفسقوا التقي ، وربما رفعوا شخصا إلى الأوج ثم إذا غضبوا عليه أنزلوه إلى الحضيض ، وهذا مشاهد ملموس في أكثر الشعراء ، إلا من استثناهم الله عز وجل ، والشاعر قد يمدح الشيء ويذمه بحلاوة لسانه وقوة بيانه ، ومن ألطف ما سمعت من بعض شيوخي ما قاله بعض الشعراء في مدح العسل : تقول : هذا مجاج النحل تمدحه وإن تعب

قلت : ذا قئ الزنابير مدحا وذما وما جاوزت وصفهما

سحر البيان يرى الظلماء كالنور .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لطيفه :

ذكر أن الفرزدق أنشد أبياتا عند (سليمان بن عبد الملك) فيها شيء من الفجور والفسق ، وفي ضمنها قوله في النساء العذارى : فبتن كأنهن مصرعات وبت أفض أغلاق الختام فقال له سليمان : قد وجب عليك الحد ، فقال يا أمير المؤمنين : إن الله قد درأ عني الحد بقوله : [ألم تر أنهم في كل واد يهيمون . وأنهم يقولون ما لا يفعلون] فضحك سليمان وعفا عنه.

سورة النمل

مكية وآياتها ثلاث وتسعون آية

بين يدي السورة

سورة النمل من السور المكية التى تهتم بالحديث عن أصول العقيدة " التوحيد ، والرسالة ، والبعث " وهي إحدى سور ثلاث نزلت متتالية ، ووضعت في المصحف متتالية ، وهي : (الشعراء ، والنمل ، والقصص) ويكاد يكون منهاجها واحدا ، في سلوك

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مسلك العظة والعبرة ، عن طريق قصص الغابرين . تناولت السورة الكريمة القرآن العظيم ، معجزة محمد الكبرى ، وحجته البالغة إلى يوم الدين ، فوضحت أنه تنزيل من حكيم عليم ، ثم تحدثت عن قصص الأنبياء بإيجاز في البعض وإسهاب في البعض ، فذكرت بالإجمال قصة " موسى " وقصة " صالح " وقصة " لوط " وما نال أقوامهتم من العذاب والنكال ، بسبب إعراضهم عن دعوة الله ، وتكذيبهم لرسله الكرام ، بدءا من قصة موسى عليه السلام [إذ قال موسى لأهله إني ءانست نارا سأتيكم منها بخبر أو ءاتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون . .] الآيات . ، وتحدثت بالتفصيل عن قصة " داود " وولده " سليمان " وما أنعم الله عليهما من النعم الجليلة ، وما خصهما به من الفضل الكبير ، بالجمع بين النبوة والملك الواسع ، ثم ذكرت قصة (سليمان) مع (بلقيس) ملكة سبأ [ولقد ألينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين] الآيات .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وفي هذه القصة مغزى دقيق لأصحاب الجاه والسلطان ، والعظماء والملوك ، فقد إتخذ سليمان الملك وسيلة للدعوة إلى الله ، فلم يترك حاكما جائرا ، ولا ملكا كافرا إلا دعاه إلى الله ، وهكذا كان شأنه مع " بلقيس " حتى تركت عبادة الأوثان ، وأتت مع جندها خاضعة مسلمة ، مستجيبة لدعوة الرحمن [قالت ربي إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين] .

وتناولت السورة الكريمة الدلائل والبراهين على وجود الله ووحدانيته ، من آثار مخلوقاته وبدائع صنعه ، وساقت بعض الأهوال والمشاهد الرهيبة ، التي يراها الناس يوم الحشر الأكبر ، حيث يفزعون ويرهبون ، وينقسمون إلى قسمين : (السعداء الأبرار) و(الكفار الفجار) الذين يكبون على وجوههم في النار ، ووضحت أن القيامة هو يوم العدالة الإلهية ، الذي يجزى فيه كل إنسان ، على ما عمل في هذه الحياة الدنيا ، من خير أو شر ، جزاء عادلا يناسب عمله [ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

في الأرض إلا من شاء الله وكل أتوه داخرين . .] إلى نهاية السورة الكريمة . التسميه : سميت (سورة النمل) لأن الله تعالى ذكر فيها قصة النملة ، التي وعظت بني جنسها وذكرت ثم اعتذرت عن سليمان وجنوده ، ففهم نبي الله كلامها ، وتبسم من قولها ، وشكر الله على ما منحه من الفضل والإنعام ، وفي ذلك أعظم الدلالة على علم الحيوان ، وأن ذلك من إلهام الواحد الديان .

اللغة :

[يعمهون] يترددون ويتحيرون ، والعمه : التحير والتردد كما هو حال الضال عن الطريق ، قال الراجز : " أعمى الهدى بالحائرين العمه "

[قبس] القبس : النار المقبوسة من جمر وغيره

[تصطلون] اصطلى يصطلي إذا استدفأ من البرد ، قال الشاعر : النار فاكهة الشتاء فمن يرد أكل الفواكه شاتيا فليصطل

[بورك] من البركة وهي زيادة الخير والنماء ، قال

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الثعلبى : العرب تقول : باركك الله ، وبارك فيك ، وبارك عليك ، وبارك لك ، أربع لغات ، قال الشاعر : فبوركت مولودا وبوركت ناشئا وبوركت عند الشيب إذ أنت أشيب

[يوزعون] أصل الوزع الكف والمنع ، يقال : وزعه يزعه إذا كفه عن الشىء ومنعه ، ومنه قول عثمان : (إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن) ، قال النابغة : على حين عاتبت المشيب على الصبا وقلت ألما أصح والشيب وازع وتفسيرسورة النمل

التفسير :

[طس] الحروف المقطعة للتنبيه على إعجاز القرآن وقد تقدم الكلام عليها

[تلك آيات القرآن] أي هذه الآيات المنزلة عليك يا أيها الرسول ، هي آيات القرآن المعجز في بيانه ، الساطع في برهانه

[وكتاب مبين] أي وآيات كتاب واضح مبين ، لمن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تفكر فيه وتدبر ، أبان الله فيه الأحكام ، وهدى به الأنام

[هدى وبشرى للمؤمنين] أي تلك آيات القرآن الهادي للمؤمنين إلى صراط مستقيم ، والمبشر لهم بجنات النعيم ، خص المؤمنين بالذكر لانتفاعهم به

[الذين يقيمون الصلاة] أي يؤدونها على الوجه الأكمل بخشوعها ، وآدابها ، وأركانها

[ويؤتون الزكاة] أي يدفعون زكاة أموالهم طيبة بها نفوسهم

[وهم بالآخرة هم يوقنون] أي يصدقون بالآخرة تصديقا جازما لا يخالجه شك أو إرتياب ، قال الإمام الفخر : والجملة اعتراضية كأنه قيل : وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون الصالحات هم الموقنون بالآخرة ، فما يوقن بالآخرة حق الإيقان ، إلا هؤلاء الجامعون بين الإيمان والعمل الصالح ، لأن خوف العاقبة يحملهم على تحمل المشاق وقال أبو حيان : ولما كان [يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة] مما يتجدد ولا يستغرق

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الأزمان جاءت الصلة فعلا ، ولما كان الإيمان بالآخرة بما هو ثابت ومستقر جاءت الجملة إسمية وأكدت بتكرار الضمير [وهم بالآخرة هم يوقنون] وجاء خبر المبتدأ فعلا ليدل على الديمومة . . ولما ذكر تعالى المؤمنين الموقنين بالبعث ، ذكر بعدها المنكرين المكذبين بالآخرة فقال سبحانه :

[إن الذين لا يؤمنون بالآخرة] أي لا يصدقون بالبعث

[زينا لهم أعمالهم] أي زينا لهم أعمالهم القبيحة ، حتى رأوها حسنة ، قال الرازى : والمراد من التزيين هو أن يخلق في قلبه العلم بما فيها من المنافع واللذات ، ولا يخلق في قلبه العلم بما فيها من المضار والآفات

[فهم يعمهون] أي فهم في ضلال أعمالهم القبيحة يترددون حيارى لا يميزون بين الحسن والقبيح

[أولئك الذين لهم سوء العذاب] أي لهم أشد العذاب في الدنيا بالقتل والأسر والتشريد

[وهم في الآخرة هم الأخسرون] أي وخسارتهم فى الآخرة أشد من خسارتهم في الدنيا ، لمصيرهم إلى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

النار المؤبدة والجحيم والأغلال

[وإنك لتلقى القرآن] أي وإنك يا محمد لتتلقى هذا القرآن العظيم وتعطاه

[من لدن حكيم عليم] أي من عند الله عز وجل الحكيم بتدبير خلقه ، العليم بما فيه صلاحهم وسعادتهم ، قال الزمخشري : وهذه الآية بسط وتمهيد لما يريد أن يسوق بعدها من الأقاصيص ، وما في ذلك من لطائف حكمته ، ودقائق علمه

[إذ قال موسي لأهله إني ءانست نارا] أى اذكر يا محمد حين قال موسى لأهله - أي زوجته - إني أبصرت ورأيت نارا ، وهذا عندما سار من مدين إلى مصر ، وكان في ليلة مظلمة باردة ، وقد ضل عن الطريق وأخذ زوجته الطلق

[سآتيكم منها بخبر] أي سآتيكم بخبر عن الطريق إذا وصلت إليها

[أو ءاتيكم بشهاب قبس] أي أو آتيكم بشعلة مقتبسة من النار

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[لعلكم تصطلون] أي لكي تستدفئوا بها
[فلما جاءها] أي فلما وصل إلى مكان النار ، رأى منظرا هائلا عظيما ، حيث رأى النار تضطرم في شجرة خضراء ، لا تزداد النار إلا توقدا ، ولا تزداد الشجرة إلا خضرة ونضرة ، ثم رفع رأسه فإذا نورها متصل بعنان السماء ، قال ابن عباس : لم تكن نارا وإنما كانت نورا يتوهج فوقف موسى متعجبا مما رأى ، وجاءه النداء العلوي
[نودى أن بورك من في النار ومن حولها] أي نودي من جانب الطور بأن بوركت يا موسى وبورك من حولك وهم الملائكة ، قال ابن عباس : معنى [بورك] تقدس [ومن حولها] الملائكة ، قال أبو حيان : وبدؤه بالنداء تبشير لموسى وتأنيس له ومقدمة لمناجاته ، وجدير أن يبارك من في النار ومن حواليها ، إذ قد حدث أمر عظيم ، وهو تكليم الله لموسى وتنبيئه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وسبحان الله رب العالمين] أي تقدس وتنزه رب العزة والجلال ، العلي الشأن ، الذي لا يشبهه شيء من مخلوقاته ، لا في ذاته ، ولا في صفاته ، ولا في أفعاله

[يا موسى إنه أنا الله العزيز الحكيم] أي أنا الله القوي القادر ، العزيز الذي لا يقهر ، الحكيم الذي يفعل كل شيء بحكمة وتدبير

[وألق عصاك] عطف على السابق أي ونودي أن ألق عصاك لترى معجزتك بنفسك فتأنس بها

[فلما رآها تهتز كأنها جان] أي فلما رآها تتحرك حركة سريعة ، كأنها ثعبان خفيف سريع الجري

[ولى مدبرا ولم يعقب] أي ولي الأدبار منهزما ولم يرجع ، لما دهاه من الخوف والفزع ، قال مجاهد : [لم يعقب] لم يرجع ، وقال قتادة : لم يلتفت ، لحقه ما لحق طبع البشر إذ رأى أمرا هائلا جدا ، وهو انقلاب العصا حية تسعى ، ولهذا ناداه ربه

[يا موسى لا تخف] أي أقبل ولا تخف لأنك

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بحضرتي ومن كان فيها فهو آمن

[إني لا يخاف لدي المرسلون] أي فأنت رسولي ورسلي الذين اصطفيتهم للنبوة لا يخافون غيري ، قال ابن الجوزي : نبهه على أن من آمنه الله بالنبوة من عذابه لا ينبغي أن يخاف من حية

[إلا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء] الاستثناء منقطع ، أي لكن من ظلم من سائر الناس فإنه يخاف إلا إذا تاب وبدل عمله السئ إلى العمل الحسن

[فإني غفور رحيم] أي عظيم المغفرة واسع الرحمة ، قال ابن كثير : وفيه بشارة عظيمة للبشر وذلك أن من كان على عمل سئ ، ثم أقلع ورجع وتاب وأناب فإن الله يتوب عليه ، كقوله تعالى : [وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى]

[وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء] هذه معجزة أخرى لموسى تدل على باهر قدرة الله والمعنى : أدخل يا موسى يدك في فتحة ثوبك ثم أخرجها ، تخرج مضيئة ساطعة بيضاء تتلألأ كالبرق

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الخاطف دون مرض أو برص

[في تسع آيات إلى فرعون وقومه] أي هاتان المعجزتان (العصا) و(اليد) ضمن تسع معجزات أيدتك بها وجعلتها برهانا على صدقك لتذهب بها إلى فرعون وقومه

[إنهم كانوا قوما فاسقين] أى خارجين عن طاعتنا ، ممعنين في الكفر والضلال

[فلما جاءتهم آياتنا مبصرة] أي فلما رأوا تلك المعجزات الباهرة ، واضحة بينة ظاهرة

[قالوا هذا سحر مبين] أي أنكروها وزعموا أنها سحر واضح

[وجحدوا بها] أي كفروا وكذبوا بتلك الخوارق

[واستيقنتها أنفسهم] أي وقد أيقنوا بقلوبهم أنها من عند الله ، وليست من قبيل السحر

[ظلما وعلوا] أي جحدوا بها ظلما من أنفسهم ، واستكبارا عن إتباع الحق ، وأي ظلم أفحش ممن يعتقد ويستيقن أنها آيات بينة واضحة جاءت من عند الله ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ثم يكابر بتسميتها سحرا ؟ ولهذا قال :
[فانظر كيف كان عاقبة المفسدين] أي انظر أيها السامع وتدبر بعين الفكر والبصيرة ماذا كان مال أمر الطاغين ، من الإغراق في الدنيا ، والإحراق في الآخرة ؟ قال ابن كثير : وفحوى الخطاب كأنه يقول : احذروا أيها المكذبون لمحمد ، الجاحدون لما جاء به من ربه ، أن يصيبكم مثل ما أصابهم بطريق الأولى والأحرى ، فإن محمدا(ص) ، أشرف وأعظم من موسى ، وبرهانه أدل وأقوى من برهان موسى ، عليه من ربه أفضل الصلاة والتسليم
[ولقد آتينا داود وسليمان علما] هذه هي القصة الثانية في السورة الكريمة ، وهي قصة (داود وسليمان) عليهما السلام ، والمعنى : والله لقد أعطينا داود وابنه سليمان علما واسعا من علوم الدنيا والدين ، وجمعنا لهم بين سعادة الدنيا والآخرة ، قال الطبري : وذلك علم كلام الطير والدواب ، وغير ذلك مما خصهم الله بعلمة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين] أي وقالا شكرا لله : الحمد لله الذي فضلنا بما آتانا من النبوة ، والعلم ، وتسخير الإنس والجن والشياطين ، على كثير من عباده المؤمنين

[وورث سليمان داود] أي ورث سليمان أباه في النبوة ، والعلم ، والملك دون سائر أولاده ، قال الكلبي : كان لداود تسعة عشر ولدا فورث سليمان من بينهم نبوته وملكه ، ولو كانت وراثة مال لكان جميع أولاده فيه سواء

[وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير] أي وقال تحدثا بنعمة الله : يا أيها الناس لقد أكرمنا الله فعلمنا منطق الطير وأصوات جميع الحيوانات

[وأوتينا من كل شيء] أى وأعطانا الله من كل شيء من خيرات الدنيا يعطاها العظماء والملوك

[إن هذا لهو الفضل المبين] أي إن ما أعطيناه وما خصنا الله به من أنواع النعم لهو الفضل الواضح

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الجلي ، قاله على سبيل الشكر والمحمدة ، لا على سبيل العلو والكبرياء

[وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير] أي جمعت له جيوشه وعساكره وأحضرت له في مسيرة كبيرة فيها طوائف الجن والإنس والطير ، يتقدمهم سليمان في أبهة وعظمة كبيرة

[فهم يوزعون] أي فهم يكفون ويمنعون عن التقدم بين يديه ، قال ابن عباس : جعل على كل صنف من يرد أولاها على أخراها لئلا يتقدموا في المسير كما تصنع الملوك

[حتى إذا أتوا على واد النمل] أي حتى إذا وصلوا إلى واد بالشام كثير النمل

[قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم] أي قالت إحدى النملات لرفيقاتها : ادخلوا بيوتكم ، خاطبتهم مخاطبة العقلاء ، لأنها أمرتهم بما يؤمر به العقلاء

[لا يحطمنكم سليمان وجنوده] أي لا يكسرنكم سليمان وجيوشه بأقدامهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وهم لا يشعرون] أي وهم لا يشعرون بكم ولا يريدون حطمكم عن عمد حذرت ثم اعتذرت لأنها علمت أنه نبي رحيم ، فسمع سليمان كلامها وفهم مرامها

[فتبسم ضاحكا من قولها] أي فتبسم سرورا بما سمع من ثناء النملة عليه وعلى جنوده ، فإن قولها : [وهم لا يشعرون] وصف لهم بالتقوى والتحفظ عن مضرة الحيوان

[وقال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي] أي ألهمني ووفقنى لشكر نعمائك وأفضالك ، التي أنعمت بها علي وعلى أبوي

[وأن أعمل صالحا ترضاه] أي ووفقني لعمل الخير الذي يقربني منك ، والذي تحبه وترضاه

[وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين] أي وأدخلنى الجنة دار الرحمة ، مع عبادك الصالحين المتقين ، الذين ترحمهم في الآخرة ، وهو دعاء وثناء !

البلاغه :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تضمنت الآيات وجوها من البيان والبديع نوجزها فيما يلي :

1 - الإشارة بالبعيد عن القريب [تلك آيات القرآن] للإيذان ببعد منزلته في الفضل والشرف .

2 - التنكير للتفخيم والتعظيم [وكتاب مبين] أي كتاب عظيم الشأن رفيع القدر.

3 - ذكر المصدر بدل إسم الفاعل للمبالغة [هدى وبشرى] أي هاديا ومبشرا .

4 - تكرير الضمير لإفادة الحصر والاختصاص [وهم بالآخرة هم يوقنون] ومثله [وهم في الآخرة هم الأخسرون] وفيه المقابلة اللطيفة بين الجملتين .

5 - التأكيد بأن واللام [وإنك لتلقى القرآن] لوجود المتشككين في القرآن الكريم ، لأن القسم والتأكيد لا يكون إلا للمنكر.

6 - إيجاز الحذف [وألق عصاك فلما رآها تهتز] حذفت جملة فألقاها فانقلبت إلى حية إلخ وذلك لدلالة السياق عليه .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

7 - الطباق بين [حسنا بعد سوء] وبين [ولي مدبرا . . ولم يعقب] .

8 – الاستعارة [آياتنا مبصرة] استعار لفظ الإبصار للوضوح والبيان لأن بالعينين يبصر الإنسان الأشياء .

9 - التشبيه المرسل المجمل [كأنها جان] ذكرت أداة التشبيه وحذف وجه الشبه فصار مرسلا مجملا .

10 - حسن الاعتذار [وهم لا يشعرون] .

لطيفة :

قال بعض العلماء هذه الآية [قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم . .] من عجائب القرآن لأنها بلفظة " يا " نادت " أيها " نبهت " النمل " عينت " ادخلوا " أمرت " مساكنكم " نصت " لا يحطمنكم " حذرت " سليمان " خصت " وجنوده " عمت " وهم لا يشعرون " اعتذرت فيا لها من نملة ذكية!!.

قال الله تعالى : [وتفقد الطير فقال مالي لا أرى الهدهد . .] إلى قوله [وأسلمت مع سليمان لله رب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

العالمين] . من آية (20) إلى نهاية آية (44) .

المناسبة :

لا تزال الآيات تتحدث عن " سليمان بن داود " الذي جمع الله له بين (النبوة) و(الملك) فكان نبيا ملكا ، وسخر له الإنس والجن ، وعلمه منطق الطير ، وتذكر الآيات هنا قصته مع (بلقيس) ملكة سبأ ، وما كان من الأمور العجيبة التي حدثت في زمانه .

اللغة :

[تفقد] التفقد : البحث وطلب ما غاب عن الإنسان

[الخبء] : الشئ المخبوء من خبأت الشئ أخبوه خبأ إذا سترته

[صاغرون] أذلاء مهانون من الصغار وهو الذل

[عفريت] العفريت : القوي المارد من الشياطين ومن الإنس والخبيث الماكر

[الصرح] القصر ، وكل بناء عال مرتفع يسمى صرحا ومنه قول فرعون : " يا هامان ابن لي صرحا "

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ممرد] الممرد : المملس ، والأمرد الذي لم تخرج لحيته بعد إدراكه ، وشجرة مرداء : لا ورق عليها

[قوارير] جمع قارورة وهي الزجاجة .

التفسير :

[وتفقد الطير] أي بحث سليمان وفتش عن جماعة الطير

[فقال ما لي لا أرى الهدهد] أي لم لا أرى الهدهد ههنا ؟ قال المفسرون : كانت الطير تصحبه في سفره ، وتظله بأجنحتها ، فلما فصل سليمان عن وادي النمل ونزل في قفر من الأرض ، عطش الجيش فسألوه الماء ، وكان الهدهد يدله على الماء ، فإذا قال : ههنا الماء شقت الشياطين وفجرت العيون ، فطلبه في ذلك اليوم فلم يجده ، فقال : ما لي لا أراه ؟

[أم كان من الغائبين] أم منقطعة بمعنى " بل " أي بل هو غائب ، ذهب دون إذن مني

[لأعذبنه عذابا شديدا أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين] أي لأعاقبنه عقابا أليما بالسجن ، أو نتف

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الريش أو الذبح ، أو ليأتيني بحجة واضحة تبين عذره
[فمكث غير بعيد] أي فأقام الهدهد زمانا يسيرا ، ثم جاء إلى سليمان
[فقال أحطت بما لم تحط به] أي اطلعت على ما لم تطلع عليه ، وعرفت ما لم تعرفه
[وجئتك من سبأ بنبأ يقين] أي وأتيتك من مدينة سبأ - باليمن - بخبر هام ، وأمر صادق خطير
[إني وجدت إمرأة تملكهم] أي من عجائب ما رأيت أن إمرأة - تسمى بلقيس - هى ملكة لهم ، وهم يدينون بالطاعة لها ((وجه العجب أن الملوك عادة من الرجال وأن النساء لا يصلحن لإدارة الممالك ويؤيده حديث : (لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة) رواه البخاري))
[وأوتيت من كل شيء] أي وأعطيت من كل شيء من الأشياء ، التي يحتاج إليها الملوك من أسباب الدنيا : من سعة المال ، وكثرة الرجال ، ووفرة السلاح والعتاد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ولها عرش عظيم] أي ولها سرير كبير مكلل بالدر والياقوت ، قال قتادة : كان عرشها من ذهب ، قوائمه من جوهر ، مكلل باللؤلؤ ، قال الطبرى : وعنى بالعظيم في هذا الموضع العظيم في قدره وخطره ، لا عظمه في الكبر والسعة ، ولهذا قال ابن عباس :

[عرش عظيم] أي سرير كريم حسن الصنعة ، وعرشها سرير من ذهب ، قوائمه من جوهر ولؤلؤ ، ثم أخذ يحدثه عما هو أعظم وأخطر ، فقال :

[وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله] أي وجدتهم جميعا مجوسا يعبدون الشمس ويتركون عبادة الواحد الأحد

[وزين لهم الشيطان أعمالهم] أي حسن لهم إبليس عبادتهم الشمس وسجودهم لها من دون الله

[فصدهم عن السبيل] أي منعهم بسبب هذا الضلال عن طريق الحق والصواب

[فهم لا يهتدون] أي فهم بسبب إغواء الشيطان ، لا يهتدون إلى الله وتوحيده ، ثم قال الهدهد متعجبا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات والأرض] أي أيسجدون للشمس ، ولا يسجدون لله الخالق العظيم ؟ الذي يعلم الخفايا ويعلم كل مخبوء في العالم العلوي والسفلي ؟ ((هذا ما انقدح في ذهني من معنى الآية الكريمة ، ولعله هو الأقرب إلى فهم روح النص القرآني ، فان المجال مجال تعجب وإنكار ، لا مجال حديث وإخبار ، فما ذهب إليه بعض المفسرين من أن " لا " زائدة وأن المعنى فهم لا يهتدون أن يسجدوا لله أو أن المعنى ألا يا هؤلاء فاسجدوا . . الخ غير ظاهر ، والله أعلم)) قال ابن عباس : يعلم كل خبيئة في السماء والأرض

[ويعلم ما تخفون وما تعلنون] أي ويعلم السر والعلن ، ما ظهر وما بطن

[الله لا اله إلا هو رب العرش العظيم] أي هو تعالى المتفرد بالعظمة والجلال ، رب العرش الكريم ، المستحق للعبادة والسجود ، وخص العرش بالذكر لأنه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أعظم المخلوقات ، وإلى هنا انتهى كلام الهدهد

[قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين] أي قال سليمان : سننظر في قولك ونتثبت منه ، هل أنت صادق أم كاذب فيه ؟ قال ابن الجوزى : وإنما شك في خبره لأن سليمان أنكر أن يكون لغيره سلطان ، ثم كتب كتابا وختمه بخاتمه ودفعه إلى الهدهد وقال :

[اذهب بكتابى هذا فألقه إليهم] أي اذهب بهذا الكتاب ، وأوصله إلى ملكة سبأ وجندها

[ثم تول عنهم] أي تنح إلى مكان قريب مستترا عنهم

[فانظر ماذا يرجعون] أي فانظر ماذا يردون من الجواب ؟ أخذ الهدهد الكتاب وذهب إلى بلقيس وقومها ، فرفرف فوق رأسها ، ثم ألقى الكتاب في حجرها

[قالت يا أيها الملأ إني ألقي إلي كتاب كريم] أي قالت لأشراف قومها : إنه أتاني كتاب عظيم جليل

[إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم] أي إن هذا الكتاب مرسل من سليمان ، ثم فتحته فإذا فيه :

(بسم الله الرحمن الرحيم) وهو استفتاح شريف بارع ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فيه إعلان الربوبية لله ، ثم الدعوة إلى توحيد الله والانقياد لأمره

[ألا تعلوا علي وأتوني مسلمين] أي لا تتكبروا علي كما يفعل الملوك ، وجيئوني مؤمنين ، قال ابن عباس : أي موحدين ، وقال سفيان : طائعين

[قالت يا أيها الملأ أفتوني في أمري] أي أشيروا علي في الأمر

[ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون] أي ما كنت لأقضي أمرا بدون حضوركم ومشورتكم

[قالوا نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد] أي نحن أصحاب كثرة في الرجال والعتاد ، وأصحاب شدة في الحرب

[والأمر إليك فانظري ماذا تأمرين] ؟ أي وأمرنا إليك فمرينا بما شئت نمتثل أمرك ، وقولهم هذا دليل على الطاعة المفرطة قال القرطبي : أخذت في حسن الأدب مع قومها ومشاورتهم في أمرها في كل ما يعرض لها ، فراجعها الملأ بما يقر عينها من إعلامهم إياها بالقوة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والبأس ، ثم سلموا الأمر إلى نظرها ، وهذه محاورة حسنة من الجميع قال الحسن البصري : فوضوا أمرهم إلى علجة يضطرب ثدياها ، فلما قالوا لها ما قالوا ، كانت هي أحزم منهم رأيا وأعلم

[قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها] اى إن عادة الملوك أنهم إذا استولوا على بلدة عنوة وقهرا خربوها

[وجعلوا أعزة أهلها أذلة] أي أهانوا أشرافها ، وأذلوهم بالقتل ، والأسر ، والتشريد

[وكذلك يفعلون] أي وهذه عادتهم وطريقتهم في كل بلد يدخلونها قهرا ، ثم عدلت إلى المهادنة والمسالمة فقالت :

[وإني مرسلة إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون] أي وإني سأبعث إليه بهدية عظيمة تليق بمثله ، فأنظر هل يقبلها أم يردها ؟ قال قتادة : ما كان أعقلها في إسلامها وشركها ! ! علمت أن الهدية تقع موقعا من الناس ، وقال ابن عباس : قالت لقومها إن قبل الهدية

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فهو ملك يريد الدنيا فقاتلوه ، وإن لم يقبلها فهو نبي صادق فاتبعوه

[فلما جاء سليمان قال أتمدونن بمال] ؟ أي فلما جاء رسل بلقيس إلى (سليمان) بالهدية العظيمة قال منكراً عليهم : أتصانعونني بالمال والهدايا ؟ لأترككم على كفركم وملككم ؟

[فما آتاني الله خير مما آتاكم] أي فما أعطاني الله من النبوة والملك الواسع خير مما أعطاكم من زينة الحياة ، فلا حاجة لي بهديتكم

[بل أنتم بهديتكم تفرحون] أي أنتم تفرحون بالهدايا ، لأنكم أهل مفاخرة ومكاثرة في الدنيا ، ثم قال لرئيس الوفد :

[إرجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها] أي ارجع إليهم بهديتهم ، فوالله لنأتينهم بجنود لا طاقة لهم بمقابلتها ، ولا قدرة لهم على مقاتلتها

[ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون] أي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولنخرجنهم من أرضهم ومملكتهم أذلاء حقيرين إن لم يأتوني مسلمين ، قال ابن عباس : لما رجعت رسل بلقيس إليها من عند سليمان وأخبروها الخبر ، قالت : قد عرفت ما هذا بملك ، وما لنا به من طاقة ، وبعثت إلى (سليمان) إني قادمة إليك بملوك قومي حتى أنظر ما أمرك ، وما تدعو إليه من دينك ، ثم ارتحلت إلى سليمان في إثني عشر ألف قائد

[قال يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين] ؟ أي قال سليمان لأشراف من حضره من جنده : أيكم يأتيني بسريرها المرصع بالجواهر قبل أن تصل إلي مع قومها مسلمين ؟ قال البيضاوى : أراد بذلك أن يريها بعض ما خصه الله به من العجائب ، الدالة على عظيم القدرة ، وصدقه في دعوى النبوة ، ويختبر عقلها بأن ينكر عرشها فينظر أتعرفه أم تنكره ؟

[قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك] أي قال مارد من مردة الجن : أنا أحضره

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إليك ، قبل أن تقوم من مجلس الحكم - وكان يجلس من الصبح إلى الظهر في كل يوم - وغرضه أنه يأتيه به في أقل من نصف نهار

[وإني عليه لقوي أمين] أي وإني على حمله لقادر ، وأمين على ما فيه من الجواهر والدر ، وغير ذلك ! !

[قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك] هذا القائل هو " آصف بن برخيا " كان من الصديقين ، يعلم إسم الله الأعظم ، الذي إذا دعي به أجاب ، وهو الذي أتى بعرش بلقيس ، وقال لسليمان : [أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك] أي آتيك به بلمح البصر فدعا الله فحضر العرش حالا

[فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي] أي فلما نظر سليمان ورأى العرش - السرير - حاضرا لديه قال : هذا من فضل الله علي ، وإحسانه إلي

[ليبلوني أأشكر أم أكفر] ؟ أي ليختبرني أأشكر إنعامه ، أم أجحد فضله وإحسانه ؟

[ومن شكر فإنما يشكر لنفسه] أي ومن شكر فمنفعة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الشكر لنفسه ، لأنه يستزيد من فضل الله [لئن شكرتم لأزيدنكم]

[ومن كفر فإن ربي غني كريم] أي ومن لم يشكر النعمة ، وجحد فضل الله ، فإن الله مستغن عنه وعن شكره ، كريم بالإنعام على من كفر نعمته . . ولما قرب وصول ملكة سبأ إلى بلاده ، أمر بأن تغير بعض معالم عرشها امتحانا لها

[قال نكروا لها عرشها] أي غيروا بعض أوصافه وهيئته ، كما يتنكر الإنسان حتى لا يعرف

[ننظر أتهتدي أم تكون من الذين لا يهتدون] أي لننظر إذا رأته هل تهتدي إلى أنه عرشها ؟ وتعرفه أم لا ؟ أراد بذلك اختبار ذكائها وعقلها

[فلما جاءت قيل أهكذا عرشك] ؟ أي أمثل هذا العرش الذي رأيتيه عرشك ؟ ولم يقل : أهذا عرشك ؟ لئلا يكون تلقينا لها

[قالت كأنه هو] أي يشبهه ويقاربه ولم تقل : نعم هو ، ولا ليس هو ، قال ابن كثير : وهذا غاية في الذكاء

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والحزم

[وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين] هذا من قول سليمان أي قال سليمان تحدثا بنعمة الله : لقد أوتينا العلم بالله وقدرته ، من قبل هذه المرأة وكنا مسلمين لله من قبلها ، فنحن أسبق منها علما وإسلاما

[وصدها ما كانت تعبد من دون الله] أي منعها عن الإيمان بالله عبادتها القديمة للشمس والقمر

[إنها كانت من قوم كافرين] أي إنها كانت كافرة بسبب نشوئها بين قوم مشركين

[قيل لها ادخلي الصرح] أي ادخلي القصر العظيم الفخم

[فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها] أي فلما رأت ذلك الصرح الشامخ ، ظنته لجة ماء -أي ماء غمرا كثيرا- وكشفت عن ساقيها لتخوض فيه

[قال إنه صرح ممرد من قوارير] أى قال سليمان : إنه قصر مملس من الزجاج الصافي !

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[قالت رب إني ظلمت نفسي] أي قالت بلقيس حينئذ : رب إني ظلمت نفسي بالشرك وعبادة الشمس

[وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين] أي وتابعت سليمان على دينه ، فدخلت في الإسلام مؤمنة برب العالمين ، قال ابن كثير : والغرض أن سليمان عليه السلام ، إتخذ قصرا عظيما منيفا من زجاج لهذه الملكة ، ليريها عظمة سلطانه وتمكنه ، فلما رأت ما آتاه الله من الملك الواسع وجلالة ما هو فيه من العز والجاه ، وتبصرت في أمره ، إنقادت لأمر الله تعالى وعرفت أنه نبي كريم ، وملك عظيم ، وأسلمت لله عز وجل.

البلاغه :

تضمنت الآيات الكريمة وجوها من البيان والبديع نوجزها فيما يلي :

1 - أسلوب التعجب [ما لي لا أرى الهدهد] ؟ .

2 - التأكيد المكرر [لأعذبنه . . أو لأذبحنه . . أو ليأتيني] لتأكيد الأمر .

3 - طباق السلب [أحطت بما لم نحط به] وكذلك

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[تهتدي . . لا يهتدون] .
4 - الجناس اللطيف [وجئتك من سبأ بنبأ] ويسمى (الجناس الناقص) لتبدل بعض الحروف في (سبأ)و(نبأ) ((قال صاحب الكشاف : وهذا من محاسن الكلام بشرط أن يجيء مطبوعا غير متكلف أو يصنعه عالم بجوهر الكلام ، ولقد حسن في الآية وبدع لفظا ومعنى ، ألا ترى أنه لو وضع مكان " بنبأ " لفظة " بخبر " لكان المعنى صحيحا ، ولكن يفوت ما في النبأ من الزيادة التى معناها (الخبر الهام) والتي يطابقها وصف الحال)).
5 - الطباق في اللفظ [تخفون . . . وتعلنون] وكذلك [أأشكر أم أكفر] .
6 - الطباق في المعنى [أصدقت أم كنت من الكاذبين] . قال علماء البيان : والمطابقة هنا بالمعنى أبلغ من اللفظ لأنه عدول عن الفعل إلى الإسم فيفيد الثبات فلو قال : " أصدقت أم كذبت " لما أدى هذا المعنى لأنه قد يكذب في هذا الأمر ولا يكذب في غيره

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

، وأما قوله : [أم كنت من الكاذبين] فإنه يفيد أنه إذا كان معروفا بالانخراط في سلك الكاذبين كان كاذبا لا محالة فلا يوثق به أبدا.

7 - جناس الاشتقاق [تقوم من مقامك] وكذلك [أسلمت مع سليمان] .

8 - التشبيه [كأنه هو] أي كأنه عرشي في الشكل والوصف ويسمى هذا التشبيه " مرسلا مجملا " .

9 - الاستعارة البديعة [قبل أن يرتد إليك طرفك] شبه سرعة مجيئه بالعرش ، برجوع الطرف للإنسان ، وارتداد الطرف معناه التقاء الجفنين وهو أبلغ ما يمكن أن يوصف به في السرعة ، ومثله قوله تعالى [وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب] فاستعار للسرعة الفائقة ارتداد الطرف.

10 - توافق الفواصل في كثير من الآيات ، ولها وقع في النفس رائع ، مثل [أم كان من الغائبين] [أو ليأتيني بسلطان مبين] [وجئتك من سبأ بنبأ يقين] إلى آخر ما هنالك .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لطيفة :

أخذ بعض العلماء من قوله تعالى : [وتفقد الطير] استحباب تفقد الملك لأحوال الرعية ، وكذلك تفقد الأصدقاء ، والإخوان ، والخلان وأنشد بعضهم : سن سليمان لنا سنة وكان فيما سنه مقتدى تفقد الطيرعلى ملكه فقال : مالى لا أرى الهدهدا ؟

قال الله تعالى : [ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحا . .] إلى قوله [بل هم منها عمون] من آية (45) إلى نهاية آية (66) .

المناسبة :

لما ذكر تعالى في أول السورة قصة موسى ، ثم أعقبها بقصة داود وسليمان ، وما فيها من العجائب والغرائب ، ذكر هنا قصة " صالح " ثم قصة " لوط " وكل هذه القصص غرضها التذكير والإعتبار ، وبيان سنة الله في إهلاك المكذبين ، ثم أتبعها بذكر البراهين الدالة على الوحدانية ، والعلم ، والقدرة .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

اللغة :

[اطيرنا] من التطير وهو التشاؤم ، قال الزجاج : أصلها تطيرنا فأدغمت التاء في الطاء واجتلبت الألف لسكون الطاء

[خاوية] خالية من خوى البطن إذا خلى ، وخوى النجم إذا سقط

[الفاحشة] الفعلة القبيحة الشنيعة

[حدائق] جمع حديقة وهي البستان الذي عليه سور ، قال الفراء : الحديقة : البستان الذي عليه حائط ، فإن لم يكن عليه حائط فهو البستان

[قرارا] مستقرا يثبت عليه الشئ

[حاجزا] الحاجز : الفاصل بين الشيئين .

التفسير :

[ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحا أن اعبدوا الله] اللام جواب قسم محذوف أي والله لقد أرسلنا إلى قبيلة ثمود أخاهم - في النسب لا في الدين - صالحا عليه السلام ، يدعوهم إلى توحيد الله وعبادته

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فإذا هم فريقان يختصمون] أي فإذا هم جماعتان : مؤمنون وكافرون ، يتنازعون في شأن الدين ، قال مجاهد : [فريقان] : مؤمن ، وكافر ، واختصامهم : اختلافهم وجدالهم في الدين ، وجاء الفعل بالجمع [يختصمون] حملا على المعنى

[قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة] أي قال لهم صالح بطريق التلطف والرفق : يا قوم لم تطلبون العذاب قبل الرحمة ؟ ولأي شيء تستعجلون بالعذاب ، ولا تطلبون الرحمة ؟

[لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون] أي هلا تتوبون إلى الله من الشرك لكي يتوب الله عليكم ويرحمكم ؟ قال المفسرون : كان الكفار يقولون لفرط الإنكار : يا صالح ائتنا بعذاب الله ، فقال لهم : هلا تستغفرون الله قبل نزول العذاب ، فإن استعجال الخير أولى من استعجال الشر ! !

[قالوا اطيرنا بك وبمن معك] أي تشاءمنا بك يا صالح ، وبأتباعك المؤمنين ، فإنكم سبب ما حل بنا من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بلاء ، وكانوا قد أصابهم القحط وجاعوا

[قال طائركم عند الله] أي حظكم في الحقيقة من خير أو شر ، هو عند الله وبقضائه ، إن شاء رزقكم ، وإن شاء حرمكم ! ! لما لاطفهم في الخطاب أغلظوا له في الجواب ، وقالوا : تشاءمنا بك وبمن معك ، فأخبرهم أن شؤمهم بسبب عملهم القبيح ، لا بسبب (صالح) والمؤمنين

[بل أنتم قوم تفتنون] أي بل الحقيقة أنكم جماعة يفتنكم الشيطان بوسوسته وإغوائه ولذلك تقولون ما تقولون

[وكان في المدينة تسعة رهط] أي وكان في مدينة صالح - وهي الحجر -تسعة رجال من أبناء أشرافهم ، قال الضحاك : كان هؤلاء التسعة عظماء أهل المدينة

[يفسدون في الأرض ولا يصلحون] أي شأنهم الإفساد ، وأيذاء العباد بكل طريق ووسيلة ، قال ابن عباس : وهم الذين عقروا الناقة

[قالوا تقاسموا بالله] أي قال بعضهم لبعض : احلفوا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بالله

[لنبيتنه وأهله] أي لنقتلن صالحا وأهله ليلا

[ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك أهله] أي ثم نقول لولي دمه ما حضرنا مكان هلاكه ولا عرفنا قاتله ولا قاتل أهله

[وإنا لصادقون] أي ونحلف لهم إنا لصادقون في كلامنا ! ! قال ابن عباس : أتوا دار صالح شاهرين سيوفهم ، فرمتهم الملائكة بالحجارة فقتلتهم قال تعالى :

[ومكروا مكرا] أي دبروا مكيدة لقتل صالح

[ومكرنا مكرا] أي جازيناهم على مكرهم بتعجيل هلاكهم ، سماه (مكرا) بطريق المشاكلة ((المشاكلة هي الاتفاق في اللفظ دون المعنى))

[وهم لا يشعرون] أي من حيث لا يدرون ولا يعلمون ، قال أبو حيان : ومكرهم ما أخفوه من تدبير الفتك بصالح وأهله ، ومكر الله إهلاكهم من حيث لا يشعرون

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين] أي فتأمل وتفكر في عاقبة أمرهم ونتيجة كيدهم ، كيف أنا أهكلناهم أجمعين ، وكان مآلهم الخراب والدمار !

[فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا] أي فتلك مساكنهم ودورهم خالية ، بسبب ظلمهم وكفرهم ، لأن أهلها هلكوا

[إن في ذلك لآية لقوم يعلمون] أي إن في هذا التدمير العجيب لعبرة عظيمة ، لقوم يعلمون قدرة الله فيتعظون

[وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون] أي وأنجينا من العذاب المؤمنين المتقين ، الذين آمنوا مع صالح

[ولوطا إذ قال لقومه] أي واذكر رسولنا " لوطا " حين قال لقومه أهل سدوم

[أتأتون الفاحشة] أي أتفعلون الفعلة القبيحة الشنيعة وهي اللواطة

[وأنتم تبصرون] أي وأنتم تعلمون علما قاطعا بينا أنها فاحشة ؟ وأنها عمل قبيح ؟

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ائنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء] تكرير للتوبيخ أي ائنكم أيها القوم لفرط سفهكم تشتهون الرجال وتتركون النساء ؟ ويكتفي منكم الرجال بالرجال بطريق الفاحشة القبيحة

[بل أنتم قوم تجهلون] أي بل أنتم قوم سفهاء ماجنون ، ولذلك تفضلون العمل الشنيع على ما أباح الله لكم من النساء

[فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم] أي فما كان جواب أولئك المجرمين ، إلا أن قالوا أخرجوا لوطا وأهله من بلدتكم

[إنهم أناس يتطهرون] أي إنهم قوم يتنزهون عن القاذورات ويعدون فعلنا قذرا ، وهو تعليل لوجوب الطرد والإخراج ، قال قتادة : عابوهم والله بغير عيب بأنهم يتطهرون من أعمال السوء ، وقال ابن عباس : هو استهزاء يستهزئون بهم بأنهم يتطهرون عن أدبار الرجال

[فأنجيناه وأهله إلا امرأته] أي فخلصناه هو وأهله من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

العذاب الواقع بالقوم إلا زوجته
[قدرناها من الغابرين] أي جعلناها بقضائنا وتقديرنا من المهلكين الباقين في العذاب
[وأمطرنا عليهم مطرا] أي أنزلنا عليهم حجارة من السماء كالمطر فأهلكتهم
[فساء مطر المنذرين] أي بئس هذا العذاب الذي أمطروا به وهو " الحجارة " من سجيل منضود . .
ولما ذكر تعالى قصص الأنبياء أتبعه بذكر دلائل القدرة والوحدانية فقال سبحانه :
[قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى] أي قل يا أيها الرسول : الحمد لله على إفضاله وإنعامه وسلام على عباده المرسلين ، الذين اصطفاهم لرسالته واختارهم لتبليغ دعوته ، قال الزمخشري : أمر الله رسوله أن يتلو هذه الآيات ، الدالة على وحدانيته ، الناطقة بالبراهين على قدرته وحكمته ، وأن يستفتح بتحميده والسلام على أنبيائه ، وفيه تعليم حسن ، وتوقيف على أدب جميل ، وهو حمد الله والصلاة على

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

رسله ، ولقد توارث العلماء والخطباء والوعاظ كابرا عن كابر هذا الأدب ، فحمدوا الله وصلوا على رسوله ، أمام كل علم ، وقبل كل عظة وتذكر

[ءآلله خير أما يشركون] تبكيت للمشركين وتهكم بهم أي هل الخالق المبدع الحكيم خير أم الأصنام التي عبدوها وهي لا تسمع ولا تستجيب ؟

[أمن خلق السموات والأرض] برهان آخر على وحدانية الله تعالى ، أي أمن أبدع الكائنات ، فخلق تلك السموات في ارتفاعها وصفائها ، وجعل فيها الكواكب المنيرة وخلق الأرض وما فيها من الجبال والسهول والأنهار والبحار ، خير أما يشركون ؟

[وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة] أي وأنزل لكم بقدرته المطر من السحاب فأخرج به الحدائق والبساتين ، ذات الجمال والخضرة والنضرة ، والمنظر الحسن البهيج

[ما كان لكم أن تنبتوا شجرها] أي ما كان للبشر ولا يتهيأ لهم ، وليس بمقدورهم ولا مستطاعهم أن ينبتوا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

شجرها فضلا عن ثمرها
[أإله مع الله] استفهام إنكار أي هل معه معبود سواه حتى تسووا بينهما وهو المتفرد بالخلق والتكوين ؟

[بل هم قوم يعدلون] أي بل هم قوم يشركون بالله ، فيجعلون له عديلا ومثيلا ، ويسوون بين الخالق الرازق والوثن والصنم ، الذي لا يضر ولا ينفع
[أمن جعل الأرض قرارا] برهان آخر أي هل الإله القوي القادر ، الذي جعل الأرض مستقرا للإنسان والحيوان ، بحيث يمكنكم الإقامة بها والاستقرار عليها
[وجعل خلالها أنهارا] أي وجعل في شعابها وأوديتها الأنهار العذبة الطيبة ، تسير خلالها شرقا وغربا ، وشمالا وجنوبا
[وجعل لها رواسي] أي وجعل جبالا شامخة ترسي الأرض وتثبتها لئلا تميد وتضطرب بكم
[وجعل بين البحرين حاجزا] أي وجعل بين المياه (العذبة) و(المالحة) فاصلا ومانعا يمنعها من الاختلاط

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

، لئلا يفسد ماء البحار المياه العذبة

[أإله مع الله] أي هل مع الله معبود سواه ؟

[بل أكثرهم لا يعلمون] أي أكثر المشركين لا يعلمون الحق فيشركون مع الله غيره

[أمن يجيب المضطر إذا دعاه] برهان ثالث أي أمن يجيب المكروب المجهود الذي مسه الضر ، فيستجيب دعاءه ويلبي نداءه ؟

[ويكشف السوء] أي ويكشف عنه الضر والبأساء ؟

[ويجعلكم خلفاء الأرض] أي ويجعلكم سكان الأرض تعمرونها جيلا بعد جيل ، وأمة بعد أمة

[أإله مع الله] ؟ أي أإله مع الله يفعل ذلك حتى تعبدوه ؟

[قليلا ما تذكرون] أي ما أقل تذكركم وإعتباركم فيما تشاهدون ؟

[أم من يهديكم في ظلمات البر والبحر] ؟ برهان رابع أي أم من يرشدكم إلى مقاصدكم في أسفاركم في الظلام الدامس ، في البراري ، والقفار ، والبحار ؟

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والبلاد التي تتوجهون إليها بالليل والنهار ؟

[ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته] ؟ أي ومن الذي يسوق الرياح مبشرة بنزول المطر ؟ الذي هو رحمة للبلاد والعباد ؟

[أإله مع الله] ؟ أي أإلة مع الله يقدر على شيء من ذلك ؟

[تعالى الله عما يشركون] أي تعظم وتمجد الله القادر الخالق عن مشاركة العاجز المخلوق ! !

[أمن يبدأ الخلق ثم يعيده] برهان خامس أي أمن يبدأ خلق الإنسان ثم يعيده بعد فنائه ؟ قال الزمخشري : فإن قيل : كيف قال لهم ذلك ؟ وهم منكرون للإعادة ؟ والجواب : أنه قد أزيحت علتهم بالتمكين من المعرفة والإقرار ، فلم يبق لهم عذر في الإنكار

[ومن يرزقكم من السماء والأرض] أي ومن ينزل عليكم من مطر السماء ، وينبت لكم من بركات الأرض الزروع والثمار ؟ قال ابو حيان : لما كان إيجاد بني آدم ، إنعاما إليهم وإحسانا عليهم ، ولا تتم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

النعمة إلا بالرزق قال : [ومن يرزقكم من السماء] أي بالمطر [والأرض] أي بالنبات

[ألِه مع الله] ؟ أي ألِه مع الله يفعل ذلك ؟

[قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين] أي أحضروا حجتكم ودليلكم على ما تزعمون إن كنتم صادقين في أن مع الله إلها آخر ((قال في البحر : وناسب ختم كل استفهام بما تقدمه ، فلما ذكر خلق العالم العلوي والسفلي وما أمتن به من إنزال المطر ختمه بقوله : {بل هم قوم يعدلون } أي يعدلون به غيره مما هو مخلوق ، ولما ذكر جعل الأرض مستقرا وتفجير الأنهار ، وكان فيه التنبيه على الكفر وعدم الفهم ختمه بقوله : {بل أكثرهم لا يعلمون } ولما ذكر إجابة المضطر وكشف السوء ختمه بقوله : {قليلا ما تذكرون } لأن الإنسان يتوالى عليه النسيان عندما يزول عنه اضطراره ، ولما ذكر الهداية في الظلمات وإرسال الرياح مبشرات ، ومعبوداتهم لا تهدي ولا تسعف وهم يشركون بها ختمه بقوله : {تعالى الله عما

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يشركون }))
[قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله]
أي هو سبحانه وحده المختص بعلم الغيب ، فلا يعلم أحد من ملك أو بشر الغيب إلا الله علام الغيوب ، قال القرطبي : نزلت في المشركين حين سألوا النبي ، عن قيام الساعة
[وما يشعرون أيان يبعثون] ؟ أي وما يدري ولا يشعر الخلائق متى يبعثون بعد موتهم ؟

[بل ادارك علمهم في الآخرة] أي هل تتابع وتلاحق ، علم المشركين بالآخرة وأحوالها ؟ حتى يسألوا عن الساعة وقيامها ؟ إنهم لا يصدقون بالآخرة ، فلماذا يسألون عن قيام الساعة ؟
[بل هم في شك منها] أي بل هم شاكون في الآخرة لا يصدقون بها ، ولذلك يعاندون ويكابرون
[بل هم منها عمون] أي بل هم في عمى عنها ، وليس لهم بصيرة يدركون بها دلائل وقوعها لأن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

اشتغالهم باللذات النفسانية من شهوة البطن والفرج صيرهم كالبهائم والأنعام ، لا يتدبرون ولا يبصرون ، قال ابن كثير : هم شاكون في وقوعها ووجودها ، بل هم في عماية وجهل كبير في أمرها .

البلاغة :

تضمنت الآيات وجوها من البيان والبديع نوجزها فيما يلي :

1 - الطباق بين [يفسدون . . ولا يصلحون] .

2 - التحضيض [لولا تستغفرون الله] أي هلا تستغفرون الله .

3 - جناس ا لاشتقاق [اطيرنا . . طائركم] .

4 - المشاكلة [ومكروا . . ومكرنا] سمى تعالى إهلاكهم وتدميرهم (مكرا) على سبيل المشاكلة . لأن مكرهم كان عن خبث ، ومكر الله تعطيل وإبطال لمكرهم ، ورد لكيدهم في نحورهم .

5 - الطباق بين السيئة والحسنة في قوله : [لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة] ؟ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

6 - الاستفهام التوبيخي [أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون] ؟ .

7 - أسلوب التبكيت والتهكم [الله خير أما يشركون] ؟ .

8 - الاستعارة اللطيفة [بين يدي رحمته] أي أمام نزول المطر ، فاستعار اليدين للأمام .

9 - الطباق بين [يبدأ الخلق ثم يعيده] .

10 - الاستعارة اللطيفة [بل هم منها عمون] استعار (العمى) للتعامي عن الحق وعدم التفكر والتدبر في آلاء الله ، فاصبحوا كالعمي الذين لا يبصرون .

11 - مراعاة الفواصل مما يزيد في رونق الكلام وجماله ، وله على السمع وقع خاص مثل [وما يشعرون أيان يبعثون] [أمن جعل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهارا] ومثل [إن في ذلك لآية لقوم يعلمون * وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون] . وأمثاله كثير ، وفي القرآن روائع بيانية يعجز عن التعبير عنها اللسان ، فسبحان من خص نبيه الأمي بهذا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الكتاب المعجز! ! .

قال الله تعالى : [وقال الذين كفروا أئذا كنا ترابا وآباؤنا . .] إلى قوله [وما ربك بغافل عما تعملون] من آية (67) إلى آية (93) نهاية السورة .

المناسبة :

لما ذكر تعالى الأدلة والبراهين على وحدانية رب العالمين ، ذكر هنا شبهات المشركين في الإيمان بالآخرة والبعث والنشور ، وأردفها بذكر الدلائل القاطعة ، وذكر بعض الأهوال التي تكون بين يدي الساعة.

اللغه :

[ردت] اقترب ودنا

[تكن] تسر وتخفي

[داخرين] ذليلين صاغرين

[فوجا] الفوج : الجماعة

[جامدة] الجمود : سكون الشيء وعدم حركته

[أتقن] الإتقان : الإتيان بالشئ على أحسن حالاته من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

التمام والكمال والإحكام

[كبت] الكب : الطرح والإلقاء يقال : كببت الرجل ألقيته على وجهه ، وكببت الإناء قلبته

التفسير :

[وقال الذين كفروا أئذا كنا ترابا وآباونا أئنا لمخرجون] أي قال مشركو مكة المنكرون للبعث : أئذا متنا ، وأصبحنا رفاتا وعظاما بالية ؟ فهل سنخرج من قبورنا ونحيا مرة ثانية ؟

[لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل] أي لقد وعدنا محمد بالبعث كما وعد الرسل قبله آباءنا الأولين ، فلو كان حقا لحصل

[إن هذا إلا أساطير الأولين] أي ما هذا إلا خرافات وأباطيل السابقين . ينكرون البعث ، وينسون أنهم خلقوا من العدم ، وأن الذي خلقهم أولا ، قادر على أن يعيدهم ثانيا!

[قل سيروا في الأرض] أي قل لهؤلاء الكفار : سيروا في أرجاء الأرض

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين] أي فانظروا - نظر اعتبار - كيف كان مال المكذبين للرسل ؟ ألم يهلكهم الله ويدمرهم ؟ فما حدث للمجرمين من قبل ، يحدث للمجرمين من بعد ، والآية وعيد وتهديد

[ولا تحزن عليهم ولا تكن في ضيق مما يمكرون] تسلية للرسول عليه السلام أي لا تحزن يا محمد ولا تأسف على هؤلاء المكذبين إن لم يؤمنوا ، ولا يضق صدرك من مكرهم ، فإن الله يعصمك منهم

[ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين] أي يقولون استهزاء : متى يجيئنا العذاب إن كنتم صادقين فيما تقولون ؟ والخطاب للنبي (ص) والمؤمنين

[قل عسى أن يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون] أي لعل الذي تستعجلون به من العذاب قد دنا وقرب منكم بعضه ، قال المفسرون : هو ما أصابهم من القتل والأسر يوم بدر

[وإن ربك لذو فضل على الناس] أي لذو إفضال

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وإنعام على الناس ، بترك تعجيل عقوبتهم على معاصيهم وكفرهم

[ولكن أكثرهم لا يشكرون] أي ولكن أكثرهم لا يعرفون حق النعمة ، ولا يشكرون ربهم

[وإن ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون] أي وإنه تعالى ليعلم ما يخفون وما يعلنون ، من عداوة الرسول وكيدهم له وسيجازيهم عليه

[وما من غائبة في السماء والأرض إلا في كتاب مبين] أي ليس من شئ في غاية الخفاء على الناس والغيبوبة عنهم إلا وقد علمه الله وأحاط به ، وأثبته في اللوح المحفوظ عنده ، فلا تخفى عليه سبحانه خافية ، قال ابن عباس : أي ما من شيء سر في السموات والأرض أو علانية إلا وعند الله علمه

[إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون] لما ذكر تعالى أمر المبدأ والمعاد والنبوة ، وكان القرآن من أعظم الدلائل والبراهين على صدق محمد وصدق ما جاء به ، أعقبه هنا بذكر القرآن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المجيد وذكر أوصافه ، والمعنى : إن هذا القرآن المنزل على خاتم الرسل لهو الكتاب الحق ، الذي يبين لأهل الكتاب ما اختلفوا فيه من أمر الدين ، ومن جملته اختلافهم في أمر المسيح وتفرقهم فيه فرقا كثيرة ، حتى لعن بعضهم بعضا ، فلو كانوا منصفين لأسلموا ، لأن القرآن جاءهم بالرأي الساطع ، والخبر القاطع

[وإنه لهدي ورحمة للمؤمنين] أي وإنه لهداية لقلوب المؤمنين من الضلالة ، ورحمة لهم من العذاب ، قال القرطبي : وإنما خص المؤمنين بالذكر لأنهم المنتفعون به

[إن ربك يقضي بينهم بحكمه] أي إن ربك يا محمد يفصل بين بني إسرائيل يوم القيامة بحكمه العادل ، وقضائه المبرم ، فيجازي المحق والمبطل

[وهو العزيز] أي المنيع الغالب الذي لا يرد أمره

[العليم] أي العليم بأفعال العباد ، فلا يخفى عليه شيء منهم

[فتوكل على الله] أي فوض إليه أمرك ، واعتمد عليه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

في جميع شئونك ، فإنه ناصرك

[إنك على الحق المبين] أي إنك يا محمد على الدين الحق ، الواضح المنير ، فالعاقبة لك بالنصر على الكفار

[إنك لا تسمع الموتى] أي لا تسمع الكفار لتركهم التدبر والاعتبار ، فهم كالموتى ، لا حس لهم ولا عقل

[ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين] أي ولا تسمعهم دعاءك ونداءك إذا ذكرتهم بالله ، أو دعوتهم إلى الإيمان ، لأنهم كالصم الذين في آذانهم وقر ، فلا يستجيبون الدعاء ، لا سيما إذا تولوا عنك معرضين ، فإن الأصم إذا تولى مدبرا ثم ناديته كان أبعد عن السماع ، حيث انضم إلى صممه بعد المسافة

[وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم] أي وليس بوسعك يا أيها الرسول أن تصرف عمي القلوب عن كفرهم وضلالهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون] أي ما تسمع - سماع تدبر وإفهام - إلا المؤمنين ، ولا يستجيب لدعوتك إلا أهل الإيمان ، وهم الذين انقادوا وأسلموا وجوههم للرحمن . . شبه تعالى من لا يسمع ولا يعقل بالموتى ، في أنهم لا يسمعون وإن كانوا أحياء ، ثم شبههم ثانيا بالصم وبالعمى وإن كانوا سليمي الحواس ، وأكد عدم سماعهم بقوله : [إذا ولوا مدبرين] لأن الأصم إذا أدبر زاد صممه أو عدم سماعه بالكلية ، والغرض من الآية أن هؤلاء الكفار كالموتى ، وكالصم ، وكالعمي ، لا يفهمون ولا يسمعون ، ولا يبصرون ، ولا يلتفتون إلى شيء من الدلائل الكونية ، أو الآيات القرآنية

[وإذا وقع القول عليهم] هذا بيان لما يكون بين يدي الساعة ، أي وإذا قرب نزول العذاب وقيام الساعة ، وحان وقت عذاب الكفار

[أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم إن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون] أي أخرجنا للكفار هذه الآية الكبيرة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(دابة الأرض) تكلم الناس وتناظرهم وتقول من جملة كلامها : ألا لعنة الله على الظالمين ، الذين لا يصدقون ولا يؤمنون بآيات الله ، وخروج الدابة من أشراط الساعة ، ففي الحديث الشريف : (لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات . . وعد منها طلوع الشمس من مغربها ، وخروج الدابة ..) الحديث ((اخرجه الإمام أحمد في المسند ، وفي صحيح مسلم " إن اول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها ، وخروج الدابة على الناس ضحى ، وأيتهما كانت قبل صاحبتها فألاخرى على إثرها قريبا ")) ، قال ابن كثير : هذه الدابة تخرج في آخر الزمان ، عند فساد الناس ، وتركهم أوامر الله ، وتبديلهم الدين الحق ، فتكلم الناس وتخاطبهم مخاطبة ، قالى ابن عباس : تكلمهم كلاما فتقول لهم : إن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون ، وروي أن خروجها حين ينقطع الخير ، ولا يؤمر بمعروف ، ولا ينهى عن منكر ، ولا يبقى منيب ولا تائب ، وهي آية خاصة خارقة للعادة ، ثم ذكر تعالى بعض مشاهد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

القيامة فقال سبحانه :
[ويوم نحشر من كل أمة فوجا] أي واذكر يوم نجمع للحساب والعقاب من كل أمة من الأمم جماعة وزمرة
[ممن يكذب بآياتنا] أي من الجاحدين المكذبين بآياتنا ورسلنا
[فهم يوزعون] أي فهم يجمعون ثم يساقون سوقا كما تساق الأنعام ، ويحبس أولهم على آخرهم ، حتى يتلاحقوا ويجتمعوا
[حتى إذا جاءوا قال أكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علما] أي حتى إذا حضروا موقف الحساب والسؤال قال لهم تعالى موبخا ومقرعا : أكذبتم بآياتي المنزلة على رسلي من غير فكر ولا نظر يؤدي إلى إحاطة العلم بكذبها ، أو معرفة صدقها ؟
[أم ماذا كنتم تعملون] تقريع وتوبيخ آخر أي أي شيء كنتم تعملونه في الدنيا ؟ وبخهم أولا بقوله :
[أكذبتم بآياتي] ثم اضرب عنه إلى استفهام تقرير وتبكيت كأنه قيل : دعوا ما نسبته إليكم من التكذيب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقولوا لي : أي شئ كنتم تعملونه في الدنيا غير التكذيب ؟

[ووقع القول عليهم بما ظلموا] أي بهتوا فلم يكن لهم جواب ، وقامت عليهم الحجة ، وحق عليهم العذاب ، بسبب ظلمهم وتكذيبهم بآيات الله

[فهم لا ينطقون] أي فهم لا يتكلمون ، لأنه ليس لهم عذر ولا حجة ، وقد شغلوا بالعذاب عن الجواب ، شأن المجرم الذي تدفعه الأدلة ، فيلجم لسانه ، ويضطرب جنانه . . ثم لما ذكر تعالى أهوال القيامة ، ذكر الأدلة والبراهين على التوحيد والحشر والنشر ، مبالغة في الإرشاد إلى الإيمان فقال سبحانه :

[ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا] ؟ أي ألم يروا قدرة الله ، فيعتبروا أنه تعالى جعل الليل مظلما ، ليناموا ويستريحوا من تعب الحياة ، وجعل النهار منيرا مشرقا ليتصرفوا فيه في طلب المعاش والرزق ؟

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون] أي إن في تقليب الليل والنهار من نور إلى ظلمة ، ومن ظلمة إلى نور ، لآيات باهرة ، ودلائل قاطعة على قدرة الله ، لقوم يصدقون فيعتبرون . . ثم أشار تعالى إلى أحوال الناس في الآخرة فقال سبحانه :

[ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله] أي واذكر يوم ينفخ إسرافيل في الصور (نفخة الفزع) فلا يبقى أحد من أهل السموات والأرض ، إلا خاف وفزع ، إلا من شاء الله من الملائكة والأنبياء والشهداء ، قال المفسرون : هذه نفخة الفزع ، ثم تتلوها نفخة الصعق - وهو الموت - ثم بعد ذلك نفخة النشور أي الخروج من القبور وهي نفخة القيام لرب العالمين ، قال أبو هريرة : إن الملك له في الصور ثلاث نفخات : نفخة الفزع - وهو فزع الحياة الدنيا - وليس بالفزع الأكبر ، ونفخة الصعق ، ونفخة القيام من القبور

[وكل أتوه داخرين] أي وكل من الأموات الذين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أحياهم الله ، أتوا ربهم صاغرين مطيعين ، لم يتخلف منهم أحد

[وترى الجبال تحسبها جامدة] أي وترى أيها المخاطب الجبال تظنها ثابتة في مكانها وواقفة

[وهي تمرمر السحاب] أي وهي تسير سيرا سريعا كالسحاب ، قال الإمام الفخر : ووجه حسبانهم أنها جامدة أن الأجسام الكبار ، إذا تحركت حركة سريعة على نهج واحد ، ظن الناظر اليها أنها واقفة ، مع أنها تمر مرا سريعا ((هذه الاية الكريمة ، تكاد تكون صريحة في (حركة الأرض ودورانها) وهي إحدى معجزات القرآن العلمية ، التي لم يعرفها العلماء إلا فى العصر الحديث (عصر المكتشفات والمخترعات) عصر المراكب الفضائية ، والأقمار الصناعية ، حينما دار رواد الفضاء حول الأرض ، ووصلوا إلى سطح القمر ، فحطوا مركبتهم عليه ، وصوروا لنا الأرض وهي تشرق وتغرب ، وتدور في هذا الفضاء الواسع ، كما تشرق الشمس على أهل الأرض ، وتغرب عنهم ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فالآية تتحدث عن الدنيا ، وليست كما يظن البعض أنها تتحدث عن الآخرة ، للأدلة التي سنذكرها :

- أولا : الجبال تنسف في الدنيا وتتناثر قبل يوم القيامة ، لقوله تعالى {ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا}

- ثانيا : أمور الآخرة كلها حقائق ، وليس فيها ظنون ولا أوهام ، وهنا يقول سبحانه {تحسبها جامدة} أي تظنها واقفة غير متحركة ،

- ثالثا : قوله تعالى {وهي تمر مر السحاب } اي تسير سيرا سريعا كسير السحاب ، فقد أثبت لها السير والحركة ،

- رابعا : الإخبار عن هذه الحركة الدائبة بأنها من قدرة الله وإبداعه {صنع الله الذي اتقن كل شىء} والخراب والدمار لا يسمى صنعا ولا يوصف بالإتقان ،

- خامسا : الحديث الشريف الذي رواه البخاري ومسلم (يحشر الناس يوم القيامة ، على ارض بيضاء عفراء ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كقرصة النقي ليس فيها علم لأحد) يشير إلى عدم وجود جبال))

[صنع الله الذى أتقن كل شيء] أي ذلك صنع الله البديع ، الذي أحكم كل شيء خلقه ، وأودع فيه من الحكمة ما أودع

[إنه خبير بما تفعلون] أي هو عليم بما يفعل العباد ، من خير وشر ، وسيجازيهم عليه أتم الجزاء! ! ثم بين تعالى حال السعداء والأشقياء ، في ذلك اليوم الرهيب فقال سبحانه :

[من جاء بالحسنة فله خير منها] أي من جاء يوم القيامة بحسنة من الحسنات ، فإن الله يضاعفها له إلى عشر حسنات ، ويعطيه على العمل القليل ، الثواب الجزيل

[وهم من فزع يومئذ آمنون] أي وهم من خوف ذلك اليوم العصيب آمنون ، كما قال تعالى : [لا يحزنهم الفزع الأكبر]

[ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار] قال ابن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عباس : السيئة : الإشراك بالله ، أي ومن جاء يوم القيامة مسيئا لا حسنة له أو مشركا بالله ، فإنه يمكث في جهنم على وجهه منكوسا ، ويلقى فيها مقلوبا

[هل تجزون إلا ما كنتم تعملون] أي يقال لهم توبيخا : هل تجزون إلا جزاء ما كنتم تعملون في الدنيا ، من سيئ الأعمال ؟

[إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرمها] أي قل لهم يا أيها الرسول : لقد أمرت أن أخص الله وحده بالعبادة ، وأن أعبد رب هذا البلد الأمين ، الذي جعل مكة - شرفها الله - حرما آمنا لا يسفك فيها دم ، ولا يظلم فيها أحد ، ولا يصاد صيدها ، ولا يختلى خلاها

((لا يختلى خلاها : أي لا يقطع حشيشها الرطب))

كما جاء في الحديث الصحيح

[وله كل شيء] أي هو تعالى الخالق والمالك لكل شيء ، فهو رب كل شيء ومليكه

[وأمرت أن أكون من المسلمين] أي وأمرت أن أكون

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من المخلصين لله بالتوحيد ، المنقادين لأمره ، المستسلمين لحكمه

[وأن أتلوا القرآن] أي وأمرت أيضا بتلاوة القرآن ، لتتكشف لي حقائقه الرائعة ، وأن أقرأه على الناس

[فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه] أي فمن اهتدى بالقرآن ، واستنار قلبه بالإيمان ، فإن ثمرة هدايته راجعة إليه

[ومن ضل فقل إنما أنا من المنذرين] أي ومن ضل عن طريق الهدى ، فوبال ضلاله مختص به ، إذ ما على الرسول إلا البلاغ ، وقد بلغتكم رسالة الله

[وقل الحمد لله] أي قل يا محمد : الحمد لله على ما خصنى به من شرف النبوة والرسالة ، وما أكرمني من رفيع المنزلة والمقام

[سيريكم آياته فتعرفونها] تهديد ووعيد أي سيريكم آياته الباهرة الدالة على عظيم قدرته وسلطانه في الأنفس والآفاق فتعرفونها حين لا تنفعكم المعرفة

[وما ربك بغافل عما تعملون] أي وما ربك بغافل عن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أعمال العباد بل هو على كل شيء شهيد ، وفيه وعد ووعيد .

البلاغه :

تضمنت الآيات وجوها من البيان والبديع نوجزها فيما يلي :

1 - الاستفهام الإنكاري [أئذا كنا ترابا أئنا لمخرجون] وتكرير الهمزة [أئنا] للمبالغة في التعجب والإنكار .

2 - الوعيد والتهديد [قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين] .

3 - التأكيد بإن واللام [وإن ربك لذو فضل] [وإن ربك ليعلم] [وإنه لهدى] .

4 - الطباق [ما تكن صدورهم وما يعلنون] لأن معنى [تكن] تخفي .

5 - الاستعارة البديعة [إن هذا القرآن يقص] لأن القصص لا يوصف به إلا الناطق المميز ، ولكن القرآن لما تضمن نبأ الأولين ، كان كالشخص الذي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يقص على الناس الأخبار ففيه استعارة تبعية حيث استعار لفظ " يقص " للخبر .

6 - المبالغة [العزيز العليم] لأن صبغة فعيل من صيغ المبالغة .

7 - الاستعارة التمثيلية [إنك لا تسمع الموتى] التعبير بالموتى ، والصم ، والعمي ، جاء كله بطريق (الاستعارة) وهو تمثيل لأحوال الكفار في عدم انتفاعهم بالإيمان ، بأنهم كالموتى والصم والعمى .

8 - أسلوب التوبيخ والتأنيب [أماذا كنتم تعملون] ؟ .

9 -الطباق [من جاء بالحسنة. . ومن جاء بالسيئة] .

10 - التشبيه البليغ [وهي تمر مر السحاب] أي تمر كمر السحاب في السرعة ، حذفت الأداة ووجه الشبه ، فأصبح تشبيها بليغا مثل محمد قمر.

11 - الإحتباك [ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا] حذف من أوله ما أثبت في آخره وبالعكس ، أصله : جعلنا الليل مظلما لتسكنوا فيه ، والنهار مبصرا لتتصرفوا فيه فحذف " مظلما " لدلالة "

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مبصرا " عليه ، وحذف " لتتصرفوا فيه " لدلالة [ليسكنوا فيه] وهذا النوع يسمى الإحتباك ، وهو من المحسنات البديعية .

سورة القصص

مكية وآياتها ثمان وثمانون آية

بين يدي السورة

* سورة القصص من السور المكية التي تهتم بجانب العقيدة (التوحيد ، والرسالة ، والبعث) وهي تتفق في منهجها وهدفها مع سورتي (النمل ، والشعراء) كما أتفقت في جو النزول ، فهي تكمل أو تفضل ما أجمل في السورتين قبلها.

* محور السورة الكريمة يدور حول فكرة (الحق) و(الباطل) ومنطق الإذعان والطغيان ، وتصور قصة الصراع بين جند الرحمن ، وجند الشيطان ، وقد ساقت في سبيل ذلك قصتين : أولاهما قصة الطغيان بالحكم والسلطان ، ممثلة في قصة " فرعون " الطاغية

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المتجبر ، الذي أذاق بني إسرائيل سوء العذاب ، فذبح الأبناء ، واستحيا النساء ، وتكبر على الله حتى تجرأ على ادعاء الربوبية فقال [ما علمت لكم من إله غيري] والثانية : قصة الاستعلاء والطغيان بالثروة والمال ممثلة في (قارون) مع قومه ، وكلا القصتين رمز إلى طغيان الإنسان في هذه الحياة ، سواء بالمال ، أو الجاه ، أو السلطان .

* ابتدأت السورة بالحديث عن طغيان فرعون ، وعلوه وفساده في الأرض ، ومنطق الطغيان في كل زمان ومكان . [إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا . .] الآيات

* ثم انتقلت إلى الحديث عن ولادة موسى وخوف أمه عليه من بطش فرعون ، وإلهام الله تعالى لها بإلقائه في البحر ، ليعيش معززا مكرما في حجر فرعون ، كريحانة زكية تنبت وسط الأشواك والأوحال [وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم . .] الآيات .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

* ثم تحدثت عن بلوغ (موسى) سن الرشد ، وعن قتله للقبطي ، وعن هجرته إلى أرض مدين ، وتزوجه بابنة شعيب ، وتكليف الله له بالعودة إلى مصر لدعوة فرعون الطاغية إلى الله ، وما كان من أمر موسى مع فرعون بالتفصيل إلى أن أغرقه الله في البحر ، وتحدثت عن كفار مكة ، ووقوفهم في وجه الرسالة المحمدية ، وبينت أن مسلك أهل الضلال واحد! ، ثم انتقلت إلى الحديث عن قصة قارون ، وبينت الفارق العظيم بين منطق الإيمان ، ومنطق الطغيان [إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم ه وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة . .] الآيات .

* وختمت السورة الكريمة بالإرشاد إلى طريق السعادة ، وهو طريق الإيمان الذي دعا إليه الرسل الكرام [من جاء بالحسنة فله خير منها ، ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات إلا ما كانوا يعملون] الآيات .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

التسمية :

سميت سورة " القصص " لأن الله تعالى ذكر فيها قصة موسى مفصلة موضحة ، من حين ولادته إلى حين رسالته ، وفيها من غرائب الأحداث العجيبة ما يتجلى فيه بوضوح ، عناية الله بأوليائه ، وخذلانه لأعدائه .

اللغة :

[شيعا] فرقا وأصنافا

[يستحيى] يتركه حيا ولا يقتله

[نمن] نتفضل وننعم

[اليم] البحر

[فارغا] خاليا

[آلمراضع] جمع مرضع ، وأما المرضعة فجمعها مرضعات ، وهي التي ترضع الطفل اللبن

[عن جنب] عن بعد ، ومنه الأجنبي للبعيد غير القريب

[وكزه] الوكز : الضرب بجمع الكف أى بكفه مجموعة ، قال أهل اللغة : الوكز واللكز كلاهما بمعنى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

واحد وهو الضرب بجمع الكف على الصدر ، وقيل : الوكز في الصدر ، واللكز في الظهر ، ومعنى جمع الكف : الكف المقبوضة الأصابع

[ظهيرا] عونا

[يستصرخه] يستغيثه ، والاستصراخ الاستغاثة وهو من الصراخ لأن المستغيث يصرخ ويرفع صوته طلبا للغوث ، قال الشاعر : كنا إذا ما أتانا صارخ فزع كان الصراخ له قرع الظنابيب

[يبطش] البطش : الأخذ بالشدة والعنف ، بطش يبطش بالكسر والضم .

التفسير :

[طسم] الحروف المقطعة للتنبيه على إعجاز القرآن الكريم ، والإشارة إلى أن هذا الكتاب المعجز في فصاحته وبيانه ، مركب من أمثال هذه الحروف الهجائية

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[تلك آيات الكتاب المبين] أى هذه آيات القرآن الواضح الجلى ، الظاهر في إعجازه ، الواضح في تشريعه وأحكامه

[نتلوا عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق] أى نقرأ عليك يا أيها الرسول بواسطة الروح الأمين ، من الأخبار الهامة عن موسى وفرعون ، من الحق الذي لا يأتيه الباطل ، والصدق الذي لا ريب فيه ولا كذب

[لقوم يؤمنون] أى لقوم يصدقون بالقرآن فينتفعون . . ثم بدأ تعالى بذكر قصة فرعون الطاغية فقال :

[إن فرعون علا فى الأرض] أى استكبر وتجبر ، وجاوز الحد في الطغيان ، في أرض مصر

[وجعل أهلها شيعا] أى جعل أهلها فرقا وأصنافا ، في استخدامه وطاعته

[يستضعف طائفة منهم] أى يستعبد ويستذل فريقا منهم ، وهم (بنو إسرائيل) فيسومهم سوء العذاب

[بذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم] أى يقتل أبناءهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الذكور ، ويترك الإناث على قيد الحياة ، لخدمته وخدمة الأقباط ، قال المفسرون : سبب تقتيله الذكور أن فرعون رأى في منامه ، أن نارا عظيمة أقبلت من بيت المقدس وجاءت إلى أرض مصر ، فأحرقت القبط دون بني اسرائيل ، فسأل عن ذلك المنجمين والكهنة ، فقالوا له : إن مولودا يولد فى بني إسرائيل ، يذهب ملكك على يديه ، ويكون هلاكك بسببه ، فأمر أن يقتل كل ذكر من أولاد بني إسرائيل

[إنه كان من المفسدين] أى من الراسخين في الفساد ، المتجبرين في الأرض ، ولذلك ادعى الربوبية وأمعن في القتل وإذلال العباد

[ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض] أى ونريد برحمتنا أن نتفضل وننعم على المستضعفين من بني إسرائيل ، فننجيهم من بأس فرعون وطغيانه

[ونجعلهم أئمة] أى ونجعلهم ائمة يقتدى بهم قي الخير ، بعد أن كانوا أذلاء مسخرين ، قال ابن عباس :

[أئمة] قادة في الخير ، وقال قتادة : ولاة وملوكا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ونجعلهم الوارثين] أي ونجعل هؤلاء الضعفاء ، وارثين لملك فرعون وقومه ، يرثون ملكهم ويسكنون مساكنهم ، بعد أن كان القبط أسياد مصر وأعزتها

[ونمكن لهم في الأرض] أى ونملكهم بلاد مصر والشام ، يتصرفون فيها كيف يشاءون ، قال البيضاوي : أصل التمكين أن تجعل للشيء مكانا يتمكن فيه ، ثم استعير للتسليط وإطلاق الأمر

[ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون] أى ونري فرعون الطاغية ، ووزيره " هامان " والأقباط من أولئك المستضعفين ما كانوا يخافونه من ذهاب ملكهم ، وهلاكهم على يد مولود من بني إسرائيل

[وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه] أى قذفنا في قلبها بواسطة الإلهام ، قال ابن عباس : وهو وحي إلهام ، وقال مقاتل : أخبرها جبريل بذلك ، قال القرطبي : فعلى قول " مقاتل " هو وحي إعلام لا إلهام ، واجمع الكل على أنها لم تكن نبية ، وإنما إرسال

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الملك إليها ، على نحو تكليم (الملك) للأقرع
والأبرص والأعمى ، كما في الحديث المشهور ،
وكذلك تكليم الملائكة للناس من غير نبوة ، وقد سلمت
على (عمران بن حصين) فلم يكن نبيا
[فإذا خفت عليه فألقيه في اليم] أى فإذا خفت عليه
من فرعون فاجعليه في صندوق ، وألقيه في البحر
(بحر النيل)
[ولا تخافي ولا تحزني] أى لا تخافي عليه الهلاك ،
ولا تحزني لفراقه
[إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين] أى فإنا
سنرده إليك ، ونجعله رسولا نرسله إلى هذا الطاغية ،
لننجي بني إسرائيل على يديه
[فألتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا] أى
فأخذه وأصابه أعوان فرعون ، لتكون عاقبة الأمر أن
يصبح لهم عدوا ، ومصدر حزن وبلاء وهلاك ، قال
القرطبي : اللام في (ليكون) لام العاقبة ولام
الصيرورة ، لأنهم إنما أخذوه ليكون لهم قرة عين ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فكان عاقبة ذلك أن صار لهم عدوا وحزنا ، فذكر الحال بالمال ، كما قال الشاعر : وللمنايا تربي كل مرضعة ودورنا لخراب الدهر نبنيها

[إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين] أى كانوا عاصين مشركين آثمين ، قال العلماء : الخاطىء من تعمد الذنب والإثم ، والمخطىء من فعل الذنب عن غير تعمد

[وقالت امرأة فرعون قرة عين لي ولك] أى قالت زوجة فرعون لفرعون : هذا الغلام فرحة ومسرة لي ولك ، لعلنا نسر به فيكون قرة عين لنا ، قال الطبري : ذكر أن المرأة لما قالت هذا القول لفرعون قال لها : أما لك فنعم ، وأما لي فليس بقرة عين ، وقال ابن عباس : لو قال : قرة عين لي ، لهداه الله به ، ولآمن ولكنه أبى

[لا تقتلوه] أى لا تقتله يا فرعون ، خاطبته بلفظ الجمع كما يخاطب الجبارون تعظيما له ، ليساعدها

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فيما تريد

[عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا] عسى أن ينفعنا فى الكبر ، أو نتبناه فنجعله لنا ولدا ، تقر به عيوننا ، قال المفسرون : وكانت لا تلد فاستوهبت (موسى) من فرعون فوهبه لها ، قال تعالى :

[وهم لا يشعرون] أى وهم لا يشعرون أن هلاك فرعون وزبانيته ، سيكون على يديه وبسببه

[وأصبح فؤاد أم موسى فارغا] أى صار قلبها خاليا من ذكر كل شيء في الدنيا إلا من ذكر موسى ، وقيل المعنى : طار عقلها من فرط الجزع والغم ، حين سمعت بوقوعه في يد فرعون

[إن كادت لتبدي به] أى إنها كادت أن تكشف أمره ، وتظهر أنه ابنها من شدة الوجد والحزن ، قال ابن عباس : كادت تصيح واإبناه ، وذلك حين سمعت بوقوعه في يد فرعون

[لولا أن ربطنا على قلبها] أى لولا أن ثبتناها وألهمناها الصبر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[لتكون من المؤمنين] أى لتكون من المصدقين بوعد الله برده عليها

[وقالت لأخته قصيه] أى قالت أم موسى لأخت موسى : اتبعى أثره حتى تعلمى خبره ، قال مجاهد ؟ قصي أثره وأنظري ماذا يفعلون به ؟

[فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون] أى فأبصرته عن بعد ، وهم لا يشعرون أنها أخته ، لأنها كانت تمشي على ساحل البحر ، حتى وصل الصندوق إلى بيت فرعون ، وهي ترقبه مستخفية عنهم

[وحرمنا عليه المراضع من قبل] أى ومنعنا موسى أن يقبل ثدي أى مرضعة من المرضعات ، اللاتي أحضروهن لإرضاعه من قبل مجيء أمه ، قال المفسرون : بقي أياما كلما أتي بمرضع لم يقبل ثديها ، فأهمهم ذلك واشتد عليهم الأمر ، فخرجوا به يبحثون له عن مرضعة خارج القصر ، فرأوا أخته

[فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم] أى هل أدلكم على مرضعة له تكفله وترعاه ؟

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وهم له ناصحون] أى لا يقصرون في إرضاعه وتربيته ، قال السدي : فدلتهم على أم موسى ، فانطلقت إليها بأمرهم فجاءت بها ، والصبى على يد فرعون يعلله شفقة عليه ، وهو يبكي يطلب الرضاع ، فدفعه إليها فلما وجد ريح أمه قبل ثديها ، فقال فرعون : من أنت منه ، أبى كل ثدي إلا لديك ؟ فقالت : إني امرأة طيبة الريح ، طيبة اللبن ، لا أكاد أوتى بصبي إلا قبلني ، فدفعه إليها ، فرجعت إلى بيتها من يومها ، ولم يبق أحد من آل فرعون إلا أهدى إليها ، وأتحفها بالهدايا والجواهر ، فذلك قوله تعالى :

[فرددناه إلى أمه كي تقر عينها ولا تحزن] أى أعدناه إليها تحقيقا للوعد ، كي تسعد وتهنأ بلقائه ، ولا تحزن على فراقه

[ولتعلم أن وعد الله حق] أى ولتتحقق من صدق وعد الله برده عليها ، وحفظه من شر فرعون

[ولكن أكثرهم لا يعلمون] أى ولكن أكثر الناس يرتابون ، ويشكون في وعد الله القاطع

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ولما بلغ أشده واستوى] أى ولما بلغ كمال الرشد ، ونهاية القوة ، وتمام العقل والاعتدال ، قال مجاهد : هو سن الأربعين

[آتيناه حكما وعلما] أى أعطيناه الفهم والعلم ، والتفقه في الدين مع النبوة

[وكذلك نجزي المحسنين] أى ومثل هذا الجزاء الكريم ، نجازي المحسنين على إحسانهم

[ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها] أى دخل مصر وقت الظهيرة ، والناس يخلدون للراحة عند القيلولة

[فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه] أى فوجد شخصين يتقاتلان : أحدهما من بني إسرائيل من جماعة موسى ، والآخر قبطى من جماعة فرعون

[فاستغاثه الذي من شيعته على الذي هو عدوه] أى فاستنجد الإسرائيلي بموسى ، وطلب غوثه ليدفع عنه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

شر القبطي

[فوكزه موسى فقضى عليه] أى ضربه موسى بجمع كفه فقتله ، قال القرطبي : فعل موسى ذلك ، وهو لا يريد قتله ، إنما قصد دفعه فكانت فى إزهاق نفسه وكانت القاضية

[قال هذا من عمل الشيطان] أى قال موسى : هذا من إغواء الشيطان ، فهو الذي هيج غضبي حتى ضربته فقتلته

[إنه عدو مضل مبين] أى إن الشيطان عدو لابن آدم ، مضل له عن سبيل الرشاد ، ظاهر العداوة ، قال الصاوي : نسبه إلى الشيطان من حيث إنه لم يؤمر بقتل القبطي ، وظهر له أن قتله خلاف الأولى ، لما يترتب عليه من الفتن ، والشيطان تفرحه الفتن ولذلك ندم على فعله

[قال رب إنى ظلمت نفسي فاغفر لي] أى إني ظلمت نفسي بقتل النفس ، فأعف عني ، ولا تؤاخذني بخطيئتي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فغفر له إنه هو الغفور الرحيم] أى إنه تعالى المبالغ في المغفرة للعباد ، الواسع الرحمة لهم

[قال رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيرا للمجرمين] أى بسبب إنعامك على بالقوة ، وبحق ما أكرمتني به من الجاه والعز ، فلن أكون عونا لأحد من المجرمين) ، وهذه معاهدة عاهد موسى ربه عليها

[فأصبح في المدينة خائفا يترقب] أى فأصبح موسى في المدينة التي قتل فيها القبطي ، خائفا على نفسه ، يتوقع وينتظر المكروه ، ويخاف أن يؤخذ بجريرته

[فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه] أى فإذا صاحبه الإسرائيلي الذي خلصه بالأمس ، يقاتل قبطيا آخر ، فلما رأى موسى أخذ يصيح به مستغيثا لينصره من عدوه

[قال له موسى إنك لغوى مبين] أى قال موسى للإسرائيلي : إنك لبين الغواية والضلال ، فإني وقعت بالأمس فيما وقعت فيه من قتل رجل بسببك ، وتريد أن توقعني اليوم في ورطة أخرى ؟

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فلما أن أراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما] أى فحين أراد موسى أن يبطش بذلك القبطي ، الذي هو عدو له وللإسرائيلي

[قال يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسأ بالأمس] أى قال القبطي : أتريد قتلي كما قتلت غيري بالأمس ((هذا هو الظاهر أن القائل هو القبطي لا الاسرائيلي لأن قوله : {إن تريد إلا أن تكون جبارا} لا يصدر من المؤمن وإنما من الكافر))

[إن تريد إلا أن تكون جبارا في الأرض] أى ما تريد يا موسى إلا أن تكون من الجبابرة المفسدين في الأرض

[وما تريد أن تكون من المصلحين] أى وما تريد أن تكون من الذين يصلحون بين الناس ، ويعملون على التوقيع بين المتخاصمين .

البلاغة :

تضمنت الآيات من وجوه البيان والبديع ما يلي :

1 - الإشارة بالبعيد عن القريب لبعد مرتبته في الكمال

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[تلك آيات الكتاب المبين] .

2 - حكاية الحالة الماضية [ونريد أن نمن] لاستحضار تلك الصورة في الذهن .

3 - إيثار الجملة الاسمية على الفعلية [إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين] ولم يقل سنرده ونجعله رسولا ، وذلك للإعتناء بالبشارة لأن الجملة الاسمية تفيد الثبوت والاستمرار .

4 - الاستعارة البديعة [لولا أن ربطنا على قلبها] شبه ما قذف الله في قلبها من الصبر ، بربط الشيء المنفلت خشية الضياع ، واستعار لفظ الربط للصبر ، أى لولا أن صبرناها ، على طريقة الاستعارة التمثيلية .

5 - صيغة التعظيم [لا تقتلوه] تخاطب فرعون ولم تقل لا تقتله تعظيما له .

6 - صيغة المبالغة [جبار ، غوى ، مبين] لأن فعال وفعيل من صيغ المبالغة .

7 - الطباق المعنوي [جبارا . . وما تريد أن تكون

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من المصلحين] لأن الجبار المفسد المخرب ، المكثر للقتل وسفك الدماء ففيه طباق في المعنى.

8 - الاستعطاف [رب بما أنعمت على فلن أكون ظهيرا للمجرمين] .

---

9 - توافق الفواصل في كثير من الآيات مثل [وهم لا يشعرون] [وهم له ناصحون] [ولكن أكثرهم لا يعلمون] وهو من المحسنات البديعية .

لطيفة :

" حكى العلامة القرطبي عن الأصمعي أنه قال :

سمعت جارية أعرابية تنشد : أستغفرالله لذنبى كله

قتلت إنسانا بغيرحله معل الغزال ناعما في دله انتصف

الليل ولم أصله فقلت لها : قاتلك الله ما أفصحك ؟

فقالت : ويحك ، أو يعد هذا فصاحة مع قول الله عز وجل [وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ، ولا تخافي ولا تحزني ، إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين] فقد جمع في آية واحدة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بين أمرين ، ونهيين ، وخبرين ، وبشارتين .
قال الله تعالى : [وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى .] إلى قوله [ويوم القيامة هم من المقبوحين] من آية (20) إلى نهاية آية (42) .

المناسبة :

لا تزال الآيات تتحدث عن قصة موسى ، وقد تناولت الآيات السابقة قصة ولادته وإرضاعه ، وتربيته في بيت فرعون ، إلى أن شب وبلغ سن الرشد والكمال ، ثم قتله للفرعوني ، وتتحدث الآيات هنا عن هجرته إلى أرض مدين ، وتزوجه بابنة شعيب ، ثم عودته إلى مصر ، ونزول النبوة عليه ، وهلاك فرعون على يديه .

اللغه :

[يأتمرون] يتشاورون قال الأزهري : ائتمر القوم وتآمروا أى أمر بعضهم بعضا

[تذودان] ذاد يذود إذا حبس ومنع ، وذاد طرد ، قال الشاعر : لقد سلبت عصاك بنوتميم فما تدري بأي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عصى تذود

[خطبكما] الخطب : الشأن ، قال رؤبة : " يا عجبا ما خطبه وخطبي ،

[آلرعاء] جمع راع مثل صاحب وصحاب ، وهو الذي يرعى الغنم

[حجج] جمع حجة بكسر الحاء وهي السنة

[جذوة] الجذوة : الجمرة الملتهبة

[ردءا] عونا قال الجوهري : أرداته أعنته ، وكنت له ردءا أى عونا ،

[المقبوحين] الهالكين المبعدين ، أو القبيحين في الصورة يقال : قبحه الله وقبحه إذا جعله قبيحا .

التفسير :

[وجاء رجل من أقصا المدينة يسعى] أى وجاء رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه ، من أبعد أطراف المدينة ، يشتد ويسرع في مشيه ، قال ابن عباس : هذا الرجل هو مؤمن من آل فرعون

[قال يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك] أى قال

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لنبى الله موسى : إن أشراف فرعون ، ووجوه دولته يتشاورون فيك بقصد قتلك

[فاخرج إني لك من الناصحين] أى فاخرج قبل أن يدركوك ، فأنا ناصح لك من الناصحين

[فخرج منها خائفا يترقب] أى فخرج موسى من مصر خائفا على نفسه ، يترقب ويخشى الطلب ، أن يدركه فيأخذه ، ثم التجأ إلى الله سبحانه بالدعاء ، لعلمه بأنه لا ملجأ سواه

[قال رب نجني من القوم الظالمين] أى خلصني من الكافرين ، واحفظني من شرهم - ومراده فرعون وملؤه -

[ولما توجه تلقاء مدين] أى قصد بوجهه ناحية مدين ، وهي بلدة شعيب عليه السلام

[قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل] أى لعل الله يرشدني إلى الطريق السوي ، الذي يوصلني إلى مقصودي ، قال المفسرون : خرج خائفا بغير زاد ولا ظهر - مركب - وكان بين مصر ومدين مسيرة ثمانية

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أيام ، ولم يكن له علم بالطريق ، سوى حسن ظنه بربه ، فبعث الله إليه ملكا فأرشده إلى الطريق ، وكان قد اشتد به الجوع ، ولما وصل مدين كانت خضرة البقل تتراءى من بطنه من الهزال ، لأنه كان في الطريق يتقوت ورق الشجر

[ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون]

أى ولما وصل إلى مدين بلدة شعيب ، وجد على البئر الذي يستقي منه الرعاة ، جمعا كثيفا من الناس يسقون مواشيهم

[ووجد من دونهم امرأتين تذودان] أي ووجد غير الجماعة الرعاة ، امرأتين تكفان غنمهما عن الماء

[قال ما خطبكما] ؟ أى ما شأنكما تمنعان الغنم عن ورود الماء ؟ ولم لا تسقيان مع السقاة ؟

[قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير]

أى من عادتنا التأني حتى ينصرف الرعاة مع أغنامهم ، ولا طاقة لنا على مزاحمة الأقوياء ، ولا نريد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مخالطة الرجال ، وأبونا رجل مسن ، لا يستطيع لضعفه أن يباشر سقاية الغنم ، ولذلك اضطررنا إلى أن نسقي بأنفسنا ، قال أبو حيان : فيه اعتذار لموسى عن مباشرتهما السقي ، بأنفسهما ، وتنبيه على أن أباهما لا يقدر على السقي ، لشيخوخته وكبره ، واستعطاف لموسى في إعانتهما

[فسقى لهما ثم تولى إلى الظل] أى فسقى لهما غنمهما رحمة بهما ، ثم تنحى جانبا فجلس تحت ظل شجرة

[فقال رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير] أى إني يا رب محتاج إلى فضلك وإحسانك ، وإلى الطعام الذي أسد به جوعي ، طلب من الله ما يأكله ، وكان قد اشتد عليه الجوع ، قال الضحاك : مكث سبعة أيام لم يذق فيها طعاما إلا بقل الأرض وقال ابن عباس : سار موسى من مصر إلى مدين) ليس له طعام إلا البقل وورق الشجر ، وكان حافيا فما وصل إلى مدين ، حتى سقطت نعل قدميه ، وجلس في الظل - وهو

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

صفوة الله من خلقه - وأن بطنه للاصق بظهره من الجوع ، وإن خضرة البقل لترى من داخل جوفه ، وإنه لمحتاج إلى شق تمرة

[فجاءته إحداهما تمشي على استحياء] في الكلام اختصار تقديره : فذهبتا إلى أبيهما سريعتين ، وكان من عادتهما الإبطاء ، فحدثتاه بما كان من أمر الرجل ، فأمر إحداهما أن تدعوه له ، فجاءته تمشي . . إلخ أى جاءته حال كونها تمشي مشية الحرائر ، بحياء وخجل ، قد سترت وجهها بثوبها ، قال عمر : لم تكن بسلفع من النساء خراجة ولاجة ((والسلفع : الجريئة السليطة الجسور ، أفاده الجوهري))

[قالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا] أى إن أبي يطلبك ليعوضك عن أجر السقاية لغنمنا ، قال ابن كثير : وهذا تأدب في العبارة ، لم تطلبه طلبا مطلقا لئلا يوهم ريبة

[فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين] أى فلما جاءه موسى ، وذكر له ما

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كان من أمره ، وسبب هربه من مصر ، قال له شعيب : لا تخف فأنت في بلد آمن ، لا سلطان لفرعون عليه ، وقد نجاك الله من كيد المجرمين

[قالت إحداهما يا أبت استأجره] أى استأجره لرعي أغنامنا وسقايتها

[إن خير من استأجرت القوي الأمين] أى إن أفضل من تستأجره من كان قويا أمينا ، قال ابو حيان : وقولها كلام حكيم جامع ، لأنه إذا اجتمعت الكفاية والأمانة في القائم بأمر من الأمور فقد تم المقصود ، روي أن شعيبا مال لها : وما أعلمك بقوته وأمانته ؟ فقالت : إنه رفع الصخرة التي لا يطيق حملها إلا عشرة رجال ، وإني لما جئت معه تقدمت أمامه فقال لي : كوني من ورائي ودليني على الطريق ، ولما أتيته خفض بصره فلم ينظر إلى ، فرغب شعيب في مصاهرته وتزويجه بإحدى بناته

[قال إني أريد أن أنكحك إحدى إبنتي هاتين] أى إني أريد أن أزوجك إحدى بنتى هاتين ، الصغرى أو

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الكبرى

[على أن تأجرني ثماني حجج] أى بشرط أن تكون أجيرا لي ثمان سنين ترعى فيها غنمي

[فإن أتممت عشرا فمن عندك] أى فإن أكملتها عشر سنين ، فذلك تفضل منك ، وليس بواجب عليك

[وما أريد أن أشق عليك] أى وما أريد أن أوقعك في المشقة باشتراط العشر

[ستجدني إن شاء الله من الصالحين] أى ستجدني إن شاء الله حسن المعاملة ، لين الجانب ، وفيا بالعهد ، قال القرطبي : في الآية عرض الولي ابنته على الرجل ، وهذه سنة قائمة ، عرض شعيب ابنته على موسى ، وعرض عمر ابنته " حفصة ، على أبي بكر وعثمان ، وعرضت الموهوبة نفسها على النبي (ص) فمن الحسن عرض الرجل وليته على الرجل الصالح ، اقتداء بالسلف الصالح

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[قال ذلك بيني وبينك أيما الأجلين قضيت فلا عدوان على] أى قال موسى : إن ما قلته وعاهدتني عليه قائم بيننا جميعا لا نخرج عنه ، وأى المدتين الثمانية أو العشرة أديتها لك ، فلا إثم ولا حرج على

[والله على ما نقول وكيل] أى والله شاهد على ما تعاهدنا وتواثقنا عليه

[فلما قضى موسى الأجل] أى فلما أتم موسى المدة التي اتفقا عليها ، قال ابن عباس : قضى أتم الأجلين وأكملهما وأوفاهما وهو عشر سنين

[وسار بأهله] أى ومشى بزوجته مسافرا بها إلى مصر [أنس من جانب الطور نارا] أى أبصر من بعيد نارا تتوهج ، من جانب جبل الطور

[قال لأهله امكثوا إني أنست نارا] أى قال لزوجته : أمكثى هنا فقد أبصرت نارا عن بعد ، قال المفسرون : كانت ليلة باردة وقد أضلوا الطريق ، وهبت ريح شديدة فرقت ماشيته ، وأخذ أهله الطلق ، فعند ذلك أبصر نارا بعيدة ، فسار إليها لعله يجد من يدله على

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الطريق ، فذلك قوله تعالى :

[لعلي أتيكم منها بخبر] أى لعلي أتيكم بخبر الطريق ، وأرى من يدلني عليه

[أو جذوة من النار لعلكم تصطلون] أى أو أتيكم بشعلة من النار لعلكم تستدفئون بها

[فلما أتاها نودي من شاطىء الواد الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة] أي فلما وصل إلى مكان النار ، لم يجدها نارا وإنما وجدها نورا ، وجاءه النداء من جانب الوادي الأيمن ، في ذلك المكان المبارك من ناحية الشجرة

[أن يا موسى إني أنا الله رب العالمين] أى نودي يا موسى إن الذي يخاطبك ويكلمك ، هو أنا الله العظيم الكبير ، المنزه عن صفات النقص ، رب الإنس والجن والخلائق أجمعين

[وأن ألق عصاك] أى ونودي بأن اطرح عصاك التي في يدك

[فلما رأها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب] أى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فألقاها فانقلبت إلى حية ، فلما رأها تتحرك كأنها ثعبان خفيف سريع الحركة ، انهزم هاربا منها ولم يلتفت إليها ، قال ابن كثير : انقلبت العصا إلى حية ، وكانت كأنها جان في حركتها السريعة مع عظم خلقتها ، واتساع فمها ، واصطكاك أنيابها ، بحيث لا تمر بصخرة إلا ابتلعتها تتحدر في فمها تتقعقع ، كأنها حادرة في واد ، فعند ذلك ولى مدبرا ولم يلتفت ، لأن طبع البشرية ينفر من ذلك ((يقول سيد قطب عليه الرحمة والرضوان " وألقى موسى عصاه إطاعة لأمر مولاه ، ولكن ماذا حدث ؟ إنها لم تعد عصاه التي صاحبها طويلا والتي يعرفها معرفة اليقين ، ولكنها حية تدب في سرعة ، وتتحرك في خفة ، وتتلوى كصغار الحيات وهى حية كبرى ، إنها المفاجأة التي لم يستعد لها ، ولذلك ولى مدبرا ولم يعقب ، لم يفكر في العودة إليها ليتبين ماذا بها ، وليتأمل هذه العجيبة الضخمة ، ثم يستمع إلى ربه الأعلى {يا موسى أقبل ولا تخف انك من الأمنين } وكيف لا يأمن من ترعاه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عين الله ؟ ثم يأتيه النداء مرة أخرى {اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء} وأطاع موسى الأمر ، وأدخل يده فى فتحة ثوبه عند صدره ثم أخرجها ، فاذا هي المفاجأة الثانية في اللحظة الواحدة ، إنها بيضاء لامعة مشعة من غير مرض ، وقد عهدها أدماء تضرب إلى السمرة ، إنها إشارة إلى إشراق الحق ، ووضوح الآية ، ونصاعة الدليل " تفسير الظلال لسيد قطب))

[يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الأمنين] أى فنودي يا موسى : ارجع إلى حيث كنت ، ولا تخف فأنت أمن من المخاوف ، فرجع وأدخل يده في فم الحية فعادت عصا

[اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء] أى أدخل يدك في جيب قميصك - وهو فتحة الثوب مكان دخول الرأس - ثم أخرجها تخرج مضيئة منيرة تتلألأ كأنها قطعة قمر ، في لمعان البرق ، من غير أذى ولا برص

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[واضمم إليك جناحك من الرهب] قال ابن عباس : اضمم يدك إلى صدرك من الخوف يذهب عنك الرعب ، والمراد بالجناح اليد ، لأن يدي الإنسان بمنزلة جناحي الطائر ، وإذا أدخل يده اليمنى تحت عضده اليسرى فقد ضم جناحه إليه ، وبذلك يذهب عنه الخوف من الحية ومن كل شيء

[فذلك برهانان من ربك إلى فرعون وملئه] أى فهذان - (العصا) و(اليد) - دليلان قاطعان ، وحجتان نيرتان واضحتان من الله تعالى تدلان على صدقك ، وهما آيتان إلى فرعون وأشراف قومه الطغاة المتجبرين

[إنهم كانوا قوما فاسقين] أي خارجين عن طاعتنا ، مخالفين لأمرنا

[قال رب إني قتلت منهم نفسا فأخاف أن يقتلون] أى قال موسى : يا رب إني قتلت قبطيا من آل فرعون ، وأخشى إن أتيتهم أن يقتلوني به ، قال المفسرون : هو القبطي الذي وكزه فمات ، فطلب من ربه ما يزداد به

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قوة على مجابهة فرعون ، بارسال أخيه هارون معه فقال :

[وأخي هارون هو أفصح مني لسانا] أى هو أوضح بيانا ، وأطلق لسانا ، لأن موسى كان في لسانه حبسة من أثر الجمرة التي تناولها في صغره

[فأرسله معى ردءا يصدقني] أى فأرسله معي معينا يبين لهم عنى ما أكلمهم به ، بتوضيح الحجج والبراهين

[إني أخاف أن يكذبون] أى أخاف إن لم يكن لي وزير ولا معين أن يكذبوني ، لأنهم لا يكادون يفقهون عني ، قال الرازي : والمعنى أرسل معي أخي هارون حتى يعاضدني على إظهار الحجة والبيان ، وليس الغرض بتصديق هارون أن يقول له : صدقت ، أو يقول للناس : صدق موسى ، وإنما هو أن يلخص بلسانه الفصيح وجوه الدلائل ، ويجيب عن الشبهات ، ولجادل به الكفار

[قال سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطانا] أى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أجابه تعالى إلى طلبه وقال له : سنقويك بأخيك ونعينك به ، ونجعل لكما غلبة وتسلطا على فرعون وقومه

[فلا يصلون إليكما بآياتنا] أي لا سبيل لهم إلى الوصول إلى أذاكما ، بسبب ما أيدتكما به من المعجزات الباهرات

[أنتما ومن اتبعكما الغالبون] أى العاقبة لكما ولأتباعكما في الدنيا والآخرة ، وأنتم الغالبون على القوم المجرمين ، كقوله تعالى : [كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوى عزيز]

[فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات] أى فلما جاءهم موسى بالبراهين الساطعة ، والمعجزات القاطعة ، الدالة على صدقه وإنه رسول من عند الله

[قالوا ما هذا إلا سحر مفترى] أى ما هذا الذي جاءنا به موسى من العصا واليد ، إلا سحر مكذوب مختلق ، افتراه من قبل نفسه ونسبه إلى الله

[وما سمعنا بهذا في أبائنا الأولين] أى وما سمعنا بمثل هذه الدعوى -دعوى التوحيد - في أبائنا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وأجدادنا السابقين

[وقال موسى ربى أعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار] أجمل موسى في جوابهم تلطفا في الخطاب ، وإيثارا لأحسن الوجوه في المجادلة معهم ، والمعنى : إن ما جئتكم به حق وهدى ، وليس بسحر ، وربي عالم بذلك يعلم أني محق وأنتم مبطلون ، ويعلم من تكون له العاقبة الحميدة في الدنيا والآخرة

[إنه لا يفلح الظالمون] أى لا يسعد ولا ينجح من كان ظالما فاجرا ، كاذبا على الله

[وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إلها غيرى] أى قال فرعون لأشراف قومه وسادتهم : ما علمت لكم إلها غيري ، فأنا الإله المعبود ، لا إله غيري ، قال ابن عباس : كان بين هذه القولة الفاجرة وبين قوله : [أنا ربكم الأعلى] أربعون سنة ، وكذب عدو الله بل علم أن له ربا هو خالقه وخالق قومه

[فأوقد لي يا هامان على الطين فأجعل لي صرحا]

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أى فأطبخ لي يا هامان الآجر ، فاجعل لي منه قصرا شامخا رفيعا

[لعلي أطلع إلى إله موسى] أى لعلي أرى وأشاهد إله موسى الذي زعم أنه ارسله ! ! قال ذلك على سبيل التهكم ، ولهذا قال بعده :

[وإني لأظنه من الكاذبين] أى وإني لأظن موسى كاذبا في ادعائه أن في السماء ربا ! ! قال تعالى :

[واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق] أى وتكبر وتعظم فرعون وقومه عن الإيمان وتصديق موسى ، في أرض مصر ، بالباطل والظلم

[وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون] أي واعتقدوا أن لا بعث ولا نشور ، ولا حساب ولا جزاء

[فأخدناه وجنوده فنبذناهم في اليم] أى فأخذناه مع جنوده فطرحناهم في البحر ، وأغرقناهم فلم يبق منهم أحد

[فانظر كيف كان عاقبة الظالمين] أى فانظر يا محمد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بعين قلبك ، نظر اعتبار ، كيف كان مآل هؤلاء الظالمين ، الذين بلغوا من الكفر والطغيان أقصى الغايات ؟

[وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار] أى وجعلناهم في الدنيا قادة وزعماء في الكفر ، يقتدي بهم أهل الضلال

[ويوم القيامة لا ينصرون] أى ويوم القيامة ليس لهم ناصر يدفع عنهم العذاب

[وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة] أى جعلنا اللعنة تلحقهم في هذه الحياة الدنيا ، من الله والملائكة والمؤمنين

[ويوم القيامة هم من المقبوحين] أى وفي الآخرة هم من المبعدين المطرودين من رحمة الله عز وجل .

البلاغة :

تضمنت الآيات وجوها من البيان والبديع نوجزها فيما يلي :

1 - التأكيد بإن واللام [إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك] مناسبة لمقتضى الحال .

2 - الاستعطاف والترحم [رب إني لما أنزلت إلي من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

خير فقير] .

3 - جناس الاشتقاق بين قص والقصص [وقص عليه القصص] .

4 - التشبيه المرسل المجمل [تهتز كأنها جان] حذف منه وجه الشبه فأصبح مجملا ، والأصل : كأنها جان في الخفة وسرعة الحركة .

5 - الطباق بين [يصدقني . . ويكذبون] .

6 - الكناية [واضمم إليك جناحك] كنى عن اليد بالجناح ، لأنها للإنسان كالجناح للطائر

7 - المجاز المرسل [سنشد عضدك بأخيك] من إطلاق السبب وإرادة المسبب ، لأن شد العضد يستلزم شد اليد ، وشد اليد مستلزم للقوة ، قال الشهاب : ويمكن أن يكون من باب (الاستعارة التمثيلية) شبه حال موسى في تقويته بأخيه بحال اليد فى تقويتها بيد شديدة.

لطيفة :

قال الزمخشري : إنما قال : [فأوقد لي يا هامان على

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الطين] أى أوقد لي النار فأتخذ منه أجرا ، ولم يقل " اطبخ لي الآجر " لأن هذه العبارة أحسن طباقا لفصاحة القرآن وعلو طبقته ، واشبه بكلام الجبابرة ، وهامان وزيره ومدبر رعيته .

قال الله تعالى : [ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى . .] إلى قوله [وله الحكم وإليه ترجعون] . من آية (43) إلى نهاية آية (75) .

المناسبة :

بعد أن ذكر تعالى نعمته على بني إسرائيل ، بإهلاك فرعون رأس الطغيان وتخليصهم من شره ، ذكر هنا ما أنعم به عليهم من إنزال التوراة التى فيها الهدى والنور ، كما ذكر نعمته على العرب ، بإنزال القرآن العظيم خاتمة الكتب السماوية .

اللغة :

[ثاويا] مقيما وثوى بالمكان أقام به ، قال الشاعر : " لقد كان في حولي ثواء ثويته "

[يدرءون] يدفعون ، والدرء : الدفع وفي الحديث : "

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ادرءوا الحدود بالشبهات "

[يجبى] يجمع ، جبى الماء في الحوض جمعه ، والجابية : الحوض العظيم

[بطرت] البطر : الطغيان في النعمة

[آلأنباء] الأخبار جمع نبأ وهو الخبر الهام .

سبب النزول :

لما حضرت أبا طالب الوفاة قال له رسول الله (ص) : يا عم قل (لا إله إلا الله) أشهد لك بها يوم القيامة! ! فقال أبو طالب : تولا أن تعيرني قريش يقولون : إنما حمله على ذلك الجزع ، لأقررت بها عينك فأنزل الله عز وجل : [إنك لا تهدي من أحببت ، ولكن الله يهدى من يشاء ، وهو أعلم بالمهتدين]

التفسير :

[ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى] اللام موطئة للقسم أى والله لقد أعطينا موسى التوراة ، من بعد ما أهلكنا الأمم التي كانت قبله ، كقوم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(نوح ، وعاد وثمود ، وقوم لوط) وغيرهم من المكذبين لرسلهم

[بصائر للناس] أى ضياء لبني إسرائيل ، ونورا لقلوبهم يتبصرون بها الحقائق ، ويميزون بها بين الحق والباطل

[وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون] أى وهدى من الضلالة ، ورحمة لمن آمن بها ، ليتعظوا بما فيها من المواعظ والإرشادات الإلهية

[وما كنت بجانب الغربي] أي وما كنت يا أيها الرسول بجانب الجبل الغربي ، وهو المكان الذي كلم الله تعالى به موسى

[إذ قضينا إلى موسى الأمر] أى حين أوحينا إلى موسى بالنبوة ، وأرسلناه إلى فرعون وقومه

[وما كنت من الشاهدين] أي وما كنت من الحاضرين في ذلك المكان ، ولكن الله أوحى إليك ذلك ليكون حجة وبرهانا على صدقك ، قال ابن كثير : يقول تعالى منبها على برهان نبوة محمد (ص) حيث أخبر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بالغيوب الماضية ، خبرا كأن سامعه شاهد وراء لما تقدم ، وهو رجل أمى لا يقرأ شيئا من الكتب ، نشأ بين قوم لا يعرفون شيئا من ذلك ، والمعنى ما كنت حاضرا لذلك ولكن الله أوحاه إليك ، لتخبرهم بتلك المغيبات

[ولكنا أنشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر] أى ولكننا خلقنا أمما وأجيالا من بعد موسى ، فتطاول عليهم الزمان ، وطالت الفترة فنسوا ذكر الله ، وبدلوا وحرفوا الشرائع ، فأرسلناك يا محمد لتجدد أمر الدين ، قال أبو السعود : المعنى ولكنا خلقنا بين زمانك وزمان موسى قرونا كثيرة ، فتمادى عليهم الأمر ، فتغيرت الشرائع والأحكام ، وعميت عليهم الأنباء ، فأوحينا إليك ، فحذف المستدرك اكتفاء بذكر الموجب

[وما كنت ثاويا في أهل مدين تتلوا عليهم آياتنا] أى وما كنت يا محمد مقيما في أهل مدين ، فتعلم خبر موسى وشعيب وابنتيه ، فتتلو ذلك على أهل مكة

[ولكنا كنا مرسلين] أى ولكنا أرسلناك في أهل مكة ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وأخبرناك بتلك الأخبار ، ولولا ذلك لما علمتها

[وما كنت بجانب الطور إذ نادينا] أى وما كنت أيضا بجانب جبل الطور ، وقت ندائنا لموسى وتكليمنا إياه

[ولكن رحمة من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك] أى لم تشاهد شيئا من أخبار وقصص الأنبياء ، ولكنا أوحيناها إليك ، وقصصناها عليك ، رحمة من ربك ، لتخوف قوما ما جاءهم رسول قبلك يا محمد

[لعلهم يتذكرون] أى لعلهم يتعظون بما جئتهم به من الآيات البينات ، فيدخلوا في دينك ، قال المفسرون : المراد بالقوم الذين كانوا فى زمن الفترة بين (عيسى) و(محمد) صلوات الله عليهما وهي نحو من ستمائة سنة

[ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم] أى ولولا قولهم إذا أصابتهم عقوبة ، بسبب كفرهم ومعاصيهم

[فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين] أى فيقولوا عند ذلك ربنا هلا أرسلت إلينا رسولا ، يبلغنا آياتك فنتبعها ونكون من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المصدقين بها ! ! قال القرطبى : وجواب [لولا] محذوف تقديره لما بعثنا الرسل ، وقال في التسهيل : [لولا] الأولى حرف امتناع ، و[لولا] الثانية عرض وتحضيض ، والمعنى : لولا أن تصيبهم مصيبة بكفرهم ، لم نرسل الرسل ، وإنما أرسلناهم على وجه الأعذار ، وإقامة الحجة عليهم ، لئلا يقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع إياك ونكون من المؤمنين . . ثم أخبر تعالى عن عناد المشركين وتعنتهم في رد الحق فقال سبحانه :

[فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا أوتي مثل ما أوتي موسى] أى فلما جاء أهل مكة الحق المبين ، وهو محمد بالقرآن المعجز من عندنا ، قالوا - على وجه التعنت والعناد - : هلا أعطي محمد من الآيات الباهرة ، والحجج القاهرة مثل ما أعطي موسى من العصا واليد! ! قال تعالى ردا عليهم :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل ؟] أى أو لم يكفر البشر ، بما أوتي موسى من تلك الآيات الباهرة ؟! قال مجاهد : أمرت اليهود قريشا أن يقولوا لمحمد : ائتنا بمثل ما جاء به موسى من المعجزات ، فرد الله عليهم بأنهم كفروا بآيات موسى) ، فالضمير في [أو لم يكفروا] لليهود ، وهذا اختيار ابن جرير ، وقال أبو حيان : ويظهر عندي أن الضمير عائد على قريش ، الذين قالوا لولا أوتي محمد مثل ما أوتي موسى ، وذلك أن تكذيبهم لمحمد (ص) تكذيب لموسى ، ونسبتهم السحر للرسول نسبة السحر لموسى ، إذ الأنبياء من واد واحد ، فمن نسب إلى احد من الأنبياء ما لا يليق ، كان ناسبا ذلك إلى جميع الأنبياء ، وتتناسق حينئذ الضمائر كلها

[قالوا سحران تظاهرا] أى وقال المشركون : ما (التوراة) و(القرآن) إلا من قبيل السحر ، فهما سحران تعاونا بتصديق كل واحد منهما الاخر ، قال السدي : صدق كل واحد منهما الآخر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وقالوا إنا بكل كافرون] أى إنا بكل من الكتابين كافرون ، وهذا تصريح بكفرهم بهما ، وذلك لغاية عتوهم وتماديهم في الكفر والطغيان

[قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه] أمر على وجه التعجيز ، أى قل لهم يا محمد : إنكم إذ كفرتم بهذين الكتابين ، مع ما تضمنا من الشرائع والأحكام ، ومكارم الأخلاق ، فأتوني بكتاب منزل من عند الله أهدى منهما وأصلح أتمسك به ؟

[إن كنتم صادقين] أى في أنهما سحران ، قال ابن كثير : وقد علم بالضرورة لذوي الألباب ، أن الله تعالى لم ينزل كتابا من السماء ، أكمل ولا أشمل ولا أفصح ولا أعظم ، من الكتاب الذي أنزله على محمد (ص) وهو القرآن ، وبعده في الشرف والعظمة الكتاب الذي أنزله على موسى ، وهو الكتاب الذي قال فيه :

[إنا أنزلنا التورآة فيها هدى ونور] والإنجيل إنما أنزل متمما ومجلا لبعض ما حرم على بني إسرائيل

[فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم] أى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فإن لم يجيبوك إلى ما طلبته منهم ، فاعلم أن كفرهم عناد واتباع للأهواء لا بحجة وبرهان

[ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله] أى لا أحد أضل ممن اتبع هواه ، بغير رشاد ولا بيان من الله

[إن الله لا يهدي القوم الظالمين] أى لا يوفق للحق من كان معاندا ظالما ، بالانهماك فى اتباع الهوى ، والإعراض عن سبيل الهدى

[ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون] أى ولقد تابعنا ووالينا لقريش القرآن ، يتبع بعضه بعضا ، وعدا ووعيدا ، وقصصا وعبرا ونصائح ومواعظ ، ليتعظوا ولتذكروا بما فيه ، قال ابن الجوزي : المعنى : أنزلنا القرآن يتبع بعضه بعضا ويخبر عن الأمم الخالية كيف عذبوا لعلهم يتعظون

[الذين أتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون] أى الذين أعطيناهم التوراة والإنجيل ، من قبل هذا القرآن - من مسلمي أهل الكتاب - هم بهذا القرآن يصدقون ، قال ابن عباس : يعني من آمن بمحمد (ص) من أهل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الكتاب

[وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا] أى وإذا قرىء عليهم القرآن ، قالوا صدقنا بما فيه

[إنا كنا من قبله مسلمين] أى كنا من قبل نزوله موحدين لله ، مستسلمس لأمره ، مؤمنين بأن الله سيبعث محمدا وينزل عليه القرآن ، قال تعالى :

[أولئك يؤتون أجرهم مرتين] أى أولئك الموصوفون بالصفات الجميلة ، يعطون ثوابهم مضاعفا ، مرة على إيمانهم بكتابهم ، ومرة على إيمانهم بالقرآن ، وفي الحديث : (ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين : رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه ثم آمن بي 00) الحديث

[بما صبروا] أي بسبب صبرهم على اتباع الحق ، وتحملهم الأذى في سبيل الله ، قال قتادة : نزلت في أناس من أهل الكتاب ، كانوا على شريعة من الحق ، يأخذون بها وينتهون إليها ، حتى بعث الله محمدا ، فآمنوا به وصدقوه ، فأعطاهم الله أجرهم مرتين بما

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

صبروا ، وذكر أن منهم " سلمان " " وعبد الله بن سلام "

[ويدرءون بالحسنة السيئة] أى ويدفعون الكلام القبيح ، كالسب والشتم ، بالحسنة أى بالكلمة الطيبة الجميلة ، قال ابن كثير : لا يقابلون السيئ بمثله ولكن يعفون وبصفحون

[ومما رزقناهم ينفقون] أي ومن الذي رزقناهم من الحلال ، ينفقون قي سبيل الخير

[وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه] أى وإذا سمعوا العتم والأذى من الكفار ، وسمعوا ساقط الكلام ، لم يلتفتوا إليه ولم يردوا على أصحابه

[وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم] أى لنا طريقنا ولكم طريقكم

[سلام عليكم] أى سلام متاركة ومباعدة ، قال الزجاج : لم يريدوا التحية ، وإنما أرادوا بيننا وبينكم المتاركة

[لا نبتغي الجاهلين] أى لا نطلب صحبتهم ولا نريد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مخالطتهم ، قال الصاوي : كان المشركون يسبون مؤمنى أهل الكتاب ، ويقولون : تبا لكم أعرضتم عن دينكم وتركتموه ! فيعرضون عنهم ، ويقولون : لنا أعمالنا ولكم أعمالكم مدحهم تعالى بالإيمان ، ثم مدحهم بالإحسان ، ثم مدحهم بالعفو والصفح عن أهل العدوان ، ثم قال تعالى مخاطبا رسوله :

[إنك لا تهدى من أحببت] أى إنك يا محمد لا تقدر على هداية أحد ، مهما بذلت فيه من مجهود ، وجاوزت في السعى كل حد معهود

[ولكن الله يهدى من يشاء] أى ولكنه تعالى بقدرته ، يهدي من قدر له الهداية ، فسلم أمرك إليه ، فإنه أعلم بأهل السعادة والشقاوة

[وهو أعلم بالمهتدين] أى هو تعالى العالم بمن فيه استعداد للهداية والإيمان فيهديه ، نزلت في عمه " أبي طالب " حين عرض عليه الإسلام عند موته فأبى ، قال أبو حيان : ومعنى [إنك لا تهدى من أحببت] أى لا تقدر على خلق الهداية فيه ، ثم قال : ولا تنافي بين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

هذا وبين قوله : [وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم] لأن معنى هذا : وإنك لترشد ، وقد أجمع المسلمون على أنها نزلت في " أبي طالب " . ثم ذكر تعالى شبهة من شبهات المشركين ، ورد عليها بالبيان الواضح فقال سبحانه :

[وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا] أي وقال كفار قريش : إن اتبعناك يا محمد على دينك ، وتركنا ديننا نخاف أن تتخطفنا العرب ، فيجتمعون على محاربتنا ، ويخرجوننا من أرضنا ، قال المبرد : والتخطف الانتزاع بسرعة ، قال تعالى ردا عليهم :

[أولم نمكن لهم حرما أمنا] أى أولم نعصنم دماءهم ، نجعل مكانهم حرما ذا أمن ، بحرمة البيت العتيق ؟ فكيف يكون الحرم أمنا لهم فى حال كفرهم ، ولا يكون أمنا لهم في حال إسلامهم ؟

[يجبى إليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا] أى تخلب إليه الأرزاق من كل مكان ، مع أنه بواد غير ذي زرع ، رزقا لهم من عندنا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ولكن أكثرهم لا يعلمون] أى ولكن أكثرهم جهلة ، لا يتفكرون في ذلك ولا يتفطنون ، قال أبو حيان : قطع الله حجتهم بهذا البيان الناصع ، إذ كانوا وهم كفار بالله ، عباد أصنام قد أمنوا في حرمهم ، والناس في غيره يتقاتلون ، وهم مقيمون في بلد غير ذي زرع ، يجيء إليهم ما يحتاجون من الأقوات ، فكيف إذا آمنوا واهتدوا ؟

[وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها] أى وكثير من أهل قرية طغت وكفرت نعمة الله ، فدمر الله عليهم وخرب ديارهم

[فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلا] أى فتلك مساكنهم خاوية بما ظلموا ، لم تسكن من بعد تدميرهم إلا زمانا قليلا ، إذ لا يسكنها إلا المارة والمسافرون ، يوما أو بعض يوم

[وكنا نحن الوارثين] أى وكنا نحن الوارثين لأملاكهم وديارهم ، قال في البحر : والآية تخويف لأهل مكة ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من سوء عاقبة قوم ، كانوا في مثل حالهم ، من إنعام الله عليهم بالرقود فى ظلال الأمن ، وخفض العيش ، فكفروا النعمة ، وقابلوها بالأشر والبطر ، فدمرهم الله وخرب ديارهم

[وما كان ربك مهلك القرى] أى ما جرت عادة الله جل شأنه أن يهلك أهل القرى الكافرة

[حتى يبعث في أمها رسولا يتلوا عليهم آياتنا] أى حتى يبعث في أصلها وعاصمتها ، رسولا يبلغهم رسالة الله ، لقطع الحجج والمعاذير

[وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون] أى وما كنا لنهلك القرى إلا وقد استحق أهلها الإهلاك ، لإصرارهم على الكفر بعد الإعذار إليهم ببعثة المرسلين ، قال القرطبي : أخبر تعالى أنه لا يهلكهم إلا إذا استحقوا الإهلاك بظلمهم ، وفي هذا بيان لعدله ، وتقدسه عن الظلم ، ولا يهلكهم - مع كونهم ظالمين - إلا بعد تأكيد الحجة ، والإلزام ببعثة الرسل ، ولا يجعل علمه تعالى بأحوالهم حجة عليهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها] أى وما أعطيتم أيها الناس من مال وخير ، فهو متاغع قليل تتمتعون به في حياتكم ثم ينقضي ويفنى ، قال ابن كثير : يخبر تعالى عن حقارة الدنيا وما فيها من الزينة الدنيئة ، والزهرة الفانية ، بالنسبة إلى ما أعده الله لعباده الصالحين ، في الدار آلاخرة ، من النعيم العظيم المقيم

[وما عند الله خير وأبقى] أى وما عنده من الأجر والثواب ، والنعيم الدائم الباقي ، خير وأفضل من هذا النعيم الزائل

[أفلا تعقلون] ؟ توبيخ لهم ، أى أفلا تعقلون أن الباقي أفضل من الفاني ؟ قال الإمام الفخر : بين تعالى أن منافع الدنيا مشوبة بالمضار ، بل المضار فيها أكثر ، ومنافع الآخرة غير منقطعة ، بينما منافع الدنيا منقطعة ، ومتى قوبل المتناهي بغير المتناهي كان عدما ، فكيف ونصيب كل أحد من الدنيا كالذرة بالقياس إلى البحر ، فمن لم يرجح منافع الآخرة على منافع الدنيا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يكون كأنه خارج عن حد العقل

[أفمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه] أى أفمن وعدناه وعدا قاطعا بالجنة وما فيها من النعيم المقيم الخالد ، فهو لا محالة مدركه ، لأن وعد الله لا يتخلف

[كمن متعناه متاع الحياة الدنيا] ؟ أى كمن متعناه بمتاع زائل ، مشوب بالأكدار ، مملوء بالمتاعب ، مستتبع للحسرة على انقطاعه ؟

[ثم هو يوم القيامة من المحضرين] أى ثم هو في الآخرة من المحضرين للعذاب ، فهل يساوي العاقل بينهما ؟ قال ابن جزي : والآية إيضاح لما قبلها من البون الشاسع بين الدنيا والآخرة ، والمراد بمن وعدناه : المؤمنين ، وبمن متعناه : الكافرين

[ويوم يناديهم فيقول أى شركائي الذي كنتم تزعمون] أى وأذكر حا ل المشركين ، يوم يناديهم الله فيقول لهم على سبيل التوبيخ والتقريع : أين هؤلاء الشركاء والآلهة من الأصنام والأنداد ؟ الذين عبدتموهم من دوني ، وزعمتم أنهم ينصرونكم ويشفعون لكم ؟

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[قال الذين حق عليهم القول] أى قال رؤساؤهم وكبراؤهم ، الذين وجب عليهم العذاب لضلالهم وطغيانهم

[ربنا هؤلاء الدين أغوينا] أى هؤلاء أتباعنا الذين أضللناهم عن سبيلك

[أغويناهم كما غوينا] أى أضللناهم كما ضللنا ، لا بالقسر والإكراه ، ولكن بطريق الوسوسة وتزيين القبيح ، فضلوا كما ضللنا نحن

[تبرأنا إليك ما كانوا إيانا يعبدون] أى تبرأنا إليك يا الله من عبادتهم إيانا ، فما كانوا يعبدوننا ، وإنما كانوا يعبدون أهواءهم وشهواتهم

[وقيل ادعوا شركاءكم] أى وقيل للكفار : استغيثوا بآلهتكم التي عبدتموها في الدنيا لتنصركم ، وتدفع عنكم عذاب الله ! ؟ وهذا على سبيل التهكم والسخرية بهم

[فدعوهم فلم يستجيبوا لهم] أى فاستغاثوا بهم ، فلم يجيبوهم ولم ينتفعوا بهم ، وهذا من سخافة عقولهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ورأوا العذاب لو أنهم كانوا يهتدون] أي وتمنوا حين شاهدوا العذاب ، لو أنهم كانوا في الدنيا مهتدين للحق

[ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين] توبيخ آخر للمشركين ، أى ويوم يناديهم الله ويسألهم : ماذا أجبتم رسلي ؟ هل صدقتموهم أم كذبتموهم ؟

[فعميت عليهم الأنباء يومئذ فهم لا يتساءلون] أى فخفيت عليهم الحجج ، وأظلمت عليهم الأمور ، فلم يعرفوا ما يقولون ، فهم حيارى واجمون ، لا يسأل بعضهم بعضا عن الجواب ، لفرط الدهشة والحيرة

[فأما من تاب وآمن وعمل صالحا فعسى أن يكون من المفلحين] أى فأما من تاب من الشرك ، وجمع بين الإيمان والعمل الصالح ، فعسى أن يكون من الفائزين بجنات النعيم ، قال الصاوي : والترجى في القرآن بمنزلة التحقق ، لأنه وعد كريم ، من رب رحيم ، ومن شأنه تعالى أنه لا يخلف وعده

[وربك يخلق ما يشاء ويختار] أى هو تعالى الخالق

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المتصرف ، يخلق ما يشاء ، ويفعل ما يريد ، فلا اعتراض لأحد! على حكمه ، قال مقاتل : نزلت في " الوليد بن المغيرة " حين قال : [لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم]

[ما كان لهم الخيرة] أى ما كان لأحد من العباد اختيار ، إنما الاختيار والإرادة لله الواحد القهار

[سبحان الله وتعالى عما يشركون] أى تنزه الله العظيم الجليل وتقدس ، أن ينازعه أحد في ملكه ، أو يشاركه في اختياره وحكمته ، قال القرطبي : المعنى وربك يخلق ما يشاء من خلقه ، ويختار من يشاء لنبوته ، والخيرة له تعالى في أفعاله ، وهو أعلم بوجوه الحكمة ، فليس لأحد من خلقه أن يختار عليه

[وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون] أى هو تعالى العالم بما تخفيه قلوبهم من الكفر والعداوة للرسول والمؤمنين ، وما يظهرونه على ألسنتهم من الطعن في شخص رسوله الكريم ، حيث يقولون : ما أنزل الله الوحي ، إلا على يتيم أبي طالب ! !

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وهو الله لا إله إلا هو] أى هو جل وعلا الله المستحق للعبادة ، لا أحد يستحقها إلا هو

[له الحمد في الأولى والآخرة] أى له الثناء الكامل في الدنيا والآخرة ، لأنه تعالى المتفضل على العباد ، بالنعم كلها في الدارين

[وله الحكم] أى وله القضاء النافذ ، والفصل بين العباد

[وإليه ترجعون] أي اليه وحده مرجع الخلائق يوم القيامة ، فيجازي كل عامل بعمله .

البلاغة :

تضمنت الآيات الكريمة وجوها من البيان والبديع نوجزها فيما يلي :

1 - التشبيه البليغ [بصائر للناس] أى أعطيناه التوراة كأنها أنوار لقلوب الناس ، حذف أداة الشبه ووجه الشبه فأصبح بليغا ، قال في حاشية البيضاوي : أى مشبها بأنوار القلوب ، من حيث إن القلوب لو كانت خالية عن أنوار التوراة وعلومها ، لكانت عمياء لا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تستبصر ، ولا تعرف حقا من باطل .

2 - المجاز العقلي [أنشأنا قرونا] المراد به الأمم أى أنهم يخلقون في تلك الأزمنة فنسب إلى القرون بطريق (المجاز العقلي) .

3 - جناس الاشتقاق [تصيبهم مصيبة] .

4 - المجاز المرسل [بما قدمت أيديهم] والمراد بما كسبوا ، وهو من باب (إطلاق الجزء وإرادة الكل) ، قال الزمخشري : ولما كانت أكثر الأعمال تزاول بالأيدي ، جعل كل عمل معبرا عنه باجتراح الأيدى .

5 - حذف الجواب لدلالة السياق [ولولا أن تصيبهم مصيبة] حذف منه الجواب وتقديره : ما أرسلناك يا محمد رسولا إليهم ، وهو من باب الإيجاز بالحذف .

6 - التحضيض [لولا أوتي مثل ما أوتى موسى] أى هلا أوتي فهي للتحضيض ، وليست حرف امتناع لوجود .

7 - التعجيز [قل فأتوا بكتاب] فالأمر خرج عن حقيقته إلى معنى التعجيز .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

8 - طباق السلب [إنك لا تهدي . . ولكن الله يهدي] .

9 - المجاز العقلي [حرما أمنا] نسب الأمن إلى الحرم وهو لأهله .

10 - أسلوب السخرية والتهكم [أين شركائي الذين كنتم تزعمون] ؟ .

---

11 - التشبيه المرسل [أغويناهم كما غوينا] .

12 - الاستعارة التصريحية التبعية [فعميت عليهم الأنباء] قال الشهاب : استعير العمى لعدم الإهتداء ، فهم لا يهتدون للأنباء ، ثم قلب للمبالغة فجعل الأنباء لا تهتدى إليهم ، وأصله " فعموا عن الأنباء لما وضمن معنى الخفاء فعدي ب [على] ففيه أنواع من البلاغة : الاستعارة ، والقلب ، . والتضمين .

13 - الطباق بين [تكن . . ويعلنون] وبين [الأولى . . والآخرة] وهو من المحسنات البديعية .

قال الله تعالى : [قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

سرمدا . .] إلى قوله [له الحكم وإليه ترجعون] .
من آية (71) إلى آية (88) نهاية السورة الكريمة .
تنبيه :
مما ذكر أن " أبا طالب " مات على غير الاسلام ، هو الصحيح الذي دل عليه الكتاب والسنة ، ونقل عن بعض شيوخ الصوفية أنه أسلم قبل موته ، وهو معارض للنصوص الكريمة ، ولعلهم أخذوه من بعض أشعار أبي طالب حيث يقول : ولقد علمت بأن دين محمد من خير أديان البرية دينا والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أوسد فى التراب دفينا أقول : ماذا يفيده هذا الكلام ، بعد امتناعه عن الدخول في الإسلام ، والنطق بالشهادة وهو يجود بأنفاسه ؟ والنبي (ص) يعرض عليه الإسلام فيمتنع عنه ؟ وفيه نزل قوله تعالى [ما كان للنبى والدين آمنوا أن يستغفروا للمشتركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم] فقد نزلت في أبي طالب بإتفاق المفسرين ، وهي صريحة في عدم إسلامه .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المناسبة :

لما ذكر تعالى أنه هو الخالق المختار ، وسفه المشركين في عبادتهم لغير الله ، عقبه بذكر بعض الأدلة والبراهين ، الدالة على عظمته وسلطانه ، تذكيرا للعباد بوجوب شكر المنعم ، ثم ذكر قصة (قارون) وهى قصة الطغيان بالمال ، وما كان من نهايته المشئومة حيث خسف الله له ولكنوزه الأرض ، وهذه هي نتيجة الإستعلاء والغرور والطغيان ! . .

اللغة :

[سرمدا] السرمد : الدائم الذي لا ينقطع ، ومنه قوله طرفة : لعمرك ما أمري على بغمة نهاري ولا ليلى عل بسرمد

[مفاتحه] جمع مفتح بالكسر وهو ما يفتح به ، وأما المفتاح فجمعه مفاتيح .

[تنوء] ناء به الحمل اذا أثقله حتى أماله ، قال ذو الرفة : تنوء بأخراها فلأيا قيامها وتمشي الهوينى عن قريب فتبهر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[العصبة] الجماعة الكثيرة ومثلها العصابة ، ومنه قوله تعالى :

[ونحن عصبة] سميت الجماعة عصبة ، لأن بعضهم يتعصب لبعض ويتقوى به

[ويكأن] قال الجوهري : " وفي " كلمة تعجب ، وقد تدخل على " كأن ، فتقول : ويكأن ، وقيل : إنها كلمة تستعمل عند التنبه للخطأ ثم إظهار الندم ، قال الخليل : إن القوم تنبهوا وقالوا نادمين على ما سلف منهم وفي

[ظهيرا] معينا ومساعدا.

التفسير :

[قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا إلى يوم القيامة] أى قل يا محمد لهؤلاء الجاحدين من كفار مكة : أخبروني لو جعل الله عليكم الليل ، دائما مستمرا بلا انقطاع ، إلى يوم القيامة

[من إله غير الله يأتيكم بضياء] ؟ أى من هو الإله الذي يقدر على أن يأتيكم بالنور ، الذي تستضيئون به فى حياتكم غير الله تعالى ؟

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[أفلا تسمعون] أى أفلا تسمعون سماع فهم وقبول لتستدلوا بذلك على وحدانية الله تعالى ؟

[قل أرأيتم أن جعل الله عليكم النهار سرمدا إلى يوم القيامة] أى أخبروني لو جعل الله عليكم النهار ، دائما مستمرا بلا انقطاع

[من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه] أى من هو الإله القادر على أن يأتيكم بليل ، تستريحون فيه من الحركة والنصب غير الله تعالى ؟

[أفلا تبصرون] أي أفلا تبصرون ما أنتم عليه من الخطأ والضلال ؟ ثم نبه تعالى إلى كمال رحمته بالعباد فقال سبحانه :

[ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار] أى ومن آثار قدرته ، ومظاهر رحمته ، أن خلق لكم الليل والنهار يتعاقبان ، بدقة واحكام

[لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله] أى لتستريحوا بالليل من نصب الحياة وهمومها وأكدارها ، ولتلتمسوا من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

رزقه ، بالمعاش والكسب في النهار

[ولعلكم تشكرون] أى ولتشكروا ربكم على نعمه الجليلة التي لا تحصى ، ومنها نعمة الليل والنهار ، قال الإمام الفخر : نبه تعالى بهذه الآية على أن الليل والنهار نعمتان ، يتعاقبان على الزمان ، لأن المرء فى الدنيا مضطر إلى أن يتعب لتحصيل ما يحتاج إليه ، ولا يتم له ذلك لولا ضوء النهار ، ولولا الراحة والسكون بالليل ، فلابد منهما في الدنيا ، وأما في الجنة فلا نصب ولا تعب ، فلا حاجة بهم إلى الليل ، فلذلك يدوم لهم الضياء واللذات

[ويوم يناديهم أين شركائي الذين كنتم تزعمون] هذا نداء آخر على سبيل التوبيخ والتقريع ، لمن عبد مع الله إلها آخر ، يناديهم الله على رءوس الأشهاد : اين شركائي الذين زعمتموهم في الدنيا ؟ ادعوهم لينقذوكم من العذاب ! !

[ونزعنا من كل أمة شهيدا] أى أخرجنا من كل أمة شهيدا منهم ، يشهد عليهم بأعمالهم ، وهو نبيهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فقلنا هاتوا برهانكم] أى هاتوا حجتكم على ما كنتم عليه من الكفر ، وهذا إعذار لهم وتوبيخ وتعجيز

[فعلموا أن الحق لله] أى فعلموا حينئذ أن الحق لله ولرسله ، وأنه لا إله إلا هو

[وضل عنهم ما كانوا يفترون] أي وغاب عنهم غيبة الشيء الضائع ، ما كانوا يتخرصونه في الدنيا من الشركاء والأنداد . . ثم ذكر تعالى قصة " قارون " ونتيجة الغرور والطغيان فقال سبحانه :

[إن قارون كان من قوم موسى] أى من عشيرته وجماعته ، قال ابن عباس : كان ابن عم موسى

[فبغى عليهم] أى تجبر وتكبر على قومه ، واستعلى عليهم ، بسبب ما منحه الله من الكنوز والأموال ، قال الطبري : أى تجاوز حده في الكبر والتجبر عليهم

[وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة] أى أعطيناه من الأموال الوقيرة ، والكنوز الكثيرة ، ما يثقل على الجماعة أصحاب القوة ، حمل مفاتيح خزائنه لكثرتها وثقلها ، فضلا عن حمل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الخزائن والأموال ، والآية تصوير لما كان عليه (قارون) من كثرة المال والغنى والثراء

[إذ قال له قومه لا تفرح] أى لا تأشر ولا تبطر

[إن الله لا يحب الفرحين] أى لا يحب البطرين الذين لا يشكرون الله على إنعامه ، ويتكبرون بأموالهم على عباد الله

[وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة] أى اطلب فيما أعطاك الله من الأموال رضى الله ، وذلك بفعل الحسنات والصدقات ، والإنفاق في الطاعات

[ولا تنس نصيبك من الدنيا] قال الحسن : أى لا تضيع حظك من دنياك في تمتعك بالحلال وطلبك إياه ((وقيل معناه : لا تضيع عمرك بترك الأعمال الصالحات وهو مروي عن ابن عباس ومجاهد ، وما قاله الحسن وقتادة أظهر ، وهو اختيار الحافظ ابن كثير))

[وأحسن كما أحسن الله إليك] أى أحسن إلى عباد الله كما أحسن الله إليك

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ولا تبغ الفساد في الأرض] أى لا تطلب بهذا المال البغي والتطاول على الناس ، والإفساد في الأرض بالمعاصي

[إن الله لا يحب المفسدين] أي لا يحب من كان مجرما باغيا مفسدا في الأرض

[قال إنما أوتيته على علم عندي] لما وعظه قومه بتلك الموعظة ، أجابهم بهذا القول ، على وجه الرد عليهم ، والتكبر عن قبول الموعظة ، والمعنى : إنما أعطيت هذا المال على علم عندي بوجوه المكاسب ، ولولا رضى الله عني ومعرفته بفضلي ، واستحقاقي له ما أعطاني هذا المال !! قال تعالى ردا عليه :

[أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا] أى أولم يعلم هذا الأحمق المغرور ، أن الله قد أهلك من قبله من الأمم الخالية ، من هو أقوى منه بدنا وأكثر مالا ؟ ! قال البيضاوي : والآية تعجب وتوبيخ ، على اغتراره بقوته وكثرة ماله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

، مع علمه بذلك ، لأنه قرأه في التوراة ، وسمعه من حفاظ التواريخ

[ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون] أي لا حاجة أن يسألهم الله عن كيفية ذنوبهم وكميتها ، لأنه عالم بكل شيء ، ولا يتوقف إهلاكه إياهم على سؤالهم ، بل متى حق عليهم العذاب ، أهلكهم بغتة . . ثم أشار تعالى إلى أن قارون لم يعتبر بنصيحة قومه ، بل تمادى قي غطرسته وغيه فقال تعالى :

[فخرج على قومه في زينته] أى فخرج قارون على قومه في أظهر زينة وأكملها ، قال المفسرون : خرج ذات يوم في زينة عظيمة ، بأتباعه الكثيرين ، ركبانا متحلين بملابس الذهب والحرير ، على خيول موشحة بالذهب ، ومعه الجواري والغلمان ، في موكب حافل باهر

[قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون] أى فلما رآه ضعفاء الإيمان ، ممن تخدعهم الدنيا ببريقها وزخرفها وزينتها ، قالوا : يا ليت لنا مثل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

هذا الثراء والغنى ، الذي أعطيه قارون ! !
[إنه لذو حظ عظيم] أى ذو نصيب وافر من الدنيا
[وقال الذين أوتوا العلم] أى وقال لهم العقلاء من أهل العلم والفهم والاستقامة
[ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا] أى ارتدعوا وانزجروا عن مثل هذا الكلام ، فإن جزاء الله لعباده المؤمنين الصالحين ، خير مما ترون وتتمنون من حال قارون ، قال الزمخشري : أصل [ويلك] الدعاء بالهلاك ثم استعمل في الزجر والردع ، والبعث على ترك ما لا يرتضى
[ولا يلقاها إلا الصابرون] أى ولا يعطى هذه المرتبة والمنزلة في الآخرة ، إلا الصابرون على أمر الله ، قال تعالى تنبيها لنهايته المشئومة
[فخسفنا به وبداره الأرض] أى جعلنا الأرض تغور به وبكنوزه ، جزاء على عتوه وبطره
[فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله] أى ما كان له أحد من الأنصار والأعوان ، يدفعون عنه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عذاب الله

[وما كان من المنتصرين] أى وما كان من المنتصرين بنفسه ، بل كان من الأشقياء الهالكين

[وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس] أى وصار الذين تمنوا منزلته وغناه بالأمس القريب ، بعد أن شاهدوا ما نزل به من الخسف

[يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر] أى يقولون ندما وأسفا على ما صدر منهم من التمني : اعجبوا أيها القوم من صنع الله ! ! كيف أن الله يوسع الرزق لمن يشاء من عباده ، لا لكرامته عليه ، ويضيق الرزق على من يشاء - لحكمته وقضائه ابتلاء - لا لهوانه عليه ! ا قال الزمخشري :

[ويكأن] كلمتان " وى " مفصولة عن " كأن " وهي كلمة تنبيه على الخطأ وتندم ، ومعناه أن القوم تنبهوا على خطئهم ، فى تمنيهم منزلة قارون وتندموا وقالوا :

[لولا أن من الله علينا] أى لولا أن الله لطف بنا ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وتفضل علينا بالإيمان والرحمة ، ولم يعطنا ما تمنيناه [لخسف بنا] أى لكان مصيرنا مصير قارون ، وخسف بنا الأرض كما خسفها به

[ويكأنه لا يفلح الكافرون] أى اعجبوا أيها القوم من فعل الله ، حيث لا ينجح ولا يفوز بالسعادة الكافرون ، لا في الدنيا ، ولا في الآخرة . . وإلى هنا ننتهي " قصة قارون " وهي قصة الطغيان بالمال ، بعد أن ذكر تعالى قصة الطغيان بالجاه والسلطان ، في قصة فرعون وموسى ، ثم يأتي التعقيب المباشر ، في قوله تعالى :

[تلك الدار الأخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا] الإشارة للتفخيم والتعظيم ، أى تلك هي الدار العالية الرفيعة ، التي سمعت خبرها ، وبلغك وصفها ، هي دار النعيم الخالد السرمدي ، التي فيها ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، نجعلها للمتقين الذين لا يريدون التكبر والطغيان

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

، ولا الظلم والعدوان في هذه الحياة الدنيا

[والعاقبة للمتقين] أى العاقبة المحمودة للذين يخشون الله ويراقبونه ، ويبتغون رضوانه ويحذرون عقابه

[من جاء بالحسنة فله خير منها] أى من جاء يوم القيامة بحسنة من الحسنات ، فإن الله يضاعفها له أضعافا كثيرة

[ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات إلا ما كانوا يعملون] أى ومن جاء يوم القيامة بالسيئات ، فلا يجزى إلا بعملها ، وهذا من فضل الله على عباده ، أنه يضاعف لهم الحسنات ، ولا يضاعف لهم السيئات

[إن الذي فرض عليك القرآن] أى إن الذي أنزل عليك يا محمد القرآن ، وفرض عليك العمل به

[لرادك إلى معاد] أى لرادك إلى مكة ، كما أخرجك منها ، وهذا وعد من الله بفتح مكة ، ورجوعه عليه السلام إليها ، بعد أن هاجر منها حزينا ، قال ابن عباس : معناه لرادك إلى مكة ، وقال الضحاك : لما خرج النبي (ص) من مكة فبلغ الجحفة اشتاق إلى مكة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

، فأنزل الله عليه هذه الآية
[قل ربي أعلم من جاء بالهدى ومن هو في ضلال مبين] أى قل يا محمد لهؤلاء المشركين : ربي أعلم بالمهتدي والضال ، هل أنا أو أنتم ؟ فهو جل وعلا الذي يعلم المحسن من المسيء ، ويجازي كلا بعمله ، وهو جواب لقول كفار مكة : إنك يا محمد في ضلال مبين
[وما كنت ترجوا أن يلقى إليك الكتاب إلا رحمة من ربك] أى وما كنت تطمع أن تنال النبوة ، ولا أن ينزل عليك القرآن ، ولكن رحمك الله بذلك ، ورحم العباد ببعثتك ، قال الفراء : وهذا استثناء منقطع ، والمعنى : إلا أن ربك رحمك فأنزله عليك
[فلا تكونن ظهيرا للكافرين] أى لا تكن عونا لهم على دينهم ، ومساعدا لهم على ضلالهم ، بالمداراة والمجاملة ، ولكن نابذهم وخالفهم ، قال المفسرون : دعا المشركون الرسول إلى دين أبائه ، فأمر بالتحرز منهم وأن يصدع بالحق ، والخطاب بهذا وأمثاله له

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(ص) ، والمراد به أمته ، لئلا يظاهروا الكفار ولا يوافقوهم

[ولا يصدنك عن آيات الله بعد إذ أنزلت إليك] أى ولا تلتفت إلى هؤلاء المشركين ، ولا تركن إلى قولهم ، فيصدوك عن اتباع ما أنزل الله إليك ، من الآيات البينات

[وادع إلى ربك] أى وادع الناس إلى توحيد ربك وعبادته

[ولا تكونن من المشركين] أى بمسايرتهم على أهوائهم ، فإن من رضي بطريقتهم كان منهم

[ولا تدع مع الله إلها آخر] أي لا تعبد إلها سوى الله

[لا إله إلا هو] أى لا معبود بحق إلا الله تعالى ، قال البيضاوي : وهذا وما قبله للتهييج ، وقطع أطماع المشركين عن مساعدته لهم

[كل شيء هالك إلا وجهه] أى كل شيء يفنى ، وتبقى ذاته المقدسة ، أطلق الوجه وأراد ذات الله جل وعلا ، قال ابن كثير : وهذا اخبار بأنه تعالى الدائم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الباقي ، الحى القيوم ، الذي تموت الخلائق ولا يموت ، فعبر بالوجه عن الذات كقوله : [كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام]

[له الحكم وإليه ترجعون] أى له القضاء النافذ في الخلق ، وإليه مرجعهم جميعا يوم المعاد ، لا إلى أحد سواه ، فيجازيهم على أعمالهم ، ولا يظلم ربك أحدا! !

البلاغة :

تضمنت الآيات الكريمة وجوها من البيان والبديع نوجزها فيما يلي :

1 - التبكيت والتوبيخ [من إله غير الله يأتيكم بضياء] ؟ ومثله [يأتيكم بليل] ؟ .

---

2 - اللف والنشر المرتب [ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار] جمع الليل والنهار ، لم قال : [لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله] فأعاد السكن إلى الليل ، والابتغاء لطلب الرزق إلى النهار ، ويسمى هذا عند علماء البديع (اللف والنشر المرتب ، لأن الأول عاد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

على الأول ، والثانى عاد على الثاني ، وهو من المحسنات البديعية .

3 - جناس الاشتقاق [لا تفرح . . الفرحين] ومثله [الفساد . . والمفسدين] .

4 - تأكيد الجملة ب [إن] و[اللام] [إنه لذو حظ عظيم] لأن السامع شاك ومتردد .

5 - الكناية [تمنوا مكانه بالأمر] كنى عن الزمن الماضي القريب بلفظ الأمس .

6 - الطباق بين [يبسط الرزق . . ويقدر] .

7- المقابلة اللطيفة [من جاء بالحسنة فله خير منها] [ومن جاء بالسيئة فلا يجزى. .] الآية.

8 - المجاز المرسل [إلا وجهه] أطلق الجزء وأراد الكل أى ذاته المقدسة ففيه مجاز مرسل .

لطيفة :

قال بعض العلماء : من لم تشبعه القناعة ، لم يكفه ملك قارون وأنشدوا : هي القناعة لاتبغي بها بدلا فيها

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

النعيم وفيها راحة البدن أنظر لمن ملك الدنيا بأجمعها
هل راح منها بغير القطن والكفن ؟

سورة العنكبوت

مكية وآياتها تسع وستون آية

بين يدي السورة

* سورة العنكبوت مكية ، وموضوعها : العقيدة في أصولها الكبرى (الوحدانية ، الرسالة ، البعث والجزاء) ومحور السورة الكريمة يدور حول الإيمان و " سنة الابتلاء " في هذه الحياة ، لأن المسلمين في مكة كانوا في أقصى أنواع المحنة والشدة ، ولهذا جاء الحديث عن موضوع الفتنة والابتلاء في هذه السورة مطولا مفصلا ، وبوجه خاص عند ذكر قصص الأنبياء ، والمرسلين ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

* تبتدىء السورة الكريمة بهذا البدء الصريح [آلم . أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون] ؟ وتمضي السورة تتحدث عن فريق من الناس

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يحسبون الإيمان كلمة تقال باللسان ، فإذا نزلت بهم المحنة والشدة ، انتكسوا إلى جحيم الضلال ، وارتدوا عن الإسلام تخلصا من عذاب الدنيا ، كأن عذاب الآخرة أهون من عذاب الدنيا [ومن الناس من يقول آمنا بالله ، فإذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله . .] الآيات .

* وتتحدث عن " محنة الأنبياء! وما لاقوه من شدائد وأهوال في سبيل تبليغ رسالة الله ، بدءا بقصة (نوح ، ثم إبراهيم ، ثم لوط ، ثم شعيب) ، وتتحدث عن بعض الأمم الطغاة المتجبرين ، كعاد ، وثمود ، وقارون ، وهامان وغيرهم وتذكر ما حل بهم من الهلاك والدمار [فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا] الآيات .

* وفي قصص الأنبياء دروس من المحن والابتلاء ، تتمثل في ضخامة الجهد وضآلة الحصيلة ، فهذا نوح عليه السلام يمكث في قومه تسعمائة وخمسين سنة ، يدعوهم إلى الله فما يؤمن معه إلا قليل [ولقد أرسلنا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

نوحا إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما فأخذهم الطوفان وهم ظالمون] وهذا أبو الأنبياء إبراهيم الخليل يحاول هداية قومه بكل وسيلة ، ويجادلهم بالحجة والبرهان ، فما تكون النتيجة إلا العلو والطغيان [قالوا اقتلوه او حرقوه فأنجاه الله من النار . .] الآيا ت . " وفي قصة لوط يظهر التبجح بالرذيلة دون خجل أو حياء [ولوطا إذ قال لقومه إنكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين] الآيات وبعد ذلك الاستعراض السريع لمحنة الأنبياء ، تمضي السورة الكريمة تبين صدق رسالة محمد (ص) فهو رجل أمي لم يقرأ ولم يكتب ، ثم جاءهم بهذا الكتاب المعجز ، وهذا من أعظم البراهين على أنه كلام رب العالمين [وما كنت تملو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون] وتنتقل السورة للحديث عن الأدلة والبراهين على (القدرة والوحدانية) في هذا الكون الفسيح

* ثم تختم ببيان جزاء الذين صبروا أمام المحن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والشدائد ، وجاهدوا بأنواع الجهاد النفسي والمالي ، ووقفوا في وجه المحنة والابتلاء [والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ، وإن الله لمع المحسنين] وهو جزاء كريم ، يناسب جهد التضحية والبذل ، في سبيل نصرة الحق والدين !

التسمية :

سميت " سورة العنكبوت " لأن الله ضرب العنكبوت فيها مثلا للأصنام المنحوتة ، والآلهة المزعومة [مثل الذين اتخدوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا . .] الآيات .

اللغة :

[الفتنة] الفتنة : الابتلاء ولاختبار

[أثقالهم] جمع ثقل وهو الحمل الثقيل الذي ينوء به الإنسان ، والمراد بالأثقال هنا الذنوب والأوزار

[لبث] أقام ومكث

[إفكا] كذبا وزورا

[تقلبون] ترجعون وتردون

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[البلاغ] التبليغ لدعوة الله

[يئسوا] اليأس : القنوط

[مأواكم] مصيركم ومسكنكم

[ناصرين] الناسر : المدافع والمعين .

سبب النزول :

عن سعد بن أبى وقاص قال : " كنت رجلا بارا بأمي فلما أسلمت ، قالت : ما هذا الدين الذي أحدثت يا سعد ؟ لتدعن دينك هذا! ! ووالله لا آكل ولا أشرب حتى أموت فتعير بي فيقال : يا قاتل أمه ، قلت : لا تفعلى يا أماه ، فإني لا أدع دينى هذا لشيء أبدا! ! قال : فمكثت يوما وليلة لا تأكل ، فأصبحت قد جهدت ، ثم مكثت يوما آخر وليلة لا تأكل ، فلما رأيت ذلك قلت : تعلمين والله يا أماه لو كانت لك مائة نفس ، فخرجت نفسا نفسا ما تركت ديني هذا لشىء أبدا ، فإن شئت فكلي ، وإن شئت فدعي ! ! فلما رأت ذلك أكلت فأنزل الله هذه الآية [ووصينا الإنسان بوالديه حسنا لأن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما . . .] الآية . تفسير سورة العنكبوت

التفسير :

[الم] الحروف المقطعة للتنبيه على إعجاز القرآن

[أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون] ؟ الهمزة للإستفهام الإنكاري ، أي أظن الناس أن يتركوا من غير افتتان ، لمجرد قولهم آمنا باللسان ؟ لا ، ليس الأمر كما ظنوا ، بل لابد من امتحانهم ، ليتميز الصادق من المنافق ، قال ابن جزي : نزلت في قوم من المؤمنين كانوا بمكة مستضعفين ، منهم " عمار بن لاسر " وغيره ، وكان كفار قريش يؤذونهم ويعذبونهم على الإسلام ، فضاقت صدورهم بذلك ، فآنسهم الله بهذه الآية ، ووعظهم وأخبرهم أن ذلك اختبار من الله لهم ، ليوطنوا أنفسهم على تحمل الصبر والأذى ، والثبات على الإيمان ، وأعلمهم أن تلك سيرته في عباده ، يسلط الكفار على المؤمنين ليمحصهم بذلك ، ويظهر الصادق في إيمانه من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الكاذب

[ولقد فتنا الذين من قبلهم] أي ولقد اختبرنا وامتحنا من سبقهم ، بأنواع من التكاليف والمصائب والمحن ، قال البيضاوي : إن ذلك سنة قديمة ، جارية في الأمم كلها ، فلا ينبغى أن يتوقع خلافه

[فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين] أي فليميزن الله بين الصادقين في دعوى الإيمان ، وبين الكاذبين فيه ، وعبر عن الصادقين بلفظ الفعل [الذين صدقوا] وعن الكاذبين باسم الفاعل [الكاذبين] للإشارة إلى أن الكاذبين وصفهم مستمر ، وأن الكذب راسخ فيهم ، بخلاف الصادقين فإن الفعل يفيد التجدد ، قال الإمام الفخر : إن اسم الفاعل يدل في كثير من المواضع ، على ثبوت المصدر ورسوخه فيه ، والفعل الماضي لا يدل عليه ، كما يقال : فلان شرب الخمر ، وفلان شارب الخمر ، فإنه لا يفهم من صيغة الفعل الثبوت والرسوخ

[أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا] أي هل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يظن المجرمون ، الذين يرتكبون المعاصي والموبقات ، أنهم يفوتون من عقابنا ويعجزوننا ؟
[ساء ما يحكمون] أي بئس ما يظنون ، قال الصاوي : والآية انتقال من توبيخ إلى توبيخ أشد ، فالأول توبيخ للناس على ظنهم أنهم يفوتون عذاب الله ويفرون منه ، والثانى : توبيخ لهم على حكمهم ، مع دوامهم على كفرهم
[من كان يرجوا لقاء الله فإن أجل الله لآت] لما بين تعالى أن العبد لا يترك في الدنيا سدى ، بين هنا أن من اعترف بالآخرة ، وعمل لها لا يضيع عمله ، ولا يخيب أمله ، والمعنى : من كان يرجو ثواب الله ، فليصبر في الدنيا على المجاهدة في طاعة الله ، حتى يلقى الله فيجازيه ، فإن لقاء الله قريب الإتيان ، وكل ما هو آت قريب ، والآية تسلية للمؤمنين ووعد لهم بالخير ، في درر النعيم
[وهو السميع العليم] أي هو تعالى السميع لأقوال العباد ، العليم بأحوالهم ، الظاهرة والباطنة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه] أي ومن جاهد نفسه بالصبر على الطاعات ، والكف عن اللهوات ، فمنفعة جهاده إنما هي لنفسه

[إن الله لغنى عن العالمين] أي مستغن عن العباد ، لا تنفعه طاعة الطائعين ، ولا تضره معصية العاصين

[والذين آمنوا وعملوا الصالحات] أي جمعوا بين الإيمان ، والعمل الصالح

[لنكفرن عنهم سيئاتهم] اي لنمحون عنهم سيئاتهم التي سلفت منهم ، بسبب لى إيمانهم وعملهم الصالح

[ولنجزينهم أحسن الذي كانوا يعملون] أى ونجزيهم بأحسن أعمالهم الصالحة وهي الطاعات

[ووصينا الإنسان بوالديه حسنا] أي أمرناه أمرا مؤكدا ، بالإحسان إلى والديه غاية الإحسان ، لأنهما سبب وجوده ولهما عليه غاية الفضل والإحسان ، الوالد بالإنفاق ، والوالدة بالاشفاق ، قال الصاوي : وإنما أمر الله الأولاد ببر الوالدين دون العكس ، لأن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الأولاد جبلوا على القسوة ، وعدم طاعة الوالدين ، فكلفهم الله بما يخالف طبعهم ، والأباء مجبولون على الرحمة والشفقة بالأولاد ، فوكلهم لما جبلوا عليه

[وإن جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما] أي وإن بذلا كل ما في وسعهما ، وحرصا كل الحرص ، على أن تكفر بالله ، وتشرك به ما لا يصح أن يكون إلها ولا يستقيم ، فلا تطعهما في ذلك ، لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الله

[إلى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون] أي إلى مرجع الخلائق جميعا ، مؤمنهم وكافرهم ، برهم وفاجرهم ، فيجازي كلا بما عمل ، وفيه وعد حسن لمن بر والديه واتبع الهدى ، ووعيد لمن عق والديه واتبع سبيل الردى

[والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين] أي لندخلنهم في زمرة الصالحين في الجنة ، قال القرطبي : كرر تعالى التمثيل بحالة المؤمنين العاملين ، لتحريك النفوس إلى نيل مراتبهم ، وفي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[الصالحين] مبالغة أي الذين هم في نهاية الصلاح وأبعد غاياته . . ولما ذكر تعالى ما أعده للمؤمنين الخلص ، ذكر حال المنافقين المذبذبين فقال سبحانه [ومن الناس من يقول آمنا بالله فإن أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله] أي ومن الناس فريق يقولون بألسنتهم آمنا بالله ، فإذا أوذي أحدهم بسبب إيمانه ، ارتد عن الدين ، وجعل ما يصيبه من أذى الناس ، سببا صارفا له عن الإيمان ، كعذاب الله الشديد الذي يصرف الإنسان عن الكفر ، قال المفسرون : والتشبيه [كعذاب الله] من حيث إن عذاب الله مانع للمؤمنين من الكفر ، فكذلك المناققون جعلوا أذاهم مانعا لهم من الإيمان ، وكان مقتضى إيمانها أن يصبروا ويتشجعوا ، ويروا في العذاب عذوبة ، وفي المحنة منحة ، فإن العاقبة للمتقين ، قال الإمام الفخر : أقسام المكلفين ثلاثة : مؤمن ظاهر بحسن اعتقاده ، وكافر مجاهر بكفره وعناده ، ومذبذب بينهما يظهر الإيمان بلسانه ، ويضمر الكفر في فؤاده ، فلما ذكر تعالى القسمين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بقوله [فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين]
ذكر القسم الثالث هنا [ومن الناس من يقول آمنا بالله]
واللطيفة في الآية : أن الله أراد بيان شرف المؤمن الصابر ، وخسة المنافق الكافر ، فقال هناك : أوذي المؤمن فى سبيل الله ، ليترك دينه فلم يتركه ، وأوذي المنافق ببعض الأذى ، فترك الله بنفسه ، وكان يمكنه أن يظهر موافقتهم ، ويكون قلبه مطمئنا بالإيمان ، ومع هذا لم يفعله بل ترك الله بالكلية
[ولئن جاء نصر من ربك ليقولن إنا كنا معكم] أي ولئن جاء نصر قريب للمؤمنين ، وفتح ومغانم لهم ، قال أولئك المنافقون : إنا كنا معكم ننصركم على أعدائكم ، فقاسمونا فيما حصل لكم من الغنائم ، قال تعالى ردا عليهم
[أوليس الله بأعلم بما في صدور العالمين] ؟ استفهام تقريري ، أي أوليس الله هو العالم بما انطوت عليه الضمائر ، من خير وشر ؟ وبما في قلوب الناس من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إيمان ونفاق ؟ بلى انه بكل شيء عليم . . ثم أكد تعالى ذلك بقوله

[وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين] أي وليظهرن الله لعباده حال المؤمنين ، وحال المنافقين ، حتى يتميزوا عنهم ، فيفتضح المنافق ، ويظهر شرف المؤمن الصادق ، قال المفسرون : والمراد [وليعلمن الله] إظهار علمه للناس حتى يصبح معلوما لديهم ، وإلا فالله عالم بما كان ، وما يكون ، وما هو كائن ، لا تخفى عليه خافية ، فهو إذا علم إظهار لإبداء ، لا علم غيب وخفاء ، بالنسبة لله تعالى ، وقد فسر ابن عباس العلم بمعنى الرؤية

[وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم] أي قال الكفار للمؤمنين : اكفروا كما كفرنا ، واتبعوا ديننا ، ونحن نحمل عنكم الإثم والعقاب ، إن كان هناك عقاب قال ابن كثير : كما يقول القائل :
افعل هذا وخطيئتك في عنقي فإن قيل [ولنحمل]

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

صيغة أمر ، فكيف يصح أمر النفس من الشخص ؟
فنقول : الصيغة أمر ، والمعنى شرط وجزاء ، أي إن اتبعتمونا حملنا خطاياكم
[وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء] أي وما هم حاملين شيئا من خطاياهم ، لأنه لا يحمل أحد وزر أحد
[إنهم لكاذبون] أي وإنهم لكاذبون فى ذلك ، ثم قال تعالى :
[وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم] أي وليحملن أوزارهم ، وذنوب من أضلوهم ، دون أن ينقص من ذنوب أولئك شيء ، كما في الحديث (ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من اتبعه ، من غير أن ينقص من آثامهم شيء
[وليسألن يوم القيامة] أى وليسألن سؤال توبيخ وتقريع
[عما كانوا يفترون] أي عما كانوا يختلقونه من الكذب على الله عز وجل . . ثم ذكر تعالى لرسوله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(ص) (قصة نوح) تسلية له عما يلقاه من أذى المشركين فقال سبحانه :

[ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما] أي ولقد بعثنا نوحا إلى قومه ، فمكث فيهم تسعمائة وخمسين سنة ، يدعوهم إلى توحيد الله جل وعلا ، وكانوا عبدة أصنام فكذبوه

[فأخذهم الطوفان وهم ظالمون] أي فأهلكهم الله بالطوفان ، وهم مصرون على الكفر والضلال ، قال ابو السعود : والطوفان : كل ما يطوف بالشىء على كثرة وشدة ، من السيل والريح والظلام ، وقد غلب على طوفان الماء قال الرازي : وفي قوله [وهم ظالمون] إشارة إلى لطيفة ، وهي أن الله لا يعذب على مجرد وجود الظلم ، وإنما يعذب على الإصرار على الظلم ، ولهذا قال [وهم ظالمون] يعني أهلكهم وهم مصرون على ظلمهم

[فأنجيناه وأصحاب السفينة] أي فأنجينا نوحا من الغرق ومن ركب معه في السفينة ، من أهله وأولاده

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وأتباعه المؤمنين

[وجعلناها آية للعالمين] أي وجعلنا تلك الحادثة الهائلة ، عظة وعبرة للناس بعدهم ، ليتعظوا بها

[وإبراهيم إذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه] يخبر تعالى عن عبده ورسوله وخليله [إبراهيم] إمام الحنفاء ، أنه دعا قومه إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، والإخلاص له في التقوى ، وطلب الرزق منه وحده ، وتوحيده في الشكر ، فإنه المشكور على النعم لا مسدى لها غيره

[ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون] أي عبادة الله وتقواه ، خير لكم من عبادة الأوثان ، إن كنتم تعلمون الخير من الشر وتفرقون بينهما

[إنما تعبدون من دون الله أوثانا] أي أنتم لا تعبدون شيئا ينفع أو يضر ، وإنما تعبدون أصناما من حجارة ، صنعتموها بأيديكم

[وتخلقون إفكا] أي وتصنعون كذبا وباطلا ، قال ابن عباس : تنحتون وتصورون إفكأ ((هذا هو الظاهر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أنها من الخلق وهو قول مجاهد والحسن واختاره ابن جرير ، وقيل : إنه من الاختلاق اي تختلقون وتقولون الكذب))

[إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا] أي إن هؤلاء الذين تعبدونهم لا يقدرون على أن يرزقوكم

[فابتغوا عند الله الرزق] أي فاطلبوا الرزق من الله وحده ، فإنه القادر على ذلك

[واعبدوه واشكروا له] أي وخصوه وحده بالعبادة ، واخشعوا واخضعوا له ، واشكروه على نعمه التي أنعم بها عليكم

[إليه ترجعون] أي إليه لا إلى غيره مرجعكم يوم القيامة ، فيجازي كل عامل بعمله

[وإن تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم] لما فرغ من بيان التوحيد ، أتى بعده بالتهديد أى وإن تكذبوني فلن تضروني بتكذيبكم ، وإنما تضرون أنفسكم ، فقد سبق

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قبلكم أمم كذبوا رسلهم ، فحل بهم عذاب الله ، وسيحل بكم ما حل بهم ((قال ابن كثير : والظاهر من السياق أن كل هذا من كلام إبراهيم الخليل عليه السلام ، يحتج به عليهم لإثبات المعاد ، لقوله بعد هذا كله {فما كان جواب قومه } وذهب الامام الطبرى إلى ان هذا من كلام الله تعالى لكفار مكة ، ويراد به تسلية النبي (ص) وليس من كلام إبراهيم ، وما ذهب إليه ابن كثير أظهر ، والله أعلم))

[وما على الرسول إلا البلاغ المبين] أي وليس على الرسول ، إلا تبليغ أوأمر الله ، وليس عليه هداية الناس ، ومعنى [البلاغ المبين] أي الذى يبين لمن سمعه ما يراد به ، ويفهم منه ما يعني به

[أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده] الاستفهام للتوبيخ لمنكري الحشر ، أي أولم ير المكذبون بالدلائل الساطعة كيف خلق تعالى الخلق إبتداءا من العدم ؟ ليستدلوا بالخلقة الأولى على الإعادة في الحشر ؟ قال قتادة : المعنى أولم يروا بالدلائل والنظر كيف يمكن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أن يعيد الله الأجسام بعد الموت ؟

[إن ذلك على الله يسير] أي سهل عليه تعالى ، فكيف ينكرون البعث والنشور ؟ فإن من قدر على البدء قدر على الإعادة ، قال القرطبي : ومعنى الآية على ما قاله البعض : أولم يروا كيف يبدىء الله الثمار فتحيا ، ثم تفنى ثم يعيدها أبدا ، وكذلك يبدأ خلق الإنسان ثم يهلكه بعد أن خلق منه ولدا ، وخلق من الولد ولدا ، وكذلك سائر الحيوان ، فإذا رأيتم قدرته على الإبداء والايجاد ، فهو القادر على الإعادة ، لأنه إذا أراد أمرا قال له كن فيكون

[قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق] أي قل لهؤلاء المنكرين للبعث سيروا في أرجاء الأرض ، فانظروا كيف أن الله العظيم القدير ، خلق الخلق على كثرتهم ، وتفاوت هيئاتهم ، واختلاف ألسنتهم وألوانهم وطبائعهم ؟ وانظروا إلى مساكن القرون الماضية ، وديارهم وآثارهم ، كيف أهلكهم الله ؟ لتعلموا بذلك كمال قدرة الله عز وجل !

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ثم الله ينشىء النشأة الآخرة] أي ثم هو تعالى ينشئهم عند البعث نشأة أخرى

[إن الله على كل شيء قدير] أي لا يعجزه تعالى شيء ومنه البدء والإعادة

[يعذب من يشاء ويرحم من يشاء] أي هو الحاكم المتصرف الذي يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد ، فله الخلق والأمر ، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون

[وإليه تقلبون] أي إليه ترجعون يوم القيامة

[وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا فى السماء] أي لا تفوتون من عذاب الله ، وليس لكم مهرب في الأرض ولا في السماء! ! قال القرطبي : والمعنى ؟ لو كنتم في السماء ما أعجزتم الله ، كقوله [ولو كنتم فى بروج مشيدة]

[وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير] أي ليس لكم غير الله ، ولى يحميكم من بلائه ، ولا نصير لنصركم من عذابه

[والذين كفروا بآيات الله ولقائه] أي كفروا بالقرآن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والبعث

[أولئك يئسوا من رحمتي] أي أولئك المنكرون الجاحدون ، قنطوا من رحمتي ، قال ابن جرير : وذلك في الآخرة عند رؤية العذاب

[وأولئك لهم عذاب أليم] أي لهم عذاب موجع مؤلم

[فما كان جواب قومه إلا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه] أي فما كان رد قومه عليه ، حين دعاهم إلى الله ، ونهاهم عن الأصنام ، إلا أن قال كبراؤهم المجرمون : اقتلوه لتستريحوا منه ، أو حرقوه بالنار

[فأنجاه الله من النار] أي فألقوه في النار ، فجعلها الله بردا وسلاما عليه

[إن فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون] أي إن في إنجائنا لإبراهيم من النار ، لدلائل وبراهين ساطعة على قدرة الله ، لقوم يصدقون بوجود الله ، وكمال قدرته وجلاله

[وقال إنما اتخذتم من دون الله أوثانا] أي قال إبراهيم لقومه توبيخا لهم وتقريعا : إنما عبدتم هذه الأوثان

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والأصنام ، وجعلتموها آلهة مع الله
[مودة بينكم في الحياة الدنيا] أى من أجل أن تدوم المحبة والألفة بينكم ، فى هذه الحياة ، باجتماعكم على عبادتها
[ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا] أي ثم في الآخرة ينقلب الحال ، فتصبح هذه الصداقة عداوة وبغضاء ، حيث يقع التناكر ، ويتبرأ القادة من الأتباع ، ويلعن الأتباع القادة ، لأن صداقتهم في الدنيا كانت لمصالح ومنافع ، ولم تكن من أجل الله
[وماوأكم النار وما لكم من ناصرين] أي ومصيركم جميعا جهنم وليس لكم ناصر أو معين ، يخلصكم منها
[فآمن له لوط] أي فآمن معه لوط وصدقه - وهو أبن أخيه وأول من آمن به - لما رأى من الآيات الباهرة
[وقال إني مهاجر إلى ربي] أي وقال الخليل إبراهيم : إني تارك وطني ، ومهاجر من بلدي رغبة في رضى الله ، قال المفسرون : هاجر من سواد العراق إلى فلسطين والشام ابتغاء إظهار الدين ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والتمكن من نشره
[إنه هو العزيز الحكيم] أي هو العزيز الذي لا يذل من اعتمد عليه ، الحكيم الذي يضع الأشياء مواضعها
[ووهبنا له إسحاق ويعقوب] آي وهبنا لإبراهيم - لما فارق قومه في الله - ولدا صالحا هو " إسحق " وولد ولد وهو " يعقوب بن اسحاق "
[وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب] اي خصصناه بهذا الفضل العظيم ، حيث جعلنا كل الأنبياء بعد إبراهيم من ذريته ، وجعلنا الكتب السماوية نازلة على الأنبياء من بنيه ، قال ابن كثير : وهذه خصلة سنية عظيمة ، مع اتخاذ الله إياه خليلاً ، وجعله إماما للناس ، أن جعل الله في ذريته النبوة والكتاب ، فلم يوجد نبى بعد إبراهيم ، إلا وهو من سلالته ، فجميع أنبياء بني إسرائيل من سلالة ولده " يعقوب " ولم يوجد نبي من سلالة " إسماعيل " سوى النبي العربي عليه أفضل الصلاة والتسليم
[وآتيناه أجره في الدنيا] أي وتركنا له الثناء الحسن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

في جميع الأديان ، وبين جميع الأمم

[وإنه في الآخرة لمن الصالحين] أي وهو في الآخرة في عداد الكاملين في الصلاح ، وهذا ثناء عظيم من رب العزة والجلال على أب الأنبياء إبراهيم عليه السلام .

البلاغه :

تضمنت الآيات الكريمة وجوها من البيان والبديع نوجزها فيما يلي :

1 - الاستفهام للتقريع والتوبيخ والإنكار [أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا] ؟

2 - الطبا ق بين [صدقوا . . والكاذبين] وبين آمنوا . . والمنافقين] وبين [يعذب . . ويرحم] وبين [يبدىء وبعيد] .

3 - التأكيد بأن وآللام [فإن أجل الله لآت] لأن المخاطب منكر .

4 - صيغة المبالغة [السميع العليم] لأن " فعيل ، من صيغ المبالغة .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

5 - الجناس غير التام [يسير . . وسيروا] .

6 - التشبيه المرسل المجمل [فتنة الناس كعذاب الله] حذف منه وجه الشبه فهو مجمل

7 - التفنن في التعبير [ألف سنة إلا خمسين عاما] لم يقل إلا خمسين سنة تفننا ، لأن التكرار في الكلام الواحد مخالف للبلاغة ، إلا إذا كان لغرض من تفخيم أو تهويل مثل [القارعة ما القارعة] .

8 - أسلوب الإطناب [إنما تعبدون من دون الله أوثانا . . إن الذين تعبدون من دون الله] لغرض التشنيع عليهم في عبادة الأوثان .

9 - أسلوب آلإيجاز [اقتلوه أو حرقوه] أي حرقوه في النار ثم قال [فأنجاه الله] أي ففعلوا فأنجاه الله من النار ، فحذف ذلك للإيجاز.

10 - الاستعارة اللطيفة [وليحملن أثقالهم] شبه الذنوب بالأثقال ، لأنها تثقل كأهل الإنسان ، على طريق الاستعارة التبعية .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قال الله تعالى : [ولوطا إذ قال لقومه إنكم لتأتون الفاحشة . .] إلى قوله [والله يعلم ما تصنعون] من آية (28) إلى نهاية آية (45) .

المناسبه :

لما ذكر تعالى قصة نوح ثم إبراهيم ، وما فيهما من مواطن العظة والعبرة ، ذكر هنا قصص الأنبياء (لوط ، شعيب ، هود ، صالح) على سبيل الاختصار ، لبيان عاقبة الله في المكذبين . . وكل ذلك لتأكيد ما ورد في صدر السورة الكريمة ، من أن الابتلاء سنة الحياة ، وأنه من السنن الكونية على مر العصور والدهور .

اللغة :

[الفاحشة] النعلة المتناهية في القبح ، قال أهل اللغة : الفاحشة : التبيح الظاهر قبحه ، وكل فعل زاد في القبح والشناعة نهو فاحشة

[ناديكم] النادي : المجلس الذى يجتمع فيه القوم للسمر أو المشورة أو غيرهما

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[تعثوا] العثو والعثى أشد الفساد يقال : عثي يعثى ، وعثا يعثو بمعنى واحد

[رجزا] عذابا

[جاثمين] جثم : إذا قعد على ركبتيه

[سابقين] فائتين من عذابنا

[أوهن] أضعف ، والوهن : الضعف .

التفسير :

[ولوطا إذ قال لقومه] أي واذكر رسولنا لوطا عليه السلام حين قال لقومه

[إنكم لتأتون الفاحشة] أي إنكم يا معشر القوم لترتكبون الفعلة القذرة ، المتناهية في القبح

[ما سبقكم بها من أحد من العالمين] أي لم يسبقكم بهذه الشنيعة ، والنعلة القبيحة - وهي اللواطة - أحد من الخلق ، ثم فسر تلك الفعلة الشنيعة فقال

[أئنكم لتأتون الرجال] أي إنكم لتأتون الذكور في الأدبار ، وذلك منتهى القذارة والخسة ، قال المفسرون : لم يقدم أحد قبلهم عليها ، إشمئزازا منها

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

في طباعهم ، لإفراط قبحها حتى أقدم عليها قوم لوط ، ولم ينز ذكر على ذكر قبل قوم لوط

[وتقطعون السبيل] أى وتقطعون الطريق على المارة ، بالقتل وأخذ المال ، وكانوا قطاع الطريق ، قال ابن كثير : كانوا يقفون في طريق الناس ، يقتلونهم ويأخذون أموالهم

[وتأتون ناديكم المنكر] أي وتفعلون في مجلسكم ومنتداكم ، ما لا يليق من أنواع المنكرات علنا وجهارا ، أما كفاكم قبح فعلكم ؟ حتى ضممتم إليه قبح الإظهار ؟ قال مجاهد : كانوا يأتون الذكور أمام الملأ ، يرى بعضهم بعضا ، وقال ابن عباس : كانوا يحذفون بالحصى من مر بهم مع الفحش في المزاح ، وحل الإزار ، والصفير وغير ذلك من القبائح

[فما كان جواب قومه] أي فما كان رد قومه عليه حين نصحهم وذكرهم وحذرهم

[إلا أن قالوا أئتنا بعذاب الله] أي إلا أن قالوا على سبيل الإستهزاء : ائتنا يا لوط بالعذاب الذي تعدنا به

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[إن كنت من الصادقين] أي إن كنت صادقا فيما تهددنا به من نزول العذاب ؟ قال الإمام الفخر : فإن قيل أن الله تعالى قال ههنا

[إلا أن قالوا ائتنا] وقال في موضع آخر

[إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم] فكيف وجه الجمع بينهما ؟ فنقول : إن لوطا كان ثابتا على الإرشاد ، مكررا عليهم النهي والوعيد ، فقالوا أولا : ائتنا بعذاب الله ، ثم لما كثر منه ذلك ولم يسكت عنهم ، قالوا : اخرجوا آل لوط . . ثم إن لوطا لما يئس منهم طلب النصرة من الله

[قال ربى إنصرني على القوم المفسدين] أي قال لوط : ربى أهلكهم وانصرني عليهم ، فإنهم سفهاء مفسدون ، لا يرجى منهم خير ولا صلاح ، وقد أغرقوا في الغى والفساد ، واعلم أن نبيا من الأنبياء ، ما طلب هلاك قوم ، إلا إذا علم أن عدمهم خير من وجودهم ، كما قال نوح

[إنك إن تذرهم يضلوا عبادك] فكذلك لوط لما رأى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إنهم يفسدون في الحال ، ولا يرجى منهم صلاح في المال ، طلب لهم من الله العذاب
[ولما جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى] المراد بالرسل هنا " الملائكة " والبشرى هى تبشير إبراهيم بالولد ، أي لما جاءت الملائكة تبشر إبراهيم ، بغلام حليم
[قالوا إنا مهلكوا أهل هذه القرية] أي جئنا لنهلك قرية قوم لوط

[إن أهلها كانوا ظالمين] أى لأن أهلها ممعنون في الظلم والفساد ، طبيعتهم البغي والعناد ، قال المفسرون : لما دعا لوط على قومه ، استجاب الله دعاءه ، وأرسل ملائكته لأهلاكهم ، فمروا بطريقهم على إبراهيم أولا ، فبشروه بغلام وذرية صالحة ، ثم أخبروه بما أرسلوا من أجله ، فجادلهم بشأن ابن أخيه لوط
[قال إن فيها لوطا] أى كيف تهلكون أهل القرية وفيهم هذا النبي الصالح " لوط "

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[قالوا نحن أعلم بمن فيها] أى نحن أعلم به وبمن فيها من المؤمنين ، قال الصاوى : وهذا بعد المجادلة التي تقدمت فى سورة هود

[يجادلنا في قوم لوط] حيث قال لهم : أتهلكون قرية فيها ثلاثمائة مؤمن ؟ قالوا : لا ، إلى أن قال : أفرايتم إن كان فيها مؤمن واحد ؟ قالوا : لا ، فقال لهم :

[إن فيها لوطا] فأجابوه بقولهم

[نحن أعلم بمن فبها] ثم بشروه بإنجاء لوط والمؤمنين

[لننجينه وأهله إلا أمرأته كانت من الغابرين] آي سوف ننجيه مع أهله من العذاب ، إلا أمرأته فستكون من الهالكين ، لأنها كانت تمالئهم على الكفر! ! ثم ساروا من عنده ، فدخلوا على " لوط " في صورة شبان حسان

[ولما أن جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا] أي ولما دخلوا على لوط حزن بسببهم ، وضاق صدره من مجيئهم ، لأنهم حسان الوجوه ، في صورة أضياف ، فخاف عليهم من قومه ، فأعلموه أنهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

رسل ربه

[وقالوا لا تخف ولا تحزن] أي لا تخف علينا ولا تحزن بسببنا ، فلن يصل هؤلاء المجرمون إلينا

[إنا منجوك وأهلك إلا أمرأنك كانت من الغابرين] أى كانت من الهالكين ، الباقين في العذاب

[إنا منزلون على أهل هذه القرية رجزا من السماء بما كانوا يفسقون] أي منزلون عليهم عذابا من السماء ، بسبب فسقهم المستمر ، قال ابن كثير : وذلك ان جبريل عليه السلام اقتلع قراهم من قرار الأرض ، ثم رفعها إلى عنان السماء ، ثم قلبها عليهم ، وأرسل الله عليهم حجارة من سجيل منضود ، وجعل تعالى مكانها بحيرة خبيثة منتنة ، وجعلهم عبرة إلى يوم التناد ، وهم من أشد الناس عذابا يوم المعاد

[ولقد تركنا منها آية بينة] أي ولقد تركنا من هذه القرية ، علامة بينة واضحة ، هي آثار منازلهم الخربة

[لقوم يعقلون] أي لقوم يتفكرون ويتدبرون ، ويستعملون عقولهم فى الاستبصار والاعتبار . . ثم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أخبر تعالى عن قصة شعيب فقال

[وإلى مدين أخاهم شعيبا ، أي وأرسلنا إلى قوم مدين أخاهم شعيبا

[فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر] أي فقال لقومه ناصحا ومذكرا : يا قوم وحدوا الله ، وخافوا عقابه الشديد ، في اليوم الآخر

[ولا تعثوا في الأرض مفسدين] أي لا تسعوا بالإفساد في الأرض بأنواع البغي والعدوان

[فكذبوه فأخذتهم الرجفة] أي فكذبوا رسولهم شعيبا فأهلكهم الله برجفة عظيمة مدمرة ، زلزلت عليهم بلادهم ، وصيحة هائلة أخرجت القلوب من حناجرها

[فأصبحوا في دارهم جاثمين] أي فأصبحوا هلكى باركين على الركب ميتين

[وعادا وثمود وقد تبين لكم من مساكنهم] أي وأهلكنا عادا وثمود ، وقد ظهر لكم يا أهل مكة من منازلهم بالحجاز واليمن ، آيتنا في هلاكهم أفلا تعتبرون ؟

[وزين لهم الشيطان أعمالهم] أي وحسن لهم الشيطان

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أعمالهم القبيحة ، من الكفر والمعاصي حتى رأوها حسنة

[فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين] أي فمنعهم عن طريق الحق ، وكانوا عقلاء متمكنين من النظر والاستدلال ، لكنهم لم يفعلوا تكبرا وعنادا

[وقارون وفرعون وهامان] أي وأهلكنا كذلك الجبابرة الظالمين

[قارون] صاحب الكنوز الكثيرة

[وفرعون] صاحب الملك والسلطان ، ووزيره

[هامان] الذي كان يعينه على الظلم والطغيان

[فاستكبروا في الأرض] أي فاستكبروا عن عبادة الله ، وطاعة رسوله

[وما كانوا سائغين] أي وما كانوا ليفلتوا من عذابنا ، قال الطبرى : أي ما كانوا ليفوتونا بل كنا مقتدرين عليهم

[فكلا أخذنا بذنبه] أي فكلا من هؤلاء المجرمين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أهلكناه ، بسبب ذنبه ، وعاقبناه بجنايته ، قال ابن كثير : أي وكانت عقوبته بما يناسبه

[فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا] أي ريحا عاصفة مدمرة ، فيها حصباء " حجارة " كقوم لوط

[ومنهم من أخذته الصيحة] أي ومنهم من أخذته صيحة العذاب مع الرجفة كثمود

[ومنهم من خسفنا به الأرض] أي خسفنا به وبأملاكه الأرض ، حتى غاب فيها ، كقارون وأصحابه

[ومنهم من أغرقنا] أي أهلكناه بالغرق ، كقوم نوح وفرعون وجنده

[وما كان الله ليظلمهم] أي وما كان الله ليعذبهم من غير ذنب فيكون لهم ظالما

[ولكن كانوا أنفسهم يظلمون] أي ولكن ظلموا أنفسهم فاستحقوا العذاب والدمار . . ثم ضرب تعالى مثلا للمشركين في اتخذاهم آلهة من دون الله فقال سبحانه

[مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا] أي مثل الذين اتخذوا من دون الله أصناماً

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يعبدونها ، في اعتمادهم عليها ورجائهم نفعها ، كمثل العنكبوت في اتخاذها بيتا ، لا يغني عنها في حر ولا برد ، ولا مطر ولا اذى ، قال القرطبي : هذا مثل ضربه الله سبحانه لمن اتخذ من دونه آلهة لا تنفعه ولا تضره ، كما أن بيت العنكبوت لا يقيها حرا ولا بردا

[لأن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون] أي وإن أضعف البيوت لبيت العنكبوت ، لتفاهته وحقارته ، لو كانوا يعلمون أن هذا مثلهم ما عبدوها

[إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء] أي هو تعالى العالم بما عبدوه من دونه ، لا يخفى عليه ذلك ، وسيجازيهم على كفرهم

[وهو العزيز الحكيم] أي وهو جل وعلا العزيز في ملكه ، الحكيم فى صنعه

[وتلك الأمثال نضربها للناس] أي وتلك الأمثال نوضحها للناس في القرآن ، لتقريبها إلى أذهانهم

[وما يعقلها إلا العالمون] أي وما يدركها ويفهمها إلا العالمون الراسخون ، الذين يعقلون عن الله عز وجل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مراده

[خلق الله السموات والأرض بالحق] أي خلقهما بالحق الثابت ، لا على وجه العبث واللعب

[ن في ذلك لآية للمؤمنين] أي إن في خلقهما بذلك الشكل البديع ، والصنع المحكم ، لعلامة ودلالة ، للمصدقين بوجود الله ووحدانيته

[أتل ما أوحي إليك من الكتاب] أي اقرأ يا محمد هذا القرآن المجيد ، الذي أوحاه إليك ربك ، وتقرب إليه بتلاوته وترداده ، لأن فيه محاسن الآداب ومكارم الأخلاق

[وأقم الصلاة] أي دم على إقامتها بأركانها وشروطها وآدابها ، فإنها عماد الدين

[إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر] أي إن الصلاة الجامعة لشروطها وآدابها ، المستوفية لخشوعها وأحكامها ، إذا أداها المصلي كما ينبغي ، وكان خاشعا في صلاته ، متذكرا لعظمة ربه ، متدبرا لما يتلو ، نهته عن الفواحش والمنكرات

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ولذكر الله أكبر] أي ولذكر الله أكبر من كل شيء في الدنيا ، وهو أن تتذكر عظمته وجلاله ، وتذكره في صلاتك ، وفي بيعك وشرائك ، وفي أمور حياتك ، ولا تغفل عنه في جميع شؤونك

[والله يعلم ما تصنعون] أي يعلم جميع أعمالكم وأفعالكم ، فيجازيكم عليها أحسن المجازاة ، قال أبو العالية : إن الصلاة فيها ثلاث خصال : الإخلاص ، والخشية ، وذكر الله ؟ فالإخلاص يأمره بالمعروف ، والخشية تنهاه عن المنكر ، وذكر الله القرآن يأمره وينهاه ، فكل صلاة لا يكون فيها شيء من هذه الخلال فليست بصلاة .

البلاغة :

تضمنت الآيات وجوها من البيان والبديع نوجزها فيما يلي :

1 - التأكيد بعدة مؤكدات ، والإطناب بتكرار الفعل تهجينا لعملهم القبيح وتوبيخا [إنكم لتأتون الفاحشة . . أئنكم لتأتون الرجال] الآية .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

2 - الاستهزاء والسخرية [ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين] قالوه على سبيل الاستهزاء ، وجواب الشرط محذوف دل عليه السابق أي إن كنت صادقاً فائتنا به .

3 - التنكير لإفادة التهويل [رجزا من السماء] أي رجزا عظيماً هائلا .

4 - تقديم المفعول للعناية والاهتمام ، والاجمال ثم التفصيل [فكلا أخذنا بذنبه ، فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ، ومنهم من أخذته الصيحة] إلخ .

5 - التشبيه التمثيلي [مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا] شبه الله الكافرين في عبادتهم للأصنام ، بالعنكبوت في بنائها بيتا ضعينا واهيا ، يتهاوى من هبة نسيم أو من نفخة فم ، وسمي تمثيليا لأن وجه الشبه صورة منتزعة من متعدد

6 - توافق الفواصل في الحرف الأخير ، وما فيه من جرس عذب بديع مثل [انصرني على القوم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المفسدين . . إن أهلها كانوا ظالمين] ومثل [لأن أوهن البيوت لبيت العنكبوت] ومثل [بما كانوا يفسقون . . . وآية بينة لقوم يعقلون] إلخ وهو من خصائص القرآن .

تنبيه :

أفادت الآية أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، وقد ثبت أن رسول الله (ص) لما قيل له : إن فلانا يصلي الليل فإذا أصبح سرق فقال : " ستمنعه صلاته " رواه البزار ، يريد عليه السلام أن الصلاة إذا كانت على الوجه الأكمل ، تنهى صاحبها عن الفحشاء ، ولا تزيده بعدا بل تزيده قربا .

قال الله تعالى : [ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن . . .] إلى قوله [وإن الله لمع المحسنين] .

من آية (46) إلى آية (69) نهاية السورة الكريمة .

المناسبة :

لما بين تعالى ضلال من اتخذ أولياء من دون الله ، وضرب المثل ببيت العنكبوت ، أمر هنا بالتلطف في

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

دعوة أهل الكتاب إلى الإيمان ، ثم ذكر البراهين القاطعة على صدق محمد (ص) وصحة القرآن ، وختم السورة الكريمة ببيان المانع من التوحيد ، وهو اغترار الناس بالحياة الدنيا الفانية ، وبين أن المشركين يوحدون الله وقت الشدة ، وينسونه وقت الرخاء .

اللغه :

[بغتة] فجأة يقال : بغته إذا دهمه على حين غفلة

[يغشاهم] يجللهم ويغطيهم من فوقهم ، والغشاء : الغطاء

[لنبوئنهم] بوأه : أنزله في المكان على وجه الإقامة

[غرفا] منازل رفيعة عالية في الجنة

[يؤفكون] يصرفون عن الحق إلى الباطل

[يبسط] يوسع

[يقدر] يضيق

[مثوى] المكان الذي يقيم فيه الإنسان ويسكنه .

سبب النزول :

عن ابن عباس أن النبي (ص) أمر المؤمنين بالهجرة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

حين آذاهم المشركون ، فقال لهم : اخرجوا إلى المدينة وهاجروا ، ولا تجاوروا الظلمة ، قالوا : ليس لنا بها دار ولا عقار ، ولا من يطعمنا ولا من يسقينا فنزلت [وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم00) الآية .

التفسير :

[ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن] اي لا تدعو أهل الكتاب إلى الإسلام ، وتناقشوهم في أمر الدين ، إلا بالطريقة الحسنى كالدعاء إلى الله بآياته ، والتنبيه على حججه وبيناته

[إلا الذين ظلموا منهم] أي إلا من كان ظالما ، محاربا لكم ، مجاهدا في عداوتكم ، فجادلوهم بالغلظة والعدة ، قال الإمام الفخر : إن المشرك لما جاء بالمنكر الفظيع ، كان اللائق أن يجادل بالأخشن ، ويبالغ في توهين شبهه وتهجين مذهبه ، وأما أهل الكتاب فإنهم آمنوا بإنزال الكتب ، وإرسال الرسل ، إلا الاعتراف بالنبي عليه السلام ، فلمقابلة إحسانهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يجادلون بالأحسن ، إلا الذين ظلموا منهم بإثبات الولد لله ، والقول بثالث ثلاثة ، فإنهم يجادلون بالأخشن من تهجين مقالتهم ، وتبيين جهالتهم

[وقولوا آمنا بالذى أنزل إلينا وأنزل إليكم] أي وقولوا لهم : آمنا بالقرآن الذي أنزل إلينا ، وبالتوراة والإنجيل التي أنزلت إليكم ، قال أبو هريرة : كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية ، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام ، فقال رسول الله (ص) : (لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم ، وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم

[وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون] أي ربنا وربكم واحد ، لا شريك له في الألوهية ، ونحن له مطيعون ، مستسلمون لحكمه وأمره

[وكذلك أنزلنا إليك الكتاب] أي وكما أنزلنا الكتاب على من قبلك يا محمد أنزلناه عليك

[فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به] أي فالذين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أعطيناهم الكتاب كعبد الله بن سلام وأمثاله ، ممن أسلم من اليهود والنصارى ، يؤمنون بالقرآن

[ومن هؤلاء من يؤمن به] أي ومن أهل مكة من يؤمن بالقرآن كذلك

[وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون] أي وما يكذب بآياتنا وينكرها ، مع ظهورها وقيام الحجة عليها ، إلا المتوغلون فى الكفر ، المصرون على العناد ، قال قتادة : وإنما يكون الجحود بعد المعرفة

[وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك] أي وما كنت يا محمد تعرف القراءة ولا الكتابة ، ولا تقرأ شيئا من الكتب المنزلة قبلك ، لأنك أمى ، لتظهر المعجزة فيك ، قال ابن عباس : كان رسول الله (ص) لا يقرأ شيئا ولا يكتب

[إذا لارتاب المبطلون] أي لو كنت تقرأ او تكتب ، إذا لشك الكفار في القرآن ، وقالوا : لعله التقطه من كتب الأوائل ، ونسبه إلى الله ؟ والآية احتجاج على أن القرآن من عند الله ، لأن النبي أمى وجاءهم بهذا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الكتاب المعجز ، المتضمن لأخبار الأمم السابقة ، والأمور الغيبية ، وذلك أكبر برهان على صدقه (ص) قال ابن كثير : المعنى : قد لبثت في قومك يا محمد - من قبل أن تأتي بهذا القرآن - عمرا لا تقرأ كتابا ، ولا تحسن الكتابة ، بل كل أحد من قومك يعرف أنك أمي ، لا تقرأ ولا تكتب ، وهكذا كان رسول الله (ص) دائما ، إلى يوم الدين لا يحسن الكتابة ، ولا يخط حرفا ولا سطرا بيده ، بل كان كتاب يكتبون له الوحى

[بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم]

(بل) للأضراب ، أي ليس الأمر كما حسب الظالمون والمبطلون ، بل هو آيات واضحات الإعجاز ، ساطعات الدلالة على أنها من عند الله ، محفوظة فى صدور العلماء ، قال المفسرون : من خصائص القرآن العظيم أن الله حفظه من التبديل والتغيير بطريقين : الأول : الحفظ في السطور ، والثانى : الحفظ في الصدور ، بخلاف غيره من الكتب ، فإنها مسطرة لديهم ، غير محفوظة في صدورهم ، ولهذا دخلها

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

التحريف ، وقد جاء في صفة هذه الأمة " أناجيلهم في صدورهم " وقال الحسن : أعطيت هذه الأمة الحفظ ، وكان من قبلها لا يقرءون كتابهم إلا نظرا ، فإذا أطبقوه لم يحفظ ما فيه إلا النبيون

[وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون] أي وما يكذب بآيات الرحمن ، إلا المتجاوزون الحد في الكفر والطغيان

[وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه] أي وقال كفار مكة : هلا أنزل على محمد آيات خارقة من ربه ، تدل على صدقه ! ! مثل ناقة صالح ، وعصا موسى ، ومائدة عيسى! !

[قل إنما الآيات عند الله] أي قل لهم يا محمد : إنما أمر هذه الخوارق والمعجزات لله ، وليست بيدي ، إن شاء أرسلها ، وإن شاء منعها ، وليس لأحد دخل فيها

[وإنما أنا نذير مبين] أي وإنما أنا منذر أخوفكم عذاب الله ، وليس من شأني أن آتي بالآيات

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم] ؟ الاستفهام للتوبيخ ، أي أولم يكف المشركين عن آيات هذا الكتاب المعجز ، الذي لا يزال يقرع أسماعهم ؟ وكيف يطلبون آية والقرآن أعظم الآيات ، وأوضحها دلالة على صحة نبوتك ؟ قال ابن كثير : بين تعالى كثرة جهلهم ، وسخافة عقلهم ، حيث طلبوا آيات تدل على صدق محمد (ص) وقد جاءهم بالكتاب العزيز ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، الذي هو أعظم من كل معجزة ، إذ عجزت الفصحاء والبلغاء عن معارضته ، بل عن معارضة صورة منه ، أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك يا محمد هذا الكتاب العظيم ، وأنت رجل أمى لا تقرأ ولا تكتب ، وجئتهم بأخبار ما في الصحف الأولى ؟ ولهذا قال بعده

[إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون] أي إن فى إنزال هذا القرآن ، لنعمة عظيمة على العباد ، بإنقاذهم من الضلالة ، وتذكرة بليغة لقوم عقلاء غرضهم الإيمان ، لا التعنت والطغيان

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا] أي قل لهم : كفى أن يكون الله جل وعلا ، شاهدا على صدقي ، يشهد لي أني رسوله

[يعلم ما في السموات والأرض] أي لا تخفى عليه خافية من أمر العباد ، فلو كنت كاذبا عليه لانتقم مني

[والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون] أي والذين آمنوا بالأوثان وكفروا بالرحمن ، أولئك هم الكاملون في الخسران

[ويسعجلونك بالعذاب] أي يستعجلك يا محمد المشركون بالعذاب يقولون [أمطر علينا حجارة من السماء] وهو استعجال على جهة التكذيب والاستهزاء

[ولولا أجل مسمى لجاءهم العذاب] أي لولا أن الله قدر لعذابهم وهلاكهم وقتا محدودا ، لجاءهم العذاب حين طلبوه

[وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون] أي وليأتينهم فجأة وهم ساهون لاهون ، لا يشعرون بوقت مجيئه

[بستعجلونك بالعذاب وأن جهنم لمحيطة بالكافرين]

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تعجب من قلة فطنتهم ، ومن تعنتهم وعنادهم ، والمعنى : كيف يستعجلون العذاب والحال أن جهنم محيطة بهم يوم التيامة ، كإحاطة السوار بالمعصم ، لا مفر لهم منها ؟ ثم ذكر كيفية إحاطة جهنم بهم ، فقال سبحانه

[يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم]

أي يوم يجللهم العذاب ، ويحيط بهم من فوقهم ، ومن تحتهم ، ومن جميع جهاتهم

[ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون] أي ويقول الله عز وجل لهم : ذوقوا جزاء ما كنتم تعملونه في الدنيا من الإستهزاء والإجرام ، وسيئ الأعمال ! ثم لما بين تعالى حال المكذبين الجاحدين ، أعقبه بذكر حال الأبرار المتقين فقال

[يا عبادي الذين آمنوا أن أرضى واسعة] خطاب تكريم وتشريف ، للتحريض على الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام ، أي يا من شرفكم الله بالعبودية له ، هاجروا من مكة ، إن كنتم في ضيق من إظهار

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الإيمان فيها ، ولا تجاوروا آلظلمة فأرض الله واسعة ، قال مقاتل : نزلت في ضعفاء مسلمي مكة)

[فإياى فاعبدرن] أي فخصوني بالعبادة ، ولا تعبدوا أحدا سواي

[كل نفس ذائقة الموت ثم إلينا ترجعون] أي أينما كنتم يدرككم الموت ، فكونوا دائما وأبدا في طاعة الله ، وحيث أمرتم فهاجروا ، فإن الموت لابد منه ، ولا محيد عنه ، ثم إلى الله المرجع والمآب

[والذين آمنوا وعملوا الصالحات] أي جمعوا بين إخلاص العقيدة وإخلاص العمل

[لنبوئنهم من الجنة غرفا] أي لننزلنهم أعالي الجنة ولنسكننهم منازل رفيعة فيها

[تجرى من تحتها الأنهار] أي تجري من تحت أشجارها وقصورها أنهار الجنة

[خالدين فيها] أي ماكثين فيها إلى غير نهاية لا يخرجون منها أبدا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[نعم أجر العاملين] أي نعمت تلك المساكن العالية ، في جنات النعيم أجرا للعاملين

[الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون] هذا بيان للعاملين ، أي هم الذين صبروا على تحمل المشاق ، من الهجرة والأذى في سبيل الله ، وعلى ربهم يعتمدون في جميع أمورهم ، قال في البحر : وهذان جماع الخير كله : الصبر ، وتفويض الأمر إليه تعالى

[وكأين من دابة لا تحمل رزقها] أي كم من دابة ضعيفة ، لا تقدر على كسب رزقها ، ولكن الله يرزقها مع ضعفها

[الله يرزقها وإياكم] أي الله تعالى يرزقها كما يرزقكم ، وقد تكفل برزق جميع الخلق ، فلا تخافوا الفقر إن هاجرتم ، فالرازق هو الله ، قال في التسهيل : والقصد بالآية التقوية لقلوب المؤمنين ، إذا خافوا الفقر والجوع فى الهجرة من أوطانهم ، فكما يرزق الله الحيوانات الضعيفة كذلك يرزقكم إذا هاجرتم من بلدكم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وهو السميع العليم] أي هو السميع لأقوالكم ، العليم بأحوالكم . . ثم عاد الحديث إلى توبيخ المشركين فى عبادة غير الله فقال سبحانه

[ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله] أي ولئن سألت المشركين ، من خلق العالم العلوي والسفلي ، وما فيهما من العجائب والغرائب ؟ ومن ذلل الشمس والقمر وسخرهما لمصالح العباد ؟ يجريان بنظام دقيق ؟ ليقولون : الله خالق ذلك

[فأنى يؤفكون] أي فكيف يصرفون عن توحيده ، بعد إقرارهم بذلك ؟

[الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له] أي هو جل وعلا الخالق وهو الرازق ، يوسع الرزق لمن يشاء من عباده امتحانا ، ويضيق الرزق على من يشاء ابتلاء ، ليظهر الشاكر والصابر

[إن الله بكل شيء عليم] أي إنه تعالى واسع العلم يفعل ما تقتضيه الحكمة والمصلحة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله] توبيخ آخر ، وإقامة حجة أخرى عليهم ، أي ولئن سألت المشركين من الذي أنزل المطر من السماء ، فأخرج به أنواع الزروع والثمار ، بعد جدب الأرض ويبسها ؟

ليقولون : الله فاعل ذلك

[قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون] أي قل يا محمد : حمدا لله على ظهور الحجة ، بل أكثرهم لا يعقلون ! ! حيث يقرون بأن الله هو الخالق الرازق ثم يعبدون غيره ا !

[وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب] أي وما الحياة في هذه الدنيا إلا غرور ، ينقضي سريعا ويزول ، كما يلعب الصبيان ساعة ثم يتفرقون

[وأن الدار الأخرة لهي الحيوان] أي وأن الآخرة لهى دار الحياة الحقيقية ، التي لا موت فيها ولا تنغيص

[لو كانوا يعلمون] أي لو كان عندهم علم ، لم يؤثروا دار الفناء على دار البقاء ، لأن الدنيا حقيرة ، لا تزن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عند الله جناح بعوضة) ، ولقد أحسن من قال : تأمل في الوجود بعين فكر ترى الدنيا الدنية كالخيال ومن فيها جميعا سوف يفنى ويبقى وجه ربك ذو الجلال

[فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين] إقامة حجة ثالثة على المشركين ، في دعائهم الله عند الشدائد ، ثم يشركون به في حال الرخاء ، والمعنى : إذا ركبوا في السفن ، وخافوا الغرق ، دعوا الله مخلصين له الدعاء ، لعلمهم أنه لا يكشف الشدائد عنهم إلا الله ، وفي لفظ [مخلصين] ضرب من التهكم

[فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون] أي فلما خلصهم من أهوال البحر ، ونخجهم إلى جانب البر ، إذا هم يعودون إلى كفرهم وإشراكهم ، ناسين ربهم الذي أنقذهم من الشدائد والأهوال

[ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا فسوف يعلمون] أمر على وجه التهديد ، أي فليكفروا بما أعطيناهم من نعمة الإنجاء من البحر ، وليتمتعوا في هذه الحياة الدنيا بباقي أعمارهم ، فسوف يعلمون عاقبة أمرهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم] أي أولم ير هؤلاء الكفار ، رؤية تفكر واعتبار ، أنا جعلنا بلدهم (مكة) حرما مصونا عن السلب والنهب ، آمنا أهله من القتل والسبي ، والناس حولهم يسبون ويقتلون ؟ قال الضحاك : [ويتخطف الناس من حولهم] أي يقتل بعضهم بعضا ، ويسبي بعضهم بعضا

[أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون] أي أفبعد هذه النعم الجليلة ، يؤمنون بالأوثان ويكفرون بالرحمن ؟

[ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بالحق لما جاءه] أي لا أحد أظلم من عبد غير الله ، وكذب بالقرآن حين جاءه

[أليس في جهنم مثوى للكافرين] ؟ أي أليس في جهنم مسكن وموضع إقامة ، للكافرين بآيات الله ؟ جزاء افترائهم وكفرهم ؟

[والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا] أي والذين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

جاهدوا النفس والشيطان ، والكفرة أعداء الدين ، ابتغاء مرضاتنا لنهدينهم طريق السير إلينا

[وإن الله لمع المحسنين] أي مع المؤمنين بالنصر والعون ، ومن كان الله معه فهو في أمن وأمان .

البلاغه :

تضمنت الآيات وجوها من البيان والبديع نوجزها فيما يلي :

1 - التحضيض [لولا أنزل عليه آيات من ربه] أي هلا أنزل عليه .

2 - الطباق بين [آمنوا بالباطل وكفروا بالله] .

3 - إفادة القصر [أولئك هم الخاسرون] أي لا غيرهم .

4 - الإطناب بذكر العذاب مرات للتشنيع على المشركين [ويستعجلونك بالعذاب ولولا أجل مسمى] [يستعجلونك بالعذاب لأن جهنم] [يوم يغشاهم العذاب] إلخ .

5 - الإضافة للتشريف والتكريم [يا عبادي الذين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

آمنوا] .

6 - الطباق بين [يبسط الرزق . . ويقدر] ومثله [أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون

7 - المجاز العقلي [حرما آمنا] أي آمنا أهله .

8 - التشبيه البليغ [وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب] أي كاللهو وكاللعب ، حذفت أداة التشبيه ووجه الشبه ، فأصبح بليغا على حد قولهم : " زيد أسد " ومحمد قمر.

9 - الإيجاز بحذف جواب الشرط لدلالة السياق عليه [لو كانوا يعلمون] أي لو كانوا يعلمون لما آثروا الدنيا على الآخرة ، ولا الفانية على الباقية . 1

5 - مراعاة الفواصل لما لها من وقع عظيم على السمع ، يزيد الكلام رونقا وجمالا ، مثل [أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون] [بل أكثرهم لا يعلمون] [إذا هم يشركون] الخ

تنبيه :

لا ينبغي لمسلم أن يبقى بأرض ، لا يتيسر له فيها

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عبادة الله ، فأرض الله واسعة ، وقد أشارت الآيات إلى وجوب الهجرة إلى دار الإسلام وكما قيل " وكل مكان ينبت العز طيب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com